

الزَّهْرَةُ

لَا بِي بِكَرْمُحْذَن دَاوُدَ الْأَصْبَهَانِي

# الزُّهْرَة

لأبي بكر محمد بن داود الأصبهاني

الجزء الأول

الطبعة الثانية  
١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م  
طبعة جديدة مزيّدة ومنقحة

محققه وقدم له وعلق عليه  
د. إبراهيم السامرائي

مكتبة المنار  
الأردن - الشرقاء

شارع الفاروق - بجانب جمعية المركز الإسلامي  
مكتبة المنار هائف ٨٣٦٥٩ - ص.ب ٨٤٢ الزرقاء - الأردن



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمده وأستعينه وأصلي وأسلم  
على صفوة خلقه سيدنا النبي العربي



## المقدمة

### أبو بكر محمد بن داود الأصبهاني(\*)

#### سيرته:

يعد أبو بكر محمد بن داود الأصبهاني، المعروف بالظاهري من أكابر علماء عصره وفقهائهم وأذكيائهم، لعلوه في رتبة الأدب، وتصرفه في اللغة، وتفنته في موارد المذاهب، وقدرته على الإفتاء في سن مبكرة. ويكاد القدامى يجمعون على هذه الخصال، فقد ذكر الخطيب البغدادي صفاته فقال<sup>(١)</sup>: كان عالماً أديباً، شاعراً ظريفاً، وقال عنه ابن خلكان<sup>(٢)</sup>: كان فقيهاً أديباً شاعراً ظريفاً، وكان يناظر أبا العباس بن سريج. وقال الصفدي<sup>(٣)</sup>: إنه من أذكى العالم، وقال عنه الذهبي<sup>(٤)</sup>: وكان من أذكى زمانه. حفظ القرآن وله سبع سنين، وقد أدى جلوسه للفتيا وهو في سن مبكرة إلى استصغاره، وقد حمل ذلك بعض حساده على أن يدسوا إليه رجلاً يطلب منه أن يسأله عن حد السكر ما هو؟ فأتاه الرجل فسأله عن حد السكر ومتى يكون الإنسان سكران؟ فقال محمد: إذا عزبت عنه

(\*) كنا قد قدمنا للجزء الثاني من الكتاب أنا والدكتور نوري القيسي، وقد عدت إلى تلك المقدمة فأعملت النظر فيها فغيرت منها وزدت فيها فجعلتها مقدمة للكتاب كله.

(١) تاريخ بغداد ٢٥٦/٥.

(٢) وفيات الأعيان ٣/٣٩٠.

(٣) الوافي بالوفيات ٥٨/٣.

(٤) تاريخ دول الإسلام ١٣٢/١.

الهموم، وباح بسره المكتوم، فاستحسن ذلك منه، وعلم موضعه<sup>(٥)</sup> وقد نقلت المصادر التي تحدثت عنه أخباراً كثيرة تدل على قدرته في القضاء، وإحاطته بالعلوم<sup>(٦)</sup>. وقد نعت ابن الرومي الشاعر بـ«فقيه العراق». فقد حكى أبو بكر بن أبي الدنيا أنه حضر مجلس محمد فجاءه رجل فدفع إليه رقعة فأخذها وتأملها طويلاً وظن تلامذته أنها مسألة فقلبها وكتب في ظهرها ودفعها فإذا الرجل علي بن العباس المعروف بابن الرومي الشاعر وإذا في الرقعة مكتوب<sup>(٧)</sup>:

يا ابن داود يا فقيه العراق أفئتنا في قوائل الأحداق  
هل عليهن في الجروح قصاص أم مباح لها دم العشاق

وإذا الجواب:

كيف يفتيكم قتيلٌ صريعٌ بسهام الفراق والاشتياق  
وقتيل التلاق أحسن حالاً عند داود من قتيل الفراق

وقد ورد الخبر والأبيات في تاريخ بغداد بشكل آخر واختلاف في ذكر الأبيات<sup>(٨)</sup>.

لقد أجمعت المصادر على قدرته على الإفتاء، وتمكنه من المناظرة. وقد اشتهرت مناظراته مع ابن سريج القاضي. وأشار الخطيب إلى أن محمد بن داود كان خصماً لأبي العباس بن سريج القاضي. وكانا يتناظران ويترادان في الكتب<sup>(٩)</sup> إلا أن هذه الخصومة لم تمنع ابن سريج من حزنه الشديد عند سماعه نبأ وفاة محمد بن داود حيث قال بعد أن نحى نحاده ومشاوره وجلس للتعزية:

(٥) تنظر المسألة في تاريخ بغداد ٢٥٦/٥ ووفيات الأعيان ٣٩٠/٣ والوفاء بالوفيات ٥٨/٣ والبدية والنهاية ١١٠/١١.

(٦) تاريخ بغداد ٢٥٦/٥ ووفيات الأعيان ٣٩٠/٣ والوفاء ٦٠/٣.

(٧) الخبر والأبيات في وفيات الأعيان ٣٩٢/٣ والوفاء ٦٠/٣.

(٨) تاريخ بغداد ٢٥٧/٥ والمحمدون من الشعراء ص ٣١٤ - ٣١٥.

(٩) انظر الخطيب ٢٥٤/٥، ٢٦١، ووفيات الأعيان ٣٩٠/٣.

ما آسى إلا على تراب أكل لسان محمد بن داود<sup>(١٠)</sup>: وذكر الصفدي أنه لما مات محمد جلس ابن سريج في عزائه وبكى وجلس على التراب وقال: ما آسى إلا على لسان أكله التراب من أبي بكر، ويحكي أنه لما بلغته وفاته كان يكتب شيئاً فألقى الكراسية من يده وقال: مات من كنت أحت نفسي وأجهد لها على الاشتغال لمناظرته ومقاومته<sup>(١١)</sup>.

أما اشتغاله في الحديث فقد نقل الخطيب حديثاً واحداً عنه ذكره أبو عبد الله نبطويه النحوي قال: دخلت على محمد بن داود الأصبهاني في مرضه الذي مات فيه فقلت له: كيف تجدك؟ فقال: حب من تعلم أورثني ما ترى! فقلت ما منعك من الاستمتاع به مع القدرة عليه؟ فقال: الاستمتاع على وجهين أحدهما النظر المباح، والثاني اللذة المحظورة. فأما النظر المباح فأورثني ما ترى، وأما اللذة المحظورة، فإنه منعي منها ما حدثني به أبي، حدثنا سويد بن سعيد. حدثنا علي بن مسهر عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «من عشق كتم وعف وصبر غفر الله له وأدخله الجنة» ووردت فيه بعض الخلافات في الرواية<sup>(١٢)</sup>. ومن الغريب أن نجد في حياة هذا الرجل فتى حدثاً من أهل أصبهان كان يهواه ويعشقه حتى أصبح أمره عند معاصريه معروفاً. وقد نقلت كتب القدامى أخبار هذا العشق. فقد حدث الخطيب نقلاً عن أبي سعد الماليني عن الحسن بن إبراهيم الليثي قوله: كان محمد بن داود يميل إلى محمد بن جامع الصيدلاني وبسببه عمل كتاب الزهرة<sup>(١٣)</sup>.

وقال عنه الصفدي<sup>(١٤)</sup>: كان محمد يهوى فتى حدثاً من أهل أصبهان يقال

(١٠) تاريخ بغداد ٢٥٩/٥ ووفيات الأعيان ٣٩٠/٣.

(١١) الوافي بالوفيات ٦٠/٣.

(١٢) تاريخ بغداد ٢٦٢/٥ وأشار الصفدي في الوافي بالوفيات ٦٠/٣ إلى الخلافات.

وروايته في [المحمدون] ٣١٨ مطابقة لرواية الخطيب.

(١٣) تاريخ بغداد ٣٦٠/٥.

(١٤) الوافي ٥٩/٣.

له محمد بن جامع، ويقال له ابن زخرف، وكان طاهراً في عشقه عفيفاً. ومن الغريب في حكايته أن محمد بن جامع كان ينفق على محمد بن داود، وما عرف فيما مضى من الزمان كما يقول الخطيب: معشوق ينفق على عاشق إلا هو<sup>(١٥)</sup>. وقيل أن اسم هذا المعشوق وهب بن جامع العطار الصيدلاني<sup>(١٦)</sup>. ومما يروى عن عفة حبه وطهارته ما رواه الصفدي إذ قال: دخل ابن جامع يوماً إلى الحمام وخرج فنظر في المرأة فأعجبه حسنه فغطى وجهه بمنديل وجاء إلى محمد بن داود وهو على تلك الحالة فقال: ما هذا؟ قال: نظرت في المرأة فأعجبني حسني فما أحببت أن يراه أحد قبلك، فغشي عليه<sup>(١٧)</sup>، ولم يزل في حبه حتى قتله.

شعره:

أشار القدامى الذين ترجموا له إلى شاعريته فقالوا: كان أديباً شاعراً<sup>(١٨)</sup>. إلا أن كتب الأدب التي ترجمت لهذه الفترة، أو تحدثت عن الشعر في عصره لم تشر إلى هذا الشاعر، ولم تتحدث عن هذه الشاعرية. ولعل طمس المؤلف لمعالم شعره وشاعريته كانت من الأسباب التي حالت دون شهرته، وقد عرف عنه بعض القدامى هذه الحقيقة فقال المسعودي وهو يتحدث عنه<sup>(١٩)</sup>: ومما قال فيه فأحسن في عنفوان شبابه وأثبت في كتابه المترجم بالزهرة، وعزاه إلى بعض أهل عصره، وإن كان محسناً في سائر كلامه من منظوم ومثور قوله:

على كبدي من خيفة البين لوعة يكاد لها قلبي أسى يتصدع  
يخاف وقوع البين والشمل جامع فيكي بعين دمعها متسرع  
فلو كان مسوراً بما هو واقع كما هو مسرور بما يتوقع  
لكان سواءاً برؤيه وسقامه ولكن وشك البين أدهى وأوجع

(١٥) المصدر نفسه ٥٩/٣

(١٦) المصدر نفسه.

(١٧) المصدر نفسه ص ٥٩.

(١٨) ينظر كتاب أوراق من ديوان أبي بكر محمد بن داود الأصبهاني.

(١٩) المروج ٢٩٦/٤.

وقد نسبت هذه الأبيات في الزهرة<sup>(٢٠)</sup> إلى بعض أهل هذا العصر. وكذلك قوله:

تمتّع من حببيك بالسوداع إلى وقت السرور بالاجتماع  
وهي في خمسة أبيات في كتاب «الزهرة»<sup>(٢١)</sup>.  
وقوله:

لا خير في عاشق يخفي صبايته بالقول والشوق في زفراته بادي  
وهما بيتان في كتاب «الزهرة»<sup>(٢٢)</sup> وفي الحالين نسبها لبعض أهل العصر.

وقد استطعنا في ضوء هذه المعلومات التي وجدناها في مراجع ترجمته وما كان يصنعه أو يقدم له في النصف الأول من كتاب «الزهرة».. استطعنا أن نجد أكثر من ست وثمانين قطعة نسبها لبعض أهل العصر. وقد وجدنا جزء منها منسوباً له في كتب الأدب والتراجم التي نقلت عنه، أو ترجمت له، أمثال تاريخ بغداد للخطيب البغدادي والمحمدون من الشعراء والوفاء بالوفيات<sup>(٢٣)</sup>، وهناك منشآت أخرى لم نجدها في كتاب «الزهرة» ولعلها تكون موجودة في كتب الأشعار والمجاميع.

(٢٠) الزهرة ص ١٦٠.

(٢١) الزهرة ص ١٨٥.

(٢٢) الزهرة ص ٣٢١.

(٢٣) قال الخطيب [٢٥٧/٥] سمعت أبا بكر محمد بن داود بن علي الأصبهاني ينشد:

ومن يمنع العذب الزلال يمتنع من الشرب من سؤر الكلاب تغضبا  
خليق إذا ما لم يجد شرب غيره وخاف المنيا أن يدل ويشربا  
إذا لم يقدر للفتى ما أراد أراد الذي يقضي له شاء أم أبى

والأبيات من تسعة أبيات نسبت لبعض أهل هذا العصر وقد سبقت بقطعتين

كل منها أربعة أبيات في كتاب «الزهرة» ص ١٧٣.

وقال الخطيب [٢٥٨/٥]: حدثني الأزهرى قال: أنشدنا محمد بن جعفر

الهاشمي قال أنشدنا عبيد الله بن أحمد الأنباري قال: أنشدني محمد بن داود الأصبهاني

لنفسه:

لقد أحصينا الأبيات التي نسبها إلى بعض أهل هذا العصر في كتاب «الزهرة» فوجدناها أكثر من أربعمائة وأربعين بيتاً وهي تؤلف عشر الكتاب تقريباً. وإذا قدرنا أن شعره الذي نهج فيه هذا المنهج يشكل هذه الكمية فنستطيع أن نقدر كمية الشعر التي نظمها هذا الشاعر المغمور الذي لم يترجم له أولم تشر إليه كتب الأدب بإشارة واحدة. . إن دراسة دقيقة لشعره المتناثر في النصف الأول من «الزهرة» توضح قيمة هذا الشعر من الناحية الفنية، وتبرز اتجاهه العفيف في معالجة هذا الجانب الشعري المتميز.

= وإني لأدري أن في الصبر راحة  
فلا تطف نار الشوق بالشوق طالباً  
ولكن إنفاقي على الصبر من عمري  
سلوا فإن الجمر يسعر بالجمر  
فالأول مع تسعة أبيات نسبت في «الزهرة» إلى بعض أهل هذا العصر، وقد سبقت القطعة بأربعة أبيات له أيضاً [«الزهرة» ص ١٢٧ - ١٢٨].

وقال الخطيب [٢٥٨/٥].. أنشدنا القاسم بن وهب بن جامع لمحمد بن داود الأصبهاني:

قدمت قبلك قد والله برّح بي  
قلبي يغار على عيني إذا نظرت  
شوق إليك فهل لي فيك من حظ  
بقيا عليك فما أروى من اللحظ  
قال وأنشدنا القاسم له أيضاً:  
جعلت فداك - إن صلحت فداء  
ولنفسك - نفس مثلي أو وقاء  
وكيف يجوز أن تفديك نفسي  
وليس محل نفسينا سواء  
والقطعتان وحديث عن الهوى نسبتا في «الزهرة» إلى بعض أهل هذا العصر [«الزهرة» ص ٧٢].

وقال الخطيب في خبر [٢٥٩/٥] سمعت أبا بكر محمد بن داود الأصبهاني ينشد:

العذر يلحقه التحريف والكذب  
وقد أسأت فبالنعمى التي سلفت  
وليس في غير ما يرضيك لي إرب  
إلا منتت بعفو ما له سبب  
وقد نسبت القطعة وقطعة أخرى في كتاب «الزهرة» إلى بعض أهل هذا العصر [«الزهرة» ص ١٤٤].

وقد وردت بعض هذه الأشعار في كتاب [المحمدون من الشعراء ص ٣١٥] و[الوافي بالوفيات ص ٥٩].

إننا نستطيع أن نقول بأن الحقبة التي بدأ فيها بنظم الشعر كانت مبكرة لأن الوقت الذي بدأ فيه بتأليف الكتاب كان مبكراً، وقد أشار إلى ذلك في حديثه عن كتاب «الزهرة» حيث قال: ما انفككت من هوى قط منذ دخلت الكتاب بدأت بعمل كتاب «الزهرة» وأنا في الكتاب، ونظر أبي في أكثره (٢٤)، وقال ابن خلكان «وصنف في عنفوان شبابه كتابه الذي سماه «الزهرة» (٢٥).

ولا بد أن تكون فترته في الكتاب فترة متقدمة إلى جانب ما وجدناه من استصغار الناس له بعد وفاة أبيه عندما خلفه للفتيا في مجلسه، فإذا كان أبوه قد نظر في كتابه قبل وفاته علمنا أنه حين ألف الكتاب الذي يضم أكثر من أربعمائة بيت من الشعر كما أسلفنا.

ولعل الشاعر لم يكن راضياً عن ميله هذا، أولعله كان يريد أن يحصر شعره ويحول دون انتشاره، وهذه ظاهرة أخرى توضح لنا مدى جهل الناس به. فقد نقل البغدادي (٢٦) خبراً عن القاضي أبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الأزدي ببغداد حيث قال: كنت أساير أبا بكر محمد بن داود بن علي ببغداد فإذا جارية تغني بشيء من شعره:

أشكو عليل فؤاد أنت متلفه  
شكوى عليل إلى ألف يُعلّله  
سقمي تزيد مع الأيام كثرته  
وأنت في عظم ما ألقى تقلله  
اللّه حَرَمَ قتلي في الهوى سفهاً  
وأنت يا قاتلي ظلماً تُحلّله

فقال محمد بن داود: كيف السبيل إلى استرجاع هذا؟ فقال القاضي أبو عمر: هيهات سارت به الركبان.

إن هذه الأسباب مجتمعة إلى جانب العوامل الأخرى التي أحاطت به وانصرافه إلى التفقه في علوم الدين والرد على الذين ناظروه والانتصار لأبيه من

(٢٤) تاريخ بغداد ٢٥٩/٥ المنتظم ٩٤/٦، الوافي بالوفيات ٥٨/٣.

(٢٥) وفيات الأعيان ٣٩٠/٣.

(٢٦) تاريخ بغداد ٢٥٨/٥ والوافي بالوفيات ٥٩/٣.

الناشيء المتكلم والانتصار لأبيه من محمد بن جرير والرد على ابن شرشير وأبي عيسى الضرير ووفاته في سن مبكرة. كل هذه العوامل حالت دون استمراره في الشعر وأدت إلى انصرافه عنه.

مصفاته:

لقد عرف أبو بكر محمد بن داود الأصبهاني بكتاب «الزهرة» أكثر من أي كتاب آخر، لشهرة هذا الكتاب، وما جمع فيه من آداب، وأق فيه من نواذر، وذكر فيه من أشعار، ولم يقتصر تأليفه على هذا الكتاب وإنما انصب اهتمامه بعد هذا الكتاب إلى المسائل الفقهية والأصول وقد ذكر له ابن النديم قائمة بجملة كتب فقهية هي (٢٧):

- ١ - كتاب الإنذار (٢٨).
- ٢ - كتاب الإعذار (٢٩).
- ٣ - كتاب الوصول إلى معرفة الأصول (٣٠).
- ٤ - كتاب الإيجاز (٣١).
- ٥ - كتاب الرد على ابن شرشير.
- ٦ - كتاب الرد على ابن عيسى الضرير.
- ٧ - كتاب الانتصار من أبي جعفر الطبري وأضاف الصفدي إلى هذه الكتب (٣٢).
- ٨ - مختار الأشعار.

(٢٧) الفهرست ص ٢١٧.

(٢٨) ذكره ابن خلكان ٣٩٢/٣ والصفدي في الوافي ٥٨/٣ وحاجي خليفة ١٣٩٩/٣.

(٢٩) ذكره ابن خلكان والصفدي وحاجي خليفة.

(٣٠) ذكره الصفدي ٥٨/٣ وحاج خليفة ٢٠١٤/٢.

(٣١) سماه الصفدي في الوافي ٥٨/٣ الإيجاز في الفقه والبرعة وذكر له كتاباً آخر باسم التفصي في الفقه والإيجاز.

(٣٢) الوافي بالوفيات ٥٨/٣.

٩ - الانتصار لأبيه من الناشيء المتكلم.

١٠ - اختلاف مسائل الصحابة.

١١ - الفرائض.

١٢ - المناسك.

ومن الغريب أن يغفل ابن النديم كتاب «الزهرة» الذي يعد من أشهر كتبه والذي ذكر في معظم الكتب التي ترجمت له (٣٣) أما حاجي خليفة فقد اختلف في تسميته فقد سماه مرة «زهرة العلوم في الأدب» ونسبه للشيخ ابن داود (٣٤) وسماه مرة أخرى «الزهرة» لمحمد بن داود (٣٥) وسماه مرة ثالثة «زهرة (بالتنكير)» ونسبه لأبي بكر محمد بن داود الظاهري (٣٦) وهي أسماء واحد لمؤلف واحد ولكن يبدو أن هناك - في عهد صاحب «الكشف» - أكثر من نسخة اختلفت كتابة عنواناتها.

وفاته:

تنحصر وفاة صاحب «الزهرة» بين سنتي ست وتسعين ومائتين وسبع وتسعين ومائتين فقد ذكر المسعودي (٣٧) أن وفاته كانت سنة ست وتسعين ومائتين ويذهب ابن الجوزي هذا المذهب (٣٨) ويتابعه ابن خلكان في إحدى روايته (٣٩) أما الخطيب فيحدد وفاته في يوم الإثنين لتسع خلون من شهر رمضان سنة سبع وتسعين ومائتين (٤٠)، ويؤيد القفطي (٤١) وابن خلكان في الرواية

(٣٣) تاريخ بغداد ٢٥٦/٥ ووفيات الأعيان ٣٩٠/٣ والمتنظم ٩٤/٦ والوافي بالوفيات ص ٥٨ والمحمدون ص ٣١٣.

(٣٤) كشفت الظنون ٩٦٢/٢.

(٣٥) المصدر نفسه ١٤٢٣/٣.

(٣٦) المصدر نفسه ١٤٢٣/٢.

(٣٧) مروج الذهب ٢٩٦/٤.

(٣٨) المتنظم ٩٥/٦.

(٣٩) وفيات الأعيان ٣٩٢/٣.

(٤٠) تاريخ بغداد ٢٦٢/٥.

(٤١) المحمدون ص ٣١٩.



الثانية<sup>(٤٢)</sup> والصفدي<sup>(٤٣)</sup> هذا الرأي في تحديد السنة. ويجمعون على أن عمره اثنتان وأربعون سنة.

## قصة الكتاب

عُرف كتاب «الزهرة» في نصفه الأول ووسم به «النصف الأول من كتاب الزهرة» كما هو في أصله المخطوط في دار الكتب المصرية ورقمه (٧٢٤٦). وقد نشره الأستاذ نيكل وقد ساعده الشاعر الفلسطيني إبراهيم طوقان. وكان ذلك في منشورات الجامعة الأميركية في بيروت سنة ١٩٣٢. وأصل هذه النشرة المخطوط الفريد الذي أشرنا إليه. وفي دار الكتب مخطوطة حديثة أخرى انتسخت من الأصل الذي سنأتي على وصفه<sup>(\*)</sup>.

وكنت قد نشرت النصف الثاني مع الأخ الدكتور نوري القيسي ببغداد سنة ١٩٧٥ واضطلعت وزارة الثقافة والإعلام بنشره بعد أن وجدنا من أصوله ما أعان على نشره. وها نحن نصف الأصلين اللذين اعتمدناهما وقصتهما، ونبدأ الكلام عليهما لنخلص منهما إلى الكلام على النصف الأول، وهو مخطوط دار الكتب المصرية. وسيجد الدارسون أن سبيلنا هذا في وصف أصول الكتاب شيء لا بد منه تفرضه «قصة» الكتاب.

أصلا الكتاب للنصف الثاني:

- ١ - مخطوطة المتحف العراقي.
- ٢ - مخطوطة تورينو الإيطالية.

(\*) لم يكن الناشران على علم بمخطوطة هذا الكتاب الكاملة التي تحتفظ بها خزانة جامعة تورينو في إيطاليا، ولو عرفها لأشارا إليها.

(٤٢) وفيات الأعيان ٣/٣٩٢.

(٤٣) الوافي بالوفيات ٨/٣.

أصل الكتاب للنصف الأول:

١ - مخطوطة دار الكتب المصرية.

مخطوطة مكتبة المتحف العراقي:

النسخة الموجودة في مكتبة المتحف العراقي من كتاب «الزهرة» تحمل الرقم ١٣٤٥ وقياساتها ٢١ × ١٥ سم، وعدد صفحاتها مائتان وسبع وأربعون صفحة، في كل صفحة اثنا عشر سطراً. وهي نسخة خزائنية نفيسة وقديمة، في أولها تذهيب، وقد كتب الناسخ في صفحتيه الثانية والثالثة بخط الثلث المذهب على زخرفة من التوريق العربي مانصه: لخزانة مولانا السلطان الملك الصالح عماد الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين أبو الفداء إسماعيل بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب أعز الله أنصاره، وضاعف اقتداره.

والنسخة من مخطوطات أوائل القرن الثامن للهجرة. وقد كتب بعضهم<sup>(١)</sup> في صفحة العنوان: أنه كتب سنة ٧٢٩ للهجرة، غير أننا لم نعث في المخطوطة على هذا التاريخ. وفي الصفحة عينها أن أحدهم طالع في سنة [لض] وتقابل في الحساب سنة ٨٣٠ للهجرة. وهذا التاريخ يقرب إلينا مسألة تاريخ الكتابة. وفيها ما يفيد أن النسخة كانت من كتب خزانة آل كبة في بغداد، وقد تملكها منهم محمد صالح كبة: سنة ١٢٤٩، وعبدالحسين كبة: سنة ١٢٨٨، وعبد الأمير كبة. ثم آلت إلى مكتبة الأب أنستاس الكرمللي الذي استعاد شرائها بعد أن افتقدها في ٢٢ شباط ١٩٣٢، وذلك بخمسة دنانير ذهبية. وفوق غرة الكتاب كتب الأب أنستاس مانصه:

(١) يذهب الأستاذ كوركيس عواد إلى أن كاتب تاريخ النسخة غير معروف، فأشار إليه بعبارة [بعضهم] ويبدو أن كاتب النسخة هو الذي دون تاريخ كتابتها. إلا أن مرور الأيام أدى إلى محو التاريخ. وقد حمل هذا المجو الأب أنستاس إلى إعادة كتابتها، وما يدل على ذلك وجود بعض الكتابات بخط الكرمللي والتي تشابه الحبر المستعمل في إعادة كتابة التاريخ. (اعتمدنا في تثبيت بعض هذه المعلومات، فهرست المخطوطات العربية في مكتبة المتحف العراقي ببغداد للأستاذ كوركيس عواد ص ٢٨).

الجزء الثالث من كتاب «الزهرة» هو في أربعة أجزاء لأبي بكر محمد بن داود بن علي بن خلف الأصبهاني المعروف بالظاهري، المتوفى سنة ٢٩٧ للهجرة، وهي مجموعة الأدب (كذا) أتى فيه بكل غريبة ونادرة وشعر رائع، صنعه في عنفوان شبابه.

يبدأ الكتاب بالباب السابع والستين وينتهي بالباب التاسع والثمانين وقد جاء ترتيبها على الوجه الآتي: (٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٤، ٧٢، ٧٣، ٧٩، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩) ومن عرض هذه الأبواب نجد أن البابين (٧٠، ٧١) قد سقطا من المخطوط.

إن هذا التقسيم لا يعني أن الأبواب كاملة ومرتبطة بشكل طبيعي، وإنما جاءت الأبواب بشكل غريب، ومخالف لما رسمه المؤلف. فباب ألحقت به ورقتان، وباب ألحقت به ثلاث وعشرون ورقة، وباب ألحقت به سبع ورقات وباب ألحقت به تسع عشرة ورقة. وهو ترتيب مغاير - كما قلنا - للطريقة التي تحدث عنها المؤلف في مقدمة النصف الأول من كتاب «الزهرة» المطبوع حيث يقول «وهو كتاب سميت «الزهرة»، واستودعته مائة باب ضمنت كل باب مائة بيت»<sup>(٢)</sup>.

وقد ظن كثير من الباحثين أن النسخة البغدادية الموجودة في مكتبة المتحف العراقي هي النسخة الفريدة من هذا الكتاب القيّم، ولكن إشارة الدكتور الجوّاري في كتاب «الحب العذري» ص ١٤٤، تركت أملاً للباحثين، لا سيما إشارته إلى المستشرق نلينو الذي أكد وجود المخطوط في المكتبة الملكية بتورينو. وتثبيته لأبواب الكتاب كاملة في الكتاب، كما أشار الدكتور الجوّاري إلى رسالة الأب أنستاس ماري الكرمللي التي بعث بها إلى نيكل محقق القسم الأول من كتاب «الزهرة»، ينبئه فيه بأنه كان يملك قبل الحرب مخطوطاً جميلاً في أربع مجلدات صغيرة كتب عام ٧٢٩ للمكتبة الملكية لأبي الفداء، وقد فقد كله سنة

(٢) مقدمة كتاب النصف الأول من «الزهرة» ص ٤.

١٩١٧ على أثر سقوط بغداد. وفي الثاني والعشرين من فبراير عام ١٩٣٣ استطاع أن يشتري المجلد الثالث وهو يبدأ بالبَاب السابع والستين وينتهي بالبَاب التاسع والثمانين [يعني بذلك النسخة البغدادية التي وصفناها قبل قليل] وهذا يعني أن نسخة الأب أيضاً كانت كاملة، ولكنها فقدت، وبقي هذا القسم، ولعلَّ الأيام تعيد إلينا بقيتها.

نقول: إن هذه الإشارة دفعتنا إلى الكتابة الملكية بتورينو لمحاولة الحصول على النسخة، ولكن جوابها كان ينفي وجود النسخة، معتردين بأن حريقاً أصاب المكتبة. وهذا الخبر دفعنا إلى المباشرة بطبع ما وجدناه في النسخة البغدادية مع علمنا بنقصه، وقد تم ذلك وطبعنا منه ست كرايس.

وفي عام ١٩٧٠ دعت كلية الآداب بجامعة بغداد الأستاذ رزيتانو الإيطالي لإلقاء بعض المحاضرات، وقد صحبه في حضوره إلى الكلية الدكتور (بنية كيتي) فطلبنا منه أن يعاوننا في الحصول على النسخة التي يُظن أنها في خزنة تورينو، وقد حمل هذا الطلب مشكوراً، وتحمل أعباء التصوير بالميكرو فيلم، وإحضاره إلى بغداد فجزاه الله خير الجزاء.

وقد وجدنا المخطوطة المشار إليها كاملة، وتضم الجزء الأول من كتاب «الزهرة» والجزء الثاني، وتقع في مائتين واثنين وعشرين ورقة. والجزء الثاني من المخطوطة يكمل النسخة البغدادية الناقصة، لأنه يبدأ من الباب الواحد والخمسين [الباب الذي انتهى به النصف الأول من كتاب «الزهرة» المطبوع هو الباب الخمسون] وهذا يعني أن سبعة عشر باباً من أبواب النسخة البغدادية (ب) المفقودة موجودة في نسخة تورينو (ت) وأن أحد عشر باباً من أبواب النسخة البغدادية المفقودة موجودة في نسخة تورينو. وأن اثنين وعشرين باباً موجود في المخطوطتين، وفيهما اختلاف من حيث الزيادة في عدد القطع المستشهد بها في كل باب، وقد أشرنا إلى تلك الزيادة في الهوامش. وهي زيادات تنفرد بها النسخة البغدادية وهذا يعني أن نسخة تورينو أيضاً غير كاملة، لأنها تغاير المنهج الذي وضعه المؤلف لنفسه.

#### نسخة تورينو:

أما النسخة الإيطالية فتبدأ من الورقة ١١٦ وتنتهي بالورقة ٢٢٢. وفي كل صفحة تسعة عشر سطرًا وقد كتب الناسخ في غمرة الكتاب بقلم متوسط «كتاب الزهرة في الأدب» تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة أبو بكر محمد بن داود بن علي بن خلف الأصفهاني رحمه الله تعالى. وغفر له ولجميع المسلمين آمين. وفي القسم الثاني من الورقة ترجمة مصنف الكتاب بخط اعتيادي منقولة عن كتاب وفيات الأعيان وإلى جانب عنوان الكتاب من الجهة اليسرى تعليقات كتب الأول بالقلم الفارسي ونصه: تملكه بدمشق الشام أفقر الأنام لعفو الملك العلام درويش بن محمد الطالوتي عفا الله عنه بدمشق المحمية عام ٩٨٣ وتملك آخر نصه «في نوبة الفقير يحيى بن محمد الملاح، وتملك ثالث طمس بالمسح وبقي التاريخ وهو سنة ١٠١٩ وإلى جانبه الأيمن طمس آخر وفي أسفله بالخط الفارسي المعتاد «كتاب الزهرة في الأدب» بخط عربي ١٩ سطرًا. أما الورقة الثانية فقد توسطتها دائرة مزخرفة دقيقة الصنع، مضبوطة المقياس تدل على براعة هندسية متقنة وعلى الجانب الأيسر تملك كان الأول نصه «اشتراه العبد الفقير محمد أمين الشافعي من المخلفات الدرويشية الطالوية غفر الله ذنوبه بجاه خير البرية مفتتح عام ١٠١٥» والثاني نصه «الحمد لله ثم صار في نوبة العبد الفقير إليه سبحانه عبدالرحمن الحسيني الحنفي عفا الله عنه في ١٠٨٠».

\* \* \*

وقد وقفت على النصف الأول المطبوع الذي نشره نيكل وطوقان فبدأ لي أن عمل الناشرين معوز، وأن فيه من الأوهام الكثيرة ما يحفزني على إعادة نشره بعد أن تيسر لي الحصول على مصوِّرة لأصله المحفوظ في دار الكتب المصرية، وهو الأصل الذي صنع عليه الناشران نشرتها.

إن الأوهام التي حفل بها هذا النصف الأول من الكتاب تتصل بمسائل عدة منها أن الإعلام قد عرض لها من التصحيف والخطأ الشيء الكثير.

فأنت تجد أن «البحري» وهو الشاعر المشهور صار «عبيد بن الوليد»

كما صار «الوليد بن عباد» وغير هذا. وأن «أبا ذهبل» صار «أبا ذهيل»، ومثل هذا كثير سيقف عليه القارئ في تعليقاتي في نشرتي للكتاب.

ومن الأوهام ما يتصل برواية الشعر، فقد حفل الكتاب بمختارات كثيرة، وقد عرض التصحيف والخطأ لكثير من الشعر، وفيه ما اشتهر وعرف في روايته، وليس من عذر في ارتكاب الخطأ فيه.

وقد عرض شيء من هذا إلى القسم المنشور من الكتاب. وكنت قد جمعت هذه الأوهام وضممتها مقالة نشرت في مجلة معهد المخطوطات (الجزء الثاني من المجلد الثامن والعشرين).

وقد اعتمدت الأصل المحفوظ في دار الكتب المصرية ورقمه (٧٢٤٦).

#### وصف المخطوطة:

تقع المخطوطة في ثلاث مئة وثمان وخمسين صفحة، وقد كتبت بخط النسخ. وقد اشتملت كل صفحة على واحد وعشرين سطراً، ومعدل ما ورد في كل سطر عشر كلمات. وخطها حسن اعتني في تجويده وضبطه بالشكل.

على أن هذا الأصل لم يخل من أوهام مردّها سهو الناسخ، غير أن الناشرين لم يفتنوا إلى هذه المواضع، فقد أعادوا ما أخطأ فيه الناسخ ولم يتوقفوا قليلاً فيشيروا إلى الأوهام التي قصر فيها الناسخ. وكان عليهما أن يعلّقا تعليقاتاً موجزاً ليكون القارئ على بينة. وهذا يعني أنهما لم يكونا على علم بهذه الأوهام.

لقد كانت تعليقات نيكل في القسم الانكليزي طويلة ووافية استهلكت صفحات عدة. غير أن القارئ محتاج إلى أن يجد بين يديه نصاً سليماً، إذ ليس لتلك التعليقات من فوائد عملية، إن لم تتوفر على خدمة النص وتصحيحه وضبطه.

لقد أشار نيكل إلى تنويه المؤلفين الأقدمين بكتاب «الزهرة»، كما أشار إلى

تنويه ماسينيون بهذا الكتاب وصاحبه ابن داود الظاهري. وسأشير في تعليقاتي إلى أخطاء الأصل المخطوط وأخطاء القسم المطبوع.

كما اشتملت تعليقاتي فوائد كثيرة تتصل بتوثيق النصوص وتخريجها والإشارة إلى أصحابها مفيداً مما ورد في دواوين الشعر ومجاميعه، وما ورد في كتب التراجم والطبقات مجتهداً قدر المستطاع أن أنسب المقطعات الشعرية إلى أصحابها.

رمزنا إلى الأصل المخطوط للجزء الأول بالحرف «م».

كما أشرنا إلى «المطبوع» بكلمة «المطبوع».

ورمزنا للنسخة البغدادية التي اعتمدناها في نشر الجزء الثاني بالحرف «ب» وإلى النسخة الإيطالية بالحرف «ت».

#### طريقة المؤلف وأهمية المؤلف:

أوضح المؤلف في مقدمة النصف الأول من كتاب «الزهرة» طريقته التي سلكها في كتابه هذا فقال<sup>(٣)</sup>: «وهو كتاب سميت «الزهرة» واستودعته مائة باب ضمنت كل باب مائة بيت، أذكر في خمسين باباً منها جهات الهوى وأحكامه وتصاريفه وأحواله. وأذكر في الخمسين الثانية أفانين الشعر الباقية. وأقتصر في ذلك على قليل من كثير، وأقنع من كل فن باليسير إذ كان ما نقصده أكثر من أن يتضمنه كتاب، أو يعبر عن حقيقته خطاب».

أما طريقته في عرض هذه الأبواب فكانت تتلخص في التعقيب على كل باب من الأبواب بما يشاكله من الأشعار. ويقتصر على القليل من الأخبار، لأنها — كما يقول — قد كثرت في أيدي الناس فقل من يستفيد بها. وقد حاول المؤلف أن يوضح لنا الأبواب التي عالجها في القسم الثاني فقال<sup>(٤)</sup>: ونحن الآن إن شاء الله وقد أتينا على الخمسين الماضية من الأبواب، مبتدئون في الخمسين الباقية من

(٣) النصف الأول من كتاب «الزهرة» ص ٤.

(٤) النصف الأول من كتاب «الزهرة» ص ٣٧١ — ٧٢.

الكتاب، فأول ما نشرع فيه من ذلك ما قيل في تعظيم أمر الله عز وجل والتنبيه على قدرته والدلالة على آلائه. والتحذير من سطوته ثم نعقب ذلك ما قيل في رسوله ﷺ ثم نتبع ذلك ما قيل في المختارين من أهل بيته رحمة الله عليهم وصلواته. ثم ننسق إلى آخرها على أحق الترتيب بها حسب ما تبلغه أفهامنا ويومي إليه اختيارنا. وإنما قدمت أبواب الغزل منها ديناً ودنياً (ومما هو) أدعى إلى مصالح النفس وأدخل في باب التقوى لأن مذاهب الشعراء أن تجعل التشبيب في صدر كلامها مقدمة لما تحاوله في خطابها حتى أن الشعر الذي لا تشبيب له ليلقب بالخصى وتسمى القصيدة منه بالبراء. وأن قائلها ليخرج عند أهل العلم بالأشعار عن عمل يدخل فيه الموصوفون بالاقتدار والمنسوبون إلى حسن الاختيار فأحببت أن لا أخرج في تأليف الشعر عن مذهب الشعراء.

وبعد هذه المقدمة النقدية الرائعة ينتقل إلى الحديث عن أبواب الكتاب التي عزم على تأليفها فيقول<sup>(٥)</sup>: ونحن نقدم إن شاء الله ولا قوة إلا بالله ما نختاره من شعر أمية وأصحابه والداخلين معه في بابه فإنهم وإن لم يبلغوه فقد رموا غرضه فقاربوه يتلوه الباب الحادي والخمسين ذكر ما قاله أمية ونظراؤه في تعظيم أمر الله جل ثناؤه والحمد لله رب العالمين.

والذي يغلب على الكتاب طابع المقطعات التي تتراوح أبياتها بين البيتين والأربعة، وتشكل هذه المجموعة أكبر كمية في الكتاب. أما القطع التي تزيد على هذا العدد من الأبيات فهي قليلة، وربما كانت أكبر قطعة في الكتاب لا تتجاوز الستة عشر بيتاً، وما شاكلها أو قاربها في العدد قليل جداً وقد توزعت اختياراته بين العصور الأدبية المعروفة (الجاهلي - الإسلامي - الأموي - العباسي) ونعني بالعباسي الأول لأنه عصر المؤلف، وربما كان هذا السبب من الأسباب التي حملت المؤلف على الإكثار من الاستشهاد بشعر هذه الفترة، وخاصة البحري وأبتمام، إلى جانب الأعداد الكبيرة من الشعراء المغمورين، الذين لم نعثر على مراجع أخرى تذكر لهم هذه القصائد. وفي هذا المظهر تبرز أهمية الكتاب.

(٥) النصف الأول من كتاب «الزهرة» ص ٣٧٢ - ٧٣.

والأصبهاني لا يترك النصوص تمر دون إبداء رأي فيها، ولكنه كان يقف عند بعضها وقفات قصيرة، يبرز قيمة النص الفنية، ويظهر براعة الشاعر وقدرته على التوفيق إن كان موفقاً، وإخفاقه إن كان الحظ غير محالف له. لقد أدرك القدامى قيمة هذا الكتاب فتحدثوا عنه، وأشاروا إلى فائدته وأثنوا على حسن اختياره<sup>(٦)</sup>.

#### ملاحظاتنا على الكتاب:

يجدر بنا ونحن نخرج هذا الجزء من كتاب «الزهرة» أن نشير إلى مجموعة من الملاحظات تجلت لنا من خلال عملنا فيه وتتلخص فيما يأتي:

١ - يغفل المؤلف نسبة كثير من الأبيات فيذكرها بلا عزو، ويكرر عبارة مألوفة في الكتاب هي: وقال آخر. وقد حاولنا نسبة بعض هذه الأبيات واستطعنا نسبة كثير من القطع غير المنسوبة أشرنا إليها في الهامش.

٢ - في نسبة كثير من النصوص اختلاف، وتكاد تكون بعض هذه النسبة جلية الوهم، واضحة اللبس. وقد حاولنا تصحيح نسبتها أن وجدنا ما يثبت هذه النسبة.

٣ - يبدو على النصوص اختلاف كبير بينها وبين ما هو مثبت في دواوين الشعراء إن كانت لهم دواوين. وبينها وبين كتب الأدب والتاريخ واللغة إن كانت مثبتة في هذه المراجع. وقد حاولنا إبقاء هذا الاختلاف، مشيرين إليه بشكل إجمالي بعبارة «وفي رواية الأبيات اختلاف» أو «وفي رواية الأبيات اختلاف كبير» إن كان الاختلاف بينهما كبيراً، خوفاً من إثقال الهوامش بمثل هذه الاختلافات الكبيرة. فمن أراد الرجوع إليها فعليه بمراجع التخريج التي أشرنا إليها.

(٦) ينظر مروج الذهب ٢٩٦/٤ ووفيات الأعيان ٣٩٠/٣ ومعجم الأدباء ٧٢/٢،

٤ - في تسلسل بعض الأبيات اختلاف، وخاصة المقطعات الطويلة، وقد أبقينا تسلسلها كما هو في النص محافظة عليه، وإخراجه كما أراد له المؤلف أو كما وجد في المصادر التي اعتمدها أو نقل عنها.

٥ - من المرجح أن قسماً من الأبيات التي وجدناها غير منسوبة أو منسوبة إلى بعض أهل العصر، ولم نجد لها نسبة أو ذكراً فيما توفر لدينا من المصادر نقول من المرجح أن تكون بعض هذه المقطعات وخاصة التي نسبها إلى بعض أهل هذا العصر من نظم المؤلف نفسه. وقد أشار المسعودي إلى ذلك فقال في سياق حديثه عن أبي بكر محمد بن داود<sup>(٧)</sup> ومما قاله فيه فأحسن في عنفوان شبابه وأثبتته في كتابه المترجم بـ «الزهرة» وعزاه إلى بعض أهل عصره، وإن كان محسناً في سائر كلامه من منظومه ومثوره قوله:

على كبدي من خيفة البين لوعة يكاد لها قلبي أسى يتصدع  
وقوله:

تمتع من حببيك بالوداع إلى وقت السرور بتالاجتماع  
وقوله:

لا خير في عاشق يخفي صبابته بالقول والشوق في زفراته بادي  
وقد وجدنا هذه الأبيات من مقطعات الأولى أربعة أبيات ونسبت لبعض أهل هذا العصر في الزهرة، والثاني من خمسة أبيات لبعض أهل هذا العصر في الزهرة أيضاً، والثالث من بيت آخر نسبت لبعض أهل هذا العصر في الزهرة أيضاً.

وإلى جانب هذه الأبيات هناك مقطعات أخرى أشرنا إليها في حديثنا عن شعره في الصفحات المتقدمة.

(٧) المروج ٣٩٦/٤.

إن هذا التأكيد وهذا التثبيت والمقابلة أكد لنا صحة ما ذهبنا إليه في ترجيح نسبة بعض ما وجدناه منسوباً إلى بعض أهل هذا العصر إلى المؤلف نفسه.

#### عنوان الكتاب:

لا بد لنا ونحن نقدم على هذا العمل من أن نشير إلى الاختلاف الذي أثير أو أشيع حول عنوان الكتاب «الزهرة» بضم الزاي أم بفتحها.

اننا لم نشاهد من ضبط اسم الكتاب بالضم ولكننا نستطيع أن نقول أن الفتح أصح للأسباب الآتية:

١ - ذكر ياقوت<sup>(٨)</sup>: أن أحمد بن محمد بن فرج الجياني الأندلسي ألف كتابه المعروف بالحدائق للحكم المستنصر عارض فيه كتاب «الزهرة» لابن داود، ووضح أن بين الكتابين ربطاً كما هو الربط بين الزهرة والحديقة.

٢ - إن استعمال لفظ الزهرة في الكتب استعمال معروف، وقد وجدنا في إيضاح المكنون<sup>(٩)</sup> أكثر من عشرين كتاباً بهذا الاسم، وهي تدل على معنى الزهرة بالفتح منها:

(أ) الزهر المقطوف من فتح الرؤوف.

(ب) الزهر النضير على الحوض المستدير.

(ج) زهرة البساتين.

(د) زهرة البستان ونزهة الأذهان.

(هـ) زهرة الرياض... إلخ.

وقد نعت صاحب المكنون كتاب الأصبهاني هذا بزهرة العلوم والأدب.

(٨) معجم الأدباء ٧٧/٢.

(٩) إيضاح المكنون ص ٦١٥، ٦٢٠.

٣ - إننا لم نجد من القدامى من ضبطها بالضم. وقد وجدنا النسخة المخطوطة وقد ضبطها الأب أنستاس بالفتح، والأب أنستاس من علماء العربية المعروفين، وكذلك عنوان النصف الأول المطبوع الذي هو عنوان الكتاب المخطوط على الغلاف.

٤ - ذكر ياقوت في خبر فقال<sup>(١٠)</sup>: سمعت الأمير أبا نصر أحمد بن الحسين بن أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن الميكالي يقول: تذاكرنا المتنزهات يوماً وابن دريد حاضر فقال بعضهم أنزه الأماكن غوطة دمشق. وقال آخرون بل نهر الأبله وقال آخرون سند سمرقند. وقال بعضهم نهروان بغداد. وقال بعضهم شعب بوان بأرض فارس. وقال بعضهم نوبهار بلخ. فقال: هذه متنزهات العيون فأين أنتم عن متنزهات القلوب. قلنا وما هي يا أبا بكر قال: عيون الأخبار للقتبي والزهرة لابن داود. والعلاقة بين المتنزهات والزهرة واضحة والتوافق بين العبارات ينم عن المقصود بمتنزهات العيون. هذه الإشارات حملتنا على الاعتقاد بترجيح الفتح...

#### سبب تأليف الكتاب:

ذكر الخطيب نقلاً عن الحسين بن القاسم قوله: كان محمد بن داود يميل إلى محمد بن جامع الصيدلاني، وبسببه عمل كتاب «الزهرة». وقال في أوله: وما تنكر من تغير الزمان وأنت أحد مغيريه، ومن جفاء الإخوان وأنت المقدم فيه، ومن عجيب ما يأتي به الزمان ظالم يتظلم وغابن يتندم، ومطاع يستظهر وغالب يستنصر.

إن إشارة الخطيب إلى هذه الحقيقة توضح لنا البداية التي افتتح بها المؤلف كتابه لأنها بداية تدعو إلى التأمل، لأنه يقول بعد البسملة مباشرة: أطال الله في العز الدائم بقالك، وصان عن غير الأيام نعماك، وجعلني غرضاً للنوائب فداك،

(١٠) معجم الأدباء ٤٩٣/٦.

وقدمني إلى ورود الحمام قبلك وأبقاك. وهي بداية توضح الغرض الذي حمله على هذا التأليف، وتؤكد السبب الذي حمله على وضع هذا الكتاب في ٢٩ صفر ١٤٠٥ هـ.





لثقت دمه - اناته عن التعرض لصفاته كما قال بعض اهل هذا العصر  
 ينسب المومنين وصفه من اجل ذروته كالارض يشغل عنها من قبي فيها  
 لا افوك هو شي وقع في اضطرابا فاقرباني لم اكن له مختارا ولا افوك  
 او قعته لنفسه الكسبا فاكون اذ نسته عن طبعي كذا ابالا ازهدي فيه  
 فاذهب في - واه ولا يذرقني فاتمسه بحله من الروح محل الروح من المسد  
 لا بدري المسد ما الروح فيسر اذ جعل وعاء او لحن اذ لم تيسر ودع  
 ... واه ولا يذرقني الى علمه فصلا عن ان يصل الى واصفه لان الشئ الحادث  
 لا يعلم الا بما هو اعلم منه ومثله ولا سبيل الى ما يفصله فيكون معبرا عنه  
 وقد وفقت على ما وصفته من نصا ريف الايمان وخيانه الاخوان واعلم  
 ابدك الله ان من عجب ما تحصر الايام والحولانية الاوهام ظالم ينظلم  
 وغايب بنديم ومطاع يستظهر وغالب يستظهر ما الذي شكر ادا م  
 الله عزك وبسط بالخيرات يدك من تغير الزمان وانت من مغيريه ومن جفا  
 الاخوان وانت المقدم فيه انت بان الخجله - فغذر لفاعليه اخرى مثل  
 بان تعينه وتدم مستعمليه انشدنا محمد بن يحيى الشيباني  
 فلا تجزع عن من سته انت سرتها فاول راض سته من سبرها  
 وقلت قد منى الله قبلك قد اعيا على وجود ندبهم في الخلوات  
 واجد عند عزائم النايبات يورد الى الاخبار ويكتم على الاسرار  
 فان كان في نايحتك من في هذا المقدار ونفط طرفا من اشعار  
 المنعزلين و اخبار المتيممين وكان عالما بطون الهوى واحكامه  
 عارفا بالمصيب من الشعراء في كلامه حافظا من انوار الشعراء في كل باب  
 ما يدخا حافظه في جملة اهل الاداب تطولت بايثارة به على نفسك

الورقة الأولى (ب) من نص مخطوطة دار الكتب المصرية

الجليل في الشارح على ليدى منه سون صوادع  
**الباب** <sup>النايسع من الشلثون</sup>

مسامحة الاوهام والاماني سبب الخيام العجوز النواني  
 قال جدني ابو العباس احمد بن يحيى قال حدثني ابو العالبيه قال حدثني  
 حبيب القشيري قال لما ملك الوليد بن يزيد به ش الى ابن مباده وكان معجبا بشعره  
 فالزمه بابه فاشتاوى الشيخ لما طال مقامه فقال

الانيت شعري هل انتن ليلة لحد ليلى حيث ربي اهل  
 بلادها نيطت على يامي ونطعن عيني حيث اذ ركني عتلى  
 فان كنت عن تلك المواطن حيا يسي فافس على الرزق اجمع اذا شلى  
 قال فلا يسع شعيرة كتب له الى صدق كلب ان عطية مائة نائة دهم  
 جعادا وقال بن مباده

الانيت شعري هل تلحن اهليا واهلك روضات بطن اللوى خفرا  
 وهل تالين الرنح ندرج مؤهنا بعد واري بها بلذا قفرا قفرا  
 ترشح خزامي الليل الرمانات معانقا فروع الافاحي لمضب الظل والظلا  
 الا ليتني الفاك اتم حدر قريبا فانا الصبر عنك فلا صبر  
 الا لا ملظي السبر يا ام حدر كفى يدري الاعلام من ونا سبرا  
 وانشدني احمد بن يحيى

قالا سته ما لجسمك شاجبا وجد بعلي يا اميم بداني  
 لله صاحي الذي نبائه وشكوت خبك عنده فكلوا في  
 ظن المكاون مخرجات حراة بين الضلوع ودورها الخصيان  
 ما للرجال اماراي ما سفته الابد كرك والمني داواني

وقال

الورقة ٢٧٥ (أ) من نص مخطوطة دار الكتب المصرية

وقال كثير

وددت وما نفعني اوداده اني ما في ضيق الحياجية عالم  
فان كان خيرا سررت وعلمته وان كان شرا لم تكني اللوام  
وماذ كنتك النفس لا تفرقت فريقتين منها عاذر لي ولا يم

وقال الجيزي

منى النفس في اسما لو نسيت طيعها بها وجدها من عاده وولوعها  
عجبت لها تبدي القيل واودها وللنفس تعصيني هوى اطيعها

وقال آخر

وددت بان الناس كلهم انا واني فدا للذي انا عا شقته  
واني اذا صاحبت للعرض من غدا الى الله جيتا هناك وافته  
فاما الى جنات عدن نحن معا واما الى نار فتيها ارافته

وقال كثير

يود بان يمسي سفيها لعلمها اذا سمعت عنه شكوى تراسله  
ويرتاج للمعروف في طلب العلى ليحمد يوما عند ليلى شكايله  
فلو كنت في كبل ونيت بقولتي اليه الانت حملي سلاسله  
ويدرك عتيري عند غيرك حظه بشعري وعينيني به من اجاله  
فلا هانت الاشعار بعدى وبعدكم محبا ومات الشعر بعدى وقيله

وقال آخر

نميت في عرض الاماني ورما نمتي الفتى امنية لاينا لها  
لو اني بسعي حاربيت حبايا فتعلم كان ثم اعلم حالها

والاداب المستحسنة الى حد المراتب الطرية والمواد المصنعة ولخرجت الابيات لتقطع  
نظامها وشكر كلامها عن باب الاشعار اذا كان الاختيار والاضطرار معا منعان من الادل  
في باب الاما توجب ترجمته المقدمة له اذا فلا بد من ادخال البيت مع البيت بل رده مع  
الاختلاج يطابقه وان كان مالفرد في نفسه لكان البيت عنيا عن ذكره والى معنى ان جعل  
ايات كل باب مائة كاملة في حاصية معناه سوى ما يوصل به ما يدخل في معنى سواء شيان  
احدهما اني لو فعلت ذلك لم اضبطه الا بتحميل المقطوعات بل باختيار كل واحد  
من الابيات وفي ذلك ما قد ساد كره من تجمين الكتاب وتبنيح الابواب والآخر  
ان الابواب حينئذ كانت يكون بغير عدد محصور ولا صدم مقصور وانما عدنا ان يكون  
الكتاب مائة باب ياب بيت فيشمل طرفا على عشرة الف بيت وللحفاظة على ذلك  
والمرعاة للتمام الشرط انه اعدت فما ذكره من سقات الشعراء خمسة ابيات قد مرت في ابواب  
الغزل يكون قصاصا من الخمسة الابيات التي في الرسالة المقدمة في صدر الكتاب  
نحن لان لا خرج العدد عن حد ما قصده اعدا ابيانا قصاصا عن الابيات ليستوية  
في باب وانما هي تمثيلها في عرض الخطاب فلو سألنا ان يكون الاحتجاجات والاميات  
المعلومات بايشاكل الباب من الابيات غير داحلات في العدد لاستحال ان تكون السورة  
بين الابواب ولقد ترتيبنا الكتاب ونحن لان ان شاء الله ونداينا على الخمسين الماضية  
من الابواب فبتدئون في الخمسين الباقية من الكتاب اول ما نشيخ به من ذلك ما قيل  
في تعظيم امر الله عز وجل والسه على قدره والدلالة على الاية والتجديد من سطوته  
ثم تعقب ذلك ما قيل في رسوله صلى الله عليه وسلم ثم تبع ذلك ما قيل في الخاتمين من اهل  
بيته رحمه الله عليهم وصلواته ثم تسون الى اخر ما على احق الترتيب بها حسب ما تلغ  
اذا ساد وبوي اليه اخبارنا وانما قدمت ابواب الغزل مهادنا ودينا وادعنا الى المصلح  
النفس وادخل في باب الغزل لان مذهب الشعراء ان يجعل التسميت في صدر كلامها



المَكْرُمَاتِ رَغْبَتُهُ فِي الْمُجَازَاةِ دَعَاهُ إِلَى تَرْكِهَا ظَفَرَهُ بِأَمْنِيَّتِهِ، أَوْ يَأْسُهُ مِنْ لَحَاقِ طَلَبِيَّتِهِ.

وكيف يكون متفضلاً عليك من ليست فيه فضيلة إلا وهي مردودة إليك. لئن حُرِّمْتُ العلم بفضلك عليّ مع ما حُرِّمْتُه من رَغْبَتِكَ نِيٍّ وَمِثْلِكَ إِلَيَّ، لَقَدْ حُرِّمْتُ حَقّاً جَزِيلاً وَخَيْراً كَثِيراً. وَلَكِنْ السَّبَبُ الْبَاعِثُ لِي عَلَى طَاعَتِكَ، وَالْمُذَلِّلُ لِي عِنْدَ سَطَوَتِكَ، وَالْبَاسِطُ لَكَ الْعَذْرَ فِيمَا تَجْنِيهِ، وَالْمُعَدِّلُ لَكَ فِيمَا تَدْعِيهِ، سَبَبٌ يُلْطَفُ عَنْ أَنْ يُعَايَنَ بِالْأَبْصَارِ، وَيَدْرُكُ عَنْ أَنْ يُدْرَكَ بِالْفَحْصِ وَالِاعْتِبَارِ. إِنْ رُمْتُ إِخْفَاءَهُ وَجِدَّ، وَإِنْ حَاوَلْتُ إِظْهَارَهُ فَقِدَّ. هُوَ شَيْءٌ يَمْنَعُنِي عَنْ وَصْفِ جَنْسِهِ، اشْتَغَالِي بِهِ فِي نَفْسِهِ، وَتَقْطَعُنِي مُسَامَرَتُهُ عَنِ الْمُسَامَرَةِ بِهِ. وَيَعْوِقُنِي التَّفَرُّدُ بِمُعَانَاةِهِ عَنِ التَّعَرُّضِ لَصِفَاتِهِ، كَمَا قَالَ بَعْضُ أَهْلِ هَذَا الْعَصْرِ (٢):

يُنْسَى الْهَوَى وَصِفَهُ مَنْ حَلَّ دُرُوتَهُ كَالْأَرْضِ يُشْغَلُ عَنْهَا مَنْ تَوَى فِيهَا  
لا أقول: هو شيءٌ وَقَعَ بِي اضْطِرَارّاً، فَأَقْرُبُ بَأْنِي لَمْ أَكُنْ لَهُ مَخْتَاراً.  
ولا أقول: أَوْقَعْتُهُ لِنَفْسِي اكْتِسَاباً، فَأَكُونُ إِذْ نَفَيْتُهُ عَنْ طَبْعِي كِذَاباً (٣). لا أَزْهَدُ فِيهِ فَارْعَبَ فِي سِوَاهُ، وَلَا يُفَارِقُنِي فَاتَمَّنَاهُ، مَحَلُّهُ مِنَ الرُّوحِ مَحَلُّ الرُّوحِ مِنْ الْجَسَدِ، لَا يَدْرِي الْجَسَدُ مَا الرُّوحُ فَيُسَرُّ إِذْ جُعِلَ وَعَاهُ، أَوْ يَحْزَنُ إِذْ لَمْ يُسْتَوْدَعْ سِوَاهُ، وَلَا يَتَّجُهُ إِلَى عِلْمِهِ فَضْلاً عَنْ أَنْ يَصِلَ إِلَى وَاصِفِهِ، لِأَنَّ الشَّيْءَ الْحَادِثَ لَا يُعْلَمُ إِلَّا بِمَا هُوَ أَعْلَى مِنْهُ وَمِثْلُهُ. وَلَا سَبِيلَ إِلَى مَا يَفْضُلُهُ فَيَكُونُ مَعْبِراً عَنْهُ.

وقد وقفتُ على ما وصفته من تصارييف الأزمان وخيانة الإخوان.

(٢) كثر استشهاد المصنف بأبيات ومقطعات وقصائد نسبها إلى بعض هذا العصر، وقد كنا عرضنا هذه المسألة في هذه المقدمة.

(٣) كذا في الأصل، وقد جاءت في المطبوع: كذاباً.

واعلم - أيُّدَكَ اللَّهُ - أَنَّ مِنْ عَجِيبِ مَا تُحْضِرُهُ الْأَيَّامُ، وَتُحَوِّلُ (٤)، بِهِ الْأَوْهَامَ ظَالِمٌ بَظَلْمٌ، وَغَابِنٌ يَتَنَدَّمُ، وَمُطَاعٌ يَسْتَظْهِرُ، وَغَالِبٌ يَسْتَنْصِرُ.

ما الذي تُتَكَبَّرُ - أَدَامَ اللَّهُ عَزَّكَ، وَيَسْطُ بِالْخَيْرَاتِ يَدَّكَ - مِنْ تَغْيِيرِ الزَّمَانِ وَأَنْتَ مِنْ مُغَيِّرِيهِ، وَمِنْ جَفَاءِ الْإِخْوَانِ وَأَنْتَ الْمَقْدَّمُ فِيهِ. أَنْتَ، بَأْنَ تَحْتَجُّ لَه وَتَعْتَذِرُ لِفَاعِلِيهِ، أَحَرَى مِنْكَ بَأْنَ تَعْيِيهِ وَتَذَمُّ مُسْتَعْمَلِيهِ. أَنَشَدَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الشَّيْبَانِي (٥):

فَلَا تَجْزَعَنَّ مِنْ سُنَّةٍ أَنْتَ سِرَّتْهَا فَأَوَّلُ رَاضٍ سُنَّةً مِنْ يَسِيرِهَا  
وَقُلْتُ - قَدْ مَنَى اللَّهُ قَبْلَكَ: قَدْ أَعْيَا عَلَيَّ وَجُودُ نَدِيمٍ آتَسُ بِهِ فِي  
الْخَلَوَاتِ، وَأَجِدُ عِنْدَهُ عَزَاءً مِنَ النَّائِبَاتِ، يُوْرِدُ إِلَيَّ الْأَخْبَارَ، وَيَكْتُمُ عَلَيَّ  
الْأَسْرَارَ. فَإِنْ كَانَ فِي نَاحِيَتِكَ مَنْ يَفِي بِهَذَا الْمِقْدَارِ، وَيَحْفَظُ طَرَفاً مِنْ أَشْعَارِ  
الْمَتَغَزِّلِينَ وَأَخْبَارِ الْمُتَمَيِّمِينَ، وَكَانَ عَالِماً بِطُرُقِ الْهَوَى وَأَحْكَامِهِ، عَارِفاً  
بِالْمَصِيبِ مِنَ الشَّعْرَاءِ فِي كَلَامِهِ، حَافِظاً مِنْ أَنْوَاعِ الشَّعْرِ فِي كُلِّ بَابٍ  
مَا يُدْخِلُ حَافِظُهُ فِي جَمَلَةِ أَهْلِ الْأَدَابِ، تَطَوَّلْتُ بِإِيثارٍ ضَنْتُ بِهِ عَلَيَّ نَفْسُكَ،  
وَأَعْفَيْتَنِي مِنْ صَرْفِ حَاجَتِي فِيهِ إِلَى غَيْرِكَ.

واعلم - أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَكَ: أَنَّ الْمُرتَضِينَ (٦) مِنَ الْإِخْوَانِ مَعْدُومُونَ فِي هَذَا الزَّمَانِ. وَإِنَّمَا بَقِيَ قَوْمٌ يَنْتَصِفُونَ وَلَا يُنْصِفُونَ، إِنْ بَسَطْتَهُمْ لَمْ يَهَابُوكَ،

(٤) في الأصل: وتحوّل، وفي المطبوع: وتحوّل.

(٥) في الأصل المخطوط، وكذلك في المطبوع: محمد بن يحيى الشيباني. وقد رأيت أن الصواب هو أحمد بن يحيى الشيباني أبو العباس ثعلب، وقد ورد ذكره كثيراً في الكتاب بقول المصنف مراراً عدة: أنشدني أبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني. وهذه الإنشادات تؤلف مجموعة على شاكلة «الأمالي». ثم إننا لا نعرف محمد بن يحيى الشيباني.

(٦) في المطبوع: المرتضين بكسر الضاد، وهذه الصيغة صيغة اسم فاعل، والمراد من كلام المؤلف صيغة اسم المفعول، وبه يستقيم المعنى.

وإن أحشمتهم اغتابوك، ماداموا لك راجين أو خائفين، فهم إليك مُنقطعون. فإن زایلوا هاتين الحالتين لم يرعوا لك إخاء، ولم يعتقدوا لك وفاء. فإذا ظفرت بمنافق فممسك به، فإنه على كل حال خير من غيره، لأنه يظهر لك بلسانه ما تسر به، وإن كان يضمر خلافه بقلبه. وحسبك بقوم خيرهم المنافقون، وأهل الوفاء منهم مفقودون.

وبلغني عن عبد الملك بن مروان أنه قال: كل لذات الدنيا قد بلغت فلم يبق إلا أخ يسقط عني مؤونة التحفظ.

وقد عزمت لما رأيت بك من غلبات الاشتياق، ومن ميلك إلى تعرف أحوال المشاق، أن أوجه إليك نديماً يشاهد بك أحوال المتقدمين، ويحضرك أخبار الغائبين، ينشط بنشاطك، ويمل بملالك، إن أدبته ذنبا، وإن أقصيته نأى، لا يزهي عليك عند حاجتك إليه، ولا يرغب عنك عند رغبتك عنه وحيفك عليه، لا يحفظ أسرارك فضلاً عن أن يفشيها، ولا تخطر بباله فيحتاج أن يخفيها، ولا تمنعك حشمته من سؤاله، ولا يغضبك عند خوفك من قلاله. انتزعت لك من خواطري، واخترت من غريب ما اتصل بمسامعي، إن اختصصت به من تحب من إخوانك لم تفتقه من ديوانك، واستبددت به دون أوليائك، فضلت به على نظرائك، وهو كتاب سمّيته «كتاب الزهرة» واستودعته مئة باب، ضمته كل باب مئة بيت. أذكر في خمسين باباً منها جهات الهوى وأحكامه وتصاريفه وأحواله. وأذكر في الخمسين الثانية أفانين الشعر الباقية. وأقتصر في ذلك على قليل من كثير، وأقنع من كل فن باليسير، إذ كان ما نقصه أكثر من أن يتضمنه كتاب، أو يعبر عن حقيقته خطاب.

ومثل هذا الكتاب إنما يطلبه أهل الآداب ليخفف على الألفاظ، ويتسهل للحفظ. فإن بعد آخره نسي أوله. ولسنا، وإن اجتهدنا في إطالته، راجين التناهي إلى غايته. ومن لم يرج الكمال في الإكثار، كان حقيقاً أن يقنع بالاختصار.

وقد رأيت كثيراً ممن ينسب إلى الأدب، ويتحقق بتأليف الكتب، قصد في مثل هذا الكتاب إلى مقصد يبعد عندي من الصواب، ابتدأ بذكر من عشق من المتقدمين حتى ارتقى إلى ذكر بعض الأنبياء - صلوات الله عليهم أجمعين، وذكر أنهم كانوا من أتباع الهوى على حال، ولا يجوز أن يضاف مثلها إليهم، ولا يحل لمسلم أن يدعيها عليهم، من قتل النفوس المحرمات، ومن فعل الأشياء المستقبحات.

ونحن لو شئنا أن نذكر من كتاب الله - جل وعز، ومن أخبار المتقدمين من أنبيائه، وأيضاً نخبر من أوليائه ما يسهل سبيل الهوى على من أنكرها، ويقرئها من فهم من لم ير أثرها، من حيث لا يستوجب به من عاقل إنكار، ولا يلحق بأحد من الأئمة فيه عار، لرجونا بإذن الله أن لا تقتصر عن ذلك. غير أن هذا الأمر ليس من أمور الديانات التي لا تثبت إلا بالاحتجاجات، وإنما هو شيء يختص به قوم برقة طبائعهم وتآلف أرواحهم. فمن كان مثلهم فهو يعذرهم، ومن خرج عن حدهم هان قوله.

والنبون - عليهم السلام - والصالحون من أئمة أهل الإسلام يجعل مقدارهم عن أن تذكر أخبارهم، فيضعوها في غير مواضعها إن قبلوها، أو يكذبوا حاكياً إن أنكروها.

ولكل من العلوم حد متعارف بين أهله، لا يصلح أن يخلط بغيره، لا سيما وأكثر غرضنا من هذا الكتاب أن نذكر ما توقعه المشاكلة، وما توجهه الطباع المتعادلة، فإذا جمعنا بين المفترقات، وألفنا بين الأشياء المتنافيات، كان العار لاحقاً لنا بقضائنا على أنفسنا.

وقد جعلت الأبواب المنسوبة إلى الغزل من هذا الكتاب أمثالا، وربتها على ترتيب الوقوع حالاً فحالا. فقدمت وصف كون الهوى وأسبابه، وبسطت ذكر الأحوال العارضة فيه، بعد استحكامه من الهجر والفراق، وما توجه

غَلَبَتْ الشَّوْقُ وَالْإِشْفَاقُ. ثُمَّ خَتَمَتْهَا بِذِكْرِ الْوَفَاءِ بَعْدَ الْوَفَاةِ، وَبَعْدَ أَنْ أُتِيَتْ عَلَى ذِكْرِ الْوَفَاءِ فِي الْحَيَاةِ. وَأَجْرِيَتْ مَا بَيْنَ أَوَّلِ الْأَبْوَابِ أَوْسَطُهَا، وَمَا بَيْنَ أَوْسَطُهَا وَآخِرِهَا عَلَى الْمَرَاتِبِ بَابًا فَبَابًا، لَمْ أَقْدِمَ مُؤَخَّرًا، وَلَمْ أُؤَخِّرْ مُقَدِّمًا.

وهذه ترجمة الأبواب:

- ١ - من كَثُرَتْ لَحَظَاتُهُ، دَامَتْ حَسْرَاتُهُ.
- ٢ - العقل عند الهوى أسير، والشوق عليهما أمير.
- ٣ - من تداوى بدائه، لم يصل إلى شيطانه.
- ٤ - ليس بلبيب، مَنْ لم يصف به لطيب.
- ٥ - إذا صَحَّ الظَّفَرُ، وَقَعَتِ الْغَيْرُ.
- ٦ - التذلل للحبيب من شيم الأديب.
- ٧ - من طال سروره، قَصُرَتْ شهوره.
- ٨ - من كان ظريفًا، فليكن عفيفًا.
- ٩ - ليس من الظرف، امتهان الحبيب بالوصف.
- ١٠ - سوء الظن من شدة الضن.
- ١١ - من وَفَى له الحبيب، هَانَ عليه الرقيب.
- ١٢ - مَنْ مُنِعَ من كثير الوصال، قَنِعَ بقليل النوال.
- ١٣ - من حُجِبَ عن الأحباب، تَذَلَّلَ لِلْحُجَابِ.
- ١٤ - من مُنِعَ من الوصول اقتصر على الرسول.
- ١٥ - من أحبه أحبائه وَشَى به أترابه.
- ١٦ - من لم يُعَاتَبَ على الزَّلَّةِ، فليس بحافظٍ لِلْمُخَلَّةِ.
- ١٧ - من عَاتَبَ على كل ذنب أخاه فخليق أن يَمْلَهُ ويقلاه.
- ١٨ - بُعِدَ القلوب على قُرب المزار، أَشَدُّ من بُعْدِ الدِّيارِ من الدِّيارِ.
- ١٩ - ما عَتَبَ من اغتفر، ولا أذنبَ من اعتذر.

- ٢٠ - إذا ظَهَرَ الْغَدْرُ، سَهِّلَ الْهَجْرُ.
- ٢١ - مَنْ رَاعَهُ الْفِرَاقُ، مَلَكَهَ الْاِشْتِيَاقُ.
- ٢٢ - قَلَّ من سَلَا إِلَّا غَلَبَهُ الْهَوَى.
- ٢٣ - مَنْ غَلَبَهُ هَوَاهُ عَلَى الصَّبْرِ، صَبَرَ لِمَنْ يَهْوَاهُ عَلَى الْغَدْرِ.
- ٢٤ - مَنْ تَجَلَّدَ عَلَى النَّوَى، فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلْبَلَا.
- ٢٥ - فِي الْوَدَاعِ قَبْلَ الْفِرَاقِ بِلَاغٌ إِلَى وَقْتِ التَّلَاقِ.
- ٢٦ - مَا خَلِقَ الْفِرَاقُ إِلَّا لَتَعْذِيبِ الْعَشَّاقِ.
- ٢٧ - مَنْ غَابَ قَرِينُهُ، كَثُرَ حَنِينُهُ.
- ٢٨ - مَنْ لَمْ يَلْحَقْ بِالْحُمُولِ بَكَى عَلَى الطُّلُولِ.
- ٢٩ - مَنْ قَصَرَ عَنْ مُصَاحَبَةِ الْجَارِ، لَمْ يَنْفَعِهِ مُسَاءَلَةُ الدَّارِ.
- ٣٠ - مَنْ مُنِعَ مِنَ الْبِرَاحِ، تَشَوَّقَ بِالرِّيَّاحِ.
- ٣١ - فِي لَوَامِعِ الْبُرُوقِ، أَنْسَ لِلْمُسْتَوْجِشِ الْمَشُوقِ.
- ٣٢ - فِي تَلْهَبِ النِّيرانِ، أَنْسَ لِلْمُذْنَفِ الْحَيْرَانِ.
- ٣٣ - فِي نَوْحِ الْحَمَامِ، أَنْسَ لِلْمَنْفَرِدِ الْمُسْتَهَامِ.
- ٣٤ - مَنْ امْتَحَنَ بِالْمَفَارِقَةِ وَالْهَجْرِ، اشْتَغَلَ بِفِكْرِهِ بِالْعِيَاةِ وَالزُّجَرِ.
- ٣٥ - فِي حَنِينِ الْبَعِيرِ الْمُفَارِقِ، أَنْسَ لِكُلِّ صَبٍّ وَامِقٍ.
- ٣٦ - مَنْ فَاتَهُ الْوَصَالُ، نَعَشَهُ الْخِيَالُ.
- ٣٧ - مَنْ مُنِعَ مِنَ النَّظَرِ، اسْتَأْنَسَ بِالْأَثَرِ.
- ٣٨ - مَنْ حُجِبَ عَنِ الْأَثَرِ، تَعَلَّلَ بِالذِّكْرِ.
- ٣٩ - مُسَامَرَةُ الْأَوْهَامِ وَالْأَمَانِيِّ، سَبَبٌ لِنِجَامِ الْعِجْزِ وَالتَّوَانِي.
- ٤٠ - مَنْ قَصَرَ نَوْمُهُ، طَالَ لَيْلُهُ.
- ٤١ - مَنْ غُلِبَ عَزَاهُ، كَثُرَ بُكَاهُ.
- ٤٢ - نُحُولُ الْجَسَدِ، مِنْ دَلَائِلِ الْكَمَدِ.
- ٤٣ - طَرِيقُ الصَّبْرِ بَعِيدٌ، وَكِتْمَانُ الْحُبِّ شَدِيدٌ.

مَنْ كَثُرَتْ لَحْظَاتُهُ دَامَتْ حَسَرَاتُهُ

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: رَبُّ حَرْبٍ جُنَيْتٍ مِنْ لَفْظَةٍ وَرَبُّ عَشْقٍ غُرَسٍ مِنْ لَحْظَةٍ. وَقَالَ الْعُتْبِيُّ<sup>(١)</sup>: أَبُو الْغُصْنِ الْأَعْرَابِيُّ قَالَ: خَرَجْتُ حَاجِبًا فَلَمَّا مَرَرْتُ بِقُبَاءٍ تَدَاعَى النَّاسُ أَلَمًا وَقَالُوا قَدْ أَقْبَلَتِ الصَّقِيلُ فَنَظَرْتُ وَإِذَا جَارِيَةٌ كَانَتْ وَجْهَهَا سَيْفٌ صَقِيلٌ فَلَمَّا رَمَيْنَاهَا بِالْحَدَقِ أَلْقَتِ الْبَرْقُعَ عَلَى وَجْهَهَا فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ إِنَّا سَفَرٌ وَفِينَا أَجْرٌ فَأَمْتِعِينَا بِوَجْهِكَ فَانْصَاعَتْ وَأَنَا أَرَى الضَّحِكَ فِي عَيْنَيْهَا وَهِيَ تَقُولُ:

وَكُنْتُ مَتَى أَرْسَلْتَ طَرَفَكَ رَائِدًا لِقَلْبِكَ يَوْمًا أَتَبَعْتُكَ الْمَنَاظِرُ<sup>(٢)</sup>  
رَأَيْتِ الَّذِي لَا كُلُّهُ أَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ وَلَا عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرٌ

وأنشدني أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي<sup>(٣)</sup> لامرأة من الأعراب:  
أَرَى الْحُبَّ لَا يَقْنَى وَلَمْ يُفْنِهِ الْأَلَى أَجِينُوا وَقَدْ كَانُوا عَلَى سَالِفِ الدَّهْرِ  
وَكُلُّهُمْ قَدْ خَالَهُ فِي فُؤَادِهِ بِأَجْمَعِهِ يَحْكُونَ ذَلِكَ فِي الشَّعْرِ

(١) العُتْبِيُّ هو محمد بن عبيد الله بن عمرو، أبو عبد الرحمن الأموي. أديب كثير الأخبار حسن الشعر، من أهل البصرة، توفي سنة ٢٢٨هـ. انظر الفهرست لابن النديم ١٢١/١، تاريخ بغداد ٣٢٤/٢.

(٢) كذا في «م». أقول: وهل لنا أن نقرأ: أتبعتك المناظر.

(٣) هو أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بـ«ثعلب» نحوي مشهور، عالم بالشعر والأدب. توفي سنة ٢٩١هـ. انظر إنباه الرواة ١٣٨/١، بغية الوعاة ص ١٧٢. وقد ورد كثيراً في «الزهرة» منشداً للشعر.

٤٤ - مَنْ غُلِبَ صَبْرُهُ، ظَهَرَ سِرُّهُ.

٤٥ - مَنْ لَمْ يَقْعْ لَهُ الْهَوَى بِاِكْتِسَابٍ، لَمْ يَنْزَجِرْ بِالْعِتَابِ.

٤٦ - مَنْ قَدَّمَ هَوَاهُ، قَوِيَ أَسَاهُ.

٤٧ - مَنْ شَابَتْ ذَوَائِبُهُ، جَفَاهُ حَبَائِبُهُ.

٤٨ - مَنْ يَشَسْ مَمَّنْ هَوَاهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ مِنْ وَقْتِهِ سَلَاهُ.

٤٩ - لَا يُعْرِفُ الْمَقِيمُ عَلَى الْعَهْدِ، إِلَّا عِنْدَ فِرَاقٍ أَوْ صَدٍّ.

٥٠ - قَلِيلُ الْوَفَاءِ بَعْدَ الْوَفَاةِ، أَجَلٌ مِنْ كَثِيرِهِ وَقْتُ الْحَيَاةِ.

وَأَنَا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - أَذْكَرُ بِعَقَبِ كُلِّ بَابٍ مِنْهَا مَا يُشَاكِلُهُ مِنَ الْأَشْعَارِ، وَأَقْتَصِرُ عَلَى الْقَلِيلِ مِنَ الْأَخْبَارِ، لِأَنَّهَا قَدْ كَثُرَتْ فِي أَيْدِي النَّاسِ، فَقَلَّ مِنْ يَسْتَفِيدُهَا. وَأَفَاضِلُ بَيْنَ الْأَشْعَارِ عَلَى مَا تُوجِبُهُ الْحَالُ الَّتِي أَدْعَاهَا صَاحِبُهَا، وَلَا أَحْمِلُ النَّاسَ عَلَى اخْتِيَارِ أَحَدِهِمْ فَأَكُونَ ظَالِمًا لَهُمْ، لِأَنَّ الرَّجُلَ لَا يُلْزَمُخُ أَنْ يَقُودَ مَا أَصْلَهُ غَيْرُهُ، وَإِنَّمَا يُلْزَمُهُ أَنْ تَفِي بِمَا شَرَطَهُ عَلَى نَفْسِهِ. وَلَيْسَ لِهَذَا الشَّانِ أَصْلٌ مُقَدَّمٌ وَطَرِيقٌ مُفَوَّضٌ، فَمَنْ خَالَفَ تَرْتِيبَهُ كَانَ مُعْتَفًا.

أنشدني بعض الظرفاء:

لَيْسَ خَطْبُ الْهَوَى بِخَطْبِ سِيرٍ لَا يُنْبِيكَ عَنْهُ مِثْلُ خَبِيرٍ  
لَيْسَ أَمْرُ الْهَوَى يُدَبِّرُهُ إِلَّا رَأْيِي وَلَا بِالْقِيَاسِ وَالتَّفَكِيرِ  
إِنَّمَا الْأَمْرُ فِي الْهَوَى خَطَرَاتٌ مُحْدِثَاتُ الْأُمُورِ بَعْدَ الْأُمُورِ  
إِنْ تَكُنْ صَادِقَ الْمَوَدَّةِ فَاقْنَعْ وَارْضَ مِمَّنْ تُحِبُّهُ بِالْيَسِيرِ  
غَيْرِ أَنِّي، وَإِنْ كُنْتُ مُقَرِّأً لَهُمْ بِالْإِصَابَةِ عَلَى مَا قَدَّمُوهُ لَأَنْفُسِهِمْ، فَلَنْ

أَمْنَعُ نَفْسِي حَظُّهَا مِنَ الْإِخْبَارِ بِأَحْسَنِ أَقَاوِيلِهِمْ. وَلَنْ يَعْذَمَ كِتَابُنَا هَذَا أَنْ يُصَادَفَ عَاقِلًا وَجَاهِلًا مُتَحَامِلًا، وَالْمُتَحَامِلُ يَعْرِفُ مَغْزَاهُ مِنْ فَحَوَاهُ، وَالْعَاقِلُ لَا يَرَى لِنَفْسِهِ أَنْ يَعْيبَ مَنْ لَمْ يَدْعُ أَنَّهُ قَدْ كَمُلَ بِمَا يَرَى فِي كِتَابِهِ مِنَ الْخَلَلِ. وَبِاللَّهِ أَسْتَعِينُ، وَعَلَيْهِ أَتَوَكَّلُ فَإِنَّهُ خَيْرُ الْمُؤْمَلِينَ، وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ.

وَمَا الْحُبُّ إِلَّا سَمْعُ أُذُنٍ وَنَظَرَةُ  
وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ غَيْرُهُ فَبِيْ الْهَوَى  
وقال آخر:

وَوَجَبَتْ قَلْبَ عَنْ حَدِيثٍ وَعَنْ ذِكْرِ  
وَأَبْلَاهُ مَنْ يَهْوَى وَلَوْ كَانَ مِنْ صَخْرٍ

تَعَرَّضْنَ مَرْمَى الصَّيْدِ ثُمَّ رَمَيْنَا  
ضَعَائِفُ يَقْتُلْنَ الرِّجَالَ بِلَا دَمٍ  
وَلِلْعَيْنِ مَلْهُى فِي التَّلَادِ وَلَمْ يَقْدُ

مِنَ النَّبْلِ لَا بِالطَّائِشَاتِ الْخَوَاطِفِ  
فِيَا عَجَباً لِلْقَاتِلَاتِ الضَّعَائِفِ  
هَوَى النَّفْسِ شَيْئاً كَأَقْيَادِ الطَّرَائِفِ

وقال آخر:

وَكَمْ مِنْ فَتَى جَلْدٍ يُقَادُ لِحَيْنِهِ  
إِذَا مَا الْهَوَى مِنْهُ تَعَزَّزَ جَانِبُ

بَطْرِفٍ مَرِيضٍ النَّظَائِرِينَ كَحِمِلٍ  
فَمَا شِثَتْ مِنْ مَقْتُولَةٍ وَقَتِيلٍ

وقال جرير بن عطية:

إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ  
يَصْرَعْنَ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ

قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنِ قَتَلَانَا<sup>(٤)</sup>  
وَهُنَّ أضعفُ خَلْقِ اللَّهِ أَرْكَانَا

وقال جميل بن معمر العذري:

رَمَى اللَّهُ فِي عَيْنِي بُيُوتَةً بِالْقَلْدَى  
رَمْتَنِي بِسَهْمٍ رِيثُهُ الْكُحْلُ لَمْ يَضُرْ

وَفِي الْغُرِّ مِنْ أَنْيَابِهَا بِالْقَوَادِحِ<sup>(٥)</sup>  
ظَوَاهِرُ جِلْدِي فَهُوَ فِي الْقَلْبِ جَارِحِي

أَمَّا مَعْنَى الْبَيْتِ الْأَوَّلِ فَقَبِيحُ أَنْ يُجْعَلَ فِي الْغَزْلِ إِنْ كَانَ قَصْدٌ فِي  
بَاطِنِهِ مَا يَتَبَيَّنُ فِي ظَاهِرِهِ وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ الْأَدَبِ أَنَّ قَوْلَهُ رَمَى اللَّهُ فِي  
عَيْنِي بُيُوتَةً بِالْقَلْدَى إِنَّمَا عَنَى بِهِ الرَّقِيبَ. وَقَوْلُهُ وَفِي الْغُرِّ مِنْ أَنْيَابِهَا إِنَّمَا عَنَى بِهِ  
سَرَوَاتِ قَوْمِهَا وَالْقَوَادِحِ الْحِجَارَةُ وَقَدْ عَرَضْتُ هَذَا الْقَوْلَ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ  
أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى فَأَنْكَرَهُ وَقَالَ لَمْ يَعْنِ وَلَمْ يَرِ بِهِ بَأْساً الْعَرَبُ تَقُولُ قَاتَلَهُ اللَّهُ  
فَمَا أَشْجَعُهُ وَلَا تُرِيدُ بِذَلِكَ سُوءاً.

(٤) رواية الديوان: إن العيون التي في طرفها حور.

(٥) البيتان من قصيدة في الديوان في مختلف طبعاته.

وقال العدلي بن الفرخ العجلي<sup>(٦)</sup>:

يَأْخُذْنَ زَيْتَهُنَّ أَحْسَنَ مَا تَرَى  
وَإِذَا جَلَيْنَ خُدُودَهُنَّ أَرَيْنَا  
فَرَمَيْنَا لَا يَسْتَتِرْنَ بِجُنَّةٍ  
يَلْبَسْنَ أَرْدِيَةَ الْوَقَارِ لِأَهْلِهَا  
فَإِذَا عَطَلْنَ فَهِنَّ غَيْرَ عَوَاطِلِ  
حَدَقَ أَلْمَهَا وَأَخَذْنَ نَبْلَ الْقَاتِلِ  
إِلَّا الصَّبَى وَعَلِمْنَ أَيْنَ مَقَاتِلِي  
وَيَجُرُّ بَاطِلُهُنَّ حَبْلَ الْبَاطِلِ

وقال عمر بن عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي:

سَمِعِي وَطَرْفِي حَلِيفَاها عَلَى جَسَدِي  
لَوْ طَاوَعَانِي عَلَى أَنْ لَا أَطَاوَعَهَا  
فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَنْ سَمْعِي وَعَنْ بَصَرِي<sup>(٧)</sup>  
إِذَا لَقِيتُ مِنْ أَوْطَارِهَا وَطَرْفِي

وقال يزيد بن سويد الضبي<sup>(٨)</sup>:

يَبْضُ أَوَانِسُ يَلْتَأُطُ الْعَبِيرُ بِهَا  
مِثْلُ السَّوَالِفِ غَيْدٌ لَا يَزَالُ لَهَا  
كَفَّ الْقَوَاجِشَ عَنْهَا الْأَنْسُ وَالْخَفَرُ  
مِنْ الْقُلُوبِ إِذَا لَاقَيْنَهَا جَزُرُ

وأنشدني بعض الكلابيين:

يَا مَنْ بَدَائِخُ حُسْنِ صُورَتِهِ  
لِي مِنْكَ مَا لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ  
تَشْنِي إِلَيْهِ أَعِنَّةَ الْحَدَقِ  
لَكِنَّهُمْ سَعِدُوا بِأَمْنِهِمْ  
نَظَرٌ وَتَسْلِيمٌ عَلَى الطُّرُقِ  
وَشَقِيتُ حِينَ أَرَاكَ بِالْفُتُوقِ

وقال آخر:

دَعَا قَلْبُهُ يَوْماً هَوَى فَأَجَابَهُ  
بِمُسْتَأْنِسَاتٍ بِالْحَدِيثِ كَأَنَّهَا  
فُؤَادٌ إِذَا يَلْقَى الْمَرَاضَ مَرِيضٌ  
تَهْلُلُ مُزْنَ بَرْقُهُنَّ وَمِيزُ

(٦) العدلي بن الفرخ، ولقبه العباب، من رهب أبي النجم العجلي، وكان هجا الحجاج

فطلبه وهرب. انظر الشعر والشعراء ص ٢٤٤ - ٢٤٦، الطبعة الأوروبية.

(٧) في «م»، والمطبوع: حليفاً، والتصحيح من الديوان ص ٧٣.

(٨) لم أهدت إلى ترجمته، ولم أجده بين المسمين «يزيد» من الشعراء.



وأنشدني أحمد بن أبي طاهر<sup>(٩)</sup>:  
طَرِبْتُ إِلَى حَوَراءِ أَلْفَةِ الْخِذْرِ  
تُرَاسِلُنِي بِاللَّحْظِ عِنْدَ لِقَائِهَا

وقال عمرو بن الأيهم<sup>(١٠)</sup>:  
وَيَوْمَ آرْتَحَالِ الْحَيِّ رَاعَتَكَ رَوْعَةً  
رَمَتَكَ بِعَيْنِي فَرَقْدٍ ظِلٌّ يَتَفِي

وقال آخر:  
قَلْبِي إِلَى مَا ضَرَّنِي دَاعِي  
لَقَلَّ مَا أَبْقَى عَلَى مَا أَرَى  
كَيْفَ آخِترَاسِي مِنْ عَدُوِّي إِذَا  
مَا أَقْتَلَ أَلْيَاسَ لِأَهْلِ أَلْهُوَي

وقال الطرماح<sup>(١١)</sup>:  
فَلَمَّا آدَرَكْنَاهُنَّ أَبْدَيْنَ لِلْهُوَى  
ظَعَائِنُ يَسْتَحْدِثْنَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ

هِيَ الْبَدْرُ أَوْ إِنْ قُلْتَ أَكْمَلُ مِنْ بَدْرِ  
فَتَخْلِسُ قَلْبِي عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ صَدْرِي \*

فَلَمْ تَنْسَهَا مِنْ ذَلِكَ إِلَّا عَلَى ذِكْرِ  
شَايِبٍ قَطِرٍ بَيْنَ غُصْنَيْنِ مِنْ سِدْرِ

يُكْثِرُ أَسْقَامِي وَأَوْجَاعِي  
أَوْشِكُ أَنْ يَنْعَانِي النَّاعِي  
كَانَ عَدُوِّي بَيْنَ أَضْلَاعِي  
لَا سِيِّمًا مِنْ بَعْدِ إِطْمَاعِ

مَحَاسِنَ وَأَسْتَوْلِينَ دُونَ مَحَاسِنِ  
رَهِينًا وَلَا يُحْسِنُ فَكُ الرُّهَائِنِ

(٩) هو أحمد بن طيفور (أبي طاهر)، أبو الفضل، مؤرخ، من بلغاء الكتاب الرواة. ذكر له مصنفات كثيرة، توفي سنة ٢٨٠هـ. انظر تاريخ بغداد ٤/٢١١، معجم الأدباء ١/١٥٦.

(١٠) كذا في «م» و«المطبوع». ولكني وجدت «عمرو بن الأهم» من شعراء الحماسة (التبريزي) ٤/١٩٢، وكذلك في «المفضليات» ص ١٢٥. على أني وجدت «عمير بن الأيهم» بن أفلت التغلبي النصراني في «معجم الشعراء» ص ١١٧ ثم إني وجدت في (الكامل) للمبرد ٣/٣٢١ عمرو بن الأيهم.

(١١) البيتان من قصيدة طويلة في الديوان ص ٤٨١.

وقال القحيف العقيلي<sup>(١٢)</sup>:

خَلِيلِي مَا صَبْرِي عَلَى الزَّفَرَاتِ  
تَقْطَعُ نَفْسِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ  
سَقَى وَرَعَى أَلَلَهُ الْأَوَانِسَ كَالْدُمَى  
دَعَوْنَ بِحَبَاتِ الْقُلُوبِ فَأَقْبَلْتُ

وأنشدني أحمد بن يحيى الشيباني أبو العباس النحوي:

إِذَا هُنَّ سَاقَطْنَ الْأَحَادِيثَ لِلْفَتَى  
رَمَيْنَ فَأَنْفَذْنَ الْقُلُوبَ وَلَا تَرَى  
وَحَبْرِكَ الْوَاشُونَ إِلَّا أُجِبْكُمْ  
أَصْدُ وَمَا أَلْصَدُ الَّذِي تَعْلَمِينَهُ  
حَيَاءٌ وَبُقْيَا أَنْ تَشِيعَ نَمِيمَةٌ  
أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَ غَيْرُكَ أَرْقَلْتُ  
وَلَكِنْ وَبَيْتَ اللَّهِ مَا طُلَّ مُسْلِمٌ  
وَإِنْ دَمًا لَوْ تَعْلَمِينَ جَنِيَّتِهِ

وقال عمر بن أبي ربيعة:

فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا وَسَلَّمْتُ أَقْبَلْتُ  
تَبَالَهَنَ بِالْعِرْفَانِ لَمَّا عَرَفْنِي  
وَقَرَّبَنَ أَسْبَابَ أَلْهُوَى لِمَتِّمْ  
فَقُلْتُ لِمُطَرِّبِهِنَّ بِالْحُسْنِ إِنَّمَا

وُجُوهُ زَهَاها الْحُسْنُ أَنْ تَتَقَنَّاعًا<sup>(١٤)</sup>  
وَقُلْنَ أَمْرُو بَاغٍ أَضَلُّ وَأَوْضَعَا  
يَقِيسُ ذِرَاعًا كُلَّمَا قَسَنَ إصْبَعَا  
ضَرَرْتُ فَهَلْ تَسْتَطِيعُ نَفْعًا فَتَنْفَعَا

(١٢) في «م» والمطبوع: العجيف، وهو تصحيف صوابه ما أثبتناه. انظر معجم الشعراء ص ٢١١، طبقات الشعراء (بربل) ١٥٣.

(١٣) في «م» والمطبوع: ما طُلَّ مسلماً.

(١٤) الأبيات من قصيدة في الديوان ص ١١٧.

وقال أيضاً:

وَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ مَا يُبَاءُ بِهِ دَمٌ  
وَمِنْ مَالِيٍّ عَيْنِيهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ  
أَوَانِسُ يَسْلُبُنَ الْحَلِيمَ فُوَادَهُ  
مَعَ اللَّيْلِ قَصْراً قَدْ أَضَرَ بِكَفِّهَا  
فَلَمْ أَرْ كَالْتَجْمِيرِ مَنْظَرَ نَاطِرٍ

وقال آخر:

بَوَارِحُ رُحْنٍ مِنْ بَرْحِ إِلَيْنَا  
رَمَيْنَ حَصَى الْجِمَارِ بِخَاضِبَاتِ

وقال ذو الرمة:

فَمَا ظَنِيَّةٌ تَرَعَى مَسَاقِطَ رَمَلَةٍ  
بِأَحْسَنِ مِنْ مَيِّ عَشِيَّةٍ حَاوَلَتْ  
بِوَجْهِ كَقَرْنِ الشَّمْسِ حَرّاً كَأَنَّمَا  
وَعَيْنٌ كَأَنَّ الْبَابِلِيِّينَ لَبَسَا

وقال كثير بن عبد الرحمن:

أَصَابَكَ نَبْلُ الْحَاجِجِيَّةِ إِنَّهَا  
لَقَدْ غَادَرَتْ فِي الْقَلْبِ مِنِّي أَمَانَةً  
فَذُوقِي بِمَا أَجْنَبْتَ عَيْنًا مَشُومَةً

(١٥) انظر الديوان ص ٨.

(١٦) في «م» والمطبوع: فلم أر كالتجمير.

(١٧) انظر الديوان ص ص ١٧١، ١٧٢ مع اختلاف في الرواية.

(١٨) انظر الديوان ص ص ١٤١، ١٤٢ مع اختلاف في الرواية.

وقال آخر:

وَتَنَالُ إِنْ نَظَرْتَ إِلَيْكَ بِطَرَفِهَا  
وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى مَحَاسِنِ وَجْهِهَا  
وَلِقَلْبِهَا حِلْمٌ تَصُدُّ بِهِ  
عَنْ ذِي الْهَوَى وَلَطَرَفِهَا جَهْلٌ<sup>(١٩)</sup>

وقال حبيب بن أوس الطائي:

يَا جُفُونَا سَوَاهِدَا أَعْدَمْتَهَا  
إِنَّ لِلَّهِ فِي الْعِبَادِ مَنَآيَا  
لَذَّةَ النَّوْمِ وَالرُّقَادِ جُفُونُ  
سَلَطَتْهَا عَلَى الْقُلُوبِ عُيُونُ<sup>(٢٠)</sup>

وأشدتني أم حمادة الهمدانية<sup>(٢١)</sup>:

دَارَ الْهَوَى بِعِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمْ  
إِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ قَلْبٍ يُكَلِّفُكُمْ  
لَوْلَا شَقَاوَةُ جَدِّي مَا عَرَفْتُكُمْ  
حَتَّى إِذَا مَرَّ بِي مِنْ بَيْنِهِمْ وَفَقَا  
وَمَا يَرَى مِنْكُمْ بَرّاً وَلَا لَطْفَا  
إِنَّ الشَّقِيَّ يَشْقَى بِمَنْ عَرَفَا

وأشدني أبو طاهر أحمد بن بشر الدمشقي<sup>(٢٢)</sup>:

رَمَتْنِي وَسِتْرُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا  
رَمِيمُ اللَّيْلِ قَالَتْ لِجَارَاتِ بَيْتِهَا  
أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَوْ رَمَتْنِي رَمِيَّتَهَا  
عَشِيَّةَ أَحْجَارِ الْكَنَاسِ رَمِيمُ  
ضَمِنْتُ لَكُمْ أَنْ لَا يَزَالَ يَهِيمُ  
وَلَكِنْ عَهْدِي بِالنِّصَالِ قَدِيمُ<sup>(٢٣)</sup>

(١٩) الأبيات من «الكامل» في عروضيته الأولى والثانية، فالصدر من الأولى والعجز من الثانية.

(٢٠) البيتان في الديوان ٢٧٨/٤ مع اختلاف في الرواية.

(٢١) لم أهدت إلى معرفتها.

(٢٢) أحمد بن بشر الدمشقي، أبو طاهر، من المحدثين. انظر: تاريخ بغداد

٥٢/٤ - ٥٣.

(٢٣) الأبيات لأبي حية النميري (شرح الحماسة للتبريزي) ٢٦٩/٣، وانظر ترجمته في

الشعر والشعراء ص ص ٤٩٧، ٤٩٨

وَبَلَغَنِي أَنَّ بُيْنَةَ وَعِزَّةَ كَانَتَا خَالَتَيْنِ تَتَحَدَّثَانِ إِذْ أَقْبَلَ كَثِيرٌ فَقَالَتْ بُيْنَةُ لِعِزَّةَ: أَتُحِبِّينَ أَنْ أَبِينَ لَكَ إِنْ كَانَ كَثِيرٌ فِيمَا يُظْهِرُهُ مِنَ الْمَحَبَّةِ غَيْرَ صَادِقٍ، قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَتْ: أَذْخِلِي الْخَبَاءَ فَتَوَارَتْ عِزَّةٌ، وَذَنَا كَثِيرٌ حَتَّى وَقَفَتْ عَلَى بُيْنَةَ فَسَلَّمَ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: مَا تَرَكْتُ فِيكَ عِزَّةً مُسْتَمْتَعًا لِأَحَدٍ، فَقَالَ كَثِيرٌ: وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ عِزَّةَ أُمَةٌ لَوَهَبْتُهَا لَكَ، قَالَتْ لَهُ بُيْنَةُ: إِنْ كُنْتُ صَادِقًا فَاصْنَعْ فِي ذَلِكَ شِعْرًا، فَأَنشَأَ يَقُولُ:

رَمَتْنِي عَلَى قَوْتٍ بُيْنَتُهُ بَعْدَ مَا تَوَلَّى شَبَابِي وَأَرْجَحَنْ شَبَابُهَا (٢٤)  
بِعَيْنَيْنِ نَجْلَاوَيْنِ لَوْ رَفَرَقْتُهُمَا لِنَوَى الثَّرِيَا لَأَسْتَهْلَ سَحَابُهَا

فَبَادَرَتْ عِزَّةُ فَكَشَفَتْ الْحِجَابَ، وَقَالَتْ: يَا فَاسِقُ قَدْ سَمِعْتُ اللَّيْتَيْنِ، فَقَالَ لَهَا: فَاسْمِعِي الثَّلَاثَ، قَالَتْ: وَمَا هُوَ، فَأَنشَأَ يَقُولُ:

وَلَكِنَّمَا تَرْمِينَ نَفْسًا شَقِيَّةً لِعِزَّةٍ مِنْهَا صَفْوُهَا وَلُبَابُهَا

وَهَذَا الشِّعْرُ وَإِنْ كَانَ قَبِيحًا لِمُنَاسَبَتِهِ الْخِيَانَةَ وَالْعَدْرَ فَهُوَ حَسَنٌ مِنْ ثَبَاتِ حِدَّةِ الْخَاطِرِ وَسُرْعَةِ الْفِكْرِ.

وقال أبو عبادَةَ البَحْتَرِي:

نَظَرْتُ قَادِرَةً أَنْ يَنْكَفِي قَالَ بُطْلًا وَأَفَالَ الرَّأْيِ مَنْ كَانَ يَكْفِي مَيْتًا مِنْ ظَمَاٍ إِنْ تَكُنْ مُحْتَسِبًا مَنْ قَدْ نَوَى كُلُّ قَلْبٍ فِي هَوَاهَا يَعْلَقُ (٢٥)  
لَمْ يَقُلْ إِنَّ الْمَنَايَا فِي الْحَدَقِ فَضْلُ مَا أَوْبَقَ مَيْتًا مِنْ غَرَقٍ لِحِمَامٍ فَاحْتَسِبَ مَنْ قَدْ عَشِقَ

(٢٤) انظر ديوان كثير ص ٤٤٧.

(٢٥) انظر الديوان ١٤٦٨/٣.

وقال القطامي وهو أحسن ما قيل في معناه:

وَفِي الْخُدُورِ غَمَامَاتٌ بَرَقْنَ لَنَا حَتَّى تَصِيدَنَّا مِنْ كُلِّ مُصْطَادٍ (٢٦)  
يَقْتُلُنَا بِحَدِيثٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ مَنْ يَتَّقِينَ وَلَا مَكْشُومُهُ بَادٍ فَهَنْ يُبِيدِينَ مِنْ قَوْلٍ يُصْبِنَ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْغُلَّةِ الصَّادِي \*  
قَدْ ذَكَّرْنَا مِنْ أَقَاوِيلِ الشُّعْرَاءِ فِي الْهَوَى أَنَّهُ يَقَعُ ابْتِدَاؤُهُ مِنَ النَّظْرِ وَالسَّمَاعِ مَا فِي بَعْضِهِ بَلَاغٌ.

ثُمَّ نَحْنُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ذَاكِرُونَ مَا فِي ذَلِكَ الْأَمْرِ الَّذِي أَوْقَعَهُ السَّمَاعُ وَالنَّظَرُ، وَلَمْ وَقَعَ، وَكَيْفَ وَقَعَ. إِذْ قَدْ صَحَّ كَوْنُهُ عِنْدَ الْعَامَّةِ وَخَفِيَ سَبَبُهُ عَلَى الْخَاصَّةِ.

أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الصَّاعَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ قَالَ: أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ عُمَرَ عَنْ عَائِشَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا أَتْتَلَفَ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ (٢٧).

وفي مثل ذلك يقول طرفة بن العبد:

تَعَارَفَ أَرْوَاحُ الرِّجَالِ إِذَا التَّقَوْا فَمِنْهُمْ عَدُوٌّ يُتَّقَى وَخَلِيلٌ (٢٨)  
وَإِنْ أَمْرًا لَمْ يَعْفُ يَوْمًا فُكَاهَةً لِمَنْ لَمْ يُرِدْ سُوءًا بِهَا لَجْهُولُ  
وَزَعَمَ بَعْضُ الْمُتَفَلِّسِينَ: أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ خَلَقَ كُلَّ رُوحٍ مُدَوَّرَةً الشَّكْلَ عَلَى هَيْئَةِ الْكُرَةِ. ثُمَّ قَطَعَهَا أَيْضًا، فَجَعَلَ فِي كُلِّ جَسَدٍ نِصْفًا، وَكُلُّ جَسَدٍ لَقِيَّ الْجَسَدِ الَّذِي فِيهِ النِّصْفُ الَّذِي قُطِعَ مِنَ النِّصْفِ الَّذِي مَعَهُ، كَانَ

(٢٦) انظر الديوان ص ص ٨٠، ٨١.

(٢٧) انظر الحديث في (اللسان) (جند) منقولاً عن «النهاية في غريب الحديث والأثر».

(٢٨) اليتان من قصيدة في الديوان ص ١٨٦.

بَيْنَهُمَا عِشْقٌ لِلْمَنَاسِبَةِ الْقَدِيمَةِ. وَتَفَاوَتْ أَحْوَالُ النَّاسِ فِي ذَلِكَ عَلَى حَسَبِ رِقَّةِ طَبَائِعِهِمْ.

وقد قال جميل في ذلك:

تَعَلَّقَ رُوحِي رُوحَهَا قَبْلَ خَلْقِنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا كُنَّا نَطَافًا وَفِي الْمَهْدِ  
فَزَادَ كَمَا زِدْنَا فَأَصْبَحَ نَامِيًا وَلَيْسَ إِذَا مُتْنَا بِمُتَقَضٍ «لِعَهْدِ  
وَلَكِنَّهُ بَاقٍ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ وَزَاثِرُنَا فِي ظُلْمَةِ الْقَبْرِ وَاللَّحْدِ» (٢٩)

وفي نحوه يقول بعض أهل هذا العصر (٣٠):

مَنْ كَانَ يَشْجَى بِحُبِّ مَا لَهُ سَبَبٌ فَإِنْ عِنْدِي لِمَا أَشْجَى بِهِ سَبَبٌ  
حُبِّيهِ طَبَعَ لِنَفْسِي لَا يُغَيِّرُهُ كَرُّ اللَّيَالِي وَلَا تُودِي بِهِ الْحِقَبُ  
إِنْ كَانَ لَا بُدَّ لِلْعُشَاقِ مِنْ عَطَبٍ فَنِي هَوَى مِثْلِهِ يُسْتَغْنَمُ الْعَطَبُ

وَكَتَبَ بَعْضُ الظُّرَفَاءِ إِلَى أَخٍ لَهُ: إِنِّي صَادَقْتُ مِنْكَ جَوْهَرَ نَفْسِي فَأَنَا  
غَيْرُ مَحْمُودٍ عَلَى الْأَنْقِيَادِ إِلَيْكَ بِغَيْرِ زَمَامٍ. لِأَنَّ النَّفْسَ يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا.

وَحَكِي عَنْ إِفْلَاطُونَ أَنَّهُ قَالَ: مَا أَدْرِي مَا الْهَوَى، غَيْرَ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ  
جُنُونٌ إِلَّا هِيَ لَا مَحْمُودٌ وَلَا مَذْمُومٌ.

وقد قال بعض الشعراء في مثله:

إِنَّ الْمَحَبَّةَ أَمْرَهَا عَجَبٌ تُلْقَى عَلَيْكَ وَمَا لَهَا سَبَبٌ

ولقد أحسن الحسين بن مطير في قوله:

قَضَى اللَّهُ يَا سَمْرَاءُ مِثْلِي لِكِ الْهَوَى بِعَزْمٍ فَلَمْ أَمْنَعْ وَلَمْ أُعْطِهِ عَمْدًا

(٢٩) الأبيات في الديوان ص ٤٢، وجاءت منسوبة إلى المجنون، انظر الديوان ص ١١٤.

(٣٠) الذي غمّل إليه أن قول المصنف «بعض أهل هذا العصر» يعني هو نفسه. وقد حفل الكتاب بهذه «المختارات».

وَكُلُّ أَسِيرٍ غَيْرُ مَنْ قَدْ مَلَكَتْهُ مُرْجَى لِقَتْلِ أَوْ لِنَعْمَاءٍ أَوْ مُفْدَى (٣١)

وَزَعَمَ بَطْلِيمُوسُ: أَنَّ الصَّدَاقَةَ وَالْعِدَاوَةَ تَكُونُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَضْرَبٍ إِمَّا  
لِاتِّفَاقِ الْأَرْوَاحِ فَلَا يَجِدُ الْمَرْءُ بُدًّا مِنْ أَنْ يُحِبَّ صَاحِبَهُ وَإِمَّا لِلْمَنْفَعَةِ وَإِمَّا  
لِلْحُزَنِ وَفَرَحٍ.

فَأَمَّا اتِّفَاقُ الْأَرْوَاحِ فَإِنَّهُ يَكُونُ مِنْ كَوْنِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ فِي الْمَوْلَدَيْنِ  
فِي بُرْجٍ وَاحِدٍ، وَيَتَنَاطَرَانِ مِنْ تَثْلِيثٍ أَوْ تَسْدِيسٍ نَظَرُ مَوَدَّةٍ، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ  
كَذَلِكَ، كَانَا صَاحِبَا الْمَوْلَدَيْنِ مَطْبُوعَيْنِ عَلَى مَوَدَّةٍ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ.  
فَأَمَّا اللَّذَانِ تَكُونُ مَوَدَّتُهُمَا لِحُزَنِ أَوْ لِفَرَحٍ، فَإِنَّهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ طَالِعُ مَوْلَدِيهِمَا  
بُرْجًا وَاحِدًا وَيَتَنَاطَرُ طَالِعَاهُمَا مِنْ تَثْلِيثٍ أَوْ تَسْدِيسٍ. وَأَمَّا اللَّذَانِ مَوَدَّتُهُمَا  
لِلْمَنْفَعَةِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا سَعَادَتَاهُمَا فِي مَوْلَدِيهِمَا فِي بُرْجٍ وَاحِدٍ،  
أَوْ يَتَنَاطَرُ السَّهْمَانِ مِنْ تَثْلِيثٍ أَوْ تَسْدِيسٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى الْمَوْلَدَيْنِ تَكُونُ  
مَنْفَعَتُهُمَا مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ، وَيَنْتَفِعُ أَحَدُهُمَا بِصَاحِبِهِ فَتَجْلِبُ الْمَنْفَعَةُ بَيْنَهُمَا  
الصَّدَاقَةُ، أَوْ تَكُونُ مَضَرَّتُهُمَا مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ فَيَتَفَقَّانِ عَلَى الْحُزَنِ، فَيَتَوَادَّانِ  
بِذَلِكَ السَّبَبِ. وَيَقْوِي ذَلِكَ كُلُّهُ نَظَرُ السُّعُودِ فِي وَقْتِ الْمَوَالِيدِ وَيُضَعِّفُهُ نَظَرُ  
النُّحُوسِ. وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ الْهَوَى فَقَسَّمَهُ عَلَى نَحْوٍ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى  
فَقَالَ:

ثَلَاثَةُ أَحْبَابٍ فَحُبُّ عَاقِلَةٍ وَحُبُّ تِمْلَاقٍ وَحُبُّ هُوَ الْقَتْلُ  
وَزَعَمَ جَالِيئُوسُ: أَنَّ الْمَحَبَّةَ قَدْ تَقَعُ مِنَ الْعَاقِلِينَ مِنْ بَابِ تَشَاكُلِهِمَا

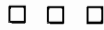
(٣١) البيتان في مجموع شعر الشاعر ص ٤٤ وتخريجها عن كتابنا هذا. وانظر ترجمة الشاعر في طبقات الشعراء لابن المعتز (نشرة فراج) ص ١١٤، والأغاني (الساسى) ١١٠/١٤، والموشح ص ٣٦٠، وسمط اللآلئ ص ٤٠٩، ومعجم الأدباء ١٦٦/١٠، وخزانة الأدب ٤٨٥/٢، وفوات السوفيات (عبي السدين عبدالحميد) ٢٨٥/١.

فِي الْعَقْلِ . وَلَا تَقَعُ بَيْنَ الْأَحْمَقَيْنِ مِنْ بَابِ تَشَاكُلِهِمَا فِي الْحُمَقِ ، لِأَنَّ الْعَقْلَ يَجْرِي عَلَى تَرْتِيبٍ ، فَيَجُوزُ أَنْ يُتَّفَقَ فِيهِ عَلَى طَرِيقٍ وَاحِدٍ . وَالْحُمَقُ لَا يَجْرِي عَلَى تَرْتِيبٍ ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَقَعَ بِهِ اتِّفَاقٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ .

وَقَالَ بَعْضُ الْمُتَطَهِّينَ : إِنَّ الْعِشْقَ طَمَعٌ يَتَوَلَّدُ فِي الْقَلْبِ . وَتَجْتَمِعُ إِلَيْهِ مَوَادُّ مِنَ الْحِرْصِ ، فَكُلَّمَا قَوِيَ إِزْدَادَ صَاحِبِهِ فِي الْأَهْتِيَاكِ وَاللَّجَاجِ وَشِدَّةِ «لِقَلْبِي وَكَثْرَةِ الشَّهْوَةِ . وَعِنْدَ ذَلِكَ يَكُونُ اخْتِرَاقُ الدَّمِ وَاسْتِحَالَتُهُ إِلَى السُّودَاءِ ، وَالْيَهَابِ الصُّفْرَاءِ وَإِنْقِلَابُهَا إِلَى السُّودَاءِ . وَمِنْ طُعْيَانِ السُّودَاءِ فَسَادُ الْفِكْرِ ، وَمَعَ فَسَادِ الْفِكْرِ تَكُونُ الْعَدَامَةُ وَنُقْصَانُ الْعَقْلِ وَرَجَاءُ مَا لَا يَكُونُ وَتَمَنِّي مَا لَا يَتِمُّ ، حَتَّى يُوْدِّي ذَلِكَ إِلَى الْجُنُونِ ، فَجَيِّثُذُ رُبَّمَا قَتَلَ الْعَاشِقُ نَفْسَهُ ، وَرُبَّمَا مَاتَ غَمًّا ، وَرُبَّمَا نَظَرَ إِلَى مَعْشُوقِهِ فَيَمُوتُ فَرَحًا أَوْ أَسْفًا ، وَرُبَّمَا شَهَقَ شَهَقَةً فَتَخْتَفِي فِيهَا رُوحُهُ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ سَاعَةً ، فَيُظَنُّونَ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ ، فَيَقْبِرُونَهُ وَهُوَ حَيٌّ ، وَرُبَّمَا تَنَفَّسَ الصُّعْدَاءُ ، فَتَخْتَبِقُ نَفْسُهُ فِي تَامُورٍ (٣٧) قَلْبِهِ وَيَنْضَمُّ عَلَيْهَا الْقَلْبُ ، فَلَا يَنْفَرُجُ حَتَّى يَمُوتَ ، وَرُبَّمَا أَرْتَاخَ وَتَشَوَّقَ لِلنَّظَرِ ، أَوْ رَأَى مَنْ يُحِبُّ فَجَاءَ فَتَخْرُجُ نَفْسُهُ فَجَاءَةً دَفْعَةً وَاحِدَةً . وَأَنْتَ تَرَى الْعَاشِقَ إِذَا سَمِعَ بِذِكْرِ مَنْ يُحِبُّ كَيْفَ يَهْرُبُ وَيَسْتَجِيلُ لَوْنَهُ . وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ يَجْرِي عَلَى مَا ذُكِرَ ، فَإِنْ زَوَالَ الْمَكْرُوهِ عَمَّنْ هَذِهِ حَالُهُ لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ بِتَدْبِيرِ الْأَدَمِيِّينَ ، وَلَا شِفَاءَ لَهُ إِلَّا بِطُفْفٍ يَقَعُ لَهُ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ . وَذَلِكَ أَنَّ الْمَكْرُوهَ الْعَارِضَ مِنْ سَبَبٍ قَائِمٍ مُنْفَرِدٍ بِنَفْسِهِ يَتَهَيَّأُ التَّلَطُّفُ فِي إِزَالَتِهِ بِإِزَالَةِ سَبَبِهِ . فَإِذَا وَقَعَ الشَّيْثَانُ ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عِلَّةٌ لِصَاحِبِهِ ، لَمْ يَكُنْ إِلَى زَوَالِ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا سَبِيلٌ . فَإِذَا كَانَتْ السُّودَاءُ \* سَبَبًا لِاتِّصَالِ الْفِكْرِ ، وَكَانَ اتِّصَالُ الْفِكْرِ سَبَبًا لِاخْتِرَاقِ الدَّمِ وَالصُّفْرَاءِ ، وَقَلْبُهَا إِلَى تَقْوِيَةِ السُّودَاءِ كُلَّمَا قَوِيَتْ قُوَّةُ الْفِكْرِ . وَالْفِكْرُ كُلَّمَا قَوِيَ قُوَّةُ السُّودَاءِ ، وَهَذَا هُوَ الدَّاءُ الَّذِي يَعْجُزُ عَنْ مُعَالَجَتِهِ الْأَطِبَّاءُ .

(٣٧) التامور (غير مهموز): دم القلب.

وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ الْمُتَصَوِّفِينَ : أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِنَّمَا أَمْتَحَنَ النَّاسَ بِالْهَوَى ، لِيَأْخُذُوا أَنْفُسَهُمْ بِطَاعَةِ مَنْ يَهْوُونَهُ . وَلَيْشَقَّ عَلَيْهِمْ سُخْطُهُ وَيَسْرَهُمْ رِضَاؤُهُ ، فَيَسْتَدِلُّوا بِذَلِكَ عَلَى قَدْرِ طَاعَةِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - إِذْ كَانَ لَا مِثْلَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ . وَهُوَ خَالِفُهُمْ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَيْهِمْ وَرَازِقُهُمْ مُبْتَدِئًا ، غَيْرُ مُمْتَنٍ عَلَيْهِمْ فَإِنْ أَوْجَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ طَاعَةً مِنْ سِوَاهُ ، كَانَ هُوَ - تَعَالَى - أُخْرَى بِأَنْ يُتَّبَعَ رِضَاؤُهُ . وَالْكَلَامُ فِي اعْتِبَارِ مَا حَكَيْنَاهُ ، وَالْإِخْبَارُ عَنْ جَمِيعِهِ بِمَا يَرْضَاهُ يَكْثُرُ . وَرُبَّمَا اسْتَغْنَيْتُ بِالْحِكَايَاتِ عَنِ التَّصْرِيحِ بِالْإِخْتِيَارَاتِ . وَنَحْنُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - نَذْكُرُ بِعَقَبِ هَذَا أَلْبَابِ مَبْلَغِ الْهَوَى مِنْ قُلُوبِ ذَوِي الْأَلْبَابِ ، وَنَصِفُ مَرَاتِبَهُ وَتَصَرُّفَهُ وَأَزْدِيادَهُ وَتَمَكُّنَهُ ، وَنُخَبِّرُ بِاقْتِدَارِهِ عَلَى الْمُقْتَدِرِينَ ، وَاسْتَظْهَارِهِ عَلَى الْمُسْتَظْهِرِينَ ، وَتَلَاعُبِهِ بِقُلُوبِ الْمُتَفَلْسِفِينَ ، وَتَمَالِكِهِ عَلَى خَوَاطِرِ الْمُسْتَسْلِمِينَ .



الْعَقْلُ عِنْدَ الْهَوَى أَسِيرٌ وَالشُّوقُ عَلَيْهِمَا أَمِيرٌ

قَالَ جَالِينُوسُ: الْعَشَقُ مِنْ فِعْلِ النَّفْسِ. وَهِيَ كَامِنَةٌ فِي الدِّمَاغِ وَالْقَلْبِ وَالْكَبِدِ. وَفِي الدِّمَاغِ ثَلَاثَةُ مَسَاكِنَ: التَّخْيِيلُ وَهُوَ فِي مُقَدِّمِ الرَّأْسِ، وَالْفِكْرُ وَهُوَ فِي وَسْطِهِ، وَالذِّكْرُ وَهُوَ فِي مُؤَخَّرِهِ. وَلَيْسَ يَكْمُلُ لِأَحَدٍ أَسْمُ عَاشِقٍ إِلَّا حَتَّى (١) إِذَا فَارَقَ مَنْ يَعُشِّقُهُ لَمْ يَخُلْ مِنْ تَخْيِيلِهِ وَفِكْرِهِ وَذِكْرِهِ وَقَلْبِهِ وَكَبِدِهِ، فَيَمْتَنِعُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ بِاشْتِغَالِ الْكَبِدِ، وَمِنْ النَّوْمِ بِاشْتِغَالِ الدِّمَاغِ، وَالتَّخْيِيلِ وَالذِّكْرِ لَهُ وَالْفِكْرُ فِيهِ فَيَكُونُ جَمِيعُ مَسَاكِنِ النَّفْسِ قَدْ اشْتَغَلَتْ بِهِ. فَمَتَى لَمْ يَشْتَغِلْ بِهِ وَقَتَ الْفِرَاقِ لَمْ يَكُنْ عَاشِقًا، فَإِذَا لَقِيَهُ خَلَّتْ هَذِهِ الْمَسَاكِنُ.

وَلَعَمْرِي لَقَدْ أَحْسَنَ فِيمَا وَصَفَ، وَاحْتَجَّ لِمَا قَالَ فَانْتَصَفَ غَيْرَ أَنَّهُ ذَكَرَ حَالَ الْعِشْقِ وَحْدَهُ، وَتَرَكَ ذِكْرَ أَحْوَالِ مَا قَبْلَهُ وَأَحْوَالِ مَا بَعْدَهُ. وَذَلِكَ أَنَّ الْأَحْوَالَ الَّتِي تَتَوَلَّدُ عَنِ السَّمَاعِ وَالنَّظَرِ مُخْتَلِفَةٌ فِي بَابِ الْعِظَمِ وَالصَّغَرِ. وَلَهَا مَرَاتِبٌ، فَأَوَّلُ مَا يَتَوَلَّدُ عَنِ النَّظَرِ وَالسَّمَاعِ الْأَسْتِحْسَانُ، ثُمَّ يَقْوَى فَيَصِيرُ مَوَدَّةً، وَالْمَوَدَّةُ سَبَبُ الْإِرَادَةِ. فَمَنْ وَدَّ إِنْسَانًا وَدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ خِلًا. وَمَنْ وَدَّ غَرَضًا وَدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ مُلْكًا. ثُمَّ يَقْوَى الْمَوَدَّةُ فَتَصِيرُ مَحَبَّةً، وَالْمَحَبَّةُ سَبَبٌ لِلطَّاعَةِ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ مُحَمَّدُ الْوَرَّاقُ: (٢)

(١) فِي «م» وَالْمَطْبُوعُ: إِلَّا حَتَّى. وَزِيَادَةُ «حَتَّى» لَا مَعْنَى لَهَا.

(٢) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، الْوَرَّاقُ التَّمُوفِيُّ سَنَةِ ٢٧٥. انْظُرْ: طَبَقَاتُ ابْنِ الْمَعْتَزِ، ص. ٣٦٦، ٣٦٧، تَارِيخُ بَغْدَادَ ٨٧/١٣. وَالْبَيْتَانِ فِي «الْدِيَوَانِ» الْمَجْمُوعِ ص ١٧٤ - ١٧٥.

تَعْصِي الْإِلَهِ وَأَنْتَ تَظْهَرُ حُبَّهُ هَذَا مُحَالٌ فِي الْقِيَاسِ بَدِيعٌ  
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ إِنَّ الْمَحِبَّ لِمَنْ أَحَبَّ مُطِيعٌ

ثُمَّ يَقْوَى الْمَحَبَّةُ فَتَصِيرُ خُلَّةً. وَالْخُلَّةُ بَيْنَ الْأَدَمِيِّينَ أَنْ تَكُونَ مَحَبَّةً أَحَدِهِمَا قَدْ تَمَكَّنَتْ مِنْ صَاحِبِهِ، حَتَّى أَسْقَطَتْ السَّرَائِرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فَصَارَ مُتَخِلِّلًا لِسَرَائِرِهِ، وَمُطْلِعًا عَلَى ضَمَائِرِهِ.

وَفِي هَذَا النُّحُو يَقُولُ بَعْضُ أَهْلِ هَذَا الْعَصْرِ:

فَلَا تَهْجُرْ أَخَاكَ بِغَيْرِ ذَنْبٍ فَإِنَّ الْهَجَرَ مِفْتَاحُ السُّلُوفِ  
إِذَا كَتَمَ الْخَلِيلُ أَخَاهُ سِرًّا فَمَا فَضَّلُ الصَّدِيقِ عَلَى الْعَدُوِّ

وَيُقَالُ إِنَّ الْخُلَّةَ بَيْنَ الْأَدَمِيِّينَ مَأْخُودَةٌ مِنْ تَخَلُّلِ الْمَوَدَّةِ بَيْنَ اللَّحْمِ وَالْعَظْمِ، وَاخْتِلَاطِهِمَا بِالْمَخِ وَالْدَمِ. وَهَذَا الْمَعْنَى غَيْرُ مُخَالِفٍ لِلأَوَّلِ، بَلْ هُوَ أَوْضَحُ سَبَبٌ لَهُ، لِأَنَّ مَنْ حَلَّ مِنْ النَّفْسِ هَذَا الْمَحَلَّ لَمْ يَسْتَبِدَّ عَنْهُ بِأَمْرٍ، وَلَمْ يَسْتَظْهَرْ عَلَيْهِ بِسِرٍّ.

وَقَدْ أَنْشَدَنَا لِعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتَبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ فِي هَذَا النُّحُو: (٣)

تَغْلَغَلَ حُبُّ عَثْمَةَ فِي فُؤَادِي قَبَادِيهِ مَعَ الْخَافِي يَسِيرُ  
تَغْلَغَلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابٌ وَلَا حُزْنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُرُورُ

ثُمَّ يَقْوَى الْخُلَّةُ فَتَرْجُبُ الْهَوَى وَالْهَوَى أَسْمٌ لِانْحِطَاطِ الْمَحِبِّ فِي مَحَابِّ الْمَحْبُوبِ وَفِي اتِّوَصُّلِ إِلَيْهِ بِغَيْرِ تَمَالُكٍ وَلَا تَرْتِيبٍ.

أَنْشَدَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى: (٤)

وَإِنْ أَمْرًا يَهْوِي إِلَيْكَ وَدُونَهُ مِنْ الْأَرْضِ مَوْمَاءَ وَيَبْدَاءَ خَيْفَقُ

(٣) مِنْ شُعْرَاءِ الْحِمَاسَةِ «التَّبْرِيزِيِّ» ٢٩٨/٣.

(٤) هُوَ أَبُو الْعَبَّاسِ «ثَعْلَبُ»، وَقَدْ تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهِ.

لَمَحْقُورَةٌ أَنْ تَسْتَجِيبَ لِصَوْتِهِ وَإِنْ تَعْلَمِي إِنَّ أَلْمَعِينَ مُوقِفٌ<sup>(٥)</sup>  
 ثُمَّ تَقْوَى الْحَالَ فَيَصِيرُ عَشَقًا. وَالْعَاشِقُ يَمْنَعُهُ مِنْ سُرْعَةِ الْأَنْحِطَاطِ فِي  
 هَوَى مَعْشُورِهِ إِشْفَاقُهُ عَلَيْهِ وَصْنُهُ بِهِ، حَتَّى أَنْ إِبْقَاءَهُ عَلَيْهِ لِيَدْعُوهُ إِلَى مَخَالَفَتِهِ  
 وَتَرْكِ الْإِقْبَالِ عَلَيْهِ. فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَوَهَّمُ لِهَذِهِ الْعِلَّةِ أَنَّ الْهَوَى أَتَمُّ مِنْ  
 الْعَشَقِ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ. ثُمَّ يَزْدَادُ الْعَشَقُ فَيَصِيرُ تَتِيماً، وَهُوَ أَنْ تَصِيرَ حَالُ  
 الْمَعْشُوقِ مُسْتَوِيَةً لِلْعَاشِقِ، فَلَا يَكُونُ فِيهِ مَعَهَا فَضْلٌ لِغَيْرِهَا، وَلَا يَزِيدُ بِقِيَاسِهِ  
 شَيْئًا إِلَّا وَجَدْتَهُ مُتَكَامِلاً فِيهَا.

وفي مثل هذا يقول أبو الشيص: <sup>(٦)</sup>

وَقَفْتُ الْهَوَى بِي حَيْثُ أَنْتَ فَلَيْسَ لِي مُتَأَخَّرُ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمُ  
 أَحَدُ الْمَلَامَةِ فِي هَوَاكَ لَذِيذَةُ حُبًّا لِدُكْرِكَ فَلَيْلُمْنِي اللَّوْمُ  
 أَشْبَهْتُ أَعْدَائِي فَصِرْتُ أَجْهَهُمْ إِذْ كَانَ حَظِّي مِنْكَ حَظِّي مِنْهُمْ  
 وَأَهْنَيْتِي فَأَهَنْتُ نَفْسِي جَاهِداً مَا مَنْ يَهْوُنَ عَلَيْكَ مِنْ أَكْرَمِ

وَلَوْلَمْ يَقُلْ أَبُو الشَّيْصِ فِي عُمْرِهِ، بَلْ لَوْلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ عَصْرِهِ.  
 غَيْرَ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ الْأَبْيَاتِ، لَكَانُوا غَيْرَ مُقْصِرِينَ. وَإِذَا كَانَتْ كُلُّ خَوَاطِرِ الْعَاشِقِ  
 فِيمَا يَتَمَنَّا، وَاقِعَةً مِنْ يَهْوَاهُ عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي يَرْضَاهُ، فَهَذِهِ فِي الْمَشَاكِلَةِ  
 الطَّبِيعِيَّةِ الَّتِي لَا يُفْنِيهَا مَرُّ الزَّمَانِ، وَلَا تَزُولُ إِلَّا بِزَوَالِ الْإِنْسَانِ. وَإِذَا صَحَّ هَذَا  
 الْمَذْهَبُ لَمْ يُعْجَبْ مِنْ أَنْ يَبِيلَ الْإِنْسَانُ إِلَى الْإِنْسَانِ بِخُلَّةٍ أَوْ خُلَّتَيْنِ. فَإِذَا  
 زَالَتِ الْعِلَّةُ زَالَ الْهَوَى، فَلَا يَزَالُ الْمَرَابِطُ مُتَنَقِّلاً إِلَى أَنْ يُصَادِفَ مَنْ يَجْتَمِعُ \*  
 فِيهِ هَوَاهُ، فَجَيِّدٌ يَرْضَاهُ، فَلَا يَنْعَطِفُ عَنْهُ إِلَى أَحَدٍ سِوَاهُ.

ولبعض أهل هذا العصر في هذا المعنى:

أَيَا زَاعِمًا آتَيْ لَهْ غَيْرُ خَالِصٍ وَأَنْتَ مُوقِفٌ عَلَى كُلِّ قَانِصٍ  
 كَمَا أَنْتَ فَانْظُرْ فِي وَفَائِكَ خَالِصًا تَرَاهُ لِمَنْ يَهْوَاكَ أَمْ غَيْرَ خَالِصٍ  
 فَجَيِّدٌ فَارْجِعْ بِمَا تَسْتَحِقُّهُ عَلَيَّ وَطَالِبِي إِذَا بِالنَّقَائِصِ  
 سَاعِرُضُ نَفْسِي يَمْنَةً وَشَامَةً عَلَى كُلِّ ثَاوِي فِي الْبِلَادِ وَشَاخِصٍ<sup>(٧)</sup>  
 إِلَى أَنْ أَرَى شَكْلًا يَصُونُ مَوَدَّتِي فَجَيِّدٌ أَغْلُو عَلَى كُلِّ غَائِصٍ  
 أُمِثْلِي يَخُونُ الْعَهْدَ عَنْ غَيْرِ حَادِثٍ رَمَانِي إِذَا رَبِّي بِحَتْفٍ مُغَافِصٍ<sup>(٨)</sup>

ثُمَّ يَزْدَادُ التَّتِيْمُ فَيَصِيرُ وَلَهَا وَالْوَلَةُ هُوَ الْخُرُوجُ عَنْ حُدُودِ التَّرْتِيبِ  
 وَالتَّعَطُّلُ عَنْ أَحْوَالِ التَّمْيِيزِ، حَتَّى تَرَاهُ يَطْلُبُ مَا لَا يَرْضَاهُ، وَيَتَمَنَّى  
 مَا لَا يَهْوَاهُ. ثُمَّ لَا يَحْتَذِي مَعَ ذَلِكَ مِثَالًا، وَلَا يَسْتَطِيعُ حَالًا.

وقد قال حبيب بن أوس الطائي في نحو هذا:

وَلَهْتُهُ أَلْعَلَى فَلَيْسَ يَعْدُ أَلْ سُبُوسُ بُؤْسًا وَلَا النَّعِيمُ نَعِيمًا<sup>(٩)</sup>  
 وَالشُّوقُ تَابِعٌ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ. وَالْمُسْتَحْسِنُ يَشْتَاقُ إِلَى  
 مَا يَسْتَحْسِنُهُ عَلَى قَدَرِ مَحَلِّهِ مِنْ نَفْسِهِ. ثُمَّ كُلَّمَا قَوِيَتْ الْحَالُ قَوِيَتْ مَعَهَا  
 الْأَشْتِيَاقُ. فَالْحُبُّ وَمَا أَشْبَهَهُ يَنْهَيَّا كِتْمَانَهُ، فَإِذَا بَلَغَتْ الْأَشْتِيَاقُ بَطَلَ الْكِتْمَانُ.

وفي مثل ذلك يقول يزيد بن الطثرية: <sup>(١٠)</sup>

أَعِيبُ الَّذِي أَهْوَى وَأَطْرِي جَوَارِيَا يَرَيْنَ لَهَا فَضْلًا عَلَيْهِنَ بَيْنَا  
 بِرَغْمِي أَطِيلُ الْأَصْدُ عَنْهَا إِذَا بَدَتْ أَحَاذِرُ أَسْمَاعًا عَلَيْهَا وَأَعْيْنَا  
 فَقَدْ غَضِبْتُ أَنْ قُلْتُ أَنْ لَيْسَ حَاجَتِي إِلَيْهَا وَقَالَتْ لَمْ يُرِدْ أَنْ يُجِنَّا

(٧) في «م» والمطبوع: في البلاد شاخص.

(٨) في «م» والمطبوع: وما بي إذا ربي...

(٩) انظر ديوان ٢٢٨/٣.

(١٠) انظر أخباره في «الشعر والشعراء» (ط. ليدن) ص ٢٥٥ - ٢٥٦.

(٥) البيتان من قصيدة للأعشى. انظر الديوان ص ٢٢٣.

(٦) انظر ترجمته في الأغاني ١٠٤/١٥ وتاريخ بغداد ٤٠١/٥، وفي مجموع شعره ص ٩٢  
 تخريج الأبيات.

وَهَلْ كُنْتُ إِلَّا مُعَمِّدًا قَانِطَ الْهَوَى      أَسْرُ فَلَمَّا قَادَهُ الشُّوقُ أَغْلَنَّا  
 أَنَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى      فَصَادَفَ قَلْبِي خَالِيًا فَتَمَكَّنَا  
 وَلَعَمْرِي إِنَّ هَذَا لَمِنْ نَفِيسِ الْكَلَامِ غَيْرَ أَنَّ فِي الْبَيْتِ ضَعْفًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ  
 جَعَلَ سَبَبَ تَمَكُّنِ الْهَوَى مِنْ قَلْبِهِ أَنَّهُ صَادَفَهُ خَالِيًا لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَيْهِ غَيْرُهُ. وَلَكِنَّتُ  
 هَذِهِ مِنْ أَحْوَالِ أَهْلِ التَّمَامِ، إِذْ كُلُّ مَنْ صَادَفَ مَحَلًّا لَا يُدَافِعُ عَنْهُ، لَمْ يَتَعَذَّرْ  
 عَلَيْهِ طَرِيقُ التَّمَكُّنِ مِنْهُ.

وقد قال بعض أهل هذا العصر<sup>(١١)</sup>:

وَقَدْ كَانَ يَسْبِي الْقَلْبَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ      تَمَانُونَ بَلْ تَسْعُونَ نَفْسًا وَأَرْجَحُ  
 بِهِمْ بِهَذَا ثُمَّ يَعْتِشُ غَيْرَهُ      وَيَسْلَاهُمْ مِنْ فُورِهِ جِئْنَ يُصْبِحُ  
 وَكَانَ فُؤَادِي صَاحِيًا قَبْلَ حُبِّكُمْ      وَكَانَ بِحُبِّ الْخَلْقِ يَلْهُو وَيَمْرُحُ  
 فَلَمَّا دَعَا قَلْبِي هَوَاكَ أَجَابَهُ      فَلَسْتُ أَرَاهُ عَنْ وَدَادِكَ يَبْرَحُ  
 رُمِيتُ بِهَجْرٍ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ كَاذِبًا      وَإِنْ كُنْتُ فِي الدُّنْيَا بِغَيْرِكَ أَفْرَحُ  
 وَإِنْ كَانَ شَيْءٌ فِي الْبِلَادِ بِأَسْرَهَا      إِذَا غَبَتْ عَنْ عَيْنِي عِنْدِي يَمْلُحُ  
 فَإِنْ شِئْتَ وَاصِلِي وَإِنْ شِئْتَ لَمْ تَصِلْ      فَلَسْتُ أَرَى قَلْبِي لِغَيْرِكَ يَصْلُحُ  
 فَالْمَحَبَّةُ مَا دَامَتْ لَهَا وَنَظَرًا فَهِيَ عَذْبَةٌ الْمُبْتَدَأِ سَرِيعَةُ الْإِنْقِضَاءِ. فَإِذَا  
 وَقَعَتْ مُرْتَبَةً عَلَى التَّمَامِ فِي الْمَصَافَاةِ تَعَذَّرَتْ قُدْرَةُ الْقَلْبِ عَلَى هَوَاهُ، فَجِئْتُ  
 تَفْضِلُ أَفْهَامَ الْمُتَمَيِّزِينَ، وَتَبْطُلُ حِيلُ الْمُتَفَلْسِفِينَ.

وفي نحو ذلك يقول بعض الظرفاء:

طَوَى شَجَنًا فِي الصَّدْرِ فَالْدَمْعُ نَاشِرُهُ      فَ إِنْ أَنْتَ لَمْ تَعَذَّرْهُ فَالشُّوقُ عَادِرُهُ  
 هَوَى عَذَبَتْ مِنْهُ مَوَارِدُ بَدْرِهِ      فَلَمَّا نَمَى أَغْيَتْ عَلَيْهِ مَصَادِرُهُ

(١١) البيت الأول نسب إلى سديف بن ميمون في «طبقات ابن المعتز» ص ٤٠، والثاني  
 والخامس نسبا إلى المجنون كما في «البيان والتبيين» ٤٢/٢، والحيوان ١٦٩/١،  
 و«تزيين الأسواق» للأطاعي ص ٦٥.

وأنشدني أبو العباس أحمد بن يحيى لامرأة من قيس:

وَمَا كَيْسٌ فِي النَّاسِ يُحَمَّدُ رَأْيَهُ      فَيُوجَدُ إِلَّا وَهُوَ فِي الْحُبِّ أَحْمَقُ  
 وَمَا مِنْ فِتْنَى مَا ذَاقَ بُؤْسَ مَعِيشَةٍ      فَيَعْتِشِقُ إِلَّا ذَاقَهَا حِينَ يَعْتِشِقُ

وقال عمار بن عقيل بن بلال بن جرير: (١٢)

وَرَمَى الْهَوَى مِنَّا الْقُلُوبَ بِأَسْهُمٍ      رَمَى الْكُفَاةَ مَقَابِلَ الْأَعْدَاءِ \*  
 وَمِنْ الْعَجَائِبِ قَتْلُهُ لِكِرَامِنَا      وَشِدَادِنَا بِمَكَائِدِ الضُّعَفَاءِ (١٣)

وقال أبو دلف:

الْحَرْبُ تَضْحَكُ عَنْ كَرِّي وَإِقْدَامِي      وَالْخَيْلُ تَعْرِفُ آثَارِي وَأَقْدَامِي  
 سَيْفِي مُدَامِي وَرِيحَانِي مُثَقَّفَةٌ      وَهَيْمَتِي مِقْسَةُ التَّقْصِيمِ لِلْهَامِ  
 وَقَدْ تَجَرَّدَ لِي بِالْحُسْنِ مُنْهَرِدًا      أَنْصَى وَأَشْجَعُ مِنِّي يَوْمَ إِقْدَامِي  
 سَلْتُ لَوَاحِظُهُ سَيْفَ السَّقَامِ عَلَى      جِسْمِي رُبْعَ أَسْقَامِ (١٤)

وقال آخر:

أَلَا قَاتَلَ اللَّهُ الْهَوَى كَيْفَ يَقْتُلُ      وَكَيْفَ بِأَكْبَادِ الْمُجِبِّينَ يَفْعَلُ  
 فَلَا تَعْدُلْنِي فِي هَوَايَ فَإِنِّي      أَرَى سُرُورَةَ الْأَبْطَالِ فِي الْحُبِّ تَبْطُلُ

وقال آخر:

الْحُبُّ يَتْرُكُ مَنْ أَحَبَّ مُدْلَهُا      حَيْرَانَ أَوْ يَقْضِي عَلَيْهِ فَيُسْرِعُ

(١٢) عمار بن عقيل بن جرير، شاعر عباسي من أهل اليمامة المتوفى سنة ٢٣٩هـ. انظر:

معجم الشعراء ص ٢٤٧، تاريخ بغداد ٢٨٢/١٢، طبقات ابن المعتز ص ١٤٩.

(١٣) في «م» والمطبوع: بمكائد.

(١٤) هو القاسم بن عيسى.. شاعر أديب شجاع، قلده الرشيد أعمال الجبل، المتوفى سنة

٢٢٥هـ. انظر: معجم الشعراء ص ٢١٦، تاريخ بغداد ٢٨٠/١٢، عيون الأخبار

٣٢٥/٢. وفي عجز البيت الرابع نقص لم نهند إليه.



أَلْحَبُّ أَهْوَاهُ شَدِيدُ فَادِحٍ  
مَنْ كَانَ ذَا حَزْمٍ وَعَزْمٍ فِي الْهَوَى  
يَهْنُ الْقَوِيُّ مِنَ الرِّجَالِ فَيَضْرَعُ  
وَشَجَاعَةً فَالْحَبُّ مِنْهُ أَشْجَعُ

وقال النابغة الذبياني:

لَوْ أَنَّهَا عَرَضْتُ لِأَشْمَطِ رَاهِبٍ  
لَرْنَا لِبَهْجَتِهَا وَحُسْنِ حَدِيثِهَا  
أَسْعُ الْبِلَادِ إِذَا أَتَيْتُكَ زَائِراً  
وَلَخَالَهُ رَشْداً وَإِنْ لَمْ يَرْشِدِ  
يَدْعُو الْإِلَهِ صَرُورَةً مُتَعَبِّدٍ (١٥)  
وَإِذَا هَجَرْتُكَ ضَاقَ عَنِّي مَقْعَدِي

وأنشدني أعرابية بالبادية:

تَبَصَّرَ خَلِيلِي بَيْنَ وَابِشٍ  
ظَعَائِنُ يَسْلُبْنَ أَلْفَتِي أَلْغَرَّ عَقْلُهُ  
وَبَيْنَ أَخِي مِنْ ظَعَائِنِ كَأَلْأَثَلِ (١٦)  
وَذَا الْأَهْلِ حَتَّى لَا يُبَالِي بِالْأَهْلِ

وقال آخر:

أَرْوَحُ وَلَمْ أُحْدِثْ لِلَّيْلِ زِيَارَةً  
تُرَابٌ لِأَهْلِي لَا وَلَا نِعْمَةً لَهُمْ  
لَبَسَ إِذَا رَاعِي الْمَوَدَّةِ وَالْوَصْلِ  
لَشَدَّ إِذْنٌ مَا قَدْ تَعَبَّدَنِي أَهْلِي (١٧)

وقال ماني: (١٨)

مُكْتِيبٌ دُو كَبِيدٍ حَرَّى  
تَبْكِي عَلَيْهِ مُقْلَةً عَبْرَى

(١٥) الديوان ص ٤١.

(١٦) في «م» والمطبوع: واثش، أحي. والصواب ما أثبتناه. و«وابش» واد وجبل بين وادي القرى والشام. و«أخي» جبل، والأختيان جبلان في حق ذي العرجاء على الشبيكة. وهوام في بطن واد فيه ركابا كثيرة. انظر معجم البلدان.

(١٧) البيتان نسباً إلى المجنون، وهما في الديوان ص ٢٣٢، وشرح الحماسة للمرزوقي ص ١٣١٨، وأما في طبقات ابن المعتز ص ٣٢٩، والمؤتلف والمختلف ص ٦٨ فقد نسباً إلى أبي هلال الأحدب.

(١٨) ماني الموسوس، محمد بن القاسم أبوالحسن من أهل مصر، نزل بغداد، وهو متوكلي. انظر: معجم الشعراء ص ٣٨٧، وطبقات الشعراء (نشرة عباس إقبال) ص ١٨١.

يَرْفَعُ يُمْنَاهُ إِلَى رَبِّهِ  
يَبْقَى إِذَا كَلُمْتَهُ بَاهِتاً  
يَدْعُو وَفَوْقَ الْكَبِيدِ الْيُسْرَى  
وَنَفْسُهُ مِمَّا بِهِ سَكْرَى  
تَحْسَبُهُ مُسْتَمِعاً نَاصِثاً  
وَقَلْبُهُ فِي أُمَةٍ أُخْرَى

وقال غيره وهو مجنون بني عامر:

وَشُعِلْتُ عَنْ فَهْمِ الْحَدِيثِ سَوَى  
وَأَدِيمُ نَحْوَ مُحَدِّثِي نَظْرِي  
مَا كَانَ فِيكَ وَحُبُّكُمْ شُغْلِي  
أَنْ قَدْ فَهِمْتُ وَعِنْدَكُمْ عَقْلِي (١٩)

وقال آخر:

مَنْ كَانَ لَمْ يَدْرِ مَا حُبٌّ وَصَفْتُ لَهُ  
أَلْحَبُّ أَوَّلُهُ رَوْعٌ وَآخِرُهُ  
إِنْ كَانَ فِي غَفْلَةٍ أَوْ كَانَ لَمْ يَجِدِ  
مِثْلُ الْحَرَارَةِ بَيْنَ الْقَلْبِ وَالْكَبِيدِ

وقال الحسين بن مطير الأسدي وهو من جيد ما قيل في معناه: (٢٠)

قَضَى اللَّهُ يَا أَسْمَاءُ أَنْ لَسْتُ زَائِلاً  
فَحُبُّكَ بَلَوَى غَيْرَ أَنْ لَا يَسْرُنِي  
أُحِبُّكَ حَتَّى يُغِمِّضَ الْعَيْنَ مُغْمِضُ  
وَإِنْ كَانَ بَلَوَى أَنَّنِي لَكَ مُبْغِضُ  
إِذَا مَا صَرَفْتُ الْقَلْبَ فِي حُبِّ غَيْرِهَا  
فَيَا لَيْتَنِي أَقْرَضْتُ جَلْداً صَبَابَتِي  
إِذَا حُبُّهَا مِنْ دُونِهِ يَتَعَرَّضُ  
وَأَقْرَضَنِي صَبْراً عَلَى الشَّوْقِ مُقْرِضُ

أَمَّا قَوْلُهُ فَحُبُّكَ بَلَوَى فَكَلَامٌ قَبِيحٌ أَلْمَعْنَى، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِنْ كَانَ صَادِقاً فِي هَوَاهَا، مُخْتَاراً لَهَا عَلَى مَا سِوَاهَا، فَقَدْ أَتَى عَلَى نَفْسِهِ إِذْ جَعَلَ إِيخَارَهُ مُضْراً

(١٩) البيتان في ديوان المجنون ص ٢٣٤، وكذلك في مصارع العشاق ص ٢٨٣.

(٢٠) انظر ترجمته في طبقات ابن المعتز ص ١١٤ وسمط اللآلئ ص ٤٠٩، والموشح ص ٣٦٠ وتهذيب ابن عساكر ٤/٣٦٢، ومعجم الأدباء ١٠/١٦٦ وفوات الوفيات ١/٢٨٥ وخزانة الأدب ٢/٤٨٥ والبيت الأول في تهذيب ابن عساكر ٤/٣٦٣ مع اختلاف في الرواية، وكذلك البيت الثاني. وأما البيت الثالث فقد ورد في سمط اللآلئ ص ٥٠٩، وقد جاء البيت الرابع في مجالس ثعلب ١/٢٢٠ مع اختلاف في الرواية.

بِقَلْبِهِ. وَإِنْ كَانَ لَمْ يَدْخُلْ فِي الْهَوَى مُخْتَارًا، وَإِنَّمَا وَقَعَ بِهِ إِضْطِرَارًا، فَقَدْ أَخْطَأَ إِذْ سَمَّى مَا هُوَ مُوجُودٌ فِي طَبْعِهِ مُفَارِقٌ لِنَفْسِهِ بِأَسْمِ الْبُلْوَى الَّتِي تَعْرِضُ لَهُ، وَتَنْصَرِفُ عَنْهُ. وَأَمَّا إِخْبَارُهُ بِأَنَّهُ لَا يُسَرُّ بِأَنْ يَكُونَ مُبْغِضًا لَهَا، فَكَلَامٌ لَوْ سَكَتَ عَنْهُ كَانَ أَوْلَى. أَوْ أَنْ يَكْفَهُ أَنَّهُ مَبْتَلَى عِنْدَ نَفْسِهِ بِهَوَاهَا، حَتَّى يُرِيدَ مَعَ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مُبْغِضًا مَائِلًا إِلَى سِوَاهَا غَيْرَ أَنِّي أَرْجِعُ إِلَى مَنْ مَلَكَهُ الْإِشْفَاقُ، وَغَلَبَ عَلَى قَلْبِهِ الْإِشْتِيَاقُ، عُدْرًا بِأَنْ يُظْهِرَ مَا يَضْمُرُ سِوَاهُ، وَيَتَمَنَّى لِنَفْسِهِ غَيْرَ مَا يَهْوَاهُ، أَلَمْ يَسْمَعْ الَّذِي يَقُولُ:

مِنْ حُبِّهَا أَتَمَنَّى أَنْ يُلَاقِيَنِي مِنْ نَحْوِ بِلْدَتِهَا نَاعٍ فَيَنْعَاهَا  
كَيْمَا أَقُولَ فِرَاقُ لَا أَلْتَقَاءَ لَهُ وَتَضْمُرُ النَّفْسُ يَأْسًا ثُمَّ تَسْلَاهَا

وَهَذَا لَعَمْرِي سَرَفٌ شَدِيدٌ، وَطَرِيقُ الْإِعْتِدَارِ لِفَائِلِهِ بَعِيدٌ، وَأَقْرَبُ مِنْهُ قول أبي عبادَةَ الوليد بن عبيد الطائي: (٢١)

مُقِيمٌ بِأَكْنَافِ الْمَصْلَى تَصِيدُنِي لِأَهْلِ الْمَصْلَى ظَنِيَّةٌ لَا أَصِيدُهَا  
أُرِيدُ لِنَفْسِي غَيْرَهَا جِئْتُ لَا أَرَى مُقَارَبَةً مِنْهَا وَنَفْسِي تُرِيدُهَا (٢٢)

وَهَذَا الْكَلَامُ أَيْضًا حَسَنُ الظَّاهِرِ قَبِيحُ الْبَاطِنِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يُعَبِّرُ عَنْ صَاحِبِيهِ أَنَّهُ إِنَّمَا يُرِيدُهَا مَا دَامَتْ تُوَاصِلُهُ، فَإِذَا هَجَرَتْهُ أَنْصَرَفَ عَنْهَا قَلْبُهُ، إِلَّا أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ مُقْصِرًا فِي هَذَا الْبَيْتِ فَمَا قَصَرَ فِي قَوْلِهِ:

يَهْوَاكِ لَا أَنَّ الْغَرَامَ أَطَاعَهُ حَتْمًا وَلَا أَنَّ السُّلُوَ عَصَاهُ  
مُتَخَيِّرُ أَلْفَاكِ خَيْرَةً نَفْسِهِ مِمَّنْ نَاهَا أَلُوْدُ أَوْ أَدْنَاهُ (٢٣)

وهذا ضد قول أبي علي البصير:

لَوْ تَخَيَّرْتُ مَا عَشِيقْتُ وَلَوْ مِلْتُ كُنْتُ أَمْرِي عَرَفْتُ وَجْهَ الصَّوَابِ (٢٤)

وأفصح من هذا القول الذي يقول:

إِنَّ الَّذِي بَعْدَ ابِي ظَلُّ مُفْتَخِرًا هَلْ كُنْتُ إِلَّا مَلِيكًا جَارَ إِذْ قَدَرَا  
لَوْلَا الْهَوَى لَتَحَارَبْنَا عَلَى قَدَرٍ وَإِنْ أَفُقَ لَكَ يَوْمًا مَا فَسَوَفَ تَرَى

هَذَا يَتَوَعَّدُ مُحِبُّوهُ بِالْعِقَابِ. وَهُوَ أَسِيرٌ فِي يَدِهِ يَجْرِي عَلَيْهِ حُكْمُهُ وَيَنْفُذُ فِيهِ، فَكَيْفَ لَوْ قَدْ مَلَكَ نَفْسَهُ وَقَدِرَ عَلَى الْإِنْصَافِ مِنْ خُصْمِهِ؟ هَذِهِ حَالٌ لَا يُخْبِرُ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ إِلَّا مَنْ قَدْ غَلِبَ عَلَى عَقْلِهِ، أَوْ تَحَيَّرَ فِي أَمْرِهِ. وَقَدْ قَالَ جَمِيلٌ فِي قَرِيبٍ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلًا مَلِيحًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعْنَاهُ عِنْدَنَا صَحِيحًا وَهُوَ:

فَيَا رَبِّ حَبِّبِي إِلَيْهَا وَأَعْطِنِي أَلَمَ سَوْدَةٍ مِنْهَا أَنْتَ تُعْطِي وَتَمْنَعُ  
وَالَا فَصْبِرْنِي وَإِنْ كُنْتُ كَارِهًا فَإِنِّي يَا ذَا الْمَعَارِجِ مُوَلِّعُ

وللمجنون ما هو أفصح منه:

فَيَا رَبِّ سَوِّ الْحُبَّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا كَفَافًا فَلَا يَرْجَحْ لِلْيَلَى وَلَا لِيَا  
وَالَا فَبَغِضْهَا إِلَيَّ وَأَهْلَهَا تَكُنْ نِعْمَةً ذَا الْعُرْشِ أَهْدَيْتَهَا لِيَا (٢٥)

وأنشدني أبو العباس محمد بن يزيد النحوي ليزيد بن الطثرية في ضد

هذا المعنى:

يَقُولُونَ صَبْرًا يَا يَزِيدُ إِذَا نَأَتْ وَيَا رَبِّ لَا تَرْزُقْ عَلَى حُبِّهَا صَبْرًا (٢٦)

(٢٤) أبو علي البصير من شعراء الدولة العباسية، وقد جمع شعره وترجم له الدكتور يونس

أحمد السامرائي ونشره في بغداد. وهو الفضل بن جعفر كما في الكامل ٩/١ وانظر

طبقات ابن المعتز ص ٣٩٨ ومعجم الشعراء ص ٣١٤.

(٢٥) البيتان في الديوان ص ٢٩٨.

(٢٦) البيت في مجموع شعره ص ٤٠.

(٢١) في «م» والمطبوع: أبي الوليد بن عبيد الطائي.

(٢٢) البيتان من قصيدة في ديوان البحري ص ٥٣١ - ٥٣٢.

(٢٣) البيتان من قصيدة في الديوان ص ٢٤٠٢.

فَهَذَا يَخْتَارُ لِنَفْسِهِ الْبَلَاءَ ضَنًّا بِمَحَلِّهَا مِنَ الْهَوَى. وَلَعُمْرِي إِنَّ هَذِهِ لَحَالٌ  
وَكِيدَةٌ، وَإِنَّهَا لَوْ فَارَقَتْهُ حَتَّى يَرَى نَفْسَهُ بِعَيْنِ الْحُرِّيَّةِ مِنْ مُلْكِهَا لَانْتَقَلَ عَنْ رَأْيِهِ  
وَنَدِمَ عَلَى وَفَائِهِ.

وَقَدْ حَدَّثَنِي مَرْيَمُ الْأَسَدِيَّةُ<sup>(٢٧)</sup> قَالَتْ سَمِعْتُ أَمْرَأَةً عَقِيلِيَّةً تَقُولُ وَهِيَ  
عَلَى بَعِيرٍ لَهَا تَسِيرُ:

سَقِينَا سُلُوءَ فَسَلَا كِلَانَا أَرَاكَ اللَّهُ نِعْمَةً مِنْ سَقَانَا

قَالَتْ مَرْيَمُ: فَسَأَلْتُهَا عَنْ خَبَالِهَا، فَقَالَتْ: كُنْتُ أَهْوَى ابْنَ عَمٍّ لِي،  
فَقَطِنَ بِي بَعْضُ أَهْلِي، فَسَقُونِي وَإِيَّاهُ شَيْئًا، فَسَلَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا عَنْ صَاحِبِهِ.  
وَهَذِهِ حَالٌ قَلَّ مَا يَقَعُ مِثْلُهَا وَهِيَ الْأَطْفُ مَحَلًّا مِنْ كُلِّ مَا ذَكَرْنَاهُ وَمَا نَذْكُرُهُ  
بَعْدَهَا، لِأَنَّا إِنَّمَا نَصِفُ مَنْ أَثَرَ الْمَقَامَ مَعَ مَنْ يَهْوَاهُ، عَلَى السُّلُوءِ عَنْهُ وَالرَّاحَةِ  
مِنْ آذَاهُ، وَهُوَ بَعْدُ مُقِيمٌ فِي هَوَاهُ. وَصَاحِبَةُ هَذَا أَلْبَيْتِ قَدْ سَلَتْ عَنْ مَحْبُوبِهَا  
وإِنَّمَا تَتَأَسَّى عَلَى الْعُشْقِ لَا عَلَى الْمَعْشُوقِ، وَفِي مِثْلِ هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ  
بَعْضُ الْهَذَلِيِّينَ: <sup>(٢٨)</sup>

إِذَا مَا سَأَلْتُكَ وَعَدًا تُرِيحُ بِهِ مُهَجَّتِي فَأَنَا الْمُسْتَرِيحُ  
فَلَا تُعْطِنِي الْوَعْدَ خَوْفَ السُّلُوءِ فَإِنِّي عَلَى حَسْرَاتِي شَجِيحُ  
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الصَّبْرِ عَنْكَ فَوَادُ قَرِيحُ وَقَلْبُ جَرِيحُ

ولقد أحسن الوليد بن عبيد حيث يقول:

وَيُعْجِبُنِي فَقْرِي إِلَيْكَ وَلَمْ يَكُنْ لِيُعْجِبْنِي لَوْلَا مَحَبَّتُكَ الْفَقْرُ  
وَمَا لِي عُذْرٌ فِي جُحُودِكَ نِعْمَةً وَلَوْ كَانَ لِي عُذْرٌ لَمَا حَسَنَ الْعُذْرُ<sup>(٢٩)</sup>

<sup>(٢٧)</sup> لم أهتم إلى ترجمتها.

<sup>(٢٨)</sup> لم أتبن هذا الهذلي بين الهذليين في شرح أشعار الهذليين، وديوان الهذليين والمصادر  
الأخرى.

<sup>(٢٩)</sup> ديوان البحري ص ٨٤٧ مع اختلاف في الرواية.

وأحسن الذي يقول:

وَمَا سَرَّنِي أَنِّي خَلِيٌّ مِنَ الْهَوَى عَلَى أَنْ لِي مَا بَيْنَ شَرْقٍ إِلَى غَرْبٍ  
فَإِنْ كَانَ هَذَا الْحُبُّ ذَنْبِي إِلَيْكُمْ فَلَا غَفَرَ الرَّحْمَانُ ذَلِكَ مِنْ ذَنْبٍ

وأحسن أيضاً الذي يقول:

أَحْبَبْتُ قَلْبِي لَمَّا أَحَبَّكُمْ وَصَارَ رَأْيِي لِرَأْيِهِ تَبَعًا  
وَرُبُّ قَلْبٍ يَقُولُ صَاحِبُهُ تَعَسَّأَ لِقَلْبِي فَيْشَ مَا صَنَعَا

وأشدني أحمد بن يحيى عن الزبير بن بكار لجميل بن معمر:

خَلِيلِي فِيمَا عَشْتُمَا هَلْ رَأَيْتُمَا قَتِيلًا بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي  
فَلَوْ تَرَكَتْ عَقْلِي مَعِيَ مَا تَبِعْتُمَا وَلَكِنْ طَلَبْتُمَا لِمَا فَاتَ مِنْ عَقْلِي<sup>(٣٠)</sup>

وَهَذَا الْمَعْنَى الَّذِي فِي أَلْبَيْتِ الثَّانِي دَاخِلٌ فِيمَا عَيْنَاهُ مِنْ أَنَّ مَنْ أَقْبَلَ  
عَلَى مَنْ يَهْوَاهُ مَا دَامَ مُفْتَقِرًا إِلَيْهِ، فَلَيْسَتْ لَهُ فِي ذَلِكَ مَنَّةٌ عَلَيْهِ. وَحَدَّثَنِي  
أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى النَّحْوِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ الْقُرَوِيِّ<sup>(٣١)</sup> قَالَ:  
حَدَّثَنِي أَخِي عِمْرَانُ بْنُ مُوسَى<sup>(٣٢)</sup> قَالَ: أَخْبَرَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا: أَنَّ الْمَجْنُونَ  
لَمَّا تَغَوَّلَ كَانَ لَا يُؤْخَذُ مِنْهُ الشَّعْرُ إِلَّا أَنْ يَجْلِسَ الرَّجُلُ قَرِيبًا مِنْهُ، فَيَنْشِدُ  
النَّسِيبَ فَيَرْتَاحَ إِلَيْهِ، فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَنْشَدَ. قَالَ فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِهِ رَجُلٌ فَأَنْشَدَهُ  
بَيْتًا مِنَ النَّسِيبِ، فَقَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا ثُمَّ أَنْشَدَهُ:

عَجِبْتُ لِدَاكَ عُرْوَةً كَيْفَ أَضْحَى أَحَادِيثًا لِقَوْمٍ بَعْدَ قَوْمٍ  
وَعُرْوَةٌ مَاتَ مَوْتًا مُسْتَرِيحًا وَهَاءَ نَدَا أُمُوتَ كُلِّ يَوْمٍ<sup>(٣٣)</sup>

<sup>(٣٠)</sup> انظر ديوان جميل، ص. ص. ٩٨، ٩٩.

<sup>(٣١)</sup> لم أجد فيمن حدث عنهم أبو العباس أحمد بن يحيى من دُعي «القروي» ولعله  
«المروى».

<sup>(٣٢)</sup> ولم أجد بينهم من دُعي «عمران بن موسى».

<sup>(٣٣)</sup> لم أجد ههما في الديوان، غير أني وجدت ههما في «بسط سامع المسامر» ص ٣٧.

مَنْ تَدَاوَى بِدَائِهِ لَمْ يَصِلْ إِلَى شِفَائِهِ

قَدْ ذَكَّرْنَا فِي صَدْرِ هَذَا الْكِتَابِ أَنَّ أَصْلَ الْهَوَى يَتَوَلَّدُ مِنَ النَّظَرِ  
وَالسَّمْعِ، ثُمَّ يَنْبِئُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ، فَإِذَا كَانَ النَّظَرُ أَصَاحِي إِلَى الصُّورَةِ  
الَّتِي يَسْتَحْسِنُهَا طَرَفُهُ مُؤَكِّدًا لِلْمَنْظُورِ إِلَيْهِ الْمَحَبَّةَ فِي قَلْبِهِ، كَانَ نَظَرُ الْمُحِبِّ  
بَعْدَ تَمَكُّنِ الْمَحَبَّةِ لَهُ أُخْرَى أَنْ يَغْلِبَهُ عَلَى لُبِّهِ، وَيَزِيدَهُ كَرَبًا عَلَى كَرِبِهِ. أَلَا  
تَرَى أَنَّ مَنْ حُمَّ يَوْمَيْنِ مُتَوَالِيَيْنِ كَانَ أَلَمُهُ فِي الثَّانِي مِنَ الْيَوْمَيْنِ إِذَا تَسَاوَى  
مِقْدَارُ الْحَمَمَيْنِ أَصْعَبَ إِلَيْهِ فِي أَوَّلِ الْيَوْمَيْنِ؟

وفي مثل ذلك يقول حبيب بن أوس الطائي: (١)

بَعَثَنَ الْهَوَى فِي قَلْبِ مَنْ لَيْسَ هَائِمًا فَقُلْ فِي فُؤَادِ رُغْنَةٍ وَهُوَ هَائِمٌ

وقال غيلان بن عقبة في نحو ذلك: (٢)

خَلِيلِي لَمَّا خِفْتُ أَنْ تَسْتَفْزِنِي أَحَادِثُ نَفْسِي بِالْهَوَى وَاهْتِمَامُهَا  
تَدَاوَيْتُ مِنْ مَيِّ بِتَكْلِيمَةِ لَهَا فَمَا زَادَ إِلَّا ضِعْفَ شَوْقِي كَلَامُهَا

وقال أيضاً:

وَكُنْتُ أَرَى مِنْ وَجْهِ مَيَّةَ لَمَحَةً فَأَبْرَقَ مَغْشِيًا عَلَيَّ مَكَانِيَا  
وَأَسْمَعُ مِنْهَا لَفْظَةً فَكَأَنَّهَا يُصِيبُ بِهَا سَهْمُ طَرِيقِ فُؤَادِيَا  
تُطِيلِينَ لَيَانِي وَأَنْتِ مَلِيَّةٌ وَأَحْسِنُ يَا ذَاتَ الْوَسَّاحِ التَّقَاضِيَا

(١) أبو تمام، والبيت في ديوانه ١٧٣/٣.

(٢) الشاعر المعروف بـ «ذو الرمة»، والبيتان في الديوان ص ٦٣٧ مع اختلاف في الرواية.

وأنشدني بعض الأدباء للمجنون أيضاً:

أَرَانِي إِذَا صَلَّيْتُ يَمُمْتُ نَحْوَهَا أَمَامِي وَإِنْ كَانَ الْمُصَلَّى وَرَائِيَا  
وَمَا بِي إِشْرَاكَ وَلَكِنْ حُبُّهَا مَكَانَ الشَّجَى أَعْيَا الطَّبِيبَ الْمَدَاوِيَا  
أُصَلِّي فَمَا أَدْرِي إِذَا مَا ذَكَرْتُهَا أَتُبْتَنِي صَلَّيْتُ الضُّحَى أَمْ ثَمَانِيَا  
وَمَا جِئْتُهَا أَبْغِي شِفَائِي بِنَظَرَةٍ فَأَبْصَرْتُهَا إِلَّا أَنْصَرَفْتُ بِدَائِيَا (٣٤)

وأنشدني بعض الكتاب لنفسه:

وَلِي فُؤَادٌ إِذَا طَالَ السَّقَامُ بِهِ هَامٌ أَشْتِيَاقًا إِلَى لُقْيَا مُعَذِّبِهِ  
يَقْدِيكَ بِالنَّفْسِ صَبٌّ لَوْ يَكُونُ لَهُ أَعَزُّ مِنْ نَفْسِهِ شَيْءٌ فَذَاكَ بِهِ

□ □ □

(٣٤) الأبيات في الديوان ص ٢٩٩ مع اختلاف في الرواية.

هِيَ السِّحْرِ رُفِيَّةٌ وَأَنِّي لَا أَلْقَى مِنَ الْحَبِّ رَاقِيَا<sup>(٣)</sup>  
وقال أيضاً:

تَجْنُ إِلَى مَيِّ وَقَدْ شَطَّتِ النَّوَى وَمَا كُلُّ هَذَا الْحَبِّ غَيْرُ غَرَامٍ  
لَيَالِي مَيِّ مَوْتُهُ ثُمَّ نَشْرُهُ لَمَّا أَلْمَحْتُ مِنْ نَظَرِهِ وَكَلَامِ<sup>(٤)</sup>

وقال آخر:

يَقُولُونَ لَيْلَى بِالْعِرَاقِ مَرِيضَةٌ فَأَقْبَلْتُ مِنْ مِصْرٍ إِلَيْهَا أَعُودُهَا  
فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي إِذَا أَنَا جِئْتُهَا أَأَبْرِئُهَا مِنْ دَائِهَا أَمْ أَزِيدُهَا<sup>(٥)</sup>

ولقد أحسن الطائي حيث يقول: <sup>(٦)</sup>

أَمْتَعْتُ طَرْفِي يَوْمَ ذَلِكَ بِنَظَرِهِ لَا تُنَمِّعُ الْأَرْوَاحَ بِالْأَجْسَادِ

وأشدني أبو طاهر الدمشقي: <sup>(٧)</sup>

دَوَائِي مَكْرُوهِي وَدَائِي مَحَبَّتِي فَقَدْ عِيلَ صَبْرِي كَيْفَ بِي أَتَقَلَّبُ \*  
فَلَا كَمَدٌ يَبْلَى وَلَا لَكَ رَحْمَةٌ وَلَا عَنْكَ إِفْصَارٌ وَلَا عَنْكَ مَذْهَبٌ

وقال علي بن محمد العلوي: <sup>(٨)</sup>

كَمْ نَظَرَةٍ مِنْهَا شَجِيتُ لَهَا قَامَتْ مَقَامَ الْفَقْدِ لِلنَّظَرِ

(٣) ديوان ذي الرمة ص ص ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣.

(٤) ديوان ذي الرمة ص ٦٠٠ مع اختلاف في الرواية.

(٥) البيتان نسبا إلى المجنون في ديوانه ص ١٠٧، وانظر «اللسان» (شلم).

(٦) البيت في الديوان (نشرة الخياط) ص ٣٠، ورواية الصدر، اتبعت سيفك من يديك بضربة.

(٧) هو أحمد بن بشر الدمشقي، أبو طاهر، وقد تقدم التعريف به. والبيتان من مقطوعة تغنت بها أم كلثوم من فائزات عصرنا المجودات، ورواية الثاني كما غنته: فلا كبدي تبلي...

(٨) لم أهد إلى هذا «العلوي» الذي زاده المصنف فقال الكوفي في غير موضع من «الزهرة»، لم أجده في كتب الرجال ومجاميع الشعر، وقد ذهب بي الظن أنه من الشيعة ففزعته إلى =

وَلَيْ بِأَوْطَارِي وَلَسْتُ أَرَى عَيْشًا يُهَشُّ لَهُ بِلَا وَطَرٍ  
وأشدنا أحمد بن أبي طاهر:

نَارَ عَيْنِي مِنْ طَرْفِهِ الْوَحْيَا وَهُمْ أَنْ يَنْطِقَ فَاسْتَحْيَا  
جَرَّدَ لِي سَيْفَيْنِ مِنْ لَحْظِهِ أَمَاتَ عَنْ ذَا وَبِذَا أَحْيَا

وقال الحسين بن الضحاك المعروف بالخليع <sup>(٩)</sup>:

وَأَتَانِي مُفْجِئٌ بِغُرَّتِهِ قُلْتُ لَهُ إِذْ خَلَوْتُ مُحْتَشِمَا  
تُحِبُّ بِاللَّهِ مَنْ يَخْصُكَ بِالْحَبِّ فَمَا قَالَ: «لَا» وَلَا «نَعْمَا»  
ثُمَّ تَوَلَّى بِمُفْلَتِي خَجِلٌ أَرَادَ رَدَّ الْجَوَابِ فَاحْتَشَمَا  
فَكُنْتُ كَالْمُبْتَغِي بِحِيلَتِهِ بُرْءًا مِنَ السُّقْمِ فَابْتَدَا سَقَمَا

وقال آخر:

تَأَمَّلْتُهَا مُغْتَرَّةً فَكَأَنَّمَا رَأَيْتُ بِهَا مِنْ سُنَّةِ الْبَدْرِ مَظْلَعَا  
إِذَا مَا مَلَأَتْ أَلْعَيْنَ مِنْهَا «مَلَأْتُهَا» مِنْ الدَّمْعِ حَتَّى أَتَرَفَ الدَّمْعُ أَجْمَعَا

وقال آخر:

تَمَنَيْتُ مَنْ أَهْوَى فَلَمَّا لَقِيتُهُ بُهِتُ فَلَمْ أُعْمِلْ لِسَانًا وَلَا طَرْفَا  
فَأَغْضَيْتُ إِجْلَالًا لَهُ وَمَهَابَةً

وَحَاوَلْتُ أَنْ يَخْفَى أَلَّذِي بِي فَلَمْ يَخْفَى<sup>(١٠)</sup>

= مصادر الشيعة. فلم أجد فيها ضالتي. وقد وجدت له في زهر الأدب ٨١٢/٣، ٩٦٣ مختارات شعرية ولا أدري أهو صاحب الزنج؟

(٩) هو الحسين بن الضحاك المعروف بالخليع، أبو علي المتوفى سنة ٢٥٠. شاعر عباسي، انظر: الأغاني (الساسني) ١٦٥/٦ - ٢٠٥، تاريخ بغداد ٤٥/٨، تهذيب ابن عساكر

٢٩٧/٤، المؤلف للامدي ص ١١٣. وقد جمع عبدالستار فراج أشعاره.

(١٠) كذا في «م» و«المطبوع» وليس لنا أن نبذل بـ «لم» أداة نافية أخرى.

وأنشدني أحمد بن أبي طاهر لعلبي بن الجهم لنفسه<sup>(١١)</sup>:

وَلَمَّا سَبَدْتُ بَيْنَ الْوُشَاةِ كَأَنَّهَا  
عِنَاقٌ وَدَاعٌ يُشْتَهَى وَهَوٌ يَقْتُلُ  
أَيْسْتُ مِنَ الدُّنْيَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي  
لَيْنٌ عَجَلْتُ لِلْمَوْتِ أَوْحَى وَأَعْجَلُ<sup>(١٢)</sup>

وقال آخر:

أَيُّهَا النَّائِمُونَ حَوْلِي هَنِيئاً  
مَنْ رَأَيْتُ فَلَا يُدِيمَنَّ لَحْظاً  
هَكَذَا كُنْتُ حِينَ كُنْتُ خَلِيّاً  
وَلَيْكُنْ مِنْ جَلِيسِهِ سَامِريّاً

وقال مسلم بن الوليد:

أَوَيْرَا عَلَيَّ الْكَأْسَ لَا تَشْرَبَا قَبْلِي  
فَمَا حَزَنِي أَتَيْتُ أُمُوتُ صَبَابَةً  
أُحِبُّ أَلَّتِي صَدْتُ وَقَالَتْ لِتَرْبِهَا  
أَمَاتَتْ وَأَحْيَتْ مُهَجَّتِي فَهِيَ عِنْدَهَا  
وَمَا يَلْتُ مِنْهَا طَائِلًا غَيْرَ أَنِّي  
بَلَى رُبَّمَا وَكَلْتُ عَيْنِي بِنَظَرَةٍ  
وَلَا تَطْلُبَا مِنْ عِنْدِ قَاتِلَتِي دَحْلِي  
وَلَكِنْ عَلَى مَنْ لَا يَجِلُّ لَهَا قَبْلِي  
دَعِيهِ الثَّرِيّاً مِنْهُ أَقْرَبُ مِنْ وَصْلِي  
مُعَلَّقَةً بَيْنَ الْمَوَاعِيدِ وَالْمَطْلِ  
بِشَجْوِ الْمُعْنَيْنِ الْأَلَى سَلَفُوا قَبْلِي  
إِلَيْهَا تَزِيدُ الْقَلْبَ خَبَلًا عَلَى خَبَلٍ<sup>(١٣)</sup>

وقال أيضاً: <sup>(١٤)</sup>

عَرَفْتُ بِهَا الْأَشْجَانَ وَهِيَ خَلِيَّةٌ  
أَرَاهَا فَأُطْوِي لِلنَّصِيحِ عِدَاوَةً  
فَلَا سِيَّماً الْعُدَالَ فِيهَا مَلَامُهُمْ  
مِنْ الْحَبِّ لَا وَصْلٌ لَدَيْهَا وَلَا هَجْرُ  
وَأَحْمَدُ عُقْبَى مَا جَنَى النَّظْرُ الثَّرُورُ  
أَلَسْتُ إِذَا لَأَمُوا أَيْتُ وَلِي عَذْرُ

(١١) لا معنى للكلمة «لنفسه» وعلي بن الجهم أبو الحسن الشاعر البغدادي المتوفى سنة ٢٤٩.

انظر الأغاني (الدار) ٢٠٣/١٠ - ٢٣٤، سبط اللآلئ ص ٥٢٦، تاريخ بغداد ٣٦٧/١١.

(١٢) لم أجد البيتين في الديوان.

(١٣) المقطوعة من قصيدة في الديوان ص ٣٣، ٣٤، وانظر طبقات ابن المعتز ص ١١١ وفي «العمدة» لابن رشيق ١٣/٢ خمسة أبيات.

(١٤) المقطوعة في الديوان من قصيدة ص ٣١٤، ٣١٥.

شَكَرْتُ فَقَالُوا ضِغْتَ ذُرْعاً بِحُبِّهَا

أَلَمْتُ بِنَا فِي الْعَائِدَاتِ مِنْ أَهْلِهَا

ولبعض أهل هذا العصر:

إِذَا كَانَ الْإِلْقَاءُ يَزِيدُ شَوْقاً  
فَلَيْسَ إِلَى السُّلُوفِ وَإِنْ تَمَادَى  
وَمَنْ يَكُ ذَا سَقَامٍ إِنْ تَدَاوَى

وله أيضاً:

إِذَا زَارَ الْحَبِيبُ أُنَارَ شَوْقاً  
وَرَوَانِي بِعَيْنَيْهِ مُدَاماً  
فَوَصْلُ يُكْسِبُ الْمُشْتَاقَ سُقْمًا  
فَهَلْ يَصِلُ السَّقِيمُ إِلَى شِفَاءٍ

وله أيضاً:

أَغْرَيْتَنِي بِحَيَاتِي إِذْ غَرِيتَ بِهَا  
فَكَيْفَ يُنْعَشُ مَنْ أَرَادَهُ نَاعِشُهُ  
أَمْ كَيْفَ يَبْرَأُ قَلْبِي مِنْ صَبَابَتِهِ

وله أيضاً:

مَتَى يَا شِفَاءَ السُّقْمِ سُقْمِي مُنْقِضِي  
فَهَيْهَاتَ مَا هَذَا عَلَى ذَا بِمَقْلَعِ

وقال آخر:

وَمُخْتَلِسٍ بِالْلَحْظِ مَا لَا يَنَالُهُ  
وَفِي نَظَرِ الصَّادِي إِلَى أَلْمَاءِ حَسْرَةٍ

(١٥) في «م» و«المطبوع»: يقلع.

مَتَى تُمْلِكُ الشُّكُورَى إِذَا غُلِبَ الصَّبْرُ

فَأَذَكْتُ غَلِيلاً مَا لَدَيْهَا بِهِ خَبْرُ

وَكَانَ فِرَاقٌ مِنْ أَهْوَى يَشُوقُ  
عِتَابُكَ فِي الْهَوَى أَبَدًا طَرِيقُ  
تَزَايَدَ سُقْمُهُ فَمَتَى يُفِيقُ

تَفَتَّتْ مِنْ حَرَارَتِهِ الْعِظَامُ  
تَدِينُ بِسُكْرِ شَارِبِهَا أَلْمَدَامُ  
وَنَأْيُ لَا يَقُومُ لَهُ قَوَامُ  
إِذَا كَانَ الدَّوَاءُ هُوَ السَّقَامُ

فَصَارَ طُولُ بَقَائِي بَعْضَ أَعْدَائِي  
وَمَنْ يَرَى جِسْمَهُ رَأْيَ الْأَطْبَاءِ  
بِطَبِّكُمْ وَدَوَائِي عِنْدَكُمْ دَائِي

إِذَا مَا دَوَاءٌ كَانَ لِلدَّاءِ مُمْرِضِي  
أَجَلٌ لَا وَلَكِنْ مُدَّةُ الْعُمْرِ تَنْقِضِي<sup>(١٥)</sup>

قَرِيبٍ بِحَالِ النَّازِحِ أَلْمَتَاعِدِ  
إِذَا كَانَ مَمْنُوعًا سَبِيلَ الْمَوَارِدِ

وقال آخر:

خَلِيلِي أَصَحَّتْ حَاجَةٌ لِأَخِيكَمَا  
فَكَفَيْتَ طَلَابِي حَاجَةً لَا يَسْأَلُهَا  
فَهَلْ يَنْفَعُ الْحَرَّانَةَ الْكَبِيدُ أَنْ تَرَى  
وَهَلْ يَنْفَعُ الْعَيْنَ الشَّقِيَّةَ بِالْبُكََا  
بِتَوْضِيحِ وَالْحَاجَاتُ يُرْجَى بَعِيدُهَا  
بِرِيدِي وَلَا يَجْرِي إِلَيَّ بِرِيدُهَا  
حِيَاضُ الْقَرَى مِنْ دُونِهَا مَنْ يَذُودُهَا  
ذُرَى طَامِسِ الْأَعْلَامِ لَا بَلْ يَزِيدُهَا

وقال مجنون بني عامر:

تَدَاوَيْتُ مِنْ لَيْلَى بِلَيْلَى مِنَ الْهَوَى  
أَلَا زَعَمْتَ لَيْلَى بِأَنْ لَا أُجِبُهَا  
إِذَا ذُكِرَتْ يَرْتَاحُ قَلْبِي لِذِكْرِهَا  
كَمَا يَتَدَاوَى شَارِبُ الْخَمْرِ بِالْخَمْرِ  
بَلَى وَاللَّيَالِي الْعَشِيرُ وَالشَّفْعُ وَالْوَتَرُ  
كَمَا انْتَفَضَ الْعُصْفُورُ مِنْ بَلَلِ الْقَطْرِ (١٦)

وقال البحرى:

سَقَى اللَّهُ أَخْلَاقًا مِنَ الدَّهْرِ رَطْبَةً  
لَيَالٍ سَرَقْنَاهَا مِنَ اللَّهِوِ بَعْدَمَا  
تَدَاوَيْتُ مِنْ لَيْلَى بِلَيْلَى فَمَا أَشْفَى  
سَقَتْنَا الْحَوَى إِذْ أَتَرَقَ الْحَزَنُ أَتَرَقُ  
أَضَاءَ بِإِضْبَاحٍ مِنَ الشَّيْبِ مَفْرُقُ  
بِمَاءِ الرُّبَى مَنْ بَاتَ بِالمَاءِ يَشْرُقُ (١٧)

وقال جميل:

فَيَا حُسْنَهَا إِذْ يَغْسِلُ الدَّمْعُ كُحْلَهَا  
عَشِيَّةً قَالَتْ فِي الْعِتَابِ قَتَلْتَنِي  
فَقُلْتُ لَهَا جُودِي فَقَالَتْ مُجِيبَةً  
لَقَدْ جَعَلَ اللَّيْلُ الْقَصِيرُ لَنَا بِكُمْ  
وَإِذْ هِيَ تُذَرِّي الدَّمْعَ مِنْهَا الْأَنَامِلُ  
وَقَتْلِي بِمَا قَالَتْ هُنَاكَ تُحَاوِلُ  
الْلَجْدَ هَذَا مِنْكَ أَمْ أَنْتَ هَازِلُ  
عَلَيَّ لِرَوَعَاتِ الْهَوَى يَتَطَاوَلُ (١٨)

والأصل في هذا كله هو لامرئ القيس:

وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبِي بِسَهْمَيْكَ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقْتَلٍ (١٩)

وقال بشار بن برد (٢٠):

مَرِيضَةٌ مَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ بِالضَّنَى  
عِتَابُ الْفَتَى فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ  
وَفِيهَا دَوَاءٌ لِلْعُيُونِ وَدَاءُ  
وَتَقْوِيمُ أَضْغَانِ النِّسَاءِ عَنَاءُ

وقال سُحَيْمُ عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ:

تَجَمَّعْنَ مِنْ شَتَى ثَلَاثٍ وَأَرْبَعٍ  
يَعُدْنَ مَرِيضًا هُنَّ هَيَّجْنَ دَاءَهُ  
وَوَاحِدَةً حَتَّى كَمَلْنَ ثَمَانِيَا  
أَلَا إِنَّمَا بَعْضُ الْعَوَائِدِ دَائِيَا (٢١)

وقال آخر:

كَمَا تَيَقَّنْتَ أَنَّ الْحَيَّ قَدْ رَقَدُوا  
فَلَا بَلَغْتَ الَّذِي تَشْفِي الْغَلِيلَ بِهِ  
خَطَاكَ فَوْقَ رُقَابِ النَّاسِ مَا تَجِدُ  
وَلَا ظَفِيرَتَ وَلَا نَالَتْ يَدَيْكَ يَدُ

وقال آخر:

إِنَّ الَّذِينَ بِخَيْرٍ كُنْتَ تَذْكُرُهُمْ  
لَا تَطْلُبُنَّ حَيَاةً عِنْدَ غَيْرِهِمْ  
هُمْ أَهْلُكُوكَ وَعَنْهُمْ كُنْتَ أَنْهَاكَ  
فَلَيْسَ يُحْيِيكَ إِلَّا مَنْ تَوَفَّاكَ

فَهَذَا الْبَابُ مَعَ مَنْ قَدَمْنَا ذِكْرَهُ مَعَ نَظَائِرِهِ، قَدْ صَبَرَ عَلَى مَضَاضَةِ دَائِهِ،  
مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّهُ زَائِدٌ فِي دَائِهِ. وَلَمْ يَرَأْ أَنْ يَنْعَطِفَ إِلَى سِوَاهُ، وَلَا طَلَبَ الرَّاحَةَ إِلَّا  
مِنْ عِنْدِ مَنْ أَتْبَلَاهُ، وَهَذَا ضِدُّ الَّذِي يَقُولُ:

(١٩) البيت من مطولته المشهورة.

(٢٠) البيت من قصيدة في الديوان ١٥١/١.

(٢١) في «م» و«المطبوع»: عبيد بني حسحاس. وانظر ترجمته ومصادره في ص ٥ من الديوان.

(٢٢) البيتان من قصيدة في الديوان ص ٢٣، وفي «م» و«المطبوع» ثلاثاً وأربعاً.

(١٦) الأبيات في الديوان ص ١٦٠، وانظر ترجمة قيس بن ذريح في الأغاني (الدار) الجزء الثامن وكذلك ترجمة جميل.

(١٧) من قصيدة في الديوان ص ١٤٨٩ مع اختلاف في الرواية.

(١٨) الأبيات في الديوان ص ١١٦.

وَلَمَّا أَبَى إِلَّا جَمَاحاً فُرَادَهُ  
تَسْلَى بِأُخْرَى غَيْرَهَا فَيَا أَلَّتِي  
وَلَمْ يَسْلُ عَنْ لَيْلَى بِمَالٍ وَلَا أَهْلٍ  
تَسْلَى بِهَا تُغْرِي بِلَيْلَى وَلَا تُسْلِي (٢٣)

وضد الذي يقول:

تَسْلَيْتُ عَنْ ذِكْرِ الْحَبِيبِ بغيره  
فَمَا زَادَنِي إِلَّا أَشْيَاقاً وَحُرْقَةً  
وَمَا الْحُبُّ قَرْحَةً إِنْ نَكَاتَهَا  
فَلَا تُظْفِ نَارَ الْحُبِّ بِالْحُبِّ طَالِباً  
وَمِلْتُ إِلَيْهِ بِأَلْمَوْدَةِ وَالذِّكْرِ  
إِلَيْهِ وَلَمْ أَمْلِكْ سُلُوبِي وَلَا صَبْرِي  
بِأُخْرَى قَرَنْتُ الضَّرْمَنَ إِلَى الضَّرْمِ (٢٤)  
سُلُوباً فَإِنَّ الْجَمْرَ يَسْعَرُ بِالْجَمْرِ (٢٥)

وَهَذَا وَإِنْ كَانَ مُحَالِفاً لِذَلِكَ فِي أَنَّهُ جَرَّبَ الْأُدْوِيَّةَ عَلَى نَفْسِهِ، وَالتَّمَسَّ  
الرَّاحَةَ فِي الْفِئِ غَيْرِ الْفِئِ، فَإِنَّهُ مُوَافِقٌ لِلَّذِي يُقَدِّمُهُ فِي التَّمَاسِهِ مِنْ نَحْوِ الْجِهَةِ  
الَّتِي حَدَّثَتْ عَنْهَا الْأَدَاءُ فِي رُجُوعِ نَفْسِهِ إِلَى وَطَنِهَا، وَإِقْبَالِهَا بَعْدَ الْإِنْجِرَافِ  
عَلَى سَكْنِهَا.

وقال عبيد الراعي (٢٥):

بَنِي وَلَوْ بِشَيْءٍ قَدْ سَمِعْنَا جَوَارِكُمْ  
خَلِيلَانِ مِنْ شُعْبَيْنِ شَتَّى تَجَاوَرَا  
أَرَى آلَ هِنْدٍ لَا يُبَالِي أَمِيرُهُمْ  
وَمَا جَمَعَتْنَا نِيَّةً قَبْلَهَا مَعَا  
قَلِيلاً وَكُنَّا بِالتَّفَرُّقِ أَمْتَعَا  
عَلَى كَيْدِ الْمَحْزُونِ أَنْ تَتَقَطَّعَا (٢٦)

وقال علي بن الجهم:

عُيُونُ الْمَهَائِنِ الرُّصَافَةِ وَالْجِسْرِ  
جَلَبْنَ الْهَوَى مِنْ حَيْثُ أَذْرِي وَلَا أَذْرِي

(٢٣) البيتان نسباً إلى المجنون، انظر الديوان ص ٢٣١، وهما لابن الدمينية كما في الديوان  
ص ٢٤، وقد وردا في أمالي القاضي ١/٢١٣، ومصارع العشاق ص ١٤٦، وتزين  
الأسواق ص ٣٣.

(٢٤) في «م» و«المطبوع»: وما للحب إلا فرحة إن نكلتها.

(٢٥) هو عبيد بن حصين الراعي، انظر ترجمته وأخباره في مقدمة الديوان.

(٢٦) الأبيات في الصفحة ١٦٦ من الديوان مع اختلاف كبير في الرواية، وفي البيت اضطراب  
في الصدر.

أَعَدَنْ لِي الشُّوقَ الْقَدِيمَ وَلَمْ أَكُنْ  
وَقُلْنَ لَنَا نَحْنُ الْأَهْلَةُ إِنَّمَا  
فَلَا نَيْلَ إِلَّا مَا تَزُودُ نَاطِرُ

سَلَوْتُ وَلَكِنْ زِدَنْ جَمراً عَلَى جَمْرٍ  
تُضِيءُ لِمَنْ يَسْرِي بِلَيْلٍ وَلَا تَقْرِي  
وَلَا وَصَلَ إِلَّا بِالْخَيَالِ الَّذِي يَسْرِي (٢٧)

وقال آخر:

وَقَالُوا لَهَا هَذَا حَبِيبُكَ مُعْرِضاً  
فَمَا هُوَ إِلَّا نَظْرَةٌ بِتَبَسُّمٍ  
فَقَالَتْ أَلَا إِعْرَاضُهُ أَيْسَرُ الْخُطْبِ  
فَتَضَطُّكَ رِجْلَاهُ وَيَسْقُطُ لِلْجَنْبِ

وقال أبو صخر الهذلي:

وَإِنِّي لَا تَيْهَى وَفِي النَّفْسِ هَجْرُهَا  
فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فَجَاءَةً  
وَأَنْسى الَّذِي قَدْ جِئْتُ كَيْمَا أَقُولُهُ  
بِتَاتَا لِأُخْرَى الدَّهْرَ مَا طَلَعَ الْفَجْرُ  
فَأَبْهَتْ لَا عُرْفَ لَدَيَّ وَلَا نُكْرُ  
كَمَا قَدْ تُنْسِي لُبَّ شَارِبِهَا الْخَمْرُ (٢٨)

وقال آخر (٢٩):

وَكَيْفَ يُحِبُّ الْقَلْبُ مَنْ لَا يُحِبُّهُ  
وَكُنْتُ إِذَا مَا زُرْتُ لَيْلَى بِأَرْضِهَا  
تَحَلَّلُ أَحْقَادِي إِذَا مَا لَقَيْتُهَا  
بَلَى قَدْ تُرِيدُ النَّفْسُ مَنْ لَا يُرِيدُهَا  
أَرَى الْأَرْضَ تَطْوِي لِي وَيَذْنُو بَعِيدُهَا  
وَتَنْمِي بِلَا جُرْمٍ عَلَيَّ حُقُودُهَا

أَمَّا قَوْلُهُ: «تَحَلَّلُ أَحْقَادِي إِذَا مَا لَقَيْتُهَا» فَهُوَ كَلَامٌ صَحِيحٌ، وَلَوْ أَبْدَلَ اسْمَ  
الْحَقْدِ بغيره (٣٠) كَانَ أَحْسَنَ، لِأَنَّ الْحَقْدَ لَا يَتَوَلَّدُ إِلَّا عَنْ مُوجَدَةٍ، فَتَخْفَى فِي

(٢٧) الأبيات مع اختلاف الرواية في تكملة الدوان ص ٢٢٠، وانظر مقدمة الديوان.

(٢٨) نسبت الأبيات إلى المجنون كما في الديوان ص ١٣٠، وهي لأبي صخر الهذلي في أمالي

القالي ١/١٤٨ - ١٥٠، وشرح المرزوقي ص ١٢٣١، والشعر والشعراء ص ٣٥٥،

وعيون الأخبار ٤/١٣٨، وفي «م» و«المطبوع»: بيتاً.

(٢٩) أشار عبدالستار فراج في تعليق له في الصفحة ١٠٦ من ديوان المجنون إلى هذه الأبيات

وقال أنها شيء من داليتها المشهورة.

(٣٠) في «م» و«المطبوع»: بغيرها.



لَيْسَ بِلَيْبٍ مَنْ لَمْ يَصِفْ مَا بِهِ لَطِيبٌ

قَالَ أَبُو شُرَوَّانُ لِزُرْجَمَهَرٍ: مَتَى يَكُونُ «لَعَبِي» بَلِيغًا؟ فَقَالَ: إِذَا وَصَفَ هَوَى أَوْ حَيِيًّا.

وَقِيلَ لِبَعْضِ أَهْلِ هَذَا الْعَصْرِ: مَتَى يَكُونُ الْبَلِيغُ عَيًّا؟ فَقَالَ: إِذَا سُئِلَ عَمَّا يَتَمَنَّا، أَوْ شَكَ مَا بِهِ إِلَى مَنْ يَهْوَاهُ، وَقَالَ:

مَا يَعْلَمُ اللَّهُ أَنِّي مُذْ هَوَيْتُكُمْ أَطِيقُ إِظْهَارَ مَا أَلْقَاهُ بِاللَّفْظِ  
كَمْ قَدْ تَحَفَّظْتُهُ حَتَّى إِذَا نَظَرْتُ عَيْنِي إِلَيْكَ أَزَالَتْ هَيْبَتِي حِفْظِي

وقال بعض الأدباء في مثل ذلك:

أَفْكَرُ مَا أَقُولُ إِذَا التَّقِينَا وَأُحْكِمُ دَائِبًا حُجَجَ الْمَقَالِ  
فَتَرْتَعِدُ الْفَرَائِصُ حِينَ تَبْدُو وَأَنْطِقُ حِينَ أَنْطِقُ بِالْمُحَالِ

وقال آخر<sup>(١)</sup>:

أَتَيْتُ مَعَ الْحَدَاثِ لَيْلَى فَلَمْ أَقُلْ وَأُخْلِيتُ فَاسْتَعَجَمْتُ عِنْدَ خَلَائِي  
وَجِئْتُ فَلَمْ أَنْطِقْ وَعُدْتُ فَلَمْ أَجِرْ جَوَابًا كِلَا الْيَوْمَيْنِ يَوْمَ عَنَائِي  
فَيَا عَجَبًا مَا أَشْبَهَ الْيَأْسَ بِالْغِنَى وَإِنْ لَمْ يَكُونَا عِنْدَنَا بِسَوَاءٍ

وهذا المعنى الذي ذكره ليس بمستكثر، قد تمنع المصحب هيبته

(١) أقول: كأن الأبيات تشعر أن القائل هو المجنون قيس بن الملوّح، ولكني لم أجدها في الديوان، ولا في مصدر آخر.

النفس، ويظهر غيرها ويرصد صاحبها بالمكافاة عنها. وهذا كله محال بين المتحايين بين باب الجِدِّ والهزل جميعاً. وقد ذكر الله تعالى جل ثناؤه في باب محبته للمؤمنين دليلاً على ما قلناه، وذلك قوله عز وجل ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ \* وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ، بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ فجعل - جل ثناؤه - مكافاتهم بالمعاقبة على ذنوبهم دليلاً على تكذيب دعواهم.

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي، يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ فضم - جل وعز - الذنوب إلى المحبة.

غير أن من أحسن في بيتين وقصر في بيت كان محسناً معيافاً على إساءته. وأما قوله: (وتنمي بلا جرم علي حُقودها) فتعثره معان: أحدها أن يكون ضنه بوجهها دعاه إلى سوء الظن بها فنسبها أنها تضمر له حقداً، ويمكن أن يكون عرف من خلايقها ما هو مغيب عنا.

□ □ □

الْمَحْبُوبِ مِنَ النَّيْلِ الَّذِي هُوَ اللَّطْفُ مِنَ الشُّكْرِى، مَحَلًّا فِي الْقُلُوبِ.  
أَلَمْ تَسْمَعْ الَّذِي يَقُولُ:

مُحِبُّ قَالَ مُكْتَتِمًا مُنَاهُ وَأَسْعَدَهُ الْحَبِيبُ عَلَى هَوَاهُ  
أَضَاعَ الْخَوْفُ أَنْفَسَ مَا يُعَانِي وَمَا عَذَرَ الْمُضِيعَ لِمَا عَنَاهُ  
فَأَصْبَحَ لَا يَلُومُ بِمَا جَنَاهُ مِنَ التَّفْرِيطِ إِنْسَانًا سِوَاهُ  
أَسْرَ نَدَامَةَ الْكُسْعِيِّ لَمَّا رَأَتْ عَيْنَاهُ مَا صَنَعَتْ يَدَاهُ<sup>(٢)</sup>

وأنشدني أبو العباس أحمد بن يحيى:

وإني لأخشى أن أموت فجاءةً وفي النفس حاجات إليك كما هيا  
وإني لئن سئني لِقَاؤُكَ كُلَّمَا لَقَيْتُكَ يَوْمًا أَنْ أَبُشِّكَ مَا بَيَا  
وَقَالُوا بِهِ دَاءٌ عِيَاءٌ أَصَابَهُ وَقَدْ عَلِمْتَ نَفْسِي مَكَانَ دَوَائِيَا<sup>(٣)</sup>

فهذا يُخْبِرُ أَنْ لِقَاءَهَا هُوَ الَّذِي يَمْنَعُهُ مِنْ شُكْرِى مَا يَجِدُهُ، إِلَّا أَنَّهُ يُشْفِقُ  
مِنْ ضَرَرِهِ عَلَى نَفْسِهِ، وَلَا يَبْقِي بِكُتْمَانِهِ عَلَى غَيْرِهِ. عَلَى أَنَّهُ قَدْ قَصَرَ عَنْهُ كَثِيرُ  
مِنْ أَهْلِ هَذَا الْعِلْمِ فِي قَوْلِهِ: إِنَّ لِقَاءَهَا يُحْدِثُ فِي قَلْبِهِ حَالًا لَمْ تَكُنْ قَبْلَ  
ذَلِكَ ظَاهِرَةً مِنْ نَفْسِهِ. إِذْ لَوْ كَانَ الْهَوَى قَدْ اسْتَوْفَى مِنْهُ حَقُّهُ، وَتَنَاهَى بِهِ إِلَى  
غَايَةِ بَعْدِهِ، لَمَا كَانَ الَّلِقَاءُ يَزِيدُ شَيْئًا وَلَا يَنْقُصُهُ.

كما قال يزيد بن الطثرية:

وَلَمَّا تَنَاهَى الْحُبُّ فِي الْقَلْبِ وَارِدًا أَقَامَ وَسَدَّتْ بَعْدُ عَنْهُ مَصَادِرُهُ  
فَأَيُّ طَبِيبٍ يُبْرِئُ الْحُبَّ بَعْدَمَا يُسِرُّ بِهِ بَطْنُ الْفُؤَادِ وَظَاهِرُهُ<sup>(٤)</sup>

(٢) جاء في المثل: «أندم من الكسعي»، مجمع الأمثال ٣٤٨/٢.

(٣) البيت من قصيدة طويلة من شعر المجنون. انظر الديوان ص ٣٠٠ مع اختلاف في الرواية.

(٤) البيتان في «شعر ابن الطثرية» ص ٧٤، وهما في الأماي ٧٨/١ منسوبان إلى ابن الدمينية.

وكما قال ذو الرمة:

وَمَا زِلْتُ أَطْوِي الشُّوقَ عَنْ أُمِّ خَالِدٍ وَحَارَاتِهَا حَتَّى كَأَنَّ لَا أُرِيدُهَا  
فَمَا زَالَ يَنْمِي حُبُّ مَيَّةَ عِنْدَنَا وَيَزْدَادُ حَتَّى لَمْ نَجِدْ مَا نَزِيدُهَا<sup>(٥)</sup>

ولقد أحسن حبيب بن أوس الطائي حيث يقول:

إِذَا أَزْهَدْتَنِي فِي الْهَوَى خَيْفَةُ الرَّدَى جَلَّتْ لِي عَنْ وَجْهِ يُزْهَدُ فِي الزُّهْدِ  
فَلَا دَمْعَ مَا لَمْ يَبْدُ فِي إِثْرِهِ دَمٌ وَلَا وَجْدَ مَا لَمْ تَعْيَ عَنْ صِفَةِ الْوَجْدِ<sup>(٦)</sup>

وأحسن علي بن محمد العلوي الكوفي حيث يقول:

قَالَتْ عَيْتٌ عَنِ الشُّكْرِى فَقُلْتُ لَهَا جُهِدِ الشَّكَايَةَ أَنْ أَعْيَا عَنِ الْكَلِمِ  
أَشْكُو إِلَى اللَّهِ قَلْبًا لَوْ كَحَلْتُ بِهِ عَيْنِيكَ لِأَخْتَضَبْتَ مِنْ حَرِّهِ بِدَمٍ  
لَا تُبْرِمِي فَاقِدِ الدُّنْيَا وَبَهْجَتِهَا وَمَا يُسِرُّ بِهِ مِنْهَا بِلَا وَلَمْ

عَلَى أَنَّهُ مَنْ طَلَبَ لِأَدَمِيٍّ مِثْلَهُ بِمَا لَمْ يُطَالِبِ اللَّهَ عِبَادَهُ فَأَخْلَقَ بِأَنْ  
يَكُونَ ظَالِمًا. وَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - قَوْمًا فَقَالَ: «الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ  
اللَّهُ وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَيَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا»<sup>(٧)</sup>، فَلَمْ يَعْبَهُمْ  
- تَعَالَى - بَأَنَّ كَانَ ذِكْرُهُ بِحَضْرَتِهِمْ مُظْهِرًا عَلَيْهِمْ مَا لَمْ يُمَكِّنْ قَبْلَ مَوْجُودًا  
مِنْهُمْ.

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ وَأَعْرَفَ مِنَ الشَّعْرِ فِي هَذَا الْمَعْنَى:

تَقْدِيرُكَ نَفْسِي لَسْتُ أَذْرِي أَيْمًا أَيْامِكُمْ مِنْ آيَتِهَا أَشْجَاهَا  
فِي حُبِّكُمْ شُغْلٌ لِقَلْبِي شَاغِلٌ عَنْ كُلِّ نَائِيَةٍ يَخَافُ رَدَّهَا

(٥) البيتان من قصيدة لذي الرمة، الديوان ص ١٦٤ مع اختلاف في الرواية.

(٦) البيتان في الديوان (نشرة محي الدين الخياط) ص ١١٤، ١١٥ مع اختلاف في الرواية.

(٧) سورة الحج: ٣٥.

ومن جيد ما قيل في نحو الفصل الأول:

جَعَلْتُكَ دُنْيَايَ فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَجِدْ عَلَيَّ بَوْصَلَ فَالْسَّلَامُ عَلَيَّ الدُّنْيَا  
كَتَمْتُكَ مَا أَلْقَى لِأَنَّكَ مُهَجِّي أَخَافُ عَلَيْهَا أَنْ تَذُوبَ مِنَ الشُّكُوى

ولبعض أهل هذا الزمان في هذا المعنى:

بِحُرْمَةِ هَذَا الشَّهْرِ لِمَا نَعَشْتَنِي بِعَفْوِكَ إِنِّي قَدْ عَجِزْتُ عَنِ الْعُذْرِ  
فَلَوْ كُنْتُ تَذَرِي مَا أَلَاقِي مِنَ الْهَوَى لَسَاءَكَ مَا أَلْقَى فَلَيْتَكَ لَا تَذَرِي  
لِأَشْقَى بِمَا أَلْقَى وَتَبَقَى مُنْعَمًا خَلِيًّا وَنَارَ الشُّوقِ تُسَعِّرُ فِي صَدْرِي

وأنشدني أبو العباس أحمد بن يحيى عن الزبير بن بكار عن ثابت بن

الزبير عن أبي العتاهية:

مَنْ لِعَبْدٍ أَذْلُهُ مَوْلَاهُ مَا لَهُ شَافِعٌ إِلَيْهِ سِوَاهُ  
يَشْكِي مَا بِهِ إِلَيْهِ وَيَخْشَا هُوَ وَيَرْجُوهُ مِثْلَ مَا يَخْشَاهُ<sup>(٨)</sup>

وهذه حال منقوضة لأن مَنْ مَنَعَهُ مِنْ شَكْوَى مَا يَلْقَاهُ، إِشْفَاقُهُ مِنْ مَوْجَدَةٍ  
مِنْ يَهْوَاهُ، فَإِنَّمَا أَبْقَى عَلَى نَفْسِهِ. وَمَنْ أَمْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ إِشْفَاقًا عَلَى قَلْبِ  
صَاحِبِهِ، فَقَدْ أَغْتَرَضَ عَلَى وَجْدِهِ التَّصَنُّعَ، إِذْ فَعَلَ مَا يَقْدِرُ عَلَى تَرْكِهِ.

وقال آخر:

الْجِسْمُ يَنْقُصُ وَالسَّقَامُ يَزِيدُ وَالِدَارُ دَانِيَةٌ وَأَنْتَ بَعِيدُ  
أَشْكُوكَ أَمْ أَشْكُو إِلَيْكَ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ سِوَاهُمَا الْمَجْهُودُ

وقال الحسن بن هانئ:

لَا وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا خَانَ أَحْبَابَنَا وَمَا تَاهُوا  
مَا عَلِمُوا بِالَّذِي يُجْنُ لَهُمْ مِنْ طُولِ شَوْقٍ وَلَا دَرَوْا مَا هُوَ<sup>(٩)</sup>

(٨) لم أجدهما في الديوان.

(٩) لم أجدهما في الديوان.

وللفتح بن خاقان<sup>(١٠)</sup>:

قَدِرْتُ عَلَى نَفْسِي فَأَزْمَعْتُ قَتْلَهَا عَلَى غَيْرِ جِدِّ مِنْكَ وَالنَّفْسُ تَذْهَبُ  
كَعَصْفُورَةٍ فِي كَفِّ طِفْلِ يَسُومُهَا وَرُودَ حِيَاضِ الْمَوْتِ وَالطِّفْلِ يَلْعَبُ

وقال الحسين بن الضحاك:

أَيَا مَنْ طَرَفُهُ سِحْرٌ وَيَا مَنْ رِيقُهُ خَمْرٌ  
تَجَاسَرْتُ فَكَاشَفْتُكَ لَمَّا غَلِبَ الصَّبْرُ  
وَمَا أَحْسَنَ فِي مَتْلِكَ أَنْ يَنْهَيْكَ السُّتْرُ  
فَإِنْ عَلَفَنِي النَّاسُ فَلِي وَجْهَكَ لِي عُذْرُ<sup>(١١)</sup>

وقال أيضاً:

إِنْ مِنْ أَطْوَلَ لَيْلٍ أَمْدًا لَيْلُ مُشْتَاكِ تَصَابِي فَكَنَّمْ  
رُبَّ فَظِّ الْقَلْبِ لَا لِيَنَّ لَهُ لَوْ رَأَى مَا بَكَ مِنْهُ لَرَجِمَ<sup>(١٢)</sup>

وقال أيضاً:

أَكَاثِمُ وَجِدِي وَمَا يَنْكَتِمُ فَمَنْ لَوْ شَكِنْتُ إِلَيْهِ رَجِمُ  
وَإِنِّي عَلَى حُسْنِ ظَنِّي بِهِ لِأَحْذَرُ إِنْ بُحْتُ أَنْ يَحْتَشِمُ  
وَقَدْ عَلِمَ النَّاسُ أَنِّي لَهُ مُجِبٌّ وَأَحْسِبُهُ قَدْ عَلِمَ  
وَلِي عِنْدَ رُؤْيَيْهِ نَظْرَةٌ تُحَقِّقُ مَا ظَنَّهُ الْمُتَّهِمُ<sup>(١٣)</sup>

وقال المجنون:

فَأَنْتَ الَّذِي إِنْ شِئْتَ أَشَقَيْتَ عِيشَتِي وَإِنْ شِئْتَ بَعَدَ إِلَهُ أَنْعَمْتَ بِأَلِيَا

(١٠) الفتاح بن خاقان، أديب شاعر، توفي سنة ٢٤٧هـ. فوات

الوفيات ١٢٣/٢.

(١١) انظر أشعار الحسين الخليل، وهو مجموع أشعاره مستخرجة من مصادر الأدب.

(١٢) المصدر السابق.

(١٣) المصدر السابق.

وَأَنْتَ الَّذِي مَا مِنْ صَدِيقٍ وَلَا عَدَا  
رَأَى يَضُوءَ مَا أَبْقَيْتَ إِلَّا رَتْناً لِيَا<sup>(١٤)</sup>

وقال أبو نواس:

قَالَتْ ظُلُومٌ سَمِيَّةُ الظُّلَمِ  
يَا مَنْ رَمَى قَلْبِي فَأَقْصَدَهُ  
مَا لِي رَأَيْتُكَ نَاجِلَ الْجِسْمِ  
أَنْتَ الْخَيْرُ بِمَوْجِعِ السَّهْمِ<sup>(١٥)</sup>

وقال أبو تمام:

وَاللَّهِ لَوْ تَلَقَى الَّذِي أَلْقَى  
بِي فَوْقَ مَا تَلَقَى بِوَاحِدِهَا  
لَحَرَجْتَ أَنْ تَتَجَاوَزَ الْحَقَّ  
أَمْ تَرَاهُ لِجَنْبِهِ مُلْقَى<sup>(١٦)</sup>

وقال أبو صخر الهذلي:

يَبْدُ إِلَهِ شَعَفَ<sup>(١٧)</sup> الْفَوَادَ بِكُمْ  
مَا فِي الْحَيَاةِ إِذَا هَبَّتْ بِنَا  
وَلَمَّا يَفْقِيتُ لَتَبْقِيَنَّ جَوَى  
فَتَيَقِّنِي أَنْ قَدْ كَلِفْتُ بِكُمْ  
تَفْرِيجُ مَا أَلْقَى مِنَ الْهَمِّ  
خَيْرٌ وَلَا لِلْعَيْشِ مِنْ طَعْمِ<sup>(١٨)</sup>  
بَيْنَ الْجَوَانِحِ مُضْرَعاً جِسْمِي  
ثُمَّ أَصْنَعِي مَا شِئْتَ عَنْ عِلْمِ

وقال خليفة بن روح الأسدي<sup>(١٩)</sup>:

قَفِي يَا أُمِّمَ الْقَلْبِ نَفْراً تَجِيَّةً  
فَلَوْ قُلْتَ طأً فِي النَّارِ أَعْلَمُ أَنَّهُ  
لَقَدَّمْتُ رَجُلِي نَحْوَهَا فَوَطِئْتُهَا  
فَلَا تَجْعَلِينِي كَأَمْرِي إِنْ وَصَلْتِهِ  
وَنَشْكُو الْهَوَى ثُمَّ أَصْنَعِي مَا بَدَا لَكَ  
هَوَى لَكَ أَوْ مُدِنٍ لَنَا مِنْ وَصَالِكَ  
هُدًى مِنْكَ لِي أَوْ هَفْوَةً مِنْ ضَلَالِكَ  
أَشَاعَ وَإِنْ صَرَمْتِهِ لَمْ يُبَالِكَ

(١٤) انظر ديوان المجنون ص ٢٩٩.

(١٥) ليس البيتان في الديوان.

(١٦) البيتان في الديوان (نشرة محي الدين الخياط) ص ٤٥٤.

(١٧) كذا في شرح أشعار الهذليين ٩٧٥/٢ مع اختلاف في الرواية.

(١٨) كذا في الهذليين، وأما في «م» والمطبوع فهو: هببت لنا.

(١٩) لم أقف على ترجمته.

وأنشدني ابن أبي طاهر:

قَالَتْ لَقِيتَ الَّذِي لَمْ يَلْقَهُ أَحَدٌ  
أَوْذَعْتَنِي سَقَمًا لَا أَسْتَقِيلُ بِهِ  
قُلْتَ الدَّلِيلُ عَلَى ذَاكَ الَّذِي أَجَدُ  
فَلَيْسَ يَنْفَدُ حَتَّى يَنْفَدَ الْأَبَدُ

وقال مضر بن بطر الهلالي<sup>(٢٠)</sup>:

وَكَادَتْ بِلَادُ «لَلَّهِ يَا أُمَّ مَالِكٍ  
أَذُوذُ سَوَادِ الطَّرْفِ عَنْكَ وَمَا لَهُ  
وَلَوْ تَعْلَمِينَ الْعِلْمَ أَفْقَنْتِ أَنْبِي  
سَلِي هَلْ قَلَانِي مِنْ عَشِيرِ صَجْبَتِهِ  
بِمَا رَحِبْتَ يَوْمًا عَلَيَّ تَضِيقُ  
إِلَى أَحَدٍ إِلَّا إِلَيْكَ طَرِيقُ  
وَرَبِّ الْهَدَايَا الْمُسْعِرَاتِ صَدِيقُ  
وَهَلْ ذَمَّ رَحْلِي فِي الرِّفَاقِ رَفِيقُ

وأنشدني آخر:

أَمْسَيْتُ لَعَاباً وَأَمْسَى الْهَوَى  
أُشْفِقُ إِنْ بَحْنَا وَإِنْ لَمْ أَبْحَ  
يَلْعَبُ فِي رُوحِي وَجْهْمَانِي  
فَالْمَوْتُ فِي سِرِّي وَإِعْلَانِي

وأنشدني أبو الضياء لنفسه<sup>(٢١)</sup>:

أَنْظُرْ إِلَى نَاطِرٍ قَدْ شَفَّهُ السَّهْدُ  
لَا دُقْتُ مَا ذَاقَهُ مَنْ أَنْتَ مَالِكُهُ  
وَأَعْطَفَ عَلَى مُهَجَةٍ أَوْدَى بِهَا الْكَمْدُ  
أَخْفَى هَوَاكَ فَنَمَتُهُ مَدَامِعُهُ  
وَلَا وَجَدْتَ بِهِ مِثْلَ الَّذِي يَجِدُ  
فَإِنْ جَحَدْتَ الَّذِي قَاسَاهُ بَيْنَهُمَا  
وَالْعَيْنُ تُعْرَبُ عَمَّا ضَمَّتِ الْكَبْدُ  
فَشَاهِدَاهُ عَلَيْكَ الْخُدَّ وَالْجَسَدُ

وقال أبو المنهال الأشجعي<sup>(٢٢)</sup>:

يَا أُمَّ عَمْرٍو وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ  
أَوْفِي وَأَنْتَ مِنَ الْمُؤَفِّينَ بِالذِّمَمِ

(٢٠) كذا في «م» والمطبوع، وقد نسبت الأبيات إلى المجنون كما في الديوان ص ٢٠٧. وقد

نسبت في الأغاني (الدار) ٤٠/٢، ٨٢ إلى قيس بن ذريح أو مضر بن قرطه كما في

المصدر نفسه ٢٠/٥، وفي لباب الآداب ص ٤١١ نسبت إلى مضر بن قرط،

وكذلك في السمط ص ٣٨٠.

(٢١) لم أهدت إلى معرفته.

(٢٢) لعله أبو المنهال الديلي. انظر معجم الشعراء ص ٥١٣.

أَوْفِي وَفَاءَ كَرِيمٍ ذِي مُحَافَظَةٍ  
عَدْلٍ مِنَ النَّاسِ يَرْضِي جِنَّ يَبْلُغُهُ  
فَاعْرَضْتُ ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ لَاهِيَةٌ  
إِنْ تَدْعُ لِي حَكَمًا عَدْلًا أَحْكُمُهُ  
مِنِّي بِأَرْضِكَ شَجَوْتُ نَاسِيَهُ  
وَإِنْ أَتَيْتَ تَقَاضِيَنَا إِلَى حَكَمٍ  
أَنْ كَانَ حَبْلُكَ أَمْسَى وَاهِي الرَّمَمِ  
بَعْدَ التَّغَضُّبِ قَوْلَ الْمُؤَسَّفِ الْأَطَمِ  
أَنْطِقْ لَدَيْهِ بِلَا عِيٍّ وَلَا بَكَمِ  
لَوْ بِالْحِجَازِ هَوَى أَيَّامِكَ الْأَقْدَمِ

وكتب عبدالله بن الدمينه إلى أُمَامَة:

وَأَنْتِ الَّتِي كَلَّفْتِنِي دَلَجَ السُّرَى  
وَأَنْتِ الَّتِي قَطَعْتَ قَلْبِي حَزَاةً  
وَأَنْتِ الَّتِي أَحْفَظُ قَوْمِي فَكُلُّهُمْ  
وَجُونَ الْقَطَا بِالْجَلْهَتَيْنِ جُثُومُ  
وَفَرَّقْتَ قَرْحَ الْقَلْبِ فَهُوَ كَلِيمُ  
بَعِيدُ الرِّضَا دَانِي الصُّدُودِ كَتُومُ (٢٣)

وكتبت إليه:

وَأَنْتِ الَّتِي أَخْلَفْتِنِي مَا وَعَدْتَنِي  
وَأَبْرَزْتَنِي لِلنَّاسِ ثُمَّ تَرَكْتَنِي  
فَلَوْ أَنْ قَوْلًا يَكْلِمُ الْجِسْمَ قَدْ بَدَا  
وَأَشْمَتُ بِي مَنْ كَانَ فِيكَ يَلُومُ  
لَهُمْ غَرَضًا أُرْمَى وَأَنْتِ سَلِيمُ  
بِجِسْمِي مِنْ قَوْلِ الْوَشَاةِ كُلُّهُمْ (٢٤)

وكتب بعض أهل الأدب إلى أخ له من أهل هذا العصر:

سَيِّدِي إِنِّي أَسَأْتُ بِقَوْلِي  
لَا تَلُقْ الدُّعَاءَ مِنِّي بِنُكْرِ  
سَيِّدِي أَنْتَ فَارَضَ عَبْدَكَ عَبْدًا  
فَتَرَى قَاتِلًا لِنَفْسِي عَمْدًا (٢٥)

فأجابه:

أَنَا بِالرَّقِّ فِي الْهَوَى مِنْكَ أَوْلَى  
عَلِمَ اللَّهُ أَتْنِي مِنْكَ رَاضٍ  
وَأَرَى ذَاكَ يَشْهَدُ اللَّهُ مَجْدًا  
أَنْ تَرَانِي لِعَبْدٍ عَبْدِكَ عَبْدًا

(٢٣) الأبيات نسبت إلى المجنون كما في الديوان ص ٢٤٧، وهي في ديوان ابن الدمينه ص ٤٢ مع اختلاف في الرواية.

(٢٤) وهذه الأبيات من قصيدة نسبت إلى المجنون مع الأبيات السابقة.

(٢٥) في «م» والمطبوع: لا تلقى.

وقال آخر:

يَا مُوقِدَ النَّارِ إِلَهَابًا عَلَى كَبْدِي  
إِلَيْكَ أَشْكُو الَّذِي بِي لَا إِلَى أَحَدٍ  
إِلَيْكَ أَشْكُو الَّذِي بِي مِنْ هَوَاكَ فَقَدْ  
طَلَبْتُ غَيْرَكَ لِلشُّكْوَى فَلَمْ أَجِدْ

وقال بعض الأعراب:

إِذَا لُمْتَهَا قَالَتْ عَدِيمٌ وَإِنَّمَا  
صَمْتُ فَمَا جَرَيْتَ جُودًا وَلَا بُخْلًا  
بَلَى قُلْتُ هَلْ تُمْ أَنْصَرَفْتَ وَلَمْ تَعُدْ  
فَتَسْتَبْكِرَ الْإِعْرَاضِ أَوْ تَعْرِفَ الْبَدْلَا

أَمَّا هَذِهِ فَقَدْ قَرَعَتْ صَاحِبَهَا عَلَى تَرْكِهِ تَقَاضِيَهَا تَقْرِيعًا يُغْري الْمَغْتَرِينَ  
بِشُّكْوَى كُلِّ مَا يَجِدُونَهُ، وَبِالْإِلْحَاحِ عَلَى مَنْ يَوَدُّونَهُ، فِي الْمَطَالَبَةِ بِجَمِيعِ مَا  
يُرِيدُونَهُ. وَهَذِهِ حَالٌ مَنْ تَحَكَّمَ عَلَى مَوَارِدِهَا، تَحَكَّمَتْ عَلَيْهِ مَصَادِرُهَا، فَيَنْدُمُ  
حَيْثُ لَا تَنْفَعُهُ النَّدَامَةُ، وَيَهْرَبُ (٢٦) إِلَى حَيْثُ لَا تَنْفَعُهُ السَّلَامَةُ. وَكَيْفَ يَتَهَيَّأُ  
لِلنَّادِمِ عَلَى إِظْهَارِ مَا فِي ضَمِيرِهِ أَنْ يُخْفِيَهُ بَعْدَ إِظْهَارِهِ؟ وَقَدْ كَانَ جَدِيرًا أَنْ  
يُظْهَرَ مِنْهُ بِغَلَبَاتِ الْحَالِ فِي وَقْتِ جُرُصِهِ عَلَى أَسْرَارِهِ؟ وَالْمَحْبُوبُ كَثِيرًا  
مَا يُطْمِئِعُ مُجِبَةً فِي نَفْسِهِ هَذَا الْإِطْمَاعَ، أَوْ نَحْوَهُ لِيُطْلِعَ عَلَى حَقِيقَةِ مَا فِي  
ضَمِيرِهِ وَقَلْبِهِ، فَإِذَا وَثِقَ بِصِحَّةِ الْمَلِكِ زَالَتْ عَنْهُ دَوَاعِي الشُّكِّ، فَتَرَاحَى حِينَئِذٍ  
عَنِ الْأَسْتِعْطَافِ تَرَاحِي الْمَالِكِينَ، وَحَصَلَتْ لِلنَّاسِي الْمُظْهِرِ مَا فِي ضَمِيرِهِ ذِلَّةُ  
الْمَمْلُوكِينَ. وَلَمْ أَجِدْ فِيمَا جَرَيْتُ إِلَيْهِ فِي هَذَا الْفَصْلِ أَرْزَأَ (٢٧) مِنِّي عَلَى مَنْ  
أَظْهَرَ إِلْفَهُ عَلَى مَا يَجِدُ مِنَ الْمَحَبَّةِ وَإِنَّمَا جَرَيْتُ إِلَى عَيْبٍ مَنْ يَدْعُوهُ إِلَى إِظْهَارِ  
مَا فِي نَفْسِهِ رَجَاءُ النَّوَالِ مِنْ صَاحِبِهِ. وَلَعَمْرِي لَقَدْ قَالَ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ فِي  
هَذَا الْبَابِ مَا يَقْرُبُ مِنْ جَهَةِ الصَّوَابِ وَهُوَ قَوْلُهُ:

يَا سَقِيمَ الْخُفُونِ غَيْرَ سَقِيمٍ  
إِنْ قَلْبِي لَكُمْ لَكَائِكَدِ الْحَرِّ  
وَمُرِيبَ الْأَلْحَاطِ غَيْرَ مُرِيبٍ  
يَ قَلْبِي لَغَيْرِكُمْ كَالْقُلُوبِ

(٢٦) في «م» والمطبوع: وهرب.

(٢٧) في «م» والمطبوع: بأرزا.

## إِذَا صَحَّ الظُّفْرُ وَقَعَتِ الْغَيْرُ

أَشْعَارُ هَذَا الْبَابِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا مُضَادَّةٌ لِلْأَشْعَارِ الَّتِي قَبْلَهَا، لِأَنَّ فِي أَشْعَارِ الْبَابِ الْأَمَاضِي تَحْرِيسًا لِلْمُحِبِّ عَلَى إظهارِ مَحَبُّوهِ عَلَى مَا لَهُ فِي نَفْسِهِ، وَلَوْ مَا لِمَنْ كَتَمَ عَنْ صَاحِبِهِ مَا يَجِدُهُ بِهِ وَمَا يَلْقَاهُ بِسَبَبِهِ. وَأَشْعَارُ هَذَا الْبَابِ إِنَّمَا هِيَ تَحْرِيسُ عَلَى الْكِتْمَانِ، وَتَحْذِيرٌ مِنَ الْإِعْلَانِ. وَالْعِلَّةُ فِي هَذَا مَا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ مِنْ أَنَّ الْمَحْبُوبَ يَسْتَعِظُ مُحِبَّهُ لِيُشْرَفَ عَلَى حَقِيقَةِ مَا فِي قَلْبِهِ، وَلِيَتِمَكَّنَ أَيْضًا هَوَاهُ مِنْ نَفْسِهِ، فَإِذَا وَقَعَ لَهُ الْيَقِينُ اسْتَغْنَى عَنِ التَّعَرُّفِ، وَإِذَا حَصَلَ لَهُ الْوُدُّ اسْتَغْنَى عَنِ التَّأَلُّفِ، فَحِينَئِذٍ يَقَعُ الْغَضَبُ عَنْ غَيْرِ ذَنْبٍ، وَالْإِعْرَاضُ مِنْ غَيْرِ وَجْدٍ، لِسُكُونِ الْقَلْبِ الْوَائِقِ وَاسْتَظْهَارِ الْمَعْشُوقِ عَلَى الْعَاشِقِ.

قال بشار بن برد:

أَبْكِي الَّذِينَ أَذَاقُونِي مَوَدَّتَهُمْ  
وَأَسْتَهْضُونِي فَلَمَّا قُمْتُ مُتَّصِبًا  
لَاخِرُجَنَّ مِنَ الدُّنْيَا وَحُبُّكُمْ  
أَلْقَيْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْحُزْنِ مَعْرِفَةً  
وَقَالَ طَلْحَةُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ (٢):

لَا تُظْهِرَنَّ مَوَدَّةَ لِحَبِيبٍ  
أَظْهَرْتُ يَوْمًا لِلْحَبِيبِ مَوَدَّتِي  
فَتَرَى بَعَيْنِكَ مِنْهُ كُلَّ عَجِيبٍ  
فَأَخَذْتُ مِنْ هَجْرَانِهِ بِنَصِيبٍ

(١) لم أجد الأبيات في الديوان.

(٢) لم أهدت إلى ترجمته.

لَسْتُ أَذْلِي بِحُرْمَةٍ مُسْتَزِيدًا فِي وَدَادٍ مِنْكُمْ وَلَا فِي نَصِيبٍ  
غَيْرَ أَنَّ الْعَلِيلَ لَيْسَ بِمُذْمُومٍ عَلَى شَرْحٍ مَا بِهِ لِلطَّبِيبِ  
لَوْ رَأَيْنَا التُّوكِيدَ خُطَّةً عَجَزَ مَا شَفَعْنَا الْأَذَانَ بِالتَّشْوِيبِ (٢٨)

وَهَذَا الَّذِي وَصَفَ أَيْضًا مِنَ الْحَالِ غَيْرُ مُسْتَوْعِبٍ لِحَدِّ الْكَمَالِ وَذَلِكَ أَنَّ الْكَامِلَ فِي حَالِهِ هُوَ الَّذِي كَانَ غَرَضُهُ فِي إِظْهَارِ إِلْفِهِ عَلَى كُلِّ مَا يُلْقَى بِهِ أَنْ يَجْعَلَهُ مُشَارِكًا لَهُ فِي عِلْمِ ضَمَائِرِهِ وَمُتَحَكِّمًا مَعَهُ لَا يَلِّ عَلَيْهِ فِي سَرَائِرِهِ فَلَا يَتَحَكَّمُ هُوَ حِينَئِذٍ عَلَى خَلِيلِهِ فِي أَمْرِ وَلَا يَسْتَظْهِرُ عَلَيْهِ بِسِرٍّ وَكُلٌّ مَنْ زَالَ عَنْ هَذِهِ الْحَالِ فَرَأَيْتُ عَنْ مَرْتَبَةِ الْكَمَالِ.

□ □ □

وقال جميل بن معمر:

إِذَا قُلْتُ مَا بِي يَا بَيْتِنَةَ قَاتِلِي  
وَإِنْ قُلْتُ رُدِّي بَعْضَ عَقْلِي أَعْشَ بِهِ  
فَلَا أَنَا مَرْدُودٌ بِمَا جِئْتُ طَالِبًا  
إِذَا فَكَّرْتُ قَالَتْ قَدْ أَدْرَكْتُ وَدَّهَ  
يَمُوتُ الْهَوَى مِنْي إِذَا مَا لَقِيْتُهَا

وقال ذو الرمة:

وَلَمَّا شَكَّوْتُ الْحُبَّ كَيْمَا تُبَيِّنِي  
دَلَالًا وَإِنْعَادًا عَلَيَّ وَقَدْ أَرَى  
بِوَجْدِي قَالَتْ إِنَّمَا أَنْتَ تَمْرَحُ  
ضَمِيرَ الْحَشَى قَدْ كَادَ بِالْقَلْبِ يَنْزَحُ<sup>(٣)</sup>

وقال آخر:

وَلَمَّا شَكَّوْتُ الْحُبَّ قَالَتْ: أَمَا تَرَى  
فَقُلْتُ لَهَا: إِنَّ الثَّرِيًّا وَإِنْ نَأَتْ  
مَكَانَ الثَّرِيَّا وَهُوَ مِنْكَ بَعِيدُ  
يَصُوبُ مِرَارًا نَوَّهَهَا فَيَجُودُ

وأنشدني أم حمادة الهمدانية<sup>(٥)</sup>:

شَكَّوْتُ إِلَيْهَا الْحُبَّ قَالَتْ كَذَّبْتَنِي  
رُودَكَ حَتَّى يَيْتَلِي الشَّوْقُ وَالْهَوَى  
وَيَأْخُذَكَ الْوَسْوَاسُ مِنْ لَوْعَةِ الْهَوَى  
أَلَسْتُ أَرَى الْأَجْلَادَ مِنْكَ كَوَاسِيَا  
عِظَامَكَ حَتَّى يَرْتَجِعْنَ بَوَادِيَا  
وَتُخْرَسَ حَتَّى لَا تُجِيبَ الْمَنَادِيَا

وقال آخر:

أَحِينَ مَلَكَتْنِي أَعْرَضْتَ عَنِّي  
فَهَلَّا إِذْ هَمَمْتُ بِصَرْمِ حَبْلِي  
كَأَنِّي قَدْ قَلْتُ لَكُمْ قَتِيلًا  
جَعَلْتَ إِلَيَّ التَّصْبِيرَ لِي سَبِيلًا

(٣) الأبيات في ديوان جميل ص ٣٨ مع اختلاف في الرواية.

(٤) لم أجد البيتين في ديوان ذي الرمة.

(٥) وقول المؤلف: «وأنشدني...» ربما يشير إلى أنها من الأعراب، وقد ورد ذكرها أول مرة

في الباب الأول من هذا الكتاب.

وقال آخر:

أَطَمَعْتَنِي فَقُلْتُ أَخْذًا بِكَفِّي  
زَعَمْتَ أَنَّهَا تُرِيدُ عَفَافًا  
ثُمَّ عَادَتْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ بِخُلْفٍ  
قُلْتُ رُدِّي عَلَيَّ قَلْبِي وَعِيقِي

وقال العباس بن الأحنف<sup>(٦)</sup>:

يَا وَيْحَ مَنْ خَنَلَ الْأَجْبَةُ قَلْبُهُ  
عَزَّوَا وَمَالَ بِهِ الْهَوَى فَأَذَلَّهُ  
أُنْظُرْ إِلَى جَسَدٍ أَضَرَّ بِهِ الْهَوَى  
مَنْ كَانَ خِلْوًا مِنْ تَبَارِيحِ الْهَوَى  
حَتَّى إِذَا ظَفِرُوا بِهِ قَتَلُوهُ  
إِنَّ الْعَزِيزَ عَلَى الدَّلِيلِ يَتِيَهُ  
لَوْلَا تَقَلُّبُ طَرَفِهِ دَفَنُوهُ  
فَأَنَا الْهَوَى وَحَلِيفُهُ وَأُخُوهُ<sup>(٧)</sup>

وقال أيضاً:

أُحْرِمُ مِنْكُمْ بِمَا أَقُولُ وَقَدْ  
صِرْتُ كَأَنِّي ذُبَالَةٌ نُصِبْتُ  
نَالَ بِهِ الْعَاشِقُونَ مَا عَشِقُوا  
تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ<sup>(٨)</sup>

وأنشدنا أحمد بن يحيى الشيباني:

وَمَا أَنْصَفْتَ ذَلْفَاءَ أَمَا دُنُوهُمَا  
تَبَاعَدُ مِنْ وَاصَلَتْ وَكَأَنَّهَا  
فَهَجَرُ وَأَمَا نَائِيَهَا فَيَشْوِقُ  
لِأَخَرِ مِنْ لَا تَوَدُّ صَدِيقُ

وقال آخر:

وَمَا أَنْصَفْتَ أَمَا النِّسَاءَ فَبَغَضْتَ  
دَعَتْنِي بِأَسْبَابِ الْهَوَى فَاتَّبَعْتُهَا  
إِلَيْنَا وَأَمَا بِالنُّوَالِ فَضَنَنْتِ  
حَيْنًا فَلَمَّا أَفْصَدْتَنِي تَوَلَّتْ<sup>(٩)</sup>

(٦) العباس بن الأحنف، أبو الفضل من شعراء الدولة العباسية الذي انقطع إلى الغزل، اتصل بالرشيد. انظر الشعر والشعراء (لیدن) ص ص ٥٢٥ - ٥٢٨.

(٧) الأبيات في الديوان ص ٢٨٤ مع اختلاف في الرواية.

(٨) انظر ديوان العباس ص ١٩٧.

(٩) البيت الأول نسب إلى المجنون كما في الديوان ص ٨٧.

وقال المجنون:

أَذْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا مَلَكَتَنِي  
تَجَافَيْتَ عَنِّي حِينَ لَا لِي حِيلَةٌ  
بِقَوْلٍ يُحِلُّ أَلْعَصَمَ سَهْلَ الْأَبَاطِحِ  
وَحَلَفْتَ مَا خَلَفْتَ بَيْنَ الْجَوَانِحِ (١٠)

وقال آخر:

دَنْتُ فِعْلَ ذِي وَدٍّ فَلَمَّا تَبَعْتُهَا  
فَلِنْ قُلْتُمْ: إِنَّا ظَلَمْنَا فَلَمْ نَكُنْ  
تَوَلَّتْ وَأَبَقَتْ حَاجَتِي فِي فُرَادِيَا  
ظَلَمْنَا وَلَكِنَّا أَسَانَا التَّقَاضِيَا

وقال ذو الرمة:

وَتَهَجَّرُهُ إِلَّا أَخْيَلَسَا نَهَارَهَا  
إِذَا خَشِيتُ مِنْهُ الصَّرِيمَةَ أَتَرَفْتُ  
وَكَمْ مِنْ مُجِبِّ رَهْبَةِ الْعَيْنِ هَاجِرٍ  
لَهُ بَرَقَةٌ مِنْ حُلْبٍ غَيْرِ مَاطِرٍ (١١)

وقال المجنون:

لَعَمْرُ أَبِيهَا إِنَّهَا لَبَخِيلَةٌ  
رَمْتَنِي عَنْ قَوْسِ الْعَدَاوَةِ إِنَّهَا  
وَمِنْ قَوْلٍ وَاشِ إِنَّهَا لَغَضُوبٌ  
إِذَا مَا رَأَيْتَنِي مُعْرِضًا لَخُلُوبٍ (١٢)

وقال أبو ذهبل (١٣):

أَبْعَدَ الَّذِي قَدْ لَجَّ تَخْذِيلِي  
وَشَفَعْتَ مَنْ يَنْعَى عَلَيَّ وَلَمْ أَكُنْ  
عَدُوًّا وَقَدْ جَرَعْتَنِي السُّمَّ مُنْقَعًا  
لَارْجِعْ مَنْ يَنْعَى عَلَيْكَ مُشَفَّعًا (١٤)  
فَقَالَتْ وَمَا هَمَّتْ بِرَجْعِ جَوَابِنَا  
فَقُلْتُ لَهَا مَا كُنْتُ أَوَّلَ ذِي هَوَى  
تَحْمَلُ جِمْلًا فَادِحًا فَتَوَجَّعَا

(١٠) البيتان نسبا إلى المجنون، انظر الديوان ص ٩٤، وانظر الأغاني (الساسي) ٩٠/٢، ٩٢ والشعر والشعراء ص ٣٦٣، والعقد الفريد ٣٧٨/٥، وأمالى القالي ٢٢٨/٢.

(١١) البيتان في الديوان ص ٢٨٧، ٢٨٥ مع اختلاف في الرواية.

(١٢) البيتان في ديوان المجنون ص ٦١.

(١٣) في «م» والمطبوع: أبو ذهيل. وهو وهب بن ربيعة عاش أيام ابن الزبير. انظر: الشعر والشعراء (ليدن) ص ٣٨٩.

(١٤) البيتان في الديوان ص ٨٣. والديوان مجموع من الشعر.

وقال آخر:

وَقَالَتْ وَصَدْتُ وَجْهَهَا لِتَغِيظَنِي:  
فَقُلْتُ: مَتَى أَذْنَبْتُ، قَالَتْ: تُرِيدُهُ  
أَبَا الصَّدِّ تُجْزِي أَمْ عَلَى الذَّنْبِ تُوَصِّلُ  
فَقُلْتُ: فَلَمْ أَفْعَلْ، فَقَالَتْ: سَتَفْعَلُ  
وَلَكِنْ ظَفِرْتُمْ بِالْمُحِبِّينَ فَاقْتُلُوا

وقال آخر:

شَكَوْتُ فَقَالَتْ: كُلُّ هَذَا تَبَرُّمًا  
فَلَمَّا كُنْتُ الْحُبَّ قَالَتْ: لَشَدَّ مَا  
بِحُبِّي أَرَاخَ أَلَلُّهُ قَلْبَكَ مِنْ حُبِّي  
صَبَرْتُ وَمَا هَذَا بِفِعْلِ شَجِي الْقَلْبِ  
فَشَكَاوِي تُؤْذِيهَا وَعَتْبِي يَسُوءُهَا  
فِيَا قَوْمَ هَلْ مِنْ حِيلَةٍ تَعْرِفُونَهَا  
وَتَغْضَبُ مِنْ بُعْدِي وَتَنْفِرُ مِنْ قُرْبِي \*  
أَشِيرُوا بِهَا وَاسْتَوْجِبُوا الْأَجْرَ فِي الْأَصْبِ

وأنشدني أعرابي بنجد:

ذَكَرْتُكَ إِذْ نَامَ الْخَلِيلُ وَلَمْ أَنْمِ  
وَإِذْ أَنْتَ تَتَنَبَّأُ الْكَعَابَ بِقَصْرِهِ  
وَإِذْ أَنْتَ فِي شُغْلٍ بِلَهْوِكَ عَنْ ذِكْرِي  
وَقَلْبِي لَهُ لَذَعٌ آخَرُ مِنَ الْجَمْرِ (١٥)  
فَإِنْ أَنَا لَمْ أَشْكُ الْهَوَى قُلْتُ: قَدْ صَحَا  
وَلَيْسَ خَلِيلِي بِالْمَرْجَى وَلَا الَّذِي  
وَإِنْ بُحْتُ فِيهِ خِفْتُ أَنْ يَعْلَمُوا أَمْرِي  
إِذَا غِبْتُ عَنْهُ كَانَ عَوْنًا عَلَى الدَّهْرِ  
وَلَكِنْ خَلِيلِي مَنْ يَصُونُ مَوَدَّتِي  
وَيَحْفَظُنِي إِنْ كَانَ مِنْ دُونِ الْبَحْرِ (١٦)

وأنشدني أحمد بن أبي طاهر لنفسه (١٧):

كَمَا ذَهَبَتْ أَرْضُ وَطْنِ تَرَابِهَا  
وَكَانَ يُرْجَى نَفْعُ شَكَاوَاهُ إِذْ شَكَا  
كَمَا ذَهَبَتْ أَرْضُ وَطْنِ تَرَابِهَا  
إِلَيْكَ فَقَدْ أَمْسَى يَخَافُ عِقَابَهَا

(١٥) لم أتبن معنى الصدر من هذا البيت.

(١٦) عجز البيت غير مستقيم من حيث الوزن، وهو كذلك في «م» والمطبوع.

(١٧) في «م» والمطبوع: أحمد بن طاهر. وقد مر «أحمد» هذا مراراً عدة في «الزهرة» وصاحب الكتاب يثبت الكثير من إنشاده.



وقال المؤمل<sup>(١٨)</sup>:

شَكُوتُ وَجْدِي إِلَى هِنْدٍ فَمَا أَكْثَرْتُ  
يَا قَلْبَهَا أَحَدِيدُ أَنْتَ أَمْ حَجَرُ  
إِذَا مَرِضْنَا أَتَيْنَاكُمْ نَعُودُكُمْ  
وَتَذْنِبُونَ فَنَأْتِيَكُمْ فَنَعْتَذِرُ<sup>(١٩)</sup>  
وَبَلَّغَنِي أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ جَلَسَ يَوْمًا لِلنَّظَرِ فِي الْمَظَالِمِ فَرَفَعَتْ  
إِلَيْهِ قِصَّةَ مَنْسُوبَةٍ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْبَحَارِثِ وَكَانَ فِيهَا:

عَلِقْتُ بِأَسْبَابِ الْمَوَدَّةِ وَالْهَوَى  
فَلَمَّا حَوَتْ قَلْبِي ثُنْتُ بِصُدُودِ  
فَلَوْ شِئْتُ يَا ذَا الْعَرْشِ حِينَ خَلَقْتَنِي  
شَقِيئًا بِمَنْ أَهْوَاهُ غَيْرَ سَعِيدِ  
عَطَفْتَ عَلَيَّ الْقَلْبَ مِنْهَا بِرَحْمَةٍ  
وَإِنْ كَانَ قَلْبًا مِنْ صَفَا وَحَدِيدِ  
فَقُلْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّمَا  
تُحَكِّمُ وَالْأَحْكَامُ ذَاتُ حُدُودِ

فَلَمَّا قَرَأَهَا عَبْدُ الْمَلِكِ قَلْبَهَا ثُمَّ وَقَعَ فِي ظَهَرِهَا:

أَرَى الْجَوْرَ مِنْهَا ظَاهِرًا يَا ابْنَ حَارِثٍ  
وَمَا رَأَيْهَا فِيمَا أَنْتَ بِرَشِيدِ  
أَمِنْ بَعْدِمَا صَادَتْ فَوَازِدُكَ وَآخَتَوْتُ  
عَلَيْهِ ثُنْتُ وَجْهَ الْهَوَى بِصُدُودِ  
فَإِنْ هِيَ لَمْ تَرْحَمْ بِكَاءَ وَلَا حَنْتَ  
عَلَيْكَ فَمَا مِنْكَ الرَّدَى بِبَعِيدِ  
سَاقِضِي عَلَيْهَا أَنْ تُجَازِي بِوَدِّهَا  
أَخَا صَبُوءَ جَارَتْ عَلَيْهِ وَدُودِ

ولبعض أهل هذا العصر:

مَنْ لِي بِعَطْفِ أَخٍ الْإِخَاءَ وَرَا  
ظَهَرَ وَمِنْ ثَمَّ مَارَى الرُّوحِ فِي اللَّطْفِ  
حَتَّى يُصِيرَهَا إِنْ خُسِرَتْ تَلَفًا  
وَفُرْقَةً مِنْهُ لَمْ تَخْتَرْ سِوَى التَّلَفِ  
أَغْرَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ الدَّهْرِ فَاحْتَشَدْتُ  
بِئْسَ الْخُطُوبُ آخِشَادُ الْمُحَنِّ الْأَسْفِ  
حَتَّى إِذَا أَنْسَتْ نَفْسِي بِأَنْكَ لِي  
وَأَسْتَعَذَّبْتُ طِيبَ ذَاكَ الْمَشْرَبِ لِأَلَّا نَفِ

(١٨) هو المؤمل بن أميل المحاربي من شعراء الحماسة ١٤٦/٣ شاعر عباسي وانظر معجم الشعراء ص ٢٩٨.

(١٩) البيتان في نهاية الإرب ٩٢/٣ مع اختلاف في الرواية.

أَمْكَنْتَ مِنِّي اللَّيَالِي فَانْتَصَفَنْ وَمَنْ  
يَا قَلْبُ وَصْفُكَ يُغْرِي مَنْ كَلَفَتْ بِهِ  
يُظْلَمُ وَيُمْكِنُ مِنَ الْإِنْصَافِ يَنْتَفِ  
فَأَكْمِدُ بِكُتْمَانٍ مَا تَلْقَى وَلَا تَصِفِ  
إِنْ كُنْتُ لَمْ تَشْجُ بِالْكُتْمَانِ فَاشْجِ بِهِ  
أَوْ كُنْتُ لَمْ تَعْرِفْ بِالْضَرْمِ فَاعْرِفِ  
قُلْ لِلْيَالِي مَلَكْتُ الْحُكْمِ فَأَحْكِمِي  
وَلِلْمَصَائِبِ قَدْ مُكِنْتُ فَاتَّصِفِي  
وله أيضًا:

يَا مُنِيَّةَ الْقَلْبِ لَوْ أَمَانَهُ أَنْفَسَحَتْ  
وَحَظَّ نَفْسِي مِنْ دِينِي وَدُنْيَايِ  
قُلْ لِي: تَنَاسَيْتَ أَمْ أَنْسَيْتَ أَلْفَتْنَا  
أَيَّامَ رَأْيِكَ فِينَا غَيْرُ ذَا الرَّايِ  
كَانَتْ لِقَلْبِي أَهْوَاءُ مُفْرَقَةٌ  
فَاسْتَجَمَعَتْ مَدْرَأَتُكَ إِلَيْنِ أَهْوَايِ  
فَصَارَ يَحْسُدُنِي مَنْ كُنْتُ أَحْسَدُهُ

وَصِرْتُ مَوْلَى الْوَرَى مَذْ صِرْتُ مَوْلَايِ  
حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الْحُسَادُ مِنْ دَرْكِي  
وَقُلْ أَعْدَائِي مَذْ قَلَلْتُ أَكْفَائِي  
حَمَيْتُ طَعْمَ الْكَرَى عَيْنِي فَاهْتَجَرَا فَصَارَ طِيبُ الْكَرَى مِنْ بَعْضِ أَعْدَائِي  
مَنْ خَانَ هَانَ وَقَلْبِي رَائِدُ أَبْدَا  
مِيلًا إِلَيْكَ عَلَى هَجْرِي وَإِقْصَائِي  
لَا بُدَّ لِي مِنْكَ فَاصْنَعْ مَا بَدَا لَكَ بِي  
فَقَدْ قَدِرْتُ عَلَى قَتْلِي وَإِحْيَائِي

وأنشدني محمد بن الخطاب<sup>(٢٠)</sup>:

عَلِّمْنِي الْإِضْدَارَ وَالْإِيرَادَا  
فَأَرْفِقِي بِي فَقَدْ مَلَكْتُ الْقِيَادَا  
لَا تَقُولِي إِذَا نَأَيْتُ سَلَا عَنْدَ  
وَأِنْ زُرْتُكُمْ أَرَادَ الْبِعَادَا  
عَلِّمْنِي الدُّنُوَّ مِنْكَ إِذَا شِئْتُ  
سِ وَغَنِكَ الْبِعَادُ أَلَقَ الرُّشَادَا

وقال الأعشى:

دَارَ لِقَاتِلَةِ الْغُرَانِقِ مَا بِهَا  
إِلَّا الْوُحُوشُ خَلَتْ لَهُ وَخَلَا لَهَا  
ظَلْتُ تُسَائِلُ بِالْمُتَمِّمِ أَهْلَهُ  
وَهِيَ الْبَيْتِ فَعَلَتْ بِهِ أَفْعَالَهَا<sup>(٢١)</sup>

(٢٠) لم أهد إلى ترجمته.

(٢١) لم أجد البيتين في ديوان الأعشى.

وقال عمر بن أبي ربيعة:

دَارُ الَّتِي صَادَتْ فُؤَادَكَ إِذْ رَمَتْ  
فَتَجَاهَلْتَ عَمَّا بَنَا وَلَقَدْ رَأَتْ  
أَرْسَلَتْ جَارِيَتِي فَقُلْتُ لَهَا أَذْهَبِي  
قُولِي يَقُولُ تَخَوَّفِي فِي عَاشِقِي  
وَيَقُولُ إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ بِأَنْكُمُ  
فَبَسَمْتُ عُجْبًا وَقَالَتْ قَوْلُهُ  
عَهْدِي بِهِ وَاللَّهُ يَغْفِرُ ذَنْبَهُ  
قَالَتْ لَهَا بَلْ قَدْ أَرَدْتَ بِعَادَهُ  
بِالْخَيْفِ يَوْمَ أَتَفَّ أَهْلُ الْمَوْسِمِ  
أَنْ قَدْ تَخَلَّلَتْ الْفُؤَادَ بِأَسْهُمِ  
فَأَشْكِي إِلَيْهَا مَا لَقِيتُ وَسَلِّمِي  
صَبَّ بِكُمْ حَتَّى الْمَمَاتِ مُنِيمِ  
أَصْبَحْتُمْ يَا بَشْرُ أَوْجَهَ ذِي دَمٍ  
إِلَّا فَيُعْلِمُنَا بِمَا لَمْ نَعْلَمِ  
فِيمَا بَدَا لِي ذُو هَوًى مُتَقَسِّمِ  
لَمَّا عَلِمْتُ فَإِنْ بَذَلْتُ فَتَمِّمِي (٢٢)

فَهَذَا التَّجَنِّي وَالْمُبَاعَدَةُ أَمْتَعُ مِنَ الْإِقْرَارِ وَالْمُوَاصَلَةِ، لِأَنَّ الْوَصْلَ  
الْمُتَقَدِّمَ لِقُوعِ الْعِلْمِ إِنْ كَانَ عَنْ مَوْدَّةٍ صَادِقَةٍ لَمْ يَزِدْهُ الْعِلْمُ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ  
إِلَّا تَوَكُّيدًا، وَإِنْ كَانَ أَمْتِحَانًا وَتَعَرُّفًا لَمْ تَزِدْهُ الْثِقَّةُ إِلَّا وَفَاءً وَتَعَطُّفًا. وَأَنْ كَانَ  
الَّذِي تَظْهَرُهُ الثِّقَّةُ وَالْإِدْلَالُ نِعْمَةً لَا يُؤَدِّي شُكْرُهَا إِذْ كَانَ دَلِيلًا عَلَى تَمَامِ  
الْحَالِ الَّتِي قَصَدَهَا. وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَظَاهَرُ عَلَيْهِ ثِقْلُهَا فَيُضْعِفُ فُؤَادَهُ عَنْ  
حَمَلِهَا، فَتَرَاهُ يَنْهَى وَيَأْمُرُ بِالْكِتْمَانِ. وَمَنْ قَنَعَ بِهِذِهِ الْحَالِ كَانَ أَنْتِفَاعُهُ قَلِيلًا،  
وَقَلْقُهُ بِتَعَرُّفِ حَالِهِ عِنْدَ صَاحِبِهِ طَوِيلًا. وَلَيْسَتْ تَنَالُ الرُّتْبُ إِلَّا بِالتَّجَاسُرِ، وَلَا  
تَصِحُّ إِلَّا لِلْمُخَاطِرِ. وَرُبَّمَا نَجَتْ [الْجَبَانُ] قَنَاعَتُهُ، وَأَهْلَكَتِ الشُّجَاعُ جَسَارَتُهُ.

بَلَّغْنِي أَنْ فَتَى مِنَ الْأَعْرَابِ يُكْنَى امْرَأَ الْقَيْسِ، هَوِي فَتَاةً مِنَ الْحَيِّ،  
فَلَمَّا وَقَفَتْ عَلَى مَا لَهَا عِنْدَهُ هَجَرَتْهُ فَأَشْفَى عَلَى التَّلَفِّ. فَلَمَّا بَلَغَهَا ذَلِكَ،  
جَاءَتْ فَأَخَذَتْ بِعَصَادَتِي \* أَلْبَابِ، وَقَالَتْ: كَيْفَ نَجِدُكَ يَا امْرَأَ الْقَيْسِ؟  
فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

دَنْتُ وَظِلَالُ الْمَوْتِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَأَذَلْتُ بِوَصْلِ حِينَ لَا يَنْفَعُ الْوَصْلُ

ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى مَاتَ. فَمَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْجُبْنُ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ  
الْحَالِ مَالٌ إِلَى التَّسْتَرِّ وَالْكِتْمَانِ. وَمَنْ طَمِعَ فِي مِثْلِ مَا ذَكَرْنَا مِنْ حُسْنِ  
الْمَجَازَاةِ بِالْعَدْلِ وَالْوَصَالِ مَالٌ إِلَى الْإِعْلَانِ. وَبُلُوغُ الْغَايَةِ فِي الْوَجْهِينِ  
جَمِيعًا شَدِيدٌ، وَالتَّوَسُّطُ أَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ، لِأَنَّ مَنْ لَمْ تُعْلِمْهُ بِمَا تَنْطَوِي لَهُ  
لَمْ تَلَدَّ بِمَا يَتَدُو لَكَ مِنْ وَصْلِهِ. وَالْهَجْرُ الَّذِي يَتَوَلَّدُ عَنِ الثِّقَّةِ بِالْوَدَادِ خَيْرٌ مِنْ  
الْوَصَالِ الَّذِي يَقَعُ مِنْ غَيْرِ اعْتِمَادٍ. وَمَنْ أَطْلَعْتَهُ عَلَى كُلِّ مَا تُضْمِرُهُ لَهُ،  
لَمْ تَجِدْ سَبِيلًا إِلَى مُكَافَأَتِهِ عَلَى مَا يَتَجَدَّدُ لَذَلِكَ مِنْ إِحْسَانِهِ. هَذَا إِذَا سَلِمْتَ  
مِنَ الدَّالَّةِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى التَّلَفِّ فَخَيْرُ الْأُمُورِ لِمَنْ أَطَاقَهُ أَنْ يَظْهَرَ بَعْضًا وَيُخْفِيَ  
بَعْضًا. ثُمَّ يَظْهَرُ الْإِزْدِيَادُ حَالًا فَحَالًا، عَلَى أَنَّ الْحَالَ إِذَا اسْتَغْرَقَتْ صَاحِبَهَا  
كَانَ اسْتِعْمَالُ الْإِخْتِيَارِ فِيهَا مُحَالًا.

ولقد أحسن العباس بن الأحنف حيث يقول:

مَنْ كَانَ يَزْعُمُ أَنَّ سَيِّئَكُمْ حُبُّهُ حَتَّى يُشَكِّكَ فِيهِ فَهُوَ كَذُوبُ  
الْحُبِّ أَغْلَبَ لِلرِّجَالِ بِقَهْرِهِ مِنْ أَنْ يُرَى لِلْسَّرِّ فِيهِ نَصِيبُ  
وَإِذَا بَدَا سِرُّ اللَّيِّبِ فَإِنَّهُ لَمْ يَبْدُ إِلَّا وَهُوَ مَخْلُوبُ  
إِنِّي لَا بَغْضَ عَاشِقًا مُتَحَفِظًا لَمْ تَتَّهَمُهُ أَعْيُنُ وَقُلُوبُ (٢٣)

□ □ □

## التذلل للحبيب من شيم الأديب

قَدْ ذَكَّرْنَا أَنَّ تَقْصِيرَ الْمَحْبُوبِ عَنْ مُوَاصَلَةِ مُحِبِّهِ وَتَرَاجُحِهِ عَنْ إِظْهَارِهِ عَلَى كُلِّ مَالَةٍ فِي قَلْبِهِ إِنَّمَا يَتَوَلَّدَانِ عَنْ وَقُوعِ الْبَقَّةِ بِهِ. قَرُبَمَا جَهَلَ الْمُحِبُّ عَلَى نَفْسِهِ، فَتَوَهَّم أَنَّ ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي بَابِ الْخِيَانَةِ وَالْغَدْرِ، فَكَافَى عَلَيْهِ بِالْأَنْجَرِافِ وَالْهَجَرِ، فَيَجْنِي عَلَى نَفْسِهِ مَا لَا يَتَلَفَاهُ الْعُدُو. وَلَا يُقَاوِمُهُ الصَّبْرُ وَالْحَازِمُ مَنْ صَبَرَ عَلَى مَضَاضَةِ التَّذَلُّلِ، وَالتَّمَسَّ الْعِزَّ فِي اسْتِشْعَارِ التَّذَلُّلِ، فَجِئْتُ بِتَمَكُّنٍ مِنْ وَدَادِ مُحْبُوبِهِ وَيَطْفَرُ مِنْ هَوَاهُ بِمَطْلُوبِهِ.

قال الحسن بن هانئ:

يَا كَثِيرَ النَّوْحِ فِي الدِّمَنِ لَا عَلَيْهَا بَلْ عَلَى السَّكَنِ  
سُنَّةُ الْعُشَّاقِ وَاحِدَةٌ فَإِذَا أَحْبَبْتَ فَاسْتَكِنِ (١)

وقال معاذ ليلي (٢):

عَفَا اللَّهُ عَنْ لَيْلَى وَإِنْ سَفَكَتْ دَمِي فَإِنِّي وَإِنْ لَمْ تُجْزِي عَيْرُ عَاتِبٍ  
عَلَيْهَا وَلَا مُبْدٍ لِلَيْلَى شِكَايَةً وَقَدْ يُشْتَكَى الْمَشْكِي إِلَى كُلِّ صَاحِبٍ  
يَقُولُونَ تَبَّ عَنْ حُبِّ لَيْلَى وَذَكَرَهَا وَمَا جَلَّتُنِي عَنْ حُبِّ لَيْلَى بِتَائِبٍ (٣)

(١) البيتان في ديوان الحسن بن هانئ (أبونواس) ص ٦٤٥.

(٢) معاذ ليلي هو معاذ بن كليب العقيلي (مجنون بني عامر) المشهور بالملوح صاحب ليل وهو أبوقيس المجنون. انظر معجم الشعراء ص ٢٩٢، وانظر الأغاني ١/١٦٨، الشعر والشعراء (ليدن) ص ٣٥٥.

(٣) الأبيات في ديوان المجنون ص ٧٥.

وقال عمر بن أبي ربيعة:

لَسْتُ مِنْ ظَالِمِي مُتَّصِفًا نَعَمْ فَفَقْدُ الْحَبِيبِ أَشَدُّ فَقْدِ  
وَقْتَاةٍ إِنْ تَغِبَ شَمْسُ الضُّحَى فَهِيَ لِلنَّاسِ مِنَ الشَّمْسِ خَلْفُ  
أَجْمَعَ النَّاسِ عَلَى تَفْضِيلِهَا وَهَوَاهُمْ فِي سِوَاهَا مُخْتَلِفٌ (٤)

وقال المؤمل (٥):

أَمِنْ فَقْدِ الْحَبِيبِ عَيْنَاكَ تَبْكِي نَعَمْ فَقْدُ الْحَبِيبِ أَشَدُّ فَقْدِ  
بِرَائِي الْحُبِّ حَتَّى صِرْتُ عَبْدًا فَقْدُ أُمْسَيْتُ أَرْحَمُ كُلِّ عَبْدٍ  
فَأَقْسِمُ لَوْ هَمَمْتُ بِمَدِّ قَلْبِي إِلَى جَوْفِ السَّعِيرِ لَقُلْتُ مُدِّي

وقال أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي (٦):

مِئِّي وَصَلْ وَمِنْكَ هَجْرُ مِئِّي وَفِي ذُلِّ وَفِيكَ كِبَرُ  
عَذْبَنِي حُبُّكَ الْمُعْنِي وَغَرْنِي مِنْكَ مَا يَغُرُ  
قَدْ كُنْتُ حُرًّا وَأَنْتَ عَبْدُ فَصِرْتُ عَبْدًا وَأَنْتَ حُرُ  
يَا ظَالِمًا لِي بِغَيْرِ جُرْمٍ إِلَيْكَ مِنْ ظُلْمِكَ الْمَفْرُ  
أَنْتَ نَعِيمِي وَأَنْتَ بُؤْسِي وَقَدْ يَسُوءُ الَّذِي يَسُرُّ (٧)

وقال آخر:

تُسِيءُ بِنَا هِنْدُ وَنُحْسِنُ جُهْدَنَا فَحَتَّى مَتَى هِنْدُ تُسِيءُ وَنُحْسِنُ  
وَأَجْبُنُ عَنْ تَقْرِيعِ هِنْدٍ بِذَنْبِهَا وَلَوْ غَيْرُ هِنْدٍ كَانَ مَا كُنْتُ أَجْبُنُ

وأنشدني محمد بن الخطاب الكلابي، قال أنشدني ماني لنفسه (٨):

يَزِيدُنِي مَا اسْتَزِدْتُ مِنْ صَلَاتِهِ وَعَنْ قَلِيلٍ يَعُودُ فِي هَيْبَتِهِ

(٤) لم أجد الأبيات في ديوان عمر بن أبي ربيعة.

(٥) هو المؤمل بن أميل المحاربي الذي سبق التعريف به كذا جاء صدر البيت الأول!!

(٦) في «م» والمطبوع: أبو الوليد عبيد الطائي.

(٧) الأبيات في الديوان ١٠٥٠/٢ مع اختلاف في الرواية.

(٨) هو ماني الموسوس واسمه محمد بن القاسم، أبو الحسن من أهل مصر نزل ببغداد،

لَوْ حُزْتُ قَطَرَ السَّمَاءِ لَأَنْهَمَلْتُ  
كَمْ زَلَّةٍ مِنْهُ قَدْ ظَفِرْتُ بِهَا  
تُفْنِي اللَّيَالِي وَعَيْدَهُ وَأَنَا  
عَلَيَّ ظُلْمًا سَمَاءٌ مَوْجِدَتُهُ  
فَقَامَ حُبِّي لَهُ بِمَعْدَرَتِهِ  
قَرِيبَ عَهْدٍ بِسُوءِ مَمْلَكَتِهِ

وقال أبو تمام الطائي:

ظَنِي بِهِ حَسَنٌ لَوْلَا تَجَنُّبُهُ  
عَمْتُ مَحَاسِنُهُ عَنِّي إِسَاءَتُهُ  
تَاهَتْ عَلَى صُورَةِ الْأَشْيَاءِ صُورَتُهُ  
وَأَنَّهُ لَيْسَ يَرَعَى عَهْدَ حُبِّهِ  
حَتَّى لَقَدْ حَسُنْتُ عِنْدِي مَسَاوِيهِ  
حَتَّى إِذَا خَضَعْتُ تَاهَتْ عَلَى آلِيهِ

لَمْ تَجْتَمِعْ فِرْقُ الْحُسْنِ الَّتِي أَفْتَرَقْتُ

عَنْ يُوسُفِ الْحُسْنِ حَتَّى اسْتَجَمَعْتُ فِيهِ<sup>(٩)</sup>

وقال آخر:

مُسْتَقْبَلُ بِالَّذِي يَهْوَى وَإِنْ كَثُرَتْ  
فِي وَجْهِهِ شَافِعٌ يَمْحُو إِسَاءَتَهُ  
مِنْهُ الْإِسَاءَةُ مَعْدُورٌ بِمَا صَنَعَا  
مِنْ الْقُلُوبِ وَجِيهٌ حَيْثُ مَا شَفَعَا

وأشدني بعض إخواننا:

بَا مَنْ أَرَاهُ أَحَقُّ بِي مِثْلِي  
أَغْفَلْتَنِي لَمَّا أَعْتَلَلْتُ وَلَمْ  
وَأَمْرُ مَا ذَاقَ أَمْرُؤُ فَهَمُ  
كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَمَا مَنَحْتُكَ  
إِنْ غَبْتُ عَنْكَ فَلَمْ تَغِبْ عَنِّي  
يَكُ ذَاكَ مِنْكَ يَدُورُ فِي ظَنِّي  
مَا جَاءَهُ مِنْ مَوْضِعِ الْأَمْنِ  
صَفَوْ بِلاَ كَدَرٍ وَلَا مَنٍ

وقال كثير:

أَسِيحِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُوءَةً  
لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةً إِنْ تَقَلَّتْ

أَصَابَ الرَّدَى مَنْ كَانَ يَهْوَى لَكَ الرَّدَى  
خَلِيلِي هَذَا رَسْمُ عَزَّةٍ فَأَعْقِلَا

وقال آخر:

إِنَّ آلَهَوَانَ هُوَ آلَهَوَى نَقْصُ اسْمِهِ  
وَإِذَا هَوَيْتَ فَقَدْ تَعَبَّدَكَ آلَهَوَى

وقال آخر:

صَفَحْتُ بِرُغْمِي عَنْكَ صَفَحَ ضَرُورَةٍ  
خَضَعْتُ وَمَا ذَنْبِي أَنَّمَا الْحُبُّ عَزَّيْ  
وَمَا ذَاكَ بِي فَقَرُّ إِلَيْكَ مُنَازَعُ  
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَنْ وَدِّي مُضِيعُ

وقالت امرأة من الأعراب:

بِنَفْسِي وَأَهْلِي مِنْ لَوَائِي أَنِّيئُهُ  
وَمَنْ لَوْ رَأَى الْأَعْدَاءَ يَتَضَلُّونِي  
وَمَنْ قَدْ عَصَيْتُ النَّاسَ فِيهِ جَمَاعَةٌ  
فِيَا أَخَوَيَّ الْإِلَائِمِي عَلَى آلَهَوَى  
سَأَلْتُكُمْ بِإِلَهِ لِمَا جَعَلْتُمَا  
وَلَا تَغْفَلَا إِنْ لَأَمْنِي نَمَّ لَأَيْمُ  
فَأُقْسِمُ لَوْ خُيِّرْتُ بَيْنَ فِرَاقِهِ  
نَكِلْتُ أَبِي إِنْ كُنْتُ ذُقْتُ كَرِيهِهِ

وَجُنَّ اللَّوَائِي قُلُنْ: عَزَّةٌ جُنْتُ  
قُلُوصِيكُمْ ثُمَّ أَبْكِيَا حَيْثُ حَلَّتْ<sup>(١٠)</sup>

فَإِذَا هَوَيْتَ فَقَدْ لَقِيتَ هَوَانًا  
فَاخْضَعْ لِإِلْفِكَ كَائِنًا مَنْ كَانَ

إِلَيْكَ وَفِي قَلْبِي نُدُوبٌ مِنَ الْعَتَبِ  
فَأَغْضَيْتُ ضَعْفًا عَنْ مُعَالَجَةِ الْحُبِّ  
يُذَلِّلُ مِنِّي كُلَّ مُنْتَبِعٍ صَعِبٍ  
وَقَلْبِي جَمِيعٌ عِنْدَ مُقْتَسَمِ الْقَلْبِ

عَلَى الْبَحْرِ فَاسْتَسْقَيْتُهُ مَا سَقَانِيَا  
لَهُمْ غَرَضًا يَرْمُونِي لَرْمَانِيَا  
وَصَرَمْتُ خُلَائِي لَهُ وَجَفَانِيَا  
أَعِيدُكُمْ بِإِلَهِ مِنْ يَشُلُّ مَا بِيَا  
مَكَانَ الْأَذَى وَاللُّومِ أَنْ تَرْتِيَا لِيَا  
وَلَوْ سَخِطَ الْوَأَشُونَ أَنْ تَعْذَرَانِيَا  
وَبَيْنَ أَبِي إِخْتَرْتُ أَنْ لَا أَبَالِيَا  
لِشَيْءٍ وَلَا مَاءٍ مِنَ الْمَزْنِ صَافِيَا

(١٠) الأبيات في ديوان كثير ص ١٠١ وانظر تخريج القصيدة ص ١٠٤، ١٠٧، والبيت الثالث ص ٩٥.

وهو متوكلي. انظر معجم الشعراء ص ٣٨٧، طبقات الشعراء (نشرة

إقبال) ص ١٨١، ١٨٢.

(٩) الأبيات في الديوان ٢٩٣/٤.

وقال كثير:

وَقَائِلَةٌ دَعَّ وَصَلَ عَزَّةً وَاتَّبَعُ  
أَرَاكَ عَلَيْهَا فِي الْمَوَدَّةِ زَارِباً  
فَقُلْتُ ذَرِينِي بِشَسِّ مَا قُلْتُ إِنِّي  
عَلَى الْبُخْلِ لَا عَلَى الْجُودِ اتَّبِعُ (١١)

وقال البحرى:

أَمِيلُ إِلَيْكَ عَنْ وَدِّ قَرِيبٍ  
فَمَا ذَنْبِي بِأَنْ كَانَ ابْنُ عَمِّي  
وَفِي عَيْنِكَ تَرْجَمَةٌ أَرَاهَا  
وَأَخْلَاقٍ عَهِدْتُ أَلْيَنَ فِيهَا  
وَقَدْ عَاقَدْتَنِي بِخِلَافِ هَذَا  
وَمَا لِي قُوَّةٌ تَنْهَاكَ عَنِّي  
سَأَرْحَلُ عَاتِياً وَيَكُونُ عَتَبِي  
وَأَحْفَظُ مِنْكَ مَا ضَيَّعْتُ مِنِّي

هَذَا الْكَلَامُ وَإِنْ كَانَ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ التَّوَاضُّعِ وَالْإِسْتِكَانَةِ، فَإِنَّ فِيهِ ضَرْباً  
مِنَ الضَّجَرِ الدَّاعِي إِلَى الْخِيَانَةِ، لِأَنَّ صَاحِبَهُ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى التَّدَلُّلِ نَفْسِهِ عَلَى  
مَا صَبَرَ عَلَيْهِ مَنْ بَدَأْنَا بِذِكْرِهِ.

وفي نحو هذا المعنى قول الآخر:

فَإِنْ يَكُ هَذَا مِنْكَ جِدّاً فَإِنِّي  
وَمُنْصَرِفٌ عَنْكَ أَنْصَرَفَ ابْنُ حُرَّةٍ  
طَوَى وَدَّهَ وَالطَّيِّ أَبْقَى عَلَى الشَّرِّ

وفي مثله يقول البحرى:

وَكُنْتُ أَرَى أَنَّ الصُّدُودَ الَّذِي مَضَى  
ذَلَالٌ فَمَا إِنْ كَانَ إِلَّا تَجَنُّباً

(١١) الأبيات في الديوان ص ٤٠٥.

(١٢) الأبيات في الديوان ٥٧٧/١ - ٥٧٨ مع اختلاف في الرواية.

فَوَا أَسْفَا حَتَامَ أَسْأَلَ مَا نِعَا  
سَأَتْنِي فُوَادِي عَنْكَ أَوْ اتَّبِعْ أَلْهَوَى  
وَأَمِنْ خَوَاناً وَأُعْتَبُ مُذْنِبَا  
إِلَيْكَ إِنْ أَسْتَعَصَى فُوَادِي أَوْ أَبَى (١٣)

وانشدني أحمد بن أبي طاهر لنفسه في نحوه:

مَا لِي أَقْرَبُ مِنْكَ نَفْسِي جَاهِداً  
وَأَرَاكَ مِنِّي جَاهِداً تَتَبَاعَدُ  
قَدَّمْتُ دُونَ أَخِيكَ مَنْ هُوَ دُونَهُ  
وَعَبَدْتُ عَنْهُ وَهَوَ مِنْكَ يُعَانِدُ  
أَيَّاسَتْنِي بَعْدَ الرَّجَاءِ فَمَنْ تَرَى  
يَرْجُوكَ بَعْدِي أَوْ عَلَيْكَ يُحَاسِدُ  
أَمْ كَيْفَ يَأْمُلُ مِنْكَ يَوْماً صَالِحاً  
أَحَدٌ وَرَأَيْكَ فِي رَأْيٍ فَاسِدُ

وقال ابن حازم في نحو ذلك (١٤):

لَا تَرْضَى عَيْشاً عَلَى أَمْتِهَانِ  
وَلَا تُرِدُ وَصَلَ ذِي أَمْتِنَانِ  
أَشَدُّ مِنْ عَيْلَةٍ وَفَقْرٍ  
إِغْضَاءُ حُرٍّ عَلَى هَوَانِ  
إِذَا نَبَا مَنَزَلَ بِحُرٍّ  
فَمِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ

وَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ وَمَنْ جَرَى فِي هَذَا الْقَوْلِ مَجْرَاهُمْ، إِنَّمَا يَتَضَاجَرُونَ عَلَى  
خُلَانِهِمْ لِثِقَلِهِمْ إِيَّاهُمْ عَنْ عَادَاتِهِمْ، وَمَنْعِهِمْ إِيَّاهُمْ مَا اسْتَعْبَدُوهُ مِنْ  
مُوَاصَلَاتِهِمْ، لِتَغْلِبِ الْحَيَرَةُ عَلَى قُلُوبِهِمْ. يَحْسِبُونَ أَنَّ أَنْجِرَافَهُمْ عَنْ أَحْبَابِهِمْ  
أَقْلَ أَدَى عَلَيْهِمْ، مِنْ الصَّبْرِ لَهُمْ عَلَى مَحَبَّاتِهِمْ، وَلَوْ قَدْ أَنْفَدُوا مَا عَزَمُوا عَلَيْهِ  
مِنْ الْفِرَاقِ وَالْهَجْرِ، لَشَاهَدُوا مَا يَضْطَرُّهُمْ إِلَى الرَّجُوعِ بِالصَّغَرِ وَالتَّوَسُّلِ إِلَى  
الصَّفْحِ بِالْعُذْرِ مَا لَمْ يَسْمَعْ الَّذِي يَقُولُ:

مَرَحْتَ بِالْهَجْرِ وَلَا عَلِمَ لِي  
أَنَّكَ مُشْتَقٌّ إِلَى الْهَجْرِ  
فَلَا يَضِيقُ عَفْوُكَ عَنْ تَائِبٍ  
تَضِيقُ عَنْهُ سَعَةُ الْعُذْرِ

(١٣) الأبيات في الديوان ١٩٧/١ مع اختلاف في الرواية.

(١٤) هو محمد بن حازم الباهلي. انظر كتاب «الورقة» ص ١٠٩، وطبقات ابن المعتز

ص ٣٠٨، الأغاني ١٥٨/١٢، كان هجاء لمحمد بن حميد الطوسي. وانظر معجم

الشعراء ص ٣٣٨.

وفي مثل ذلك يقول الآخر:

يَا بَيْتَ خَنْسَاءَ الَّذِي أَتَجَنَّبُ  
دَهَبَ الزَّمَانِ وَحُبُّهَا لَا يَذْهَبُ  
مَا لِي أَجِنُّ إِذَا جَمَالُكَ قَرَبْتُ  
وَأُصِدُّ عَنْكَ وَأَنْتِ مِنِّي أَقْرَبُ  
لِلَّهِ دَرَكٌ هَلْ لَدَيْكَ مَعُولٌ  
لِمُكَلِّفٍ أَمْ هَلْ لِيُودِّكَ مَطْلَبُ

وفي نحو ذلك يقول البحري:

رَحَلْتُ عَنْكَ رَجِيلَ الْمَرْءِ عَنْ وَطْنِهِ  
وَرَحَلَةَ السَّكِينِ الْمُشْتَقِ عَنْ سَكِينِهِ  
فَإِنْ تَحَمَّلْتُ صَبْرًا عَنْكَ أَوْ مُنِيْتُ  
نَفْسِي بِهِ فَهُوَ صَبْرُ الطَّرْفِ عَنْ وَسْنِهِ (١٥)

ولبعض الأعراب في مثل ذلك (١٦):

وَإِنِّي وَإِنْ لَمْ أَتْ لَيْلَى وَأَهْلَهَا  
بُكَاءٌ لَيْسَ بِالنَّزْرِ الْقَلِيلِ وَدَائِمِ  
هَجْرَتِكَ أَيَّاماً بِذِي الْعَمْرِ إِنِّي  
فَلَمَّا مَضَتْ أَيَّامُ ذِي الْعَمْرِ وَآرَمَتِي  
وَإِنِّي وَذَاكَ الْهَجْرُ لَوْ تَعَلَّمِينَهُ  
أَلَمْ تَعَلِّمِي أَنِّي أَهْيَمُ بِذِكْرِكُمْ  
أَظُلُّ أُمْنِي النَّفْسَ إِيَّايَ خَالِيَا  
لَبَاكِ عَلَى لَيْلَى بُكَاءُ ذِي التَّمَائِمِ  
كَمَا الْهَجْرُ مِنْ لَيْلَى عَلَى الْوَصْلِ دَائِمِ  
عَلَى هَجْرِ أَيَّامِي بِذِي الْعَمْرِ نَادِمِ  
بِي الْهَجْرُ لَأَمْتِي عَلَيْكَ اللَّوَائِمِ  
كَمَا ذِيَّةٌ عَنْ طِفْلَيْهَا وَهِيَ رَائِمِ  
عَلَى جِئِنٍ لَا يَبْقَى عَلَى الْوَصْلِ دَائِمِ  
كَمَا يَتَمَنَّى بَارِدُ الْمَاءِ صَائِمِ

ولقد أحسن العباس بن الأحنف حيث يقول:

لَا بُدَّ لِلْعَاشِقِ مِنْ وَقْفَةٍ  
تَكُونُ بَيْنَ الْوَصْلِ وَالصَّرْمِ  
حَتَّى إِذَا الْهَجْرُ تَمَادَى بِهِ  
رَاجِعَ مَنْ يَهْوَى عَلَى رَعْمِ (١٧)

(١٥) انظر الديوان ٢٢٤٦/٤ مع اختلاف في الرواية.

(١٦) الفائل هو المجنون كما في الديوان ص ٢٣٧ مع اختلاف في الرواية. والأبيات في شرح  
المرزوقي ص ١٣٤٥ من غير نسبة. والبيتان الثالث والخامس في ديوان ابن  
الدمينة ص ١٩.

(١٧) البيتان في الديوان ص ٢٥١، وانظر العقد الفريد ٣٨٦/٦، الشعر  
والشعراء ص ٨٠٧.

وأحسن أيضاً في قوله:

الْعَاشِقَانِ كِلَاهُمَا مُتَعَتِبُ  
كَلاهُمَا مِمَّا يُعَالِجُ مُتَعِبُ  
صَدْتُ مُرَاعِمَةً وَصَدُّ مُرَاعِمَا  
رَاجِعُ أَجْبَتِكَ الَّذِينَ هَجَرْتَهُمْ  
إِنَّ الصُّدُودَ إِذَا تَمَكَّنَ مِنْكُمْ  
دَبَّ السُّلُوكُ لَهُ فَعَزَّ الْمَطْلَبُ (١٨)

ولبعض أهل هذا العصر:

يَا مَتَّ قَبْلَكَ طَالَ الْحُزْنُ وَالْأَسْفُ  
قَلْبِي إِلَيْكَ مَعَ الْهَجْرَانِ مُنْعَطِفُ  
فَإِنْ تَكُنْ عَنْ إِخَائِي الْيَوْمَ مُنْصَرِفَا  
هَبْنِي اعْتَرَفْتُ بِأَنِّي لَسْتُ ذَا شَغَفِ  
كَمْ قَدْ كَذَبْتُ عَلَى قَلْبِي فَكَذَّبَنِي  
إِنْ كُنْتُ يَوْمًا مُقْبِلِي زُلَّةً سَلَفْتُ  
أَلَلَّةُ أَلَلَّةٍ فِي نَفْسِي فَقَدْ عَطِبْتُ  
قَدْ ذَلَّلَ الشَّوْقُ قَلْبِي فَهُوَ مُعْتَرِفُ  
فَاعْمَلْ بِرَأْيِكَ لَا أَدْعُوكَ مُعْتَدِيَا  
وَجَاوَزَ الشَّوْقُ بِي حَدَّ الَّذِي أَصِفُ  
وَأَنْتِ عَنِّي رَخِي الْأَبَالِ مُنْحَرِفُ  
فَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا لِي عَنْكَ مُنْصَرِفُ  
أَلَمْ يَكُنْ كَمَدِي أَنْ لَسْتُ أَنْتَصِفُ  
طُولُ الْحَيْنِ وَعَيْنُ دَمْعِهَا يَكْفُ  
فَالآنَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُغْرَى بِي إِتْلَفُ  
وَلَيْسَ فِي قَلْبِهَا مِنْ شُكْرِهَا خَلْفُ  
إِنَّ أَلْتَذَلُّ فِي حُكْمِ الْهَوَى شَرَفُ  
وَلَا أَقُولُ لَشَيْءٍ قُلْتُهُ سَرَفُ

□ □ □

(١٨) الأبيات في الديوان ص ٢٨ مع اختلاف في الرواية، وانظر الأغاني (الدار) ٢٤١/٥.

مَنْ طَالَ سُورُهُ فَقَصُرَتْ شُهُورُهُ

مَنْ صَبَرَ عَلَى الْإِمْتِحَانِ لِمَنْ يَهْوَاهُ عَلَى مِثْلِ مَا ذَكَرْنَاهُ، كَانَ خَلِيقًا أَنْ يَبْلُغَ أَقْصَى مُنَاهُ. وَأَهْلُ هَذِهِ الْحَالِ الَّذِينَ يَحْمَدُونَ الْهَوَى وَيَشْكُرُونَهُ، وَيَصِفُونَ لَذَاتَهُ لِلَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَهُ، وَيَزُرُّونَ عَلَى عَيْشٍ مَنْ لَمْ يَتَطَعْمَ مَذَاقَهُ، وَلَمْ يَتَعَبَّدْ بِاسْتِرْقَاقِهِ. أَلَمْ تَسْمَعْ الَّذِي يَقُولُ:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعَشِقْ وَلَمْ تَذَرْ مَا الْهَوَى فَكُنْ حَجَرًا مِنْ يَابِسِ الصَّخْرِ جَلَمَدًا  
فَمَا أَلْعِشُ إِلَّا مَا تَلَذُّ وَتَشْتَهِي وَإِنْ لَمْ فِيهِ ذُو الشَّانِ (١) وَفَنَدَا  
تَبِعْتُ الْهَوَى جُهْدِي فَمَنْ شَاءَ لَأْمَنِي وَمَنْ شَاءَ آسَى فِي الْبُكَاءِ وَأَسْعَدَا (٢)

والكميت أنصف من هذا حيث يقول:

مَا ذَاقَ بُؤْسَ مَعِيشَةٍ وَنَعِيمَهَا فِيمَا مَضَى أَحَدٌ إِذَا لَمْ يَعَشِقْ  
أَلْحُبُّ فِيهِ حَلَاوَةٌ وَمَرَارَةٌ سَائِلٌ بِذَلِكَ مَنْ تَطَعَّمَ أَوْ ذُقَ (٣)

وقال القطامي:

أَلَا عَلَّلَانِي كُلَّ حَيٍّ مُعَلَّلٌ وَلَا تَعْدَانِي الشَّرُّ وَالْخَيْرُ مُقْبِلٌ  
فَإِنْكَمَا لَا تَذَرِيَانِ أَمَّا مَضَى مِنْ الدَّهْرِ أَمْ مَا قَدْ تَأَخَّرَ أَطْوَلُ (٤)

(١) في «م» و«المطبوع»: ذُو الشَّانِ فِيهِ.

(٢) الأبيات للأحوص، انظر: شعر الأحوص ص ٩٨، ٩٩ مع اختلاف في الرواية.

(٣) انظر شعر الكميت ٢٥٨/١، ٢٥٧.

(٤) انظر الديوان ص ٦٧.

أنشد أبو تمام لنفسه:

أَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ أَمْلَحَ مِنْ صَدِّ بَيْ أَدِيبٍ مُتِّمٍ بِأَدِيبٍ  
جَازَ حُكْمِي فِي قَلْبِهِ وَهَوَاهُ بَعْدَمَا جَازَ حُكْمُهُ فِي الْقُلُوبِ  
كَأَدَّ أَنْ يَكْتُبَ الْهَوَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ كِتَابًا هَذَا حَبِيبُ حَبِيبٍ  
غَيْرَ أَنِّي لَوْ كُنْتُ أَعَشَقُ نَفْسِي لَتَنَغَّصْتُ عَشَقَهَا بِالرَّقِيبِ (٥)

فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَدْ سَامَحَهُمُ الدَّهْرُ بِصَحَابِهِمْ فَاسْتَطَابُوا الْمَقَامَ عَلَى  
حَالِهِمْ. وَمَنْ وَصَلَ إِلَى شَيْءٍ نَفْسِهِ تَقَاصَرَتْ عَلَيْهِ الْأَيَّامُ، وَرَاصَدَتْهُ  
بِمَكْرُوهَاتِ الشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ.

قال جميل بن معمر:

يَطُولُ الْيَوْمُ لَا أَلْقَاكَ فِيهِ وَحَوْلَ نَلْتَقِي فِيهِ قَصِيرُ  
وَقَالُوا لَا يَضُرُّكَ نَائِي شَهْرٍ فَقُلْتُ لِصَاحِبِي فَلِمَنْ يَضِيرُ (٦)

وقال آخر (٧):

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَالْعَيْشُ تَهْوِي بِنَا بَيْنَ الْمُتَنِيفَةِ وَالْضَّمَارِ  
تَمَتَّعْ مِنْ شَمِيمِ عَرَارٍ نَجْدٍ فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَارٍ  
أَلَا يَا حَبْدًا تَفْحَاتُ نَجْدٍ وَرَبِّا رَوْضِهِ بَعْدَ الْقَطَارِ  
وَأَهْلُكَ إِذْ يَحُلُّ الْقَوْمُ نَجْدًا وَأَنْتَ عَلَى زَمَانِكَ غَيْرَ زَارِي  
شُهُورٌ يَنْقُضِينَ وَمَا عَلِمْنَا بِأَنْصَافٍ لَهْنٌ وَلَا سِرَارٍ (٨)

(٥) ديوان أبي تمام (الخياط) ص ٤٣٤.

(٦) انظر الديوان ص ٦٩.

(٧) اختلف في نسبة الأبيات فهي في السمط ص ١٤٠ للصمة بن عبدالله القشيري أو لجمدة العقيلي، وفي شرح المزدق للحماسة ص ١٢٤٠، وكذلك في «اللسان» (عرر)، وانظر معجم البلدان ٤٧٩/٣، وهي في ديوان المجنون ص ١٩.

(٨) الأبيات في ديوان جميل ص ١٠٢ - ١٠٤، وكذلك في أمالي القالي ٢٠٦/٢، وقد نسبت إلى المجنون، الديوان ص ١٥٨، مع اختلاف في الرواية.

وقال آخر:

لَيْلِي أَعْطَيْتُ الصَّبَابَةَ مَقُودِي  
مَضَى لِي زَمَانٌ لَوْ أَخِيرَ بَيْنَهَا  
لَقُلْتُ ذُرُونِي سَاعَةً وَكَلَامُهَا

قوال أبو تمام لنفسه:

وَفَاتِنِ الْأَلْحَاطِ وَالْحَدِّ  
صَيَّرَنِي عَبْدًا لَهُ حُسْنُهُ

وقال بعض بني قشير:

لَوْ أَنَّكَ شَاهَدْتَ الصَّبِيَّ يَا أَبْنَ بَوَزَلٍ  
لَأَبْصَرْتَ عَيْشًا بَعْدَ سُخْطٍ مِنَ النَّوَى

وقال الطائي (١٠):

لَوْ كُنْتُ عِنْدِي أَمْسٍ وَهُوَ مُعَانِقِي  
وَقَدْ آزَنَتْ مِنْ عَبْرَتِي وَجَنَاتِهِ  
لَرَأَيْتُ بَكَاءَ يَهُونَ عَلَى الْهَوَى  
وَرَأَيْتُ أَحْسَنَ مِنْ بُكَائِي قَوْلُهُ

وقال أيضاً:

ظَنُّكَ فِيمَا أُسِرُهُ حَكْمٌ  
فِيمَ سُلُويَ وَأَنْتَ بِي كَلِيفٌ

تَمُرُّ اللَّيَالِي وَالشُّهُورُ وَلَا أَدْرِي  
وَبَيْنَ حَيَاتِي خَالِيًا آخَرَ الدَّهْرُ  
عَلَى غَفْلَةِ الْوَاثِينَ ثُمَّ أَقْطَعُوا عُمْرِي (٨)

مُعْتَدِلِ الْقَامَةِ وَالْقَدِّ  
وَالطَّرْفِ قَدْ صَيَّرَهُ عَبْدِي (٩)

بِجَزَعِ الْغَضَا إِذْ وَاجَهْتَنَا عَيَاطِلُهُ  
وَبَعْدَ تَنَائِي الدَّارِ حُلُومًا شَمَائِلُهُ

وَمَدَامِعِي تَجْرِي عَلَى خَدَّيْهِ  
وَتَنْزَهَتْ شِفَتَايَ فِي شِفَتَيْهِ  
وَتَهَوَّنَ تَخْلِيَةُ الدُّمُوعِ عَلَيْهِ  
هَذَا الْفَتَى مُتَعَنِّتٌ عَيْنَيْهِ

أَرْضَى بِهِ لِي وَطَرُفُكَ أَلْفَهُمْ  
لَيْسَ بِهَذَا تُعَاشِرُ النَّعَمَ

كَيْفَ وَعَيْنِي إِلَيْكَ مُسْرِعَةً  
أَظْهَرْتُ مِنْ لَوْعَةِ الْهَوَى جَزَعًا

وقال أيضاً:

نِعَمَ اللَّهُ فَيْكَ لَا أَسْأَلُ اللَّهَ  
وَلَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كُنْتُ كَمَنْ تَسَدَّ

وقال أيضاً:

أَيَّامَنَا مَضْفُورَةٌ أَطْرَافُهَا  
هَمِيمِي مُعَلَّقَةٌ عَلَيْكَ رِقَابُهَا  
وَمَوَدَّتِي لَكَ لَا تُعَارُ بَلَى إِذَا  
وَالنَّاسُ غَيْرَكَ مَا تُغَيِّرُ حَبْرَتِي  
وَلِلَّذَاكَ شِعْرِي فَيْكَ قَدْ سَمِعُوا بِهِ

وقال علي بن محمد العلوي:

مِنْ قِصْرِ اللَّيْلِ إِذَا زُرْتَنِي  
عَدُّوْ عَيْنَيْكَ وَشَانِيهِمَا

وقال أبو عبادَةَ البحرِي:

لَوْتُ بِالسَّلَامِ بَنَانًا حَضِييًّا  
وَزَارَتْ عَلَى عَجَلٍ فَآكَتْسَى  
فَكَانَ الْعَبِيرُ بِهَا وَاشِيًّا

فَيْكَ وَقَلْبِي عَلَيْكَ مُتَّهِمٌ  
وَالصَّبْرُ إِلَّا عَنِ الْهَوَى كَرَمٌ (١١)

سَهْ إِلَيْهَا نَعْمَى سَوَى أَنْ تَدُومَا  
سَأَلُهُ وَهُوَ قَائِمٌ أَنْ يَقُومَا (١٢)

بِكَ وَاللَّيَالِي كُلُّهَا أَسْحَارُ  
مَغْلُولَةٌ إِنَّ الْوَفَاءَ إِسَارُ  
مَا كَانَ تَأْمُورُ الْفُؤَادِ يُعَارُ  
لِفِرَاقِهِمْ هَلْ أَنْجَدُوا أَمْ غَارُوا  
سَجَرُ وَأَشْعَارِي بِهِمْ إِشْعَارُ (١٣)

أَبْكِي وَتَبْكِينَ مِنَ الطُّولِ  
أَصْبَحَ مَشْغُولًا بِمَشْغُولِ

وَلَحْظًا يَشُوقُ الْفُؤَادَ الطُّرُوبَا  
لِزُورَتِهَا أَبْرَقَ الْحَزَنُ طِيْبَا  
وَجَرَسُ الْحُلِيِّ عَلَيْهَا رَقِيْبَا

(٨) الأبيات في ديوان جميل ص ١٠٢ - ١٠٤، وكذلك في أمالي القاضي ٢٠٦/٢، وقد نسبت إلى المجنون، الديوان ص ١٥٨، مع اختلاف في الدواية.

(٩) البيت في الديوان ١٨٦/٤.

(١٠) الأبيات في الديوان ٢٩٤/٤.

(١١) الأبيات في الديوان ٢٦٥/٤.

(١٢) الأبيات في الديوان ٢٣٠/٣.

(١٣) الأبيات في الديوان ١٨١/٢.



وَلَمْ أُنْسَ لَيْلَتَنَا فِي الْعِذَا  
كَمَا أَفْتَنَتِ الرِّيحُ فِي مَرِّهَا  
وقال أيضاً:

تَأْبَى الْمَنَازِلُ أَنْ تُجِيبَ وَمِنْ جَوَى  
وَقِصَارِ أَيَّامٍ بِهِ شَرَقَتْ لَنَا  
سُقَى الْغُضَا وَالنَّازِلِيهِ وَإِنْ هُمْ  
وله أيضاً:

وَأَنْحَ لَيْسَتْ الْعَيْشُ أَخْضَرَ نَاصِراً  
وَضِيَاءَ وَجْهِهِ لَوْ تَأَمَّلَهُ أَمْرُؤُ  
فَدَعِ الْهَوَى أَوْ مَتَّ بِدَائِكَ إِنْ مِنْ  
وله أيضاً:

أَلَنْتَ لِي الْأَيَّامَ مِنْ بَعْدِ قَسْوَةٍ  
وَأَلْبَسْتَنِي التُّعْمَى الَّتِي غَيَّرَتْ أَخِي  
وقال آخر:

وَلَمَّا خَلَوْنَا وَأَطْمَأْنَنْتَ بِنَا النَّوَى  
أَخَذْتُ بِكَفِّي كَفْهًا فَوَضَعْتُهَا  
قال محمد بن نصير<sup>(١٨)</sup>:

لَا أَظْلِمُ اللَّيْلَ وَلَا أَدْعِي  
أَنْ نُجُومَ اللَّيْلِ لَيْسَتْ تَغُورُ

(١٤) الأبيات في الديوان ١/١٤٩، وفي «م» والمطبوع: كما أقبلت الريح...

(١٥) الأبيات في الديوان ١/٢٤٦.

(١٦) الأبيات في الديوان ١/٢٤١.

(١٧) المصدر السابق ١/٢٠١.

(١٨) لم أقف على ترجمته، ولكنني وجدت في معجم الشعراء ص ٦٣ محمد بن نصر الكاتب المصري... جاء إلى بغداد ثم انحدر إلى البصرة ومات سنة ٢٨٠هـ.

أَلَّيْلُ مَا شَاءَتْ فَإِنْ لَمْ تَزُرْ  
طَالَ وَإِنْ زَارَتْ فَلَيْلِي قَصِيرٌ<sup>(١٩)</sup>  
وقال جميل:

تَذَكَّرَ مِنْهَا الْقَلْبُ مَا لَيْسَ نَاسِياً  
فَإِنْ كُنْتَ تَهْوَى أَوْ تُرِيدُ لِقَاءَنَا  
فَقُلْتُ وَلَمْ أَمْلِكْ سَوَابِقَ عِبْرَةٍ  
فَقَالَتْ أَخَافُ الْكَاشِحِينَ وَلَا تَقِي  
وقال خالد الكتاب<sup>(٢١)</sup>:

عَشِيَّةَ حَيَّانِي بِوَرْدٍ كَأَنَّهُ  
وَوَلَّى وَفَعَلَ السُّكْرِ فِي لَحْظَاتِهِ  
وقال آخر<sup>(٢٢)</sup>:

وَقَصِيرَةَ الْأَيَّامِ وَدَّ جَلِيسَهَا  
بَيْضَاءَ مِنْ بَقَرِ الْجَوَاءِ كَأَنَّمَا  
حَفَنَ الْحَيَاةَ بِهَا وَدَاءَ سَقِيمٍ<sup>(٢٣)</sup>

(١٩) البيتان من السريع ولا بد من سكان الرءاء في القافية لتمام الوزن، وفي «م» المطبوع بالضم.

(٢٠) انظر الديوان ص ٤٧ مع اختلاف في الرواية.

(٢١) هو خالد بن يزيد الكاتب، شاعر غزل، أحد كتاب الجيش أيام المعتصم، توفي ببغداد سنة ٢٦٢هـ. انظر: المنتظم، القسم الثاني من الجزء الخامس ص ٣٥، النجوم الزاهرة ٣/٣٦، إرشاد الأريب ٤/١٧١، وفيه وفاته في سنة ٢٦٩هـ سمط اللآلئ ص ٣١١، تاريخ بغداد ٨/٣٠٨، الأغاني ٢١/٣١.

(٢٢) اختلف في نسبة البيتين فهما لابن الدمينية في أمالي القالي ١/٢٠٣، وهما لبشر بن عبد الرحمن الأنصاري في أمالي المرتضى ١/٤٩٤، ومصارع العشاق ١٦٥، وهما للمجنون فياللسان (ردع)، وكذلك في ديوان المجنون ص ٢٥٦.

(٢٣) ورواية عجز البيت الثاني:

تَرَكَ الْحَيَاءَ بِهَا رُدَاعَ سَقِيمٍ

وقال عروة بن أذينة:

فَذَا نَ يَعْنِيهِمَا لِلْبَيْنِ فُرْقَتُهُ  
مُسْتَقْبِلَانِ نَشَاطاً مِنْ شَبَابِهِمَا  
لَا يَعْجَبَانِ يَقُولُ النَّاسُ عَنْ عُرْضٍ

وقال العرجي:

لَقِيتُ بِهِ سِرْباً تَنْظُرُنْ مَوْعِدِي  
أَمِنْ أَلْعُيُونِ الرَّامِقَاتِ وَلَمْ يَكُنْ  
فَبِتْ صَرِيحاً يَتَنَهَّنْ كَأَنِّي  
يُفْدِيَنِي طَوْرًا وَيَضْمَنْ تَارَةً  
لَعَمْرِي إِنْ أَبْدَيْنَ لِي الْوُدَّ إِنِّي

وقال البحرني:

وَأَهَيْفَ مَا أُخَوِّدُ مِنَ النَّفْسِ شَكْلُهُ  
وَلَمْ تَنْسَ نَفْسِي مَا سُقِيتَ بِكَفِّهِ  
أَرَى غَفْلَةَ الْأَيَّامِ إِعْطَاءَ مَا نَعِ

وقال آخر:

وَلَيْلٍ لَمْ يُقْصِرْهُ رُقَادٌ  
نَعِيمُ الْحُبِّ أَوْزَقَ فِيهِ حَتَّى  
وَمَجْلِسٍ لَذَّةٍ لَمْ نَقُورْ فِيهِ  
فَلَمَّا لَمْ نَطِقْ فِيهِ كَلَاماً

وَلَا يَمْلَأُنْ طُولَ الدَّهْرِ مَا اجْتَمَعَا  
إِذَا دَعَا دَعْوَةً دَاعِي الْهَوَى سَمِعَا  
وَيَعْجَبَانِ بِمَا قَالَا وَمَا صَنَعَا<sup>(٢٤)</sup>

وَقَدْ مَا وَفَتْ مِنِّي لَهْنُ الْمَوَاعِدِ<sup>(٢٥)</sup>  
لَهْنُ بِهِ عَيْنُ سَوَى الصُّبْحِ رَائِدُ  
أَخُو سَقَمٍ تَخْنُو عَلَيْهِ الْعَوَائِدُ  
كَمَا ضَمَّ مَوْلُوداً إِلَى الصُّدْرِ وَالِدُ  
بِهِنَّ وَإِنْ أَخْفَيْتُ وَجْدِي لَوَاجِدُ<sup>(٢٦)</sup>

تَرَى أَلْعَيْنُ مَا تَحْتَاجُ أَجْمَعَ فِيهِ  
مِنْ أَلْرَّاحِ إِلَّا مَا سُقِيتَ فِيهِ  
يُصِيبُكَ أَحْيَاناً وَجَلَمَ سَفِيهِ<sup>(٢٧)</sup>

وَقَصْرَهُ مُنَادِمَةُ الْحَبِيبِ  
تَنَاوَلْنَا جَنَاهُ مِنْ قَرِيبٍ  
عَلَى شَكْوَى وَلَا عُذْرَ الذُّنُوبِ  
تَكَلَّمْتَ أَلْعُيُونُ عَنْ الْقُلُوبِ

(٢٤) انظر شعر عروة بن أذينة ص ٢٥٧، وانظر تخريج الأبيات ص ٢٣٩. وعروة بن أذينة من شعراء بني أمية. انظر ترجمته في الشعر والشعراء (ليدن) ص ٣٦٧ - ٣٦٨.  
(٢٥) في (م) والمطبوع: لقيت به سر ينظرون (كذا) ولا يستقيم بذلك الوزن ولا المعنى.  
(٢٦) انظر الديوان ص ١١٧، مع اختلاف في الرواية.  
(٢٧) انظر الديوان ص ٢٣٩٨.

وأنشدني ستيرة العصبية\* (٢٨):

بِتْنَا بِأَطْيَبِ لَيْلَةٍ وَأَلَذِّهَا  
حَتَّى إِذَا مَا اللَّيْلُ أَشْغَلَ لَوْنُهُ  
نَادَى مُنَادٍ بِالصَّلَاةِ فَرَاغَنَا  
فَنَهَضْنَا مِنْ حَذَرِ أَلْعُيُونِ هَوَارِبَا  
ثُمَّ أَطْلَعْنَا كَأَنَّهُنَّ غَمَائِمُ  
حَتَّى دَفَعْنَا إِلَى فَتَى جَشْمَنُهُ

وقال بعض أهل هذا العصر:

خَلِيلِي أَغْرَانِي مِنَ الشَّوْقِ وَالْهَوَى  
فَصَدَّرَ عَلَى صَدْرٍ وَنَحَرَ عَلَى نَحْرٍ  
يَظَلُّ حَسُودُ الْقَوْمِ فِينَا مُفَكِّراً

وقال عمر بن أبي ربيعة:

وَغَضِيضِ الطَّرْفِ مَكْسَالِ الضُّحَى  
مَرَّ بِي فِي بَقَرٍ يَخْفَفْنُهُ  
رَاعِنِي مَنْظَرُهُ لَمَّا بَدَا  
قُلْتُ: مَنْ هَذَا، فَقَالَتْ: بَعْضُ مَنْ  
بَعْضُ مَنْ كَانَ سَتِيرًا زَمَنًا  
قُلْتُ: حَقًّا، قُلْتُ: قَوْلُهُ  
قُلْتُ: يَا سَيِّدِي عَذَّبْتَنِي

أَمَّا هَذِهِ الْمُخَاطَبَةُ فَقُلْ مَا يَقَعُ أَلْطَفَ مِنْهَا لَفْظًا وَلَا أَجَلَ مِنْهَا مَوْعِدًا.  
وَلَوْ لَمْ يَصْبِرِ الْمُجِبُّ عَلَى امْتِحَانٍ إِلَيْهِ إِلَّا بِسَمْعٍ مِثْلَ هَذَا مِنْ لَفْظِهِ لَكَانَ ذَلِكَ

(٢٨) لم أهدت إلى ترجمتها وقد وردت ثلاث مرات في الكتاب.  
(٢٩) المقطوعة في الديوان ص ٢١٣ - ٢١٤ مع اختلاف في الرواية.

## مَنْ كَانَ ظَرِيفًا فَلْيَكُنْ عَفِيفًا

قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ دَاوُدَ وَحَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: حَدَّثَنَا سُؤَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ الْحَدَثَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنْ أَبِي يَحْيَى الْفَتَاتِ<sup>(١)</sup> عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ عَشِقَ فَعَفَّ فَكَتَمَهُ فَمَاتَ فَهُوَ شَهِيدٌ». وَلَوْ لَمْ تَكُنْ عَفَّةً لُمْتَحَابِّينَ عَنِ الْإِنْسَانِ، وَتَحَامِيهِمَا مَا يُنْكَرُ فِي عَرَفٍ كَافَّةٍ النَّاسِ، مُحَرَّمًا فِي الشَّرَائِعِ، وَلَا مُسْتَقْبَحًا فِي الطَّبَائِعِ، لَكَانَ الْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا تَرْكُهُ إِيقَاءً وَدِهَ عِنْدَ صَاحِبِهِ، وَإِيقَاءً عَلَى وَدِّ صَاحِبِهِ عِنْدَهُ.

أنشدني أحمد بن يحيى عن زبير عن محمد بن إسحاق عن مؤمل بن طالوت من أهل وادي القرى عن حمزة بن أبي ضيغم:

وَبِتْنَا خِلَافَ الْحَيِّ لَا نَحْنُ مِنْهُمْ      وَلَا نَحْنُ بِالْأَعْدَاءِ مُخْتَطِطَانِ  
وَبِتْنَا يَقِينًا سَاقِطَ الظِّلِّ وَالْأَنْدَى      مِنْ اللَّيْلِ بُزْدًا يُمْنَةً عَطِرَانِ  
نَذُودُ بِذِكْرِ اللَّهِ عَنَّا غَوَى الصَّبَى      إِذَا كَادَ قَلْبَانَا بِنَا يَرْدَانِ  
وَنُصْدِرُ عَنْ رَيِّ الْعَفَافِ وَرُبَّمَا      سُقِينَا عَلَيْكَ النَّفْسَ بِالرُّشْقَانِ \*

وأنشدني أعرابية بالبادية:

وَيَوْمَ كَانَهُمَا الْجُبَارَى لَهُوْتُهُ      بِقَعْمَةٍ وَالْوَأْشُونَ فِيهِ تُحْرِفُ  
بِلَا حَرَجٍ إِلَّا كَلَامَ مَوْدَةٍ      عَلَيْنَا رَقِيَانِ التَّقَى وَالْتَعَفُفُ  
إِذَا مَا تَهَمُّنَا صَدَدْنَا نَفُوسَنَا      كَمَا صَدَّ مِنْ بَعْدِ التَّهَمُّ يُوسُفُ

(١) لعله الفتات، وهو بائع الفت، أما الفتات فلم أجده شهرة بين رجال الحديث.

حَظًّا جَزِيلًا وَدَرَكًا جَلِيلًا. فَكَيْفَ وَحَالَ الصَّفَاءِ إِذَا ابْتَدَأَتْ بَيْنَ الْمُتَحَابِّينَ \*  
بِالْمُشَاكَلَةِ الطَّبِيعِيَّةِ؟ ثُمَّ اتَّصَلَتْ بِالْجِرَاسَةِ عَنِ الْأَخْلَاقِ الدِّينِيَّةِ؟ ثُمَّ عَذَبَتْ  
بِالرَّغَايَاتِ الْأَخْتِيَارِيَّةِ؟ بَلَغَتْ بِهِمَا الْحَالَ، إِلَى حَيْثُ انْقَطَعَتْ بِهِمَا<sup>(٣٠)</sup> دُونَهُ  
الْأَمَالُ، وَعَلَى أَنَّ الْحَزْمَ لِمَنْ سُوِّجَ بِالْوَصَالِ، أَلَّا يُرْسِلَ نَفْسَهُ كُلَّ  
الْإِرْسَالِ، فَإِنَّ ذَلِكَ رُبَّمَا دَعَا الْمَحْبُوبَ إِلَى الْمَلَالِ، وَإِنْ كَانَ مُقِيمًا عَلَى  
رِعَايَةِ الْحَالِ.

ولقد أحسن الذي يقول:

عَلَيْكَ بِإِقْلَالِ الزَّيَارَةِ إِنَّهَا      تَكُونُ إِذَا دَامَتْ إِلَى الْهَجْرِ مَسْلَكًا  
فَلَيْنِي رَأَيْتُ الْقَطَرَ يُسَامُ دَائِمًا      وَيُسَالُ بِالْأَيْدِي إِذَا هُوَ أَمْسَكَ

□ □ □

وقال العباس بن الأحنف:

أَتَأَذُنُونَ لِيَصَبَّ فِي زِيَارَتِكُمْ  
لَا يُضْمِرُ السُّوءَ إِنْ طَالَ الْجُلُوسُ بِهِ

وأحسن من هذا قول عمر:

نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِالْمُحْصَبِ مِنْ مَنَى  
فَقُلْتُ أَشْمَسُ أَمْ مَصَابِيحُ بَيْعَةٍ  
بَعِيدَةٍ مُهَوًى الْقَرْطِ إِمَّا لِنُؤْفَلٍ  
طَلَبَنِ الصَّبَى حَتَّى إِذَا مَا أَصْبَنَهُ

ولبعض أهل هذا العصر:

أَمْوَلَايَ لَمْ تَبْعُدْ عَلَيْكَ مَطَالِبِي  
أَمْوَلَايَ لَا أَيْنَ الْمَفَرُّ مِنَ الْهَوَى  
أَنْسَيْتُ عَهْدَيْنَا بِوَادٍ مُعْظَمٍ  
وَأَنْتَ حَرَامُ حُرْمَةِ الْحَجِّ وَالْهَوَى  
أَخْتِكَ كَانَ الْعَفْوُ أَوْلَى بِذِي الْهَوَى

فَعِنْدَكُمْ شَهَوَاتُ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ  
عَفْ الصُّمِيرِ وَلَكِنْ فَاسِقُ النَّظَرِ<sup>(٢)</sup>

وَلِي نَظَرٌ لَوْلَا التَّحَرُّجُ عَارِمٌ  
بَدَتْ لَكَ خَلْفَ السَّجْفِ أَمْ أَنْتَ حَالِمٌ  
أَبُوهَا، وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَائِشِمٌ  
نَزَعْنَ وَهْنُ الْمُسْلِمَاتِ الْكَرَائِمُ<sup>(٣)</sup>

وَلَمْ تَخْشَ إِنْ فَكَّرْتَ فِي فَوَاتِي  
فَقُلْ لِي لِمَا بَادَرْتَ بِالنَّقِمَاتِ  
وَلَيْسَ بِذِي زُرْعِ سِوَى الْحَسَنَاتِ  
عَلَى الْعَيْنِ إِلَّا هَفْوَةٌ اللَّحْظَاتِ  
أَمْ أَبْلَغْتَ زُوراً لِمَ شَفِيتَ وَشَاتِي

قَالَ: وَبَلَغَنِي عَنِ الْأَصْمَعِيِّ أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَطُوفُ بِالْبَيْتِ إِذَا أَنَا  
بِجَارِيَةٍ مُتَعَلِّقَةٍ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ وَهِيَ تَقُولُ:

لَنْ يَقْبَلَ إِلَهُ مِنْ مَعْشُوقَةٍ عَمَلًا  
وَكَيْفَ يَأْجُرُهَا فِي قَتْلِ عَاشِقِهَا  
يَوْمًا وَوَامِقُهَا غَضَبَانُ مَهْجُورُ  
لَكِنْ عَاشِقُهَا فِي ذَاكَ مَاجُورُ

قَالَ: فَقُلْتُ لَهَا: يَرْحَمُكَ اللَّهُ أَفِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ تُشِيدِينَ هَذَا؟  
فَقَالَتْ: إِلَيْكَ عَيْنِي يَا عِرَاقِي لَا رَهَقَكَ، فَقُلْتُ لَهَا: وَمَا الْحُبُّ؟ فَقَالَتْ:

(٢) البيتان في ديوان العباس ص ١٤٧، وانظر الأغاني (الدار) ٣٥٦/٨ - ٣٥٧،  
والموشى ص ٤٤.

(٣) الأبيات في ديوان عمر ص ١٨٢.

هَيْهَاتَ! جَلَّ وَاللَّهِ عَنْ أَنْ يُحْصَى، وَخَفِيَ عَنْ أَنْ يُرَى، فَهُوَ كَامِنٌ كَكُمُونَ  
النَّارِ فِي حَجَرِهَا، إِنْ قَدَحَتْهُ وَرَى، وَإِنْ تَرَكْتَهُ تَوَارَى. ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ:

أُنْسُ غَرَائِرُ مَا هَمَمَنْ بِرِيَّةٍ كَطِبَاءِ مَكَّةَ صَيْدُهُنَّ حَرَامُ  
يُحَسِّنُ مِنْ لَيْنِ الْحَدِيثِ فَوَاسِقًا وَيَصُدُّهُنَّ عَنِ الْخَنَا الْإِسْلَامُ<sup>(٤)</sup>

وقال أبو صخر الهذلي:

وَلَلَّيْلَةُ مِنْهَا تَعُودُ لَنَا فِي غَيْرِ مَا رَفَثٍ وَلَا إِنْ  
أَهْوَى إِلَى نَفْسِي وَلَوْ نَزَحَتْ مِمَّا مَلَكَتْ وَمِنْ بَنِي سَهْمٍ<sup>(٥)</sup>

وقال آخر:

فَلَمَّا التَّقَيْنَا قَالَتْ: الْحُكْمُ فَاخْتَكِمِ سِوَى خِصْلَةٍ هَيْهَاتَ مِنْكَ مَرَامُهَا  
فَقُلْتُ: مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ تِلْكَ خِصْلَةٍ تَمُوتُ وَيَبْقَى وَزُرْهَا وَإِسَامُهَا  
فَبِتُ أَنْيْنِيهَا عَلَيَّ كَأَنَّهَا مِنْ النَّوْمِ سَكْرَى وَارِفَاتُ عِظَامُهَا

وقال مسعر بن كدام<sup>(٦)</sup>:

تَفَنَّى اللَّذَازَةُ مِمَّنْ نَالَ صَفْوَتَهَا مِنْ الْحَرَامِ وَيَبْقَى الْإِنَّمُ وَالْعَارُ  
تَبْقَى عَوَاقِبُ سُوءٍ فِي مَغْيَبَتِهَا لَا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا النَّارُ

وقال جرير:

كَانَتْ إِذَا أَخَذَتْ لِعَبْدٍ زِينَةً هَشَّ الْفُؤَادُ وَلَيْسَ فِيهَا مَطْمَعُ  
تَرَكْتُ حَوَائِمَ صَادِيَاتٍ هَيْمًا مُنِعَ الشِّفَاءُ وَطَابَ هَذَا الْمَشْرِعُ<sup>(٧)</sup>

(٤) المختار من شعر بشر ص ١٩٧، في «م» والمطبوع: إِنْس (بكسر الهمزة).

(٥) لم أجد البيتين في أشعار أبي صخر الهذلي، وأبو صخر الهذلي من شعراء

الحماسة ٣١١/١.

(٦) لم أهد إلى ترجمته.

(٧) انظر الديوان ص ٩١٠.

وقال عبيد الراعي :

نُقَارِبُ أَفْنَانَ الصَّبَى وَنَرُدُّنَا  
حَرَائِرَ مَا يَذْرِيْنَ مَا سُوءُ شِيْمَةٍ

وقال ذو الرمة :

أَرَيْنَ الَّذِي اسْتَوْدَعَنَ سَوْدَاءَ قَلْبِهِ  
أَوَّلِيكَ آجَالُ الْفَتَى إِنْ أَرَدْنَاهُ  
يُقَارِبُنْ حَتَّى يَطْمَعَ التَّابِعُ الصَّبَى  
إِذَا قَالَ يَا قَدْ حَلَّ دِينِي قَضَيْنَهُ

وقال أيضاً :

وَإِنَّا لَنَرْضَى حِينَ نَشْكُو بِخَلْوَةٍ  
وَمَا الْفَقْرُ أَزْرَى عِنْدَهُنَّ بِوَصْلِنَا

وانشدني أعرابي ببلاد نجد :

وَقَدْ كُنْتُ وَدَّعْتُ أَلْفًا لَيْلَةَ الْفَقَا  
وَمَا نِلْتُ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّكَ قُلْتَ لِي :  
سَبْتِكَ بِوَجْهِهِ كَالصَّحِيفَةِ وَاضِحٍ  
وَفِي مِضْحَكٍ عَذْبٍ كَأَنَّ رِضَابَهُ  
وَمَا لِي عِلْمٌ غَيْرَ أَنِّي أَظُنُّهُ

وقال آخر :

فَمَا نُظْفِقُهُ مِنْ مَاءٍ مُزْنٍ تَسَمَّتْ  
رِيَّاحٌ لِأَعْلَى مَتْنِهِ فَهَوَ قَارِسُ

حَيَاءٌ إِذَا كِدْنَا نَلِجُ فَتَجَمَحُ  
وَيَتَرَكُنْ مَا يُلْحَى عَلَيْهِ وَيَقْضَحُ<sup>(٨)</sup>

هَوَى مِثْلَ شَكِّ بِالرِّمَاحِ النَّوَاجِمِ  
بِقَتْلِ وَأَسْبَابِ السَّقَامِ الْمَلَاذِمِ  
وَتَهْتَزُّ أَحْشَاءُ الْقُلُوبِ الْحَوَائِمِ  
أَمَانِيَّ عِنْدَ الزَّاهِرَاتِ الْعَوَائِمِ<sup>(٩)</sup>

إِلَيْهِنَّ حَاجَاتِ الْفُؤُوسِ بِلَا بَذَلٍ  
وَلَكِنْ جَرَتْ أَخْلَاقُهُنَّ عَلَى الْبُخْلِ<sup>(١٠)</sup>

بِمَا لَيْسَ يُبْلَى ثَوْبَ جَدَّتِهِ الدَّهْرِ  
سَارِعَاكَ فَاحْفَظْنِي فَذَيْتُكَ يَا بَذْرُ  
وَفِي مُقْلَتِي وَسَنَانٍ فِي طَرْفِهِ فَتَرُ  
نُورًا أَقَاجِي يُدَجِّنُهَا الْقَطَرُ  
وَمَا لِي عِلْمٌ غَيْرَ ظَنِّي وَلَا خُبْرُ

بِأَطْيَبِ مِنْ فِيهَا وَمَا دُقْتُ طَعْمَهُ  
وَلَكِنِّي فِيمَا تَرَى الْعَيْنُ فَارِسُ

وانشدني أحمد بن يحيى النحوي لزبيب بنت فروة<sup>(١١)</sup> :

وَمَا طَعْمُ مَاءٍ أَيْ مَاءٍ تَقُولُهُ  
بِمُنْعَرِجٍ أَوْ بَطْنٍ وَإِذْ تَحَدَّثْتُ  
نَفْتُ جَرِيَةِ الْمَاءِ الْقَذَى عَنْ مُتُونِهِ  
بِأَطْيَبِ مِمَّنْ يَقْصُرُ الطَّرْفُ دُونَهُ  
تَحَدَّرَ مِنْ غَيْرِ طَوَالِ الدَّوَائِبِ  
عَلَيْهِ رِيَّاحُ الصَّيْفِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ  
فَمَا إِنْ تَرَى فِيهِ مَعَاباً لِعَائِبِ  
تُقَى آلَهُ وَاسْتَحْيَاهُ بَغْضِ الْعَوَائِبِ

وقال العدبى الكنانى<sup>(١٢)</sup> :

جَزَى آلَهُ الْوَشَاءَ جَزَاءَ سُوءٍ  
وَلَوْ لَمْ نَخْشَ إِلَّا النَّاسَ كَانُوا  
وَلَكِنَّا نَخَافُ آلَهُ حَقًّا  
وَنَسْتَحْيِي وَنَرْعَى غَيْبَ جُمْلِ  
فَلِإِنَّهُمْ بِنَا قَدْ يُوَلَّعُونَا  
عَلَيْنَا فِي الْإِسَاءَةِ هَيِّنِينَ  
وَنَخْشَى آلَهُ إِسْلَامًا وَدِينًا  
وَنَحْنُ عَلَى الْمَوَدَّةِ مُنْطَوِينَ

وقال آخر :

وَأَقْصُرْ طَرْفِي دُونَ جُمْلِ كَرَامَةٍ  
سَقَى آلَهُ بَيْتًا لَسْتُ آتِي أَهْلِهِ  
بِجُمْلِ وَلِلطَّرْفِ الَّذِي أَنَا قَاصِرُهُ  
وَقَلْبِي فِي الْبَيْتِ الَّذِي أَنَا هَاجِرُهُ

وقال آخر :

تَضَوَّعَ مِسْكَاً بَطْنُ نَعْمَانَ إِذْ مَشَتْ  
خَرَجْنَ بِفَجٍّ رَائِحَاتٍ عَشِيَّةً  
يُغَطِّينَ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ التَّقَى  
وَلَمَّا رَأَتْ نَكْتَ الثَّمِيرِيِّ أَعْرَضَتْ  
بِهِ زَيْبٌ فِي نِسْوَةِ عَطِرَاتٍ  
يُلَيِّنَ لِلرَّحْمَانِ مُغْتَمِرَاتٍ  
وَيَخْرُجْنَ بِالْأَسْحَارِ مُجْتَمِرَاتٍ  
وَكُنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتٍ

(١١) لم أهد إلى ترجمة زبيب بنت فروة.

(١٢) العدبى بن مالك بن ذعر، انظر الاشتقاق لابن دريد ص ٣٧٨.

(٨) البيتان في الديوان ص ٣٩. وهما من قصيدة في «متهى الطلب» غطوة بال، الورقة ٣٨٩.

(٩) الأبيات في ديوان ذي الرمة في ص ص ٦١٦، ٦١٨، ٦١٩.

(١٠) المصدر السابق ص ٤٨٧.

وقال الحسن بن هانئ:

أَحْسَنُ مِنْ رَحْفِ قَيْسِلَتَيْنِ  
وَمِنْ نِزَالِ بِمُرْهَفَاتِ  
فَمَنْ قَدْ أُعْجِلَ رِضَاعاً  
لَمْ يَطْعَمَا أَلْغَضَ مِنْ نَقَارِ  
حَتَّى إِذَا الصُّبْحُ لَاحَ قَامَا

وقال آخر:

فَمَا أَنَسَ مِمَّا قَدْ رَأَيْتُ وَفَاتَنِي  
فَلَنْ أَنَسَ مَسْرَاهَا وَسِرْباً سَرَتْ بِهِ  
إِلَى مَوْعِدٍ مِنَّا وَمِنْهُمْ شَاقْنَا  
فَبِتْنِ جُنُوحاً يَشْتَكِي وَنَشْتَكِي  
عَفَائِفُ لَا يَدُنُونُ مِنَّا لِرَبِيبَةٍ  
فَلَمَّا رَأَيْنَ الصُّبْحَ لَاحَ وَصَوَّتْ  
فَمَا بَرَحَتْ حَتَّى وَدِدْتُ بِسَائِنِي  
وَأَعْلَنْتِ الشُّكْرَى حَصَانُ غَرِيرَةٍ  
يَظُلُّ أَلْغِيورُ أَرْغَمَ اللَّهُ أَنْفَهُ

وقال آخر:

أَلَا يَا شِفَاءَ النَّفْسِ لَمْ تُسْعِفِ النَّوَى  
أُتِيبِي فَتَى حَقَّقْتَ قَوْلَ عَدُوِّهِ  
أُجِبْكَ يَا سَلَمَى عَلَى غَيْرِ رَبِيبَةٍ

وَمِنْ تَلَاقِي كَتِيبَتَيْنِ  
بَيْنَ مَغَاوِرِ عَسْكَرَيْنِ  
وَمَضَى رِيسِي بِشِفَتَيْنِ  
مُحَادِثَيْنِ مُلَازِمَيْنِ  
عَلَى وَضُوءِ مُصَلِّيَيْنِ<sup>(١٣)</sup>

بِهِ الذَّهْرُ مِمَّا كُنْتُ أُعْطِي وَأَرْزُقُ  
بِعُورِ النَّقَا كَادَتْ لَهُ الْأَرْضُ تَشْرِقُ  
إِلَيْهِ الْأَعَادِي وَالْهَوَى الْمُنْتَشِقُ  
إِلَيْهِ لَمْ يَهْبِطْ لَنَا الْأَرْضُ مِرْفَقُ  
وَلَا نَحْنُ مَكْرُوهَا مِنَ الْأَمْرِ نَرْهَقُ  
كَرَائِمُ طَيْرٍ لَمْ تَكُنْ قَبْلُ تَنْطِقُ  
بِمَا فِي فُؤَادِي مِنْ دَمِ الْجَوَابِ أَشْرَقُ  
تَجُودُ بِمَا ضِي دَمْعِهَا ثُمَّ تَشْهَقُ  
عَلَى مُلْتَقَانَا قَائِمًا يَتَحَنَّقُ

وَتُخَيِّي فُؤَاداً لَا تَنَامُ سَرَائِرُهُ  
عَلَيْهِ وَقَلْتُ فِي الصَّدِيقِ مَعَاذِرُهُ  
وَمَا خَيْرُ حَبٍ لَا تَعِفُّ سَرَائِرُهُ<sup>(١٤)</sup>

ولبعض أهل هذا العصر:

لَا تُلْزِمَنِي فِي رَعِي الْهَوَى سَرَفاً  
لَوْ كُنْتُ شَاهِدَنَا وَالِدَارُ جَامِعَةً  
لَا بَلَّ مَسَاوَاهُ وَدِي وَدَّهَ بِهِوَى  
مُسْتَأْنَسِينَ بِمَا تُخْفِي ضَمَائِرُنَا  
فَإِنْ مَحَا الشُّوقُ قَرُطُ الْأَنْسِ أَوْحَشَنَا  
فَمَا نُدَافِعُ بِالْهَجْرَانِ فَهَوَ عَلَى  
عَايِنَتْ مَنْرَلَةً فِي الظَّرْفِ عَالِيَةً  
فِي عِقْفَةٍ تَحَامَى أَنْ يُلِمَ بِهَا

وقال آخر:

فَلَا بُخْلَ فَيُوسَ مِنْكَ بُخْلُ  
شَكُونَا مَا عَلِمْتَ فَمَا وَلَيْتُمْ  
وَنُحْسَدُ أَنْ نَزُورَكُمُ وَنَرْضَى

وقال آخر:

وَيَخْشُونَ فِي لَيْلَى عَلَيَّ وَلَمْ أَنْلِ  
سِوَى أَنْ حَبّاً لَوْ تَشَاءُ أَقْلُهَا  
أَلَا حَبْدًا أَطْلَالُ لَيْلَى عَلَى الْبَلَى  
وَمَا يَتِمَادَى الْعَهْدُ إِلَّا تَجَدَّدَتْ

وَمَا أَوْفِيهِ إِلَّا دُونَ مَا يَجِبُ  
وَالشَّمْلُ مُلْتِمٌ وَالْوُدُّ مُقْتَرِبُ  
كَأَنَّهُ نَسَبٌ بَلَّ دُونَهُ النَّسَبُ  
عَلَى الْعَفَافِ وَرَعِي الْوُدَّ نَضْطَجِبُ  
أَنْسُ الْعَوَازِلِ إِنْ جَدُّوا وَإِنْ لَعِبُوا  
أَنْ لَا يَزُولَ هَوَانَا مُشْفِقُ حَدْبُ  
وَرُبَّةٌ قَصَّرَتْ عَنْ شَأُوهَا الرُّبُ  
سُوءُ الظُّنُونِ وَأَنْ تَغْتَالَهَا الرِّيبُ

وَلَا جُودَ فَيَنْفَعُ مِنْكَ جُودُ  
وَبَاعَدْنَا فَمَا نَفَعَ الصُّدُودُ  
يُدُونُ الْبَذْلُ لَوْ رَضِيَ الْحُسُودُ

مَعَ الْعَذْلِ مِنْ لَيْلَى حَرَاماً وَلَا جَلّاً  
وَلَوْ تَبَتَّغِي ظِلّاً لَكَانَ لَهَا ظِلّاً<sup>(١٥)</sup>  
وَمَا بَدَلْتُ لِي مِنْ نَوَالٍ وَإِنْ قَلّاً  
مَوَدَّتْهَا عِنْدِي وَإِنْ زَعَمْتَ أَنْ لَا<sup>(١٦)</sup>

وَلَعَمْرِي إِنَّ هَذَا مِنْ نَفِيسِ الْكَلَامِ، قَدْ جَمَعَ لَفْظاً فَصِيحاً وَمَعْنَى  
صَحِيحاً، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يُخَيَّرْ بِالْعِلَّةِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا لَمْ يَنْلِ حَرَاماً وَلَا حَلَالاً،

(١٥) في «م» والمطبوع: نحا.

(١٦) نسبت الأبيات إلى المجنون كما في الديوان ص ٢٣٥ مع اختلاف في الرواية.

(١٣) لم أجد الأبيات في ديوان الشاعر.

(١٤) الأبيات نسبت إلى المجنون كما في الديوان ص ١٤٤ مع اختلاف في الرواية. وهي في  
الأمالي لأبي علي ٧٨/١.

فَيَقْضَى لَهُ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ، لِأَن مَن مَنَعَهُ مِنْ إِيْتَانِ الْمُتَكَبِّرِ عَجْزُهُ عَنْهُ،  
لَمْ يُشْكَرْ، وَإِنَّمَا يُسْتَطَرَفُ بِمَنْ قَدِرَ عَلَى مَا يَهْوَاهُ فَتَعَفَّفَ.

كما قال مسلم بن الوليد:

وَمَا ذَمِّيَ الْإِيَّامُ أَنْ لَسْتُ حَامِداً لِعَهْدٍ لِيَالِيهَا الَّتِي سَلَفَتْ قَبْلُ  
أَلَا رُبَّ يَوْمٍ صَادِقِ الْعَيْشِ نِلْتُهُ بِهَا وَنَدَامَايَ الْعَفَافُ؟ وَالْبَدَلُ (١٧)

وقال بعض أهل هذا العصر:

يَا مُتُّ قَبْلَكَ قَدْ وَاللَّهِ بَرَّحَ بِي شَوْقِي إِلَيْكَ فَهَلْ لِي فِيكَ مِنْ حَظٍّ  
قَلْبِي يَغَارُ عَلَى عَيْنِي إِذَا نَظَرْتُ بَقِيَا عَلَيْكَ فَعَا أَرَوَى مِنَ اللَّحْظِ

فَهَذَا يُخْبِرُ أَنَّ صَاحِبَهُ وَفَاسَتْهُ فِي صَدْرِهِ مَنَعَاهُ مِنَ الْأَسْتِمْتَاعِ بِالنَّظَرِ إِلَى  
شَخْصِهِ، وَأَكْسَبَاهُ الْغَيْرَةَ لَهُ عَلَى نَفْسِهِ. وَلَهُ أَيْضاً فِي بَابِ التَّعْظِيمِ لِإِلْفِهِ  
وَالْتَقْدِيمِ لَهُ عَلَى نَفْسِهِ كَلَامٌ إِنَّ لَمْ يَقْبَحْ مِنْ بَابِ الْإِفْرَاطِ وَالتَّكْثِيرِ، لَمْ يَسْهَلْ  
مِنْ بَابِ التَّسَاهُلِ وَالتَّقْصِيرِ، وَهُوَ:

جَعَلْتُ فِدَاكَ إِنْ صَلَحَتْ فِدَاءَ لِنَفْسِكَ نَفْسُ مِثْلِي أَوْ وَقَاءَ  
وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ تَقْدِيكَ نَفْسِي وَلَيْسَ مَحَلُّ نَفْسَيْنَا سَوَاءَ

وَبَلَّغَنِي أَنَّ أَعْرَابِيًّا خَلَا بِصَاحِبَتِهِ فَقِيلَ لَهُ: مَا كَانَ بَيْنَكُمَا؟ فَقَالَ: مَا زَالَ  
لِقَمَرُ يُزَيِّنُهَا، فَلَمَّا غَابَ زَيَّنَتْهُ، فَوَضَعْتُ كَفِّي عَلَى كَفِّهَا، فَقَالَتْ: مَهْ  
لَا تُفْسِدْ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ مَا يَرَانَا إِلَّا الْكُورَابُ، فَقَالَتْ: وَيَحَاكَ! وَأَيَّنَ  
مَكْرُوبُهَا؟ قَالَ: فَأَرْفَضْتُ وَاللَّهِ عَرَقاً وَلَمْ أَعُدْ.

وَبَلَّغَنِي أَنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ سَهْلٍ السَّاعِدِيَّ دَخَلَ عَلَى جَمِيلٍ وَقَدْ أَحْضَرَ،  
فَقَالَ لَهُ جَمِيلٌ: بَلَّغْنَا أَتَقْنُ رَجُلًا عَاشَ فِي الْإِسْلَامِ لَمْ يَزِنْ وَلَمْ يَسْرِقْ

وَلَمْ يَسْفِكْ دَمًا حَرَامًا، نَاجِيًا مِنْ هَوْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: الْعَبَّاسُ، فَقُلْتُ:  
إِنِّي وَاللَّهِ، فَمَنْ ذَلِكَ، قَالَ: إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَهُ، قَالَ: فَتَبَسَّمْتُ وَقُلْتُ:  
أَبَعْدَ إِيْتَانِكَ بُيُوتَ عِشْرِينَ سَنَةً، فَقَالَ إِنِّي فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا، وَأَوَّلِ  
يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْآخِرَةِ، فَلَا نَالَتَنِي شَفَاعَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ إِنْ كُنْتُ حَدَّثْتُ نَفْسِي  
بِحَرَامٍ مِنْهَا قَطُّ، فَضْلاً عَمَّا وَرَاءَ ذَلِكَ، قَالَ: ثُمَّ مَاتَ مِنْ يَوْمِهِ.

□ □ □

## لَيْسَ مِنَ الظَّرْفِ امْتِنَانُ الْحَبِيبِ بِالْوَصْفِ

مَنْ سَامَحْتَهُ الْأَيَّامَ لِمَحَابِيهِ، وَرَزَقَ حُسْنَ الْوَفَاءِ وَالْمُسَاعَدَةِ مِنْ أَحْبَابِهِ، مَا يَجِبُ عَلَيْهِ فِي حُدُودِ الظَّرْفِ، دُونَ مَا يَجِبُ مِنْ رِعَايَةِ حُقُوقِ الْإِلْفِ، أَنْ يُقَابِلَ نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْهِ، بِمَا يُوْجِبُ الْمَزِيدَ فِيهَا لَدَيْهِ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ، فَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَعَرَّضَ لِأَسْبَابِ الْمَهَالِكِ، وَلْيَعْلَمْ أَنَّ وَصْفَ مَا فِي صَاحِبِهِ مِنْ الْخِصَالِ الْمُرْتَضَاةِ مُغَرٍّ بِمَنْ عِلِمَهَا بِالْمُشَارَكَةِ لَهُ فِي هَوَاهُ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ الَّذِي يَقُولُ:

وَلَسْتُ بِوَاصِفٍ أَبَدًا خَلِيلًا      أَعْرِضُهُ لِأَهْوَاءِ الرِّجَالِ  
وَمَا بَالِي أَشَوْقٍ عَيْنَ غَيْرِي      إِلَيْهِ وَدُونَهُ سَتَرُ الْحِجَالِ  
كَأَنِّي آمَنُ الشُّرَكَاءَ فِيهِ      وَآمَنُ فِيهِ أَحْدَاثَ الرِّمَالِ \*

وأحسن أيضاً الذي يقول:

أَصُونُكَ أَنْ أَدُلَّ عَلَيْكَ وَهْمًا      لِأَنَّ الظَّنَّ مِفْتَاحُ الْغُيُوبِ

وما قصر علي بن محمد العلوي حيث يقول:

رُبَّمَا سَرَّنِي صُدُودُكَ عَيْنِي      وَتَنَائِيكَ وَامْتِنَاعُكَ مِثْنِي  
ذَلِكَ أَرَأَى أَكُونُ مِفْتَاحَ غَيْرِي      وَإِذَا مَا خَلَوْتُ كُنْتُ التَّمَنِّي

وَإِذْ قَدْ دَلَّلْنَا عَلَى قُبْحِ وَصْفِ الْخَلِيلِ، بِمَا فِيهِ مِنَ الْخَلْقِ وَالْخُلُقِ الْجَمِيلِ، فَلَا حَاجَةَ لَنَا إِلَى دَلَالَةٍ عَلَى قُبْحِ الْوَصْفِ لِمَا حَمَلَ عَلَيْهِ نَفْسُهُ مِنَ الْمُسَامَحَةِ بِصَاحِبِهِ وَالْمُسَارَعَةِ إِلَى بُلُوغِ مَحَبَّتِهِ. فَإِنَّ الْمَحْبُوبَ رُبَّمَا دَعَتْهُ

الرَّأْفَةُ بِمُحِبِّهِ أَوْ الْإِشْفَاقُ عَلَيْهِ، إِلَى أَنْ يَحْمِلَ نَفْسَهُ لَهُ عَلَى مَا لَا يُوجِبُهُ حَقُّ الْهَوَى عَلَيْهِ. وَعَلَى مَا لَمْ يُوصِلْهُ صَاحِبُهُ مِنْهُ وَأَنْ يَدْعَهُ إِلَيْهِ تَحَقُّقًا بِالرِّعَايَةِ لِمَنْ يَهْوَاهُ، وَتَظَرُّفًا بِالسِّيَاسَةِ لَهُ إِلَى أَكْثَرِ مَا يَتَمَنَّاهُ، وَإِنْ لَمْ يَقَعْ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَمْلِ عَلَى النَّفْسِ وَالْغَضِّ مِنْهَا. فَإِذَا كَانَ وَصْفُ الْخَلْقَةِ الَّتِي لَا يَتَهَيَّأُ نَفْلُهَا وَلَا يُعَابَ بِهَا صَاحِبُهَا لَيْسَ بِجَمِيلٍ، كَانَ وَصْفُ الْخَلَائِقِ الَّتِي قَدْ سُومِحَ فِيهَا أُخْرَى أَنْ يَكُونَ غَيْرَ جَمِيلٍ.

ولعمري لقد أحسن جميل بن عبد الله بن معمر العذري حيث يقول:

هَلِ الْحَائِمُ الْعَطْشَانُ مُسْقًى بِشُرْبَةٍ      مِنْ الْمُزْنِ تَرَوِي مَا بِهِ فَتُزِيحُ  
فَقَالَتْ فَتَخْشَى إِنْ سَقَيْنَاكَ شُرْبَةً      تُخَبِّرُ أَعْدَائِي بِهَا فَتُبْسُوحُ  
إِذَنْ فَابْأَحْتِي الْمَنَاسِيَا وَقِصَادِي      إِلَى أَجْلِي غَضْبُ السِّلَاحِ سَفُوحُ  
لَيْسَ إِذَنْ مَأْوَى الْكَرِيمَةِ سِرُّهَا      وَإِنِّي إِذَنْ مِنْ حُبِّكُمْ لَصَحِيحُ<sup>(١)</sup>

أَمَّا قَوْلُهُ: «لَيْسَ مَأْوَى الْكَرِيمَةِ سِرُّهَا» فَكَلَامٌ حَسَنٌ، وَأَمَّا<sup>(٢)</sup> «وَإِنِّي إِذَا مِنْ حُبِّكُمْ لَصَحِيحُ» فَكَلَامٌ قَبِيحٌ. أَتَرَاهُ إِنْ صَحَا مِنْ حُبِّهَا خَبَرَ النَّاسَ بِسِرِّهَا، حَتَّى يَجْعَلَ عَلَيْهِ فِي كِتْمَانِهِ إِيَّاهُ أَنَّهُ مُغْرَمٌ بِهَا؟

بَلَّغْنِي أَنْ رَجُلًا قَامَ بِحَضْرَةِ مَعَاوِيَةَ فَقَالَ: قُبْحَ اللَّهِ الْمَجُوسَ، بَلَّغْنِي أَنْ أَحَدَهُمْ يَتَزَوَّجُ بِأُمِّهِ، وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيتُ عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ مَا فَعَلْتُهُ. فَلَمَّا أَنْصَرَفَ قَالَ مَعَاوِيَةُ: مَا لَهُ! أَسَخَنَ اللَّهُ عَيْنَهُ أَتَرَى لَوْ زِيدَ عَلَى ذَلِكَ كَانَ يَفْعَلُ!

وَلَكِنْ يُتَلَقَّى هَذَا الْكَلَامُ مِنْ جَمِيلٍ بِالْيَدَيْنِ وَيَحْمِلُ عَلَى الرُّأْسِ وَالْعَيْنَيْنِ إِذَا سَمِعَ كَلَامَ الشَّيْخِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ:

(١) الأبيات في الديوان ص ٣٢ مع اختلاف في الرواية.

(٢) في «م» والمطبوع: وأمله.



فَلَمَّا ذَنُوتُ تَسَدَّيْتُهَا فَتَوْباً نَسِيتُ وَتَوْباً أَجَزُ  
وَلَمْ يَرْنَا كَالْيَاءِ كَاشِحُ وَلَمْ يُفَشْ مِنَّا لِيَذَا أَلَيْتِ سِرُّ  
وَقَدْ رَأَيْتِي قَوْلُهَا: يَا هَنَاهُ وَنَحْكَ أَلَحَقْتُ شَرّاً بِشَرٍّ<sup>(٣)</sup>

فَمَا أَدْرِي مِنْ أَيْ أَمْرِيهِ أَعْجَبُ؟ أَمِنْ خَشْيَةٍ فِي نَفْسِهِ، أَمْ مِنْ جَهْلِهِ  
بِأَمْرِهِ؟ يَفْرَحُ بِأَنْ لَمْ يَرَهُمْ [كَاشِحُ وَلَمْ] يُفَشْ لَهُمْ فِي أَلَيْتِ سِرٍّ وَمَا عَسَى  
الْكَاشِحُ لَوَرَأَهُمْ أَنْ كَانَ يَصْنَعُ بِهِمْ! هَلْ كَانَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُشَيِّعَ عَلَيْهِمْ إِلَّا  
بَعْضُ تَشْيِيعِهِمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ؟

ولعمري قد أحسن الذي يقول:

مَا يَبْلُغُ الْأَعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ مَا يَبْلُغُ الْجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ  
فَإِنَّمَا هَذَا النَّحْوُ مِنَ الشَّعْرِ فَلَسْتُ أَنْشِطُ لِذِكْرِهِ، لَا مِنْ شِعْرِ أَمْرِي  
الْقَيْسِ وَلَا مِنْ شِعْرِ غَيْرِهِ. [فَهُوَ] فِعْلٌ خَارِجٌ عَنْ حِدِّ الدِّيَانَةِ وَالْمَرْوَةِ.  
وَمَا خَرَجَ عَنْ حِدِّ هَذَيْنِ الْبَابَيْنِ تَعَدَّى عَيْتَهُ مِنْ فَاعِلِهِ إِلَى نَاشِرِهِ وَمُسْتَحْسِنِهِ.  
وَأَمَّا مَا ذَكَرْنَاهُ فِي الْبَابِ الثَّامِنِ مِنْ وَصْفِ اجْتِمَاعِ الْمُحِبِّ مَعَ مَحْبُوبِهِ،  
وَمُسَامَحَتِهِ لَهُ فِيمَا يَجُورُ مَحْبُوبُهُ، فَهُوَ لَعَمْرِي مَعِيبٌ مِمَّنْ حَكَاهُ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ  
صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنَّهُ عَيْبٌ لَا يَنْهَيْتُكَ سِتْرُ الْمَوَدَّةِ بِمِثْلِهِ. فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ سَامَحْنَا  
بِذِكْرِهِ وَإِنْ كَانَتْ مَرْتَبَةُ الْكَمَالِ مُوجِبَةً لِغَيْرِهِ. وَكَذَلِكَ نَتَسَاهَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي  
ذِكْرِ بَعْضِ مَا وَصَفَهُ الْمُحِبُّونَ مِنْ صُورِ الْمَحْبُوبِينَ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ بَعْضُ الْهَجْنَةِ  
بِهِمْ، فَإِنْ فِيهِ بَعْضُ الْمُنْفَعَةِ لِغَيْرِهِمْ.

قال ذو الرمة:

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقُ رَحِيمِ الْحَوَاشِي لَا هَرَاءَ وَلَا نَزْرُ  
وَعَيْنَانِ قَالَ اللَّهُ كُونَا فَكَانَتَا فَعُولَانِ بِالْأَلْبَابِ مَا تَفْعَلُ الْخُمْرُ<sup>(٤)</sup>

(٣) الأبيات من قصيدة في الديوان ص ٩٦.

(٤) البيتان من قصيدة في الديوان ص ٢١٢.

وقال معن بن أوس:

طَعَائِنُ مِنْ أَوْسٍ وَنَعْمَانُ كَالذَّمَى  
أَوَانِسُ يَرْكُضُنُ الْمُرُوطَ كَأَنَّمَا  
حَوَاضِرُ لَمْ يُجْزِينَ عَمَّا وَلَا بَعْلَا  
يَطَّانُ إِذَا اسْتَوْسَقَنَ فِي جَدِيدٍ وَحَلَا<sup>(٥)</sup>

وقال ابن مرداس<sup>(٦)</sup>:

وَأَهْوَتْ لِنَتْنِاشِ الرِّوَاقِ فَلَمْ تَقُمْ  
قَلِيلَةُ لَحْمِ النَّاطِرِينَ يَزِينُهَا  
إِلَيْهِ وَلَكِنْ طَاطَأَتْهُ الْوَلَايَةُ  
شَبَابٌ وَمَخْفُوضٌ مِنَ الْعُيُوشِ بَارِدُ  
تَنَاهَى إِلَى لَهْوِ الْحَدِيثِ كَأَنَّهَا  
أَخُو سَقَمٍ قَدْ أَسْلَمَتْهُ الْعَوَائِدُ  
تَرَى الْقُرْطَ مِنْهَا فِي فِنَاهُ كَأَنَّهُ  
بِمُهْلِكَةِ لَوْلَا الْغُرَى وَالْمَعَايِدُ

وقال قيس بن الحطيم:

وَلَمْ أَرَهَا إِلَّا ثَلَاثًا عَلَى مَنَى  
تَبَدَّتْ لَنَا كَالشَّمْسِ تَحْتَ غَمَامَةٍ  
وَعَهْدِي بِهَا عَذْرَاءُ ذَاتُ ذَوَائِبِ  
بَدَا حَاجِبٌ مِنْهَا وَضُنْتُ بِحَاجِبِ<sup>(٧)</sup>

وقال محمد بن إبراهيم الأسدي<sup>(٨)</sup>:

وَأَصْبَحَ مَا رَجَيْتُ مِنْ أُمِّ وَاصِلٍ  
يُقَطِّعُ إِلَّا حَاجَةً سَأَقُولُهَا

(٥) لم أجدهما في مجموع شعره الذي صنعه الدكتور نوري القيسي وحاتم الضامن، وانظر  
تخريج القصيدة، ومعن بن أوس من شعراء الحماسة (التبريزي) ١٣٢/٣. وانظر  
ترجمته في حماسة البحرني ص ١٤ والأغاني ١٦٤/١٠، والخزانة ٢٥٥/٣ والإصابة  
١٧٩/٦ وشرح المزدوقي ١١٢٦، ١٧٩٠، والحيوان ١٦٠/٧ ومعاهد التنخيص  
١٧/٤.

(٦) لم أجده في شعر عبدالله بن مرداس، وجاء في معجم الشعراء ص ٢٧٤: ذكر من اسمه  
مرداس، ومنهم مرداس بن هماس في شرح المزدوقي، وفي هامش الخزانة ٢٤/٤، انظر  
معجم الشعراء ص ٤٤٥، ومرداس بن حذام الأسدي، إسلامي كوفي، انظر  
الأغاني ٩٣/١٠.

(٧) البيتان في ديوان قيس بن الحطيم ص ٣٥، ونسبا إلى المجنون كما في الديوان ص ٧٥،  
ونسبا إلى القطامي في «المجازات» وليسا في ديوانه، وهما في ديوان المعاني ٢٢٩/١.

(٨) لم أهدت إلى ترجمته.

رَقُودُ الضَّحَى مِبْسَامَةٌ لَا يَهْمُهَا  
إِذَا صَحِجَتْ لَمْ تَنْبَسِطْ وَتَبَسَّمَتْ  
وقال الضحاك بن عقال<sup>(٩)</sup>:

بِأَشْنَبِ صَافٍ تَعْرِفُ النَّفْسُ أَنَّهُ  
وَكَفٍ كَقِنَوَانِ النَّقَا لَا يَضِيرُهَا  
وَمَتْنَانٍ يَزْدَادَانِ لِينًا إِذَا مَشَتْ

وقال محمد بن بشير الخارجي<sup>(١٠)</sup>:

وَتَرَى مَدَامِعَهَا تُرْفِقُ مُقَلَّةً  
خَوْدٌ إِذَا كَثُرَ الْحَدِيثُ تَعَوَّدَتْ  
وقال الركاظ الزبيدي<sup>(١١)</sup>:

وَمَا أَثَرَتْ حُبِّي عَلَى نَوْمَةِ الضَّحَى  
وَلَا أُنَمَاتُ يَوْمًا حَدِيثًا لِحَارَةٍ  
وقال صخر بن الجعد المحاربي<sup>(١٢)</sup>:

بِنَفْسِي وَأَهْلِي مَنْ إِذَا عَرَّضُوا لَهُ  
وَلَمْ يَعْذِرْ عُذْرَ الْبَرِّي وَلَمْ تَزَلْ  
لَقَدْ ظَلَمُوا ذَاتَ الْوُشَاحِ وَلَمْ يَكُنْ  
سُقِيَتْ دَمَ الْحَيَاتِ إِنْ كُنْتُ بَعْدَهَا

صُرُوفُ النَّوَى تَطْعَانُهَا وَحُلُولُهَا  
حَيَاءٌ وَيَكْفِيهَا مِنَ الْحَلْفِ قِيلُهَا

وَإِنْ لَمْ يُدْقْ حُمُشُ اللَّيْنَتِ عِذَابُ  
إِذَا أُبْرِزَتْ أَنْ لَا يَكُونَ خِضَابُ  
كَمَا أَهْتَرَّ مِنْ مَاءِ السُّيُولِ جَنَابُ

سَوْدَاءُ تَرَعَّبُ عَنْ سَوَادِ الْإِثْمِ  
بِحِمَى الْحَيَاءِ وَإِنْ تَكَلَّمَ تَقْصِدُ

لَهَا مِهْنَةٌ يَوْمًا وَلَا بَاكَرَتْ طَعْمًا  
تُعَذِّرُ مِنْ إِنْمَائِهِ بَعْدَمَا يُنْمَى

يَبْغِضُ الْأَذَى لَمْ يَذَرِ كَيْفَ يُجِيبُ  
بِهِ سَكَنَةً حَتَّى يُقَالَ مُرِيبُ  
لَنَا مِنْ هَوَى ذَاتِ الْوُشَاحِ نَصِيبُ  
مُجِبًّا وَلَوْ عُنِفَتْهُ لَحِيبُ<sup>(١٣)</sup>

(٩) لم أهدت إلى ترجمته.

(١٠) انظر ترجمته في شرح المازوني ص ٨٠٨، ١٥٩٩، والبيان والبيان ١/١٦٨،  
٣٤٣، ومعجم الشعراء ص ٧٧، وهومن شعراء الحماسة (التبريزي) ٣٠١/٢،  
٣٠٢.

(١١) لم أهدت إلى ترجمته.

(١٢) في «م» و«المطبوع»: المحازي.

(١٣) نسبت الأبيات إلى ابن الدمينية، الديوان ص ١٣، وكذلك إلى المجنون، الديوان  
ص ٥٣.

وقال سويد بن أبي كاهل<sup>(١٤)</sup>:  
حُرَّةٌ تَجْلُو شَيْبَتًا وَاضِحًا  
تَمْنَحُ الْمِرَاةَ لَوْنًا حَسَنًا

وقال إبراهيم النظام<sup>(١٥)</sup>:

هُوَ الْبَذْرُ إِلَّا أَنْ فِيهِ رَقَائِقًا  
وَيَنْظُرُ فِي الْوَجْهِ الْقَبِيحِ بِحُسْنِهِ  
وله أيضاً:

رَقٌّ فَلَوْ بُرَّتْ سَرَابِيلُهُ  
يَجْرَحُهُ اللَّحْظُ بِتَكَرُّرِهِ  
وله أيضاً:

نَسَى الْمَحَاسِنَ فِي أَجْنَسِ نُورِي  
تَمَّتْ عَلَى أَبْهَى الصِّفَاتِ فَلَمْ  
أَبْدَعُهُ الْخَالِقُ وَأَخْتَارَهُ  
فَكُلَّ مَنْ أَغْرَقَ فِي وَضْفِهِ

وَهَذَا الْبَيْتُ لَا يَتَهَيَّأُ لِأَحَدٍ أَنْ يَنْخَطَأَهُ، وَلَا يَأْتِي بِأَجْوَدَ مِنْ مَعْنَاهُ. وَقَدْ  
قَالَ جَرِيرٌ فِي هَذَا النَّحْوِ فَأَحْسَنَ، غَيْرَ أَنَّهُ حَلَّ آخِرَ كَلَامِهِ مَا عَقَدَ، فَإِذَا ضُمَّ  
بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ فَسَدَ.

كَشَعَاعِ الْبَرْقِ فِي الْغَنِيمِ سَطَعِ  
مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِي الضُّخْوِ طَلَعِ

مِنْ الْحُسْنِ لَيْسَتْ فِي هِلَالٍ وَلَا بَذْرٍ  
فَيَكْسُوهُ حُسْنًا بَاقِيًا آخِرَ الدَّهْرِ

عُلِقَهُ الْجَوُّ مِنَ اللَّطْفِ  
وَيَسْتَكِي الْإِيمَاءُ بِأَلْكَفِ

صَافِي الصَّرَائِبِ رُوحِي<sup>(١٦)</sup>  
يُطْلُقُ لَنَا عَنْ حَدِّ كَيْفِي<sup>(١٧)</sup>  
مِنْ مَازِجِ الْأَنْوَارِ عُلوِي  
أَصْبَحَ مَنْسُوبًا إِلَى الْعِي

وَهَذَا الْبَيْتُ لَا يَتَهَيَّأُ لِأَحَدٍ أَنْ يَنْخَطَأَهُ، وَلَا يَأْتِي بِأَجْوَدَ مِنْ مَعْنَاهُ. وَقَدْ  
قَالَ جَرِيرٌ فِي هَذَا النَّحْوِ فَأَحْسَنَ، غَيْرَ أَنَّهُ حَلَّ آخِرَ كَلَامِهِ مَا عَقَدَ، فَإِذَا ضُمَّ  
بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ فَسَدَ.

(١٤) انظر ترجمته في «الشعر والشعراء» (لیدن) ص ص ٢٥٠، ٢٥١.

(١٥) هو إبراهيم بن سيار. البصري النظام من أئمة المعتزلة، المتوفى سنة ٢٣١ هـ له  
مصنفات عدة. انظر تاريخ بغداد ٩٧/٦، أمالي المرتضى ١/١٣٢، اللباب ٣/٢٣٠،  
النجوم الزاهرة ٢/٢٣٤.

(١٦) البيت غير مستقيم الوزن، وهوليس من السريع الذي جرى في البيتين الرابع  
والخامس.

(١٧) وكذلك صدر البيت الثاني غير مستقيم.

قال جرير:

مَا اسْتَوْصَفَ النَّاسُ مِنْ شَيْءٍ يَرُوقُهُمْ  
كَأَنَّهَا مُزْنَةٌ غَرَاءُ رَائِحَةٌ  
إِلَّا تَرَى أُمَّ عَمْرٍو فَوْقَ مَا وَصَفُوا  
أَوْ دُرَّةً لَا يُوَارِي لَوْنَهَا الصَّدْفُ (١٨)

وقال علي بن العباس الرومي:

يَا أَبِي حُسْنٍ وَجْهَكَ الْيُوسُفِيُّ  
فِيهِ وَرْدٌ وَنَرْجِسٌ وَعَجِيبٌ  
يَا كَفِيُّ الْهَوَى وَفَوْقَ الْكَفِيِّ  
إِجْتِمَاعُ الرَّبِّي وَالْخَرْفِيُّ (١٩)

وقال حبيب بن أوس:

لَمْ أَنْسَهَا وَصُرُوفَ الْبَيْنِ تَظْلُمُهَا  
أَذْنْتُ نِقَاباً عَلَى الْخَدَّيْنِ وَانْتَسَبْتُ  
وَلَا مَعْوَلَ إِلَّا الْوَائِكُفُ السَّرْبُ  
لِلنَّاطِرِينَ بِقَدِّ لَيْسَ يَنْتَقِبُ (٢٠)

وقال ذو الرمة:

أَسِيلَةٌ مَجْرَى الدَّمْعِ هَيْفَاءُ طِفْلَةٌ  
كَأَنَّ عَلَى فِيهَا وَمَا ذُقْتُ طَعْمَهُ  
رَدَّاحٌ كَأَيْمَاضِ الْبُرُوقِ آتِسَامُهَا  
رُجَاجَةٌ خَمْرٍ ضَاقَ عَنْهَا مَدَامُهَا (٢١)

وقال أبو ذؤلف العجلي (٢٢):

نَفْسِي الَّتِي لَمْ أَزَلْ بِالْحُبِّ أَعْرِفُهَا  
شَمْسٌ بَدَتْ لَكَ فِي أَنْوَابِ جَارِيَةٍ  
أَطْنَبْتُ مُجْتَهِداً فِي وَصْفِهَا فَلَقَدْ  
أَفْنَى جَمِيعَ صِفَاتِي بَعْضُ مَا فِيهَا

وقال امرؤ القيس:

كَأَنَّ الْمَدَامَ وَصُوبَ الْغَمَامِ  
وَرِيحَ الْخُرَامَى وَنَشْرَ الْقَطْرِ

يُعَلِّ بِهَ بَرْدُ أَنْيَابِهَا

وقال يزيد بن الطثرية:

كَأَنَّ مَدَامَةً مِنْ خَمْرٍ دَنٍ  
أَلَدُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا حَدِيثاً  
تُصَبُّ عَلَى ثَنَائِهَا طُرُوقاً  
وَأُطِيبُهُ بُعِيدَ النَّوْمِ رَيْقاً  
وَأَنْ كَلَّفْتَنِي مَا لَنْ أُطِيقَا (٢٣)

وقال امرؤ القيس بن حجر:

خَلِيلِي مُرّاً بِي عَلَى أُمِّ جُنْدُبٍ  
أَلَمْ تَرَيَانِي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقاً  
لِنَقْضِي حَاجَاتِ الْفُرَادِ الْمَعَذِّبِ  
وَجَدْتُ بِهَا طِيباً وَإِنْ لَمْ تَطِيبِ (٢٤)

وَهَذَا مَعْنَى لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَيْهِ أَحَدٌ قَبْلَهُ وَلَمْ يَلْحَقْهُ فِيهِ مَنْ بَعْدَهُ وَإِنَّ لِحَسَنَ  
الْأَلْفِظِ مُسْتَوْفِي الْمَعْنَى.

وقال أبو تمام:

كَالْخُوطِ فِي الْقَدِّ وَالْغَزَالِ فِي الْبَهْ  
وَمَا حَكَاهُ وَلَا نَعِيمَ لَهُ  
جَعِ وَالْأَبْنِ الْغَزَالِ فِي غَيْدِهِ  
فِي جَيْدِهِ لِمَ حَكَاهُ فِي جَيْدِهِ (٢٥)

ولأبي تمام أيضاً:

مُتَصَرِّفٌ فِي الطَّرْفِ بَاطِنُ صَدْرِهَا  
تُعْطِيكَ مَنْطِقَهَا فَتَعْلَمُ أَنَّه  
مُتَفَنِّنٌ فِي الْحُسْنِ ظَاهِرُ صَدْرِهَا  
لَحْنُ عُذُوبَتِهِ تَمُرٌ بِشْغَرِهَا  
وَأَظُنُّ حَبْلَ وَصَالِهَا لِمُجِبِّهَا  
أَوْهَى وَأَضْعَفَ قُوَّةً مِنْ خَصْرِهَا (٢٦)

(٢٣) البيتان في الديوان ص ٩٦.

(٢٤) الأبيات في مجموع شعره ص ٤٨ والمصدر كتاب الزهرة.

(٢٥) البيتان في الديوان ص ٤١.

(٢٦) البيتان في الديوان ١/٤٣١.

(٢٧) الأبيات في الديوان ٤/٢١١.

(١٨) البيتان في الديوان ص ١٦٩، ١٧٠ مع اختلاف في الرواية.

(١٩) البيتان في الديوان ص ٢٦٤١.

(٢٠) البيت في ديوان أبي تمام ص ٢٤٦.

(٢١) البيتان في الديوان ص ٦٤٢.

(٢٢) تقدمت ترجمته.

وقال علي بن محمد العلوي الكوفي:

وَهَيْفَاءَ تَلَحُّظُ عَنْ شَادِنٍ      وَتَبَسُّمٌ عَنْ زَهْرِ الْأَقْحَوَانِ  
وَكَاغْضَنِ بَانَ وَجَدَلِ الْعِنَانِ      وَمَيَادَةِ الْقُضْبِ الْخَيْرَانِ  
نَرَى الشَّمْسَ وَالْبَدْرَ مَعْنَاهُمَا      بِهَا وَاحِدًا وَهُمَا مَعْنِيَانِ

وقال آخر:

إِذَا أَحْتَجَبَتْ لَمْ يَكُنْكَ الْبَدْرُ فَقَدْهَا      وَتَكْفِيكَ ضَوْءُ الْبَدْرِ إِنْ حُجِبَ الْبَدْرُ  
وَحَسْبُكَ مِنْ خَمَرٍ بِقُرْبِكَ رَيْقُهَا      وَوَاللَّهِ مَا مِنْ رَيْقِهَا حَسْبُكَ الْخَمَرُ

وقال آخر:

هِيَ الْخَمَرُ حُسْنًا وَهِيَ كَالْخَمَرِ رَيْقُهَا      وَرِقَّةُ ذَاكَ اللَّوْنِ فِي رِقَّةِ الْخَمَرِ  
فَقَدْ جُمِعَتْ فِيهَا خُمُورٌ ثَلَاثَةٌ      وَفِي وَاحِدٍ سُكْرٌ يَزِيدُ عَلَى السُّكْرِ

وقال آخر (٢٨):

وَفِي الضَّغْنِ بَيَضَاءُ الْأَعْوَارِضِ طِفْلَةٌ      مُبْتَلَةٌ يُضْبِي الْحَلِيمَ آيِسَامُهَا (٢٩)  
إِذَا سُمَّتْهَا التَّقْبِيلُ صَدَّتْ وَأَعْرَضَتْ      صُدُودُ شَمُوسِ الْخَيْلِ ضَلَّ لِجَامُهَا  
وَعَضَّتْ عَلَى إِبْهَامِهَا حِينَ أَوْمَاءَتْ      أَخَافُ الْعُيُونُ أَنْ تَهَبَ نِيَامُهَا

وقال الأحمر الطائي (٣٠):

أَلَا مَ عَلَى لَيْلَى وَلَوْ أَنَّ هَامَتِي      تَدَاوَى بِلَيْلَى بَعْدَ يَأْسٍ لَبَلَّتْ  
بِذِي أَشْرٍ تَجْرِي بِهِ الرَّاخُ أَنْهَلَتْ      أَخَاكَ بِهِ بَعْدَ الْعِشَاءِ وَعَلَّتْ  
وَتَبَسُّمُ إِيْمَاضِ الْعِمَامَةِ إِنْ سَمَتْ      إِلَيْهَا عُيُونُ النَّاسِ حِينَ اسْتَهَلَّتْ

(٢٨) نسبت الأبيات إلى المجنون كما في ديوانه ص ٢٤٩ مع اختلاف في الرواية. وهي أيضاً

في «الموشى» ص ٥٩، والحماسة البصرية ص ١٧٥.

(٢٩) في «م» و«المطبوع»: وفي الغصن.

(٣٠) نسبت الأبيات إلى المجنون، الديوان ص ٨٧، وهي كذلك في أمالي القالي ٢٣/١

و ١٠٧/٢.

وقال حسان بن ثابت:

يَا لَقَوْمِي هَلْ يَقْتُلُ الْمَرْءَ مِثْلِي      وَاهِنُ الْبَطْشِ وَالْعِظَامِ سُؤْمُ  
شَأْنُهَا الْعِطْرُ وَالْفِرَاشُ وَيَغْلُو      هَا لَجِينٌ وَلَوْلُو مَنْظُومُ  
لَوْ يَدُبُّ الْحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الدَّ      رَ عَلَيْهَا لَأَنْدَبْتُهَا الْكُلُومُ (٣١)

وهذا سَرَفٌ شَدِيدٌ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مَأْخُذٌ مِنْ قَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ:

مِنْ الْقَاصِرَاتِ الطَّرَفِ لَوْ أَنَّ مُحَوَّلًا      مِنْ الدَّرِّ فَوْقَ أَلْيَتِ مِنْهَا لِأَثَرَا  
ولبعض أهل هذا العصر:

نَظَرْتُ إِلَيْهِ نَظْرَةً مُسْتَهَامَ      فَأَثَرَ نَاطِرِي فِي وَجْنَتَيْهِ  
فَلَا حَظَّنِي وَقَدْ أَثْبَتُ وَجْدًا      فَأَثَرَ فِي الْفُرَادِ بِمُقَلَّتَيْهِ

وقال آخر:

فِيكَ لِي فَتْنَتَانِ لَحْظٌ وَلَفْظُ      وَعَظَانِي لَوْ كَانَ يَنْفَعُ وَعْظُ  
لَكَ وَجْهٌ كَأَنَّهُ رَقَّةُ الْمَاءِ      وَقَلْبٌ كَأَنَّهُ الصُّخْرُ فَظُ  
أَنْتَ حَظِّي فَمَا يَضُرُّكَ لَوْ كَا      نَ لِمَنْ أَنْتَ حَظُّهُ مِنْكَ حَظُ

وقال الوليد بن عبيد الطائي:

الْمُعْ بَرَقَ سَرَى أَمْ ضَوْءُ مِصْبَاحٍ      أَمْ آيِسَامُهَا بِالْمَنْظَرِ الصَّاحِي  
يَا بُؤْسَ نَفْسٍ عَلَيْهَا جَدَّ آسَفَةٍ      وَشَجَوَ قَلْبٍ إِلَيْهَا جَدَّ مُرْتَاحٍ  
تَهْتَزُّ مِثْلَ أَهْتِزَّازِ الْغُصْنِ أَنْعَبَهُ      مُرُورُ غَيْثٍ مِنَ الْوَسْجِيِّ سَحَّاحٍ  
أَرْسَلَتْ شُغْلَانٍ مِنْ لَفْظِ مَحَاسِنُهُ      تُرْوِي الضُّجِيعَ وَلَحْظُ يُسْكِرُ الصَّاحِي  
أُنْبِي عَلَيْكَ بِأَنِّي لَمْ أَخَفْ أَحَدًا      يَلْحَى عَلَيْكَ وَمَاذَا يَزْعُمُ الْأَلَّاحِي (٣٢)

ولقد أنصف غاية الإنصاف الذي يقول:

فَمَا الشَّمْسُ يَوْمَ الدَّجَنِ وَافَتْ فَأَشْرَقَتْ      وَلَا الْبَدْرُ وَافَى أَسْعَدًا لَيْلَةَ الْبَدْرِ

(٣١) الأبيات في الديوان ص ٢٢٦، مع اختلاف في الرواية.

(٣٢) انظر الديوان ص ٤٤٢.

بِأَحْسَنِ مِنْهَا بَلْ تَزِيدُ مَلَا حَةً عَلَى ذَاكَ أَوْ رَأَيْي الْمَجِبَ فَلَا أَذْرِي (٣٣)

وَمُخْتَارُ مَا قَالَتْهُ الشُّعْرَاءُ فِي وَصْفِ الْخَلْقِ وَالْأَخْلَاقِ، أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تَنْصَمَّهُ [الْأَوْرَاقُ]، وَفِيمَا ذَكَرْنَا مِنْهُ بَلَغَ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، وَصَفُ الْخَلَائِقِ وَالْأَفْعَالِ أَسهَلُ مِنْ وَصْفِ الْخِلْقَةِ بِالْجَمَالِ. وَكِلَاهُمَا دَاخِلٌ فِي مَعْنَى الدَّلَالَةِ عَلَى الشِّرْكََةِ فِي الْأَحْبَابِ، حَسَبَ مَا تَقَدَّمَ ذَكَرْنَا لَهُ فِي صَدْرِ هَذَا الْكِتَابِ.

□ □ □

## الباب العاشر:

### سُوءُ الظَّنِّ مِنْ شِدَّةِ الضَّنِّ

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: قَالَ جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ: مَا رَأَيْتُ مُضْغَبًا يَخْتَالُ \*  
بِالْبَلَاطِ إِلَّا عَرَجَ عَلَى بُثَيْنَةَ وَهِيَ بِالْحَبَابِ وَبَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ.

وقال العباس بن الأحنف:

لَمْ أَلَقْ ذَا شَجِنٍ يَبُوحُ بِحُبِّهِ إِلَّا ظَنَنْتُكَ ذَلِكَ الْمَحْجُوبَا  
حَذَرًا عَلَيْكَ وَإِنِّي بِكَ وَائِقٌ أَلَّا يَنَالَ سِوَايَ مِنْكَ نَصِيبًا<sup>(١)</sup>

ولبعض أهل هذا العصر:

أَيَا أَمَلِي هَلْ فِي وَفَائِكَ مَطْمَعٌ فَأَطْلُبُهُ أَمْ قَدْ تَنَاهَتْ أَوَاخِرُهُ  
فَإِنْ يَكْ مَا قَدْ خِفْتُ حَقًّا فَلَا تَعُدْ فَلَنْ يَسْتَوِيَ مُرْفِي الْفُؤَادِ وَعَاذِرُهُ  
وَالْأَفْعَالِ فَلَا تَعْتِبْ عَلَيَّ فَإِنَّهُ إِذَا ظَنَّ قَلْبُ الْمَرْءِ سَاءَتْ خَوَاطِرُهُ

وله أيضاً:

قَسَمْتُ عَلَيْكَ الدَّهْرَ نِصْفًا تَعْتَبَا لِفِعْلِكَ فِي الْمَاضِي وَنِصْفًا تَرْقُبَا  
إِذَا اسْتَيْقَنْتَ نَفْسِي بِأَنْ لَسْتُ عَاذِرًا لِي الظَّنَّ وَالْإِشْفَاقَ إِلَّا تَرِيًّا  
فَقَدْ وَالَّذِي لَوْ شَاءَ غَلَبَ وَاحِدًا فَرَوْحَ قَلْبًا آمِنًا مُتَهَيِّبَا  
شَكَّكَتْ فَلَا أَذْرِي لِفَرْطِ مَوَدَّتِي يَبْرِيكَ أَمْرَضَنِي يُرِينِيكَ مُذْنِبَا<sup>(٢)</sup>  
وَلَوْ كَانَ قَصْدِي مِنْكَ وَصَلًا أَنَا لَهُ لَقَدْ كُنْتُ لِي أَنْدَى جَنَابًا وَأَخْصَبَا

(١) لم أجِد البيتين في الديوان.

(٢) عجز البيت معدول عن حقيقته، ولا بد أن يكون فيه ضرب من التصحيف أو التحريف.

(٣٣) البيتان نسبا إلى المجنون، انظر الديوان ص ١٦٧. وهما منسوبان إلى الأقرع بن معاذ القشيري في لباب الآداب ص ٤١، مع اختلاف في الرواية.

لَوْ أَذْنُو لَأَقْلَلْتُ الْعِتَابَ وَلَمْ أَزِدْ  
وَلَكِنْ بِي ظَنًّا أَبَى أَنْ يُقِيمَنِي  
وله أيضاً:

لَقَدْ جَمَعْتَ أَهْوَايَ؟ بَعْدَ شَتَائِبِهَا  
سِوَى خِصْلَةٍ ذَكَرِي رَهِيْنُ بِذِكْرِهَا  
وَحَاشَاكَ مِنْهَا غَيْرَ أَنَّ أَخَا الْهَوَى  
وقال بشار بن برد:

كَأَنَّ فُؤَادَهُ كُرَّةٌ تَنْزَى  
يُسْرَوُعُنَا السِّرَارُ بِكُلِّ شَيْءٍ  
وقال آخر:

وَقَدْ خِفْتُ حَتَّى لَوْ تَطِيرُ حَمَامَةٌ  
فَإِنْ قِيلَ خَيْرًا قُلْتُ هَذَا خَدِيعَةٌ  
وقال آخر:

تَرَكْتَنِي الْوَشَاةُ نُصَبَ الْمُشِيرِينَ  
لَا أَرَى خَالِيَيْنِ لِلْسِرِّ إِلَّا  
قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَأَتَّصَلَ بِي أَنَّ دِيكَ الْجَنِّ مِنْ سَفَرٍ لَهُ فَوَجَدَ جَارِيَتَهُ وَقَدْ  
كَانَ يَهْوَاهَا عَبْدٌ أَحْبَبَهُ تَسَالَهُ عَنْ خَبْرِهِ لِإِبْطَاءِهِ كَانَ عَيْنَهَا فَقَتَلَهَا وَقَتْلَ أُمِّهَا وَقَالَ  
فِي ذَلِكَ:

بَا مُهْجَةً طَلَعَ الْجَمَامُ عَلَيْهَا  
حَكَمْتُ سَيْفِي فِي مَجَالِ خِنَاقِهَا

عَلَى أَنْ تَرَانِي فِي أَمْتِدَاحِكَ مُطِينًا  
لَدَيْكَ بِمَا لَا أَرْتَضِيهِ مُصَوَّبًا

صِفَاتِكَ فَأَنْقَادَ الْهَوَى لَكَ أَجْمَعُ (٣)  
فَقَلْبِي مِنْهَا مَا حَيْثُ مُرَوِّعُ  
بِذِكْرِ الَّذِي يَخْشَى مِنَ الْغَدْرِ مُوَلِّعُ

جَذَارَ الْبَيْنِ لَوْ نَفَعَ الْجَذَارُ  
مَخَافَةً أَنْ يَكُونَ بِهِ «السِّرَارُ» (٤)

رَقِيبًا عَلَيْنَا أَوْ طَلِيعَةً مَعْشَرٍ  
وَإِنْ قِيلَ شَرًّا قُلْتُ حَقٌّ فَشَبِيرٍ

وَأُحْدِثُ نَفْسًا بِكُلِّ مَكَانٍ  
قُلْتُ مَا يَخْلُوانِ إِلَّا لِشَانِي

وَجَنَى لَهَا ثَمَرَ الرَّدَى بِيَدَيْهَا  
وَمَدَامِعِي تَجْرِي عَلَى خَدَّيْهَا

(٣) لا بد أن تكون كلمة «أهواي» «أهوائي»، وقد عدل عنها ليستقيم الوزن.

(٤) البيتان في الديوان ٢٤٨/٣.

رَوَيْتُ مِنْ دِمَهِهَا الثَّرَى وَلَطَالَ مَا  
فَوَحَى نَعْلَيْهَا وَمَا وَطِئَ الْحَصَى  
مَا كَانَ قَتْلَيْهَا لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ  
لَكِنْ بَخَلْتُ عَلَى الْعُيُونِ بِلَحْظِهَا  
وله أيضاً فيها:

أَشْفَقْتُ أَنْ يَرِدَ الزَّمَانُ بِغَدْرِهِ  
قَمَرٌ أَنَا اسْتَخْلَصْتُهُ مِنْ دَجْنِهِ  
فَقَتَلْتُهُ وَبِهِ عَلَيَّ كَرَامَةٌ  
عَهْدِي بِهِ مِتًّا كَأَحْسَنِ نَائِمٍ  
لَوْ كَانَ يَذْهَبُ الْمَيِّتُ مَاذَا بَعْدَهُ  
غُصَصُ الزَّمَانِ تَفِيطُ مِنْهَا رُوحُهُ  
وله أيضاً فيها:

لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ لِسَطِيفِكَ مِلْتُ  
فَالَّذِي مِنِّي أَشْتَمَلْتُ عَلَيْهِ  
قَالَ ذُو الْجَهْلِ لِمَ جَهِلْتُ وَلَا أَعْرِفُ  
لَا لِي بِجَهْلِهِ وَلِمَاذَا  
سَوْفَ آسَى طُولَ الْحَيَاةِ وَأَبْكِيكَ  
وَهَذَا وَإِنْ سَلِمَ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَغْلُوبًا عَلَى عَقْلِهِ فَظَنُّهُ الظَّنُّ الَّذِي لَا غَايَةَ

رَوَى الْهَوَى شَفَتِي مِنْ شَفَتَيْهَا  
شَيْءٌ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَعْلَيْهَا  
أَبْكِي إِذَا سَقَطَ الذُّبَابُ عَلَيْهَا  
وَأَنْفَتُ مِنْ نَظَرِ الْعُدَاةِ إِلَيْهَا (٥)

أَوْ ابْتَلَى بَعْدَ الْوِصَالِ بِهَجْرِهِ  
لِبَلِيَّتِي وَجَلَبْتُهُ مِنْ خِذْرِهِ  
مِلُّهُ الْحَشَا وَلَهُ الْفُرَادُ بِأَسْرِهِ \*  
وَالدَّمْعُ يَجْرَحُ مُقْلَتِي فِي نَحْرِهِ  
بِالْحَيِّ مِنْهُ بَكَى لَهُ فِي قَبْرِهِ  
وَتَكَادُ تَنْزِعُ قَلْبَهُ مِنْ صَدْرِهِ (٦)

وَأِلَى ذَلِكَ الْوِصَالِ وَصَلْتُ  
الْعَارِ مَا قَدْ عَلَيَّهِ أَشْتَمَلْتُ  
لَمْ أَنِّي خِلِمْتُ حَتَّى جَهِلْتُ  
أَنَا وَخَدِيدِي أَحْبَبْتُ ثُمَّ قَتَلْتُ  
عَلَى مَا فَعَلْتُ لَا مَا فَعَلْتُ (٧)

(٥) الأبيات في ديوان ديك الجن ص ص ٩٠، ٩١، وجاء في الأغاني ٥٧/١٤: وتروى لغير

ديك الجن، وهي في تزيين الأسواق ص ١٤٦، وفي الكشكول ص ٥٨.

(٦) الأبيات في ديوان ديك الجن ص ص ٩٢، وهي في العمدة ١٤٩/٢، والأغاني ٥٧/١٤

والكشكول ص ٤٨، مع اختلاف في الرواية.

(٧) ديوان ديك الجن ص ٨٧، وانظر الأغاني ٥٦/١٤، ٥٧ مع اختلاف في الرواية.

بَعْدَهُ وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ آيَسَ مِنْ حَيِّهِ بِقَتْلِهِ لَهُ وَهُوَ نَادِمٌ عَلَى فِعْلِهِ بَلْ مُصَوِّبٌ لَهُ  
وَرَاجِعٌ بِاللُّومِ عَلَى نَفْسِهِ فِيمَا آتَاهُ مِنَ الْعَذْرِ.

وقال آخر:

يَتَعَاتَبَانِ وَيَشْكُوَانِ هَوَاهُمَا  
بِمَدَامِيعِ جَلَّتْ عَنِ الْهَمَلَانِ  
يَتَهَاجِرَانِ بِسُوءِ ظَنِّ فِي الْهَوَى  
وَيَقِلُّ صَبْرُهُمَا فَيُضْطَلِحَانِ

وقال آخر:

عَجَلْتُ عَلَى الصَّدِيقِ بِسُوءِ ظَنِّ  
وَأَقْسِمُ صَادِقًا مَا خُنْتُ عَهْدًا  
وَمَا كَانَ الَّذِي اسْتَوْحَشْتَ مِنِّي  
وَكُنْتُ إِذَا أَتَيْتَكَ كُنْتُ حَسْبِي  
فَهَلَّا إِذْ عَتَبْتَ بَحَنْتَ عَنِّي  
وَلَمْ تُمْضِ الْحُكُومَةَ بِالتَّجَنِّي

وقال البحرني:

أَعْظَمُ الرُّزْءِ أَنْ تُقَدِّمَ قَبْلِي  
حَذَرًا أَنْ تَكُونَ إِلْفًا لِعَيْرِي  
وَمِنَ الرُّزْءِ أَنْ تُؤَخَّرَ بَعْدِي  
إِذْ تَفَرَّدْتُ بِالْهَوَى فِيكَ وَحْدِي<sup>(٨)</sup>

وقال بشار:

نَصَبًا لِعَيْنِكَ لَا تَرَى حَسَنًا  
إِنِّي لِأَشْفِقُ أَنْ أَقْدِمَهَا  
إِلَّا رَأَيْتَ بِهِ لَهَا شَبَهَا  
قَبْلِي وَأَكْرَهَ أَنْ أُؤَخِّرَهَا<sup>(٩)</sup>

وقال ماني<sup>(١٠)</sup>:

جَعَلْتُ عَنَانَ وَدِّي فِي يَدَيْكَ  
فَلَمْ أَرِ ذَاكَ يَنْفَعُنِي لَدَيْكَ

وَقَدْ وَاللَّهِ ضَيَّقْتُ فَلَيْتَ رَبِّي  
فَلَمْ أَرِ عَاشِقًا لَكَ قَطُّ مِثْلِي  
قَضَى أَجْلِي عَلَيَّ وَلَا عَلَيَّكَ  
أَغَارُ عَلَيْكَ مِنْ نَظْرِي إِلَيْكَ

وقال:

وَمَا فِي الْأَرْضِ أَشَقَى مِنْ مُحِبٍّ  
تَرَاهُ بِأَكْبَى فِي كُلِّ حِينٍ  
فَيَبْكِي إِنْ نَأَوْا شَوْقًا إِلَيْهِمْ  
فَتَسْخُنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّنَائِي  
وَإِنْ وَجَدَ الْهَوَى عَذَبَ الْمَذَاقِ  
مَخَافَةَ فُرْقَةٍ أَوْ لِاشْتِيَاقِ  
وَيَبْكِي إِنْ دَنَوْا خَوْفَ الْفِرَاقِ  
وَتَسْخُنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّلَاقِ

وهذه المكاره كلها أثمار تلك الملاذ التي قبلها. وذلك أن من هوى  
إنسانا فإنما قصاره حين يهواه أن يعيد نظره إليه فيروى من شخصه ويستمتع  
من لفظه. فإذا تهيأ ذلك له ازداد وجدّه به أضعافا على ما كان في قلبه، ثم  
تدعوه نفسه بعد ذلك إلى كثرة التلاقي والمواصلة، وتنبسط للمساءلة  
والمشاورة. وهو في كل هذه الأحوال مشغول بحطوط نفسه، غير فارغ  
معهها لصباية غيره، بل يحب أن يكون إلفه سمحا بالمواصلة لمن علم أنه  
يودّه، ليكون ذلك سببا له إلى مواصليته، وتسهيلا له السبيل إلى معاشرته. فإذا  
تمكّن وده من نفس محبوبه، فاستشعر الوفاء له، ودفع قياده إليه،  
فلم يعترض شيء من أمره عليه، لكسبه ذلك ضنا به وصيانة له.

وفي مثل ذلك يقول بعض أهل هذا العصر:

إِذَا أَرْدَادَ رَعِيًّا لِلْهَوَى زِدْتُهُ هَوَى  
وَضَنِّي بِهِ بِمِقْدَارِ هَذَيْنِ يَضْعُفُ  
قَفْوَهُ أَمْنِي زَائِدٌ فِي تَخَوُّفِي  
وَلَا حَظَّ لِي فِي أَنْ يَزُولَ التَّخَوُّفُ  
فَلَا يَتَشَاغَلُ عَاذِلٌ بِنَصِيحَتِي  
فَمِثْلِي عَلَى إِرْشَادِهِ لَا يُوقِفُ  
وَلَا يَرِثُ لِي فِي ذِلَّتِي وَتَوَاضُعِي  
فَلِإِنِّي بِهَذَا الدَّلِيلِ أَزْهَى وَأَشْرَفُ

فما ظنك بترادف حالين كل واحد منهما سبب لصاحبيتها متى يكون  
انقضاءهما؟ أم كيف يتوهم زوالهما لا سيما وإحداهما قد كانت قوتها في

(٨) البيتان في الديوان ص ٥٢٣ مع اختلاف في الرواية.

(٩) انظر ديوان بشار ٢٤٨/٤.

(١٠) سبق التعريف به.

نَفْسِهَا مُنِمَّةٌ لَهَا قَبْلَ أَنْ تَبْدِيَءَ الْآخَرَى فِي مَعُونَتِهَا؟ فَإِذَا آتَتْهُ الْحَالُ إِلَى  
حَيْثُ وَصَفْنَا، فَرَعَ الْمَحِبُّ حَيْثُ مِنَ الْمَطَالِبَةِ بِحُطُوطِ نَفْسِهِ، وَتَشَاغَلَ  
بِالْمَطَالِبَةِ بِحُقُوقِ إِلْفِهِ، فَأَيَّفَ لَهُ مِنْ مُعَاشَرَةِ غَيْرِهِ، بَلْ صَانَهُ وَأَشْفَقَ عَلَيْهِ مِنْ  
مُخَالَطَتِهِ هَوَاهُ، وَعَادَ إِلَى مَا كَانَ يَحْسِبُ لَهُ بِهِ مَكْرَمَةً مِنْ بَرِّهِ بِهِ، فَجَعَلَهُ عَلَيْهِ  
هُجْنَةً وَأَوْهَمَ نَفْسَهُ أَنَّ ذَلِكَ الَّذِي نَالَهُ غَيْرُهُ مَمْنُوعٌ مِنْ كُلِّ مَنْ سَأَلَهُ.  
أَلَمْ تَسْمَعْ الَّذِي يَقُولُ:

فَلَا تُكْثِرِي قَوْلًا مَمْنُوكَ وَدُنَا فَقَوْلُكَ هَذَا فِي الْقَوَادِ مُرِيبٌ  
تَعْدِينَ مَا أَوْلَيْتَنِي مِنْكَ نَائِلًا وَلِلْقَابِسِ الْعَجَلَانِ فِيكَ نَصِيبٌ

وفي نحو هذا المعنى يقول الآخر:

نَمَتَّعَ بِهَا مَا سَاعَفْتِكَ وَلَا تَكُنْ عَلَيْكَ شَجَاً تُؤْذِيكَ حِينَ تَبِينُ  
وَإِنْ هِيَ أَعْطَتْكَ الْإِيَّانَ فَإِنَّهَا لِأَخِرَ مِنْ خُلَانِهَا سَتَلِينُ  
فَحَيْثُ يَظُنُّ الْمَحِبُّ مَا لَا يَخْشَاهُ وَيَتَمَنَّى مَا لَا يَهْوَاهُ وَيَفْسُدُ عَلَيْهِ أَمْرُ دِينِهِ  
وَدُنْيَاهُ وَهَذِهِ حَالُ الْوَلَةِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ.

وقال بعض الأدباء في نحو ذلك:

يُسِيءُ مِنْ كَثْرَةِ الظَّنِّ الظُّنُونُ بِهَا حَتَّى يَظُنُّ ظُنُونًا لَيْسَ يَخْشَاهَا  
وَمَرْبَتُهُ الْعِشْقُ الَّذِي هِيَ فِي هَذَا الطَّرِيقِ إِلَى الْمَرْبَتَةِ تُوجِبُ عَلَى  
الْمَحِبِّ طَاعَةَ الْمَحْبُوبِ فِي كُلِّ مَا أَحَبَّهُ، حَتَّى لَا يَعْصِي لَهُ أَمْرًا وَلَا يَقْبَحَ لَهُ  
فِعْلًا.

وفي مثل ذلك يقول بعضهم:

كُلُّ شَيْءٍ مِنْكَ فِي عَيْنِي حَسَنٌ وَنَصِيبِي مِنْكَ هَمٌّ وَحَزَنٌ

ويقول الآخر:

صَمِمْتُ عَنِ الْأَصْوَاتِ مِنْ غَيْرِ وَقَرَّةٍ وَإِنِّي لِأَذْنَى صَوْتِهَا لَسَمِيعٌ

شَفِيعِي إِلَيْهَا قَلْبُهَا إِنْ تَعَتَّبْتُ وَقَلْبِي لَهَا فِيمَا عَتَبْتُ شَفِيعُ  
وَقَدْ ظَفِرْتُ مِنِّي بِسَمْعٍ وَطَاعَةٍ وَكُلُّ مُحِبٍّ سَامِعٌ وَمُطِيعٌ

ويقول الآخر:

يَقْرُ بِعَيْنِي مَا يَقْرُ بِعَيْنِهَا وَأَحْسَنُ شَيْءٍ مَا بِهِ أَلْعَيْنُ قَرَّتْ  
كَأَنِّي أَنَادِي صَخْرَةً حِينَ أَعْرَضْتُ مِنَ الصَّمِّ لَوْ تَمْشِي بِهَا الْعُصْمُ زَلَّتْ  
صَفُوحٌ فَمَا تَلَقَّاكَ إِلَّا بِخَيْلَةٍ فَمَنْ مَلَّ مِنْهَا ذَلِكَ أَلْوَصَلُ مَلَّتْ (١١)

وَيَلْغِي عَنِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ (\*) الْكَاتِبِ أَنَّهُ قَالَ: أَمَا أَنَا فَإِذَا أَحْبَبْتُ  
إِنْسَانًا نَظَرْتُ إِلَى فِعْلِهِ فَمَعَلْتُ مِثْلَهُ، فَإِنَّهُ إِنْ أَبْغَضَنِي أَبْغَضُ نَفْسَهُ، فَإِذَا  
أَبْتَدَأَ أَهْلُ الْعِشْقِ يَرْتَفِعُونَ عَنْ هَذِهِ الْحَالِ، تَكْشِفُ لَهُمْ عَوَارِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ  
حَالًا بَعْدَ حَالٍ.

ففي مثل ذلك يقول أبو عبادَةَ البَحْتَرِي:

يُرَيْبُنِي الشَّيْءُ تَأْتِي بِهِ وَأَكْبَرُ قَدْرِكَ أَنْ أَسْتَرِيبَا  
وَأَكْرَهُ أَنْ أَتَعَادَى عَلَى سَبِيلِ اغْتِرَارٍ فَأَلْفَى شُعُوبَا  
وَلَا بُدَّ مِنْ لَوْمَةٍ أَنْتَجِي عَلَيْكَ بِهَا مُخْطِئًا أَوْ مُصِيبَا  
سَأَصْبِرُ حَتَّى أَلَاقِي رِضَا كَ إِمَّا بَعِيدًا وَإِمَّا قَرِيبَا  
أَرَأَيْتَ رَأْيَكَ حَتَّى يَصِحَّ وَأَنْظُرُ عَظْفَكَ حَتَّى يَثُوبَا (١٢)

ولبعض أهل هذا العصر في هذا المعنى:

بَدَأْتُ بِمَوْعِدٍ وَرَجَعْتُ عَنْهُ وَكُنْتُ أَعْدُ وَعَدَكَ مِنْ عَطَائِكَ

(١١) هذه الأبيات لكثير، وليس في الديوان البيت الأول، ولكنه ورد في حاشية ص ١٠٧  
وقد وردت الأبيات في الأغاني ١١٠/١٦، وهي في الأغاني ٢٧٧/١ منسوبة إلى  
الأحوص. والبيت الثاني والثالث في الديوان ص ص ٩٧، ٩٨.

(\*) لعله الحسن بن وهب الكاتب وذلك لأن الحسن بن سهل وزير ولم يشتهر بالكتابة.

(١٢) انظر الديوان ص ١٥٢.



وَلَمْ تَزَلِ الْخَوَاطِرُ عَنْكَ تُنْبِي  
فَلَوْ كَانَتْ عُهْدُكَ لَمْ تُغَيِّرْ  
وَقَيْتَ بِمَا ابْتَدَأْتَ بِهِ وَلَكِنْ  
فَإِنْ تَكُ قَدْ نَدِمْتَ عَلَى أَصْطِفَائِي  
وَإِنْ تَكُ لَمْ تَخُنْ فَلَايَ شَيْءٍ

وله أيضاً في نحو ذلك:

أَمِنْتُ عَلَيْكَ صَرْفَ الدَّهْرِ حَتَّى  
وَجَسَّرَنِي وَقَاؤُكَ لِي إِلَى أَنْ  
فَجِثَّتْكَ شَاكِرًا وَأَقْلُ حَقِّي  
وَحَسْبُكَ رُبَّةٌ لَكَ مِنْ صَدِيقٍ

ولغيره في نحوه أيضاً:

[وَأَكْذَبْتُ طَرْفِي عَنْكَ وَالطَّرْفُ صَادِقٌ  
فَلَا كَمَدٌ يَلِكِي وَلَا لَكَ رَحْمَةٌ  
وَلَمْ أَسْكُنِ الْأَرْضَ الَّتِي تَسْكُنُهَا  
وَأَسْمَعْتُ أُذُنِي مِنْكَ مَا لَيْسَ يُسْمَعُ  
وَلَا عَنْكَ إِقْصَارٌ وَلَا فِيكَ مَطْمَعُ  
لَيْثًا يَقُولُوا صَابِرُ لَيْسَ يَجْزَعُ<sup>(١٣)</sup>

وَرُبَّمَا ضَعُفَ الْخَارِجُ عَنْ حَالِ الْعِشْقِ الَّتِي تُوجِبُ طَاعَةَ الْمُحِبُّوبِ  
عَلَى الْمُحِبِّ، إِلَى حَالَةِ الْوَلَهِ الَّتِي تُوجِبُ الْإِعْتِرَاضَ عَلَيْهِ، لِفَرْطِ الْمِيلِ مِنْهُ  
إِلَيْهِ فَيَرْجِعُ مِنْ قَرِيبٍ، وَيَنْقَادُ صَاحِرًا إِلَى كُلِّ مَا يُرِيدُهُ الْمُحِبُّوبُ.

وفي مثل ذلك يقول بعض أهل هذا العصر:

عَلَامٌ وَقَدْ أَذْبَتِ الْقُلُوبَ شَوْقًا تَصُدُّ وَقَدْ عَزَمَتْ عَلَى آرْتِحَالِ  
وَلَمْ أَكُ قَبْلَ ذَلِكَ أَتَيْتُ ذَنْبًا سِوَى أَنِّي نَهَيْتُكَ عَنْ خِصَالِ

(١٣) تقدمت هذه الأبيات، وقد أشرت إلى أنها من الشعر المغنّى في عصرنا، وجاء في نص ما عَنِّي منه: «فلا كبدي تبلى...».

أَزَدْتُ بِذَاكَ أَنْ تُدْعَى رَشِيدًا  
وَأَلَّا تُبْتَلَى بِدَنِيءٍ قَوْمٍ  
فَيَسْمَعَهُ الْمُصَادِقُ وَالْمُعَادِي  
وَمَا كُلُّ يُصَدِّقُ فِيكَ قَوْلِي  
فَصُنْ نَفْسًا عَلَيَّ أَعَزَّ مِنِّي  
وَأَيِّقِنْ أَنَّنِي لَمْ أَتِ ذَنْبًا  
تَجِدْنِي رَاضِيًا بِهَوَاكَ طَوْعًا  
فَوَاللَّهِ الْعَظِيمِ لَوْ أَنَّ قَلْبِي  
أَقْلَبْنِي تَذَخَّرَ فِي الْحَشْرِ أَجْرًا  
إِذَا أَفْتَضَحَ الْمَعَارِفُ بِالْمَقَالِ  
فَيُكْثَرُ فِيكَ مِنْ قِيلٍ وَقَالَ  
فَتَنْدَمَ عِنْدَ مُفْتَخِرِ الرِّجَالِ  
فَكُنْتَ تَكُونُ فَوْقَ ذُرَى الْمَعَالِي  
وَقَالَكَ السُّوءُ أَهْلِي ثُمَّ مَالِي  
وَدُونَكَ مَا هَوَيْتُ مِنَ الْفَعَالِ  
لَأْمُرِكَ فِي الْحَرَامِ وَفِي الْحَلَالِ  
عَصَاكَ هَمَمْتُ عَنْهُ بِأَتَقَالِ  
إِذَا أَحْتَاجَ الْمُقِيلُ إِلَى الْمَقَالِ

وَالْعَاشِقُ مَا دَامَتْ حَالُ الْعِشْقِ مَالِكَةً يَتَوَهَّمُ إِلَّا غَايَةَ بَعْدَهَا وَلَا رُبَّةَ  
فَوْقَهَا. وَيَرَى أَنَّ اعْتِرَاضَ الْمُحِبِّ عَلَى مُحِبُّوبِهِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ نَقْصٍ<sup>(١٤)</sup> حَالِهِ  
فِي قَلْبِهِ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ بِحَيْثُ عَلَا بَلْ هُوَ بِضِدِّهِ.

ولقد أحسن علي بن الرومي وقوله:

بَا أَحْيِ أَيْنَ رَيْعُ ذَلِكَ آخَاءِ أَيْنَ مَا كَانَ بَيْنَنَا مِنْ صَفَاءِ  
أَنْتَ عَيْنِي وَلَيْسَ مِنْ حَقِّ عَيْنِي طَبَقُ أَجْفَانِهَا عَلَى الْأَقْدَاءِ<sup>(١٥)</sup>

□ □ □

(١٤) في «م» والمطبوع: نقض.

(١٥) البيتان من قصيدة في الديوان ٦٤/١، ٦٦.

مَنْ وَفَى لَهُ الْحَبِيبُ هَانَ عَلَيْهِ الرَّقِيبُ

وَأِنَّمَا يَغْلُظُ أَمْرُ الرَّقِيبِ عَلَى مَنْ لَمْ يُمْتَحِنْ بِمُفَارَقَةِ الْحَبِيبِ. فَأَمَّا مَنْ غَلَبَهُ الْفِرَاقُ وَمَلَكَهُ الْإِشْفَاقُ، وَأَذَاعَ سِرَّهُ الْإِشْتِيَاقُ قَلَّ أَكْثَرَاتُهُ بِمَنْ يَرْتَقِيهِ. بَلْ سَهَّلَ عَلَيْهِ الْأَلْغَاءُ مَنْ يُجِبُّهُ إِذَا وَثِقَ بِقُرْبِهِ مِنْهُ، وَأَمِنْ مِنْ إِعْرَاضِهِ عَنْهُ. وَرُبَّمَا كَانَتْ غَيْبَةُ الْحَبِيبِ أَيْسَرَ مِنْ حُضُورِهِ مَعَ الرَّقِيبِ، وَهَذَا شَيْءٌ تَخْتَلِفُ فِيهِ الْأَرَءَاءُ، عَلَى حَسَبِ غَلَبَاتِ الْأَهْوَاءِ.

قال ابن الدميني:

يَقُولُونَ قَصْرٌ عَنْ هَوَاهَا فَقَدْ وَعَتْ  
وَمَا إِنَّ تَبَالِي سُخْطُ مَنْ لَا تُجِبُّهُ  
ضَغَائِنَ شُبَّانٍ عَلَيْكَ وَشَيْبُ  
إِذَا نَصَحْتَ مِمَّنْ تُحِبُّ جُيُوبُ<sup>(١)</sup>

وقال أبو تمام الطائي:

مَا شِئْتُ مِنْ مَنْطِقِي أَدِيبٍ  
لَمَّا رَأَى رَقَبَةَ الْأَعَادِي  
فِيهِ وَمِنْ مَنْظَرٍ أَرِيبٍ  
عَلَى مُعْنَى بِهِ كَيْبٍ  
جَرَّدَ لِي مِنْ هَوَاهُ نُصْحًا  
صَارَ رَقِيبًا عَلَى الرَّقِيبِ<sup>(٢)</sup>

وقال أيضاً:

مِنْ قَطْعِ الْأَفَاطِلِ تَوْصِيلُ مَهْلَكَتِي  
رُزِقْتُ رَقَةً قَلْبٍ مِنْهُ نَغَصَهَا  
وَوَصَلَ الْحَاطِلُ تَقْطِيعُ أَنْفَاسِي  
مُنْغَصٌ مِنْ رَقِيبٍ قَلْبُهُ قَاسِي<sup>(٣)</sup>

(١) البيتان من قصيدة في الديوان ص ١١٤، ١١٥ مع اختلاف في الرواية.

(٢) الأبيات في الديوان ١٦٣/٤.

(٣) البيتان في الديوان ٢١٦/٤.

وقال بعض الفصحاء:

طَلَحَ وَلَكِنَّا نَرَى الْحَدَّ  
يَمْنَعُنَا أَنْ نَسْتَظِلَّ  
جِاتِ رُقُطًا فِي خِلَالِهِ  
مِنْ الْهَوَاجِرِ فِي ظِلَالِهِ

وقال الأخطل:

وَلَيْسَ الْقَدَى بِالْعُودِ يَسْقُطُ فِي الْإِنَا  
وَلَكِنْ شَخْصًا لَا نُسَرُّ بِقُرْبِهِ  
وَلَا بِذُبَابِ خَطْبِهِ أَيْسَرُ الْأَمْرِ  
رَمْتَنَا بِهِ الْأَزْمَانُ مِنْ حَيْثُ لَا نَذَرِي<sup>(٤)</sup>

وأشد أعرابي بالبادية:

أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ وَارِدًا  
وَلَا آتِيًا وَحْدِي وَلَا بِجَمَاعَةٍ  
أَحِبُّ ظِبَاءَ الْوَادِيَيْنِ وَإِنِّي  
أُمَيِّمٌ أَحْفِظِي عَهْدَ الْهَوَى لَا يَزُلْ لَنَا  
مِيَاهَ الْحِمَى إِلَّا عَلَيَّ رَقِيبُ  
مِنْ النَّاسِ إِلَّا قِيلَ ذَلِكَ مُرِيبُ  
لَمُشْتَهَرٍ بِالْوَادِيَيْنِ غَرِيبُ  
عَنِ النَّأْيِ وَالْهَجْرَانِ مِنْكَ نَصِيبُ  
أَمَّا سَاعَةٌ إِلَّا عَلَيْكَ رَقِيبُ<sup>(٥)</sup>

وقال آخر:

صَغِيرٌ يَصِيرُ بِالَا كَثِيرٌ مُجَرَّبٌ  
أَوْ آخِرُ يَوْمِي بِالظُّنُونِ أَرِيبُ<sup>(٦)</sup>

وقال آخر:

وَإِنِّي لَأَتِي أَلْبَيْتَ أَبْغَضُ أَهْلَهُ  
تَطِيبُ لِي الدُّنْيَا مِرَارًا وَإِنَّهَا  
وَأَكْثَرُ هَجَرَ أَلْبَيْتِ وَهُوَ حَبِيبُ  
لَتَجُبُّ حَتَّى مَا تَكَادُ تَطِيبُ

(٤) ورد البيتان في أخبار الأخطل التي جمعها أنطون صالحاني في ديوان الأخطل.

(٥) هذه الأبيات نسبت إلى المجنون كما في الديوان ص ٥٠، وهي في الأغاني ٦٣/٢.

والسمط ص ٤٨٥ وأما في القالي ٢٠٣/١ و٤٠/٢ وشرح المزدج ص ١٣٦٤. وهي

لابن الدميني. كما في ديوانه. ونسبت لابن الطشيرة كما في مجموع شعره

ص ص ٦١، ٦٢.

(٦) كذا ورد صدر البيت في «م» والمطبوع، ولعله: صغير يصير بالكثير مجرب.

وَأَعْرِضْ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْكَ تُرِينِي وَأَدْعِي إِلَى مَا نَابَكُمْ فَأُجِيبُ<sup>(٧)</sup>

وأنشدنا أحمد بن أبي طاهر:  
حَبِيبِي حَبِيبُ يَكُنُّمُ النَّاسُ أَنَّهُ  
يُبَاعِدُنِي فِي الْمُلْتَقَى وَفُؤَادُهُ  
وَيُعْرِضُ عَنِّي [وَالْهَوَى مِنْهُ مُقْبِلٌ]  
فَتَخْرُسُ مِنَّا أَلْسُنٌ حِينَ نَلْتَقِي  
وله أيضاً:

إِذَا مَا التَّقِينَا وَالْوُشَاةَ بِمَجْلِسٍ  
فَإِنْ غَفَلَ الْوَأَشُونَ فُزْتُ بِنَظَرَةٍ  
أَسَارِقُ مَوْلَاهَا السُّرُورَ بِقُرْبِهَا  
وقال آخر:

إِذَا غَفَلُوا عَنَّا نَطَقْنَا بِأَعْيُنٍ  
شَكَا بَعْضُنَا لَمَّا التَّقِينَا تَسْتُرًا  
مِرَاضٍ وَإِنْ خِفْنَا نَظَرْنَا إِلَى الْأَرْضِ  
بِأَبْصَارِنَا مَا فِي النَّفُوسِ إِلَى بَعْضٍ

وقال مسلم بن الوليد:

جَعَلْنَا عَلَامَاتِ الْمَوَدَّةِ بَيْنَنَا  
فَأَعْرِفْ مِنْهَا الْوَصْلَ فِي لَيْنِ طَرْفِهَا  
دَقَائِقَ لَحْظٍ هُنَّ أَخْفَى مِنَ السَّحْرِ  
وَأَعْرِفْ مِنْهَا الْهَجْرَ بِالنَّظَرِ الشَّرِّ<sup>(٨)</sup>

وأنشدنا ابن أبي طاهر لأبي تمام:

أَزُورُ مُحَمَّدًا وَإِذَا التَّقِينَا  
فَأَرْجِعْ لَمْ أَلْمُهُ وَلَمْ يَلْمَنِي  
تَكَلَّمْتُ الضَّمَائِرُ فِي الصُّدُورِ  
وَقَدْ فِيهِمُ الضَّمِيرُ مِنَ الضَّمِيرِ<sup>(٩)</sup>

(٧) أقول لعلها من بائية ابن الدمينة المشهورة التي تقدمت قبل قليل.

(٨) البيتان في ديوان مسلم بن الوليد ص ١٠٥ مع اختلاف في الرواية.

(٩) لم أجد البيتين في الديوان.

وقال آخر:

إِذَا نَحْنُ خِفْنَا الْكَاشِحِينَ فَلَمْ نَطِقْ  
فَنَقْضِي وَلَمْ يُعْلَمْ بِنَا كُلِّ حَاجَةٍ  
وَلَمْ نَظْهَرِ الشُّكُورَى وَلَمْ نَهْتِكِ السِّتْرَا  
وَلَوْ قَذَفْتَ أَحْشَاؤُنَا مَا تَضَمَّنْتَ  
مِنْ الْوَجْدِ وَالْبَلَوَى إِذَنْ قَذَفْتَ جَمْرًا

صَاحِبُ هَذَا الشِّعْرِ الْبَائِسُ مُغْتَرٌّ بِالزَّمَانِ، جَاهِلٌ بِصُرُوفِ الْأَيَّامِ، يَتَبَرَّمُ  
بِالرَّقِيبِ مَعَ مُشَاهَدَةِ الْحَبِيبِ. وَهُوَ لَا يَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْحَالِ، تَقْصُرُ عَنْهَا  
الْأَمَالُ، وَتَنْقَطِعُ دُونَهَا الْآجَالُ. وَلَكِنْ مَنْ لَمْ يَنْكُبْهُ الْفِرَاقُ وَلَا الْهَجْرُ،  
وَلَمْ يَعْرِضْ إِلَى الْخِيَانَةِ وَالْعَدْرِ، حَسِبَ أَنَّ الرَّقِيبَ هُوَ مُنْتَهَى كَيْدِ الدَّهْرِ،  
وَوَظَنَ أَنَّهُ قَدْ أَمْتَحَنَ بِمَا لَا يَقُومُ لَهُ الصَّبْرُ.

وقد قال بعض أهل هذا العصر:

لَيْتَ كَانَ الرَّقِيبُ بَلَاءَ قَوْمٍ  
حِجَابُ الْأَلْفِ أَيْسَرُ مِنْ نَوَاهِ  
فَمَا عِنْدِي أَجَلٌ مِنَ الرَّقِيبِ  
وَهَجْرُ الْخَلِّ خَيْرٌ لِلْأَرْيَبِ<sup>(١٠)</sup>  
وَلَا وَأَبْيَكُ مَا عَايَنْتُ شَيْئًا  
أَشَدَّ مِنَ الْفِرَاقِ عَلَى الْقُلُوبِ

وقال آخر:

أَشَارَتْ بِعَيْنَيْهَا إِشَارَةً خَائِفٍ  
فَرَدَّ عَلَيْهَا الطَّرْفَ مِنِّي سَلَامَهَا  
حَذَارِ عُيُونِ الْكَاشِحِينَ فَسَلَّمْتُ  
وَأَوْمَأَ إِلَيْهَا أُسْكِنِي فَتَبَسَّمْتُ  
وَأَوْمَتْ إِلَى طَرْفِي يَقُولُ لِطَرْفِهَا  
بِنَا فَوْقَ مَا تَلْقَى فَأَشْجَتْ وَتَبَسَّمْتُ  
فَلَوْ سُلِّتُ الْحَاطِنَا عَنْ قُلُوبِنَا  
إِذَنْ لَأَشْتَكْتُ مِمَّا بِهَا وَتَبَسَّرْتُ  
وَمَا هَكَذَا إِلَّا عُيُونُ ذَوِي الْهَوَى  
إِذَا خَافَتِ الْأَعْدَاءُ يَوْمًا تَكَلَّمْتُ

وقال آخر:

وَقَفْنَا فَلَوْلَا أَنَّنَا رَاعِنَا الْهَوَى  
لَهَتَكْنَا عِنْدَ الرَّقِيبِ نَحِيبُ

(١٠) كذا في «م» وأما في المطبوع فقد جاء: للاديب.

وَفِي دُونِ مَا تَلَقَّاهُ مِنْ أَلَمِ الْهَوَى  
وَلَمَّا نَظَرْنَا بِالرَّقِيبِ وَلَحْظِهِ  
صَدَدْنَا وَكُلُّ قَدْ طَوَى تَحْتَ صَدْرِهِ

وقال آخر:

إِذَا مَا التَّقِينَا وَالْوُشَاءَ بِمَجْلِسِ  
وَتَحْتَ مَجَارِي الصُّدْرِ مِمَّا مَوَّدَةٌ

وانشد ابن أبي طاهر:

إِذَا خِفْنَا مِنَ الرُّقْبَاءِ عَيْنًا  
وَفِي غَمَزِ الْحَوَاجِبِ مُسْتَرَاخٌ

وقال آخر:

وَمُرَاقِبِينَ يُكَاتِمَانِ هَوَاهِمَا  
بِتَلَاخِظَانِ تَلَاخِظًا فَكَأَنَّمَا

وانشد ابن أبي طاهر:

عَرَفْتُ بِالسَّلَامِ عَيْنَ الرَّقِيبِ  
وَشَكَتْ لَوَعَةَ النَّوَى بِجُفُونِ  
رُبَّ طَرْفٍ يَكُونُ أَفْصَحَ مِنْ لَفْ

وقال آخر:

وَإِذَا التَّقِينَا وَالْعُيُونُ رَوَامِقُ  
تَشْكُو فَأَفْهَمُ مَا تَقُولُ بِطَرْفِهَا

تُشَقُّ جُيُوبٌ بَلْ تُشَقُّ قُلُوبُ  
وَلَحْظِي عَلَى لَحْظِ الرَّقِيبِ رَقِيبُ  
فَوَإِذَا لَهُ بَيْنَ الضُّلُوعِ وَجِيبُ

فَالسُّنَنَّا حَرْبٌ وَأَعَيْنُنَا سِلْمُ  
تَطْلُعُ سِرًّا حَيْثُ لَا يَذْهَبُ الْوَهْمُ

تَكَلَّمْتُ الْعُيُونُ عَنِ الْقُلُوبِ  
لِحَاجَاتِ الْمُحِبِّ إِلَى الْحَبِيبِ<sup>(١١)</sup>

جَعَلَا الصُّدُورَ لِمَا تَجُنُّ قُبُورَا  
يَتَنَاسَخَانِ مِنَ الْجُفُونِ سُطُورَا

وَأَشَارَتْ بِلَحْظِ طَرْفٍ مُرِيبِ  
أَعْرَبَتْ عَنْ لِسَانِ قَلْبٍ كَثِيبِ  
ظِ وَأَبْدَى لِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ

صَمَتِ اللِّسَانُ وَطَرْفُهَا يَتَكَلَّمُ  
وَرَدُّ طَرْفِي مِثْلَ ذَلِكَ فَتَفْهَمُ

وانشدني ابن أبي طاهر:

كَتَبْتُ إِلَى الْحَبِيبِ بِكُسْرِ عَيْنِي  
كِتَابًا لَيْسَ يَقْرَأُهُ سِوَاهُ  
فَأَخْبَرَنِي تَوَرُّدُ وَجَنَّتِيهِ  
وَكُسْرُ جُفُونِهِ أَنْ قَدْ قَرَأَهُ

وانشدني أيضاً لنفسه:

لَقَدْ عَرَضَ بِالْحَبِّ كَمَا عَرَضْتُ بِالْحَبِّ  
وَكَانَتْ أَعْيُنُ رُسُلًا مَكَانَ الرُّسُلِ بِالْكَتَبِ  
عُيُونٌ تَنْقُلُ الْأَسْرَارَ مِنْ قَلْبٍ إِلَى قَلْبٍ

وقال آخر:

إِذَا نَظَرْتُ طَرْفِي تَكَلَّمَ طَرْفُهَا  
فَكَمْ نَظَرَةً مِنْهَا تُخَيِّرُ بِالرِّضَا  
وَجَاوَبَهُ طَرْفِي وَنَحْنُ سُكُوتُ  
وَأُخْرَى لَهَا نَفْسِي تَكَادُ تَمُوتُ<sup>(١٢)</sup>

وانشدني ابن أبي طاهر:

وَمَلَاخِظِ سَرَقَ السَّلَامِ بِطَرْفِهِ  
رَاجِعْتُهُ بِلِسَانِ طَرْفٍ نَاطِقِ  
حَذَرَ الْعُيُونِ وَرَقِيبَةَ لِلْحَارِسِ  
يُخْفِي الْبَيَانَ عَلَى الرَّقِيبِ الْجَالِسِ  
نُخْفِي وَفَارَ مُجَالِسٍ بِمُجَالِسِ  
فَتَكَلَّمْتُ مِمَّا الضَّمَائِرُ بِاللِّذِي

وقال الطرماح:

كَأَنَّ لَمْ يَرُعَكَ الظَّاعِنُونَ بَيْنَهُمْ  
يُرَاقِبِينَ أَبْصَارَ الْغِيَارَى بِأَعْيُنِ  
بَلَى إِنَّ بَيْنَ الظَّاعِنِينَ نَزْوُعُ  
حَوَازِرَ مَا تَجْرِي لَهُنَّ دُمُوعُ<sup>(١٣)</sup>

وقال آخر:

أَشَارَتْ بِطَرْفِ الْعَيْنِ خَيْفَةَ أَهْلِهَا  
فَأَيَقَنْتُ أَنَّ الطَّرْفَ قَدْ قَالَ مَرْحَبًا  
إِشَارَةَ مَحْزُونٍ وَلَمْ تَتَكَلَّمِ  
وَأَهْلًا وَسَهْلًا بِالْحَبِيبِ الْمُتَمِّمِ<sup>(١٤)</sup>

(١٢) البيتان في شعر المجنون مع اختلاف في الرواية، انظر ديوان المجنون ص ٨٤.

(١٣) البيتان في الديوان ص ص ٢٩٠، ٢٩١ مع اختلاف في الرواية.

(١٤) البيتان في شعر المجنون مع اختلاف في الرواية، انظر الديوان ص ٢٥٥.

(١١) ورد البيتان في شعر المجنون، انظر الديوان ص ٨١.

وأنشدني ابن أبي طاهر:  
أَلَا حِظُّهَا خَوْفَ الْمُرَاقِبِ لَحْظَةً  
فَتَفْهَمُهُ عَنْ لَحْظِ عَيْنِي بِقَلْبِهَا

وله أيضاً:

تُحَدِّثُنَا الْأَبْصَارُ مَا فِي قُلُوبِنَا  
عَلَامَاتِنَا مَكْتُوبَةٌ فِي جِبَاهِنَا

وقال آخر:

بَنَانٌ يَدٌ تُبَيِّرُ إِلَى بَنَانٍ  
جَرَى الْإِيْمَاءُ بَيْنَهُمَا رَسُولًا

وأنشدني ابن أبي طاهر:

يُكَلِّمُهَا طَرْفِي فَتُؤْمِي بِطَرْفِهَا  
فَإِنْ نَظَرَ الْوَأَشُونَ صَدَّتْ وَأَعْرَضَتْ

وقال بعض الأعراب:

فَلَمَّا أَدْرَكْنَا رَاعَهُنَّ مُنَادِيًا  
فَنَارَعْنَنَا وَحِيًّا خَفِيًّا كَأَنَّهُ  
يُوحِي لَوَ أَنَّ الْعَصَمَ تَسْمَعُ رَجْعَهُ

وأنشدنا ابن أبي طاهر:

وَمِنِّي وَمِنْهَا أَتْنَانِ قَلْبٌ وَمُقَلَّةٌ  
وَطَرْفِي لَهَا عَمَّا بِقَلْبِي مِنَ الْهَوَى

وقال آخر:

يُكَلِّمُ طَرْفِي طَرْفَهَا حِينَ نَلْقَى  
وَإِنْ كَانَ فِينَا لِلْعَبَابِ صُدُودٌ

فَأَشْكُو بِطَرْفِي مَا بِقَلْبِي مِنَ الْوُجْدِ  
فَتُؤْمِي بِطَرْفِ الْعَيْنِ آتِي عَلَى الْعَهْدِ

فَنَغْنَى بِهَا عَمَّا يُرَدَّدُ فِي الْكُتُبِ  
حَيِّبَانِ مُوقُوفَانِ فِي سُبُلِ الْحُبِّ

تُجَاوِبُنَا وَمَا يَتَكَلَّمَانِ  
فَيَأْعَرَبُ وَحْيَهُ الْمُتَنَاجِيَانِ

فَتُخْبِرُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ مِنَ الْوُجْدِ  
وَإِنْ غَفِلُوا قَالَتْ أَلَسْتُ عَلَى الْعَهْدِ

كَمَا رَاعَ خَيْلًا مِنْ لَجَامٍ صَلَاحِلُهُ  
[جَنَى] الْمُجْتَنِي الرِّيحَانَ أَمْرَعُ حَاصِلُهُ  
لَقَضِيضٍ مِنْ أَعْلَى إِبَانٍ حَوَافِلُهُ

مَرِيضَانِ مَغْبُوطٌ وَآخِرُ يَرْحَمُ  
إِذَا لَمْ أَطِقْ شُكْرِي إِلَيْهَا مُتَرْجِمُ

فَإِنْ نَحْنُ صِرْنَا لِلْفِرَاقِ تَلَاخُظَتْ  
لَنَا بِهَوَانَا أَعْيُنٌ وَخُدُودُ  
فَنَحْنُ كَأَنَّا بِالْقُلُوبِ وَذِكْرِهَا  
إِذَا مَا أَفْتَرَقْنَا حَاضِرُونَ شُهُودُ  
وقال الراعي:

يُنَاجِيَنَنَا وَالطَّرْفُ دُونَ حَدِيثِنَا

وَيَقْضِيَنَّ حَاجَاتٍ وَهِنَّ حَاجَاتٍ وَهِنَّ مَوَازِحُ  
فَلَمَّا تَقَرَّقْنَا شَجِينَ بِعَبْرَةٍ  
وَزَوَّدْنَا شَوْقًا وَهِنَّ فَوَاضِحُ  
فَوَيْلُ آمِهَا مِنْ خُلَّةٍ لَوْ تَنَكَّرَتْ  
لَأَعْدَانِنَا أَوْ صَالَحَتْ مَنْ تُصَالِحُ (١٥)

وقال آخر:

قَفِي أَخْبِرْنِي ثُمَّ حُكْمُكَ وَاجِبُ  
عَلَيَّ إِذَا خَبَرْتُ مَا أَنَا سَائِلُ  
مَتَى أَنَا نَاجٍ يَا قَتُولَ فَأَوْمَاتُ  
بِطَرْفٍ كَفَى رَجَعَ الَّذِي أَنَا قَائِلُ

وقال آخر:

أَلَا حَبِذَا أَلْدَهْنَا وَطِيبُ ثُرَابِهَا  
وَأَرْضُ خَلَاءٍ يَصْدَعُ اللَّيْلُ هَامُهَا  
وَنَصْرُ الْمَهَارِي بِالْعَشِيَّاتِ وَالضُّحَى  
إِلَى بَقَرٍ وَحْيٍ أَلْعْيُونِ كَلَامُهَا (١٦)

وأنشدني أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر (١٧):

إِشَارَةٌ أَفْوَهِ وَغَمَزُ حَوَاجِبِ  
وَتَكْسِيرُ أَجْفَانٍ وَكَفُّ تُسْلِمُ  
وَأَلْسُنُنَا مَعْقُودَةٌ عَنْ شَكَايِنَا  
وَأَبْصَارُنَا عَنْهَا الصَّبَابَاتِ تَفْهَمُ

وقال الوليد بن عبيد الطائي (١٨):

يَتَبَسَّمْنَ مِنْ وَرَاءِ حَوَاشِي الرَّبِّ  
طِ عَنْ بَرْدِ أَفْحُوَانِ الثُّغُورِ

(١٥) الأبيات في ديوان الراعي ص ص ٤٧، ٤٨. وهما كما أشار جامع الديوان من قصيدة  
عدتها ٤٤ بيتاً في «منتهى الطلب» الورقة ١٥٨.

(١٦) في «م» والمطبوع: نفر، والبيتان نسبا إلى أعرابي سجن بحجر اليمامة، معجم البلدان  
(الدهناء).

(١٧) في «م» والمطبوع: وأنشدني الفضل بن أبي طاهر.

(١٨) في «م» والمطبوع: وقال بن الوليد عبيد الطائي.

مَنْ مَنَعَ مِنْ كَثِيرِ الْوَصَالِ قَنَعَ بِقَلِيلِ الْوَالِ

قال ذو الرمة:

أَلِمَّا بِمَعِي قَبْلَ أَنْ تَطْرَحَ النَّوَى  
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا مُعَرَّسُ سَاعَةٍ  
خَلِيلِي عُدًّا حَاجَتِي مِنْ هَوَاكُمَا  
وَمَنْ ذَا يُدَاوِي النَّفْسَ إِلَّا خَلِيلُهَا<sup>(١)</sup>

وقال أيضاً:

وَإِن كُنْتُ لَا أَرْضَى لَكُمْ بِقَلِيلِ  
مِنْ الْوَدِّ إِلَّا عُدْتُمْ بِجَمِيلِ<sup>(٢)</sup>

وقال جميل<sup>(٣)</sup>:

وَيَقُلْنَ إِنَّكَ قَدْ رَضِيتَ بِبَاطِلِ  
وَلَبَاطِلُ مِمَّنْ أُحِبُّ حَدِيثُهُ  
وَلَرُبَّ عَارِضَةٍ عَلَيْنَا وَصَلَهَا  
فَأَجَبْتُهَا بِالْقَوْلِ عَلَيْنَا بَعْدَ تَسْتُرِ  
لَوْ كَانَ فِي قَلْبِي كَقَدْرِ قُلَامَةٍ  
فَضْلٌ وَصَلْتُكَ أَوْ أَتَتْكَ رَسَائِلِي

أَمَّا هَذَا فَقَدْ دَلَّنَا بِغَايَةِ جُهْدِهِ عَلَى شِدَّةِ تَمَكُّنِهَا مِنْ قَلْبِهِ وَأَخْبَرَنَا مَعَ ذَلِكَ

(١) انظر الديوان ص ٥٥٠ مع اختلاف الرواية.

(٢) لم أجد البيت في الديوان.

(٣) نسبت الأبيات إلى المجنون، انظر الديوان ص ٢٢٥.

(٤) انظر ديوان جميل ص ١٠٧.

وَيَسَاقِطُنَ وَالرَّقِيبُ قَرِيبُ  
ضَعُفَ الدَّهْرُ عَنْ هَوَاهَا وَمَا الدَّهْرُ  
لَيْسَ فِي الْعَاشِقِينَ أَنْقَصُ حَظًّا  
فِي التَّصَابِي مِنْ وَاصِلِ مَهْجُورِ<sup>(١٩)</sup>  
أَمَّا هَذَا الْكَلَامُ فَكَلَامٌ مَتَغَطِّسٌ عَلَى الْأَيَّامِ، وَقَدْ كَانَ يُقَالُ: «عِنْدَ  
الثَّقَةِ بِالْأَيَّامِ تُحَذَرُ الْغَيْرُ».

وقال إبراهيم النظام<sup>(٢٠)</sup>:

وَنَشْكُو بِالْعُيُونِ إِذَا التَّقِينَا  
فَنَفْهَمُهُ وَيَعْلَمُ مَا أَرَدْتُ  
أَقُولُ بِمَقْلَتِي: أَنْ مِتُّ شَوْقًا  
فِيُوجِي طَرْفُهُ أَنْ قَدْ عَلِمْتُ

□ □ □

(١٩) الأبيات في الديوان ص ٨٨٥ مع اختلاف في الرواية.

(٢٠) هو إبراهيم بن سيار البصري أبو اسحاق النظام، من أئمة المعتزلة، توفي سنة ٢٣١هـ، انظر تاريخ بغداد ٩٧/٦، الباب ٣/٢٣٠.

فِي شِعْرِهِ أَنَّهُ لَوْتَهَا خَلَّاصُ شَيْءٍ مِنْ حُبِّهِ مِنْ يَدِهَا لَصَرَفَهُ إِلَى غَيْرِهَا وَهَذِهِ  
حَالٌ لَا تَرْضِي أَهْلَ الْوَفَاءِ وَلَا يَسْتَعْمِلُهَا أَهْلُ الْأَصْفَاءِ.

وقال آخر<sup>(٥)</sup>:

وَإِنِّي لَأَرْضَى مِنْكَ يَا لَيْلُ بِالَّذِي لَوَ أَخْبِرَهُ الْوَاشِي لَقَرْتُ بِلَابِلُهُ  
بَلَا وَبِأَنَّ لَا أَسْتَطِيعُ وَبِالْمَنَى وَبِالْوَعْدِ حَتَّى يَسَامَ الْوَعْدُ أَمِلُهُ<sup>(٦)</sup>  
وَبِالنَّظَرِ الْعَجَلَى وَبِالْحَوْلِ تَنْقِضِي أَوَاخِرُهُ لَا تَلْتَقِي وَأَوَائِلُهُ

هَذِهِ لَعَمْرِي قَنَاعَةٌ شَدِيدَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ وَرَاءَهَا ذِلَّةٌ وَكِبِدَةٌ، لِأَنَّ مَنْ يَتَهَيَّأُ  
لَهُ مَنْ يَهْوَاهُ، لَا يَقْنَعُ بِأَنْ لَا يَرَاهُ، وَبِأَنَّ يَعْدَهُ وَعَدَهُ أَلَّا يُطَالِبَهُ بِوَفَائِهِ. وَلَعَمْرِي  
إِنَّ هَذِهِ الْحَالُ تَقْرِئُ عَيْنَ الْمُعَادِي وَتُسْخِنُ عَيْنَ الْمُوَالِي. إِلَّا أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ  
بَاقٍ فِي الْقَنَاعَةِ، فَإِنَّهُ قَدْ التَّمَسَّ التَّعَلُّلَ بِالْوَعْدِ، وَبِتَأْمِيلِ الْإِقْدَاءِ عَلَى الْبُعْدِ.  
وَمَنْ قَنِعَ بِتَرْكِ الْإِقْدَاءِ، وَأَقَامَ عَلَى حَالِ الْوَفَاءِ، كَانَ أَتَمَّ حَالًا.

كما قال أبو ذؤلف العجلي:

إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ لَا أَرَاكَ وَلَا لَقَانِعُ بِالسَّلَامِ يَبْلُغُنِي  
وَأَذْفَعُ أَلْهَمُ بِالسُّرُورِ إِذَا أَطْمَعُ فِي ذَاكَ سَائِرَ الْأَبَدِ  
أَشْفِي غَلِيلًا بِهِ مِنَ الْكَمَدِ أَيْقَنْتُ أَنَا جَارَانٍ فِي بَلَدٍ

ولبعض أهل هذا العصر:

أَيَّامَ هَذَا الدَّهْرِ كَمْ تَعْنِفِينَ بِي نَوَالًا كَرَجَعَ الطَّرْفُ أَعْجَلَهُ الْقَدَى  
كَأَنَّ لَمْ تَرَى قَبْلِي مُعْنَى وَلَا بَعْدِي وَضَنًا كَضَنَ الْجَفْنِ بِالْأَعْيُنِ الرَّمْدِ  
فَمَنْ يَكُ مُشْتَقًا إِلَى نَجْعٍ مَوْعِدٍ فَهِيَ أَنَا مُشْتَقٌّ إِلَى خُلْفِ الْوَعْدِ

(٥) قائل الأبيات جميل بثينة. والأبيات في الديوان ص ١١٥ والرواية: وإني لأرضى من  
بثينة...

(٦) في «م» والطبوع: بلى وبأن لا أستطيع...

فَلَا خُلْفَ إِلَّا بَعْدَ تَوْكِيدِ مَوْعِدٍ وَكَذَلِكَ وَفَّقْتُ الْحَظَّ مِنَ الْفَقْدِ  
وَقَدْ قَدَفْتُ نَفْسِي أَجَلَ حُطُوطِهَا

وقال آخر:

أَوْجَدْتُ عَلَى وَجْدٍ وَأَنْتَ بِخَيْلَةٍ بَلَى وَالَّذِي حَجَّ الْمَلْبُورَ بَيْتُهُ  
وَقَدْ زَعَمُوا أَنْ لَا يُحِبُّ بِخَيْلٍ وَيَشْفَى الْجَوَى بِالنَّيْلِ وَهُوَ قَلِيلُ<sup>(٧)</sup>

وقال آخر:

يَقْرُ بِعَيْنِي أَنْ أَرَى مِنْ مَكَانِهِ وَأَنْ أَرِدَ أَلْمَاءَ أَلْيَنِي وَرَدَّتْ بِهِ  
ذُرَى عَقَدَاتِ الْأَبْرِقِ الْمُتَقَاوِدِ فَالْصِّقُّ أَحْشَائِي بِسَرْدِ تَرَابِهِ  
وَأَنْ كَانَ مَخْلُوطًا بِسَمِّ الْأَسَاوِدِ

وقال آخر:

يَقْرُ بِعَيْنِي أَنْ أَرَى كَفَّةَ الْغَضَا وَلَسْتُ وَإِنْ أَحْيَيْتُ مَنْ يَسْكُنُ الْغَضَا  
إِذَا مَا بَدَتْ يَوْمًا لِعَيْنِي فَلِلَّهَا بِأَوَّلِ رَاجٍ حَاجَةٌ لَا يَنَالُهَا

وقال جميل:

قَدْ مَاتَ قَبْلِي أَخُو فَهَيْدٍ وَصَاحِبُهُ قَدْ مَاتَ قَبْلِي أَخُو فَهَيْدٍ وَصَاحِبُهُ  
مُرْقَشُ وَأَشْتَفَى مِنْ عُزْوَةِ الْكَمَدِ إِنِّي لِأَحْسَبُ أَوْ [قَدْ] كَذْتُ أَعْلَمُهُ  
أَنْ سَوْفَ تُورِدُنِي الْحَوْضَ الَّذِي وَرَدُوا أَن لَّا يَكُونُ مِنَ الدُّنْيَا لَهُ سَنَدُ<sup>(٨)</sup>

وقال أيضاً:

يُكَذِّبُ أَقْوَالَ الْوُشَاةِ صُدُودُهَا وَتَحْتَ مَجَارِي الدَّمْعِ مِنَّا مَوْدَةٌ  
وَيَجْتَازُهَا عَيْنِي كَأَنَّ لَا أُرِيدُهَا تَلَاخُظُ سِرًّا لَا يُنَادَى وَلِيدُهَا

(٧) البيتان في شعر المجنون كما في الديوان ص ٢٢٣ مع اختلاف في الرواية. وهما في شرح  
المرزوقي ص ١٢٩٦.

(٨) الأبيات في ديوان جميل ص ٤٥.

رَفَعْتُ عَنِ الدُّنْيَا أَلْمَنَى غَيْرَ وَدَّهَا  
وقال أيضاً:

مِنَ الْخَفِرَاتِ أَلْبِيضَ أُخْلِصَ لَوْنُهَا  
فَمَا مُزْنَةٌ بَيْنَ السَّمَائِينَ أَوْمَضَتْ  
بِأَحْسَنَ مِنْهَا يَوْمَ قَالَتْ وَعِنْدَنَا  
تَعَايَيْتَ فَاسْتَغْنَيْتَ عَنَّا بِغَيْرِنَا  
وَوَدِدْتُ وَلَا تُغْنِي السَّوْدَادَةُ أَنَّهَا

وقال آخر:

هَلْ أَلَّهَ عَافٍ عَن ذُنُوبٍ تَسَلَّقَتْ  
وَكُنَّا إِذَا دَانَتْ بِذُلْفَاءِ نِيَّةٍ

وقال أيضاً:

عَاتِبَةً لَمْ أَغْنِ عَنْ وَصْلِهَا  
إِنْ نَظَرْتُ قُلْتُ بِهَا ذِلَّةٌ  
أَصْبَحْتُ لَا أَطْمَعُ فِي وَصْلِهَا

وقال آخر:

صُدُّوكَ عَنِّي إِذْ أَسَأْتُ يَسْرُنِي  
سُرِرْتُ بِهِ أَنِّي تَبَقَّنْتُ أَنَّمَا  
وَلَوْ كُنْتُ فِي زَاهِدٍ لَمْ تُبَالِ بِي  
فَمَا فَرَحَةٌ لِي إِذْ رَأَيْتُكَ عَاتِبًا

(٩) الأبيات في ديوان جميل ص ٤٨.

(١٠) المصدر السابق ص ٤٨.

(١١) البيت في شرح الحماسة (التبريزي) ٣/٣٠٣ من مقطوعة للحسين بن مطير.

(١٢) لم أجد الأبيات في ديوان جميل.

(١٣) لم أجد الأبيات في ديوان جميل.

فَمَا أَسْأَلُ الدُّنْيَا وَلَا أَسْتَرِيدُهَا<sup>(٩)</sup>

تَلَاحِي عَدُوًّا لَمْ تَجِدْ مَا يَعْيبُهَا  
مِنَ النُّورِ ثُمَّ اسْتَعْرِضْتُهَا حُبُوبَهَا  
مِنَ النَّاسِ أَوْ يَأْشُ يُخَافُ شُغُوبَهَا  
إِلَى يَوْمٍ يَلْقَى كُلُّ نَفْسٍ حَبِيبَهَا  
نَفْسِي مِنَ الدُّنْيَا وَأَيُّ نَفْسِيهَا<sup>(١٠)</sup>

أَمْ أَلَّهَ إِنْ [لَمْ] يَغْفِرْ عَنْهَا يُعِيدُهَا<sup>(١١)</sup>  
رَضِينَا بِدُنْيَانَا فَمَا نَسْتَرِيدُهَا

يَقْتُلُ فِي أَجْفَانِهَا السَّحَرُ  
أَوْ خَطَرْتُ قُلْتُ بِهَا كِبَرُ  
حَسْبِي أَنْ يَبْقَى لِي الْهَجَرُ<sup>(١٢)</sup>

وَلَمْ أَرْ قَبْلِي عَاشِقًا سُرَّ بِالْصَدِّ  
دَعَاكَ إِلَيْهِ رَغْبَةً مِنْكَ فِي وَدِّي  
وَلَكِنَّمَا عَنَبَ الْمُحِبِّ مِنَ الْوُجْدِ  
عَلَيَّ لِذَنْبٍ كَانَ مِنِّي بِلا عَمْدٍ<sup>(١٣)</sup>

وقال البحتري:

أَخْ لِي لَمْ تَتَّصِلْ بِسَبْتِي  
تَنَكَّرَ حَتَّى لَأَنكَرْتُهُ  
وَمَا لِي مِنْهُ سِوَى رَقَّةٍ  
كَذَا الْمِسْكُ مَا فِيهِ مُسْتَمَتٌ  
بِقُرْبَى أَبِيهِ وَلَا أُمِّهِ  
خَلَا أَنِّي عَارِفٌ بِأَسْمِهِ  
يُرَاحُ بِهَا الشَّعْرُ مِنْ فَهْمِهِ  
سَعٍ لِمُتَّخِذِيهِ سِوَى شَبِّهِ<sup>(١٤)</sup>

وقال إبراهيم بن العباس:

مِنِّي الصَّبْرُ وَمِنْكَ أَلْهَ  
بَعُدَتْ هِمَّةُ عَيْنٍ  
أَوْ مَا حَظُّ لِعَيْنٍ  
أَوْ تَرَى مَنْ قَدْ رَأَى مَنْ  
جَرُّ فَأَبْلَغُ بِي مَدَاكِنَا  
طَمَحْتُ فِي أَنْ تَرَكََا<sup>(١٥)</sup>  
أَنْ تَرَى مَنْ قَدْ يَرَكََا  
قَدْ رَأَى مَنْ قَدْ رَأَا<sup>(١٦)</sup>

وقال بعض الأعراب:

أَيَا جَبَلِي نَعْمَانَ قَلْبِي إِلَيْكُمَا  
كَتَمْتُ جَمِيعَ النَّاسِ وَجَدِي عَلَيْكُمَا  
دَعَا لَكُمَا قَلْبِي الْحَنِينُ وَإِنَّهُ  
مُسِرٌّ هَرَى مُسْتَأْنِسٍ بِلِقَاكُمَا  
وَأَضْمَرْتُ فِي الْأَحْشَاءِ مِنِّي هَوَاكُمَا  
لِيُؤْنَسَ عَيْنِي أَنْ تَرَى مَنْ يَرَكَمَا

وقال بعض الأعراب:

وَلِإِنَّ أَلَّذِي أَرْضَى بِهِ مِنْ نَوَالِهَا  
سَلَامٌ بِعَيْنٍ أَوْ سَلَامٌ بِحَاجِبٍ  
عَلَيْهَا وَإِنْ ضَنْتُ بِهِ لَيْسِيرُ  
إِذَا مَا بِهِ لَمْ تَدْرِ كَيْفَ تُشِيرُ

(١٤) الأبيات في الديوان ص ١٩٨٩ مع اختلاف في الرواية.

(١٥) في «م» والمطبوع: طمعت.

(١٦) لم أجد الأبيات في ديوان إبراهيم بن العباس، وهو إبراهيم بن العباس الصولي، المتوفى

سنة ١٧٦هـ من كتاب الدولة العباسية. انظر: الأغاني ٩/٢٠، معجم الأدباء ١/٦١.

تاريخ بغداد ١/١١٧.



وقال الأحوص بن محمد:

وَقَدْ جِئْتُ الطَّبِيبَ لِسَقْمِ نَفْسِي  
وَكُنْتُ إِذَا سَمِعْتُ بِأَرْضِ سَعْدِي  
فَمَنْ هَذَا الطَّبِيبُ لِسَقْمِ نَفْسِي  
سِوَى سَعْدِي إِذَا شَحَطَتْ نَوَاهَا<sup>(١٧)</sup>

وقال أيضاً:

أَسْلَامٌ هَلْ لِمَتِّمْ تَنْوِيلُ  
لَا تَضْرِمِينِي مِنْ دَلَالِكَ إِنَّهُ  
أَمْ قَدْ صَرَمْتَ وَغَالَ وَدُكْ غُولُ  
حَسَنٌ لَدَيَّ وَإِنْ بَخِلْتَ جَمِيلُ<sup>(١٨)</sup>

وقال البحري:

وَيَحْسُنُ دَلْهًا وَالْمَوْتُ فِيهِ  
أَقُولُ أَزِيدُ مِنْ سَقَمِ فُؤَادِي  
وَقَدْ يُسْتَحْسَنُ السَّيْفُ الصَّقِيلُ<sup>(١٩)</sup>  
وَهَلْ يَزْدَادُ مِنْ قَتْلِ قَتِيلُ

وقال آخر<sup>(٢٠)</sup>:

إِنَّ آلَتِي زَعَمَتْ فُؤَادَكَ مَلْهًا  
حَجَبَتْ تَحِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي  
خُلِقْتَ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوَى لَهَا  
مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقْلَهَا

ولبعض أهل هذا العصر:

فَإِنْ تَكُنِ الْقُلُوبُ إِذَنْ تُجَازَى  
وَأَسْلُكَ فِي الْهَوَى سَنًا سَوِيًّا

(١٧) الأبيات في شعر الأحوص ص ٢٠٧، ومصدرها كتاب الزهرة.

(١٨) انظر شعر الأحوص ص ١٧٤، وفي «م» والمطبوع: أحلام، وسلام هي سلامة النفس.

(١٩) البيت الأول في الديوان ص ١٨١٨.

(٢٠) البيتان من مقطوعة في الشعر والشعراء ص ٣٦٤، عيون الأخبار ٢٩/٤، زهر الآداب

الطبعة الثانية ٢٠٧/١ لعروة بن أذينة، وكذلك الأغاني ١٦٨/٢١، والحماسة البصرية

ص ١٦٩. وفي سمط اللآلئ ص ٤٠٩ قيل لعروة بن أذينة، وقيل: إنه لبشار. وفي

شرح المرزوقي ص ١٢٣٥ من غير عزو، وفي شرح التبريزي لعروة، وفي الأمالي

١٥٥/١ - ١٥٦ من غير عزو، وهي من شعر المجنون الديوان ص ٣٣٦.

فَمَا لِي أَهْوَى الثَّقَلَيْنِ جَمْعًا  
عَمَرْتُ سِنِينَ أَسْتَحْفِي التَّصَافِي  
فَلَمْ تُقْلِعْ صُرُوفَ الدَّهْرِ حَتَّى  
تَبْغُضَ مَا اسْتَطَعْتَ وَعِشَ سَلِيمًا  
عَلَيْكَ وَأَنْتَ أَكْرَمُهُمْ عَلَيَّا<sup>(٢١)</sup>  
وَلَا أَرْضَى مِنَ الْوَصْلِ الرِّضِيًّا  
حُبِسْتُ عَنْ أَنْ أَجِي أَوْ أَنْ أُحْيَى  
فَأَنْتَ أَحَبُّ مَخْلُوقٍ إِلَيَّا

وقال أبو صخر الهذلي:

وَيُقِرُّ عَيْنِي وَهِيَ نَازِحَةٌ  
أَنْبِي أَرَى وَأُظُنُّ أَنْ سَتَرِي  
مَا لَا يَقِرُّ بِعَيْنِ ذِي الْجَلْمِ  
وَضَحَّ النَّهَارِ وَعَالِي النُّجْمِ<sup>(٢٢)</sup>

وهذه لعُمري قَنَاعَةٌ مُفْرِطَةٌ فِي بَابِهَا، وَإِنْ كَانَتْ مُقَصَّرَةً عَنْ حَالِ  
الْتِمَامِ، لِأَنَّ صَاحِبَ هَذِهِ الْحَالِ يَسْتَجْلِبُ بَعْدًا لِنَفْسِهِ نَسِيمَ الْوَصَا. وَمَا قَصَرَ  
عَنْ هَذَا النَّحْوِ الَّذِي يَقُولُ:

أَتَانِي عَنْكَ سُبُكٌ لِي فَسُبِّي أَلَيْسَ جَرَى بِفِيكَ أَسْمَى فَحَسْبِي  
فَسُبِّي مَا بَدَا لَكَ أَنْ تُسَبِّي فَمَا ذَا كُلُّهُ إِلَّا لِحُسْبِي

وقال آخر في هذا المعنى فما قصر:

تَعَالَلْتُ كَيْ أَشْجَى وَمَا بِكَ عِلَّةٌ تُرِيدِينَ قَتْلِي قَدْ ظَنَرْتُ بِذَلِكَ  
لِئِنْ سَاءَنِي أَنْ نَلْتِنِي بِمَسَاءَةٍ لَقَدْ سَرَّنِي أَنْبِي خَطَرْتُ بِبَالِكَ

وأنشدني أحمد بن يحيى أبو العباس:

يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْغَادِي لِطَيْتِهِ  
عَرَجَ أُنْبُكَ عَنْ بَعْضِ الَّذِي أَجْدُ  
مَا عَالَجَ النَّاسُ مِنْ وَجْدٍ أَلَمْ بِهِمْ  
إِلَّا وَجَدْتُ بِهِ فَوْقَ الَّذِي وَجَدُوا  
حُسْبِي رِضَاءٌ وَأَنْبِي فِي مَسَرَّتِهِ  
وَوَدَّهِ آخِرَ الْأَيَّامِ أَجْتَهَدُ<sup>(٢٣)</sup>

(٢١) صدر البيت غير موزون.

(٢٢) البيتان في شرح الهذليين ٩٧٣/٢ مع اختلاف في الرواية.

(٢٣) الأبيات نسبت إلى ليل صاحبة المجنون كما في الديوان (جمعه الوالبي).

ولعمري لقد أحسن الذي يقول ويقال أنه لأبي دود (٢٣):

لَا تُبَلِّغِي الرِّضَا وَلَا تَهْوِي غَيْرِي فَكَفَّانِي بِذَاكَ نَيْلًا وَرَفَقًا  
غَايَتِي أَنْ أَرَكَ حَيًّا وَأُضْحِي أَمْنًا أَنْ تُعَيِّرَ طَرْفَكَ خَلْقًا  
ثُمَّ لَا أَسْتَزِيدُ مِنْكَ وَلَا أَطُ لُبُّ نَيْلًا وَلَوْ تَقَطَّعَتْ عِشْقًا

ولبعض أهل هذا العصر في مثله:

أَمَرْتُ أَلَّا أَتَشْكِيَ الْهَوَى وَفَعَلْتُ مَا تَهْوَاهُ مَفْرُوضُ  
فَلَسْتُ أَغْدُو حَدًّا مَا قُلْتُهُ حَسْبِي مِنَ التَّضَرُّيحِ تَعْرِيفُ

وكلُّ هذه «الأحوال» ناقصة عن حدِّ التَّمام، على عجب أصحابها بها  
وافتخارهم بذكرها، وتوهمهم أن قد تهيأ لهم على أنفسهم ما لم يتهيأ لغيرهم  
من صبرها لإحبابهم على الحظِّ اليسير من نوالهم. وأنتم من هؤلاء في  
الحال، وأحسن صبراً على قليل النوال، بل على ترك جوينيه من رضي من  
النَّيل بسلامة محبوبه، وكان ذلك نهاية مطلوبه.

وفي مثل ذلك يقول بعض أهل هذا العصر:

إِلَّا تَكُنْ فِي الْهَوَى أَرَوَيْتَ مِنْ ظَمِإٍ وَلَا فَكَّكَتَ مِنَ الْأَغْلَالِ مَأْسُورًا  
لَقَدْ ذَلَّلْتُ عَلَى مَخْضِ الْهَوَى لَكَ لَا لِأَجْلِ مَا كَانَ مَرْجُوءًا وَمَذْخُورًا  
فَحَسْبُ نَفْسِي عَنَّا عِلْمِي بِمَوْضِعِهَا مِنْ الْهَوَى وَحَسْبُ أَنْ كُنْتُ مَعْدُورًا (٢٤)  
فَأَيْنَ أَذْهَبُ بَلْ مَاذَا أُرِيدُ مِنَ آلِ أَيَّامٍ أُرَوِي عَلَيْهَا الْإِفْكَ وَالزُّورَا  
وَأَنْتَ ذَاكَ وَقَلْبِي ذَا الَّذِي مَلَكَتْ هَوَاهُ نَفْسُكَ إِكْرَاهًا وَتَخْيِيرًا  
لَمْ يَهْوِكَ الْقَلْبُ إِنْ أَظْهَرْتَ أَنَّكَ لَهْ بِرًّا فَيَسْلَاكَ إِذْ أَظْهَرْتَ تَقْصِيرًا  
وَلَمْ يَكُنْ «بِاخْتِيَارٍ لِي فَأَتْرُكُهُ وَلَا أَضْطَرَّارٍ أَتَاهُ الْقَلْبُ مَقْهُورًا

(٢٣) أبو دود جارية بن الحجاج شاعر جاهلي، من وُصِّفَ الخيل. انظر: سمط اللالي،

ص ٨٧٩.

(٢٤) عجز البيت غير موزون.

لَكِنَّهُ مِنْ أُمُورِ اللَّهِ مُنْتَنِعٌ فِي الْوَصْفِ قَدَرُهُ الرَّحْمَانُ تَقْدِيرًا  
لَنْ يَضْبُطَ الْعَقْلُ إِلَّا مَا يُدَبِّرُهُ وَلَنْ تَرَى فِي الْهَوَى بِالْعَقْلِ تَبِيرًا  
كُنْ مُحْسِنًا أَوْ مُسِيئًا وَابْقَ لِي أَبَدًا تَكُنْ لَدَيَّ عَلَى الْحَالَيْنِ مَشْكُورًا

□ □ □

## مَنْ حُجِبَ مِنَ الْأَحْبَابِ تَذَلُّ لِلْحُجَابِ

أَصْلُ الْحُجَابِ يَكُونُ مِنْ جِهَتَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَقَعَ مِنَ الْمَحْجُوبِ اخْتِيَارًا، وَإِمَّا أَنْ يُوقَعَهُ غَيْرُهُ بِهِ اضْطِرَارًا. فَأَمَّا الْاضْطِرَارُ فَيَقْسَمُ وَاحِدٌ وَهُوَ صَوْنُ الْمَحْجُوبِ عَنِ الْمَحْجُوبِ. وَأَمَّا الْاخْتِيَارُ فَيَنْقَسِمُ عَلَى ضَرْوَيْنِ: فَرُبَّمَا كَانَ امْتِحَانًا لِلْمَحْجُوبِ مِنَ الْمَحْجُوبِ، وَرُبَّمَا كَانَ خَوْفًا عَلَيْهِ مِنَ الرَّقِيبِ، وَرُبَّمَا كَانَ اسْتِدْعَاءً فِي الْحَالِ، وَرُبَّمَا كَانَ إِشْفَاقًا عَلَى النَّفْسِ مِنَ الْعُدَالِ، وَتَصَوُّنًا عَنْ قَبِيحِ الْمَقَالِ، وَرُبَّمَا كَانَ عَلَى جَهَةِ الضَّجَرِ وَالْمَلَالِ، وَهَذَا هُوَ شَرْهُ الْأَحْوَالِ. وَفِي كُلِّ ذَلِكَ قَدْ قَالَتِ الشُّعْرَاءُ وَنَحْنُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ نَذْكُرُ مِنْ ذَلِكَ بَعْضَ مَا يَتَبَيَّنُ عَلَى حَسَبِ مَا يَحْتَمِلُهُ الْعَدَدُ الَّذِي شَرَطْنَاهُ.

وأنشدني أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر:

حُجَابٌ فَإِنْ تَبَدُّو فَلِلدَّمْعِ جَوْلَةٌ      يَكُونُ لَهُ مِنْ دُونِ رُؤْيَيْهَا سِتْرًا  
فَإِنْ غَاضَ دَمْعُ الْعَيْنِ أَقْبَلَ كَاشِحٌ      يَرُدُّ جُفُونَ الْعَيْنِ قَدْ مُلِثَتْ دُغْرًا  
وَمَنْ يَشْتَرِي مِنِّي حَيَاتِي بِمِيتَةٍ      أَبْعُهُ حَيَاةً يَشْتَرِي بِعَدِّهَا قَبْرًا  
وَمَنْ يَشْتَرِي عَيْنِي بِعَيْنٍ صَاحِبَةٍ      أَرِذْهُ عَلَى عَيْنِي قَلْبًا أَبَى الصَّبْرَا

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر<sup>(١)</sup>:

إِنْ يَمْنَعُونِي مَمَرِي نَحْوَ بَابِكُمْ      فَسَوْفَ أَنْظُرُ مِنْ بُعْدٍ إِلَى الدَّارِ

(١) في «م» والمطبوع: عبيد الله بن طاهر. وعبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي، أبو أحمد المتوفى سنة ٣٠ من الأدباء الشعراء، رفيع المنزلة في عصر المعتضد العباسي. انظر: وفيات الأعيان ٢٧٣/١، تاريخ بغداد ٣٤٠/١٠، الأغاني (الدار) ٤٠/٩.

لَا يَقْدِرُونَ عَلَى مَنْعِي وَإِنْ جَهِدُوا      إِذَا مَرَرْتُ وَتَسْلِيْمِي بِإِضْمَارٍ  
مَا ضَرَّ جِيرَانَكُمْ وَاللَّهُ يَكْلَأُهُمْ      لَوْلَا شَقَائِي إِقْبَالِي وَإِدْبَارِي

وقال قيس بن ذريح<sup>(٢)</sup>:

فَإِنْ يَحْجُبُوهَا أَوْ يَحُلْ دُونَ وَصْلِهَا      مَقَالَةٌ وَاشٍ أَوْ وَعِيدُ أَمِيرٍ  
فَلَنْ يَحْجُبُوا عَيْنِي مِنْ دَائِمِ الْبُكََا      وَلَنْ يُذْهِبُوا مَا قَدْ أَجَنَ ضَمِيرِي

وقال بعض الأعراب:

فَإِنْ يَمْنَعُونِي لَيْلِي وَحَسَنَ حَدِيثِهَا      فَلَنْ يَمْنَعُوا مِنِّي الْبُكََا وَالْقَوَافِيَا  
فَهَلَّا مَنَعْتُمْ إِذْ مَنَعْتُمْ كَلَامَهَا      خَيَالًا يُوَفِّقُنَا عَلَى النَّأْيِ هَادِيَا<sup>(٣)</sup>

وقال آخر:

لِي إِلَى الرِّيحِ حَاجَةٌ إِنْ قَضَتْهَا      كُنْتُ لِلرِّيحِ مَا حَيَّتْ غُلَامَا  
حَجَبُوهَا عَنِ الرِّيحِ لِأَنِّي      قُلْتُ لِلرِّيحِ بَلِّغِيهَا السَّلَامَا

وقال البحتري:

وَيَكْفِي أَلْفَتِي مِنْ نُصْحِهِ وَوَفَائِهِ      تَمَنِّيهِ أَنْ يَرْدَى وَيَسْلَمَ صَاحِبُهُ  
فَلَا تَحْسَبَنَّ تَرْكِي الزِّيَارَةَ جَفْوَةً      وَلَا سُوءَ عَهْدٍ جَادَبْتَنِي جَوَادِبُهُ  
وَمَنْ لِي بِإِذْنِ حِينَ أَعْدُو إِلَيْكُمَا      وَدُونَكُمَا الْبَرْجُ الْمَطْلُ وَحَاجِبُهُ<sup>(٤)</sup>

(٢) أحد عشاق العرب، وصاحبه لبنى، انظر: الشعر والشعراء (لیدن)، ص ٣٩٩، ٤٠٠ والبيتان له كما في تزيين الأسواق ص ٤٧، ومجموعة المعاني ص ٢٠٨، والأغاني ترجمة قيس بن ذريح، وفي الأغاني ١٨٠/٢ لعبد الله بن مصعب، وهما في شعر المجنون كما في الديوان ص ١٦٩.

(٣) البيتان في شعر المجنون كما في الديوان ص ٣٠٠.

(٤) الأبيات في ديوان البحتري ص ٢٠٢، والبيت الثاني في «م» والمطبوع: فلا تحسبا تركي...

وقال آخر:

خَلِيلِي لَيْسَ الْهَجْرُ أَنْ تَشْخَطَ النَّوَى  
وَلَكِنَّمَا الْهَجْرَانِ أَنْ تَجْمَعَ النَّوَى

وقال البحرى:

فَكَمْ جِئْتُ طَوْرَ الشُّوقِ مِنْ بَعْدِ غَايَةِ  
وَمَا بَالُهُ يَأْبَى دُخُولِي وَقَدْ رَأَى

وقال أيضاً:

إِذَا أَتَيْتُكَ إِجْلَالًا وَتَكْرِمَةً  
فَإِنْ أَرَدْتِكَ عَرَضْتُ الرَّسُولَ لِمَا

وقال أبو تمام الطائي:

صَبْرًا عَلَى الْمَظَلِّ مَا لَمْ يَتْلُهُ الْكَذِبُ  
لَيْسَ الْحِجَابُ بِمُقْصَدٍ عَنْكَ لِي أَمَلًا

وقال ابن أبي طاهر:

حُجِبْتُ وَقَدْ كُنْتُ لَا أُحْجَبُ  
وَمَا لِي ذَنْبٌ سِوَى أَنْبِي  
وَأَنْ لَيْسَ دُونُكَ لِي مَطْلَبُ  
فَلَيْتَكَ تَبْقَى سَلِيمَ الْمَحَلِّ

وقال العرجي:

لَقَدْ أَرْسَلْتُ لَيْلَى رَسُولًا بِأَنْ أَقِمَ  
وَلَا تَقْرَبْنَا فَاتْلُجِبْ أَمْلُ

بِالْفَيْنِ دَهْرًا ثُمَّ يَلْتَقِيَانِ  
وَأَحْصَرَ عَمَّنْ قَدْ أَرَى وَيَرَانِي

إِلَى غَيْرِ مُشْتَقٍ وَمَا رَدَّيْ بِشُرِّ  
خُرُوجِي مِنْ أَبْوَابِهِ وَيَدِي صَفْرُ<sup>(٥)</sup>

رَجَعْتُ أَحْمِلُ بَرًّا غَيْرَ مَقْبُولِ  
يُخْشَى مِنَ الرَّدِّ وَأَسْتَأذِنْتُ مِنْ مِيلِ<sup>(٦)</sup>

فَلِلْخُطُوبِ إِذَا سَامَحْتَهَا عُقْبُ  
إِنْ السَّمَاءُ تُرْجَى جِئْتُ تَحْتَجِبُ<sup>(٧)</sup>

وَأَبْعَدْتُ عَنْكَ فَمَا أَقْرُبُ  
إِذَا أَنَا أَغْضَبْتُ لَا أَغْضَبُ  
وَلَا دُونَ بَابِكَ لِي مَهْرَبُ  
وَتَأْذَنُ إِنْ شِئْتَ أَوْ تَحْجِبُ

لَعَلَّ الْعُيُونَ الرَامِقَاتِ لِيُودِنَا  
أَنَاسُ أَمْنَاهُمْ فَتَمُوا حَدِيثَنَا  
فَمَا حَفِظُوا الْعَهْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا  
فَقُلْتُ وَقَدْ ضَاقتْ بِلَادِي بِرُحْبِهَا  
سَأَجْتَبُ الدَّارَ الَّتِي أَنْتُمْ بِهَا  
أَلَمْ تَعْلَمِي أَنِّي وَهَلْ ذَاكَ نَافِعِي  
أَرَى مُسْتَقِيمَ الطَّرْفِ مَا الطَّرْفُ أَمْكُمُ

وقال آخر:

أَلَا طَرَقْنَا آخِرَ اللَّيْلِ زُنْبُ  
وَقَالَتْ تَجَنَّبْنَا وَلَا تَقْرَبْنَا

وقال آخر:

أَلَلَّهُ يَعْلَمُ مَا تَزْكِي زِيَارَتَكُمْ  
وَلَوْ قَدِرْتُ عَلَى الْإِتْيَانِ جِئْتُكُمْ

وقال آخر<sup>(٨)</sup>:

عُقَيْلِيَّةُ أَمَا مَلَأْتُ إِزَارَهَا  
تَقِيطُ بِأَكْنَفِ الْحِمَى وَيُظْلِلُهَا  
أَيَا مَنْ كَتَمْنَا حُبَّهَا لَمْ نَطْعُ بِهِ  
وَيَا خَلَّةَ النَّفْسِ الَّتِي لَيْسَ دُونَهَا  
أَمَا مِنْ مَقَامٍ نَشْتَكِي غُرْبَةَ النَّوَى

تُكَذِّبُ عَنَّا أَوْ تَنَامُ فَتَغْفُلُ  
فَلَمَّا كَتَمْنَا السِّرَ عَنْهُمْ تَقُولُوا  
وَلَا حِينَ هُمُوا بِالْقَطِيعَةِ أَجْمَلُوا  
عَلَيَّ بِمَا قَدْ قِيلَ وَالْعَيْنُ تَهْمِلُ  
وَلَكِنْ طَرْفِي نَحْوَهَا سَوْفَ يَعْمَلُ  
لَذَلِكَ وَمَا أَخْفِي مِنَ الْوَدِّ أَفْضَلُ  
وَإِنْ رَامَ طَرْفِي غَيْرَكُمْ فَهُوَ أَحْوَلُ<sup>(٩)</sup>

عَلَيْكَ سَلَامٌ هَلْ لِمَا فَاتَ مَطْلَبُ  
فَكَيْفَ وَأَنْتُمْ حَاجَتِي أَتَجَنَّبُ

إِلَّا مَخَافَةَ أَعْدَائِي وَخُرَاسِي  
سَبَحًا عَلَى الْوَجْهِ أَوْ مَشِيًا عَلَى الرَّأْسِ<sup>(١٠)</sup>

فَدِعْصُ وَأَمَا خَضَرُهَا فَبِتِيلُ<sup>(١١)</sup>  
بِنُعْمَانَ مِنْ وَادِي الْأَرَاكِ مَقِيلُ  
عَدُوًّا وَلَمْ يُؤْمِنْ عَلَيْهِ دَخِيلُ  
لَنَا مِنْ أَجْلَاءِ الْأَصْفَاءِ خَلِيلُ  
وَخَوْفُ الْعَدَى فِيهِ إِلَيْكَ سَبِيلُ

(٨) الأبيات في ديوان العرجي ص ١٢ مع اختلاف في الرواية.

(٩) البيتان من شعر أبي نواس (الديوان - صادر) ص ٣٧٤.

(١٠) المقطوعة لابن الطثرية كما في مجموع شعره ص ص ٨٧، ٩٠، مع اختلاف في الرواية.

(١١) في «م» و«المطبوع»: فتقيل.

(٥) البيتان في الديوان ص ١٠٦٦ مع اختلاف في الرواية.

(٦) المصدر السابق.

(٧) لم أجد البيتين في الديوان.

فَدَيْتُكَ أَغْدَائِي كَثِيرٌ وَشَقَّتِي  
وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ جِئْتُ بِعِلَّةٍ  
فَمَا كُلُّ يَوْمٍ لِي بِأَرْضِكَ حَاجَةٌ  
أَلَيْسَ قَلِيلاً نَظَرْتُهَا إِنْ نَظَرْتُهَا  
بَعِيدٌ وَأَشْيَاعِي إِلَيْكَ قَلِيلٌ  
فَأَفْنَيْتُ عِلَائِي فَكَيْفَ أَقُولُ  
وَلَا كُلُّ يَوْمٍ لِي إِلَيْكَ رَسُولٌ  
إِلَيْكَ وَكُلُّ مِنْكَ لَيْسَ قَلِيلٌ

وقال البحرني:

قَدَّمْتُ قُدَّامِي رَجَالاً كُلَّهُمْ  
وَأَذَلَّنِي حَتَّى [لَقَدْ] أَشْمَتَ بِي  
أَوْعَدْتَنِي يَوْمَ الْخَمِيسِ وَقَدْ مَضَى  
مُتَخَلِّفٌ عَنْ غَايَتِي مُتَقَاعِسُ  
مَنْ كَانَ يَحْسُدُ مِنْهُمْ وَيُنَافِسُ  
مَنْ بَعْدَ مَوْعِدِكَ الْخَمِيسِ الْخَامِسِ (١٢)

وأنشدني أحمد بن أبي طاهر لنفسه:

إِذَا كُنْتُ لَا تَحْفَى بِقُرْبِي وَلَا بُعْدِي  
فَهَلْ أَنْتَ إِنْ حَكَمْتُ جُودَكَ مُنْصِفٌ  
أَبَى الْحَقُّ أَنْ يَخْفَى وَأَقْضِي وَلَا أَرَى  
وَيَذْفَعُ فِي صَدْرِي حِجَابُكَ بَعْدَمَا  
فَمَا لِي قَدْ أُبْعِدْتُ عَنْكَ وَطَالَ مَا  
وَأَصْبَحْتُ قَدْ شُورِكْتُ فِيكَ وَلَمْ نَزَلْ  
أَلِلْجِدِّ هَذَا مِنْكَ أَمْ أَنْتَ مَارِحٌ  
وَلَيْسَ دَوَامُ الشُّكْرِ يَوْمًا بِوَاجِدٍ  
وَلَمْ تَدْرِ مَا عِنْدِي وَقَدْ جَلَّ مَا عِنْدِي  
فَمَا لِي عَلَيْهِ غَيْرُ جُودِكَ مِنْ مُعْدٍ  
بِجُودِكَ يَوْمًا فِي سَعِيدٍ وَلَا سَعِيدٍ  
أَكُونُ وَمَا قَبْلِي لِأَنْسٍ وَلَا بَعْدِي  
دَعَوْتُ فَلَمْ تُبْعِدْ نَدَاكَ عَلَى بُعْدِي  
كَغَضَنَيْنِ فِي سَاقٍ وَسَيْفَيْنِ فِي غِمْدٍ  
فَكَمْ مِنْ مُزَاحٍ عَادَ يَوْمًا إِلَى أَلْجِدِّ  
لِمَنْ لَمْ يَدُمْ مِنْهُ الْوَفَاءُ عَلَى الْعَهْدِ

ولبعض أهل هذا الزمان:

بِعَيْنِكَ مَا أَلْقَى إِذَا كُنْتُ حَاضِرًا  
فَفِيمَ أَرَى نَفْسِي لَقَى بِفَنَائِكُمْ  
أَتَحْجِبُنِي أَنْ قُلْتُ تَحْسُدُ مَنْ بَغَى  
وَأَنْ غَبْتَ فَالذُّنْيَا عَلَيَّ مَحَابِسُ  
وَلَا مَنْ يُدَانِينِي لَدَيْكُمْ مُوَانِسُ  
هَوَايَ وَمَنْ أَحْفَى بِهِ وَأَوَانِسُ

(١٢) الأبيات في ديوان البحرني ص ١١٣٣.

أَجَلٌ إِنْ مَنْ يَبْغِي هَوَاكَ مُحْسَدٌ  
إِذَا لَمْ أُنَافِسْ فِي هَوَاكَ وَلَمْ أَعْرِ  
فَلَا تَحْتَقِرْ نَفْسِي وَأَنْتَ حَبِيبُهَا  
عَلَيْكَ وَمَنْ يَهْوَى هَوَاهُ مُنَافِسُ  
عَلَيْكَ فَفِيمَنْ لَيْتَ شِعْرِي أُنَافِسُ  
فَكُلُّ أَمْرِي يَصْبُو إِلَى مَنْ يُجَانِسُ

وقال جرير:

قَتَلْنَا بِعُيُونٍ زَانَهَا مَرَضُ  
وَفِي الْمَرَضِ لَنَا شَجْوٌ وَتَعْدِيبُ  
حَتَّى مَتَى أَنْتَ مَشْعُوفٌ بِغَايَةِ  
صَبُّ إِلَيْهَا طَوَالَ الدَّهْرِ مَكْرُوبُ  
قَدْ تَيَّم الْقَلْبُ حَتَّى زَادَهُ خَبَلًا  
مَنْ لَا يُكَلِّمُ إِلَّا وَهُوَ مُحْجُوبُ (١٣)

وَأَرَى فِي هَذِهِ الْمَقْطُوعَةِ وَمَقْطُوعَاتٍ قَبْلَهَا مَا يَدُلُّ عَلَى ضَجَرٍ مِنْ  
الْمُحْجُوبِ، وَقَلَّةِ صَبْرٍ مِنْهُ عَلَى نَازِلَاتِ الْخُطُوبِ. وَلَعَمْرِي كَانَ الضُّجْرُ عَلَى  
مَا لَا يَصْلُحُ مِنْهُ الْإِنْتِصَارُ، وَلَا يَنْبَسِطُ عَلَيْهِ الْإِقْتِدَارُ، مُهَجَّنًا لِمُظْهِرِهِ وَمُزْرِيًا  
بِمُسْتَشْعِرِهِ. فَإِنْ مَنْ تَسَامَحَ لَهُ الزَّمَانُ، وَتَغَافَلَتْ عَنْهُ صُرُوفُ الْأَيَّامِ، فَوَقَعَ فِي  
مَرَعَى خَصِيبٍ وَظَفِيرٍ بِمَا لَمْ يَأْمُلْهُ الْمُحْجُوبُ، ثُمَّ عَطَفَتْ عَلَيْهِ الْأَيَّامُ عَطْفَةً  
الْحَنِينِ الْمُغْتَاطِ، فَاسْتَرْجَعَتْ مَا أَعْطَتْهُ، وَاسْتَرَدَّتْ مَا أَعَارَتْهُ، لَغَيْرِ مُعْنَفٍ عَلَى  
الْحَيَرَةِ وَالْتَحْلِيطِ وَالتَّأْسِفِ عَلَى مَا قَدَّمَ مِنَ التَّفْرِيطِ.

وفي هذا المعنى يقول بعض أهل هذا العصر:

أَلَا مَنْ لِقَلْبٍ قَدْ دَعَاهُ تَجَاسُرُهُ  
تَغَافَلَ عَنْهُ الدَّهْرُ فَاعْتَرَى بِالْمُنَى  
فَأَصْبَحَ كَأَلْمَاسُورٍ طَالَتْ عُدَاتُهُ  
تَجَرَّتْ عَلَيْهِ النَّبَاتَاتُ فَأَصْبَحَتْ  
وَقَدْ كَانَ صَرَفُ الدَّهْرِ يُقْبِلُ نَحْوَهُ  
إِذَا جَالَ فِي بَحْرِ مِنَ الْفِكْرِ خَاطِرُهُ  
وَصَاقَتْ بِهِ بَعْدَ الْوُرُودِ مَصَادِرُهُ  
فَلَمَّا أَضَاعَ الْحَزَمَ كَرَّتْ عَسَاكِرُهُ  
عَلَيْهِ وَذَلَّتْ بَعْدَ عِزِّ عَشَائِرُهُ  
بِكُلِّ أَلْرَدَى غَيْرِ الْجِمَامِ تُبَادِرُهُ  
إِذَا جَالَ فِي بَحْرِ مِنَ الْفِكْرِ خَاطِرُهُ

(١٣) ديوان جرير (الصاوي) ص ٣٣، ٣٤.

وأنشدني أبو طاهر الدمشقي في نحو ذلك:

رُبَّ قَوْمٍ قَدْ غَدَوْا فِي نِعْمَةٍ وَعَلَا عِزَّ عَلَا ثُمَّ بَسَقُوا  
سَكَتَ الدَّهْرُ زَمَانًا عَنْهُمْ ثُمَّ أَبْكَاهُمْ دَمًا حِينَ نَطَقُوا

وفي مثله يقول عدي بن زيد:

قَدْ أَرَانَا وَأَهْلُنَا بِحَفِيرٍ نَحْسِبُ الدَّهْرَ وَالسَّيْنَ شُهُورًا (١٤)  
فَأَمِنَّا وَغَرَّنا ذَاكَ حَتَّى رَاعِنَا الدَّهْرُ إِذْ أَتَانَا مُغِيرًا  
إِنَّ لِلدَّهْرِ صَوْلَةً فَأَحْذَرُوهَا لَا تَبِينَنَّ قَدْ أَمِنْتَ الدَّهْرَ وَرَا  
قَدْ يَنَامُ الْفَتَى صَحِيحًا فَيَرْدَى وَلَقَدْ بَاتَ آمِنًا مَسْتَوْرًا (١٥)

ولعمري لقد أحسن أبو تمام الطائي حيث يقول:

أَعْوَامٌ وَصَلَ كَانَ يُنْسِي طَوْلَهَا ذَكَرُ النَّوَى فَكَأَنَّهَا أَيَّامٌ  
ثُمَّ أَتَبَرَتْ أَيَّامٌ هَجَرَ أُرْدَفَتْ بِجَوَى أَسَى فَكَأَنَّهَا أَعْوَامٌ  
ثُمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ السَّيْنُ وَأَهْلُهَا وَكَأَنَّهُمْ وَكَأَنَّهَا أَحْلَامٌ (١٦)

وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَبْغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يُفْرِطَ فِي الْجَزَعِ مِنْ غَيْرِ الْأَيَّامِ ، فَإِنَّ  
الدَّهْرَ حَالٌ بَعْدَ حَالٍ . وَكَمَا كَانَ اتِّصَالُ السُّرُورِ ذَرِيعَةً إِلَى وَقُوعِ الْمَحْذُورِ ،  
فَكَذَلِكَ رَبِّمَا كَانَ وَقُوعُ الْمَكْرُوهِ مِنْ أَقْوَى الْأَسْبَابِ لِرُجُوعِ الْمُحَابِّ . وَلَقَدْ  
أَحْسَنَ كُلُّ الْأَحْسَانِ الَّذِي يَقُولُ:

قَدْ يُنْعِمُ اللَّهُ بِالْبَلَوَى وَإِنْ عَظُمَتْ وَبَيَّتِلِي اللَّهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنِّعَمِ  
وَقَدْ قِيلَ فِي دَمِّ الْحَاجِبِ وَالْمَحْجُوبِ أَشْيَاءٌ لَا تَصْلُحُ مِنْ مُجِبٍ إِلَى

(١٤) في «م» والمطبوع: بخفير. وخفير موضع بالحيرة، وهو اسم لعدة مواضع كما في «معجم البلدان».

(١٥) الأبيات في ديوان عدي بن زيد ص ٦٤.

(١٦) الأبيات في ديوان أبي تمام ١٥١/٣.

مَحْجُوبٍ. غَيْرَ أَنَّا نَصِلُ بِذِكْرِ بَعْضِهَا أَلْبَابَ لَانْهَآ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ دَاخِلَةً فِي  
حَقِيقَتِهِ، فَإِنَّهَا غَيْرُ خَارِجَةٍ مِنْ جُمْلَتِهِ.

أنشدنا أبو الضياء لنفسه (١٧):

كُلُّ حِجَابِ الْمَرْءِ نَقْصٌ بِهِ وَبَعْضُهُ أَقْبَحُ مِنْ بَعْضِهِ  
وَحَاجِبُ الْمَرْءِ إِذَا اخْتَارَهُ لِنَفْسِهِ تَأَهُ عَلَى عَرْضِهِ  
وَرُبَّمَا دُمَّ عَلَى تَيْهِهِ خَلِيفَةُ الرَّحْمَانِ فِي أَرْضِهِ  
وَكَمْ رَأَيْنَا حَاجِبًا تَائِهًا قَدْ أَبْغَضَ الْمَحْجُوبُ مِنْ بَعْضِهِ

وأنشدني أبو العباس أحمد بن يحيى:

لَمَّا رَأَيْتُ أَمِيرَنَا مُتَهَجِّمًا وَدَعْتُ عَرِصَةَ دَارِهِ بِسَلَامٍ (١٨)  
وَرَفَضْتُ صَفْحَتَهُ الَّتِي لَمْ أَرْضَهَا وَأَزَلْتُ عَنْ رُتَبِ الدُّنْيَا مَقَامِي  
وَوَجَدْتُ آبَائِي الَّذِينَ تَقَدَّمُوا سَنُوا الْإِبَاءَ عَلَى الْمُلُوكِ أَمَامِي

وقال أيضاً أحمد بن يحيى:

سَأَتْرُكُ هَذَا أَلْبَابَ مَا دَامَ إِذْنُهُ عَلَى مَا أَرَى حَتَّى تَلِينَ قَلِيلًا  
إِذَا لَمْ نَجِدْ يَوْمًا إِلَى الْإِذْنِ سُلْمًا وَجَدْنَا إِلَى تَرْكِ الْمَجِيءِ سَبِيلًا

وقال البحتري:

وَلَمَّا وَقَفْنَا بِبَابِ الْوَزِيرِ وَقَدْ رُفِعَ السِّتْرُ أَوْ جَانِبُهُ  
ظَلَلْنَا نَرْجِمُ فِيكَ الظُّنُونِ أَحَاجِمُهُ أَنْتَ أَمْ حَاجِبُهُ (١٩)

وقال ابن عبدوس لنفسه:

قَدْ أَتَيْنَاكَ وَإِنْ كُنَّا سَتَ بِنَا غَيْرَ حَقِيقِ

(١٧) سبق أن ورد (أبو الضياء) وكنت أشرت إلى عدم اهتدائي إلى معرفته.

(١٨) كذا في «م» والمطبوع. أقول لعل الأصل: متجهماً.

(١٩) لم أجد البيتين في الديوان.

وَتَوَخَّيْنَاكَ بِأَلْبٍ رَّ عَلَى بُغْدِ الطَّرِيقِ  
كُلَّمَا جُنَّاكَ قَالُوا نَائِمٌ غَيْرُ مُفِيقٍ  
لَا أَنَامَ أَلَّهُ عَيْنِي كَ وَإِنْ كُنْتُ صَدِيقِي

□ □ □

#### الباب الرابع عشر:

مَنْ مَنَعَ مِنَ الْوُصُولِ اقْتَصَرَ عَلَى الرَّسُولِ

ذَكَرُوا أَنَّ جَمِيلًا وَكُثِيرًا اتَّقَيَا، فَقَالَ جَمِيلٌ لِكُثِيرٍ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَصِيرَ  
إِلَى بُثَيْنَةَ، فَتَأْخُذَ لِي عَلَيْهَا مَوْعِدًا، فَقَالَ لَهُ: وَنَحَكَ مِنْ عِنْدِ عَمِّهَا جُنْتُ  
وَعَاشِيَةُ أَهْلِهَا كَثِيرًا! فَقَالَ لَهُ جَمِيلٌ: إِنَّ الْحِيلَةَ تَأْتِي مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ  
كُثِيرٌ: فَأَعْطِنِي عَلَامَةً تَعْرِفُهَا، قَالَ جَمِيلٌ: آخِرَ يَوْمٍ اتَّقَيْنَا كُنَّا فِي وَادِي  
الدُّومِ، فَأَصَابَ ثَوْبَهَا شَيْءٌ مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ، فَعَسَلْتُهُ. فَمَضَى كُثِيرٌ إِلَى  
عَمِّهَا، فَقَالَ لَهُ: مَا الَّذِي رَدَّكَ؟ فَقَالَ: أَبَيَاتُ صَنَعْتُهَا فِي عَزَّةٍ أَحَبَبْتُ أَنْ  
تَسْمَعَهَا، قَالَ: وَمَا هِيَ؟ فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

أَقُولُ لَهَا يَا عَزُّ أَرْسَلَ صَاحِبِي عَلَى نَائِي دَارٍ وَالْمَوْكُلُ مُرْسَلُ  
بِأَنْ تَجْعَلِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا وَأَنْ تَأْمُرِيَنِي مَا الَّذِي فِيهِ أَفْعَلُ  
أَمَّا تَذَكِّرِينَ الْعَهْدَ يَوْمَ لَقَيْتُكُمْ بِأَسْفَلِ وَادِي الدُّومِ وَالثُّوبُ يُغْسَلُ<sup>(١)</sup>

فَلَمَّا سَمِعَتْ ذَلِكَ بُثَيْنَةُ، قَالَتْ: إِخْسًا، قَالَ لَهَا عَمُّهَا: مَا الَّذِي أَخْسَأَتْ  
يَا بُثَيْنَةُ؟ قَالَتْ: كَلْبًا كَانَ يَغْتَرِبُنَا لَيْلًا، وَقَدْ رَأَيْتُهُ نَهَارًا، فَانْصَرَفَ كُثِيرٌ إِلَى  
جَمِيلٍ، وَعَرَفَهُ أَنَّهَا قَدْ ذَكَرَتْ اللَّيْلَ فَصَرَ إِلَيْهَا.

وقال آخر:

إِنَّ أَلْيَّ أَبْصَرَتْهَا سَحَرًا تُكَلِّمُنِي رَسُولُ  
أَدَّتْ إِلَيَّ رِسَالَةً كَادَتْ لَهَا نَفْسِي تَسِيلُ

(١) الأبيات لكثير كما في ديوانه ص ٤٥٢ وانظر مصادر التخريج.

فَلَوْ [أَنْ] أَذْنُكَ بَيْنَنَا  
لَرَأَيْتَ مَا اسْتَقْبَحْتَهُ

وقال آخر:

خَلِيلِي عُوجًا بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ  
وَقُولًا لَهَا لَيْسَ الضَّلَالُ اخْتِيَارَنَا

وقال آخر:

أَلَا يَا نَسِيمَ الرِّيحِ إِنْ كُنْتُ هَابِطًا  
لِتَقْرَأَ عَلَيَّ لَيْلَى السَّلَامَ وَأَهْلَهَا

وقال خليفة بن روح الأسدي (٣):

أَلَا يَا خَلِيلَ النَّفْسِ إِنْ جِئْتَ أَرْضَهَا  
فَسَلْ أُمَّ سَلَمٍ هَلْ مَحَا عَهْدَهَا الْغَنَى  
وَبِاللَّهِ سَلَهَا هَلْ تَطَاوَلَ لَيْلَهَا  
وَأِنْ لِسَانِي بِأَسْمٍ لَيْلَى وَذِكْرِهَا

وقال ابن أبي أمية (٤):

أَقُولُ وَقَدْ أَجَدَ رَجِيلٌ صَحْبِي  
أَلِمَّا قَبْلَ بَيْنِكُمَا بِسُلْمَى  
رَجَا مِنْكَ النَّوَالَ فَلَمْ تُبَيِّلِي  
فَلِنْ وَصَلْتِكُمَا سُلْمَى فَقُولَا  
وَإِنْ آنَسْتُمَا بُخْلًا فَلَسْنَا

حَتَّى تَسْمَعَ مَا نَقُولُ  
مِنْ فِعْلِنَا وَهُوَ الْجَمِيلُ

وَإِنْ لَمْ تَكُنْ [أَرْضِي] لَأَرْضِكُمَا قَصْدًا  
وَلَكِنَّا جُزْنَا لِنَلْقَاكُمْ عَمْدًا

بِلَادَ سُلَيْمَى فَالْتِمِسْ أَنْ تَكَلِّمَا  
وَكُنْ بَعْدَهَا عَنْ سَائِرِ النَّاسِ أَعْجَمًا (٢)

فَأَنْتَ لَمْشُهُورٌ هُنَاكَ رَسُولُ  
وَمَالُ حَوْنُهُ بَعْدَنَا وَخَلِيلُ  
كَمَا أَلَّيْلُ إِذْ بَانَ عَلَيَّ طَوِيلُ  
إِذَا قُلْتَ تَشْيِبًا بِهَا لَذْلُولُ

لِيُخَذَنِي أَهْدِيًا هَدِيًا جَمِيلًا  
فَقُولَا أَنْتِ ضَامِنَةٌ قَتِيلًا  
وَقَدْ أَوْرَثْتِهِ سَقَمًا طَوِيلًا  
نَرَى فِي الْحَقِّ أَنْ نَصِلَ الْوُصُولَا  
بِأَوَّلِ مَنْ رَجَا جَرَجًا بِخِيلًا (٥)

(٢) البيتان من شعر المجنون كما في الديوان ص ٢٥٨ مع اختلاف في الرواية.

(٣) كنا أشرنا إلى «خليفة» هذا وعدم اهتدائنا إلى معرفته.

(٤) لم أهتم إلى ترجمة الشاعر.

(٥) الأبيات في طبقات ابن المعتز (إقبال) ص ١٥٢، ١٥٣، وقد جاء البيت الأخير في

«م» والمطبوع: حرجاً بخيلاً، وانظر «جرج» في «اللسان».

وقال المقدم بن ضيغم (٦):  
أَخَا الْجِنِّ يَلْغَهَا السَّلَامُ فَإِنِّي  
أَخَا الْجِنِّ حَالُ النَّاسِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا

وقال يزيد بن الطثرية:

أَلِمَّا عَلَى ظَلَامَةِ الْيَوْمِ فَانْطَقَا  
وَقُولَا إِذَا عَدْتُ ذُنُوبًا كَثِيرَةً  
هَبِيهِ أَمْرًا إِمَّا بَرِيئًا ظَلَمْتِهِ

وقال أيضاً:

أَيَا رِفْقَةً مِنْ أَهْلِ بُصْرَى تَحَمَّلْتُ  
إِذَا مَا بَلَغْتُمْ سَالِمِينَ فَبَلَّغُوا  
وَقُولَا تَرَكْنَا الْحَارِثِيَّ مُكْبَلًا

وقال عمر بن أبي ربيعة:

أَرْسَلْتُ أَسْمَاءً فِي مَعْتَبَةٍ  
إِذْ أَتَى مِنْهَا رَسُولٌ مَوْهِنًا  
ضَرَبَ أَلْبَابَ فَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ  
قَالَ أَيْقَاطُ وَلَكِنْ حَاجَةٌ  
وَلِهَذَا رَدَّنِي فَأَجْتَهَدْتُ  
أَشْهَدُ الرَّحْمَانَ لَا يَجْمَعُنَا  
قُلْتُ يَا هِنْدُ أَعْمِدِي لِي نَحْوَهَا  
فَأَنْتَهَا طَبَّةٌ عَالِمَةٌ

مِنْ الْإِنْسِ مُزَوَّرُ الْجَنَانِ كَثُومُ  
عَدُوٍّ وَمُسْتَحْيَا عَلَيَّ كَرِيمُ

بِعُذْرِي لَدَيْهَا وَأَذْكُرَانِي تَعَجُّبًا  
عَلَيَّ تَجْنَاهَا أَمْرُؤُ مَا تَغَيَّبَا  
وَأَمَّا مُسِيئًا تَابَ بَعْدُ وَأَعْتَبَا (٧)

تَوْمُ الْجَحْمَى لُقَيْبٍ مِنْ رِفْقَةٍ رُشْدَا  
تَحِيَّةً مَنْ قَدْ ظَنَّ أَنْ لَا يَرَى نَجْدَا  
بِكَبْلِ أَلْهَوَى مِنْ حُبِّكُمْ مُضْمِرًا وَجَدَا (٨)

عَتَبَتْهَا وَهِيَ أَحْلَى مَنْ عَتَبَ  
وَجَدَ الْحَيَّ نِيَامًا فَانْقَلَبَ  
أَحَدٌ يَفْتَحُ عَنْهُ إِذْ ضَرَبَ  
عَرَضَتْ تُكْتَمُ مِنَّا فَاحْتَجَبَ  
بِيَمِينٍ حَلَقَتْ عِنْدَ الْغَضَبِ  
سَقَفَ بَيْتٍ رَجَبًا حَتَّى وَجَبَ  
وَأَحْلَفِي بِأَلَلِهِ كَشَافِ الْكَرْبِ  
تَخْلُطُ الْجِدُّ مِرَارًا بِأَلَلِ الْبِ

(٦) لم أهتم إلى معرفته.

(٧) الأبيات في مجموع شعر يزيد بن الطثرية ص ١٨ مع اختلاف في الرواية.

(٨) المصدر السابق ص ٣٣ والمصدر كتاب «الزهرة».



تَرْفَعُ الصَّوْتِ إِذَا لَأَنْتَ لَهَا      وَتَرَاحِي عِنْدَ سَوَرَاتِ الْغَضَبِ  
لَمْ تَزَلْ تَصْفُهَا عَنْ رَأْيِهَا      وَتَأْنَاهَا بِرِفْقِي وَأَدَبِ<sup>(٩)</sup>  
فَبَلَّغْنِي أَنْ أَبْنُ عَتِيقٍ لَمَّا سَمِعَ هَذَا الشَّعْرَ قَالَ لِعُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ:  
النَّاسُ فِي طَلَبِ خَلِيفَةٍ مِثْلَ قَوَادَتِكَ هَذِهِ، مِنْذُ قُتِلَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ  
فَمَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ.

وقال أبو تمام الطائي:

أَغْنَيْتَ عَنِّي غَنَاءَ الْمَاءِ فِي الشَّرْقِ      وَكُنْتَ مُنْشِئَ وَبَلِّ الْغَارِضِ الْغَدِيقِ  
يَا مَنَّةً لَكَ لَوْلَا مَا أَخَفَّفَهَا      بِهِ مِنَ الشُّكْرِ لَمْ تُحْمَلْ وَلَمْ تُطَيَّقِ<sup>(١٠)</sup>

وقال أيضاً في وصفه كتاباً ورد عليه وأحسن:

فَضَضْتُ خُتَامَهُ فَتَبَلَّجْتُ لِي      غَرَائِبُهُ عَنِ الْخَبَرِ الْجَلِيِّ  
وَكَانَ أَجَلٌ فِي عَيْنِي وَأَبْهَى      عَلَى كَيْدِي مِنَ الزُّهْرِ النَّدِيِّ  
وَأَحْسَنَ مَوْقِعاً مِنِّي وَعِنْدِي      مِنَ الْبُشْرَى أَتَتْ بَعْدَ النَّعِيِّ  
وَضَمِنَ صَدْرُهُ مَا لَمْ تَضْمَنْ      صُدُورُ الْغَايَاتِ مِنَ الْخُلْيِ<sup>(١١)</sup>

وقال البحتري:

تَنَاءَتْ دَارُ عَلَوَةٍ بَعْدَ قُرْبِ      فَهَلْ رَكْبٌ يُبَلِّغُهَا السَّلَامَا  
وَجَدَّدَ طَيْفُهَا عَتَباً عَلَيْنَا      فَمَا يَعْتَادُنَا إِلَّا لِمَامَا  
وَرُبَّتْ لَيْلَةٌ قَدْ بَتَّ أَسْقَى      بِكَفِّهَا وَعَيْنَيْهَا الْمُدَامَا  
قَطَعْنَا اللَّيْلَ لَثْمًا وَأَعْتَقَانَا      وَأَفْنَيْنَاهُ ضَمًّا وَالْتِزَامَا<sup>(١٢)</sup>

(٩) الأبيات في ديوان عمر ص ١٤، ١٥ وليس منها البيت السابع.

(١٠) البيتان في الديوان ٤٠١/٢.

(١١) ديوان أبي تمام (الخياط) ص ٣٠٩.

(١٢) الأبيات في ديوان البحتري ص ٢٠٠٥.

وقال أيضاً:

هَلْ رَكْبٌ مَكَّةَ حَامِلُونَ تَحِيَّةً      تُهْدِي إِلَيْنَا مِنْ مُعْنَى مُغْرَمٍ  
رَدَّ الْجُفُونَ عَلَى كَرَى مُتَبَدِّدٍ      وَحَنَى الضُّلُوعَ عَلَى جَوَى مُتَضَرِّمٍ  
إِنْ لَمْ يَلْغُكَ الْحَجِيجُ فَلَا رَمَوْا      بِالْجَمْرَتَيْنِ وَلَا سُقُوا مِنْ زَمَزَمِ<sup>(١٣)</sup>

وقال زيادة بن زيد<sup>(١٤)</sup>:

أَلَمَّا بَلَّيْلِي يَا خَلِيلِي فَاَنْظُرَا      وَمَا لَمْ تُلَمَّا بِأَبَاهَا كَانَ أَكْثَرَا  
وَعُوجَا أَلَمَطَايَا طَالَمَا قَدْ هَجَرْتُهَا      عَلَيْهَا وَإِنْ كَانَ أَلَمَعْرُجُ أَغْبَرَا  
مَتَى يَرَهَا أَلْعَجْلَانُ لَا يَثْنِ طَرْفُهُ      إِلَى عَيْنِهِ حَتَّى يَحَارَ وَيَحْسَرَا  
وَلَوْ خُلِيتَ لَيْلَى عَلَى اللَّيْلِ مُظْلِمًا      لَجَلَّتْ ظِلَامَ اللَّيْلِ لَيْلَى فَأَقْمَرَا  
وَلَمْ أَرْ لَيْلَى بَعْدَ يَوْمٍ لَقِيَتْهَا      تَكُفُّ دُمُوعَ الْعَيْنِ أَنْ تَتَحَدَّرَا  
فَمَا بَدَّدَ أَلْهَجْرَانَ يَا لَيْلُ يَتَنَّا      وَشَحَطَ النَّوَى إِلَّا أَلْهَوَى وَالتَّدَكَّرَا  
وَكَمْ دُونَ لَيْلَى بَلْدَةٌ مُسَبْطِرَةٌ      وَيَبْدُ مَلَاهَا أَلْعَيْنُ حَتَّى تَحِيرَا

وقال نصيب<sup>(١٥)</sup>:

خَلِيلِي تِلْكَ أَلْعَامِرِيَّةُ فَاَنْظُرَا      أَيْقَى لَدَيْهَا أَلْوُدُّ أَمْ يَتَقَضَّبُ  
وَقُولَا لَهَا إِنْ يَعْتَزْلِكُ فَلَا قَلَى      وَلَكِنَّهُ عَنْ رَقَبَةٍ يَتَجَنَّبُ  
يَرَى دُونَكُمْ مَنْ يَتَّقِي وَهُوَ إِلْفٌ      لَكُمْ وَلَهُ مِنْ دُونَكُمْ مُتَرَقَّبُ  
فَصَدِّ وَمَا يَسْطِيعُ صَرْمَكَ إِنَّهُ      وَلَوْ صَدَّ رَهْنٌ فِي جِبَالِكَ مُنْشَبُ<sup>(١٦)</sup>

(١٣) ديوان البحتري ص ٢٠٨١.

(١٤) من بني الحارث بن سعد أخو عذرة. قال أبو رياش: هو زيادة بن زيد من سعد

هذيم. . انظر شرح الحماسة (التبريزي) ٢٣٨/١.

(١٥) نصيب شاعر في عصر بني أمية، عبد أسود، مدح عبدالعزيز بن مروان. انظر الشعر

والشعراء (لیدن) ص ص ٢٤٢، ٢٤٤.

(١٦) الأبيات في شعر نصيب (المجموع) ص ٦١، والمصدر كتاب «الزهر».

وقال الأحوص:

إِذَا مَا أَتَى مِنْ نَحْوِ أَرْضِكَ رَاكِبٌ  
فَأَبْدَا إِذَا اسْتَحْبَرْتُ عَمْدًا بِغَيْرِهَا  
وَأَخْفَى إِذَا اسْتَحْبَرْتُ أَشْيَاءَ كَارِهَا  
فَسِرُّكَ عِنْدِي فِي الْفُرَادِ مُكْتَمٌ  
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو لَا إِلَى النَّاسِ حَاجَتِي  
أَلَا فَارْحَمِي مَنْ قَدْ ذَهَبَ بِعَقْلِهِ  
إِذَا قُلْتُ هَذَا جِئِنِ أَسْلُو ذَكَرْتَهَا

إِنْ كَانَ أَحَدٌ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَى أَحْبَابِهِمُ وَالسَّائِلِينَ عَنْ أَخْبَارِهِمْ  
مَعْدُورًا، فَصَاحِبُ هَذَا الشَّعْرِ مَعْدُورٌ لِأَنَّهُ قَدْ اخْتَلَطَ جُهْدُهُ وَكَتَمَ سِرَّهُ، بِحَسَبِ  
مَا يُمَكِّنُهُ. وَلَيْسَ هَذِهِ خَالًا تَامَةً، وَلَا فِي بَابِ الْمُرَاسَلَاتِ خَالٌ تَامَةٌ. غَيْرَ [أَنْ]  
كُلَّ مَا قُلَّ مِنَ الْإِظْهَارِ، وَأَنْكَتَمَ مِنَ الْأَسْرَارِ، كَانَ صَاحِبُهُ أَغْدَرَ مِمَّنْ أَفْرَطَ فِي  
إِظْهَارِ حَالِهِ، وَأَتَمَّنَ النَّاسَ عَلَى أَسْرَارِهِ.

وقال آخر:

أَتَنَّا عُيُونٌ مِنْ بِلَادِكَ لَمْ تَجِءْ  
وَأَنْ مِنَ الْخُلَانِ مَنْ تَشْحَطُ النَّوَى  
وَمِنْهُمْ كَغَيْبِ الْعَيْنِ أَمَا لِقَاؤُهُ  
فَحَلُّوْ وَأَمَا غَيْبُهُ فَخَوْوْ

وقال آخر (١٨):

أَلَا أَيُّهَا الرُّكْبُ الْيَمَانُونَ عَرِّجُوا  
نُسَائِلُكُمْ هَلْ سَالَ نَعْمَانُ بَعْدَنَا  
عَهْدَنَا بِهِ صَيْدًا غَزِيرًا وَمَشْرَبًا  
بِهِ نَقَعَ الْقَلْبُ الَّذِي كَانَ صَادِيَا

(١٧) المقطوعة في شعر الأحوص ص ١٤٠ وانظر التخرُّج.

(١٨) ورد البيت الأول في شعر المجنون في «بسط سامع المسامر» ص ٦٤، كما ورد الثاني في  
المصدر نفسه ص ٧٣.

وأنشدني أعرابي بالبادية:

أَيَا رَبِّ أَنْتَ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَوَى  
أَسَائِلُ عَنْهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ كُلُّهُمْ  
عَسَى خَبَرٌ مِنْهَا يُصَادِفُ رِفْقَةً  
وَمُعْتَمِرٌ فِي رَكْبِ عَزَّةَ لَمْ تَكُنْ  
لَيْنَ عَزَلْتِ يَا عَزَّ نَفْسِي عَنْكُمْ

ولبعض أهل هذا العصر:

أَتَذْكُرُ الْيَوْمَ مَا لَاقَيْتُ مِنْ كَمَدٍ  
هَذَا مَقَامُ فَتَى أَقْصَاهُ مَالِكُهُ  
بَيْنَا يُعَدِّدُ أَحْقَادًا وَيُضْمِرُهَا  
لَمْ يَجْنِ ذَنْبًا فَيَذَرِي مَا يُمَحِّصُهُ  
وَاللَّهِ وَاللَّهِ لَا تُشِمْتُ أَعَادِيَهُ

وقال سهيل بن عليل (٢٠):

أَلَا أَيُّهَا الرُّكْبُ الْمَجْنُونُ هَلْ لَكُمْ  
أَلَلَّتْ عَصَاهَا فَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى

وقال آخر:

بَعَثْتُ رَسُولًا فَأُضْحَى خَلِيلًا  
وَكُنْتُ الْخَلِيلَ وَكَانَ الرَّسُولَ  
كَذَا مَنْ يُوجِّهُ فِي حَاجَةٍ  
إِلَى مَنْ يَحُبُّ رَسُولًا نَسِيلًا

(١٩) أقول لعل الأبيات من رائية كثير لورود «عزة» في البيت الأول، ورائية كثير في الديوان

ص ٤٢٩، وليس له رائية أخرى من الطويل.

(٢٠) لم أهدت إلى معرفته.

وَزَعَمُوا أَنَّ جَارِيَةً أَرْسَلَتْ جَارِيَتَهَا بِرِسَالَةٍ إِلَى خَلِيلٍ كَانَ لَهَا فَاتَهَمَتُهُ بِأَنَّهُ  
جَمَّسَهَا فَكَتَبَ مُعْتَذِرًا مِنْ ذَلِكَ:

زَعَمَ الرَّسُولُ بِأَنِّي جَمَّسْتُهُ      كَذَبَ الرَّسُولُ وَقَالَتِ الْإِصْبَاحُ (٢١)  
إِنْ كُنْتُ خَمَّسْتُ الرَّسُولَ فَعَاقَصْتُ      رُوحِي أَنَا مِلُّ قَابِضِ الْأَرْوَاحِ  
شُغِلِي بِحُبِّكَ عَنْ سِوَاكَ وَلَيْسَ لِي      قَلْبَانِ مَشْغُولٍ وَآخِرُ صَاحِ  
قَلْبِي الَّذِي لَمْ يُبْقِ فِيهِ هَوَاكُمُ      فَضْلًا لِتَخْمِيشٍ وَلَا لِمَزَاحِ

□ □ □

#### الباب الخامس عشر:

مَنْ أَحَبَّهُ أَحْبَابُهُ وَشَى بِهِ أَثْرَابَهُ

مَكَائِدُ الْوُشَاةِ كُلُّهَا تَنْقَسِمُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: فِسْعَايَةُ الْمُتَحَابِّينَ إِلَى  
غَيْرِهِمَا، وَسِعَايَةُ الْمُحِبِّ إِلَى مَحْبُوبِهِ، وَسِعَايَةُ الْمَحْبُوبِ إِلَى مُحِبِّهِ، فَهَذِهِ  
عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْأَدَبَاءِ أَوْعَفُ الْمَكَائِدِ أَثْرًا. وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ وَلَا هُوَ أَيْضًا  
بِضِدِّ ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى تَقْصَانٍ. أَمَّا الْعُشَّاقُ وَالْمُتِمِّمُونَ فَلَا يَقْبَلُونَ قَوْلَ  
الْوُشَاةِ، بَلْ لَا يَسْمَعُونَهُ لِأَنَّ الْيَقَظَةَ مِنْهُمْ بِأَحْبَابِهِمْ مَاجِيَةٌ لِقَوْلِ مَنْ وَشَى بِهِمْ.  
وَأَمَّا أَهْلُ الْوَلَهِ الْمُدْلَهُونَ فَيَقْبَلُونَ مَا لَا يَسْمَعُونَ، فَضْلًا عَمَّا يَسْمَعُونَ، لِمَا  
قَدَّمْنَا مِنْ وَصْفِهِمْ، وَغَلَبَةِ الظَّنِّ عَلَى أَنْفُسِهِمْ. وَنَحْنُ نَذْكُرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ  
كُلِّ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ طَرَفًا.

وقال بعض الظرفاء:

وَلَمَّا رَأَيْنَا الْكَاشِحِينَ تَتَّبَعُوا      هَوَانًا وَأَبْدَوْا دُونَنَا أَعْيُنًا خُزْرًا  
جَعَلْتُ وَمَا بِي مِنْ جَفَاءٍ وَلَا قِلَى      أَزُورُكُمْ يَوْمًا وَأَهْجُرُكُمْ شَهْرًا  
وَلَوْ نَظَرْتُ بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالْحَشَا      رَأَتْ مِنْ كِتَابِ الْحُبِّ فِي كِبْدِي سَطْرًا

وقال الأحرص:

يَا بَيْتَ عَاتِكَةِ الَّذِي أَتَعَزَّلُ      حَذَرَ الْعِدَى وَبِهِ الْفَوَازُ مُوَكَّلُ  
أَصْبَحْتُ أَمْنُحَكَ الصُّدُودَ وَإِنِّي      قَسَمًا إِلَيْكَ مَعَ الصُّدُودِ لَأَمِيلُ  
وَتَجَنَّبِي بَيْتَ الْحَبِيبِ وَذَكَرَهُ      أَرْضِي الْبَغِيضَ بِهِ حَدِيثُ مُعْضِلُ  
هَلْ عَيْشُنَا بِكَ فِي زَمَانِكَ رَاجِعُ      فَلَقَدْ تَفَحَّشَ بَعْدَكَ الْمُتَعَلِّلُ

(٢١) في «م» والمطبوع: خمشها وخشمته. والتخميش معروف في شعر الحب.

وَلَوْ أَنَّ مَا عَالَجْتُ لَيْنَ فُؤَادِهِ  
فَقَسَا اسْتُلِينَ بِهِ لَلَانَ الْجَنْدُلُ<sup>(١)</sup>

وقال معاذ ليلي<sup>(٢)</sup>:

إِذَا جِئْتُهَا وَسَطَ النَّسَاءِ مَحْتَهَا  
وَلِي نَفْرَةٌ بَعْدَ الصُّدُودِ مِنَ الْهَوَى  
صُدُوداً كَانَ النَّفْسَ لَيْسَ تُرِيدُهَا  
كَنْظَرَةٍ وَأَنْبَى قَدْ أُمِيتَ وَجِيدُهَا<sup>(٣)</sup>

وقال بعض الأعراب:

لَعَمْرُ أَبِي الْمُحْصِينَ أَيَّامَ نَلْتَقِي  
وَيَسُونُ مَا كَانَتْ مِنَ الدَّهْرِ تَهْجُرُ  
لَمَّا لَا نُلَاقِيهَا مِنَ الدَّهْرِ أَكْثَرُ  
يَعْدُونَ يَوْمًا وَاحِدًا إِنْ أَتَيْتُهَا

وقال آخر:

أَمْرٌ مُجَنِّباً عَنْ بَيْتِ لَيْلَى  
أَمْرٌ مُجَنِّباً وَهَوَايَ فِيهِ  
وَقَلْبِي فِيهِ مُحْتَبِسٌ فَهَلْ لِي  
أَوْمَلُ أَنْ أَعْلَلَ بِشَرْبِ لَيْلَى  
وَلَمْ أَلِمَّ بِهِ وَبِهِ الْقَلِيلُ  
وَطَرْفِي عَنْهُ مُنْكَسِرٌ كَلِيلُ  
إِلَى قَلْبِي وَمَالِكِهِ سَبِيلُ  
وَلَمْ أَنْهَلْ فَكَيْفَ لِي الْعُلُولُ<sup>(٤)</sup>

وقال جميل:

أَنَّهُجِرُ هَذَا الرَّبْعَ أَمْ أَنْتَ زَائِرُهُ  
رَأَيْتَكَ تَأْتِي أَلْبَيْتَ تُبْغِضُ أَهْلَهُ  
وَكَيْفَ يُزَارُ الرَّبْعَ قَدْ بَانَ عَامِرُهُ  
وَقَلْبُكَ فِي أَلْبَيْتِ الَّذِي أَنْتَ هَاجِرُهُ<sup>(٥)</sup>

وقال الحسين بن مطير:

بِنَفْسِي مَنْ لَا بُدَّ أَيْ هَاجِرُهُ  
وَمَنْ أَنَا فِي الْمَيْسُورِ وَالْعُسْرِ ذَاكِرُهُ

(١) الأبيات في «شعر الأصوص» ص ١٦٦ وانظر التخريج.

(٢) معاذ ليل هو المجنون، وقد مر بنا وعرفنا به.

(٣) البيتان في شعر المجنون، انظر الديوان ص ١٠٧، وانظر مجموعة المعاني ص ٢١٠،

وأما القالي ٤٣/١، وشرح المرزوقي ص ١٤١٤.

(٤) الأبيات في شعر المجنون، انظر الديوان ص ٣٢٧.

(٥) البيتان من قصيدة، ديوان جميل ص ٦٩.

وَمَنْ قَدْ رَمَاهُ النَّاسُ حَتَّى اتَّقَاهُمْ  
وَمَنْ ضَنَّ بِالتَّسْلِيمِ يَوْمَ فِرَاقِهِ  
وَمَنْ بَانَ مِنَّا يَوْمَ بَانَ وَمَا دَرَى  
وَحَالَ بَنُو الْعَمَاتِ وَالْعَمُّ دُونَهُ  
أَنَّهُجِرُ بَيْتاً بِالْحِجَازِ تَكْنَفْتُ  
فَإِنْ آتَيْهِ لَا أَنْجُ إِلَّا بِظَنِّهِ  
بِبُغْضِي إِلَّا تَجِنُ ضَمَائِرُهُ  
عَلَيَّ وَدَمْعُ الْعَيْنِ تَجْرِي بَوَادِرُهُ  
أَكُنْتُ أَنَا الْمَوْتُورُ أَمْ أَنَا وَاتِرُهُ  
وَنَذَرُ عَدُوَّ لَا تُغِبُّ نَذَائِرُهُ  
جَوَابِيهِ الْأَعْدَاءُ أَمْ أَنْتَ زَائِرُهُ  
وَإِنْ يَأْتِيهِ غَيْرِي تَصْنِي جَرَائِرُهُ<sup>(٦)</sup>

وقال آخر:

وَلَمْ أَرْ مَحْزُونَيْنِ أَجْمَلَ لَوْعَةً  
كِلَانَا يَذُودُ النَّفْسَ وَهِيَ حَزِينَةٌ  
عَلَى نَائِيَاتِ الدَّهْرِ مَيِّ وَمِنْ جُمْلِ  
وَيُضْمِرُ شَوْقاً كَالنَّوَاذِلِ بِالنَّبْلِ

وقال أبو القمقام الأسدي<sup>(٧)</sup>:

[أ] عَفْرَاءُ كَمْ مِنْ مَيَّةٍ قَدْ أَذَقْتَنِي  
بُلِينَا بِهِجْرَانٍ وَلَمْ يَرِ مِثْلُنَا  
أَشَدَّ مُصَافَاةً وَأَبْعَدَ مِنْ قَلِي  
وَحُزْنٍ أَلَجَّ الْعَيْنَ بِأَلْهَمَلَانِ  
مِنَ النَّاسِ إِنْسَانَيْنِ مُهْتَجِرَانِ  
وَأَعْصَى لِسَواشٍ حِينَ يُكْتَفَفَانِ

وقال معاذ ليلي:

أَهَابُكَ إِجْلَالاً وَمَا بِكَ قَدْرَةٌ  
وَمَا هَجَرْتُكَ النَّفْسُ يَا لَيْلُ إِنَّهَا  
وَلَكِنَّهُمْ يَا أَمْلَحَ النَّاسِ أَكْثَرُوا  
أَتَضَرَّبُ لَيْلَى إِنْ مَرَرْتُ بِبَيْتِ الْعَصَى  
عَلَيَّ وَلَكِنْ مِلءُ عَيْنٍ حَبِيبُهَا  
قَلِيلٌ وَلَا أَنْ قَلْ مِنْكَ نَصِيبُهَا  
بِقَوْلٍ إِذَا مَا جِئْتُ هَذَا حَبِيبُهَا  
وَمَا ذَنْبُ لَيْلَى إِنْ طَوَى الْأَرْضَ ذَيْبُهَا<sup>(٨)</sup>

(٦) الأبيات في شعر الحسين بن مطير، ص ص ٥٠، ٥١، ٥٢ وهي لابن الدميثة كما في

أما القالي ٧٨/١، والبيتان الأول والثاني في ديوان المجنون ص ١٤٣.

(٧) أبو القمقام الأسدي من شعراء الحماسة (التبريزي) ٣/٣١٥.

(٨) الأبيات في شعر المجنون، انظر ديوان المجنون ص ص ٧١، ٧٢، وهي في شرح

المرزوقي ص ١٣٦٣ من غير عزو، وفي السمط ص ٤٠١ أنها لنصيب.

وقال عروة بن حزام:

تَكْنَفَنِي أَلْوَشُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ  
إِذَا مَا جَلَسْنَا مَجْلِسًا نَسْتَلِدُهُ  
أَلَا لَعَنَ اللَّهُ الْوُشَاةَ وَقَوْلُهُمْ  
أَلَا لَيْتَ كُلِّ اثْنَيْنِ بَيْنَهُمَا هَوَى  
أَنَاسِيَةً عَفْرَاءَ وَصَلِي بَعْدَ مَا  
إِذَا رَامَ قَلْبِي هَجْرَهَا حَالُ دُونِهَا  
إِذَا قُلْتُ لَا قَالَا بَلَى ثُمَّ أَصْبَحَا

وقال البحرني:

خَلِيلِي لَا أَسْمَاءَ إِلَّا أَدَكَارُهَا  
تَمَادَى بِهَا أَهْجَرُ الْبَرِّحِ وَالنَّوَى  
وَقَدْ كَثُرَتْ مِنَّا الْمَعَاصَاةُ لِلصَّبَى  
هَلْ أَلْوَجِدُ إِلَّا عَبْرَةً أَسْتَرِدُّهَا

وقال آخر:

خَلِيلِي إِنِّي الْيَوْمَ شَاكٍ إِلَيْكُمَا  
فَرُقُ أُلَافٍ وَجَوْلَانُ عَبْرَةٍ  
وَلَا يَلْبَثُ أَلْوَشُونَ أَنْ يَصْدَعُوا الْعَصَا

وقال أبو علي البصير:

لَقَدْ قَرَعَ الْوَأَشِي بِأَهْوَنِ سَعِيهِ

وَلَوْ كَانَ وَاشٍ وَاحِدٌ لَكَفَانِي  
تَوَأَشُوا بِنَا حَتَّى أَمَلُ مَكَانِي  
فُلَانَةٌ أَضَحَّتْ خُلَّةً لِفُلَانٍ  
مِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ يَلْتَقِيَانِ  
جَرَى الدَّمْعُ مِنْ عَيْنِي بِالْهَمَلَانِ  
شَفِيعَانِ مِنْ قَلْبِي لَهَا جَدَلَانِ  
جَمِيعًا عَلَى الرَّأْيِ الَّذِي يَرِيَانِ (٩)

وَلَا دَارَ مِنْ وَهْبَيْنِ إِلَّا طُلُوهَا  
بِمَسْمَعِهَا قَالَ الْوُشَاةُ وَقِيلَهَا  
وَلَوْ أَنَّهَا قُلْتُ لَضُرَّ قَلِيلُهَا  
أَوْ الْحُبُّ إِلَّا عَثْرَةً أَسْتَفِيلُهَا (١٠)

وَهَلْ تَنْفَعُ الشُّكُوى إِلَى مَنْ يَزِيدُهَا  
أَظْلُ بِأَطْرَافِ الْبَنَانِ أَدْوَدُهَا  
إِذَا لَمْ يَكُنْ صَلْبًا عَلَى الْبَرِّي عَوْدُهَا (١١)

صَفَاةً قَدِيمًا أَخْطَأَتْهَا الْقَوَارِعُ

(٩) الأبيات في شعر عروة بن حزام ص ٩، وانظر التخريج.

(١٠) انظر ديوان البحرني ص ١٧٧١.

(١١) أشار عبدالستار فراج في تعليق له في الصفحة ١٠٦ من ديوان المجنون: إن الأبيات من دالية المجنون، ولم يوثق ما أفاد به.

فَأَقْلَقَنِي فِي ضَعْفِهِ وَهُوَ سَاكِنٌ وَشَرَدَ عَنْ عَيْنِي الْكَرَى وَهُوَ هَاجِعٌ

وانشدنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي ليزيد الغواني العجلي (١٢):  
سَرَتْ عَرْضَ ذِي قَارٍ إِلَيْنَا وَبَطْنِهِ  
أَحَادِيثُ سَدَّاهَا شَيْبٌ وَنَارُهَا  
وَأَنَّ كَانَ لَمْ يَسْمَعْ بِهِنَ شَيْبٌ  
وَقَدْ يَكْذِبُ الْوَأَشِي فَيَسْمَعُ قَوْلُهُ

وقال آخر:

فَإِنْ تَكُ لَيْلَى قَدْ جَفَنِي وَطَاوَعَتْ  
لَقَدْ بَاعَدَتْ نَفْسًا عَلَيْهَا شَفِيقَةً  
فَلَسْتُ وَإِنْ لَيْلَى تَوَلَّتْ بِوُدِّهَا  
بِمُثْنِ سَوَى عُرْفٍ عَلَيْهَا وَمُشْمِثٍ  
وَلَكِنِّي لَا بُدَّ أَنْبَى قَائِلُ  
فَلَا مَرْحَبًا بِالشَّامِتَيْنِ بِهَجْرِنَا  
عَلَى صَرَمِ حَبْلِي مَنْ وَشَى وَتَكْذَبَا  
وَقَلْبًا عَصَى فِيهَا الْحَبِيبُ الْمُقْرَبَا  
وَأَصْبَحَ بَاتِي الْوُضَلِ مِنْهَا تَقْضَبَا  
وُشَاةُ بِهَا كَانُوا شُهُودًا وَغِيَا  
وَدُوَ اللَّبِّ قَوْلًا إِذَا مَا تَعَبَا  
وَلَا زَمَنِ أَمْسَى بِنَا قَدْ تَقَلَّبَا (١٣)

وقال معاذ ليلي:

فَلَوْ كَانَ وَاشٍ بِالْيَمَامَةِ دَارُهُ  
وَمَاذَا لَهُمْ لَا أَكْثَرَ اللَّهُ خَيْرَهُمْ  
وَدَارِي بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ أَهْتَدَى لِيَا  
مِنْ الْحَظِّ فِي تَصْرِيمِ لَيْلَى جِبَالِيَا (١٤)

وقال بعض الأعراب: \*

أَمَّا وَالرَّاقِصَاتِ بِذَاتِ عِرْقٍ  
لَقَدْ أَضْمَرْتُ حُبِّكَ فِي فُؤَادِي  
وَمَنْ صَلَّى بِنُعْمَانِ الْأَرَاكِ  
وَمَا أَضْمَرْتُ حُبًّا مِنْ سِوَاكِ

(١٢) لم أهدد إلى «يزيد» هذا.

(١٣) الأبيات في شعر المجنون، انظر الديوان ص ٣٢٣.

(١٤) البيتان في شعر المجنون كما في الديوان ص ٣٠١.

(\*) جاءت الأبيات في معجم البلدان (نعمان)، قال أبو العميش، والذي أراه أنه أنشد الأبيات.

أَطَعْتَ الْأَمِيرَ بِصَرْمٍ حَبْلِي  
فَإِنْ هُمْ طَاوَعُوكَ فَطَاوَعِيهِمْ

وقال ابن الدميعة (١٥):

دِيَارُ آلِي هَاجَرْتُ عَصْرًا وَلِلْهَوَى  
لِتَسْلَمَ مِنْ قَوْلِ الْوُشَاةِ وَإِنِّي  
أُمِيمٌ بِقَلْبِي مِنْ هَوَاكَ زُمَانَةً  
أُمِيمٌ لَقَدْ عَشِينِي وَأَرَيْتَنِي

ولبعض أهل هذا العصر:

لَيْتَنِي رَفَقَ الْوَأْشِي سُرُورًا بِمَا رَأَى  
لَقَدْ أَسْهَرَ الْعَيْنَيْنِ بَيْنِي صَبَابَةً  
عَدِمْتُ الْهَوَى إِنْ كُنْتُ عَاشَرْتُ وَافِيًا  
فَإِنْ لَمْ تَدْعُ مَا لَا أُحِبُّ تَظَرُّفًا

وأنشدني أحمد بن يحيى:

هَجَرْتُ فَلَمَّا أَنْ هَجَرْتُكَ أَصْبَحْتُ  
فَلَا يَفْرَحُ الْوَأْشُونَ بِالْهَجْرِ رَبِّمَا  
وَتَعْلُو النَّوَى بَيْنَ الْمُحِبِّينِ وَالْهَوَى

وأنشدني منيرة العصبية (١٧):

مَا كَانَ ذَلِكَ الْهَجْرُ مِنِّي عَنْ قَلِي  
إِنِّي لَيْسِيْنِي الْحَيَاءِ وَأَنْشِي  
وَإِذَا الْمُنَاضِلُ لَمْ يَكُنْ مُنْتَبِأً

مُرِيهِمْ فِي أَحْبَبَتِهِمْ بِذَاكَ  
وَإِنْ عَاصُوكَ فَاغْصِي مِنْ عَصَاكَ

بِقَلْبِي إِلَيْهَا قَائِدٌ وَمُهَيِّبٌ  
لَهُمْ حِينَ يَغْتَابُونَهَا لَذُنُوبُ  
وَأَنْتَ لَهَا لَوْ تَبْدِيلِينَ طَبِيبٌ  
بَدَائِعِ أَخْلَاقِي لَهُنَّ ضُرُوبُ (١٦)

وَهَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَقْرَأَ وَأَنْصَبَا  
وَعَادَرَ قَلْبِي مُسْتَهَامًا مُعَذَّبَا  
سِوَاكَ وَقَدْ طَوَّفْتُ شَرْقًا وَمَغْرِبَا  
وَلَا رَاعِيًا عَهْدِي فَدَعُهُ تَحَوُّبَا

بِنَا شُمْتَا تِلْكَ الْعُيُونُ الْكَوَاشِحُ  
أَطَالَ الْمُحِبُّ الْهَجْرَ وَالْحَبِيبُ نَاصِحُ  
مَعَ الْقَلْبِ مَطْوِيٌّ عَلَيْهِ الْجَوَانِحُ

لَا وَالَّذِي رَفَعَ السَّمَاءَ وَبَنَاهَا  
وَأَصْدُ بَعْضُ مَوَدَّتِي أَسْتَيْقَاهَا  
يَبْقَى مَوَاقِعَ نَبِيلِهِ أَفْنَاهَا

(١٥) الأبيات في الديوان ص ٩٩، ١٠٠ مع اختلاف في الرواية.

(١٦) في «م» والمطبوع: غَيْبَتِي.

(١٧) أقول: لعلها ستيرة العصبية التي مرت في الصفحة (١١٥) ولم نهند إلى معرفتها.

وقال آخر:

وَتَحْسِبُ لَيْلِي أَنِّي إِنْ هَجَرْتُهَا  
وَلَكِنْ لَيْلِي لَا تَفِي بِأَمَاطِنَةٍ  
وَبِي مِنْ هَوَاهَا [الدَّهْرُ] مَا لَوْ أَبْثُهُ

وقال رجل من أزد:

فَوَيْحَكُمَا يَا وَاشِيَّيْ أَمَّ مَعْمَرٍ  
لَقَلَّكُمَا إِنْ تُخْبِرَانِي قَلْبَتُهَا  
بِنَفْسِي مَنْ لَوْ أَسْتَطِيعُ أَتَيْتُهُ  
وَمَنْ لَوْ أَرَاهُ عَاتِيًا لَفَدَيْتُهُ

وقال الأقرع بن معاذ القشيري:

أَلَا أَيُّهَا الْوَأْشِي بِلَيْلِي أَلَا تَرَى  
لَعَمْرُ الَّذِي لَمْ يَرْضَ حَتَّى أُطِيعَهُ  
إِذَا نَحْنُ رُمْنَا هَجْرَهَا ضَمَّ حُبَّهَا

وقال آخر:

كَأَنَّ عَائِبَتَكُمْ يُّسْدِي مَحَاسِنَكُمْ  
مَا فَوْقَ حُبِّكَ حُبٌّ لَسْتُ أَعْلَمُهُ

وقال البحتري:

يَمْلَأُ الْوَأْشِي جَنَانِي دُعْرًا

حَذَارُ الْأَعَادِي أَنَّمَا بِي هُونُهَا  
فَتَحْسِبُ لَيْلِي أَنِّي سَأَخُونُهَا  
جَمَاعَةً أَعْدَائِي بَكَتْ لِي عُيُونُهَا (١٨)

لِمَنْ وَإِلَى مَنْ جِئْتُمَا تَشِيَّانِ  
وَأَطْمَعْتُمَا عِنْدِي لَهَا بِهَوَانِ  
سَرِيعًا وَمَنْ لَوْ يَسْتَطِيعُ أَتَانِي  
وَمَنْ لَوْ رَأَى عَاتِيًا لَفَدَانِي (١٩)

إِلَى مَنْ تَشِي [بِي] أَوْ يَمَنْ جِئْتَ وَاشِيَا  
بِلَيْلِي إِذَنْ لَا يُصْبِحُ الدَّهْرُ رَاضِيَا  
ضَمِيرُ الْحَشَاضِمِ الْجَنَاحِ الْخَوَافِيَا (٢٠)

يَأْتِي لِيَنْقِصَكُمْ عِنْدِي فَيُغْرِي  
فَمَا يَضُرُّكَ أَلَّا تَسْتَزِيدَنِي

وَيُعَيِّنِي الْحَدِيثُ الْمُخْتَلَقُ

(١٨) الأبيات من شعر المجنون كما في الديوان ص ٢٦٩، وكذلك في الأغاني ٢/٢٨.

(١٩) الأبيات من شعر المجنون كما في الديوان ص ص ٢٦٩، ٢٧٦.

(٢٠) الأبيات من شعر المجنون كما في الديوان ص ٢٩٦، وهي للأقرع بن معاذ في شرح

الحماسة (التبريزي) ٤/٢٤٩. وانظر ترجمته في الأغاني ١١/١٥١، ومعجم الشعراء

ص ٢٩١، شاعر أموي.

حُبُّهَا أَوْ فَرَّقَ مِنْ هَجَرِهَا وَصَرِيحُ الْحُبِّ ذُلٌّ أَوْ فَرَقٌ (٢١)

وقال حباب بن ملك العشمي (٢٢):

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ مَا زَالَ الْوُشَاءُ بِنَا مِنْ غَيْرِ مَقِيلَةٍ حَتَّى هَجَرَنَاهَا  
أَلْحَمْدُ لِلَّهِ قَدْ كُنَّا وَلَوْ نَزَلَتْ مِنَّا بِأَبْعَدَ مِنْ هَذَا لَزُرْنَاهَا

وقال قيس بن ذريح:

تَكُنْفَنِي الْوُشَاءُ فَأَرْعُجُونِي قِيَا لِلنَّاسِ لِلْوَأَشِيِّ الْمَطَاعِ  
فَأَصْبَحْتُ الْغَدَاةَ الْيَوْمَ نَفْسِي عَلَى أَمْرٍ وَلَيْسَ بِمُسْتَطَاعِ  
كَمَغْبُونٍ يَعْضُ عَلَى يَدَيْهِ تَبَيَّنَ غَبْنُهُ بَعْدَ الْبِيعِ  
وَقَدْ عَشْنَا نَلْدُ الدَّهْرَ جِينًا لَوْ أَنَّ الدَّهْرَ لِلْإِنْسَانِ رَاعٍ  
وَلَكِنَّ الْجَمِيعَ إِلَى زَوَالٍ وَأَسْبَابُ الْفِرَاقِ لَهَا دَوَاعِي (٢٣)

□ □ □

## الباب السادس عشر:

مَنْ لَمْ يُعَاتِبْ عَلَى الزُّلَّةِ فَلَيْسَ بِحَافِظٍ لِلْخُلَّةِ

الْمُعَاتَبَةُ عَلَى الذُّنُوبِ مِنَ الْمُجِبِّ وَالْمَحْبُوبِ قَدْ تَجَرِي عَلَى ضُرُوبٍ:  
فَمِنْهَا مُعَاتَبَةُ اسْتِثَابِ تَقَعٍ مِنَ الْأَرْتِيَابِ، لِيُزُولَ الشُّكُّ بِمَا يَجْرِي فِيهَا مِنَ  
الْجَوَابِ، وَمُعَاتَبَةُ تَقَعٍ بَعْدَ الْيَقِينِ يَقْصُدُ بِهَا الْعَاتِبُ إِلَى أَنْ يَعْلَمَ هَلْ مِنْ ذَلِكَ  
الذَّنْطِ عُدْرٌ، أَمْ هُوَ دَاخِلٌ فِي بَابِ الْغَدْرِ؟ وَمِنْهَا مُعَاتَبَةُ تَوْقِيفِ تَجَرِي عَلَى  
جَهَةِ التَّعْنِيفِ.

وَهَذِهِ حَالٌ لَا تَكَادُ تَجْرِي بَيْنَ الْمُتَحَابِّينِ إِلَّا عِنْدَ انْقِطَاعِ الْحَالِ  
بَيْنَهُمَا. أَوْ عِنْدَ ضَجَرَةٍ شَدِيدَةٍ تَلْحَقُهُمَا أَوْ تَلْحَقُ أَحَدَهُمَا. وَأَحْمَدُ أَحْوَالِ  
الْعِتَابِ صِيَانَةُ الْحَالِ عَنْ أَنْ يَجْرِيَ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الْإِخْتِلَالِ بَقِيًّا عَلَى  
الْمُذْنِبِ لَا بَقِيًّا عَلَى الْمُؤْتَبِ. وَتَرْكُ جَمِيعِ الْمُعَاتَبَةِ يَدْخُلُ فِي بَابِ  
الْإِهْمَالِ. وَالْمَوْقِفُ عَلَى كُلِّ ذَنْبٍ يُوجِبُ قَطْعَ الْمُوَاصَلَةِ وَاتِّصَالِ الْعُتْبِ.

قال الحسن بن هانئ:

مُنْقَطِعٌ عَنْكَ كَانَ مُتَّصِلًا أَوْ نَازِلٌ بِالْفَنَاءِ فَارْتَحَلَ  
قَدْ كَانَ فِي الْحَقِّ أَنْ يُقَالَ لَهُ مَاذَا دَعَاهُ إِلَى الَّذِي فَعَلَ  
مَا عَدَلَ النَّاسُ عَنْكَ لِي أَمَلًا إِلَّا ثَنَاهُ الرَّجَاءُ فَاعْتَدَلَا (١)

وقال آخر \*

حَيٍّ طَيْفًا مِنَ الْأَحْبَةِ زَارًا بَعْدَمَا صَرَّعَ الْكَرَى السُّمَارًا

(١) لم أجد الأبيات في الديوان.

(٢١) ديوان البحري ص ١٤٦٨.

(٢٢) لعله: حباب بن مالك العشمي.

(٢٣) قيس بن ذريح أحد عشاق العرب، صاحبه لبى. الشعر والشعراء (ليدن)

ص ص ٣٩٩ - ٤٠٠. وانظر الأبيات في (مجموع شعره).

قَالَ إِنَّا كَمَا عَهِدْتَ وَلَكِنْ

شَغَلَ الْحَيُّ أَهْلَهُ أَنْ يُعَارَا

ولبعض أهل هذا العصر:

يَا أَخِي كَمْ يَكُونُ هَذَا الْجَفَاءُ  
صَارَ ذَا الْهَجْرِ لِي غِذَاءً وَلَكِنْ  
سَيِّدِي أَنْتَ أَيْنَ ذَاكَ الصَّفَاءُ  
أَنْتَ ذَاكَ الْأَخُ الْقَدِيمُ وَلَكِنْ  
لِي ذُنُوبٌ وَلَسْتُ أَنْكَرُ فَاغْفِرْ  
لِي حُقُوقَ أَبِصْرٍ عَلَيْكَ وَلَكِنْ

وقال البحتري:

وَكُنْتُ إِذَا اسْتَبْطَأْتُ وَدَّكَ زُرْتُهُ  
عِتَابٌ بِأَطْرَافِ الْقَوَافِي كَأَنَّهُ

وقال آخر:

فَلَا عَيْشَ كَوْضَلٍ بَعْدَ هَجْرٍ  
تَوَاقَفَ عَاشِقَانِ عَلَى ارْتِقَابٍ  
فَلَا هَذَا يَمَلُّ عِتَابُ هَذَا

وقال آخر:

أَلْهَفَ أَبِي لَمَّا أَدْمَتُ لَكَ الْهَوَى  
وَجَاهَرْتُ فِيكَ النَّاسَ حَتَّى أَضْرَبِي  
وَكُنْتُ كَفِيءِ الْفُصْنِ بَيْنَا يُظْلَمُنِي  
فَصَارَ لِغَيْرِي وَاسْتَدَارَتْ ظِلَالُهُ

(٧) من قصيدة في الديوان ص ٨٩٠.

ولبعض أهل هذا العصر:

إِذَا أَشْتَدَّ مَا أَلْقَاهُ هَوْنٌ عَلَيَّ  
فَيَا مَنْ يُزِيلُ الْخَوْفَ عَيْنِي وَفَاؤُهُ  
أَكَانَ جَمِيلًا أَنْ تَرَانِي مُهْمَلًا  
سَارِعًا إِنْ أَكْرَمْتَنِي أَوْ أَهْتَنِي  
وَلَيْنِي لِاسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ أَنْ أَرَى  
سَاخِذٌ مِنْ نَفْسِي لِنَفْسِكَ حَقَّهَا  
وَمَا بَيَّ نَفْسِي وَخَدَهَا غَيْرَ أَنَّنِي  
وَلَوْ قِيلَ لِي اخْتَرْ نَيْلَهُ أَوْ صَلَاحَهُ  
وَقَدْ كُنْتُ أَوْلَى [بِي] مِنَ الشُّوقِ وَالْهَوَى  
وَقَدْ كُنْتُ أَمْضِي فِي الضَّمِيرِ مُتَمِمًا  
فَمَا لِي قَدْ أَبْعَدْتُ حَتَّى كَأَنَّنِي  
عَدُوٌّ وَقَدْ كُنْتُ الْحَبِيبَ الْمَقْدَمًا

وانشدني أحمد بن أبي طاهر لنفسه:

يَا سَعْدُ لَمْ أَذْخَرْ عَلَيْكَ مَوَدَّةً  
أَشْكَيْتَنِي فَشَكَوْتُ لَا مُتَشَاكِأً  
وَلَيْنَ حُسِدْتُ عَلَيْكَ إِنَّكَ لِلَّذِي  
وَرَعَمْتُ أَنِّي لَا يَمُ لَكَ عَاتِبٌ  
لَوُمْتُ إِذْنُ مِنِّي الْخَلِائِقُ وَأَعْتَدَى  
أَنِّي أَذْمُكَ يَا سَعِيدُ وَإِنَّمَا بِالْمَجْدِ  
إِنْ كَانَ قَلْبُكَ فِي مُشْتَرَكِ الْهَوَى  
كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَإِنِّي بِكَ وَائِقُ

وقال العرجي:

أَقُولُ لَهَا وَالْعَيْنُ قَدْ جَادَ غَرْبُهَا  
أَرَيْتُكَ إِذْ أَعْرَضْتَ عَيْنِي كَأَنَّمَا  
وَقَدْ كَانَ فِيهَا دَمْعُهَا قَدْ تَرَدَّدَا  
تَلَاقَيْنِ مِنْ حَيَاتِ بَيْتَانِ أَسْوَدَا



أَسْلَاكِ عَنِّي النَّائِي أَمْ عَاقَكَ أَلْعَدَى  
أَلَمْ أَكْ أَعْصِي فِيكَ أَهْلَ قَرَابَتِي  
فَقَالَتْ مَنَنْتَ<sup>(٤)</sup> الْوَصْلَ مِنْكَ وَلِلَّذِي  
لِأَشْيَاءٍ قَدْ لَاقَيْتَهَا فِيكَ لَمْ يَكُنْ  
وَأِعْرَاضُنَا عَنْكُمْ فَغَيْرِي بِهِ بَدَا  
رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي فَعَادَتْ بِحِلْمِهَا  
إِذَا أَمَلُوا وَشَكَ اهْتِجَارٍ فَأَخْفَقُوا  
فَلَنْ<sup>(٥)</sup> لِلَّذِي تَهْوَى وَأَغْلِظَ عَلَى الَّذِي  
وَلَا تَحْسِبَنَّ الصَّدِيقَ مُرُوءَةً

وكتب بعض أهل هذا العصر إلى أخ له يستأذنه في شكره:

أَتَأْذَنُ لِي يَا مَتُّ قَبْلَكَ فِي الشُّكْرِ  
وَإِنِّي لَمُحْتَاجٌ إِنْ أَنْتَ أَذَنْتَ لِي  
فَمَا حَقُّ مِثْلِي أَنْ يَرَى لَكَ شَاكِرًا  
فَرَأَيْكَ فِيمَنْ لَا يَرَى نَفْسَهُ إِذَا

فلم يأذن له في ذلك وكتب يعاتبه:

أَفِي أَلْعَدَلُ أَنْ تَنْهَى أَخَاكَ عَنِ الشُّكْرِ  
أَجَلْ أَنْ دَا عَدَلَ عَلَى الصَّبِّ فِي الْهَوَى  
أَيَجْمَلُ فِي حَقِّ الْجَوَارِ دَعِ الْهَوَى

(٣) في «م» والمطبوع: افترقوا.

(٤) في «م» والمطبوع: ضننت.

(٥) في «م» والمطبوع: فكن.

(٦) المقطوعة في الديوان ص ١٢٦، وليس فيها الأبيات الثاني والسابع والثامن مع اختلاف في الرواية.

أَرَاغِي نُجُومًا لَمْ أُوَكِّلْ بِرَعِيهَا  
وَأَنْتَ أَخٌ لِي قَادِرٌ أَنْ تُزِيلَ مَا  
تَبَيَّتْ خِلْيَ الْقَلْبِ مِمَّا أَجْنُهُ  
وَإِنِّي أَدْرِي أَنَّ فِي الصَّبْرِ رَاحَةً  
أَرَانِي إِذَا وَاصَلْتُ سَاءَتَكَ عِشْرَتِي  
أَجِينُ تَنَاهَى الْوُدِّ وَأَتَّصِلُ الْهَوَى  
مَلَلْتُ إِخَائِي وَأَطْرَحْتُ مَوَدَّتِي  
وله أيضاً:

جُعِلْتُ فِدَاكَ قَدْ طَالَ أَنْعِطَافِي  
وَلَيْسَ أَخَاكَ مَنْ يَرْعَاكَ كُرْهًا  
فَإِنْ تَرَعُ الْأَمَانَةَ لَا أَصْغَهَا  
يَطُولُ عَلَيْكَ أَنْ تَلْقَى خَلِيلًا  
مَخَافَةَ أَنْ يَمْلِكَ بِاجْتِمَاعِ  
فَإِنْ يَكْ ذَا الصَّدُودِ صُدُودَ عَتَبِ  
إِذَنْ فَتَلَافِي مِنْ قَبْلِ يَأْسٍ  
وَالَا فَاطْرِحُ وَدِّي وَأَجْمِلُ  
مَتَى يَصِلُ السَّقِيمُ إِلَى شِفَاءٍ

وقال بعض الأعراب<sup>(٧)</sup>:

[و] أَنْبِئْتُ لَيْلَى أَرْسَلَتْ بِشَفَاعَةٍ  
أَكْرَمُ مِنْ لَيْلَى عَلَيَّ فَتَبْتَعِي

وَأَذْكِي هَوَى فِي الْقَلْبِ أَذْكِي مِنَ الْجَمْرِ  
أَقَاسِيهِ لَا تَذْرِي بِمَا بِي أَوْ تَذْرِي  
كَمَا أَنَا خَلَوُ فِي هَوَاكَ مِنَ الصَّبْرِ  
وَلَكِنْ إِنْفَاقِي عَلَى الصَّبْرِ مِنْ عُمْرِي  
وَإِنْ غَبْتُ لَمْ أَخْطُرْ بِبَالٍ وَلَا فِكْرٍ  
وَصِرْتُ شَرِيكِي فِي السَّرِيرَةِ وَالْجَهْرِ  
وَأَقْصَيْتَنِي حَتَّى تَحْيَرْتُ فِي أَمْرِي

إِلَيْكَ وَأَنْتَ قَاسِي الْقَلْبِ جَافِي  
وَلَا أَلْبَادِي بِوَصْلِكَ كَأَلْمُكَافِي  
وَإِنْ لَا تَرَعُ يَوْحُشَكَ أَنْصِرَافِي  
تَطُولُ عَلَيْهِ أَيَّامُ التَّصَافِي  
فَيَرْضَى مِنْ نَوَالِكَ بِأَلْكَفَافِ  
وَأَنْتَ عَلَى الْمَوَدَّةِ وَالتَّوَافِي  
يُولَدُ مَا يَجِلُّ عَنِ التَّلَافِي  
بِتَغْرِضٍ مِنَ التَّضَرِّيحِ كَافِي  
إِذَا كَانَ الضَّنَى دَرَكَ أَلْمُعَافَى

إِلَيَّ فَهَلَّا نَفْسٌ لَيْلَى شَفِيعُهَا  
بِهِ أَلْجَاهُ أَمْ كُنْتُ أَمْرًا لَا أُطِيعُهَا

(٧) نسبت الأبيات إلى المجنون كما في الديوان ص ١٩٥، وهي في شرح المبرزوقي ص ١٢٢٠، وفي الحماسة البصرية ص ١٨٣ للصلة القشيري وأول ابن المدينة أو بعض الأعراب.

وقال الحسين بن الضحاك \* :

أَمَا نَاجَاكَ بِالنَّظَرِ الصَّحِيحِ  
فَلَيْتَكَ حِينَ تَهْجُرُهُ ضِرَاراً  
بِحُسْنِكَ كَانَ أَوَّلَ حُسْنِ ظَنِّي  
وَمَا تَنَفَّكَ مُتَّهِماً لِنُصْحِي

وَأَنْ إِلَيْكَ مِنْ قَلْبٍ قَرِيعِ  
تَمُنْ عَلَيْهِ بِالْقَتْلِ الْمُرِيعِ  
وَمَا يَنْهَاكَ حُسْنُكَ عَنْ قَبِيحِ  
بِنَفْسِي نَفْسُ مُتَّهِمِ النَّصِيحِ<sup>(٨)</sup>

وقال آخر:

إِلَى كَمْ يَكُونُ الصَّدُّ فِي كُلِّ سَاعَةٍ  
رُؤْيَاكَ إِنْ الدَّهْرَ فِيهِ بَلَاغَةٌ

وَكَمْ لَا تَمْلِكُ الْقَطِيعَةَ وَالْهَجْرَا  
لِتَفْرِيقِ ذَاتِ الْبَيْنِ فَانْظُرِي الدَّهْرَا

وقال يزيد بن الطثرية:

عَلَى حِينَ صَارَمْتُ الْأَخْلَاءَ كُلَّهُمْ  
وَرَدْتُكَ أَضْعَافاً وَغَادَرْتُ فِي الْحَشَا  
جَزِيَّتِكَ فَرَضَ الْوَدِّ نَمْتُ خِلَّتَنِي  
فَلَمَّا تَنَازَعْنَا سِقَاطَ حَدِيثِهَا

إِلَيْكَ وَأَصْفَيْتُ الْهَوَى لَكَ أَجْمَعَا  
عِظَامَ الْبَلَايَا بِأَدِيَاتٍ وَرُجْعَا  
كَذِي الشُّكِّ أَدْنَى شُكِّهِ فَتَطَوَّعَا  
عَشَاشاً فَلَانَ الطَّرْفُ مِنْهَا فَاطْمَعَا

عَلَى إِثْرِ هَجْرَانٍ وَسَاعَةٍ خَلُوعٍ  
مِنْ النَّاسِ نَعَشَى غُيَّياً أَنْ تَطْلُعَا<sup>(٩)</sup>

□ □ □

الباب السابع عشر:

مَنْ عَاتَبَ عَلَى كُلِّ ذَنْبٍ أَخَاهُ فَخَلِيقٌ أَنْ يَمْلَهُ وَيَقْلَاهُ

أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَسْتَقْبِلِ الْأَمْرَ لَمْ تَجِدْ  
بِكَفِّكَ فِي إِدْبَارِهِ مُتَعَلِّقَا

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَتْرُكْ أَخَاكَ وَزَلَّةً  
إِذَا زَلَّهَا أَوْشَكْتُمَا أَنْ تَفَرَّقَا

وقال العرجي:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَغْفِرْ ذُنُوباً كَثِيرَةً  
تُرِيكَ لَمْ يَسْلَمْ لَكَ الدَّهْرَ صَاحِبُ

وَمَنْ لَا يُغْمِضُ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ  
وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمُتْ وَهُوَ عَاتِبٌ \*<sup>(١)</sup>

وقال آخر:

أَرَدْتُ لِكَيْ مَا لَا تَرَى لِي زَلَّةً  
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُعْطَى الْكَمَالَ فَيَكْمُلُ

وَمَنْ يَسْأَلُ الْأَيَّامَ نَأْيَ صَدِيقِهِ  
وَصَرَفَ اللَّيَالِي يُعْطَى مَا كَانَ يَسْأَلُ

هؤُلاءِ الَّذِينَ ذَكَرْنَا أَشْعَارَهُمْ يُخْبِرُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ إِنَّمَا يَتْرُكُونَ  
مُعَاتَبَةَ أَحْبَابِهِمْ إِشْفَاقاً مِنْ تَغْيِيرِهِمْ لَهُمْ وَأَنْجِرَافِهِمْ عَنْهُمْ. فَإِنْ كَانَ مَا تَرَكُوا  
الْمُعَاتَبَةَ عَلَيْهِ<sup>(٢)</sup> يَرْجِعُ عَلَى أَصْحَابِهِمْ فَقَدْ أَسَاؤُوا، إِذْ لَمْ يُتَبَّهَوْهُمْ عَلَى  
مَوْضِعِهِ، وَآثَرُوا مَنْفَعَةَ أَنْفُسِهِمْ عَلَى مَصَالِحِ أَحِبَّتِهِمْ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَنْباً أَلَّا  
يَتْرُكُوهُ، فَقَدْ كَانَ الْأَجْمَلُ بِإِخْوَانِهِمْ أَلَّا يَذْكُرُوهُ. بَلْ كَانَ مِنْ حَقِّ أَحْبَابِهِمْ  
عَلَيْهِمْ أَلَّا يَتَوَهَّمُوهُ فَضْلاً عَنْ أَنْ يَنْطِقُوا بِهِ لِأَوْلِيَانِهِمْ، أَوْ يُجْرُونَهُ عَلَى خَوَاطِرِ

(١) لم أجد البيتين في ديوانه.

(٢) في الفراغ كلمة «فساه» في «م» والمطبوع، ولا معنى لها.

(٨) انظر تخريج الأبيات في «أشعار الحسين بن الضحاك الخليل».

(٩) انظر مجموع شعره مع التخريج ص ٤٧.

أَعْدَائِهِمْ. وَسَبِيلٌ مِثْلُ هَذَا أَنْ يَعْتَرِفَ بِهِ الْمَحْبُوبُ مُتَذَكِّراً بِذِكْرِهِ وَمُتَصِلًا مِنْ فِعْلِهِ، فَلَا يُضَيِّحُ الْمَحِبُّ لِفَهْمِهِ، وَلَا يُوهِمُ صَاحِبَهُ أَنَّهُ خَطَرَ عَلَى وَهْمِهِ.

ولقد أحسن غاية الإحسان الذي يقول:

وَمُعْتَذِرٍ فَرَطُ إِشْفَاقِهِ أَضَاقَ عَلَيْهِ الَّذِي تَمَّما  
وَلَمْ يَذِرْ أَنْ سَبِيلَ الْإِحْياءِ أَعْظَمُ مِنْ كُلِّ مَا عَظَمَا

وبلغني أن الوضاح الكوفي كتب إلى علي بن محمد العلوي (٣):

خُطَّةٌ فِي الذُّنُوبِ وَالْأَعْتِدَارِ لَيْسَ يُعْنَى بِهَا سِوَى الْأَحْزَارِ  
ضَبْتُ دَرْعاً بِهَا وَقَدْ كُنْتُ أَشْفَى تَ عَلَى الْهَلْكِ مِنْ شَفِيرِ هَارِ  
فَتَجَالَلْتُ عَنْ جَزَاءٍ بِسُوءٍ وَتَرَفَعْتُ عَنْ طَلَابِ بِشَارِ  
ثُمَّ لَمْ تَرْضَ لِي بِذَلِكَ حَتَّى صُنِّتَنِي عَنْ مَذَلَّةِ الْأَعْتِدَارِ  
ثُمَّ أَوْجَبَتْ لِي عَلَى غَيْرِ عَقْدٍ حُرْمَةُ الْمُسْتَجِيرِ بِالْمُسْتَجَارِ  
لَمْ تَرَ الْعَفْوَ مِنْكَ يَقْدَحُ فِي عِرِّ ضِكَ لَمَّا عَفَوْتَ بَعْدَ اقْتِدَارِ

فأجابه علي بن محمد:

لَيْسَ جَوْدُ الرَّبِّيعِ رَاشَفَ وَجْهَ الْأَرْضِ عَنْ مَبْسَمٍ مِنَ الْأَنْوَارِ  
لَا وَلَا الْعَاشِقَانِ ضَمُّهُمَا الشُّوْقُ عَلَى غَايَةِ الْوَسْنَى فِي إِزَارِ  
فَهُمَا مُلَصَّقَانِ كَالسَّاعِدِ الْيَبِ ضَاءٍ عَضُّضَتَهَا بِضِيقِ السَّوَارِ  
كَأَخِ عَهْدِهِ وَعَهْدِي فِي الْوَدِّ دَ كَعَهْدِ الْأَنْوَاءِ وَالْأَمْطَارِ  
رَقٍّ مَعْنَاهُمَا فَلَمْ يَلْبَسَا الْإِيَّامَ إِلَّا عَلَى اقْتِرَابِ الْمَزَارِ  
لَجَّ فِي الْأَعْتِدَارِ مِنْ شَفَقِ الْوَجْدِ حِدٍ وَأَجَلَّلْتُهُ عَنِ الْأَعْتِدَارِ

فَأَهْلُ الصَّفَاءِ هَكَذَا يَجِبُ أَنْ تَجْرِيَ أَحْوَالُهُمْ فِي تَرْكِهِ مَا كَانَ مِنْ حُقُوقِ أَنْفُسِهِمْ، وَالْإِبْدَاءُ يَسْطِ الْعُدْرُ لِإِحْيَائِهِمْ.

(٣) لم أهدت إلى الوضاح الكوفي، وأما علي بن محمد العلوي فقد نبهت عليه.

ولقد أحسن الذي يقول:

إِذَا شِئْتَ أَنْ تُدْعَى كَرِيماً مُكْرَماً حَلِيماً ظَرِيفاً ضَاحِكاً فَطِناً حُرّاً  
إِذَا مَا بَدَتْ مِنْ صَاحِبٍ لَكَ زَلَّةٌ فَكُنْ أَنْتَ مُحْتَالاً لِرِزْلَتِهِ عُدْرًا

هَذَا فِيمَا كَانَ مِنَ الْجَنَائِاتِ لَا يُعِيدُ عَلَى الْمَحْبُوبِ فِي نَفْسِهِ ضَرراً، وَلَا يَبِينُ عَلَى غَيْرِ الْمَحِبِّ آثراً. وَأَمَّا مَا كَانَ مُعِيداً عَلَى الْمَحْبُوبِ عَاراً، فَلَا بُدَّ مِنْ تَنْبِيهِ عَلَيْهِ أَضْطِرَّاراً. وَفِي هَذَا الْمَعْنَى لِمَخْيَسِ بْنِ أَرْطَاةِ التِّمِيمِيِّ (٤):

عَرَضْتُ نَصِيحَةً مِنِّي لِيَخْيِي فَرَدَّ نَصِيحَتِي وَالنُّصْحُ مُرٌّ  
وَمَا بِي أَنْ أَكُونَ أَعِيبٌ يَخْيِي وَيَخْيِي طَاهِرُ الْأَخْلَاقِ بَرٌّ  
وَلَكِنْ قَدْ أَتَانِي أَنْ يَخْيِي يُقَالُ عَلَيْهِ فِي نَفْعَاءِ شَرٍّ  
فَقُلْتُ لَهُ تَجَنَّبْ كُلَّ شَيْءٍ يُعَابُ عَلَيْكَ إِنْ الْحُرُّ حُرٌّ

ولبعض أهل هذا العصر في هذا النحو:

نَصَحْتُ لَكُمْ حِذَاراً أَنْ تُعَابُوا فَعَادَ عَلَيَّ نُصْحُكُمْ وَبَالاً  
فَإِنْ تَكُ قَدْ مَلَلْتَ فَلَا تُخَيِّ وَقُلْ لِي أَنْ أُجَنِّكَ الْوَصَالاً  
فَمَنْ يَطْلُبُ لِصَاحِبِهِ اخْتِلَالاً لِيَنْقُضَ عَهْدَهُ يُدْرِكُ مَقَالاً  
وَيَمْنَعُنِي الْوَفَاءَ لَكُمْ بِعَهْدِي وَحُسْنُ الظَّنِّ أَنْ أَجِدَ اخْتِلَالاً  
فَتَزْدَادُونَ عِنْدِي كُلَّ وَقْتٍ وَأَنْقُضَ عِنْدَكُمْ حَالاً فَحَالاً  
سَأَصْبِرُ إِنْ أَطَقْتُ الصَّبْرَ حَتَّى تَمَلُّ الْهَجَرَ أَوْ تَهْوَى الْوَصَالاً

وقال بشار بن برد:

إِذَا كُنْتُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِباً صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقَ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ  
فَعِشْ وَاحِداً أَوْ صِلْ صَدِيقَكَ إِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهُ  
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَاراً عَلَى الْقَدَى ظَمِئَتْ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ \*

(٤) هو المخيس بن أرتاة الأعرجي كما في معجم الشعراء ص ٤٥٣، وهو أبو شمال الراجز،

شامي وهو مدرك بن حصن أيضاً، انظر الخزائن ١٨٧/٣.

(\*) الأبيات في ديوان بشار (بدر الدين العلوي) ص ٤٤.

وقال العرجي:

ذَهَبَ النَّهَارُ وَمَا يُبَوِّحُ بِمَا بِهِ  
اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَرَكْتَ عِتَابَهُ  
لَكِنْ مَخَافَةٌ أَنْ أَصَاحِبَ صَاحِبًا  
وَالصَّوْمُ تَنْبِيءٌ بِالْمِرَا أَسْبَابُهُ (٥)

وقال آخر:

وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُوْطِنُ نَفْسَهُ  
وَفِي الشَّكِّ تَفْرِيطٌ وَفِي الْحَزْمِ قُوَّةٌ  
وَلَسْتُ بِمُسْتَبَقٍ صَدِيقًا وَلَا أَخًا  
إِذَا لَمْ تَعُدَّ الشَّيْءَ وَهُوَ قَرِيبٌ

وقال الحسن بن وهب (٦):

دَعَوْتُكَ فِي الْجُلَى وَقَدْ ضَاقَ مَضْدَرِي  
فَأَصْصَمْتُ عَنِّي أُذُنًا سَمِيعَةً  
فَمَا ضَاقَ عَنْكَ الْعُذْرُ عِنْدِي وَلَا نَبَا  
وَقُلْتُ زَمَانًا قَدْ نَهَى النَّاسَ كُلَّهُمْ  
وَأَمَلْتُ أَمَّا تَنْوِبُ وَرَجَعَةٌ

وقال عمر بن لجأ (٧):

مَنْعَتْ عَسَاءَنَا وَلَوِيتَ دَيْنِي  
فَمَا لَكَ إِنْ لَوِيتَ الَّذِينَ عَنِّي  
وَأَعْدَدْتَ الْخُصُومَةَ لِلْخَصِيمِ  
مُعَاقِبَةً فَيَا لَكَ مِنْ غَرِيمِ

(٥) الأبيات في الديوان ص ٢٤ مع اختلاف في الرواية.

(٦) هو الحسن بن وهب... الحارثي، من الكتاب، كتب لمحمد بن عبد الملك الزيات.  
انظر الأغاني ٥٣٣/٢٢ - ٥٦٣، أخبار أبي تمام ص ص ١٨٣ - ٢١٠، زهر  
الأدب ٦٤٤/٣، تهذيب ابن عساكر ٢٥٢/٤ - ٢٥٤، فوات الوفيات ١/٢٦٧، ابن  
خلكان ١٤٥/٢.

(٧) هو عمر بن لجأ من شعراء الدولة الأموية، اشتهر بما كان بينه وبين جر من معارضات،  
انظر طبقات ابن المعتز ص ٨٩، الشعر والشعراء (لیدن) ص ص ٤٢٨ - ٤٢٩،  
الخزاعة ٥٨٣/٣. وقد جاء في «م» والمطبوع: عمر بن نجا.

وقال مسلم بن الوليد:

إِذَا التَّقِينَا مَنَعْنَا النَّوْمَ أَعِينَنَا  
أَقْرَبُ بِالذَّنْبِ مِنِّي لَسْتُ أَعْرِفُهُ  
وَلَا نُلَانِمُ نَوْمًا حِينَ نَفْتَرِقُ  
كَيْمَا أَقُولُ كَمَا قَالَتْ فَتَنْفِقُ (٨)

وقال آخر:

إِنْ سُمِّتِي ذُلًّا فَعِفْتُ أَحْتِمَالَهُ  
فَهَا أَنَا مُسْتَرَضِيكَ لَا مِنْ جِنَايَةٍ  
عَضِبْتَ وَمَنْ يَأْتِ الْمَذَلَّةَ يُعْذِرُ  
عَلَيْكَ وَلَكِنْ مِنْ تَجَنُّبِكَ فَأَعْذِرُ

ولبعض أهل هذا العصر:

زَعَمْتَ بِنَفْسِي [أَنْتَ] أَنْكَ مُغْرَمٌ  
أَعِدْ نَظْرًا فِيمَا أَدْعَيْتَ وَلَا تَحِدْ  
أَمَنْ يَتَجَنَّبُ ثُمَّ يُنْكِرُ مَا جَنَى  
وَلَوْ كُنْتَ تَجْزَى بِالدِّي تَسْتَحِقُّهُ  
فَأَغْضِي عَلَى جَمْرِ الْغَضَا خَشْيَةَ الْقَلْبِ  
فَحَتَامَ لَا أَنْفُكَ شَوْقًا إِلَى الرِّضَا  
وَمَا لِي مِنْ ذَنْبٍ إِلَيْكَ تَعُدُّهُ  
وَمَا غَرَضِي فِي أَنْ أَتَيْتَ حُجَّةً  
إِلَيْكَ مَقَرِّي مِنْكَ لَا عَنْ وَسِيلَةٍ  
فَإِنْ تَأْتِ مَا أَهْوَى فَعَبْدُ نَعِشْتُهُ  
فَرَأَيْكَ فِيمَنْ أَنْتَ مَالِكُ رِقِهِ

وقال المؤمل (٩):

شَفَّ الْمُؤْمَلُ يَوْمَ الْحِيرَةِ النَّظْرُ  
لَيْتَ الْمُؤْمَلُ لَمْ يُخْلَقْ لَهُ بَصَرُ

(٨) البيتان في الديوان ص ٣٢٨، وفي طبقات ابن المعتز ص ١١١ مع بيت ثالث.

(٩) سبق التعريف به، وهو المؤمل بن أميل المحاربي.

حَسْبُ الْمُجِبِّينَ فِي الدُّنْيَا عَذَابُهُمْ  
صِفِ الْأَجَبَةَ مَا لَا قَيْتَ مِنْ سَهَرٍ  
لَمَّا رَمَتْ مَقْتَلِي قَالَتْ لِجَارَتِهَا  
قَتَلْتُ شَاعِرَ هَذَا الْحَيِّ مِنْ مُضَرٍ  
وَإِنَّمَا أَفْصَدْتُ قَلْبِي بِمُقْلَتِهَا  
أَحْبَبْتُ مِنْ حُبِّهَا قَوْمًا ذَوِي إِحْنٍ  
إِنِّي لَأَصْفَحُ عَنْهَا حِينَ تَظْلِمُنِي

وقال آخر:

مَسْنِي مِنْ صُدُودٍ إِلْفِي ضُرٌّ  
مَسْنِي ضُرُّهُ فَأَوْجَعَ قَلْبِي

وقال آخر:

أَيَا سُلْمَى دَفَعْتُ إِلَيْكَ نَفْسِي  
وَقَالُوا عَذَّبْتُكَ فَقُلْتُ كَلًّا

وقال أبو تمام حبيب:

أَسْرَفْتُ فِي مَنَعِي وَعَادَتِكَ أَلْبِي  
لَمْ أَلْ فِيكَ تَلْطُفًا وَتَعَسُفًا  
وَأَرَاكَ تَدْفَعُ حُرْمَتِي فَأُظَنِّي

وقال أيضاً:

وَجَدْتُ صَبْرِيحَ الْحَزْمِ وَالرَّأْيَ لِأَمْرِي  
فَنَقَلْتُ بِالتَّخْفِيفِ عَنْكَ وَبَعْضُهُمْ

(١٠) الأبيات في الديوان ٤/٤٧٥.

(١١) المصدر السابق ٣/١٠٦، ١١١.

وَاللَّهِ لَا عَذَابَهُمْ بَعْدَهَا سَقَرُ  
إِنَّ الْأَجَبَةَ لَا يَذْرُونَ مَا السَّهَرُ  
إِنِّي قَتَلْتُ قَيْلًا مَا لَهُ خَطَرُ  
أَلَلُّهُ يَعْلَمُ مَا تَرْضَى بِذَا مُضَرٍ  
مَا كَانَ قَوْمٌ وَلَا سَهْمٌ وَلَا وَتَرُ  
بَيْنِي وَبَيْنَهُمُ النَّيِّرَانُ تَسْتَعِيرُ  
وَكَيْفَ مِنْ نَفْسِهِ الْإِنْسَانُ يَنْتَصِرُ

فَبَنَاتُ الْفُؤَادِ مَا تَسْتَقِرُّ  
غَيْرَ أَنِّي بِذَاكَ مِنْهُ أَسْرُ

بَرِئْتُ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِي بَرِئْتُ  
رَضِيتُ بِمَنْ يُعَذِّبُنِي رَضِيتُ

مَلَكَتْ عِنَانَكَ أَنْ تَجُودَ فُتْسِرَفَا  
وَتَأْلُفَا وَتَحِيفَا وَتَعَطُفَا  
ثَقُلْتُ غَيْرَ مُؤْتَبٍ فَأَخْفِيفَا (١٠)

إِذَا مَلَكَتْهُ الشَّمْسُ أَنْ يَتَحَوَّلَا \*  
يُخَفِّفُ فِي الْحَاجَاتِ حَتَّى يُثَقِّلَا (١١)

وقال عمر بن أبي ربيعة:

بِاللَّهِ قُولِي لَهُ فِي غَيْرِ مَعْتَبَةٍ  
إِنْ كُنْتُ حَاوَلْتُ دُنْيَا أَوْ قَبِعْتُ بِهَا  
مَاذَا أَرَدْتَ بِطُولِ أَلْمَكِثِ بِالْيَمَنِ  
فَمَا أَصَبْتَ بِتَرْكِ الْحَجِّ مِنْ ثَمَنِ (١٢)

وقال الراعي:

وَكَمْ جَسَمْنَا إِلَيْكُمْ سَيْرَ مُودِيَةٍ  
حَمَاءُ غِبْرَاءَ يَخْشَى أَلْمُدْلُونُ بِهَا  
كَأَنَّ أَعْلَامَهَا فِي [أَفْقِهَا الْقَرْعُ  
رَبِيعَ أَلْهَدَاةٍ بِأَرْضِ أَهْلِهَا شَيْعُ  
فَإِنْ تَجُودُوا فَقَدْ حَاوَلْتُ جُودَكُمْ  
وَإِنْ تَضُنُّوا فَلَا لَوْمَ وَلَا فَرْعُ

وَهَذِهِ أَحْوَالُ كُلِّهَا لَطِيفَةٌ وَمُطَالِبَاتٌ جَمِيلَةٌ، وَأَشْنَعُ مِنْهَا لَفْظًا،  
وَأَنْقَضُ (١٣) مِنْ هَذَا مَعْنَى قول البحري:

لَا تَهْتَبِلْ إِغْضَاءَتِي إِذْ كُنْتُ قَدْ  
أَغْبَيْتُ سَيِّكَ كَنِي يَجْمُ وَإِنَّمَا  
أَغْضَيْتُ مُشْتِمَلًا عَلَى جَمْرِ الْقَضَى  
عُمِدَ الْحَسَامِ أَلْمَشْرِفِي لِيُتَضَى  
وَسَكَتُ إِلَّا أَنْ أَعْرِضَ قَائِلًا  
قَوْلًا وَصَرَّحَ جَهْدُهُ مِنْ عَرَضَا (١٤)

وفي هذا النحو لبعض أهل هذا الزمان:

يَا عَالِمًا بِالَّذِي أَلْقَى مِنَ الْكَرْبِ  
لَا تَغْتَنِمَ صَفْحَ مَطْوِيٍّ عَلَى كَيْدٍ  
إِرْفِقْ بِعَيْنِكَ لَا تُعْطِبْ فِدَاكَ أَبِي  
خَرَى وَقَلْبَ بِنَارِ الشُّوقِ مُلْتَهَبِ  
لَوْ كُنْتُ مِنْبَلِي لَمْ تَصْبِرْ عَلَى كَمَدِي  
أَوْ كُنْتُ مِثْلَكَ لَمْ أَفْعَلْ كَفْعَلِكَ بِي  
إِنْ كَانَ ذَا أَلْهَجْرُ تَأْدِيًّا فَحَسْبُكَ مَا  
قَدَّمْتُ مِنْهُ فَقَدْ بَالِغَتْ فِي أَدْبِي

وَقَدْ قَالَ أَلْمَلَمْسُ مَا يَخْرُجُ قُبْحًا وَحَفَاءً عَنْ هَذَا أَلْبَابِ، وَلَا يَصْلُحُ أَنْ  
يَجْرِيَ فِي أَلْمَخَاطَبَةِ بَيْنَ الْأَحْبَابِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ:

(١٢) البيتان في الديوان ص ٢١٧.

(١٣) الأبيات في الديوان مع اختلاف في الرواية. وانظر تخريج القصيدة.

(١٤) من الديوان ص ١٢٠١.

بَعْدُ الْقُلُوبِ عَلَى قُرْبِ الْمَزَارِ أَشَدُّ مِنْ بَعْدِ الدِّيارِ مِنَ الدِّيارِ

أَلْهَجِرُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَضْرَبٍ: هَجْرُ مَلَالٍ، وَهَجْرُ دَلَالٍ، وَهَجْرُ مُكَافَاةٍ عَلَى الذُّنُوبِ، وَهَجْرُ يُوجِبُهُ الْمُتَمَكِّنُ فِي الْقُلُوبِ. فَأَمَّا هَجْرُ الدَّلَالِ فَهُوَ الَّذِي مِنْ كَثِيرِ الْوَصَالِ. وَأَمَّا هَجْرُ الْمَلَالِ فَيَبْطِلُهُ مِنَ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي إِمَّا بِتَنَائِي الدَّارِ، وَإِمَّا بِطُولِ الْإِهْتِجَارِ.

وفي مثل ذلك يقول الشاعر:

لَا تَجْزَعَنَّ مِنْ هَجْرِ ذِي مَلَةٍ أَظْهَرَ بَعْدَ الْوَصْلِ هَجْرَانَا  
يَمَلُّ هَذَا مِثْلَ مَا مَلَّ ذَا فَيَرْجِعُ الْوَصْلُ كَمَا كَانَا

وَأَمَّا أَلْهَجِرُ الَّذِي يَتَوَلَّدُ عَنِ الذَّنْبِ، فَالْتَوْبَةُ تُخْرِجُهُ عَنِ الْقَلْبِ. وَأَمَّا أَلْهَجِرُ الَّذِي يُوجِبُهُ الْبُخْصُ الطَّبِيعِيُّ، فَهُوَ الَّذِي لَا دَوَاءَ لَهُ، وَقَدْ قَالَ الْجَاحِظُ: بِكُلِّ شَيْءٍ رَفِيقٌ، وَرَفِيقُ الْمَوْتِ أَلْهَجِرُ. وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ، بَلْ لِكُلِّ شَيْءٍ رَفِيقٌ، وَرَفِيقُ أَلْهَجِرِ الْمَوْتُ.

الم تسمع قول ذي الرمة:

سَأَلْتُ ذَوِي الْأَهْوَاءِ وَالنَّاسَ كُلَّهُمْ وَكُلَّ فَتَى دَانٍ وَآخَرَ يَنْزِخُ  
أَتَقَرَّحُ أَكْبَادُ الْمُجِيبِينَ كَالَّذِي أَرَى كَيْدِي مِنْ حُبِّ مِئَةٍ تُفَرِّحُ  
لَئِنْ كَانَتْ الدُّنْيَا عَلَيَّ كَمَا أَرَى تَبَارِيحَ مِنْ مَيٍّ فَلَلَمَوْتُ أَرْوَحُ<sup>(١)</sup>

(١) لم أجد الأبيات في الديوان.

وَمَا كُنْتُ إِلَّا مِثْلَ قَاطِعِ كَفِّهِ بِكَفِّ لَهُ أُخْرَى فَأَصْبَحَ أَجْدَمًا  
يَدَا؟ أَصَابَتْ هَذِهِ حَنْفَ هُدَاهِ فَلَمْ تَجِدِ الْأُخْرَى عَلَيْهَا مُقَدَّمًا  
فَاطْرَقَ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ يَرَى مَسَاغًا لِنَابِيهِ الشُّجَاعُ لَصَمَّمَا<sup>(١٥)</sup>

وَذَلِكَ أَنَّهُ يُخْبِرُ أَنَّ الْجَنَائَةَ قَدْ أَثَرَتْ فِي قَلْبِهِ وَوَلَدَتْ حِقْدًا فِي نَفْسِهِ. وَأَنَّ الَّذِي يَمْنَعُهُ مِنْ أَنْ يَنْتَقِمَ خَوْفُهُ مِنْ تَزَايُدِ الْأَلَمِ، وَأَنَّهُ عَلَى أَنْ يُعَاقَبَ إِذَا آمِنَ الْعَوَاقِبَ وَالْمُعَاتَبَةَ. بَلِ الْمُعَاقَبَةُ أَحْسَنُ مِنَ الْأَغْضَاءِ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ. وفي نحو هذا المعنى يقول الوليد بن عبيد الطائي:

وَإِذَا رَجَوْتُ ثَنَّتْ رَجَائِي شَكِيَّةٌ مِنْ عَاتِبٍ فِي الْحَبِّ غَيْرِ مُعَاتِبٍ  
لَوْ كَانَ ذَنْبِي غَيْرَ حُبِّكَ أَنَّهُ ذَنْبِي إِلَيْكَ لَكُنْتُ أَوَّلَ تَائِبٍ<sup>(١٦)</sup>

أَفَلَا تَرَى أَنَّهُ يُخْبِرُ أَنَّ الْأَغْضَاءَ عَلَى الْمُعَاتَبَةِ عَلَى الذَّنْبِ مَعَ مَقَامِ الضَّمِيرِ عَلَى الْعُتْبِ يَقْطَعُ الرَّجَاءَ وَيُؤَيِّسُ مِنَ الْوَدَاءِ؟

□ □ □

(١٥) انظر ديوان المتلمس ص ٣٢ مع اختلاف في الرواية.

(١٦) ديوان البحري ص ١٥٩.

وفي مثله يقول بعض أهل هذا العصر:

مَا لِي أَلْقَيْتُ وَجْهًا غَيْرَ مُلْتَفِتٍ      نَحْوِي وَأَعْطِفْتُ قَلْبًا غَيْرَ مُنْعَطِفٍ  
يُغْرَى بِهِ جَرِي كَمَا أُغْرَى بِأَلْفَتِهِ      هَذَا لَعَمْرِي وَدَادُ جِدِّ مُخْتَلِفٍ  
حَجَبْتُ عَيْنِي عَنِ الدُّنْيَا وَنَضَرْتُهَا      شَوْقًا وَأَبْرَزْتُهَا لِلْحُزَنِ وَالْأَسَفِ  
إِلَّا تَكُنْ تَلَفْتُ نَفْسِي عَلَيْكَ فَقَدْ      أَصْبَحْتُ وَاللَّهِ مُشْتَاقًا إِلَى التَّلَفِ

وفي نحو ذلك يقول قيس بن الملوح:

فَوَاللَّهِ ثُمَّ اللَّهُ إِلَيَّ لَسَائِبُ      أَفَكَّرُ مَا ذَنْبِي إِلَيْهَا فَأَعْجَبُ  
وَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي عِلَامَ صِرْمَتِي      وَأَيُّ أُمُورِي فِيكَ يَا لَيْلُ أَرْكَبُ  
أَقْطَعُ حَبْلَ الْوَصْلِ فَأَلْمُوتُ دُونَهُ      أَمْ أَشْرَبُ كَأَسَا مِنْكُمْ لَيْسَ تُشْرَبُ  
أَمْ أَهْرُبُ حَتَّى لَا أَرَى لِي مُجَاوِرًا      أَمْ أَفْعَلُ مَاذَا أَمْ أَبُوحُ فَأَغْلِبُ  
وَلِنْهُمَا يَا لَيْلُ إِنْ تَفْعَلِي بِنَا      فَآخِرُ مَهْجُورٍ وَأَوَّلُ مُعْتَبُ<sup>(٢)</sup>

وَمَا قِيلَ فِي هَذَا الِالْمَعْنَى مِنَ الْأَشْعَارِ الْقَدِيمَةِ وَالْمُحَدَّثَةِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحِيطَ بِهِ كِتَابٌ، فَضَّلَا عَنْ أَنْ يَتَضَمَّنَهُ بَابٌ.

وقال خالد الكاتب<sup>(٣)</sup>:

أَرَانِي ذَلِيلَ النَّفْسِ مُذْ أَنْتَ عَاتِبٌ      وَآيَةَ نَفْسٍ لَا تَذِلُّ عَلَى الْهَجْرِ  
يُعَاتِبُ بَعْضِي فِيكَ بَعْضًا وَكُلُّهُ      إِلَيْكَ وَحُبُّ الْعَفْوِ يَسْمَحُ بِالْعَذْرِ

وقال بعض الإعراب:

خَلِيلِي هَلْ يُسْتَخْبَرُ الْأَثَلُ وَالْغَضَا      وَمِمْتُ الرُّبَى مِنْ بَطْنِ نَعْمَانَ وَالسِّدْرُ  
وَهَلْ يَتَقَالَى بَعْدَ مَا كَانَ صَافِيًا      خَلِيلَانِ بَانَا لَيْسَ بَيْنَهُمَا وَتَرُ  
نَأَتْ بِهِمَا دَارُ النَّوَى وَتَرَأَقَبَا      عَلَى الْضِغْنِ حَتَّى لَجَّ بَيْنَهُمَا هَجْرُ  
إِذَا رُمَتْ إِلَّا مَا عَدَا الدَّهْرُ يَتَنَّا      وَبَيْنَكَ لَمْ نَلْزِمْكَ مَا صَنَعَ الدَّهْرُ

(٢) الأبيات في ديوان المجنون ص ٤٥، وانظر الأغاني ٢/٢٠.

(٣) سبق التعريف به.

وقال ذو الرمة:

أَلَا لَا أَرَى مِثْلِي يَجُنُّ مِنَ الْهَوَى      وَلَا مِثْلَ مَا أَلْقَى إِذَا الْحَيُّ فَارَقُوا  
وَلَا مِثْلَ مَا أَلْقَى إِذَا الْحَيُّ فَارَقُوا      كَفَى حَسْرَةً فِي النَّفْسِ يَا مَيَّ أَنَّنِي  
أَدُورُ حَوْلَيْكَ الْبُيُوتَ كَأَنَّنِي      إِذَا جِئْتُ عَنْ إِيْتَانِ بَيْتِكَ مُحْرِمُ<sup>(٤)</sup>

وقال أيضاً:

هَوَى لَكَ لَا يَنْفُكُ يَدْعُو كَمَا دَعَا      إِذَا هَمَلْتُ عَيْنِي لَهُ قَالَ صَاحِبِي  
إِذَا هَمَلْتُ عَيْنِي لَهُ قَالَ صَاحِبِي      عَلَامَ وَقَدْ فَارَقْتَ مَيًّا وَفَارَقْتَ  
أَطَاعَتْ بِكَ الْوَأَشِينَ حَتَّى كَأَنَّمَا      كَلَامُكَ إِيَّاهَا عَلَيْكَ حَرَامُ<sup>(٥)</sup>

وأنشدنا أحمد بن أبي طاهر قال أنشدني أبو سعيد المخزومي:

بَقِيَ بِجَمِيلِ الصَّبْرِ مَيِّ عَلَى الدَّهْرِ      وَلَا تَبْقِي بِالصَّبْرِ مَيِّ عَلَى الْفَجْرِ  
فَإِنِّي لَصَبَّارٌ عَلَى مَا يَنْوِبُنِي      وَحَسْبُكَ أَنْ اللَّهَ أَثْنَى عَلَى الصَّبْرِ  
وَلَسْتُ بِنَظَارٍ إِلَى جَانِبِ الْغِنَى      إِذَا كَانَتْ الْعَلْيَاءُ فِي جَانِبِ الْفَقْرِ

وقال الوليد بن عبيد الطائي:

عَذِيرِي مِنَ الْأَيَّامِ رَنْقَنَ مَشْرِبِي      وَلَقَيْتَنِي نَحْسًا مِنَ الطَّيْرِ أَشَامَا  
وَأَكْسَبَنِي سُخْطَ أَمْرِي بِتُ مَوْهِنَا      أَرَى سُخْطَهُ لَيْلًا مَعَ اللَّيْلِ مُظْلَمًا<sup>(٦)</sup>  
نَبْلَجَ عَنْ بَعْضِ الرِّضَا وَأَنْطَوَى عَلَى      بَقِيَّةِ عَتَبٍ شَارَفَتْ أَنْ تَصْرَمَا  
إِذَا قُلْتُ يَوْمًا قَدْ تَجَاوَزَ حَدَّهَا      تَلَبَّثَ فِي أَعْقَابِهَا وَتَلَوَّمَا  
وَأَصِيدَ إِنْ نَارَعْتُهُ الطَّرْفَ رَدَّهُ      كَلِيلًا وَإِنْ رَاجَعْتُهُ الْقَوْلَ أَحْجَمَا

(٤) الأبيات في الديوان ص ٥٦٤ مع اختلاف في الرواية.

(٥) لم أجد الأبيات في ديوان ذي الرمة.

(٦) في «م» والمطبوع: والبستني.

ثَنَاهُ الْعَدَى عَنِّي فَأَصْبَحَ مُعْرِضاً  
وَلَوْ أَنَّنِي وَقُرْتُ شَيْئِي وَقَارَهُ  
لَا تَجَبَّرْتُ أَنْ أُوْمِي إِلَيْكَ بِإِصْبَعٍ  
وَكَانَ الَّذِي يَأْتِي بِهِ الدُّهْرُ هِيناً  
وَلَكِنِّي أَعْلِي مَحَلِّكَ أَنْ أَرَى  
وَلَمْ أَدْرِ مَا أَلَذُّبُ الَّذِي سُوِّتَنِي بِهِ

وانشدني أحمد بن يحيى عن أبي عبد الله بن الأعرابي:

أَلَا أَبْلُغُ أَخَا قَيْسٍ رَسُولاً  
وَلَكِنِّي طَوَيْتُ الْكَشْحَ لِمَا  
فَلَسْتُ بِمُدْرِكٍ مَا فَاتَ مِنِّي  
وَلَسْتُ بِأَمِينٍ أَبَدًا خَلِيلاً  
وَصَلَّتْكَ ثُمَّ عَادَ الْوَصْلُ أَتِي  
فَإِنْ أَعْطَفَ عَلَيْكَ بِفَضْلِ حِلْمٍ

وقال العباس بن الأحنف:

لَوْ كُنْتُ عَاتِيَةً لَسَكُنَ عِبْرَتِي  
لَكِنْ مَلَلْتُ فَلَمْ تَكُنْ لِي حِيلَةً

وقال آخر:

وَمُسْتَوْجِشٍ لَمْ يَمْشِ فِي أَرْضِ غُرْبَةٍ  
إِذَا رَامَ كِتْمَانَ الْهَوَى نَمَّ دَمْعُهُ  
أَلَا أَيُّهَا الْبَيْتُ الَّذِي لَا أَزُورُهُ  
وَهَجْرَانُهُ مِنِّي إِلَيْكَ ذُنُوبُ

(٧) المقطوعة في الديوان ص ١٩٧٨.

(٨) لم أجد البيتين في الديوان.

هَجَرْتُكَ مُشْتَقاً وَزُرْتُكَ خَائِفاً  
سَلَامٌ عَلَى الدَّارِ الَّتِي لَا أَزُورُهَا

وقال أبو نواس:

غَصِضْتُ مِنْكَ بِمَا لَا يَذْفَعُ الْمَاءُ  
قَدْ كَانَ يَقْبَعُكُمْ إِذْ كَانَ رَأْيُكُمْ  
وَمَا جَهِلْتُ مَكَانَ الْأَمْرِكِ بِذَا  
مَا زِلْتُ أَسْمَعُ حَتَّى صِرْتُ ذَاكَ بِمَنْ

وقال أيضاً:

صَلَيْتُ مِنْ حُبِّهَا نَارَيْنِ وَاجِدَةً  
وَقَدْ مَنَعْتُ لِسَانِي أَنْ يَسُوحَ بِهِ  
يَا وَنَحْ أَهْلِي أَبْلَى بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ  
لَوْ كَانَ زُهْدُكَ فِي الدُّنْيَا كَزُهْدِكَ فِي

وَمِنِّي عَلَى الدُّهْرِ فِيكَ رَقِيبُ  
وَإِنْ حَلَّهَا شَخْصٌ إِلَيَّ حَبِيبُ<sup>(٩)</sup>

وَصَحَّ هَجْرُكَ حَتَّى مَا بِهِ دَاءُ  
أَنْ تَهْجُرُونِي مِنَ التَّصْرِيحِ إِيْمَاءُ  
مِنَ الْوُشَاةِ وَلَكِنْ فِي فَمِي مَاءُ  
قَامَتْ قِيَامَتُهُ وَالنَّاسُ أَحْيَاءُ<sup>(١٠)</sup>

جَوْفَ الْفُؤَادِ وَأُخْرَى بَيْنَ أَحْشَائِي  
فَمَا يُعْبِرُ عَنِّي غَيْرُ إِيْمَائِي  
عَلَى الْفِرَاشِ وَلَا يَذْرُونَ مَا دَائِي  
وَصَلِي مَشْيَبٍ بِلَا شَكٍّ عَلَى الْمَاءِ<sup>(١١)</sup>

وَبَلَفَنِي عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَا أَنَا بِالْكَعْبَةِ إِذْ رَأَيْتُ أَبَا السَّائِبِ  
الْمَحْزُومِيَّ مُتَعَلِّقًا بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ وَهُوَ يَقُولُ:

يَا هَجْرُكُفَّ عَنِ الْهَوَى وَدَعِ الْهَوَى  
مَاذَا تُرِيدُ مِنَ الَّذِينَ جُفُونُهُمْ  
وَسَوَابِقُ الْعَبْرَاتِ بَيْنَ خُدُودِهِمْ  
مُتَحَيِّرِينَ مِنَ الْهَوَى الْوَانِهِمْ

قَالَ: فَقُلْتُ: يَا أَبَا السَّائِبِ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ تُشَدُّ مِثْلُ هَذَا؟

(٩) الأبيات في ديوان المجنون ص ٥٥، وهي في زهر الآداب ٧٥/٣ لراشد بن إسحاق.

(١٠) الأبيات في الديوان ص ١٠٩ مع اختلاف في الرواية.

(١١) المصدر السابق ص ٢٣٦.



فَقَالَ: إِلَيْكَ عَيْنِي يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، فَوَاللَّهِ لِلدُّعَاءِ لَهُمْ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ أَفْضَلُ مِنْ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ.

ولقد أحسن الفرزدق حيث يقول:

عَزَفْتُ بِأَعْيَاشٍ وَمَا كَذْتُ تَعْرِفُ وَأَنْكَرْتُ مِنْ حَذَرَاءِ مَا كُنْتُ تَعْرِفُ  
وَلَجَّ بِكَ الْهَجْرَانُ حَتَّى كَأَنَّمَا

تَرَى الْمَوْتَ فِي الْبَيْتِ الَّذِي كُنْتُ تَأْلُفُ<sup>(١٢)</sup>

وقال<sup>(١٣)</sup>:

لَيْنٌ كَانَ فِي الْهَجْرَانِ أَجْرٌ لَقَدْ مَضَى لِي الْأَجْرُ فِي الْهَجْرَانِ مَذًى سَتَانِ  
فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي أَكُلُ ذَوِي هَوَى عَلَى مَا بَنَا أَمْ نَحْنُ مُبْتَلِيَانِ

وقال الحارث بن خالد المخزومي<sup>(١٤)</sup>:

إِنْ يُمْسِرَ حَبْلُكَ بَعْدَ طُولِ تَوَاصُلٍ خَلِقًا وَأَصْبَحَ يَتَكُمُ مَهْجُورًا  
فَلَقَدْ أَرَانِي وَالْجَدِيدُ إِلَى بَلَى زَمْنَا بِوَصْلِكَ رَاضِيًا مَسْرُورًا  
كُنْتُ الْهَوَى وَأَعَزُّ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى عِنْدِي وَكُنْتُ بِذَلِكَ مِنْكَ جَدِيرًا

وقال آخر:

وَقَالَ نِسَاءً لَسَنَ لِي بِنَوَاصِحٍ لِيَعْلَمَنَّ مَا أَخْفِي وَيَعْلَمَنَّ مَا أَبْذِي  
[أ] أَحْبَبْتُ لَيْلَى جُهْدَ حَبِّكَ كُلِّهِ لَعَمْرُ أَبِي لَيْلَى وَرَدْتُ عَلَى الْجُهْدِ  
عَلَى ذَاكَ مَا يَمْحُو لِي الذَّنْبَ عِنْدَهَا وَتَمْحُو دَوَاعِي حُبِّهَا ذَنْبَهَا عِنْدِي  
أَلَا إِنْ قُرْبَ الدَّارِ لَيْسَ بِنَافِعٍ وَقَلْبُ الَّذِي تَهْوَاهُ مِنْكَ عَلَى الْبُعْدِ<sup>(١٥)</sup>

(١٢) لم أجد البيتين في ديوان الفرزدق.

(١٣) القائل غير الفرزدق، وكان ينبغي أن يقول: وقال آخر.

(١٤) الحارث المخزومي من شعراء دولة بني أمية. انظر شرح الحماسة (التبريزي) ٢٤٥/٣.

(١٥) الأبيات في شعر المجنون، انظر الديوان ص ٣٢٥.

ولبعض أهل هذا العصر:

لَعَمْرُكَ مَا قُرْبُ الدِّيَارِ بِنَافِعٍ إِذَا لَمْ يَصِلْ حَبْلُ الْحَبِيبِ حَبِيبُ  
وَلَيْسَ غَرِيبًا مَنْ تَنَاءَتْ دِيَارُهُ وَلَكِنْ مَنْ يُجْفَى فَذَاكَ غَرِيبُ  
وَمَنْ يَغْتَرِبُ وَالْإِلْفُ رَاحٍ لِعَهْدِهِ وَإِنْ جَاوَزَ السَّدَيْنِ فَهُوَ قَرِيبُ

وقال آخر:

لَوْ كُنْتُ فِي بِلَدٍ وَنَحْنُ بِغَيْرِهِ مَا كَانَ عِنْدَكَ فِي الْجَفَاءِ مَزِيدُ  
قُرْبُ الْمَزَارِ وَأَنْتَ نَاءٌ لَا يُرَى وَإِذَا الْقَرِيبُ جَفَاكَ فَهُوَ بَعِيدُ

وقال أبو تمام:

وَنَأَى الْهَجْرُ بِالَّذِي لَا أَسْمِي فَأَنَا مِنْهُ فِي الْقَرِيبِ الْبَعِيدِ  
فَفِرَاقُ أَصَابِنِي مِنْ فِرَاقِ فِرَاقُ أَصَابِنِي مِنْ صُدُودِ  
لَيْسَ مَنْ كَانَ غَائِبًا فَقَدْتُهُ أَلَا سَعِينُ غَيْبًا كَالشَّاهِدِ الْمَفْقُودِ<sup>(١٦)</sup>

وقال البحتري:

يَسُوءُكَ أَلَا عَطَفَ عِنْدَ أَنْعَاطِهِ وَيَشْجِيكَ أَلَا عَذَلَ عِنْدَ اعْتِدَالِهِ  
فَمَا حِيلَةَ الْمُشْتَاكِ فِيمَنْ يَشُوقُهُ إِذَا حَالَ هَذَا الْهَجْرُ دُونَ أَحْتِيَالِهِ<sup>(١٧)</sup>

ولقد أحسن علي بن محمد العلوي في قوله:

هَوَاكَ هُوَ الدُّنْيَا وَتِلْكَ مُلْكُهَا وَهَجْرُكَ مَقْرُونٌ بِكُلِّ هَوَانٍ  
كَذَبْتُكَ مَا قُلْتُ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ بَلَى لَمْ يَجِدْ مَا فَوْقَ ذَاكَ لِسَانِي

□ □ □

(١٦) الأبيات ي ديوان أبي تمام ١٩٠/٤.

(١٧) ديوان البحتري ص ١٦١٩.

مَا عَتَبَ مَنْ اغْتَفَرَ وَلَا أَذْنَبَ مَنْ اعْتَدَرَ

الْمُعْتَدِرُ لَا يَنْفُكُ مِنْ إِحْدَى خَالَتَيْنِ: مَا أَنْ يَكُونَ صَادِقًا أَوْ كَاذِبًا، فَإِنْ كَانَ صَادِقًا فَعُدُّهُ مَقْبُولًا وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَإِنَّهُ لَمْ يَتَجَسَّمْ مَضَاضَةَ الْكَذِبِ فِي نَفْسِهِ إِلَّا لِنَفَاسَةِ صَاحِبِهِ فِي صَدْرِهِ. وَمَنْ كَانَ بِهَذِهِ الْحَالِ قَبْلَ عُذْرِهِ، بَلَّ وَجَبَ شُكْرُهُ.

وقد قال البحرى:

إِقْبَلْ مَعَاذِيرَ مَنْ يَأْتِيكَ مُعْتَذِرًا  
وَقَدْ أَطَاعَكَ مَنْ يُرْضِيكَ ظَاهِرُهُ

ولبعض أهل هذا العصر:

أَنْتَ ابْتَدَأْتَ بِمِعَادِي فَأَوْفِ بِهِ  
وَلَا تَكِلْنِي إِلَى عُذْرِ تَزْخِرُهُ

وله أيضاً:

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مَنْ بَدَانِي بِوَصْلِهِ  
سَاجِرُ نَفْسِي عَنْ تَقَاضِيهِ رَاضِيًا  
وَأَخُذُ مِنْهُ الْعَفْوَ مَا دَامَ بَاخِلًا  
فَرُبَّ اعْتِذَارٍ قَدْ تَمَنَيْتُ أَنْبِي

(١) ديوان البحرى ص ١١٠٥.

وقال آخر:

لَمْ أَجِنْ ذَنْبًا فَإِنْ رَعِمْتَ بِأَنْ  
قَدْ تَطَرَّفَ الْكَفُّ عَيْنَ صَاحِبِهَا

وقال آخر:

مَا أَحْسَنَ الْعَفْوَ مِنَ الْقَادِرِ  
إِنْ كَانَ لِي ذَنْبٌ وَلَا ذَنْبٌ لِي  
أَعُوذُ بِالْوَدِّ الَّذِي بَيْنَنَا

وقال آخر:

هَبْنِي أَسَأْتُ وَقَدْ أَتَيْتُ  
فَأَنَا أَتُوبُ وَمَا أَسَأْتُ

وقال آخر:

هَبْنِي يَا مُعَذِّبَتِي أَسَأْتُ  
فَأَتَيْنَ الْفَضْلُ مِنْكَ فَذَنْتُكَ نَفْسِي

ولبعض أهل هذا العصر:

لِجُرْمِي عِقَابٌ وَالتَّجَاوُزُ مُمَكِّنٌ  
فَإِنْ لَمْ تُجَاوِزْ حَسَبَ مَا تَسْتَحِقُّهُ

وله أيضاً:

الْعُذْرُ يُلْحَقُهُ التَّحْرِيفُ وَالْكَذِبُ  
وَقَدْ أَسَأْتُ فَبِالنُّعْمَى الَّتِي سَلَفَتْ

وقال آخر:

لَا وَالَّذِي إِنْ كَذَبْتُ الْيَوْمَ عَذْبِي  
مَا قَرَّتْ الْعَيْنُ بِالْأَبْدَالِ بَعْدَكُمْ

إِنِّي وَجَدْتُ بِكُمْ مَا لَمْ يَجِدْ أَحَدٌ  
وقال البحتري:

أَنْسَى مَنْ يُذَكِّرُنِيهِ إِلَّا  
رَقْدٌ أَكْدَى الصَّوَابِ عَلَيَّ حَتَّى  
فَإِنْ لَا تَحْسِبِ الْحَسَنَاتِ مِنْهَا  
أَتُوبُ مِنَ الْإِسَاءَةِ إِنْ أَلَمْتُ  
وَدَدْتُ لَهُ يُعَدُّ وَلَا ضَرِيبُ<sup>(٢)</sup>  
وَدَدْتُ بِأَنْ شَانِي الْمَصِيبُ  
لِصَاحِبِهَا فَلَا تُحْصَى الذُّنُوبُ  
وَأَعْرِفُ مَنْ يُسِيءُ وَلَا يُتُوبُ<sup>(٣)</sup>

وقال أيضاً:

اللَّهُ يَعْلَمُ وَالْدُنْيَا مُنْغَصَّةٌ  
لَأَنْتَ عِنْدِي وَإِنْ سَاءَتْ ظُنُونُكَ بِي  
أَخْطِئُ مِنَ الْأَمْنِ عِنْدَ الْخَائِفِ الْوَجِلِ<sup>(٤)</sup>  
وَالْعَيْشُ مُتَقَلِّ وَالْدَّهْرُ ذُو دُولِ

ولعبيد الله بن عبد الله بن طاهر<sup>(٥)</sup>:

إِغْتَفِرْ زَلَّتِي لِتُحَرِّزَ فَضْلَ الشُّكْرِ  
لَا تَكِلْنِي إِلَى التَّوَسُّلِ بِالْعُدَى  
رِ مِئِي وَلَا يَفُوتَكَ أَجْرِي  
رِ لَعَلِّي إِلَّا أَقُومَ بِعُذْرِي  
وقال آخر:

فَإِنْ لَا أَكُنْ لِلْفَضْلِ أَهْلًا فَإِنَّكُمْ  
فَفَضْلُكَ أَرْجُو لَا الْبَرَاءَةَ إِنَّهُ  
بِفَضْلِكُمْ لِلْعَفْوِ عَنْ مُذْنِبِ أَهْلِ  
أَبَى اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَكَ الْفَضْلُ  
وقال محمد بن عبد الملك الزيات<sup>(٦)</sup>:

رَفَعَ اللَّهُ عَنْكَ نَائِبَةَ الدَّهْرِ  
رِ وَحَاشَاكَ أَنْ تَكُونَ عَلِيلًا

(٢) في «م» والمطبوع: يذكر فيه.

(٣) الديوان ص ٢٥٦ مع اختلاف في الرواية.

(٤) لم أجد البيت في ديوان البحتري.

(٥) في «م» والمطبوع: لعبيد الله بن طاهر.

(٦) محمد بن عبد الملك الزيات، وزير المعتصم، من بلغاء الكتاب والشعراء، توفي سنة ٢٣٣هـ. انظر: وفيات الأعيان ٥٤/٢، تاريخ بغداد ٤٣٢/٢.

أَشْهَدُ اللَّهَ مَا عَلِمْتُ وَمَا ذَا  
فَأَجْعَلَنِي لِي إِلَى التَّوَسُّلِ بِالْعُدَى  
فَقَدِيمًا مَا جَادَ ذُو الْفَضْلِ بِالصَّفْحِ  
كَ مِنْ الْعُذْرِ جَائِزًا مَقْبُولًا  
رِ سَبِيلًا إِذْ لَمْ أَجِدْ لِي سَبِيلًا  
وَمَا سَامَحَ الْخَلِيلُ الْخَلِيلًا

وقال الحسين الخليل:

بِنَفْسِي حَبِيبٌ لَا يَمَلُّ التَّعَبَا  
يُطِيلُ ضِرَارِي بِأَمْتِحَانِ صَبَابَتِي  
فَلَسْتُ أَنَا حِي غَيْرُهُ مَذْ عَرَفْتُهُ  
أَيَا مَنْ تَجَنَّى الذَّنْبَ أَعْلَمُ أَنَّهُ  
أَمَّا لِخُضُوعِي مِنْ ضَمِيرِكَ شَافِعُ  
إِذَا زِدْتُهُ فِي الْعُذْرِ زَادَ تَعَصُّبَا  
وَقَدْ عَلِمَ أَلَمْكَتُونَ مِنْهَا أَلْمَغِيَا  
فَأَنْظُرْ إِلَّا خَائِفًا مُتَرَقِّبَا  
عَلَى ثِقَةٍ أَنْ لَسْتُ بِالْغَيْبِ مُذْنِبَا  
مِنْ أَلْسَمِ [قَدْ يَشْفِي] أَلْمَلِجِ أَلْمُعَذَّبَا

أَمَّا أَعْتَذَارُهُ بِأَنَّهُ لَا يُنَاجِي غَيْرَ صَاحِبِهِ إِلَّا خَائِفًا مُتَرَقِّبًا فَفَبِجْ جِدًا<sup>(٧)</sup>  
وَلَعَمْرِي إِنَّ الْأَصْرَارَ عَلَى الْعُذْرِ، أَصْلَحُ مِنَ التَّنَاضُلِ بِهَذَا الْعُذْرِ، [إِذْ] مَنْ لَمْ  
يَكُنْ عَلَيْهِ رَيْبٌ مِنْ نَفْسِهِ يَصُونُهَا عَنْ مَكَارِهِ إِيَّاهُ، فَلَا دَرْكَ فِي مَوَدَّتِهِ.

وقد قال بعض أهل هذا العصر في هذا النحو:

كَأَنَّ رَقِيبًا مِنْكَ يَرَعَى خَوَاطِرِي  
فَمَا عَايَنْتَ عَيْنَايَ بَعْدَكَ مَنْظَرًا  
وَلَا بَدَرْتُ مِنْ فِي بَعْدَكَ مَرْحَةً  
إِذَا مَا تَسَلَّى الْغَابِرُونَ عَنِ الْهَوَى  
وَجَدْتُ الَّذِي يُسَلِّي سِوَايَ يَشُوقُنِي  
وَفَتَيَانِ صَدَقَ قَدْ سَمِعْتُ لِقَاءَهُمْ  
وَمَا أَلْزَهُدُ أَسْلَى عَنْهُمْ غَيْرَ أَنِّي  
وَأَخَرُ يَرَعَى نَاطِرِي وَلِسَانِي  
يَسُوءُكَ إِلَّا قُلْتُ قَدْ رَمَقَانِي  
لِغَيْرِكَ إِلَّا قُلْتُ قَدْ سَمِعَانِي  
عَلَى الْقَلْبِ إِلَّا عَرَجَا بِعِنَانِ  
بِشْرَبِ مُدَامٍ أَوْ سَمَاعِ قِيَانِ  
إِلَى قُرْبِكُمْ حَتَّى أَمَلُ مَكَانِي  
وَعَفَفْتُ طَرْفِي عَنْهُمْ وَلِسَانِي  
أَرَاكَ عَلَى كُلِّ أَلْجَهَاتِ تَرَانِي

(٧) انظر تخرج الأبيات في أشعار الحسين الخليل.

وَأَنْتُمْ مِنْ هَذَا قَوْلِ مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ:

رَحَلْتُ مُذْ يَوْمٍ نَادَوْا بِالرَّحِيلِ عَلَى  
أَغْضَتْ عَنِ الْخَلْقِ عَيْنِي مَا تَرَى حَسَنًا  
وَقَالَ آخَرُ:

لَا يَشِيءُ صَدَدَتْ عَيْنِي  
أَكَاكَ مِنِّي فَعَالَ سُوءٍ  
إِنْ شَفِيعِي إِلَيْكَ مِنِّي  
فَبِالَّذِي سَاقَنِي ذَلِيلًا

وَقَالَ آخَرُ:

كُلَّ يَوْمٍ يَقُولُ لِي لَكَ ذَنْبٌ  
فَأَنَا الدَّهْرُ فِي اعْتِدَارٍ إِلَيْهِ  
رُبَّمَا جِئْتُهُ أَسْلِفُهُ الْعُدُ

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ:

عَفَا اللَّهُ عَنْكَ مَا حُرْمَةً  
أَلَمْ تَرَ عَبْدًا عَدَا طَوْرَهُ  
وَمُفْسِدًا أَمْرًا تَلَافَيْتَهُ  
أَقْلَنِي أَقَالَكَ مَنْ لَمْ يَزَلْ  
لَيْثٌ جَلَّ ذَنْبٌ وَلَمْ أَعْتَمِدْهُ

وَقَالَ الْبَحْثَرِيُّ:

يُخَوِّفُنِي مِنْ سُوءِ رَأْيِكَ مَعَشَرٌ  
أَعِيدُكَ أَنْ أَخْشَاكَ مِنْ غَيْرِ حَادِثٍ  
وَلَا خَوْفَ إِلَّا أَنْ تَجُورَ وَتَظْلِمَا  
أَتَيْتُ وَلَا جُرْمَ إِلَيْكَ تَقْدَمَا

(٨) لم أجد البيتين في الديوان.

(٩) المقطوعة في الديوان ص ٧٧ وانظر التخريج.

أَقْرُبَ بِمَا لَمْ أَجْنِهِ مُتَنَصِّلًا

وَقَالَ آيضًا:

وَعَتَابِ خَلٍّ قَدْ سَمِعْتُ فَلَمْ أَكُنْ  
طَافَ الْوُشَاةُ بِهِ فَأَحَذَتْ ظِلْمَةً  
غَضَبَانُ حُمِلَ إِحْنَةً لَوْ حُمِلَتْ  
مَهْلًا فِذَاكَ أَخُوكَ قَدْ أَلْهَيْتَهُ  
خَزْيَانُ أَكْبَرَ أَنْ تَظُنَّ جَنَائِيَّةَ  
مَاذَا تَوَهَّمُ أَنْ يَقُولَ وَقَوْلُهُ  
أَبْنَوْتُ عَنْكَ بِزَعْمِهِمْ وَمَتَى نَبَا

وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ هَذَا الْعَصْرِ:

أَخُوكَ الَّذِي أَمْسَى بِذِكْرِكَ مُغْرَمًا  
فَإِنْ لَمْ تَصِلْهُ رُغْبَةً فِي وَصَالِهِ  
فَقَدْ وَالَّذِي عَافَاكَ مِمَّا آتَى بِهِ  
وَبِاللَّهِ مَا كَانَ الصُّدُودُ الَّذِي مَضَى  
فَلَا تَحْرِبَنَّ بِالْغَدْرِ مَنْ صَدَّ مُكْرَهَا  
فَلَمْ يُلْهِهِ عَنْكَ السُّلُوكُ وَإِنَّمَا

وَقَالَ آخَرُ:

كُجِلْتُ مُقْلَتِي بِشَوْكِ الْقَتَادِ  
يَا أَجِي الْبَاذِلُ الْمَوْدَةَ وَالنَّارَ  
مَنْعَتَنِي عَلَيْكَ رِقَّةٌ قَلْبِي  
لَوْ بِأَذْنِي سَمِعْتُ مِنْكَ أُنِينًا

(١٠) انظر الديوان ص ١٩٨٠.

(١١) المصدر السابق ص ص ١١٩٦، ١١٩٧.

إِذَا ظَهَرَ الْغَدْرُ سَهْلَ الْهَجْرِ

الْعِلَّةُ فِي سُهولة الْهَجْرِ عِنْدَ ظُهُورِ الْغَدْرِ ضَرْبٌ مِنَ الْمَكْرُوهِ. وَكُلُّ  
مَكْرُوهِ فَبَعْدُ النَّفْسِ عَنْهُ خَيْرٌ لَهَا مِنَ الْقُرْبِ مِنْهُ. وَعَلَى أَنَّ نَفْسَ الْمُحِبِّ إِذَا  
اسْتَيْقَنَتْ بِالْغَدْرِ لَمْ تَرْضَ بِمُقَاوَمَةِ الْهَجْرِ، لِأَنَّ فِي الْهَجْرِ ضَرْباً<sup>(١)</sup> مِنَ التَّأْدِيبِ  
وَضَرْباً<sup>(٢)</sup> مِنَ الْإِنْتِقَامِ وَالنَّفْسُ الْمُرَّةُ لَا تَعْبَأُ بِمَنْ غَدَرَ بِهَا، وَلَا تَسْتَصْلِحُهُ  
بِمُعَاتَبَةٍ وَلَا تَرْضَاهُ بِمُعَاقَبَةٍ. بَلْ تُخَلِّي فِكْرَهَا عَنْ ذِكْرِهَا، وَتَصُونُ خَوَاطِرَهَا عَنْ  
الْخَوْصِ فِي أَمْرِهَا.

وفي هذا النحو يقول بعض أهل هذا العصر:

يَا قَلْبُ قَدْ خَانَ مَنْ كَلَّفَتْ بِهِ فَخَلَّ عَنْكَ الْبُكَاءُ فِي أَثَرِهِ  
شُغْلُكَ بِالْفِكْرِ فِي تَغْيِيرِهِ أَعْظَمَ مِمَّا لَقِيتَ مِنْ غَيْرِهِ  
فَارْحَلْ فَمَنْ لَا يُحِلُّ مَوْرَدَهُ يُفْضِرُ بِهِ صَفْوَهُ إِلَى كَدَرِهِ  
وَأَرْجِعْ إِلَى اللَّهِ فِي الْأُمُورِ فَلَنْ تَقْدِرَ أَنْ تَسْتَجِيرَ مِنْ قَدَرِهِ

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ تَضَعُفُ قُوَاهُ عَنْ هَذِهِ الْحَالِ، فَلَا يَسْأَلُ عَمَّا يَصِيرُ إِلَيْهِ  
مِنَ النُّكَالِ. وَكُلُّ ذَلِكَ عَلَى حَسَبِ التَّوْفِيقِ وَالْإِذْلَانِ، نَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرَ  
عَوَاقِبِ الْأُمُورِ، وَنَسْتَكْفِيهِ كُلَّ مُهِمٍّ وَمَحْذُورٍ.

قال امرؤ القيس بن حجر:

إِذَا قُلْتُ هَذَا صَاحِبٌ قَدْ رَضِيَتْهُ وَقَرْتُ بِهِ الْعَيْنَانِ بَدَلْتُ آخَرَا

(١) في «م» والمطبوع: ضرب.

(٢) في «م» والمطبوع: ضرب.

وقال علي بن الجهم:

إِنَّ دُونَ السُّؤَالِ وَالْإِعْتِذَارِ  
لَيْسَ جَهْلًا بِهَا تَوَرَّدَهَا الْخُـ  
إِذْضَ لِلْسَّائِلِ الْخُضُوعَ وَلِلْقَا  
رِفِ ذَنْبًا مَضَاضَةً الْإِعْتِذَارِ<sup>(١٢)</sup>

وقال آخر:

هَاجَرْتَنِي ثُمَّ لَا كَلَمَتِي أَبَدًا  
أَوْ أَتَجَبْتُ نَجِيًّا فِي خِيَانَتِكُمْ  
فَسَوِّغْنِي أَلْمَنَى كَيْمَا أَعِيشَ بِهَا  
ثُمَّ أَطْلِقِي الْبُخْلَ مَا أَطْلَقْتَ آمَالِي

ولبعض أهل هذا العصر:

أَتُوبُ إِلَيْكَ مِنْ نَقْضِ الْعُهُودِ  
أَسَأْتُ فَلَا تُعْنَى بِالدَّعَاوَى  
وَقَدْ كَانَ الْجُحُودُ عَلَيَّ سَهْلًا  
وَلَكِنِّي أِنْفَتُ مِنَ الْجُحُودِ  
بِمَا اسْتَحْلَلْتُ نَقْضَ عُرَى الْعُهُودِ  
أَتَيْتُ فَإِنْ نَجَوْتُ فَلَا تَعُودِي  
فَعَادَ فَلَمْ يَذُقْ طَعْمَ الْعُهُودِ

وقال منصور النمري:

لَعَلَّ لَهُ عُذْرًا وَأَنْتَ تَلُومُ  
أَخْ لَكَ مُشْتَقٌّ تَذَكَّرَ خُلَّةً  
سَلَامَ عَايَ أُمِّ الْوَلِيدِ وَذَكَرَهَا  
وَكَمْ لَا يَمُومُ قَدْ لَامَ وَهُوَ مُلِيمُ  
لَهَا عِنْدَهُ وَدَّ فَبَاتَ يَهِيمُ  
وَعَهْدُ لَهَا لَمْ يَنْسَ وَهُوَ قَدِيمُ<sup>(١٣)</sup>

(١٢) لم أجد الأبيات في الديوان.

(١٣) البيت الأول في طبقات ابن المعتز ص ٢٤٧ وكذلك في التمثيل والمحاضرة ص ٨٣  
ونهاية الأرب ٨٦/٣.

وَذَلِكَ أَنِّي لَمْ أَتُكْ بِمُصَاحِبٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا خَانَنِي وَتَغَيَّرَا<sup>(٣)</sup>  
وقال الأحمص:

أَقُولُ لَمَّا أَلْتَقَيْنَا وَهِيَ صَادِقَةٌ عَنِّي لِيُهْنِكَ مَنْ تُدْنِيَنِي دُونِي  
إِنِّي سَأَمْنُحُكَ الْهَجْرَانَ مُعْتَزِماً مِنْ غَيْرِ بُغْضٍ لَعَلَّ الْهَجْرَ يُسَلِّبُنِي  
[و] مُنِيئاً رَجَعَ أَبَامُ لَنَا سَلَفَتْ سَقِيّاً وَرَعِيّاً لِذَلِكَ الَّذِينَ مِنْ دِينِ<sup>(٤)</sup>

وَبَلَغَنِي: أَنَّ نُصِيئاً أَتَى إِلَى صَاحِبَتِهِ فَدَفَعَ الْبَابَ لِيَدْخُلَ إِلَيْهَا، فَرَأَى  
عِنْدَهَا قَتْلَى تَحْدِثُهُ، فَقَالَتْ لَهُ: أَدْخُلْ يَا أَبَا مَحْجَنٍ فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

أَرَاكَ طَمُوحَ الْعَيْنِ مَذَاقَةَ الْهَوَى لِكُلِّ خَلِيلٍ مِنْكَ وَضَلَّ مُطَرِّفٌ  
مَتَى تَجْمَعِي رِدْقَيْنِ لَا أَكُ مِنْهُمَا فَهَبِي بِفَرْدٍ لَسْتُ مِمَّنْ يُرَدِّفُ  
ثُمَّ تَرَكَ الْبَابَ وَلَمْ<sup>(٥)</sup> يَسُدَّهُ وَأَنْصَرَفَ.

وقال أبو نواس:

وَمُظْهِرَةَ لِخَلْقِ اللَّهِ عِشْقاً وَتُلْقَى بِالْمَحَبَّةِ وَالسَّلَامِ  
أَتَيْتُ فَوَادَهَا أَشْكُو إِلَيْهِ فَلَمْ أَخْلُصْ إِلَيْهِ مِنَ الزَّحَامِ  
فَيَا مَنْ لَيْسَ يُقْنِعُهُ خَلِيلٌ وَلَا أَلْفَا خَلِيلٍ كُلَّ عَامٍ  
أَرَاكَ بِقِيَّةٍ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَهُمْ لَا يَصْبِرُونَ عَلَى طَعَامِ<sup>(٦)</sup>

وقال العباس بن الأحنف:

كَتَبْتُ تَلُومَ وَتَسْتَرْيبُ زِيَارَتِي وَتَقُولُ لَسْتُ لَنَا كَعَهْدِ الْعَاهِدِ  
فَأَجَبْتُهَا وَمَدَامِعِي مُنْهَلَةٌ تَجْرِي عَلَى الْخُلْدَيْنِ غَيْرَ جَوَائِدِ

(٣) انظر الديوان ص ٩١ مع اختلاف في الرواية.

(٤) الأبيات في شعر الأحمص ص ٢٠٦، وانظر التخريج.

(٥) في «م» والمطبوع: ولن.

(٦) الأبيات في الديوان ص ٥٨٥ مع اختلاف في الرواية.

يَا فَوْزُ لَمْ أَهْجُرْكُمْ لِمَلَالَةٍ لَكِنِّي جَرَّبْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ  
لِكِنِّي جَرَّبْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ  
وقال أبو القمقام الأسدي:

أَصَارِمَةٌ أَمْ لَا جِبَالِكَ زَيْنُ بَلَى إِنَّ أَرْمَاقاً ضِعَافاً هِيَ الَّتِي  
وَمَا أَنَا بِأَنْكَسِ الدُّنْيَى وَلَا أَرَى وَلَكِنَّهُ مَا دَامَ دُمْتُ وَإِنْ يَكُنْ  
سِوَاهُ وَخَيْرُ الْوَدِّ وَدُّ تَطَوَّعَتْ

وقال بعض الأعراب:

أَبِينِي أَفِي يُمْنِي يَسْدِيكَ جَعَلْتَنِي فَإِنْ كُنْتُ فِي الْيَمْنِ فَيَا لَيْتَ عَيْشَتِي  
فَأَفْرَحَ أَمْ صَيْرْتَنِي فِي شِمَالِكَ وَإِنْ كُنْتُ فِي الْيُسْرِ فَضَلَّ ضَلَالِكَ  
إِذَا لَمْ تَنَالِينَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ وَلَمْ تَرْفَعِي رَأْساً بِنَا لَمْ تُبَالِكَ

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

أَنَا لَا أَبْدَا بِغَدْرِ [أَبْدَا] فَإِذَا مَا غَدَرْتُ لَمْ أَتْرَكَ  
أَتْرَانِي أَقْعُدُ اللَّيْلَ لَهَا سَاهِراً أَطْلُبُ وَضْلاً قَدْ هَلَكَ  
وَهِيَ فِيمَا تَسْتَهِي لَاهِيَةً مَتُ إِنَّ دَارَ بِهِذَيْنِ أَلْفَلَكُ<sup>(٧)</sup>

وقال آخر:

وَمِنْ شَيْبِي أَتَى إِذَا الْمَرْءُ مَلْنِي وَأَظْهَرَ إِعْرَاضاً وَمَالَ إِلَى الْهَجْرِ

(٧) في «م» والمطبوع: يا عتب.

(٨) الأبيات في الديوان ص ١٠٦. مع اختلاف في الرواية. وانظر الأغاني (الساسي)

١٣٧/١٥ وشرحه البلاغة ٥٠٨/٤، والشعر والشعراء ص ٧٩٢.

(٩) في «م» والمطبوع: القمقام الأسدي. ولوجود النسبة (الأسدي) أميل إلى أنه أبو القمقام

الأسدي، وقد كنا عرّفنا به.

(١٠) الأبيات ليست في الديوان.

أَطْلُتْ لَهُ فِيمَا يُحِبُّ عَنَانَهُ  
فَإِنْ عَادَ فِي وَضْلِي رَجَعْتُ لِوَضْلِهِ

وقال بعض أهل هذا العصر:

تَخَيَّرَ مِنَ الْإِخْوَانِ مَنْ شِئْتُ وَاتَّخَذْتُ  
أَتُوبُ إِلَيْكَ الْيَوْمَ مِنْ كُلِّ تَوْبَةٍ  
إِذَا لَمْ يَجِدْ إِلْفِي عَنِ الْغَدْرِ مَذْهَبًا  
فَوَاللَّهِ لَا أَرْضِيْتُ دَاعِيَةَ الْهَوَى

وقال محمد بن عبد الملك الزيات:

رَأَيْتُكَ سَمَحَ الْبَيْعِ سَهْلًا وَإِنَّمَا  
فَأَمَّا الَّذِي هَانَتْ بَضَائِعُ بَيْعِهِ  
هُوَ الْمَاءُ إِنْ أَجْمَعْتَ طَابَ وَرُودُهُ

وقال آخر:

أَمِيطِي الْهَوَى عَمَّنْ قَلَاكِ وَعَرَضِي  
فَلَوْ كُنْتُ لِي كَفَاً إِذَنْ لَقَطَعْتُهَا  
وَلَوْ كُنْتُ لِي عَيْنًا إِذَا لَفَقَاتُهَا  
وَإِنِّي وَإِنْ حَنَنْتُ إِلَيْكَ ضَمَائِرِي

وقال عبد قيس بن خفاف البرجمي:

دَارَ الْهَوَى [وَأ] لَمَنْ رَأَاهَا دَارَهُ  
فَصِلَ الْمَوَاصِلَ مَا صَفَا لَكَ وَدُهُ  
وَأَحْذَرُ مَحَلَّ السُّوءِ لَا تَحُلُّ بِه

وَتَارَكْتُهُ فِي حُسْنِ يَسَرٍّ وَفِي سِتْرِ  
وَإِنْ لَمْ يُرِدْ أَهْمَلْتُ ذَاكَ إِلَى الْحَشْرِ

خَلِيلًا فَلِإِنِّي مَا أُرِيدُ خَلِيلًا  
فَقَدْ هُنْتُ فِي عَيْنِي وَكُنْتُ جَلِيلًا  
وَجَدْتُ إِلَى حُسْنِ الْعَزَاءِ سَبِيلًا  
إِلَيْكَ وَلَا أَغْضَبْتُ فِيكَ عَدُولًا

يُغَالِي إِذَا مَا ضَنَّ بِالشَّيْءِ بَائِعُهُ  
فَيُوشِكُ أَنْ تُبْقِيَ عَلَيْهِ بَضَائِعُهُ  
وَيَفْسُدُ مِنْهُ مَا تَبَاحَ شَرَائِعُهُ

لِغَيْرِي بِهِ وَاسْتَرْزَقِي اللَّهَ فِي سِتْرِ  
وَلَوْ كُنْتُ لِي أَذُنًا رَمَيْتُكَ بِالْوَقْرِ  
وَلَوْ كُنْتُ لِي قَلْبًا نَزَعْتُكَ مِنْ صَدْرِي  
فَمَا قَدَرُ حُبِّي أَنْ أُذِلُّ لَهُ قَدْرِي

أَفْرَاجِلُ عَنْهَا كَمَنْ لَمْ يَرْحَلْ  
وَأَضْرِمُ جِبَالَ الْخَائِنِ الْمَتَبَدِّلِ  
وَإِذَا نَبَا بِكَ مَنْزِلٌ فَتَحَوَّلْ (١١)

وقال بعض الأعراب:

وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ أَنْ أَرَى  
وَأَنْ أَرِدَ الْمَاءَ الْمَوْطَأَ طِينُهُ

وقال البحري لنفسه:

تَرَكْتُكَ لِلْقَوْمِ الَّذِينَ تَرَكْتَنِي  
وَقَالَ لِي الْأَعْدَاءُ مَا أَنْتَ صَانِعُ  
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقُرْبَ يُدْوِي اتِّصَالُهُ  
وَإِنِّي لَأَسْتَبْقِي وَدَاذَكَ لِيَلْتَمِي  
وَأَسْأَلُكَ النُّصْفَ أَحْتِجَازًا وَرُبَّمَا  
وَإِنِّي لَمَحْسُودٌ عَلَيْكَ مُنَافِسُ

وأنشدني بعض أهل الأدب:

أَنْقَذَنِي سُوءُ مَا صَنَعْتَ مِنَ الرَّ  
فَصِرْتُ عَبْدًا لِلْسُّوءِ فِيكَ وَمَا

وأنشدني أحمد بن أبي طاهر لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَرْءَ تَذْوِي يَمِينُهُ  
فَكَيْفَ تَرَاهُ بَعْدَ يُمْنَاهُ صَانِعًا  
فَيَطْطَعُهَا عَمْدًا لَيْسَلَمَ سَائِرُهُ  
بِمَنْ لَيْسَ مِنْهُ حِينَ تَبْدُو سَرَائِرُهُ

وقال أبو القمقام الأسدي:

وَلَمَّا بَدَا لِي مِنْكَ مِثْلٌ مَعَ الْعِدَى  
صَدَدْتُ كَمَا صَدَّ الرَّيْبُ تَطَاوَلْتُ  
عَلَيَّ وَلَمْ يَحْدُثْ سِوَاكَ بَدِيلُ  
بِهِ مُدَّةُ الْأَجَالِ فَهَوَ قَتِيلُ

[وقال آخر]:

وَعَزَّيْتُ نَفْسًا عَنْ هَوَاكَ كَرِيمَةً  
عَلَى مَا بِهَا مِنْ لَوْعَةٍ وَغَلِيلِ

(١٢) البيتان في «مجموع شعر يزيد بن الطثرية» ص ٨٤، وانظر التخريج.

(١٣) ديوان البحري ص ١٣٩٧.

(١١) من شعراء الحماسة، انظر الشرح (التبريزي) ٢/ ٢٥٨.

بَكَتْ مَا بَكَتْ مِنْ شَجْوَاهَا ثُمَّ أَغْقَبَتْ  
فَأَصْبَحَتْ مِنْ مِيعَادِهَا مِثْلَ قَابِضٍ

وقال بعض الأعراب:

فَإِنْ تَشْبَعِي مِنَّا وَتَرَوِي مَلَائِلَهُ  
وَإِنْ تَجِدِي مَا خَلْفَ ظَهْرِكَ وَاسِعاً  
وَإِنْ تَقْضِي الْعَهْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا

وقال المتلمس:

فَلَيْتَكَ فَأَقْلِنِي فَلَا وَصَلَ بَيْنَنَا  
خَلِيلٌ بَدَا لِي النَّصْحُ مِنْهُ فَلَمْ أَكُنْ  
عَصَانِي فَمَا لَأَقَى الرَّشَادَ وَإِنَّمَا

وقال الحسين بن الضحاك:

أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُّ بَدَلْتُهُ  
أَبَاحَ حِمَى الْإِيمَانِ وَاللَّهُ بَيْنَنَا  
فَلَيْتَكَ لَا تُجْزَى بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ  
عَدِمْتُكَ مِنْ قَلْبٍ أَقَامَ لِغَادِرٍ

وقال أيضاً:

تَعَزَّوْا بِبَاسٍ عَنْ هَوَايَ فَإِنِّي  
أَبَى الْقَلْبُ إِلَّا نَبْوَ عَنْ جَمِيعِكُمْ  
إِذَا خُتُّكُمْ بِالْغَيْبِ عَهْدِي فَمَا لَكُمْ

يَعْرِفَانِ هَجْرٍ مِنْ نُورٍ طَوِيلٍ  
عَلَى الْمَاءِ لَمْ يُرْجَعْ يَدَا بِقَلِيلٍ<sup>(١٤)</sup>

فَنَحْنُ وَبَيْتِ اللَّهِ أَرَوَى وَأَشْبَعُ  
فَمَا خَلَقْنَا مِنْ سَائِرِ الْأَرْضِ أَوْسَعُ  
فَنَحْنُ لِمَا ضَيَّعْتَ أَنْسَى وَأَضْيَعُ

كَذَلِكَ مَنْ يَسْتَفْنِي يَسْتَفْنِي صَاحِبُهُ  
لِأَصْرَمِهِ مَا سَوَّغَ الْمَاءُ شَارِبُهُ  
تَبَيَّنَ عَنْ أَمْرِ الْغَوِيِّ عَوَاقِبُهُ<sup>(١٥)</sup>

لِمَنْ خَانَنِي وَدَيَّ وَلَمْ يَرَعْ لِي عَهْدًا  
فَلَمْ يَبْقِ لِلْإِيمَانِ قَبْلًا وَلَا بَعْدًا  
وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَشْرَفْتَنِي بِدَمِي جَفْدًا  
عَلَى الْعَهْدِ حَتَّى كَادَ يَقْتُلَنِي وَجَدًا<sup>(١٦)</sup>

إِذَا أَنْصَرَفْتَ نَسِي فَهَيْهَاتَ مِنْ رَدِّي  
كَتَبْتُكُمْ عَنِّي فِي السُّخَى وَالْبُعْدِ  
تَدُلُّونَ إِذْ لَالِ الْمُقِيمِ عَلَى الْعَهْدِ

(١٤) انظر «مجموع شعر ابن الطرية» ص ٩١، وقد وردت الأبيات في «الوحشيات» بلا عزو.

(١٥) ديوان المتلمس (ما نسب إليه) ص ٢٧٣، والمصدر كتاب الزهرة.

(١٦) الأبيات في «أشعار الحسين الخليل» وانظر تحريجها.

فَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ كَانَ لِي قَبْلَ فِيكُمْ  
فَوَاسَفَا مِنْ صَبْوَةٍ ضَاعَ شُكْرُهَا

ولبعض أهل هذا العصر:

قَصَرْتُ عَلَيْكَ النَّفْسَ حَتَّى تَوَهَّمْتَ  
فَرَامْتَ بَدِيلًا مِنْكَ لَمَّا جَفَوْتَهَا  
فَإِنْ تَتَفَكَّرْ فِي أَنْصِرَافِي خَائِبًا  
كَسَبْتَ مَلَامًا وَاکْتَسَبْتَ بَصِيرَةً  
سَأَشْكُرُ ذَنْبَ الدَّهْرِ فِيكَ وَلَمْ أَكُنْ

وله أيضاً:

مَا زِلْتُ أَكْذِبُ فِيكَ إِرْجَافَ الْعَدَى  
حَتَّى حَسَرْتُ لِنَاطِرِي عَنْ سَوْءَةٍ  
فَظَلَلْتُ حِينَ خَبَرْتُكُمْ مُتَعَرِّضًا  
فَامْضُوا عَلَيْكُمْ لَعْنَةُ اللَّهِ ارْتَمُوا

أَمَّا سُلُو الْمُحِبِّ عَمَّنْ عَدَرَ بِهِ فَغَيْرُ مَجِيبٍ عَلَيْهِ، إِذْ لَيْسَ ذَلِكَ مُفَوَّضًا  
إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا يُوجِبُهُ نُفُورُ النَّفْسِ عَمَّنْ خَالَفَ شَكْلَهَا كَمَا تَوْجِبُ الْمَحَبَّةُ سُكُونَ  
النَّفْسِ إِلَى شَيْءٍ شَاكِلٍ طَبِيعَتِهَا. وَأَمَّا تَشْنِيعُهُ بِالْعَدْرِ عَلَى مَحْبُوبِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ  
لَعَمْرِي قَبِيحٌ وَمَا عَلَى مَنْ سَلَا عَنْ إِلْفِهِ أَنْ يُضْمِرَ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ، وَلَا يَقْصُرَ  
عَلَى غَيْرِهِ مَا ظَهَرَ لَهُ مِنْ سُوءٍ فِعْلِهِ، فَإِنْ ظَهَرَ مِنْهُ عَلَى تَرْكِ الْمُوَاصَلَةِ، عَارِضٌ  
فِي ذَلِكَ بِضَرْبٍ مِنَ الْمُجَامَلَةِ.

كما فعل الذي يقول:

وَقَائِلٍ كَيْفَ تَهَاجَرْتُمَا  
لَمْ يَكْ مِنْ شَكْلِي فَكَأَكْرَتُهُ

فَهَاءَ نَدَا فِيكُمْ نَذِيرٌ لِمَنْ بَعْدِي  
مَضَتْ سَلَفًا فِي غَيْرِ أَجْرِ وَلَا حَمْدٍ<sup>(١٧)</sup>

بَلِ اسْتَيْقَنْتَ أَنْ لَيْسَ غَيْرُكَ مَطْلَبًا  
فَحَارَتْ كَانَ لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ مُنْجِبًا  
وَعَدْرِكَ تَعْلَمُ أَيْنَا عَادَ أَخِيصًا  
بِأَمْرِكَ فَانْظُرْ أَيْنَا عَادَ مُكْسِبًا  
عَلَى غَيْرِ الْأَيَّامِ أَشْكُرُ مَذْنِبًا

وَالْعَدْرُ فِي عِظْفَيْكَ لَيْسَ بِخَافٍ  
أَغْنَتْ أَعَادِيكُمْ عَنِ الْإِرْجَافِ  
عَنْكُمْ بِأَوْسَطِ سُورَةِ الْأَعْرَافِ  
فِي صُجْبَةِ الْأَوْغَادِ وَالْأَجْلَافِ

أَمَّا سُلُو الْمُحِبِّ عَمَّنْ عَدَرَ بِهِ فَغَيْرُ مَجِيبٍ عَلَيْهِ، إِذْ لَيْسَ ذَلِكَ مُفَوَّضًا  
إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا يُوجِبُهُ نُفُورُ النَّفْسِ عَمَّنْ خَالَفَ شَكْلَهَا كَمَا تَوْجِبُ الْمَحَبَّةُ سُكُونَ  
النَّفْسِ إِلَى شَيْءٍ شَاكِلٍ طَبِيعَتِهَا. وَأَمَّا تَشْنِيعُهُ بِالْعَدْرِ عَلَى مَحْبُوبِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ  
لَعَمْرِي قَبِيحٌ وَمَا عَلَى مَنْ سَلَا عَنْ إِلْفِهِ أَنْ يُضْمِرَ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ، وَلَا يَقْصُرَ  
عَلَى غَيْرِهِ مَا ظَهَرَ لَهُ مِنْ سُوءٍ فِعْلِهِ، فَإِنْ ظَهَرَ مِنْهُ عَلَى تَرْكِ الْمُوَاصَلَةِ، عَارِضٌ  
فِي ذَلِكَ بِضَرْبٍ مِنَ الْمُجَامَلَةِ.

فَقُلْتُ قَوْلًا فِيهِ إِنْصَافٌ  
وَالنَّاسُ أَشْكَالٌ وَأَلَافٌ

(١٧) المصدر السابق.



وكما قال الآخر (١٨):

أَرَى عَرَضَ الدُّنْيَا وَكُلَّ مُصِيبَةٍ تَهُونُ إِذَا عَنْكَ الْحَوَادِثُ زَلَّتْ  
فَإِنْ سَأَلَ الْوَأَشُونَ كَيْفَ هَجَرَتْهَا فَقُلْ نَفْسُ حَرٍّ سَلِيتَ فَتَسَلَّتْ

□ □ □

الباب الحادي والعشرون:

مَنْ رَاعَهُ الْفِرَاقُ مَلَكَهُ الْأَشْتِيَاقُ

الْتَرَوِيحُ بِالْفِرَاقِ هُوَ السَّهْمُ الَّذِي لَا يَعْدِلُ عَنْ مَقَاتِلِ الْعُشَاقِ. مَنْ رَمَى  
بِهِ مِنَ الْمَحْبُوبِينَ أَصَابَ، وَمَنْ دُعِيَ بِهِ مِنَ الْمُحِبِّينَ أَجَابَ. وَرُبَّمَا وَلَعَتْ  
نُفُوسُ الْعُشَاقِ مُحَاذَرَةَ وَقُوعِ الْفِرَاقِ عَنْ غَيْرِ سَبَبٍ يُوجِبُهُ إظهارُ الْأَشْفَاقِ،  
وَتِلْكَ حَالٌ لَا يَنْتَهِي مَعَهَا وَصَالٌ.

وفي نحو ذلك يقول الحسين بن الضحاك:

أَبَاحَنِي قُرْبَهُ وَوَسَّدَنِي يُمْنِي يَدَيْهِ وَبَاتَ مُلْتَزِمِي  
فَقُلْتُ لَمَّا اسْتَخَفَّنِي فَرَجِي أَشْرَبُ عَيْنَ الْيَقِينِ بِأَلْتَهَمِ  
أَصْبَحَ مِنِّي مُسْتَشْتَبَا نَظْرِي إِخَالِنِي نَائِمًا وَلَمْ أُنَمِ (١)

وللبحتري في مثله:

حَبِيبُ سَرَى فِي خَيْفَةٍ وَعَلَى دُغْرِ يَجُوبُ الدُّجَى حَتَّى أَلْتَقَيْنَا عَلَى قَدْرِ  
تَشَكُّكَ (٢) فِيهِ مِنْ سُرُورٍ وَخِلْتُهُ خَيَالًا أَتَى فِي النَّوْمِ مِنْ طَيْفِهِ يَسْرِي

وَعَلَى أَنْ مِنَ الْعُشَاقِ مَنْ يَتَحَاقَرُ رَوْعَاتِ الْفِرَاقِ. وَذَلِكَ إِمَّا لِمَا نَالَهُ مِنْ  
مَضَاضَةِ هَجْرٍ، أَوْ مَوَاقِعَةٍ غَرِرَ. وَإِمَّا لِطُغْيَانِ النَّفْسِ وَنَشَاطِهَا وَأَنْسَاطِهَا فِي  
مَحَابِهَا، وَاسْتِظْهَارِهَا بِغَرَّةِ الْجَهْلِ عَلَى أَحْبَابِهَا، وَلِمَنْ كَانَ بِهِذِهِ الْخَلَلُ بَابُ  
مُفْرَدٍ وَوُصِفَ مُجَرَّدٌ.

(١) انظر «شعر الحسين الخليل» وانظر تخريج الأبيات. وقد سقطت كلمة «مني» من صدر البيت الثالث.

(٢) كذا في الديوان ص ١٠٥٢.

(٢٨) البيتان في ديوان كثير، وهما في تائيته المشهورة ص ٩٧.

وقال جميل بن معمر:

كَفَى حَزَنًا لِلْمَرْءِ مَا عَاشَ أَنَّهُ  
فَوَا حَزَنًا لَوْ يَنْفَعُ الْحُزْنَ أَهْلُهُ  
فَأَيُّ فُؤَادٍ لَا يَذُوبُ بِمَا أَرَى  
بَيْنَ حَبِيبٍ لَا يَزَالُ يُرَوِّعُ  
وَوَاجِزًا لَوْ كَانَ لِلنَّفْسِ مَجْزَعُ  
وَأَيُّ عُيُونٍ لَا تَجُودُ فَتَدْمَعُ<sup>(٣)</sup>

وأنشدني أحمد بن أبي طاهر<sup>(٤)</sup>:

أَذَاهِبَةُ نَفْسِي شِعَاعًا فَمِيتَتْ  
مَخَافَةَ بَيْنٍ لَا تَلَاقي بَعْدَهُ  
وَمُنْصِدِعُ قَبْلِ أَنْصِدَاعِ النَّوَى قَلْبِي  
وَشَحْطُ النَّوَى بَعْدَ الزِّيَارَةِ وَلِقَرَبِ

وقال آخر:

ظَلَلْتُ كَأَنِّي خَشِيَةَ الْبَيْنِ إِذْ جَرَى  
إِذَا الْعَيْنُ أَفْتَتْ عِبْرَةً مِنْ سِجَامِهَا  
أُخُو جِنَّةٍ لَا يَسْتَبِيلُ صَرِيْعُهَا  
بَكْتَهَا بِأُخْرَى تَسْتَهْلُ دُمُوعُهَا

وقال آخر:

خَلِيلِي مِنْ عُلْيَا هَوَازِنَ لَمْ أَجِدْ  
غَدًا تُمِطُّرُ الْعَيْنَانِ مِنْ لَوْعَةِ الْهَوَى  
لِنَفْسِي مِنْ شَحْطِ النَّوَى مَنْ يُجِيرُهَا  
وَيَبْدُو مِنْ النَّفْسِ الْكُتُومِ ضَمِيرُهَا  
غَدًا طَيْرَةٌ لَا بُدَّ أَنْ سَيَطِيرُهَا  
أَبْصِرُ عِنْدَ الْبَيْنِ قَلْبُكَ أَمْ لَهُ

وقال الطائي:

يَا بَعْدَ غَايَةِ دَمْعِ الْعَيْنِ إِنْ بَعْدُوا  
قَالُوا الرَّحِيلُ غَدًا لَا شَكَّ قُلْتُ لَهُمْ  
هِيَ الصَّبَابَةُ طُولَ الدَّهْرِ وَالسَّهْدُ  
الْيَوْمَ أَيقَنْتُ أَنَّ أَسْمَ الْجِمَامِ غَدُ<sup>(٥)</sup>

وقال أبو نواس:

طَرَحْتُمْ مِنَ التَّرَحَالِ أَمْرًا فَعَمْنَا  
فَلَوْ قَدْ فَعَلْتُمْ صَبَحَ الْمَوْتُ بَعْضَنَا

زَعَمْتُمْ بِأَنَّ النَّأْيَ يُحْزِنُكُمْ نَعَمْ  
تَسْأَلُوا نَقَارِعُكُمْ لِيُثَبِّتَ عِنْدَنَا  
أَهَالُ قَصِيرِ اللَّيْلِ يَا رَحْمَ عِنْدَكُمْ  
وَلَا يَعْرِفُ اللَّيْلُ الطُّوِيلَ وَكَرْبَهُ

وقال العرجي:

مَا زِلْتُ مِنْ رَوْعَةِ الْبَيْنِ الَّذِي ذَكَرُوا  
كَأَنِّي حَارِمٌ بِاللَّيْلِ مُرْتَهَنُ

وله أيضاً:

غَدًا فَأَعْلِمِي أَنِّي أَشَدُّ صَبَابَةً  
نُقْطِعُ إِلَّا بِالْكِتَابِ عِتَابَنَا  
فَقَالَتْ وَأَذَرْتُ دَمْعَهَا لَا بَعْدَتْكُمْ  
غَدًا يَكْثُرُ الْبَاكُونَ مِنَّا وَمِنْكُمْ

وله أيضاً:

بَلَغَ قُرْبِيَةَ أَنَّ الْبَيْنَ قَدْ أَفْدَا  
كَمْ بِالْحَجَّازِ وَإِنْ نُكَاثِرُهُمْ  
وَذَاتِ وَجْدٍ عَلَيْنَا مَا تَبَوَّحُ بِهِ<sup>(٦)</sup>  
يَا لَيْلَةَ السَّبَبِ قَدْ زَوَّدْتَنِي سَقَمًا

وقال غيره:

فِرَاقُكَ فِي غَدٍ وَغَدًا قَرِيبُ

سَيُحْزِنُكُمْ عَلَيَّ وَلَا مِثْلَ حُزْنِنَا  
مَنْ أَشْجَى قُلُوبًا أَوْ مَنْ أَسْخَنُ أَغْنَا  
فَإِنْ قَصِيرَ اللَّيْلِ قَدْ طَالَ عِنْدَنَا  
مِنْ النَّاسِ إِلَّا مَنْ يُنْجِمُ أَوْ أَنَا<sup>(٧)</sup>

أُذْرِي الدُّمُوعَ وَمِثِّي يُحْفَظُ النَّفْسُ  
سَاهِي الْفُؤَادِ عَلَيْهِ الْأَمْرُ مُلْتَبِسُ<sup>(٨)</sup>

وَأَحْسَنُ عِنْدَ الْبَيْنِ مِنْ غَيْرِنَا عَهْدًا  
سِوَى ذِكْرَةٍ لَا أَسْتَطِيعُ لَهَا رَدًّا  
يَعُزُّ عَلَيْنَا أَنْ نَرَى لَكُمْ فَقْدًا  
وَتَزْدَادُ دَارِي مِنْ دِيَارِكُمْ بَعْدًا<sup>(٩)</sup>

وَأَنَّا إِنْ سَلِمْنَا رَائِحُونَ غَدًا  
مِنْ الدُّمُوعِ وَدِدْنَا لَا نَرَى أَبَدًا  
نُحْصِي اللَّيَالِي إِذَا غَبْنَا لَنَا عَدَدًا  
حَتَّى الْمَمَاتِ وَحُزْنًا صَدَّعَ الْكِبْدَا

فَوَا كِبْدًا مِنَ الْبَيْنِ الْقَرِيبِ

(٦) انظر الديوان ص ٧٤.

(٧) انظر الديوان ص ١٥٠، وفي «م» والمطبوع: حازم.

(٨) المصدر السابق ص ص ١٠٩، ١١٠.

(٩) في ديوان العرجي ص ١٣٢: «ومات وجدًا علينا ما يبرح به».

(٣) ديوان جميل ص ١١٩، مع اختلاف في الرواية.

(٤) في «م» والمطبوع: وأنشد لأحمد.

(٥) ديوان أبي تمام (نشرة الخياط) ص ص ٩٦ - ٩٧.

فَيَا صَدْرَ النَّهَارِ إِلَيْكَ غَيْي

وَيَا شَمْسَ الْأَصَائِلِ لَا تَغِيبي

وقال آخر:

خَلِيلِي غَدَا لَا شَكَّ فِيهِ مُوَدَّعٍ  
فَإِنْ لَمْ أَشْبِعْهُ نَقَطْتُ حَسْرَةً  
فَيَا يَوْمَ لَا أَذْبَرْتُ هَلْ لَكَ مَحْسُوسُ

فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي بِهِ كَيْفَ أَصْنَعُ  
وَوَاكِدَا إِن كُنْتُ فِيمَنْ أَشْبِعُ  
وَيَا غَدَا لَا أَقْبَلْتُ هَلْ لَكَ مَذْفَعُ

وقال آخر:

يَا صَاحِبِي مِنَ الْمَلَامِ دَعَانِي  
رَعَمْتُ بُثِينَةً أَنْ رَحَلْتَهَا غَدَا

إِنَّ أَلْبِيلَةَ فَوْقَ مَا تَصِفَانِ  
لَا مَرَحَبًا بَعْدَ فَقْدِ أَبْكَانِي

وقال أشجع السلمي (١٠):

غَدَا يَتَفَرَّقُ أَهْلُ الْهَوَى  
وَتُخْتَلِفُ الدَّارُ بِالطَّاعِنِينَ  
وَتَبْقَى الطُّلُولُ وَيَفْنَى الْهَوَى  
فَأَنْتَ تُبَكِّي وَهُمْ جِيرَةُ

وَيَكْثُرُ بَاكِ وَمُسْتَرْجِعُ  
فَنُونًا تَشِبُّ فَلَا تُجْمَعُ  
وَيَصْنَعُ ذُو الشُّوقِ مَا يَصْنَعُ  
فَكَيْفَ تَكُونُ إِذَا دَعُوا

وقال ذو الرمة:

وَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي وَالنَّوَى مُطْمَئِنَّةً  
وَأَشْفِقُ مِنْ هَجْرَانِكُمْ وَتَشْفِينِي  
وَأَهْجُرُكُمْ هَجْرَ الْبَغِيضِ وَحُبُّكُمْ

مُحَادَرَةً مِنْ عِلْمٍ مَا أَلْبِنُ صَانِعُ  
مَخَافَةٍ وَشَكِّ أَلْبِنِ وَالشَّمْلُ جَامِعُ  
عَلَى كَيْدِي مِنْهُ شُؤْنٌ صَوَارِعُ (١١)

(١٠) هو أشجع بن عمرو بن بني سليم، اقتص بالبرامكة، ولهم فيهم شعر كثير. انظر الشعر والشعراء (ليدن) ص ٥٦٢ - ٥٦٥، وهو من شعراء الحماسة (التبريزي) ٣٢٨/١، وطبقات ابن المعتز (إقبال) ص ١١٧ - ١١٩.

(١١) ديوان ذي الرمة ص ٣٣٦.

وقال آخر:

أَخَافُ الْفِرَاقَ فَأَشْتَاكُكُمْ  
فَلَا تَبْرَحِ الدَّهْرَ أَوْ نَشْتَفِي  
وقال العرجي:

كَأَنَّا أَفْتَرَقْنَا وَلَمْ نَفْتَرِقْ  
وَهَلْ يَشْتَفِي أَبَدًا مَنْ عَشِقْ

فَمَا أَنَسَ مِنَ الْأَشْيَاءِ لَا أَنَسَ مَوْقِفًا  
وَلَا قَوْلَهَا وَهْنًا وَقَدْ بَلَ جَنَّتِهَا  
أَأَنْتَ الَّذِي خَيْرْتَ أَنْكَ بَاكِرُ  
فَقُلْتُ يَسِيرُ بَعْضُ شَهْرِ أَغْيِيهِ  
أَجِينَ عَصِيئُ الْعَاذِلِينَ إِلَيْكُمْ  
وَبَاعَدَنِي فِيكَ الْأَقَارِبُ كُلُّهُمْ  
فَقُلْتُ لَهَا قَوْلَ أَمْرِي شَفَهُ الْهَوَى  
فَمَا أَنَا إِنْ شَطَطَ بِي الدَّارُ أَوْ ذَنْتُ  
وقال آخر:

لَنَا وَلَهَا بِالسَّفْحِ دُونَ نَيْبِرِ  
سَوَابِقُ دَمْعٍ مَا يَجِفُّ غَزِيرِ  
غَدَاةُ غَدٍ أَوْ رَائِحُ فَمُهْجَرُ  
وَمَا بَعْضُ يَوْمٍ غَيْبُهُ بِسِيرِ  
وَنَارَعُ حَبْلِي فِي هَوَاكَ أَمِيرِي  
وَبَاحَ بِمَا يُخْفِي اللِّسَانُ ضَمِيرِي  
إِلَيْهَا وَلَوْ طَالَ الزَّمَانُ فَقِيرِ  
بِي الدَّارُ عَنْكُمْ فَأَعْلَمِي بِصُبُورِ (١٢)

إِذَا رِيحَ قَلْبِي بِالْفِرَاقِ تَحَدَّرَتْ  
كَأَنَّ فُؤَادِي عَظْمُ سَاقٍ مَهِيضَةٍ  
فَإِنْ عَصَبُوهَا بِالْجَبَارِ تَوَجَّعَتْ  
غَدَا تُصْبِحُ الْخَوْذُ الْمَلِيحَةُ غُرْبَةً  
وقال توبة بن الحمير:

دُمُوعِي مِمَّا حَاذَرْتُ مَنْ يُجِيرُهَا  
عَنِيفٌ مُدَاوِيهَا بَطِيءٌ جُبُورُهَا  
وَأِنْ تَرَكَوْهَا زَادَ صَدْعًا نَفُورُهَا  
تُزَارُ وَتُغْشَى لَسْتُ بِمَنْ يَزُورُهَا

كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْلَةً قَبِيلُ يُغْدَى  
قَطَاةُ غَرِّهَا شَرَكُ فَبَانَتْ  
فَلَا فِي اللَّيْلِ نَامَتْ فَأَطْمَأْنَنْتُ

بِلَيْلَى الْعَامِرِيَّةِ أَوْ يُرَاحُ  
تُجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ  
وَلَا فِي الصُّبْحِ كَانَ لَهَا بَرَّاحُ (١٣)

(١٢) ديوان العرجي ص ٧٥ مع اختلاف في الرواية.

(١٣) الأبيات في مجموع شعر توبة، وانظر تحريجها. وقد وردت الأبيات في ديوان المجنون ص ٩٠، وفي الأغالي ٤٨/٢، ٦٢، ٨٩، ٩٢ وكذلك في السمط ص ٦٩٦ ونسبت فيه إلى نصيب أوقيس بن ذريح كما وردت في أمالي القالي ٦١/٢.

وقال آخر:

أَبَيْتُ وَاللَّهِ تَغْشَانِي طَوَارِقُهُ  
قَدْ صَدَّعَ الْقَلْبَ حُزْنٌ لَا ارْتِجَاعَ لَهُ  
مِنْ خَوْفِ رَوْعَةٍ بَيْنَ الظَّاعِنِينَ غَدَا  
إِذْ الْانْصِدَاعُ إِلَيْهِ الْعَمْدُ (١٤)

وقال آخر:

قَالُوا يَسِيرُونَ لَا سَارُوا بَلَى وَقَفُوا  
إِذَا تَحَمَّلَ مَنْ هَامَ الْفَوَادُ بِهِ  
وَلَا اسْتَقَلَّتْ بِهِمُ اللَّبَنِينِ أَكْسَارُ  
فَلَا أَبَالِي أَقَامَ الْخَيُّ أَمْ سَارُوا

وقال آخر:

مَا زِلْتُ مِنْ حَذَرِ التَّفْرِقِ مُشْفِقًا  
[وَأَتَرَى الْمُجِبَّ قَرِيرَ عَيْنٍ بِالْهَوَى  
لَوْ كَانَ أَغْنَى ذَلِكَ الْإِشْفَاقُ  
حَتَّى يُنْقِصَهُ عَلَيْهِ فِرَاقُ

وقال آخر:

رَوْعْتُ بِالْبَيْنِ حَتَّى مَا أَرَاكَ بِهِ  
لَمْ يَتْرِكِ اللَّذْهَرُ لِي خِذْنًا أَسْرَ بِهِ  
وَبِالتَّفْرِقِ فِي أَهْلِي وَجِيرَانِي  
إِلَّا أَصْطَفَاهُ بَيْنِي أَوْ بِهِجْرَانِي

وقال آخر:

يَحْنُ إِذَا خَافَ الْفِرَاقَ مِنْ أَجْلِهَا  
وَكَاثِنٌ تَرَى مِنْ صَاحِبِ حَيْلٍ دُونَهُ  
حَنِينَ الْمَرْجِي وَجْهَةً لَا يُرِيدُهَا  
وَمُتَّبِعَ الْفِئَةِ نَظْرَةً لَا يُعِيدُهَا

ولبعض أهل هذا العصر:

عَلَى كَيْدِي مِنْ خِيْفَةِ الْبَيْنِ لَوْعَةٌ  
يَخَافُ وَفَوْقَ الْبَيْنِ وَالشَّمْلِ جَامِعُ  
فَلَوْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَا هُوَ وَاقِعُ  
لَكَانَ سَوَاءَ بُرْؤُهُ وَسَقَامُهُ  
يَكَادُ لَهَا قَلْبِي أَسَى يَتَصَدَّعُ  
فِيَّيْكَ بِعَيْنِ دَمْعِهَا مُتَسَرِّعُ  
كَمَا هُوَ مَسْرُورٌ بِمَا يَتَوَقَّعُ  
وَلَكِنْ وَشَكَّ الْبَيْنِ أَذْهَى وَأَوْجَعُ

(١٤) عجز البيت الثاني ورد على هذا النحو من عدم الوضوح وعدم الوزن في «م» والمطبوع.

وَأَكْثَرَ اسْتَظْهَارِ خَوْفِ الْفِرَاقِ إِنَّمَا هُوَ عَلَى الْمُتَيَّمِينَ وَالْعُشَّاقِ الَّذِينَ  
اسْتَغْرَقَهُمُ الضَّعْفُ بِأَحْبَابِهِمْ، وَجَرَتْ خَلَائِقُ أَحْبَبَتْهُمْ عَلَى نَهَايَةِ مَحَلِّهِمْ،  
فَأَمَّا لَهُمْ مَقْصُورَةٌ إِلَى الْحَذَرِ مِنْ زَوَالِهِمْ. فَأَمَّا مَنْ قَدْ خَرَجَ عَنْ حُدُودِ الْعُشَّاقِ  
وَالْمُتَيَّمِينَ إِلَى مَرْتَبَةِ الْمُؤَلَّهِينَ فَإِنَّ حِذَارَهُ مِنَ الْخِيَانَةِ وَالْغَدْرِ يَسْغَلُهُ عَنْ مُحَادَرَةِ  
الْفِرَاقِ وَالْهَجْرِ.

وقال توبة بن الحمير:

قَالَتْ مَخَافَةٌ بَيْنَنَا وَبَكَتْ لَهُ  
لَوْ مَاتَ شَيْءٌ مِنْ مَخَافَةِ فُرْقَةٍ  
وَالْبَيْنُ مَبْعُوثٌ عَلَى الْمُتَخَوِّفِ  
لَأَمَاتَنِي لِلْبَيْنِ طُولُ تَخَوُّفِي  
مَلَأَ الْهَوَى قَلْبِي فَضِضْتُ بِحِمْلِهِ  
حَتَّى نَطَقْتُ بِهِ بِغَيْرِ تَكْلُفٍ (١٥)

فَلَيْلَى الْأُخْيَلِيَّةُ - عَفَا اللَّهُ عَنَّا وَعَنْهَا - إِنْ كَانَ مَا حَكَاهُ لَنَا تَوْبَةً عَنْهَا  
فِي الْبَيْتِ الثَّانِي حَقًّا، فَإِنَّهَا كَانَتْ جَاهِلَةً بِأَحْوَالِ الْعُشَّاقِ، غَافِلَةً عَمَّا تُوَلَّدُهُ  
رَوْعَاتُ الْفِرَاقِ. وَلَعَمْرِي إِنْ مِنْ مَرَاتِبِهَا فِي تَوْبَةٍ بَعْدَ وَفَاتِهِ لَدَالَةٌ. عَلَى أَنَّهَا  
لَمْ تَتَعَلَّقْ بِنِ الْهَوَى إِلَّا بِأَطْرَافِهِ، إِذْ لَوْ كَانَ الْهَوَى قَدْ بَلَغَ بِهَا أَقْصَى الْحَالِ،  
كَانَتْ حَيَاتُهَا بَعْدَ وَفَاةِ تَوْبَةٍ ضَرْبًا مِنَ الْمَحَالِ.

وَمَا أُحْصِي مَا اتَّصَلَ بِي مِنْ أَخْبَارٍ مَنْ تَخَوَّفَ بِمُفَارَقَةِ حَبِيبِهِ فَتَلَفَ مِنْ  
سَاعَتِهِ. وَلَقَدْ اتَّصَلَ بِي خَبَرٌ لَمْ أَسْمَعْ بِأَعْجَبَ مِنْهُ، وَإِنَّ صَاحِبَتَهُ وَلَيْلَى  
الْأُخْيَلِيَّةَ لَفِي الطَّرَفَيْنِ، هَذِهِ عِنْدَهَا أَنَّهُ لَا يَمُوتُ أَحَدٌ مِنْ مَخَافَةِ فُرْقَةٍ، وَتِلْكَ  
تَلَفَتْ مِنْ جَرَّيَانِ خَاطِرٍ بِالْفِرَاقِ عَلَى قَلْبِهَا، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُؤْدِيَ ذَلِكَ إِلَيْهِ نَظَرُهَا  
وَلَا سَمْعُهَا.

ذَكَرَ أَبُو مَالِكٍ الرَّائِيَةُ أَنَّهُ سَمِعَ الْفَرَزْدَقَ يَقُولُ: أَبَقَ غُلَامَانِ لِرَجُلٍ مِنْ  
بَنِي نَهْشَلٍ، يُقَالُ لَهُ الْخَضِرُ، قَالَ: فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِمَا، وَأَنَا عَلَى نَاقَةٍ لِي

(١٥) البيت في مجموع شعره، وانظر التخريج.

عِيسَاءُ<sup>(١٦)</sup> أُرِيدَ الْيَمَامَةُ، فَلَمَّا صِرْتُ فِي مَاءٍ لِبَنِي حَنِيفَةَ، أَرْتَفَعَتْ لِي سِحَابَةٌ  
فَرَعَدَتْ وَبَرَقَتْ وَأَرْخَتْ عِزَّيْهَا، فَعَدَلْتُ إِلَى بَعْضِ دِيَارِهِمْ، وَسَأَلْتُهُمْ الْقِرَى  
فَأَجَابُوا، فَدَخَلْتُ الدَّارَ وَأَنْخْتُ النَّاقَةَ، وَجَلَسْتُ تَحْتَ ظِلَالِهِمْ مِنْ جَرِيدِ  
النَّخْلِ. وَفِي الدَّارِ جُورِيَّةٌ سَوْدَاءُ، إِذْ دَخَلْتُ الدَّارَ جَارِيَةً كَأَنَّهَا فَلَقَةُ قَمَرٍ،  
وَكَانَ عَيْنَيْهَا كَوُكَبَانِ دُرِّيَّانِ، فَسَأَلْتُ السَّوْدَاءَ: لِمَنْ هَذِهِ الْعِيسَاءُ؟ فَقَالَتْ:  
لِضَيْفِكُمْ هَذَا، فَعَدَلْتُ إِلَيْهَا فَقَالَتْ: أَلَسَلَامٌ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: وَعَلَيْكَ أَلَسَلَامٌ،  
فَقَالَتْ لِي: مَنْ الرَّجُلُ؟ فَقُلْتُ: مِنْ بَنِي حَنْظَلَةَ، فَقَالَتْ: مِنْ أَيِّ بَنِي  
حَنْظَلَةَ؟ قُلْتُ: مِنْ بَنِي نَهْشَلٍ، قَالَتْ: فَأَنْتَ الَّذِي يَقُولُ فِيكَ الْفَرَزْدَقُ:

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ  
بَيْتًا زُرَّارَةً مُحْتَبٍ بِفَنَائِهِ وَمُجَاشِعٍ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلُ<sup>(١٧)</sup>

قَالَ: قُلْتُ نَعَمْ، فَتَبَسَّمتْ وَقَالَتْ: فَإِنَّ ابْنَ الْخَطَمِيِّ جَرِيرٌ هَدَمَ عَلَيْهِ بَيْتَهُ  
هُوَ الَّذِي يَقُولُ:

أَحْزَى الَّذِي رَفَعَ السَّمَاءَ مُجَاشِعًا وَبَنَى بِنَاءَكَ بِالْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ  
بَيْتًا يُحَمِّمُ قَيْنُكُمْ بِفَنَائِهِ دَنَسَ مَقَاعِدُهُ خَبِيثُ الْمَدْخَلِ<sup>(١٨)</sup>

قَالَ فَأَعْجَبْتَنِي فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ فِي وَجْهِِي، قَالَتْ: إِلَى أَيْنَ تَوُومُ؟ قُلْتُ:  
الْيَمَامَةَ قَالَ: فَتَنَفَّسَتِ الصُّعْدَاءُ ثُمَّ قَالَتْ: هَاهِي تِلْكَ أَمَامَكَ، ثُمَّ  
أَنْشَأَتْ تَقُولُ:

تَذَكِّرُنِي بِلَادًا خَيْرُ أَهْلِي بِهَا أَهْلُ الْمُرُوءَةِ وَالْكَرَامَةِ  
أَلَا فَسَقَى أَلَمْلِيكَ أَجَشُّ صَوْبٍ يَدِيرُ بِسِحِّهِ تِلْكَ الْيَمَامَةَ  
وَحَيَّى بِالسَّلَامِ أَبَا نُجَيْدٍ فَأَهْلٌ لِلتَّحِيَّةِ وَالسَّلَامَةِ

(١٦) عيساء مؤنث أعيس، من صفات الإبل، وليس «عيساء» كما جاءت في (م) والمطبوع.

(١٧) ديوان الفرزدق ١٥٥/٢.

(١٨) ديوان جرير (صادر) ص ٣٥٧.

قَالَ: فَأَنْسَتْ بِهَا فَقُلْتُ: أَذَاتُ حَدِنٍ أَمْ ذَاتُ بَعْلٍ؟ فَأَنْشَأَتْ تَقُولُ:  
إِذَا رَقَدَ الْخَلِي فَإِنَّ عَمْرًا تُورِقُهُ الْهُمُومُ إِلَى الصَّبَاحِ  
تُقَطِّعُ قَلْبَهُ الذِّكْرَى وَقَلْبِي فَلَا هُوَ بِالْخَلِي وَلَا بِصَاحِ  
سَقَى اللَّهُ الْيَمَامَةَ دَارَ قَوْمٍ بِهَا عَمُرُو يَحْنُ إِلَى الرُّوَّاحِ  
قَالَ: فَقُلْتُ لَهَا: مَنْ عَمُرُو؟ فَأَنْشَأَتْ تَقُولُ:

فَإِنْ تَكُ ذَا قَبُولٍ إِنَّ عَمْرًا هُوَ الْقَمَرُ الْمُضِيءُ لِمُسْتَنِيرِ  
وَمَا لِي بِالتَّبَعْلِ مُسْتَرَاخٍ وَلَوْ رَدَّ التَّبَعْلُ لِي أَسِيرِي  
قَالَ: ثُمَّ سَكَتَتْ سَكَنَةً كَأَنَّهَا تَسْتَمِعُ إِلَى كَلَامِي، ثُمَّ تَهَاوَتْ وَأَنْشَأَتْ  
تَقُولُ:

يُخَيِّلُ لِي أَبَا عَمُرُو بَنَ كَعْبٍ كَأَنَّكَ قَدْ حُمِلْتَ عَلَى سَرِيرِ  
فَإِنْ يَكُ هَكَذَا يَا عَمُرُو إِنِّي مُبَكِّرَةٌ عَلَيْكَ إِلَى الْقُبُورِ

قَالَ: ثُمَّ شَهَقَتْ فَمَاتَتْ، فَقُلْتُ لَهُمْ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: هَذِهِ عَقِيلَةُ بِنْتُ  
الضَّحَّاكِ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ، قُلْتُ: وَمَنْ عَمُرُو هَذَا؟ قَالُوا:  
أَبْنُ عَمَّيْهَا، قَالَ: فَأَرْتَحَلْتُ مِنْ عِنْدِهِمْ فَدَخَلْتُ الْيَمَامَةَ، فَسَأَلْتُ عَنْ عَمُرُو فَإِذَا  
بِهِ قَدْ دُفِنَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

□ □ □

قُلْ مَنْ سِلا إِلَّا غَلْبَهُ الْهَوَى

مَنْ كَانَ سُلوهُ تَابِعاً لظَفَرِهِ بِمَا مِنْ أَجْلِهِ، كَانَ آتِئِدَاءَ مَحَبَّتِهِ، فَإِنَّ الْهَجَرَ وَالْفِرَاقَ لَا يُعِيدَانِ لَهُ هَوَى، وَلَا يُتَبِعَانِ عَلَى ضَمِيرِهِ أَسَى. وَمَنْ كَانَتْ طَبِيعَتُهُ بِمُشَاكَلَةِ طَبِيعَتِهِ فَسَلَا لِضَجَرَةِ لِحَقَّتِهِ مِنْ مُخَالَفَةِ مَحْبُوبِهِ، أَوْ مِنْ تَعَذُّرِ بَعْضِ مَطْلُوبِهِ، أَوْ لِتَأَذٍ بِحَاجِبٍ أَوْ رَقِيبٍ، أَوْ لِمَلَالٍ مِنْ سَعْيَاةٍ وَاشٍ أَوْ عَذُولٍ، فَإِنَّ أَدْنَى عَارِضٍ يُطِيفُ بِهِ مِنْ فِرَاقٍ أَوْ هَجَرٍ، أَوْ مِنْ مَخَافَةِ خِيَانَةٍ أَوْ عَذْرِ يُعِيدُ عَلَيْهِ فَلَقَ الْإِشْفَاقِ، وَيَرُدُّهُ بَعْدَ السُّلُوِّ إِلَى مَوَاقِفِ الْعُشَاقِ، وَرَبَّمَا أَلَمَ بِمَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ فِي الْأَمْنَامِ طَائِفٌ مِنْ خِيَالٍ، فَرَدَّهُ إِلَى أَتَمِّ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَالِ.

وقال البحرني:

لِي خَلِيلٌ قَدْ لَجَّ فِي الصَّرْمِ جَدًّا  
دُو فُنُونٍ يُرِيكَ فِي كُلِّ يَوْمٍ  
يَتَأَبَّى مُنْعاً وَيُنْعِمُ إِسْعَا  
فَأُ وَيَذْنُو وَضَلَا وَيُبْعِدُ صَدًّا  
أَغْتَدِي رَاضِياً وَقَدْ بَتَّ غَضْبَا  
نَ وَأُمْسِي مَوْلى وَأُصْبِحُ عَبْدَا  
أَتَرَانِي مُسْتَبْدِلاً بِكَ مَا عَشْدَا  
تُ بَدِيلاً أَوْ وَاجِداً مِنْكَ نِدَا  
حَاشَ لِلَّهِ أَنْتَ أَفْتَنُ الْهَاشَا  
ظَا وَأَحْلَى شَكْلاً وَأَمْلَحُ قَدَا(١)

أَمَّا هَذَا الشَّعْرُ فَمِنْ أَضْعَفِ شَيْءٍ أَعْرِفُ. وَذَلِكَ أَنَّ صَاحِبَهُ إِذَا اسْتَحْسَنَ صُورَةَ وَقَدْ أَفْتَمَى تَغْيَرَ حُسْنُهَا، أَوْ رَأَى مَا هُوَ أَحْسَنُ فِي عَيْنِهِ مِنْهُ أَتَّبَعَهُ وَتَرَكَهَا. عَلَى أَنَّهُ مَعَ أَفْتِقَارِهِ إِلَى خَلِيلِهِ، وَعَدَمِهِ لِشَكْلِهِ وَنَظِيرِهِ، مُنْتَقِداً

(١) ديوان البحرني ص ٧١١ مع اختلاف في الرواية.

فِي هَوَاهُ، فَمَرَّةً يَتَسَخَّطُ وَمَرَّةً يَتَرْضَاهُ، حَتَّى «يُمْسِي مَوْلى وَيُصْبِحُ عَبْدًا». وَهَذِهِ حَالُ حَسِيسَةٍ فَإِنْ كَانَ [لَا بُدَّ] لِلْمُحِبِّ مِنَ التَّبَاعُدِ عَنِ الْمَحْبُوبِ فَلْيَكُنْ ذَلِكَ ظَاهِراً فِي الْأَفْعَالِ غَيْرِ مُعْتَقِداً فِي الْقُلُوبِ.

كما قال عبدالله بن أبي الشيص:

إِنْ لَمْ أَرَى بِفَنَاءِ بَيْتِكَ وَاقِفاً  
هَذِي الْجُفُونُ فَضْمِينِهِنَّ الْهَوَى  
وَرُبِّي بِهِنَّ فَإِنَّهُنَّ عَفَائِفُ  
لَا يَكْتَحِلْنَ مِنَ الْخُدُودِ بِزَهْرَةٍ  
حَتَّى تَعَطَّفَ بِي إِلَيْكَ عَوَاطِفُ  
أَنْتِ الَّتِي غَمَرَ الضَّمَائِرُ حُبَهَا  
فَلَهَا التَّلِيدُ مِنَ الْهَوَى وَالطَّارِفُ  
وَكَأَنَّ لِي قَلْبَيْنِ عِنْدَكَ وَاحِدُ  
دَانٍ وَآخَرُ عَنْ دِيَارِكَ عَارِفُ(٢)

وكما قال البحرني:

الْدَارُ تَعْلَمُ أَنَّ دَمْعِي لَمْ يَغْضُ  
فَأَرْوَحُ حَامِلَ مَنَةٍ مِنْ مُسْعِدِ  
مَا كَانَ لِي جِلْدٌ فَيُودِي إِنَّمَا  
أُودِي غَدَاةَ الطَّاعِنِينَ تَجَلْدِي(٣)

وكما قال بعض أهل هذا العصر:

لَقَدْ بَاعَدْتَ عَنْكَ أَخَا شَقِيقاً  
فَلَوْ جُمِعَ الْأَنْامُ لَكُنْتَ فَرْدَا  
عَلَيْكَ فَلَا يُغْرُكَ حُسْنُ صَبْرِي  
فَلَا تَحْسِبْ رَعَاكَ اللَّهُ أَنِّي  
أَحَبَّهُمْ إِلَيَّ بِكُلِّ سَعِيرِ  
فَوَاللَّهِ الْعَظِيمِ لَوْ أَنَّ قَلْبِي  
غَدَرْتُ وَلَا هَمَمْتُ لَكُمْ بِغَدْرِ  
وَأَعْظَمُ مَا أَلَا قِي مِنْكَ أَنِّي  
أَحَبَّ سِوَاكَ لَمْ أُسْكِنُهُ صَدْرِي  
أُودِمُ عَلَى الْوَفَاءِ وَلَسْتُ تَذْرِي

وهذا أتم من قول بشار:

أَهْمُ بِأَنْ أَقُولَ وَدَدْتُ أَنِّي  
سَلَوْتُ فَمَا يُطَاوِعُنِي لِسَانِي

(٢) لم أجد الأبيات في مجموع شعره الذي صنعه عبدالله الجبوري.

(٣) ديوان البحرني ص ٥٤٤ مع اختلاف في الرواية.

لأنَّ شَاراً خَيْرٌ أَنَّهُ قَدْ هَمَّ، ثُمَّ أَمْتَنَعَ وَ[مَنْ] لَمْ يُرِدْ أَنْ يَقْدِرَ أَنْتُمْ مِمَّنْ أَرَادَ<sup>(٤)</sup> ذَلِكَ فَلَمْ يَقْدِرْ. وَأَنْقَضَ مِنْ بَشَارٍ فِي هَذِهِ «لِحَالٍ».

أبو المنيع الحضرمي<sup>(٥)</sup> حيث يقول:

أَلَمْ تَرِنِي أَرْمَعْتُ صَرْمًا وَهَجْرَةً      لِلَّيْلِ فَلَمْ أَطِغْ صُدُودًا وَلَا هَجْرًا  
وَمَا مَرَّ يَوْمٌ [دُونَهَا] إِنْ هَجَرْتُهَا      وَلَا سَاعَةً إِلَّا أَجَدَّ لَهَا ذِكْرًا  
فَيَا عَجَبًا مِنْ وَضَلِي الْجَبَلُ كَيْ يَرَى      جَدِيدًا وَقَدْ أَمْسَتْ عِلَاقَتُهُ بَتْرًا  
فَإِنْ تُصْبِحِي بَعْدَ التَّجَاوُزِ وَالْهَوَى      صَدَدَتْ فَقَدْ غَادَرَتْ فِي كَيْدِي عَقْرًا

والأحوص بن محمد حيث يقول:

أَدْعُو إِلَى هَجْرَهَا قَلْبِي فَيَتَّبِعُنِي      حَتَّى لَقَدْ قُلْتُ هَذَا صَادِقُ نَزْعَا  
قَدْ زَادَهُ كَلْفًا بِأَلْحَبٍ أَنْ مُنِعَتْ      أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعَا  
وَكَمْ دَنِي لَهَا قَدْ صِرْتُ أَتْبَعُهُ      وَلَوْ صَحَا الْقَلْبُ عَنْهَا كَانَ لِي تَبْعَا<sup>(٦)</sup>

ومحمد بن بشير حيث يقول<sup>(٧)</sup>:

وَلَقَدْ أَرَدْتُ الصَّبْرَ عَنْكَ فَعَاقَنِي      عَلَقُ بَقْلِي مِنْ هَوَاكَ قَدِيمُ  
يَبْقَى عَلَى حَدَثِ الزَّمَانِ وَرَبِيهِ      وَعَلَى جَفَائِكَ إِنَّهُ لَكَرِيمُ

وذو الرمة حيث يقول:

إِذَا قُلْتُ أَسْلُو عَنْكَ يَا مَيِّ لَمْ يَزَلْ      مَحَلٌّ لِدَارِي مِنْ دِيَارِكَ نَاجِسُ  
فَكَيْفَ بِمَيِّ لَا تُؤَاتِيكَ دَارُهَا      وَلَا أَنْتَ طَاوِي الْكَشْحَ عَنْهَا فَيَأْتِسُ<sup>(٨)</sup>

(٤) ديوان بشار ٢٣٩/٤ من مستدرك المحقق، والبيتان من كتاب الزهرة.

(٥) لم أهد إلى معرفته.

(٦) انظر شعر الأحوص ص ١٥٣، وانظر التخريج. والأبيات في ديوان المجنون ص ٢١١.

(٧) محمد بن بشير الخارجي من شعراء الحماسة (التبريزي) ص ص ٣٠١/٢، ٣٠٢. انظر

ترجمته في الأغاني (دار الثقافة) ٦١/١٦، شرح المزدوقي ص ص ٨٠٨، ١٥٩٩، البيان

والتيين ١/١٦٨، ٣٤٣، طبقات ابن المعتز (إقبال) ص ص ١٣٢، ١٣٣.

(٨) ديوان ذي الرمة ص ٣١٢.

وللبحتري:

وَإِذَا هَمَمْتُ بِوَضَلٍ غَيْرِكَ رَدَّيْ      وَلَهُ عَلَيْكَ وَشَافِعَ لَكَ أَوَّلُ  
وَأَعِزُّ ثُمَّ أَذِلُّ ذِلَّةَ عَاشِقِي      وَالْحُبُّ فِيهِ تَعَزُّزٌ وَتَذَلُّلُ<sup>(٩)</sup>

ولبعض أهل هذا العصر في هذا النحو وإن لم يكن على ذلك التمام

في باب النقصان:

أَيَا حَالِفًا أَنِّي عَلَى الْعَهْدِ نَاكِثُ      تَأَكَّدُ رَعَاكَ اللَّهُ أَنَّكَ حَانِثُ  
تَجَنَّيْتُ مُذْ عَامِنِينَ ذَنْبًا لَمْ آجِنِهِ      عَلَيْكَ وَهَذَا أَلْعَامُ قَدْ تَمَّ ثَالِثُ  
إِذَا عَرَضْتُ نَفْسِي فَقُمْتُ بِسَلْوَةٍ      أَمَا ذَاكَ إِشْفَاقٌ قَدِيمٌ وَحَادِثُ  
تَسْحَبُ عَلَى صَرْفِ اللَّيَالِي وَلَا تُرْعُ      فَجَرْمُكَ مَنْسِيٌّ وَحَبُّكَ لَا بَثُ  
وَكُلُّ أَدَى تَأْتِيهِ كَيْمَا تَمِلْنِي      فَذَاكَ عَلَى أَلَا أَمَلُكَ بَاعِثُ

وقال الحسين بن الضحاك:

كَأَنِّي إِذَا فَارَقْتُ شَخْصَكَ سَاعَةً      لِفَقْدِكَ بَيْنَ الْعَالَمِينَ غَرِيبُ  
وَقَدْ رُمْتُ أَسْبَابَ السُّلُوفِ فَخَانِي      ضَمِيرٌ عَلَيْهِ مِنْ هَوَاكَ رَقِيبُ  
فَمَا لِي مَا تَشْتَهِيَنَّ مُسَارِعُ      وَفِعْلُكَ مِمَّا لَا أَحِبُّ قَرِيبُ  
أَغْرَكَ صَفْحِي عَنْ ذُنُوبٍ كَثِيرَةٍ      وَغَضْبِي عَلَى أَشْيَاءٍ مِنْكَ تُرِيبُ  
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ فِي النَّاسِ قَبْلِي مُتِمُّ      وَلَمْ يَكْ فِي الدُّنْيَا سِوَاكَ حَبِيبُ  
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو إِذْ ذُكِرْتَ فَلَمْ يَكُنْ      بِشُكْوَايَ مِنْ عَطْفِ الْحَبِيبِ نَصِيبُ<sup>(١٠)</sup>

وقال محرز العكلي<sup>(١١)</sup>:

يَظَلُّ فُؤَادِي نَاحِصًا مِنْ مَكَانِهِ      [وَرَاءَ] أَلْغَوَانِي مُسْتَهَامًا مُتِمًّا  
إِذَا قُلْتُ مَاتَ الشُّوقُ مِنْهُ تَنَسَّمْتُ      لَهُ أَرِيحِيَّاتُ الصَّبَى فَتَنَسَّمَا

(٩) ديوان البحتري ص ١٥٩٦.

(١٠) أشعار الحسين الخليل وانظر تخريج الأبيات.

(١١) لم أهد إلى ترجمته. وقد ورد اسم «محرز» لأربعة شعراء في معجم الشعراء:

ص ص ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٤٥٥.

وقال آخر:

لَعَمْرُكَ مَا يَذْرِي غُنْيِي بِنُ مَالِكٍ  
وَمَا تُحَدِّثُ الْأَيَّامُ وَالذُّهْرُ لَمْ تَزَلْ

وقال قيس بن ذريح (١٢):

وَإِنِّي وَإِنْ أَرْمَعْتُ عَنْهَا تَجَلُّدًا  
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو فَقَدْ بُنِيَ كَمَا شَكَا

ولبعض أهل هذا العصر:

أَبَى لِي الْوَفَاءُ دَوَامَ الْجَفَا  
قَعَدْتُ إِلَى الْوَصْلِ مُسْتَعِظًا  
وَإِنِّي لَفِي طُولِ كَتَمِ الْهَوَى  
كَمَنْ يَنْفُخُ الْبُوقَ مُسْتَخْفِيًا  
فَيَا قَلْبُ وَنَحْكَ كُنْ حَازِمًا  
وَلَا تَكُ ذَا عَزْمَةٍ جَاهِلًا  
فَسَلِّ الْحُقُودَ بِرَغِي الْعُهُودِ  
فَأَوْجِعْ مِنْ حَمَلِ عَتَبِ الصَّفَا  
فَسَامِخْ هَوَاكَ وَكُنْ مُدْنِفًا

وأنشدني أحمد بن يحيى لمجنون بني عامر:

وَدَاعٍ دَعَا إِذْ نَحْنُ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنَى  
فَهَيَّجَ أَطْرَارَ الْفُؤَادِ وَمَا يَذْرِي  
دَعَا بِأَسْمِ لَيْلَى غَيْرَهَا فَكَأَنَّمَا  
أَطَارَ بِلَيْلَى طَائِرًا كَانَ فِي صَدْرِي (١٤)

(١٢) تقدمت ترجمته.

(١٣) البيتان نسبا إلى المجنون أيضاً، ديوان المجنون ص ٢٤٤.

(١٤) البيتان في ديوان المجنون ص ١٦٢، وكذلك في الأغاني ٢٢/٢، ٥٥، وأمثالي القالي ٦١/٢ وفي محاضرات الأدباء نسبا إلى قيس بن ذريح ٢٤/٢.

وزادني غيره:

عَرَضْتُ عَلَى قَلْبِي الْعَزَاءَ فَقَالَ لِي  
مِنْ الْآنِ فَاجْنَحْ لَا أَغْرُكَ بِالصَّبْرِ (١٥)

فَهَذَا عَلَى كُلِّ حَالٍ أَقْرَبُ إِلَى دَرَجَةِ الْكَمَالِ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُخْبِرُ أَنَّ  
أَشْتِيَاقَهُ ظَهَرَ بَعْدَ أَنْ كَانَ كَامِنًا. وَأَنَّهُ عَرَضَ عَلَى قَلْبِهِ الْعَزَاءَ فَأَبَى عَلَيْهِ إِلَّا  
الْوَفَاءَ. وَظُهُورُ الشُّوقِ بَعْدَ كُفُونِهِ، أَحْسَنُ مِنْ رُجُوعِ الْعِشْقِ بَعْدَ سُكُونِهِ.  
وَفِي هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي اخْتَرْنَاهُ يَقُولُ امْرُؤُ الْقَيْسِ:

سَمَا لَكَ شَوْقٌ بَعْدَ مَا كَانَ أَقْصَرَا  
وَحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ خَبْتٍ فَعَرَعَرَا \*  
كِتَابِيَّةٌ بَاتَتْ فِي الصَّدْرِ وَدَهَا  
مُجَاوِرَةَ النُّعْمَانِ وَالْحَيِّ يَغْمَرَا (١٦)

وفي ضده وهو المعنى الذي ذمناه بقول المتلمس:

صَبَا مِنْ بَعْدِ سَلَوَتِهِ فُؤَادِي  
وَأَسْمَحَ لِلْقَرِينَةِ بِالْقِيَادِ  
كَأَنِّي شَارِبٌ يَوْمَ اسْتَقَلُّوا  
وَحَثَّ بِهِمْ إِلَى الْمَوْمَةِ حَادِي  
عُقَارًا عُنِقْتُ فِي الدِّنِّ حَتَّى  
كَأَنَّ حُبَابَهَا حَدَقَ الْجَرَادِ (١٧)  
وقال البحرني:

عَنَانِي مِنْ صُدُودِكَ مَا عَنَانِي  
وَعَاوَدَنِي هَوَاكَ كَمَا بَدَانِي  
وَذَكَّرَنِي التَّبَاعُدُ ظِلَّ عَيْشٍ  
لَهْوْنَا فِيهِ أَيَّامَ التَّدَانِي  
أَلَامٌ عَلَى هَوَى الْحَسَنَاءِ ظُلْمًا  
وَقَلْبِي فِي يَدِ الْحَسَنَاءِ عَانِ (١٨)

وأنشدني أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي لزياد بن منقذ (١٩):

لَا حَبْدًا أَنْتَ يَا صَنْعَاءُ مِنْ بَلَدٍ  
وَلَا شُعُوبٌ هَوَى مِنَّا وَلَا نَقْمُ

(١٥) ديوان المجنون ص ١٦٢.

(١٦) ديوان امرئ القيس ص ٨٣ مع اختلاف في الرواية.

(١٧) ديوان المتلمس ص ص ١٦٥ - ١٦٦ مع اختلاف في الرواية.

(١٨) ديوان البحرني ص ٢٢٢٨.

(١٩) من شعراء الحماسة، شرح التبريزي ٥٧٧/٣، وفيه الأبيات المذكورة. والأبيات في معجم ما استعجم ١٦١/١ منسوبة إلى المزار العدوي.



وَجَبَدَا حَيْثُ تُمْسِي الرِّيحُ بَارِدَةً  
الْمُوسِعُونَ إِذَا مَا جَرَّ غَيْرُهُمْ  
لَمْ أَلَقْ بَعْدَهُمْ قَوْمًا فَأَخْبِرُهُمْ  
مُخْدَمُونَ يُقَالُ فِي مَجَالِسِهِمْ

وقال امرؤ القيس:

تَأَوَّيْتُ ذَائِي الْقَدِيمِ فَعَلَسَا  
وَلَمْ يَرِمِ الدَّارَ الْكَيْبُ فَشَعَشَعَا  
فَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الدَّارِ فِيهَا كَعَهْدِهِمْ  
فَلَا تُنْكِرِينِي إِنِّي أَنَا جَارُكُمْ

وقال آخر:

وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ أَحْسِبُ أَنِّي  
فَأَشْرَفْتُ يَوْمًا لِلْوَدَاعِ فَشَاقَنِي  
فَمَا بَرَحْتُ نَفْسِي تَسَاقُطُ أَنْفُسًا

وقال بشار:

إِرْجِعْ إِلَى سَكَنٍ تَعَزُّ بِهِ  
نَرْجُو غَدًا وَغَدٌ كَحَامِلَةٍ

وقال أبو تمام:

الْبَيْنُ جَرَّعَنِي نَقِيعَ الْخَنْظَلِ  
مَا حَسَرْتَنِي أَنْ كِدْتُ أَتْلَفُ إِنَّمَا

(٢٠) في «م» والمطبوع: الرجال.

(٢١) الديوان ص ١١٥، ١١٦ مع اختلاف في الرواية.

(٢٢) ديوان بشار ٣/٦٢، ٦٣.

وَادِي أَشْيٍ وَفَتَيَانٍ بِهِ هُضُمُ  
عَلَى الْعَشِيرَةِ وَالْكَافُونَ مَا جَرُمُوا  
إِلَّا يَزِيدُهُمْ حُبًّا إِلَيَّ هُمُ  
وَفِي الرِّحَالِ (٢٠) إِذَا صَاحَبْتَهُمْ خَدَمُ

أَحَاذِرُ أَنْ يَزِدَادَنِي فَأُنْكَسَا  
كَأَنِّي أَبَادِي أَوْ أَكَلِمُ أُخْرَسَا  
وَجَدْتُ مَقِيلًا فِيهِمْ وَمُعْرَسَا  
لِيَالِي حُلِّ الْحَيِّ غَوْلًا فَالْعَسَا (٢١)

ذُلُّ لِيَأْمِ الْفِرَاقِ أَرِيبُ  
وَذُو الشَّوْقِ فِي أَعْلَى الْبِقَاعِ طُرُوبُ  
وَتَجْمُدُ رُوحِي مَرَّةً وَتَذُوبُ

أَفِدَ الزَّمَانُ وَأَنْتَ مُنْفَرِدُ  
فِي الْحَيِّ لَا يَذُرُونَ مَا تَلِدُ (٢٢)

[و] الْبَيْنُ أَتُكَلِّنِي وَإِنْ لَمْ أَتُكَلِّ  
حَسَرَاتُ نَفْسِي أَنِّي لَمْ أَفْعَلْ

كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلَفُهُ الْفَتَى  
نَقْلُ فَوَادِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى

وقال زرعة الجعدي (٢٤):

إِذَا مَا التَّقَيْنَا بَعْدَ شَحْطٍ مِنَ النَّوَى  
أَهَابُ وَأَسْتَحْيِي فَلَسْتُ بِقَائِلِ  
رَمَتْ غَيْنٌ مِنْ يَهْوَى بَعَيْنٍ خَلِيلَةٍ  
إِذَا الْمَوْتُ نَسَى حُبَّ لَيْلَى فَإِنَّهُ

وقال الوليد بن عبيد الطائي:

أَحِبُّ إِلَيَّ بِطَيْفٍ شُعْدَى الْآتِي  
أَنِّي أَهْتَدَيْتُ لِمُحْرِمِينَ تَصَوُّوْا  
ذُكِّرْتَنَا عَهْدَ الشَّامِ وَعَيْشَنَا  
إِذْ أَنْتَ شَكْلُ مُوَافِقٍ وَمُخَالِفِ  
أَبْنِي عُيَيْدٍ شَدَّ مَا أَحْتَرَقَتْ لَكُمْ  
أَلْقَى مَكَارِمَكُمْ شَجَى لِي بَعْدَكُمْ  
لَمْ تُحْدِثِ الْأَيَّامُ لِي بَدَلًا بِكُمْ

وقال آخر:

إِذَا قِيلَ إِنَّ الْتَّائِي يُسْلِيكَ ذِكْرَهَا  
فَمَنْ لَأَمْنِي فِي أَنْ أَهْيِمَ بِذِكْرَهَا

(٢٣) الديوان ٤/٢٥٣.

(٢٤) لم أقف على زرعة الجعدي، غير أني وجدت زرعة بن عمرو في شرح الحماسة

(التبريزي) ٤/٢٥٦.

(٢٥) أقول كأن الأبيات من العينية المشهورة المنسوبة إلى المجنون، وفي البيت الرابع

ذكر «ليلى».

(٢٦) ديوان البحرني ص ٣٦٣.

وَحَيْنُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلِ  
مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ (٢٣)

تَعَرَّضَ بُخْلٌ بَيْنَنَا مُتَتَابِعُ  
صَلْبِي وَلَا مَعْرُوفُهَا لِي نَافِعُ  
وَأُخْرَى إِلَيْنَا بِالْمَوْدَةِ طَائِعُ  
إِذَا رَاجَعْتَ نَفْسِي الْحَيَاةَ لَرَّاجِعُ (٢٥)

وَطُرُوقِهِ فِي أَعْجَبِ الْأَوْقَاتِ  
لِسُفُوحِ مَكَّةَ مِنْ رُبَى عَرَافَاتِ  
بَيْنَ الْقَنَانِ السُّودِ فَالْهَضْبَاتِ  
وَالدَّهْرِ فِيكَ مُمَانِعُ وَمَوَاتِ  
كَبِدِي وَفَاضَتْ فِيكُمْ عَبْرَاتِي  
وَأَرَى سَوَابِقَ دَمْعِكُمْ حَسَرَاتِي  
أَيَّهَاتِ مِنْ بَدَلٍ بِكُمْ أَيَّهَاتِ (٢٦)

أَلَمْ خَيَالٍ مِنْ أُمَيْمَةَ يُسْعِفُ  
تَكَلَّفَ مِنْ وَجَدٍ بِهَا مَا أَكَلَّفُ

فَإِذَا كَانَ طَيْفُ الْخَيَالِ يَرُدُّ الْهَوَى عَلَى مَنْ قَدْ سَلَاهُ، وَيُفَكِّرُ عَهْدَ أَصْبَا  
مَنْ قَدْ تَنَاسَاهُ، فَمَا ظَنُّكَ بِحُضُورِ الْفِرَاقِ وَالْهَجْرَانِ وَمُقَاسَاةِ الْإِسْتِيْدَالِ  
بِالْإِخْوَانِ؟ هَذِهِ أَحْوَالُ لَا يَقَاوِمُهَا الْجَفَاءُ، وَلَا يُعَارِضُهَا الْعَزَاءُ، غَيْرَ أَنَّ مَنْ كَانَ  
سُلُوكُهُ سُلُوكَ اسْتِغْنَاءٍ لَمْ يَكْتَرِدْ لَوُرُودِ شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ.

□ □ □

### الباب الثالث والعشرون:

مَنْ غَلَبَهُ هَوَاهُ عَلَى الصَّبْرِ صَبَرَ لِمَنْ يَهْوَاهُ عَلَى الْغَدْرِ

هَذِهِ الْحَالُ لَيْسَتْ جَارِيَةً عَلَى التَّرْتِيبِ، فَيَقَعُ لِصَاحِبِهَا عُذْرٌ أَوْ تَأْنِيبٌ.  
لِأَنَّهَا حَالٌ قَدْ تَجَاوَزَتْ حَدَّ الْعُشْقِ بِرِضَى الْمُحِبِّ بِكُلِّ فِعْلٍ الْمَحْبُوبِ،  
وَهُوَ صَاحِبُهَا، فَأَوْقَعَ لَهُ اخْتِيَارُهُ الرِّضَى بِهَا وَالْمَحَبَّةَ مَعَهَا. ثُمَّ تَبَعَتْهَا أَشْيَاءُ  
مِنْ غَيْرِ جَنْسِهَا، إِلَّا أَنَّهَا لَيْسَتْ هُنَاكَ لِجَبَابِ الْمَوَدَّةِ، فَاجْتَمَعَتْ مَعَهَا. وَهَذِهِ  
حَالٌ وَقَعَتْ بِالْمَحْبُوبِ بَعْدَ أَنْ وَقَعَ الرِّضَى مِنْ مُجِبِّهِ بِخِلَافِهَا. ثُمَّ وَقَعَ السُّخْطُ  
مِنْهُ بِحُدُوثِهَا وَالتَّبَاعُدِ مِنْ صَاحِبِهَا. ثُمَّ عَرَضَتِ الْحَيْرَةُ الَّتِي لَا تُمَيِّزُ مَعَهَا فَرَدَّتْهُ  
بِالصُّغْرِ إِلَى مَا لَا يَرْضَاهُ، وَصَبَّرَتْهُ عَلَى مَا كَانَ قَبْلَ وَقُوعِهِ بِخَشَاهُ، وَبَيَّنَّ  
الرِّضَى الْإِخْتِيَارِيَّ وَبَيَّنَّ الرِّضَى الْإِضْطِرَّارِيَّ بَوْنٌ بَعِيدٌ. قَالَ ذُو الرِّمَّةِ:

أَجْدَّكَ قَدْ وَدَعْتَ مَيَّةً إِذْ نَأَتْ	فَوَلَّى بَقَايَا الْحُبِّ إِلَّا أَمِينُهَا
وَلِيْنِي لَطَاوِ سِرِّهَا مَوْضِعَ الْحَشَا	كُمُونَ الثَّرَى فِي عَهْدَةِ يَسْتَبِينُهَا
لَيْتَنِي رُوجَتْ مَيِّي خُنَيْسًا لَطَالَ مَا	بَغَى مُنْذِرُ مَيَّا خَلِيلًا يُهِينُهَا
تَزِينُكَ إِنْ جَرَّدَتْهَا مِنْ ثِيَابِهَا	وَأَنْتَ إِذَا جُرِّدْتَ يَوْمًا تَشِينُهَا
وَلَمَّا أَتَانِي أَنَّ مَيَّا تَزَوَّجَتْ	خُنَيْسًا بَكَى سَهْلُ الْبَعَى وَحَزُونُهَا
فَيَا نَفْسُ ذَلِي بَعْدَ مَيِّي وَسَامِجِي	فَقَدْ سَامَحْتَ مَيِّي وَذَلَّ قَرِينُهَا <sup>(١)</sup>

وقال عمر بن لجا<sup>(٢)</sup>:

آتَى الْبُخْلُ دُونَ الْجُودِ مِنْ أُمِّ وَاصِلٍ وَضَنَّ عَلَيْنَا بِأَلْعَطَاءِ ضَمِينُهَا

(١) الديوان ص ص ٦٤٧، ٦٤٨.

(٢) في «م» والمطبوع: عمر بن نجا.

فَلِلَّهِ دَرِي يَوْمَ مَالَتْ مَوَدَّتِي  
وَمَا خُتَّتْهَا إِنَّ الْخِيَانَةَ كَأَسْمَهَا  
مَدَدَتْ حَبَالًا مِنْكَ حَتَّى تَقْطَعَتْ  
فَكَيْفَ أَشَعْتَ السِّرَّ يَا أُمِّ وَاصِلٍ

وقال آخر:

أَكْرُ إِلَى لَيْلَى وَأَحْسِبُ أَنِّي  
فَأَصْبَحْتُ قَدْ أَجْمَعْتُ هَجْرًا لَيْتَهَا  
لَيْتَنِ آثَرْتُ بِالْوُدِّ أَهْلَ بِلَادِهَا  
وَمَا يَسْتَوِي مَنْ لَا يَرَى غَيْرَ لِمَةٍ

وقال بعض الإعراب:

شَكُوتُ إِلَى رَفِيقِي الَّذِي بِي  
وَجَاءَ بِالطَّيِّبِ لِيَكُونَانِي  
فَلَوْ ذَهَبَا إِلَى لَيْلَى فَشَاءَتْ  
تَقُولُ نَعَمْ سَأَقْضِي ثُمَّ تَلَوِي  
أَصَارِمَةً جِبَالُ الْوَصْلِ لَيْلَى  
وَمُؤَثَّرَةً الرِّجَالِ عَلَيَّ لَيْلَى  
وَلَوْ كَانَتْ تَسُوسُ الْبَحْرَ لَيْلَى  
فَمُرًّا صَاحِبِي بِدَارِ لَيْلَى  
أَرَيْتُكَ إِنْ مَنَعْتَ كَلَامَ لَيْلَى

إِلَيْهَا وَلَمْ تَرْجِعْ إِلَيَّ يَمِينُهَا  
وَلَا نَصَحْتَ نَفْسِي لِنَفْسِ تَخُونِهَا  
إِلَيَّ وَمَا خَانَ الْجِبَالَ مَتِينُهَا  
وَمَا أَخْلَصَ الْأَسْرَارَ إِلَّا أَمِينُهَا

كَرِيمٌ عَلَى لَيْلَى وَغَيْرِي كَرِيمُهَا  
وَفِي الْعَيْنِ مِنْ لَيْلَى قَذَى مَا يَرِيهَا  
عَلَى نَازِحٍ مِنْ أَرْضِهَا لَا يَرِيهَا  
وَمَنْ هُوَ ثَاوٍ عِنْدَهَا لَا يَرِيهَا<sup>(٣)</sup>

فَجَاءَ أَنِّي وَقَدْ جَمَعَا دَوَاءَ  
وَمَا أَبْغَى عِدْمَتُهُمَا أَكْبُوَاءَ  
لَأَهْدَتْ لِي مِنَ السَّقَمِ الشِّفَاءَ  
وَلَا تَنْوِي وَإِنْ قَدِرتَ قَضَاءَ  
لِاخْضَعْ يَدَ عِي دُونِي وَلَا  
وَلَمْ أُؤَثِّرْ عَلَى لَيْلَى النِّسَاءَ  
صَدَرْنَا عَنْ شَرَائِعِهِ ظِمَاءَ  
جُعِلَتْ لَهَا وَإِنْ بَخِلَتْ فِدَاءَ  
أَتَمَنُّعُنِي عَلَى لَيْلَى الْبُكَاءِ<sup>(٤)</sup>

(٣) الأبيات مما نسب إلى المجنون، ديوان المجنون ص ٢٥٣، مع اختراق في الرواية.

وكذلك في «الحماسة الصغرى» ص ١٦٠.

(٤) أميل إلى أن المقطوعة مما نسب إلى المجنون لتردد «ليلي» في أكثر أبياتها.

ولبعض أهل هذا العصر:

وَتَزْعُمُ لِلْوَاشِينَ أَنِّي فَاسِدٌ  
وَمَا فَسَدْتُ لِي يَشْهَدُ اللَّهُ بَيَّةُ  
عَذَرْتُ بِعَهْدِي عَامِداً وَأَخَفْتَنِي  
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو إِلَيْكَ فَطَالَمَا

وله أيضاً:

أَفْوِضْ أَسْبَابِي إِلَى اللَّهِ كُلَّهَا  
وَأَسْمَحْ بِالتَّقْوِيضِ حَتَّى إِذَا أَنتَهَى  
وَبِاللَّهِ لَوْ خَيْرْتُ بَيْنَكَ غَادراً  
رَضِيْتُكَ حَظًّا مِنْهُمَا غَيْرَ أَنِّي

وله أيضاً:

أَبَتْ غَلَبَاتُ الشُّوقِ إِلَّا تَقَرُّبَا  
عَلَيَّ رَقِيبٌ مِنْكَ خَالٍ بِمُهْجَتِي  
فَهَاءَ نَدَا وَفَقْتُ عَلَيْكَ مُجَرَّبٌ  
وَمَا كَانَ صَدِّي عَنْكَ صَدٌّ مَلَالَةٍ  
وَلَا كَانَ ذَاكَ الْعَدْلُ إِلَّا نَصِيحَةً  
وَلَا الْهَجْرُ إِلَّا فَرْطٌ مِنْ وَلَا الرِّضَى  
وَمَنْ يُمْنِعُ الْعَذْبَ الزُّلَّالَ وَيَمْتَنِعُ  
خَلِيقٌ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ شُرْبَ غَيْرِهِ  
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَقْدِرْ لَهُ مَا يُرِيدُهُ

وأشدد أعرابي ببلاد نجد:

فَيَا عَجَبًا مِنْ صَوْنِي الْوُدِّ فِي الْحَشَا  
وَمِنْ طَلْبِي بِالْوُدِّ ثَارِي وَلَمْ يَكُنْ

عَلَيْكَ وَأَنِّي لَسْتُ مِمَّا عَاهَدْتَنِي  
وَلَكِنَّمَا اسْتَفْسَدْتَنِي فَأَتَّهَمْتَنِي  
فَخَفْتُ وَلَوْ أَمْنْتَنِي لِأَتَمَّتَنِي  
شَكُوتُ الَّذِي أَلْقَى إِلَيْكَ فَرَدْتَنِي

وَأَفْنَعُ بِالْمَقْدُورِ فِيهَا وَأَرْتَضِي  
ضَمِيرِي إِلَى مَا بَيْنَنَا لَمْ أَفْوِضْ  
وَبَيْنَ كِلَا الْمُلْكَيْنِ تَخْيِيرٌ مُقْتَضٍ  
بِهَذَا الَّذِي تَرْضَاهُ لِي غَيْرُ مُرْتَضٍ

إِلَيْكَ وَنَأْيُ الْعَدْلِ إِلَّا تَجُنَّبَا  
إِذَا أَنَا سَهَلْتُ أَطْرَاحَكَ صَعْبَا  
إِذَا مَا نَبَا بِي مَرْكَبٌ رُمْتُ مَرْكَبَا  
وَلَا كَانَ إِقْبَالِي عَلَيْكَ تَطْرُبَا  
وَلَا ذَلِكَ الْإِغْضَاءُ إِلَّا تَهَيُّبَا  
بِلَا سَبَبٍ إِلَّا أَشْتِيَاقًا مُعَذِّبَا  
مِنْ الشُّرْبِ مِنْ سُورِ الْكِلَابِ تَغَضُّبَا  
وَحَافَ الْمَنَايَا أَنْ يَذِلَّ فَيُشْرَبَا  
أَرَادَ الَّذِي يُقْضَى لَهُ شَاءَ أَمْ أَبَى

لِمَنْ هُوَ فِيمَا قَدْ بَدَا لِي وَاتِرُ  
لِيُشْرَبَ تَبَلًا بِالْمَوَدَّةِ نَائِرُ

فَيَا عَجَبًا مِنِّي وَمِنْهَا تُضِيعُنِي  
وَيَا عَجَبًا كَيْفَ اتَّفَقْنَا فَنَاصِحُ

وقال البحرني:

وَأَحْفَظُهَا هَذَا اخْتِلَافُ السَّرَائِرِ  
مُصِرٌّ وَمَطْوِيٌّ عَلَى الْغِشِّ غَادِرٌ

مَسَافَةٌ النَّجْمِ دُونَ مُغْتَرِبَةٍ (٦)  
أَهْرُبُ مِنْ صِدْقِهِ إِلَى كَذِبِهِ (٧)

مُقْتَرِبُ الدَّارِ إِنْ أَرَمَهُ أَجْدُ  
رَاجِعُهُ الْقَوْلُ فِي مُلَاطَفَةٍ

وقال آخر:

حَتَّى أَحْسَنَ غَيْرَ الْحَسَنِ  
بِقَوْلِكَ فِي السِّرِّ لِي لَمْ أَخُنْ

سَاءَ عَرَضُ بِالسُّلُوكِ دُونَ الْيَقِينِ  
وَأَقْنَعُ إِذْ خُنْتَنِي مُعْلِنًا

وقال مسلم بن الوليد:

وَأَقْسَمْتُ لَا يَزُقُّنِي إِلَى سَمْعِي الْعَذْلُ  
وَلَكِنْ جَرَى قَوْلُ فَأَنْتَ بِهِ بَسْلُ  
لَقَدْ غَالَ الْفَأْ سَاكِنًا بِهِمُ السَّمْلُ  
وَإِنْ كُنْتُ لَا مَالَ لَدَيْ وَلَا أَهْلُ  
إِلَى الْجُلْمِ بِالْعَتَبِ وَقَدْ سَبَقَ الْجَهْلُ  
بِهِ تَنْزِلُ الشُّكْوَى وَيَحْتَمِلُ الثَّقَلُ  
حَلَا بَعْدَكَ الْعَيْشُ الَّذِي قُلْتُ لَا يَحُلُو (٨)

سَلَوْتُ وَإِنْ قَالَ الْعَوَازِلُ لَا يَسْلُو  
أَجَارَتْنَا مَا فِي فِرَاقِكَ رَاحَةً  
أَمَا وَاعْتِيَالِ الدَّهْرِ خُلَّةً بَيْنَنَا  
فَمَا بِي إِلَى مُسْتَطَرَفِ الْعَيْشِ وَخَشَّةُ  
تَنَالَى بِكَ الْأَمْرُ الَّذِي تَكْرِهِيَنَهُ  
عَلَيْكَ سَلَامٌ مِنْ أَخٍ كَانَ صَاحِبًا  
إِذَا تَمَّ حَالٌ وَهُوَ غَايَةُ مَنْ بَكَى

وَهَذَا كَلَامٌ يَسْتَعْنِي قَارِئُهُ بِقِرَاءَتِهِ عَنِ التَّنْبِيهِ عَلَى تَنَاقُضِهِ وَاسْتِحَالَتِهِ.  
وَلَا عُدْرَ فِي ذَلِكَ إِلَّا غَلَبَةُ الْحَيَرَةِ عَلَى قَائِلِهِ. وَفِي دُونَ هَذِهِ الْحَالِ مَا يُدْهِلُ  
الْعُقُولَ وَيُطِيشُ الْأَلْبَابَ، وَلَيْسَ الْعَجَبُ مِمَّنْ أَخْطَأَ فِي هَذَا وَإِنَّمَا الْعَجَبُ  
مِمَّنْ أَصَابَ.

(٦) في «م» والمطبوع: أرضه.

(٧) ديوان البحرني ص ٢٤١، مع اختلاف في الرواية.

(٨) المقتوعة في الديوان ص ٨٩، ٩٢ مع اختلاف في الرواية.

وقال علي بن محمد العلوي:  
لِيَالِي يَأْلُفُكَ الْغَانِيَاتُ  
وَقَدْ كُنْتُ تَمْلِكُ الْحَاظِلُ  
فَأَصْبَحَنْ أَعْقَبَنْ بَعْدَ الْوَدَادِ  
فَلَا غَرْنِي غَرَّرَ الْحَادِثَاتِ

وقال البحرني:

وَكُنَّ وَكُنْتُ صَغِيرًا صَغَارًا  
فَصِرَنْ يُعْرَنُكَ لَحْظًا مُعَارًا  
بِعَادًا وَبَعْدَ السُّكُونِ النَّفَارًا  
وَقَدْ كُنْتُ أَوْسَعُهُنَّ اغْتِرَارًا

وَالْأَمُّ فِي كَمَدٍ عَلَيْكَ وَأَعْذَرُ  
عَهْدُ الْهَوَى وَهَجَرَتْ مَنْ لَا يَهْجُرُ  
إِنْ أَلْمَعْنَى طَالِبٌ لَا يَظْفَرُ  
أَوْ ظَلَمُ عُلُوَّةَ يَسْتَفِيقُ فَيَقْصُرُ (٩)

أَخْفِي هَوَى لَكَ فِي الضُّلُوعِ وَأُظْهِرُ  
وَأَرَاكَ خُنْتُ عَلَى النَّوَى مَنْ لَمْ يَخُنْ  
وَطَلَبْتُ مِنْكَ مَوَدَّةً لَمْ أُعْطِهَا  
هَلْ دَيْنٌ عُلُوَّةَ يُسْتَطَاعُ فَيُقْتَضَى

وقال أيضاً:

خَلِيُّ الْحَشَا فِي وَصْلِهَا جَدُّ زَاهِدٍ  
وَمَا النَّاسُ إِلَّا وَاجِدٌ غَيْرُ مَالِكٍ  
لَمَّا يَتَغَيَّرُ أَوْ مَالِكٌ غَيْرُ وَاجِدٍ  
سَقَى الْغَيْثُ أَكْنَافَ الْجَمَى مِنْ مَحَلَّةٍ  
إِلَى الْحِفَفِ مِنْ رَمْلِ اللَّوَى الْمُتَقَاوِدِ (١٠)

تَمَادَى بِهَا وَجْدِي وَمِلْكُ وَصْلِهَا  
وَمَا النَّاسُ إِلَّا وَاجِدٌ غَيْرُ مَالِكٍ  
لَمَّا يَتَغَيَّرُ أَوْ مَالِكٌ غَيْرُ وَاجِدٍ  
سَقَى الْغَيْثُ أَكْنَافَ الْجَمَى مِنْ مَحَلَّةٍ  
إِلَى الْحِفَفِ مِنْ رَمْلِ اللَّوَى الْمُتَقَاوِدِ (١٠)

وقال آخر:

نَقِيًّا مِنَ الْآفَاتِ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ  
طَلَبْتُ وَمَنْ لِي بِالصَّحِيحِ لِمُسْلِمٍ

طَلَبْتُ أَخَا مَحْضًا صَحِيحًا مُسْلِمًا  
لَا مَنَحَهُ وَدِي فَلَمْ أُدْرِكِ الَّذِي

وقال الأحوص:

نَعَمْ وَدَاعَ بِنَاءٍ غَيْرَ إِذْلَالٍ  
بَعْدَ الْمَوَائِقِ كَالْجَارِي مِنْ آلَالٍ

قَدْ وَدَعْتُكَ وَدَاعَ الصَّارِمِ الْقَالِي  
وَعَادَ مَا وَدَعْتَنِي مِنْ مَوَدَّتِهَا

(٩) الديوان ص ١٠٧٠.

(١٠) ديوان البحرني ص ٦٢٢، ٦٢٣ مع اختلاف في الرواية.

فَقُلْتُ لَمَّا أَتَانِي أَنَّهَا خَتَرْتُ  
إِنْ تَصْرِمِ الْحَبْلُ أَوْ تُرْضِرِ الْوُشَاةَ بِنَا  
فَقَدْ أَرَاهَا وَمَا تَبَغِي بِنَا بَدَلًا  
أَبْقَى لَهَا الدَّهْرُ مِنْ وَدَيِّ الَّذِي عَهَدْتُ  
شَوْقًا إِلَيْهَا إِذَا بَتَّتْ مَنَاسِبَهَا  
وَحَفِظَ مَا اسْتَوْدَعْتَ عِنْدِي وَقَدْ زَعَمْتُ  
إِنْ كَانَ يُسْلِي فُؤَادِي مَا أَتَيْتَ بِهِ  
جُهْدًا لِاعْلِمَهَا الْوُدَّ الَّذِي [عَهَدْتُ]  
وقال أيضاً:

وَطَاوَعْتُ قَوْلَ أَعْدَائِي وَعُدَّالِي  
أَوْ تُمْسِ قَدْ رَضِيتُ مِنَّا بِأَبْدَالِ  
وَلَا تُطِيعُ بِنَا فِي سَالِفِ الْحَالِ  
أَمْرَيْنِ لَمْ يَبْرَحَا مِنِّي عَلَى بَالِ  
يَوْمًا وَأَبْصَرْتُ مِنْهَا رَسْمَ أَطْلَالِ  
أَنْ لَيْسَ يُحْسِنُ حِفْظَ السِّرِّ أَمْثَالِي  
فَلَا رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي وَلَا مَالِي  
عِنْدِي وَأَكْذْتُ أَقْوَالَ بِأَقْوَالِ (١١)

مَتَى مَا تَحْلِي مِنْ [ذُرَى] الْأَرْضِ تَلْعَةً  
وَأِنْ كِدْتُ شَوْقًا مَوْهِنًا وَذَكَرْتُهَا  
وَقُلْتُ لِعَيْنِي قَدْ شَقِيتُ بِذِكْرِهَا  
أَجْدَكَ تَنْسَى أُمَّ عَمْرٍو وَذَكَرْتُهَا  
فَإِنْ تَتَّبِعْهَا تُغْضِرُ عَيْنًا عَلَى الْقَدَى

أَزْرُكَ وَيَكْثُرُ حَيْثُ كُنْتَ تَرُدُّدِي  
لِأَرْجِعَ بِالرُّوحَاءِ عَوْدِي عَلَى يَدِي  
فَجُودِي بِمَاءِ الْمُقْلَتَيْنِ أَوْ أَجْمُدِي  
شِعَارَكَ دُونَ الثُّوبِ فِي كُلِّ مَرْقَدِ  
وَإِنْ تَجَنَّبْنَاهَا بَعْدَ مَا نِلْتَ تَكْمِدِ (١٢)

أَمَّا مَبْدَعُهُ الضَّرُورَةُ إِلَى الصَّبْرِ عَلَى مَنْ عَدَرَ بِهِ، فَلَا مَدْخَلَ لَنَا فِي  
أَمْرِهِ. وَأَمَّا مَنْ يَتَمَنَّى لِإِلْفِهِ أَنْ يَمِيلَ إِلَى حُبِّ غَيْرِهِ، لِيَكُونَ ذَلِكَ عَاطِفًا لَهُ  
عَلَيْهِ \* وَدَاعِيًا لَهُ إِلَى وَصْلِهِ، فَهُوَ مِنَ الْحُمَى فِي مَحَلِّ قَلِّ مَا يَتَهَيَّأُ مِثْلُهُ.  
وَمَا أَحْسَبُ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ يَكُونُ إِلَّا دَاخِلًا فِي جُمْلَةِ مَنْ وَقَعَتْ لَهُمُ الْمَحَابُّ  
لِتَنْفِيذِ ضَرْبٍ مِنَ الشَّهَوَاتِ.

وقال بعض المحدثين:

وَلَمَّا بَدَا لِي أَنَّهَا مَا تُجِنِّي  
تَمَنَيْتُ أَنْ تَهْوَى سِوَايَ لَعَلَّهَا  
وَأَنْ فُؤَادِي لَيْسَ عَنْهَا بِمُنْسِي  
تَذُوقُ حَرَارَاتِ الْهَوَى فَتَرُقْ لِي

(١١) انظر شعر الأحوص ص ١٨٤، وانظر تخريج الأبيات.

(١٢) انظر شعر الأحوص ص ١٠٨.

وأحسن من هذا ومن كل ما تقدمه قول الآخر:

وَاللَّهِ لَا نَفَرْتُ عَيْنِي إِلَيْكَ [وَلَا]  
إِلَّا رِيَاءً لِدَفْعِ الْقَوْلِ عَنْكَ وَلَا  
نَارَعْتُكَ أَلَدَّهْرَ إِلَّا مُكْرَهًا كَلِمًا  
إِنْ كُنْتُ خُنْتُ فَلَمْ أَضْمِرْ خِيَانَتَكُمْ  
وَاللَّهُ يَأْخُذُ بِمَنْ خَانَ أَوْ ظَلَمًا  
سَمَاحَةً لِمُحِبِّ خَانَ صَاحِبُهُ  
مَا خَانَ قَطُّ مُحِبٌّ يَعْرِفُ الْكِرَمَا

هذا البابس قد ألزم نفسه قطيعة من عَدَرَ بِهِ، وصبرها على المَكْرُوهِ  
كُلِّهِ، إِلَّا أَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ غَيْرُ مُضِيعٍ، لِمَا فِي ذِمَّتِهِ مِنْ رِعَايَةِ صَاحِبِهِ بِنَفْيِ الظُّنُونِ  
عَنْهُ. وَهَذَا أَكْثَرُ مَا يُمْكِنُ مِنَ الرِّعَايَةِ، أَوْ أَتَمُّ مَا يَتَهَيَّأُ مِنَ الصِّيَانَةِ، لِمَنْ بَادَرَ  
بِالْخِيَانَةِ، وَلَمْ يَنْصَبْ حُقُوقَ الْأَمَانَةِ. وَمَنْ مَنَعَ نَفْسَهُ مِنْ طَاعَةِ الْإِشْتِيَاقِ،  
وَهُوَ بَعْدَ مُقِيمٍ تَحْتَ رَايَةِ الْإِشْفَاقِ، فَقَدْ قَدِرَ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ، وَظَفَرَ  
بِحِظٍّ جَسِيمٍ.

وقال جميل:

أَتُونِي فَقَالُوا يَا جَمِيلُ تَبَدَّلْتُ  
وَعَلَّ جَبَالًا كُنْتُ أَحْكَمْتُ عَقْدَهَا  
بُثْنَةً أَبَدًا فَقُلْتُ لَعَلَّهَا  
أُتِيحَ لَهَا وَاشْ رَفِيقُ فَحَلَّهَا (١٣)

وَحَدَّثَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى النُّحْوِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا  
عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شَيْبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مَشِيخَتَنَا، قَالَ: بَيْنَمَا الْحَكَمُ بْنُ عَمْرِو الْغِفَارِيُّ  
صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَسِيرُ بِخُرَاسَانَ فِي بَعْضِ  
الْبِلَادِ وَهُوَ وَإِلَيْهَا، إِذْ سَمِعَ فِي بَعْضِ غِيَاظِهَا رَجُلًا يُعْنِي بِهِذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ:

تَعَزَّ بِصَبْرٍ لَا وَجَدِكَ لَا تُرَى [بِوَادِي] الْحَصَى أُخْرَى اللَّيَالِي الْغَوَابِرِ  
كَأَنَّ فُؤَادِي مِنْ تَذْكَرِهِ الْحَمَى وَأَهْلُ الْحَمَى يَهْفُو بِهِ رِيَشُ طَائِرِ (١٤)

(١٣) لم أجد البيتين في ديوان جميل.

(١٤) البيتان من شعر المجنون، ديوان المجنون ص ١٥١، وقد نسبنا في الأغاني ١٢٥/٥،

١٢٦، إلى الصمة القشيري. وهما من شعر ابن الدمينه كما في الديوان ص ٢٤.

## مَنْ تَجَلَّدَ عَلَى النَّوَى فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلْبَلَاءِ

اجْتِرَاءُ الْعُشَّاقِ عَلَى الْمُبَادَرَةِ إِلَى الْفِرَاقِ يَكُونُ إِذَا لَنَفِي أَقْوَالِ الْوُشَاةِ عَنْهُمْ وَعَنْ أَنْفُسِهِمْ، وَإِذَا لَضَجَرَةٍ تَلَحُّقُهُمْ مِنْ مَكْرُوءَةٍ يَقَعُ بِهِمْ. وَإِذَا لِيَشَاطِ فِي النَّفْسِ وَزُهْدٍ يَلْحَقُهَا لِقْوَةُ الظَّفَرِ بِمَا قَدْ حَصَلَ لَهَا فَتَرَى نَفْسَهَا أَجَلَ مِنْ مَحْبُوبِهَا، لِأَنَّهَا مَالِكَةٌ وَلَا شَيْءٌ فِي الْعَالَمِ يَعْدِلُهُ، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ مَالِكاً لَهَا فَإِنَّهَا لَا تَرَى نَفْسَهَا فِي حَدِّ مَا يُفْتَخَرُ بِمُلْكِهِ، فَهِيَ لِهَذِهِ الْعِلَّةِ تَتَكَبَّرُ عَلَيْهِ.

ولبعض أهل هذا العصر:

أُصُولُ بِهِ تَبَهَّأَ عَلَيْهِ فَمَنْ رَأَى مِنَ النَّاسِ قَلْبِي عَاشِقاً يَتَصَلَّفُ  
إِذَا خِفْتُ مِنْهُ الْغَدْرَ أَبْدَى تَوَافِياً يَزُولُ بِهِ خَوْفِي وَيَبْقَى التَّخَوُّفُ  
وَرُبَّمَا أَعْرَضَ الْعَاشِقُ عَنِ الْمَعْشُوقِ، إِذَا مِنْ جِهَةِ الْإِمْتِحَانِ لِلصَّبْرِ،  
وَإِذَا لِتَجْدِيدِ خَالِهِ عِنْدَ مَحْبُوبِهِ، وَكَثِيراً مَا يَجْرِي الْأَمْرُ فِي ذَلِكَ عَلَى ضِدِّ  
تَقْدِيرِهِ.

وفي هذا النحو يقول بعض أهل هذا العصر:

أَلَا يَا لَقَوْمِي لِلْهَوَى الْمُتَزَايِدِ وَطُولِ أَشْتِيَاقِ الرَّاغِلِ الْمُتَبَاعِدِ  
رَحَلْتُ لَكِي أَحْظَى إِذَا أُبْتُ قَادِماً فَأَوْرَدَنِي التَّرْحَالُ سُوءَ الْمَوَارِدِ  
كَأَنِّي لَدَيْغٍ حَارٍ عَنْ كُنْهِ دَائِهِ طَبِيبٌ قَدَاوُهُ بِسْمِ الْأَسَاوِدِ  
فَمَالَ مَعَ الدَّاءِ الْقَدِيمِ دَوَاؤُهُ فَيَا لَكَ مِنْ دَاءٍ طَرِيفٍ وَتَالِدِ

وقال أبو تمام:

هِيَ الْبَذْرُ يُغْنِيهَا تَوَدُّدٌ وَجْهَهَا إِلَى كُلِّ مَنْ لَاقَتْ وَإِنْ لَمْ تَوَدِّ

فَوَقَفَ وَقَالَ: عَلَيَّ بِالرَّجُلِ، فَأَتَيْتُ بِهِ، فَقَالَ: وَيَحَكَ! مَا أَنْتَ؟ قَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ مِنْ بَنِي عَامِرٍ، كُنْتُ فِي الدَّهْرِ مِنْ بَنِي عَامِرٍ فَقَالَ: هَلْ لَكَ فِي الْحِمَى؟ فَقَالَ: مَا لِي إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ، وَلِي بِالْبِلَادِ أَهْلٌ وَوَلَدٌ، قَالَ: فَإِنِّي أَحْمِلُ مَعَكَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ، قَالَ: فَكَيْفَ بِالْمَعَاشِ، لَا حَاجَةَ لِي فِي هَذَا؟ قَالَ: مَا مِنْ ذَلِكَ بُدٌّ، وَأَمْرٌ بِهِ أَنْ يُحْمَلَ، قَالَ: فَأَضْطَرَبْتُ فِي أَيْدِيهِمْ حَتَّى مَاتَ. وَهَذَا مِنْ أَعْجَبِ مَا سَمِعْتُ فِي مَعْنَاهُ، وَلَا أَعْرِفُ لِهَذَا الرَّجُلِ عُذْرًا فِي الْفِرَارِ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي يَهْوَاهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ اتَّصَلَ بِهِ عَنْ مَحْبُوبِهِ مِنَ الْغَدْرِ، مَا لَا تَنْبَسِطُ عَلَى مِثْلِهِ يَدُ الصَّبْرِ، فَكَانَ الْمَقَامُ عَلَى الْفِرَاقِ، وَالتَّجَلُّدُ عَلَى دَوَاعِي الْإِشْتِيَاقِ، أَهْوَنَ عَلَيْهِ مِنْ مُشَاهَدَةِ مَا لَا طَاقَةَ لَهُ بِهِ عِنْدَ التَّلَاقِ.

□ □ □

عَلَى أَنِّي لَمْ أَحْوِ وَفراً مُجْمَعاً  
وَلَمْ تُعْطِنِي الْأَيَّامُ نَوْماً مُسَكِّناً  
وَطُولُ مَقَامِ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ مُخْلِقٌ  
فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً  
وَلَهُ أَيْضاً:

أَقْلِي قَدْ أَضَاقَ بُكَاءُكَ دَرْعِي  
أَلْفَةً النَّحِيبِ كَمْ أَفْتِرَاقٍ  
وَلَيْسَتْ فَرْحَةُ الْأَوْبَاتِ إِلَّا  
وَمَا ضَاقَتْ بِنَازِلَةٍ ذِرَاعِي  
أَلَمْ فَكَانَ دَاعِيَةً أَجْتِمَاعٍ  
لِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَحُّ الْوَدَاعِ<sup>(١)</sup>

وقال زهير بن أبي سلمى:  
لَعَمْرُكَ وَالْخُطُوبُ مُعْبِرَاتُ  
لَقَدْ بَالَيْتَ مَطْعَنَ أُمِّ أَوْفَى

وقال آخر:  
وَأَعْرِضْ حَتَّى يَحْسِبَ النَّاسُ إِنَّمَا  
وَلَكِنْ أَرَوْضُ النَّفْسِ أَنْظُرْ هَلْ لَهَا  
بِي الْهَجْرُ لَا وَاللَّهِ مَا بِي لَكَ الْهَجْرُ  
إِذَا فَارَقْتَ يَوْماً أَحَبَّتَهَا صَبْرُ

وقال آخر:  
سَأَرْفُضُ مَا يُخَافُ عَلَيَّ مِنْهُ  
لِسَانَ الْمَرْءِ يُنْبِي عَنْ نَجَاهُ  
وَأَتْرُكُ مَا هَوَيْتُ لِمَا خَشِيتُ  
وَعَيَّ الْمَرْءُ يَسْتُرُهُ السُّكُوتُ

وقال آخر:  
وَكُنْتُ كَذِي دَاءٍ وَأَنْتَ دَوَاؤُهُ  
فَهَبْنِي لِذَائِي إِذْ مَنَعْتَ شِفَائِيَا

شِفَائِي أَنْ تَخْتَصِّنِي بِكَرَاهَةٍ  
فَالَا تَتَلْنِي مِنْ يَدِيكَ كَرَامَةً  
وَأَرْضِي بِأُخْرَى قَدْ تَبَدَّلْتُ إِنِّي  
وَالْفِ صَبْرْتُ النَّفْسَ عَنْهُ وَقَدْ أَرَى  
وَقَدْ قَادَنِي الْجِيرَانُ حُبًّا وَقَدْ تَهُمُّ

وقال آخر:

وَفَارَقْتُ حَتَّى مَا أَبَالِي مِنَ النَّوَى  
فَقَدْ جَعَلْتَ نَفْسِي عَلَى النَّأْيِ تَنْطَوِي

وقال عمر بن أبي ربيعة:

وَكَمْ مِنْ خُلَّةٍ أَعْرَضَتْ عَنْهَا  
أَرَدْتُ فِرَاقَهَا فَصَدَدْتُ عَنْهَا

وقال عمر بن لجأ<sup>(٥)</sup>:

تَقَطَّعَ مِنْهَا أَلُودٌ إِلَّا بَقِيَّةً  
فَأَصْبَحَ هَذَا النَّأْيُ شَيْئاً كَرِهْتُهُ  
وَلَمْ أَرْ مِنْهَا غَيْرَ مَقْعِدِ سَاعَةٍ

وقال أبو تمام:

تَصَدَّدَتْ وَحْبَلُ الْبَيْنِ مُسْتَحْصِدُ شَزْرُ  
بَكَتُهُ بِمَا أَبَكَّتُهُ أَيَّامَ صَدْرُهَا  
[و] قَالَتْ أَتَنْسَى الْبَدْرَ قُلْتُ تَجَلُّدًا

وَتَذَرَأُ عَنِّي الْكَاشِحِينَ الْأَعَادِيَا  
أَوَّلَ وَأَصْبَحُ مِنْ قُرَى الشَّامِ خَالِيَا  
إِذَا سَاءَنِي وَإِذَا تَبَدَّلْتُ وَإِيَا  
غَدَاةَ فِرَاقِ الْحَيِّ إِلَّا تَلَاقِيَا  
وَفَارَقْتُ حَتَّى مَا تَجُنُّ جَمَالِيَا

وَأَنْ بَانَ جِيرَانُ عَلَيَّ كِرَامُ  
وَعَيْنِي عَلَى فَقْدِ الْحَبِيبِ تَنَامُ

لِغَيْرِ قَلِي وَكُنْتُ بِهَا ضَيِينَا  
وَلَوْ جُنَّ الْفُرَادُ بِهَا جُنُونًا<sup>(٤)</sup>

وَحَالَ الْهَوَى عَمَّا تُرِيدُ فَأَبْعَدَا  
عَسَى أَنْ تَرَى مَا تَكْرَهُ النَّفْسُ أَرْشَدَا  
بِهِ اخْتَبَلْتُ عَقْلِي فَيَا لَكَ مَقْعَدَا

وَقَدْ سَهَلَ التَّوَدُّعُ مَا وَعَرَ الْهَجْرُ  
خَلِيٍّ وَمَا يَخْلُو لَهُ مِنْ هَوَى صَدْرُ  
إِذَا الشَّمْسُ لَمْ تَغْرُبْ فَلَا طَلَعَ الْبَدْرُ

(٤) البيتان في الديوان ص ٢٢٨.

(٥) في «م» والمطبوع: عمر بن نجأ.

(١) ديوان أبي تمام ٢٣/٢ مع اختلاف في الرواية.

(٢) الديوان (نشرة الخياط) ص ١٩٣، وقد جاء البيت الأول في «م» والمطبوع: ألقبي.

(٣) شرح ديوان زهير ص ٣٤٢.

فَأَبْدَتْ حَنَانًا مِنْ دُمُوعٍ نِظَامُهَا  
وَمَا الدَّمْعُ ثَانٍ عَزَمْتِي وَلَوْ أَنَّهَا  
عَلَى الْخَدِّ إِلَّا صَائِغَهَا الشُّفْرُ  
سَقَى خَدَّهَا مِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَهَا شَفْرُ<sup>(٦)</sup>

وقال آخر:

إِذَا مَا أَرَادَ الْغَزْوُ لَمْ يَثْنِ هَمُّهُ  
نَهْتُهُ فَلَمَّا لَمْ تَرَ النَّهْيَ عَاقَهُ  
حَصَانٌ عَلَيْهَا نَظْمٌ دُرٌّ يَزِينُهَا  
بَكَتْ فَبَكَى بِمَا عَنَاهَا قَطِينُهَا

وانشدني أحمد بن يحيى النحوي:

لَمْ أَنْسَ يَوْمَ الرَّجِيلِ عِبْرَتَهَا  
وَقَوْلَهَا وَالرِّكَابِ وَاقِفَةً  
وَطَرَفُهَا فِي دُمُوعِهَا غَرِقُ  
تَتْرُكُنِي هَكَذَا وَتَنْطَلِقُ

وَقُلَّ مَنْ اجْتَرَأَ هَذَا الضَّرْبَ مِنَ الْاجْتِرَاءِ، وَحَمَلَ نَفْسَهُ عَلَى هَذِهِ  
الْفُظَاظَةِ وَالْجَفَاءِ، إِلَّا كَانَ سَرِيعَ النَّدَمِ عَلَى صَنِيعِهِ، شَدِيدَ الْأَسْفِ عَلَى  
تَصْنِيعِهِ، فَكَانَ كَالَّذِي يَقُولُ مُعْتَفًا لِنَفْسِهِ وَمُؤَبِّحًا لَهَا عِنْدَ مَا نَزَلَ بِهِ:

بَكَتْ دَمًا حَتَّى الْقِيَامَةِ وَالْحَشِرِ  
أَتَطْعَنُ طُلُوعَ النَّفْسِ عَمَّنْ تُجِبُهُ  
وَلَا زِلْتُ مَغْلُوبَ الْعَزِيمَةِ وَالصَّبْرِ  
وَتَبْكِي كَمَا يَبْكِي الْمُفَارِقُ عَنْ صُغُرٍ  
وَدَمْعُكَ بَاقٍ فِي جُفُونِكَ لَا يَجْرِي  
أَقَمْ لَا تَسِرْ وَالْهَمُّ عَنْكَ بِمَعْرِزٍ

وكالذي يقول:

أَتَطْعَنُ عَنْ حَبِيبِكَ ثُمَّ تَبْكِي  
كَأَنَّكَ لَمْ تَذُقْ لِلْبَيْنِ طَعْمًا  
عَلَيْهِ فَمَنْ دَعَاكَ إِلَى الْفِرَاقِ  
فَتَعْلَمَ أَنَّهُ مُرُّ الْمَذَاقِ  
وَلَا تَطْعَنُ وَتَكْتُبُ بِأَشْتِيَاقٍ  
وَلَوْ يُعْطَى الشَّامُ مَعَ الْعِرَاقِ  
أَقِمِ وَأَنْعَمِ بِطُولِ الْقُرْبِ مِنْهُ  
فَمَا أَعْتَاضَ الْمُفَارِقُ مِنْ حَبِيبٍ

(٦) لم أجد الأبيات في الديوان.

وقال يزيد بن الطثرية:

أَتَبْكِي عَلَى لَيْلِي وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ  
وَمَا حَسَنًا أَنْ تَأْتِيَ الصَّرْمَ طَائِعًا  
مَرَارَكَ مِنْ لَيْلِي وَشَعْبَاكُمَا مَعًا  
وَتَجَزَعُ أَنْ دَاعِيَ الصَّبَابَةِ أَسْمَعًا  
قِفَا وَدَعَا نَجْدًا وَمَنْ حَلَّ بِالْحِمَى  
وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحِمَى ثُمَّ أَنْشِنِي  
وَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحِمَى بِرَوَاجِعِ  
عَلَيْكَ وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنُكَ تَذَمُّعًا<sup>(٧)</sup>

وقال أبو تمام:

أَصْغَى إِلَى الْبَيْنِ مُغْتَرًّا فَلَا جَرَمًا  
أَصَمَّنِي سِرُّهُمْ أَيَّامَ فُرْقَتِهِمْ  
إِنْ النَّوَى أَسَارَتْ فِي عَقْلِهِ لَمَمًا  
هَلْ كُنْتُ تَعْرِفُ شَيْئًا يُورِثُ الصَّمَمَا  
تُبْدِي نَجِيعًا وَيُبْدِي جِسْمَهُ سَقَمًا  
لَوْ مَاتَ مِنْ شُغْلِهِ بِالْبَيْنِ مَا عَلِمَا<sup>(٨)</sup>

وقال علي بن الجهم:

يَا رَحِمَتَا لِلْغَرِيبِ فِي الْبَلَدِ النَّأَى  
فَارَقَ أَحْبَابَهُ فَمَا أَنْتَفَعُوا  
زِحَ مَاذَا بِنَفْسِهِ صَنَعَا  
بِالْعَيْشِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَا أَنْتَفَعَا<sup>(٩)</sup>

وقال المجنون:

فَإِنْ تَرَجَّعَ الْأَيَّامُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا  
أَشَدُّ بِأَعْنَاقِ النَّوَى بَعْدَ هَذِهِ  
بِذِي الْأَثَلِ صِفًا مِثْلَ صَيْفِي وَمَرْبَعِي  
مَرَارًا إِنْ جَادَبْتَهَا لَمْ تَقْطَعْ<sup>(١٠)</sup>

(٧) الأبيات في الأغاني ٦٧/٢، ٥/٦ - ٦، تزيين الأسواق ص ٦٣، ٨٨، السمت  
ص ٣٥٠، ٤٦٢، مصارع العشاق ص ٣٦٣ - ٣٦٤، أمالي القاضي ١/١٩٠،  
١٩١، شرح المرزوقي ص ١٢١٥، وفي مجموع شعره ص ٧٨، ونسبت إلى المجنون  
الديوان ص ١٩٨ - ١٩٩.

(٨) الديوان (الخياط) ص ٣٠١ - ٣٠٢ مع اختلاف في الرواية.

(٩) الديوان ص ١٥٤.

(١٠) ديوان المجنون ص ١٩٧، والبيتان في شرح المرزوقي ص ١٣٨٧ من دون نسبة،  
ومحاضرات الأدباء ٣٠/٢.



وقال زياد بن أبي زياد<sup>(١١)</sup>:  
أَطَعْتُ بِهَا قَوْلَ الْوُشَاةِ فَلَا أَرَى أَلْ  
فَلَا تَكْ كَالنَّاسِي الْخَلِيلِ إِذَا دَنْتْ

وقال هدبة بن خشرم<sup>(١٢)</sup>:

أَلَا يَا لَقَوْمِي لِلنَّوَائِبِ وَالْدَهْرِ  
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ إِلَى أَمٍّ مَعْمَرٍ  
تَبَارِيحُ يَلْقَاهَا الْفُرَادُ صَبَابَةٌ  
فِيَا قَلْبُ لَمْ يَأْلَفْ كَالْفِكَ أَلْفُ  
وَمَا عِنْدَهَا لِلْمُسْتَهَامِ فُرَادُهُ

وقال آخر:

بَكَرْتُ عَلَيْكَ فَهَيَّجَتْ وَجَدًا  
أَتَجُنُّ مِنْ شَوْقِي إِذَا ذُكِرْتُ

وقال آخر:

أَلَا هَلْ إِلَى لَيْلَى قُبَيْلَ مَيْتِي  
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو يَتَّةَ شَقَتْ أَلْعَصَا  
لَعْمَرُكَ إِنِّي يَوْمَ جَرَعَاءَ مَالِكٍ  
مَضَى زَمَنٌ وَالنَّاسُ يَسْتَنْفِعُونَ بِي  
نَدِمْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنِّي نَدَامَةٌ  
سَبِيلٌ وَهَلْ لِلنَّاجِعِينَ رُجُوعُ  
هِيَ الْيَوْمَ شَتَّى وَهِيَ أَمْسٍ جَمِيعُ  
لَنَاصٍ لِأَمْرِ الْعَاذِلِينَ مُضِيعُ  
فَهَلْ لِي إِلَى لَيْلَى أَلْغَدَاءَ شَفِيعُ  
كَمَا نَدِمَ الْمَغْبُونُ حِينَ يَبِيعُ

(١١) لم أتبين زياد بن أبي زياد، ولكنني وجدت بين شعراء الحماسة (التبريزي) ٢٣٨/١ زياد الحارثي ووجدت في المصدر نفسه ١١٥/١ زياد بن زيد وقد تقدمت ترجمته.

(١٢) هدبة بن الخشرم شاعر مفلق، وهو قاتل ابن عمه زيادة بن زيد العذري في زمن معاوية، انظر معجم الشعراء ص ٤٦٠، وهومن شعراء الحماسة (التبريزي) ٤٣/٢.

(١٣) الأبيات في (مجموع شعره) ص ص ٩٥، ٩٦، وانظر فيه التخريج.

فَقَدْتُكَ مِنْ قَلْبِ شُجَاعٍ فَلَانِي  
وَقَرَّبْتَ لِي غَيْرَ الْقَرِيبِ وَأَشْرَفْتَ  
نَهَيْتُكَ عَنْ هَذَا وَأَنْتَ جَمِيعُ  
هُنَاكَ تَنَاسَى مَا لَهْنُ طُلُوعُ<sup>(١٤)</sup>

وقال الوليد بن عبيد الطائي:

قُلْ لِلرِّيَّاحِ إِذَا جَرَيْتَ فَيَلْبِغِي  
أُخْدِعْتُ عَنْكَ وَأَنْتَ بَذَرُ خَادِعُ  
وُظْلِمْتُ نَفْسِي جَاهِدًا فِي ظُلْمِهَا  
كَرُمَ الزَّمَانُ وَلُمْتُ فِيكَ وَلَا أَرَى  
لَا كَانَ حُبِّي أَيْنَ كَانَ وَأَنْتَ لِي  
الآنَ أَطْمَعُ فِي الْوِصَالِ وَدُونَنَا

وقال الأحوص:

فَوَانْدِمِي إِذْ لَمْ أَعِجْ إِذْ تَقُولُ لِي  
فَأَصْبَحْتُ مِمَّا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا  
تَقَدَّمَ فَشَيْعَنَا إِلَى ضَحْوَةِ أَلْغَدِ  
سِوَى ذِكْرِهَا كَالْقَابِضِ أَلْمَاءِ بِالْيَدِ<sup>(١٥)</sup>

وقال الحسين بن مطير الأسدي:

لَقَدْ كُنْتُ جَلْدًا قَبْلَ أَنْ تَوْقَدَ النَّوَى  
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَمُوتَ صَبَابَتِي  
فَقَدْ جَعَلْتَ فِي حَبَّةِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا  
عُهْدَ آلِهَوَى تُوَلَّى بِشَوْقِي يُعِيدُهَا<sup>(١٦)</sup>

وقال آخر:

هَمَمْتُ بِفُرْقَةٍ وَأَلَمْتُ فِيهَا  
فَلَا تَجَسَّرْ عَلَى أَمْرِ قَوِيٍّ  
كَأَنَّكَ حَتَفَ نَفْسِكَ تَسْتَشِيرُ  
عَلَيْكَ فَرُبَّمَا هَلَكَ أَلْجَسُورُ

(١٤) الأبيات من شعر المجنون كما في الديوان ص ١٩١ مع اختلاف في الرواية.

(١٥) ديوان البحري ص ١٩٩٠ مع اختلاف في الرواية.

(١٦) لا يوجد في «شعر الأحوص».

(١٧) الأبيات في شعر الحسين بن مطير ص ص ٤٦، ٤٧، وانظر التخريج.

وقال قيس بن ذريح:

وَحَبَّرْتَنِي يَا قَلْبُ أَتَاكَ صَابِرٌ      عَلَى الْهَجْرِ مِنْ لُبْنَى فَسَوْفَ تَذُوقُ  
فَمَتَّ كَمَدًا أَوْ عِشَّ سَقِيمًا فَإِنَّمَا      تُكَلِّفُنِي مَا لَا أَرَاكَ تُطِيقُ

وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود<sup>(١٨)</sup>:

فَيَا مَنْ لِنَفْسٍ لَا تَمُوتُ فَيَنْقُضِي      عَنَاهَا وَلَا تَحْيِي حَيَاةَ لَهَا طَعْمُ  
فَذُقْ هَجْرَهَا قَدْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّهُ      رَشَادٌ أَلَا يَا رَبِّمَا كَذَبَ الزَّعْمُ

وقال ابن الدمينية:

وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْمَحِبَّ إِذَا دَنَا      يَمَلُّ وَأَنَّ النَّأْيَ يَشْفِي مِنَ الْوَجْدِ \*  
بِكُلِّ تَدَاوَيْنَا فَلَمْ يُشَفَّ مَا بَنَا      عَلَى ذَلِكَ قُرْبُ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ الْبُعْدِ<sup>(١٩)</sup>

وقال آخر:

وَأَكْثَرَ مَا فِي النَّفْسِ أَتَى صَرْمَتُهَا      وَلَمْ يَتَحَوَّلْ جُحُهَا عَنْ فُؤَادِيَا  
طَلَبْنَا دَوَاءَ الْحُبِّ عَصْرًا فَلَمْ نَجِدْ      مِنَ الْحُبِّ إِلَّا مِنْ يُحِبُّ مُدَاوِيَا

□ □ □

الباب الخامس والعشرون:

## فِي الْوَدَاعِ قَبْلَ الْفِرَاقِ بَلَاغٌ إِلَى وَقْتِ لَتْلَاقِ

فَعُلِ الْوَدَاعُ ، وَتَرَكُهُ نَقْصُ كُلِّهِ مِمَّنْ قَدِرَ أَنْ يَرُدَّ الْفِرَاقَ عَنْ نَفْسِهِ ، وَذَلِكَ  
إِنَّ الْحَزْمَ لِأَهْلِ الْهَوَى أَلَّا يَسْطُوا عَلَى أَرْوَاحِهِمْ يَدَ النَّوَى ، فَإِنَّ عَذَابَ الْهَوَى  
مَعَ حُضُورِ الْمَحْبُوبِ يُنْقِصُ الْعَيْشَ وَيُبْرِخُ الْقُلُوبَ . فَكَيْفَ إِذَا تَحَكَّمَ فِيهِ  
سُلْطَانُ الْفِرَاقِ ، وَأَمَدَّتْ صَاحِبَهُ الْفِكْرُ بِخَوَاطِرِ الْإِشْفَاقِ ؛ وَالتَّهَنُّتِ فِي الضَّمِيرِ  
لَوَعَاتِ الْإِشْتِيَاقِ ؟ حِينَئِذٍ تُسَكَّبُ الْعَبْرَاتُ وَتَتَمَكَّنُ الْحَسَرَاتُ . وقال حبيب بن  
أوس الطائي :

أَمَّا الْهَوَى فَهُوَ الْعَذَابُ فَإِنْ جَرَتْ      فِيهِ النَّوَى فَالْيَمُّ كُلُّ الْيَمِّ<sup>(١)</sup>  
فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنْ فِرَاقٍ فَلَا يَكُنْ إِلَّا      بَعْدَ تَشْيِيعِ وَدَاعٍ . بَلَّغْنِي عَنْ  
مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ أَنَّهُ قَالَ : إِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنْ قَيْدٍ فَلْيَكُنْ مَجْلِيًّا .

وفي هذا المعنى يقول بعض أهل هذا العصر:

تَمَتَّعْ مِنْ حَبِيبِكَ بِالْوَدَاعِ      فَمَا بَعْدَ الْفِرَاقِ مِنْ اجْتِمَاعِ  
فَكَمْ جُرَعَتْ مِنْ هَجْرٍ وَغَدْرِ      وَمِنْ حَالِ ارْتِفَاعٍ وَاتِّضَاعِ  
وَكَمْ كَأَسَ أَمْرٌ مِنَ الْمَنَايَا      شَرِبْتُ فَلَمْ يَضُقْ عَنْهَا ذِرَاعِي  
فَلَمْ أَرْ فِي الَّذِي قَاسَيْتُ شَيْئًا      أَشَدَّ مِنَ الْفِرَاقِ بِلَا وَدَاعِ  
تَعَالَى اللَّهُ كُلُّ مُوَاصَلَاتٍ      وَإِنْ طَالَتْ تَوُولُ إِلَى انْقِطَاعِ

وَاخْتِيَارَاتِ الْعُشَّاقِ تَفَاوَتْ فِي أَمْرِ الْوَدَاعِ تَفَاوُتًا شَدِيدًا ، فَبَعْضُهُمْ  
مُسَارِعٌ إِلَى الْفِرَاقِ تَغْنَمًا لِلْوَدَاعِ فَمِنْهُمْ الَّذِي يَقُولُ :

(١) البيت من قصيدة في الديوان ٢٦١/٣ .

(١٨) في «م» والمطبوع: عبد الله بن عتبة... وقد تقدم التعريف به.

(١٩) في ديوان ابن الدمينية ص ٨٢ وكذلك في شرح المروزقي ص ١٢٩٨ ، وتزيين الأسواق

ص ٦٨ ، وهما في ديوان المجنون ص ١١٣ .

مَنْ يَكُنْ يَكْرَهُ الْفِرَاقَ فَإِنِّي  
أَشْتَهِيهِ لِمَوْضِعِ التَّسْلِيمِ  
إِنْ فِيهِ عِنَاقُهُ لَوَدَاعٍ  
وَأَنْتِظَارِي عِنَاقَهُ لِلْقُدُومِ

ومنهم الذي يقول:

لَسْتُ مِمَّنْ يَذُمُّ يَوْمَ الْفِرَاقِ  
وَلَهُ مِئَةٌ عَلَى الْعُشَاقِ  
إِنْ فِيهِ أَعْتِنَاقُهُ لَوَدَاعٍ  
وَأَنْتِظَارَ أَعْتِنَاقِ يَوْمِ التَّلَاقِ

وقال البحرري في هذا المعنى وله في ضده وما منهما إلا مختار

في بابه:

فَأَحْسِنْ بِنَا وَالذَّمْعُ بِالذَّمْعِ وَاشِجْ  
وَقَدْ ضَمْنَا وَشُكَّ التَّلَاقِي وَلَفْنَا  
فَلَمْ تَرَ إِلَّا مُخْبِرًا عَنْ صَبَابَةٍ  
وَمِنْ قُبُلٍ قَبْلَ التَّشَاكِي وَبَعْدَهُ  
فَلَوْ فِيهِمُ النَّاسُ التَّلَاقِي وَحُسْنُهُ  
لَحَبِيبٍ مِنْ أَجْلِ التَّلَاقِي التَّفَرُّقِ<sup>(٢)</sup>

وَمِنْهُمْ مَنْ يَصْبِرُ عَلَى الْفِرَاقِ، وَيَتَعَمَّدُ التَّخَلُّفَ عَنِ الْوَدَاعِ إِشْفَاقًا مِنْ  
مَضَاضَةٍ، وَعَجْزًا عَنْ مُعَاتَبَةِ سَاعَتِهِ.

فمنهم البحرري حيث يقول:

أَلَلُّهُ جَارَكَ فِي أَنْطِلَاقِكَ  
لَا تَعْدُلْنِي فِي خُرُوجِي  
إِنِّي عَرَفْتُ مُوَاقِفًا  
وَعَرَفْتُ مَا يَلْقَى الْمَوَدَّ  
وَعَلِمْتُ أَنَّ لِقَاءَنَا  
وَتَرَكْتُ ذَاكَ تَعَمُّدًا  
تَلْقَاءَ شَامِكَ أَوْ عِرَاقِكَ  
يَوْمَ سِرْتٍ وَلَمْ أَلَاقِكَ  
لِلْبَيْنِ تَسْفُحِ غَرْبِ مَاقِكَ  
عِنْدَ ضَمِّكَ وَأَعْتِنَاقِكَ  
سَبَبُ أَشْتِيَاقِي وَأَشْتِيَاقِكَ  
وَخَرَجْتُ أَهْرُبُ مِنْ فِرَاقِكَ<sup>(٣)</sup>

(٢) ديوان البحرري ص ١٥٣١ مع اختلاف في الرواية.

(٣) المصدر السابق ص ١٤٩٥ مع اختلاف في الرواية.

وَحَكِي أَبُو سُلَيْمَانَ عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ لِعُمَارَةَ بْنِ  
عَقِيلِ بْنِ بِلَالِ بْنِ جَرِيرٍ<sup>(٤)</sup> مَا كَانَ أَبُوكَ صَانِعًا حَيْثُ يَقُولُ:

لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخِرَ عَهْدِكُمْ يَوْمُ الْفِرَاقِ فَعَلْتُ مَا لَمْ أَفْعَلْ

قَالَ: فَمَا يَهْمُنِي إِنْ قَالَ كَانَ يَقْلَعُ عَيْنِيهِ، وَلَا يَرَى أَحْبَابَهُ الظَّاعِنِينَ؟ فَمَنْ  
يَقَعُ بِهِ الْفِرَاقُ اضْطِرَّارًا، وَيَتْرُكُ هُوَ الْوَدَاعَ اخْتِيَارًا، فَهُوَ أَحْسَنُ حَالًا مِمَّنْ  
يُضْطَرُّ إِلَى الْأُمُورِ جَمِيعًا، فَإِنَّ اجْتِمَاعَ الْهَجْرِ وَالْفِرَاقِ يَتْلَفُ مُهْجَةً الْمُشْتِاقِ.

وفي مثل ذلك يقول البحرري:

عَدَّتْنَا عَوَادِي الْحَبِّ عَنَّا وَزَادَنَا  
وَلِي ظَمًا لَا يَمْلِكُ الْمَاءُ دَفْعَهُ  
بِهَا كَلَفًا أَنَّ الْوَدَاعَ عَلَى عَتَبِ  
إِلَى نَهْلَةٍ مِنْ رِيْقِهَا الْخَصِيرُ الْعَذْبِ<sup>(٥)</sup>

وفي نحوه يقول أبو تمام<sup>(٦)</sup>:

أَنَاءً وَأَجْتِنَابًا أَيُّ صَبْرٍ  
أَلَمْ يَقْنَعَكَ فِيهِ الْهَجْرُ حَتَّى  
مَعَ الْبَلْوَى يُعْرِسُ بَيْنَ ذَيْنِ  
جَمَعَتْ لِقَابِهِ هَجْرًا بِبَيْنِ

وَعَلَى أَنَّ مِنَ الْمَحْبُوبِينَ مَنْ يَدْعُوهُ حُضُورُ الْفِرَاقِ، إِلَى الْجُرْصِ عَلَى  
التَّوْدِيْعِ وَالتَّلَاقِ، فَيَكُونُ وَقُوعُ النَّوَى سَبَبًا لِاسْتِخْرَاجِ مَا فِي نَفْسِهِ  
مِنْ الضَّغْنِ.

فمن ذلك يقول أبي تمام:

أَعْرَضْتُ بُرْهَةً فَلَمَّا أَحَسْتُ  
نَظَرْتُ فَالْتَفَتْتُ مِنْهَا إِلَى أَحَدٍ  
بِالنَّوَى أَعْرَضْتُ عَنِ الْإِعْرَاضِ  
لَى سَوَادٍ رَأَيْتُهُ فِي بَيَاضِ<sup>(٧)</sup>

(٤) في «م» والمطبوع: لعمار بن عقيل بن بلال بن جرير، وقد تقدمت ترجمته.

(٥) ديوان البحرري ص ١٠٤ مع اختلاف في الرواية.

(٦) ديوان أبي تمام (الخياط) ص ٣٣١ مع اختلاف في الرواية.

(٧) ديوان أبي تمام ص ٣٠٩/٢.

ومنه قول الآخر:

أَلَمْ تَرَ قَيْسَ كُلِّهَا أَنْ عَزَّهَا  
هُنَالِكَ جَادَتْ بِالْذُّمِّ مَوَانِعُ آلِ  
غَدَاةٍ غَدٍ عَنْ دَارِهِ الدُّمَرِ ظَاعِنُ  
سَعْيُونِ وَسُلْتُ بِالْفِرَاقِ الضَّغَائِنُ

وقال آخر:

عَشِيَّةً أَدْعُو مُسْعِدِي فَلَمْ أَجِدْ  
عَشِيَّةً زُمُوا لِلْفِرَاقِ جَمَالَهُمْ  
إِلَى حَرٍّ مَا أَلْقَى مِنَ الشَّوْقِ مُسْعِدَا  
فَلَمْ تَرَ إِلَّا وَاضِعاً فِي يَدِي يَدَا

وقال آخر:

فَمَا أَنَسَ مِ الْأَشْيَاءِ لَا أَنَسَ قَوْلَهَا  
تَمَتُّعَ بِذَا الْيَوْمِ الْقَصِيرِ فَإِنَّهُ  
وَأَدْمَعُهَا يُذَرِّنَ حَشَرَ الْمَكَاجِلِ (٨)  
رَهِينُ بِأَيَّامِ الشُّهُورِ الْأَطَاوِلِ

وقال آخر:

أَقُولُ لِمُقَلَّتِي لَمَّا أَلْتَقَيْنَا  
خُذِي لِي الْيَوْمَ مِنْ نَظَرٍ بِحَقِّ  
وَقَدْ شَرَقَتْ مَآقِيهَا بِمَاءِ  
فَسَوْفَ تُوَكِّلِينَ إِلَى الْبُكَاءِ

وقال آخر:

أَقُولُ لَهُ يَوْمَ وَدَّعْتُهُ  
لَئِنْ رَجَعْتَ عَنْكَ أَجْسَامُنَا  
وَكُلُّ بِعَبْرَتِهِ مُبْلِسُ  
لَقَدْ سَافَرْتُ مَعَكَ الْآنَفُسُ

وأنشدنا أحمد بن يحيى:

إِنَّ الطَّعَانِينَ يَوْمَ جَوْ سُوَيْفَةٍ  
غَيْضُنَ مِنْ عَبْرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي  
أَبْكَيْنَ عِنْدَ فِرَاقِهِنَّ عُيُونَا  
مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا

وقال جرير:

وَدَّعَ أَمَامَةَ حَانَ مِنْكَ رَجِيلُ  
إِنَّ الْوَدَاعَ لِمَنْ تُحِبُّ قَلِيلُ

(٨) في «م» والمطبوع: فلا أنس، وهو خطأ والكلام شرط وليس «لا» من أدوات الشرط.

تِلْكَ الْقُلُوبُ صَوَادِيأً تَيَمَّتْهَا  
أَعْذَرْتُ فِي طَلَبِ النَّوَالِ إِلَيْكُمْ  
وَأَرَى الشِّفَاءَ وَمَا إِلَيْهِ سَبِيلُ  
لَوْ كَانَ مِنْ مَلِكِ النَّوَالِ يُنِيلُ (٩)

وقال ذو الرمة:

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ جَرَعَاءَ مَالِكِ  
فَأَخَذُ الْهَوَى فَوْقَ الْخَلَائِمِ مُخْرَسُ  
فَلَمَّا عَرَفْنَا آيَةَ الْبَيْنِ بَغْتَةً  
لِحَقْنَا وَرَاجَعْنَا الْحُمُولَ وَإِنَّمَا  
فَلَمَّا تَلَاخَقْنَا وَلَا يَمُثِلُ مَا بِنَا  
غَدَوْنُ فَأَحْسَنُ الْوَدَاعِ فَلَمْ نُقْلِ  
وَحَالَسَنَ تَبَسَاماً إِلَيْنَا كَأَنَّمَا  
لِشَوْقِي مُنْقَادُ الْجَنِينَةِ تَابِعُ  
لَنَا إِذْ بُحِيَّا أَنْ نُسَلِّمَ مَانِعُ  
وَهَذَا النَّوَى بَيْنَ الْخَلِيطَيْنِ قَاطِعُ \*  
تُقْضِي دِيَانَاتِ الْوَدَاعِ الْمَرَاجِعُ  
مِنْ الْوَجْدِ لَا تَنْقُضُ مِنْهُ الْأَصَالِعُ  
كَمَا قُلْنَ إِلَّا أَنْ تُشِيرَ الْأَصَابِعُ  
تُصِيبُ بِهِ حَبَّ الْقُلُوبِ الْقَوَارِعُ (١٠)

وقال الحسين بن الضحاك:

هَلَّا رَجِمْتَ تَلَدُّدَ الْمُشْتَقِ  
نَفْسِي الْفِدَاءُ لِحَافٍ مُتَرَقِّبِ  
إِذْ لَا جَوَابَ لِمُفْحَمٍ مُتَحِيرِ  
وَمَنْنَبَ قَبْلَ فِرَاقِهِ بِتَلَاقِي  
جَعَلَ الْوَدَاعَ إِشَارَةً بِعِنَاقِي  
إِلَّا الدُّمُوعُ تُصَانُ بِالْإِطْلَاقِ (١١)

وقال الصمة بن عبدالله (١٢):

وَلَمْ أَرِ مِثْلَ الْعَامِرِيَّةِ قَبْلَهَا  
شَكُوتُ إِلَيْهَا فَيْضَةَ الْحُبِّ بِالْحَشَا  
وَلَا بَعْدَهَا يَوْمَ التَّقَيْنَا مُوَدَّعَا  
وَخَشْيَةَ شَمْلِ الْجِيِّ أَنْ يَتَصَدَّعَا

(٩) الأبيات في ديوان جرير (الصاوي) ص ٤٧٢.

(١٠) ديوان ذي الرمة ص ٣٣٤، ٣٣٦، مع اختلاف في الرواية.

(١١) الأبيات في «أشعار الحسين الخليل» وانظر تحريجيها.

(١٢) في «م» والمطبوع: عبيدالله بن الصمة. والصمة بن عبدالله القشيري شاعر بدوي من

شعراء الدولة الأموية، انظر الأغاني ١٢٤/٥، والأغاني (الثقافة) ٣/٦، والمؤتلف •

ص ١٤٤.

فَمَا رَاجَعْتَنَا غَيْرَ صَمْتٍ وَإِنَّهُ  
لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لَا تَقْنَعَ النَّفْسُ دُونَهَا  
وَأَعْدَلُ فِيهَا النَّفْسُ إِذْ حِيلَ دُونَهَا  
تَكَادُ لَهُ الْأَحْشَاءُ أَنْ تَتَقَطَّعَا  
بِشْيءٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ مُقْنِعَا  
وَتَأْبَى إِلَيْهَا النَّفْسُ إِلَّا تَطَلَّعَا<sup>(١٣)</sup>

وقال الطرماح:

كَأَنَّ لَمْ يَرُعَكَ الظَّاعِنُونَ بَيْنَهُمْ  
يُرَاقِبْنَ أَبْصَارَ الْغِيَارَى بِأَعْيُنٍ  
بَلَى مِثْلُ فَقْدِ الظَّاعِنِينَ يَرُوعُ  
عَوَازِرَ مَا تَجْرِي لَهُنَّ دُمُوعُ<sup>(١٤)</sup>

وقال البحرى:

وَقَفْنَا وَالْعُيُونُ مُثْقَلَاتٌ  
نَهْتُهُ رَقَبَةُ الْوَاشِيشِ حَتَّى  
يُغَالِبُ طَرْفَهَا نَظْرَ كَلِيلٍ  
تَعَلَّقَ لَا يَفِيضُ وَلَا يَسِيلُ<sup>(١٥)</sup>

وقال قيس بن الحدادية الخزاعي<sup>(١٦)</sup>:

أَجِدْكَ إِنْ نَعَمْ نَأَتْ أَنْتَ جَارِعُ  
وَحَسْبِي مِنْ نَأَى ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ  
وَقَالَتْ وَعَيْنَاهَا تَفِيضَانِ بِالْبَكَا  
فَقُلْتُ لَهَا تَأَلَّهِ يَذْرِي مُسَافِرُ  
وَقَدْ قَرُبْتُ أَوْ أَنَّ ذَلِكَ نَافِعُ  
وَمِنْ جَزَعٍ إِنْ زَادَ شَرْفَكَ رَابِعُ  
بِأَهْلِي خَبَرْنِي مَتَى أَنْتَ رَاجِعُ  
إِذَا أَصْمَرْتَهُ الْأَرْضُ مَا أَلَّهُ صَانِعُ

(١٣) والأبيات من العينية المشهورة التي ورد شيء منها في مصادر كثيرة منها الأغاني ٦٧/٢، ٥/٦-٦، تزيين الأسواق ٦٣، ٨٨، سمط اللآلئ ٣٥٠، ٤٦٠، مصارع العشاق ٣٦٣-٣٦٤، أمالي القالي ١٩٠/١-١٩١ شرح المزدق ١٢١٥، معجم البلدان (البش) الحماسة البصرية ص ١٦٥، عيون الأخبار ٤١/٤، محاضرات الأدباء ٣٧/٢، وديوان المجنون ص ١٩٨.

(١٤) ورد البيتان في صفحة سابقة.

(١٥) لم أجد البيت في الديوان.

(١٦) قيس بن الحدادية الخزاعي هو قيس بن منقذ بن عبيد، انظر الأغاني ٦/١٣، أمالي اليزيدي ص ١٥٣.

وقال آخر:

رَاعَكَ الْبَيْنُ وَالْمُحِبُّ يُرَاغُ  
لَسْتُ أُنْسَى مَقَالَهَا يَوْمَ وَلْتُ  
حِينَ قَالُوا تَشْتَتُ وَأَنْصِدَاعُ  
وَقُصَارَى الْمُسْتَعِينِ الْوَدَاعُ

وقال آخر:

لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْفِرَاقِ إِذَا كَا  
أَحْرَقَ مِنْ وَقْفَةِ الْمُسْتَعِ لِقْلُ  
نَ أَخُو الْحُبِّ وَالِهَا كَلِفَا  
بِ يُرِيدُ الْوَدَاعَ مُنْصَرِفَا

وقال طريح<sup>(١٧)</sup>:

يَا لَيْتَ شِعْرِي عَنِ الْحَيِّ الَّذِينَ غَدَوْا  
أَتَبِعْتُهُمْ مُقَلَّةً جَادَتْ بِأَذْمُعِهَا  
هَلْ بَعْدَ فُرْقَتِهِمْ لِلشَّمْلِ مُجْتَمَعُ  
وَالْقَلْبُ مِنِّي عَلَى آثَارِهِمْ قِطْعُ  
فَلَيْسَ لِي مِنْ فِرَاقٍ مَرَّةً جَزَعُ  
فَكُلُّ مَا كُنْتُ أَخْشَى قَدْ فَجِعْتُ بِهِ

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي:

تَفَضُّتْ لَبَانَاتٌ وَجَدَّ رَجِيلُ  
وَمُدَّتْ كُفُوفٌ لِلْوَدَاعِ فَصَافَحَتْ  
وَلَمْ يُشَفْ مِنْ أَهْلِ الصَّفَاءِ خَلِيلُ  
وَكَادَتْ عُيُونٌ لِلْفِرَاقِ تَسِيلُ  
إِذَا مَا خَلِيلٌ بَانَ عَنْهُ خَلِيلُ  
أَوَانِسُ لَا يُودَى لَهُنَّ قَتِيلُ  
وَأَعُولْتُ لَوْ أَجْدَى عَلَيَّ عَوِيلُ<sup>(١٨)</sup>  
غَدَاةً جَعَلْتُ الصَّبْرَ شَيْئاً نَسِيْتُهُ

وقال آخر:

تَفَرَّقَ أَهْلِي مِنْ مُقِيمٍ وَظَاعِنٍ  
أَفَامَ الْأَلَى لَا أَسْتَطِيعُ فِرَاقَهُمْ  
فَلِلَّهِ دَرِي أَيُّ أَهْلِي أَتَّبِعُ  
وَبَانَ الْأَلَى قَلْبِي بِهِمْ يَتَسَمَّعُ

(١٧) هو طريح بن إسماعيل الثقفي، شاعر أموي، وله في الوليد بن يزيد أبيات. انظر:

الشعر والشعراء (لیدن) ص ٤٢٧-٤٢٨ وانظر حماسة البحرى ص ٧٧.

(١٨) لم أجد في ديوان إسحاق الذي جمعه ماجد الغزي.

بِعَيْنِي تِلْكَ الْغَيْرُ حَتَّى تَجَاوَزَتْ  
وَأَعْرَضَ مِنْ رَضْوَى مَعَ اللَّيْلِ دَائِسٌ

وقال البحرني:

قَدْ رَأَيْتَكَ الدُّمُوعُ يَوْمَ تَوَلَّتْ  
عَبْرَاتُ مِلءِ الْجُفُونِ مَرَّتَهَا  
إِنْ تَبِتْ وَادِعِ الضَّمِيرَ فَعِنْدِي  
فُرْقَةٌ لَمْ تَدْعُ لِعَيْنِي مُحِبِّ

وقال أيضاً:

رَحَلُوا فَيَأْتِيْ عِبْرَةً لَمْ تُسَكَّبِ  
لَوْ كُنْتَ شَاهِدَنَا وَمَا صَنَعَ الْهَوَى

وقال أيضاً:

مَنْزِلُ هَاجٍ لِي الصَّبَابَةِ وَالشَّرِّ  
وَتَوَدُّ الْقُلُوبُ يَوْمَ اسْتَقَلَّتْ  
فَاتْرُكَايَ فَمَا أُطِيعُ عَذُولاً

وقال أبو تمام:

لَا أَظْلَمَ النَّأْيُ قَدْ كَانَتْ خَلَائِفُهَا  
وَدَّعَ فَوَازِكُ تَوْدِيْعِ الْفِرَاقِ فَمَا

(١٩) كذا في الديوان وأما في «م» والمطبوع: إن يثب وادع... والأبيات في ديوان البحرني

ص ١٢٧٩ مع اختلاف في الرواية.

(٢٠) ديوان البحرني ص ٧٨ مع اختلاف في الرواية.

(٢١) المصدر السابق ص ٢١٦٢ مع اختلاف في الرواية.

(٢٢) ديوان أبي تمام ٣٦١/٢.

وقال آخر:

لَمْ أُنَسْ إِذْ قَالَتْ غَدَاةَ النَّوَى  
لَأَنْتَ أَحْلَى مِنْ لَذِيذِ الْكَرَى  
وَدَمْعُهَا مُنْحَدِرٌ وَإِكْفُ  
وَمِنْ أَمَانٍ نَالَهُ خَائِفُ

وقال البحرني:

وَأَنْشَتْ وَجْهَةَ الْفِرَاقِ فَأَرْسَلَتْ  
نَظْرَةً خَلَفَهَا الدُّمُوعُ عَجَالاً  
أَتَرَى فَلَيْتاً يُرْجَى وَيَوْماً  
يُثَلَّ يَوْمِي بِرَامَتَيْنِ يَعُودُ<sup>(٢٣)</sup>

وقال بعض الطاهريين<sup>(٢٤)</sup>:

قَفِي وَدَعِينَا قَبْلَ أَنْ تَصْدَعَ النَّوَى  
وَلَا تَجْمَعِي هَجْراً عَلَيَّ وَفُرْقَةً  
بِوَصْلِكَ شَملاً لَمْ يَكُنْ مُتَصَدِّعاً  
فَمَا جُمِعَا قَبْلِي عَلَى عَاشِقٍ مَعَا

□ □ □

(٢٣) ديوان البحرني ص ٧٢١.

(٢٤) كاني استرجع الطاهريين بالطاء وهم الذين ينتسبون إلى طاهرين الحسين وليس

الظاهريين كما ورد في «م» والمطبوع.

مَا خَلَقَ الْفِرَاقَ إِلَّا لِتُعَذِّبَ الْعُشَّاقَ

أَمَّا الْفِرَاقُ فَمُسْتَعْنٍ بِشَاعَةِ اسْمِهِ عَنِ الْإِعْرَاقِ فِي وَصْفِهِ.

ولقد أحسن حبيب بن أوس الطائي في قوله:

أَخْ لِي لَوْ أَعْطَيْتُ الْمُنَى بِاسْمِ فَقْدِهِ      بَلَا فَقْدِهِ كَانَتْ بِهِ ثَمَنًا بَخْسًا  
فَلَوْ أَنَّ نَفْسِي أَلْفُ نَفْسٍ لَمَا أَتَيْتُ      يَدَ الْبَيْنِ أَوْ تَوَدِّي بِأَجْرِهَا نَفْسًا<sup>(١)</sup>  
وَقَدْ اخْتَلَفَ الْعُشَّاقُ فِي التَّفْصِيلِ بَيْنَ الْهَجْرِ وَالْفِرَاقِ، فَمِنْ أَهْلِ  
الْهَوَى مَنْ يُعْظِمُ شَأْنَ الْهَجْرِ عَلَى شَأْنِ النَّوَى وَيُشِيدُ مُحْتَجًّا لِذَلِكَ:

وَأَنْقَذَهَا مِنْ عَمْرَةٍ الْمَوْتِ أَنَّهُ      صُدُودُ فِرَاقٍ لَا صُدُودُ تَعَمُّدٍ  
فَأَجْرَى لَهَا الْإِشْفَاقُ دَمْعًا مُورِدًا      مِنْ الدَّمِ يَجْرِي فَوْقَ حَدِّ مُورِدٍ  
وَأَكْثَرُ أَهْلِ هَذَا الشَّانِ يُغْلِبُونَ شَأْنَ النَّوَى عَلَى شَأْنِ الْهَجْرِ، بَلْ يُغْلِبُونَهُ  
عَلَى كُلِّ مَكْرُوهِ مِنَ الْأَمْرِ غَيْرِ الْخِيَانَةِ وَالْغَدْرِ.

ولقد أحسن أبو تمام حبيب بن أوس الطائي حيث يقول:

وَكَانَ عَزِيزًا أَنْ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ      حِجَابًا فَقَدْ أَصْبَحْتُ مِنْكُمْ عَلَى شَهْرِ  
وَأَبْكَاهُمَا لِلْعَيْنِ وَاللَّهِ إِنِّي      أَحَازِرُ أَنْ لَا نَلْتَقِيَ آخِرَ الدَّهْرِ  
وَكَمْ دُونَنَا مِنْ مَهْمَةٍ مُتَنَازِحٍ      وَمِنْ جَبَلٍ وَغَيْرِ وَمِنْ بَلَدٍ فَقِيرٍ  
وَمَا زِلْتُ أَرْضَى مِنْ خَلِيلِي بِهِجْرِهِ      فَاحْسِبُ أَنْ لَا دَاءَ أَدْوَى مِنَ الْهَجْرِ  
إِلَى أَنْ رَمَانَا دَهْرُنَا بِتَفْرِقٍ      فَأَيَقُنْتُ أَنَّ الْبَيْنَ قَاصِمَةُ الظَّهْرِ<sup>(٢)</sup>

(١) البيتان في الديوان (الخياط) ص ٤٤٨.

(٢) لم أجد الأبيات في الديوان.

وَنَحْنُ نَقُولُ آلَانَ الْفُرْقَانُ بَيْنَ الْفِرَاقِ وَالْهَجْرِ الَّذِي يُعْظِمُ عِنْدِي أَمْرَ  
الْهَجْرِ، إِنَّمَا هُوَ مُنَاسِبَةٌ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْغَدْرِ. لِأَنَّ الْهَجْرَ إِذَا خَرَجَ عَنْ أَنْ يَكُونَ  
عِقَابًا عَلَى ذَنْبٍ، أَوْ تَذَلُّلًا بِإِظْهَارِ تَجَنُّهِ أَوْ عَتَبٍ، أَوْ مُرَاقَبَةً لَوَاشٍ، أَوْ مَثَلًا مِنْ  
الْعَدْلِ، فَلَا مُعْذِرَ لَهُ غَيْرَ الْغَدْرِ وَالْخِيَانَةِ، وَتَرْكِ الْمَقَامِ لِلْهَوَى بِحَقِّ الرِّعَايَةِ.  
فَهَذَا أَصْعَبُ أَسْبَابِ الْهَجْرِ، وَمِمَّا يُنْقِصُ مِنْ صُعُوبَتِهِ وَيَكُفُّ مِنْ عَادِيَّتِهِ، أَنَّهُ  
إِذَا جَرَى هَذَا الْمَجْرَى لِحَقِّ الْمَقْصُودِ بِهِ ضَرْبٌ مِنَ الْغَيْظِ، يُفْجِعُ مَا صَنَعَ بِهِ  
عَنْ غَيْرِ سَبَبٍ مُوجِبٍ لَهُ. وَلَيْسَ شَخْصٌ الْمَحْبُوبُ بِنَاءٍ عَنْ نَظَرِهِ، فَيَتِمَّاكَ  
عَنْهُ مِنْ إِزْعَاجِ الشَّوْقِ بِفِكْرِهِ، مَا يَذْهَبُ بِغَيْظِهِ وَيُلِينُ مِنْ قَلْبِهِ. وَمَعَ الْفِرَاقِ  
زَوَالُ ذَلِكَ كُلِّهِ، لِأَنَّ غَيْبَةَ الشَّخْصِ عَنِ النَّاطِرِ مُزِيلَةٌ لِكُلِّ غَيْظٍ، وَغَافِرَةٌ لِكُلِّ  
ذَنْبٍ، وَذَاهِبَةٌ بِكُلِّ عُجْبٍ، يَتَدَاخَلُ الْمَحْبُوبُ وَالْمُحِبُّ فَالْنُفُوسُ تَبْدُلُ  
لِلْفِرَاقِ، وَتَتَفَادَى مَعَهُ لِلدَّوَاعِي الْإِشْفَاقِ وَالْإِشْتِيَاقِ، فَهَذَا مِقْدَارُ مَا يَتَسَهَّلُ لَنَا مِنْ  
وَصْفِهِمَا وَيَجُوزُ أَنْ نَقْطَعَ بِهِ مِنَ الْحُكْمِ بَيْنَهُمَا.

قال ابن ميادة:

سَلِّ إِلَهَ صَبْرًا وَاعْتَرِفْ بِفِرَاقٍ      عَسَى بَعْدَ بَيْنٍ أَنْ يَكُونَ تَلَاقِي  
أَلَا لَيْتَنِي قَبْلَ الْفِرَاقِ وَبَعْدَهُ      سَقَانِي بِكَأْسٍ لِلْمَيْمَةِ سَاقِي<sup>(٣)</sup>

وقال آخر:

فَوَا حَسْرَتًا لَمْ أَقْضِ مِنْكُمْ لُبَانَةً      وَلَمْ أَتَمَتَّعْ بِالْجَوَارِ وَبِالْقُرْبِ  
وَفَرِّقَ بَيْنِي فِي الْمَسِيرِ وَبَيْنَكُمْ      فَهَاءَ نَدَا قَاضٍ عَلَى إِنْزِكُمْ نَحْبِي

[وقال آخر]:

أَلَا مَنْ لَقِبَ مُعْرِضٍ لِلنَّوَابِ      رَمَتْهُ خُطُوبُ الدَّهْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ  
تَبَيَّنَ يَوْمَ الْبَيْنِ أَنَّ أَعْتَرَامَهُ      عَلَى الصَّبْرِ مِنْ إِحْدَى الظُّنُونِ الْكَوَاذِبِ

(٣) ورد البيتان في أمالي الزجاجي ص ٤٣، الوحشيات ص ١٨٨ مع اختلاف في الرواية.

وقال آخر:

مَنْ كَانَ لَمْ يَذُقِ الْهَوَىٰ أَوْ ذَاقَهُ  
فَلَقَدْ أَخَذْتُ مِنَ الْهَوَىٰ بِنَصِيبٍ  
فَضِيتُ عَلَى أَحَدٍ فِرَاقُ حَبِيبٍ

وقال أبو تمام:

لَوْ كَانَ فِي الْبَيْنِ إِذْ بَانُوا لَهُمْ دَعَا  
فَكَيْفَ وَالْبَيْنُ مَوْصُولٌ بِهِ تَعَبُ  
لَوْ أَنَّ مَا تَبْتَلِيَنِ الْحَادِثَاتُ بِهِ  
لَوْ كَانَ بِالْعِيسِ مَا بِي يَوْمَ رَحَلْتَهُمْ  
كَأَنَّ أَيْدِي مَطَايَاهُمْ إِذَا وَحَدَتْ

وقال ابن الدمينة:

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مُضْمَرَاتٍ مِنَ الْهَوَىٰ  
أَقَامَ بِنَحْوِ الْمَاءِ قَلْبِي وَبَاعَدَتْ  
طَوَاهُنْ طُولُ النَّأْيِ طَيِّ الصَّحَائِفِ  
بَسَائِرِ جَنَامِي قِلَاصُ الْعَلَائِفِ (٥)

وقال معاذ ليلي العقيلي:

أَقَامَ فَرِيقٌ مِنْ أَنْاسٍ تَوَدُّهُمْ  
بِحَاجَةٍ مَحْزُونٍ ثَبَاتُ فُؤَادِهِ  
تَحْمَلُنْ أَنْ هَبَّتْ لَهُنَّ عَشِيَّةٌ  
فَوَاكِدِي أَكْوَى عَلَيْهَا وَإِنَّهَا

وقال المعلوط (٧):

دَعَوْتُ رَبِّي دُعَائِي فَاسْتَجَابَ لَهُ  
كَمَا دَعَا رَبَّهُ نُوحٌ وَإِيبُ

(٤) لم أجد الأبيات في الديوان.

(٥) البيتان في ديوان ابن الدمينة ص ١٧٥ عن كتاب الزهرة.

(٦) الأبيات في ديوان المجنون ص ٢٠، وكذلك في مصارع العشاق ص ٢١٥.

(٧) هو المعلوط بن بدل السعدي من شعراء الحماسة (شرح التبريزي) ٣/٣١٨.

أَنْ يَنْزِعَ الدَّاءُ مِنْ قَلْبِي وَيَجْعَلَهُ  
لِيُشْرِءَ اللَّهَ قَلْبًا مِنْ صَبَائِيهِ  
قَلْبِي بِنَجْدٍ وَأَجْلَادِي تَهَامِيَةٍ  
فِي قَلْبٍ سُلْمَى وَحَمْلُ الدَّاءِ تَغْطِيبُ  
فَلَا أَحِنُّ إِذَا حَنَّ الْمَطَارِيبُ  
مَا بَعْدَ هَذَا مِنَ التَّعْذِيبِ تَعْذِيبُ

وقال جبران العود (٨) ومن الناس من يرويه لذي الرمة:

أَيَا كَبِيدِي كَادَتْ عَشِيَّةٌ غُرْبٍ  
عَشِيَّةٌ مَا فِيمَنْ أَقَامَ بِغُرْبٍ  
عَشِيَّةٌ مَا لِي حِيلَةٌ غَيْرَ أَنِّي  
أَخْطُ وَأَمْحُو كُلَّ خَطِّ خَطَطَتُهُ  
كَأَنَّ سِنَانًا فَارِسِيًّا أَصَابَنِي  
وَمَا يَرْجِعُ الشُّوقُ الزَّمَانَ الَّذِي مَضَى  
فَمَا كَانَ مَشُومًا لَنَا طَائِرُ الْهَوَىٰ  
مِنْ الْوَجْدِ إِثْرُ الظَّاعِنِينَ تَصَدَّعُ  
مُقَامٌ وَلَا فِيمَنْ مَضَى مُتَسَرِّعُ  
بَلَقَطُ الْحَصَى وَالْخَطُّ فِي الدَّارِ مُوَلِّعُ  
بِكَفْيٍ وَالْغُرْبَانُ فِي الدَّارِ وَقَعُ  
عَلَى كَبِيدِي بَلْ لَوْعَةُ الْحَبِّ أَوْجَعُ  
وَلَا لِلْفَتَى فِي دِمْنَةِ الدَّارِ مَجْزَعُ (٩)  
وَلَا ذَلْ لِلْبَيْنِ الْفَوَادُ الْمَرْوَعُ (١٠)

وأشدنا أحمد بن أبي طاهر لطيف الغنوي (١١):

وَمَا أَنَا بِالْمُسْتَكْبِرِ الْبَيْنِ إِنِّي  
بِذِي لَطْفِ الْجِيرَانِ قَدَمًا مُفْجَعُ  
جَدِيرًا بِهِ مِنْ كُلِّ حَيٍّ لَقِيَتُهُمْ  
إِذَا أَنَسَ عَزَّوَا عَلَيَّ تَصَدَّعُوا (١٢)

وقال آخر:

أَمَّا الرَّحِيلُ فَحِينَ جَدُّ تَرَحَّلْتُ  
مُهْجُ النَّفُوسِ لَهُ عَنِ الْأَجْسَادِ

(٨) جبران العود شاعر جاهلي، انظر ترجمته في الشعر والشعراء (ليدن) ص ص

٤٥٠ - ٤٥٣.

(٩) الأبيات الثالث والرابع والخامس والسادس من شعر ذي الرمة الديوان ص ٣٤٢ وهي في

شعر المجنون الديوان ص ٧١٨٨

(١٠) لم أجد الأبيات في ديوان جبران العود.

(١١) هو أبو محمد طيفل بن كعب، شاعر جاهلي... انظر الشعر والشعراء (ليدن)

ص ص ٢٧٥ - ٢٧٦.

(١٢) ديوان طيفل ص ٥١.



مَنْ لَمْ يَمُتْ وَالْبَيْنُ يَصْدَعُ شَمْلُهُ  
لَمْ يَذَرْ كَيْفَ تَفَتْ الْأَكْبَادُ

وقال إسحاق الموصلي (١٣):

إِشْرَ السَّلَامِ عَلَى الدَّلْفَاءِ إِذْ شَحَطَتْ  
فَمَا وَجِدْتُ عَلَى إِلْفٍ فُجِعْتُ بِهِ  
وَقُلْ لَهَا قَدْ أَذَقْتُ الْقَلْبَ مَا خَافَا  
وَجِدِي عَلَيْكَ وَقَدْ فَارَقْتُ الْأَفَا (١٤)

وأنشدني أحمد بن أبي طاهر:

خَلِيلِي إِنِّي لَمْ أَجِدْ بَرْدَ مَشْرَبٍ  
وَمَا زَالَ مُدُّ لَمْ يَلْقَها الْقَلْبُ صَادِيًا  
وَلَا طَعْمَ نَوْمٍ مُدُّ نَأَتْ أُمُّ حَاجِبٍ  
وَإِنْ كَانَ يُسْقَى مِنْ لَذِيذِ الْمَشَارِبِ

وقال آخر:

أَحْجَاجُ بَيْتِ اللَّهِ فِي أَيِّ هَوْدَجٍ  
أَبْقَى أَسِيرَ الْحَبِّ فِي أَرْضِ غُرْبَةٍ  
وَفِي أَيِّ خِذْرِ مِنْ خُذُورِكُمْ قَلْبِي  
وَحَادِيكُمُ يَحْدُو بِقَلْبِي مَعَ الرُّكْبِ (١٥)

وقال الحسين الخليل:

بِنَفْسِي حَبِيبٌ أَمْ مَكَّةٌ مُكْرَهًا  
سَلَانًا وَجِيدٌ لَا يُسَرُّ بِمُؤْنَسٍ  
أَجِنُّ إِلَى شَهْرِ الْمُحَرَّمِ لَيْتَهُ  
الْأَمُّ عَلَى شُغْلِي بِمَنْ شُغْلُهُ  
يُعَالِجُ مَسْتُورًا مِنَ الْحُزَنِ وَالْأَلَمِ  
مِنْ النَّاسِ حَتَّى تَنْقُضِي الْأَشْهُرَ الْحُرْدَمِ  
غَدَاةَ غَدٍ قَدْ كَانَ أَوْ بَانَ فَانْصَرَمِ  
إِذَا طَافَ أَوْ أَصْغَى إِلَى الرُّكْنِ فَاسْتَلَمِ  
وَنَحْفَظُ عَهْدِنَا عَلَى رَغَمٍ مِنْ رَغَمٍ (١٦)

(١٣) هو إسحاق بن إبراهيم الموصلي من أشهر الندماء في العصر العباسي تفرّد بالغناء والموسيقى وكان عالمًا بالأدب والتاريخ، وكان شاعرًا، توفي سنة ٢٣٥هـ. انظر وفيات الأعيان ٦٥/١، سمط اللآلئ ص ١٣٧، الأغاني (الدار) ٢٦٨/٥، تاريخ بغداد ٣٣٨/٦.

(١٤) البيتان في أمالي القاضي ٥٥/١.

(١٥) البيتان مما نسب إلى المجنون، الديوان ص ٧٧.

(١٦) انظر «أشعار الحسين الخليل» وفيه تخريج الأبيات.

وقال ذو الرمة:

أَرَاخَ فَرِيقَ جَبَرَتِكَ الْجَمَالَا  
فَكِدْتُ أَمُوتُ مِنْ حُزْنٍ عَلَيْهِمْ  
وَلَمْ أَرِ صَاحِبَ الْأَطْعَانِ آلَا  
وَمَيَّةٌ فِي الطَّعَائِنِ وَهِيَ شَكْتُ  
سَوَادَ الْقَلْبِ فَأَقْتَتِلَ أَفْسَالَا  
وَلَمْ أَرِ مِثْلَهَا نَظْرًا وَعَيْنَا  
وَلَا أُمُّ الْغَزَالِ وَلَا الْغَزَالَا  
هِيَ السُّقْمُ الَّذِي لَا بُرءَ مِنْهُ  
وَبُرءُ السُّقْمِ لَوْ بَذَلْتُ نَوَالَا (١٧)

وقال معقل بن عيسى أخو أبي دلف (١٨):

لَعَمْرِي لَنْ قَرَّتْ بِقُرْبِكَ أَعْيُنُ  
لَقَدْ سَخِنَتْ بِالْقُرْبِ مِنْكَ عُيُونُ  
فَسِرْ أَوْ أَقِمْ وَقِفْ عَلَيْكَ مَوَدَّتِي  
مَكَائِكَ مِنْ قَلْبِي عَلَيْكَ مَصُونُ

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي:

رَاحُوا وَرَحْنَا عَلَى آثَارِهِمْ أَصْلًا  
مُحَمِّلِينَ مِنَ الْأَثْقَالِ أَوْقَارًا  
كَأَنَّ أَنْفُسَنَا لَمْ تَرْتَحِلْ مَعَنَا  
أَوْسِرْنَا فِي أَوَّلِ الْحَيِّ الَّذِي سَارَا (١٩)

وقال آخر:

عَجَلَ الْفِرَاقُ بِمَا كَرِهْتُ وَطَالَمَا  
وَأَرَى الْآتِي هَامَ الْفُؤَادِ بِذِكْرِهَا  
كَانَ الْفِرَاقُ بِمَا كَرِهْتُ عَجُولًا  
أَصْبَحْتُ مِنْهَا فَارِعًا مَشْغُولًا

وقال آخر:

بِنَفْسِي مَنْ أُمْسِي وَأُصْغِي لِنَائِيهِ  
وَشَوْقِي إِلَيْهِ فِي عَنَاءٍ وَفِي كَرْبٍ  
فَإِنْ يَرْتَحِلْ جِسْمِي مَعَ الرُّكْبِ مُكْرَهًا  
يُقِمُّ عِنْدَهَا قَلْبِي وَأَمْضِي بِلَا قَلْبٍ

(١٧) انظر الديوان ص ٤٢٩، وهذه الأبيات تتوزع في صفحات مختلفة.

(١٨) في «م» والمطبوع: الدلف.

(١٩) ديوان إسحاق الموصلي ص ٥٨، وهو ديوان مجموع، ومصدر التخريج كتاب الزهرة.

ولبعض أهل هذا العصر:

وَكُنْتُ أَرَى أَنْ قَدْ تَنَاهَى بِي إِلَهَوِي  
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا تَذَكَّرْتُ مَا مَضَى  
فَقَدْ وَالَّذِي لَوْ شَاءَ لَمْ يَخْلُقِ النَّوَى  
إِلَى غَايَةِ مَا بَعْدَهَا لِي مَذْهَبٌ  
فَأَيَقَنْتُ أَنِّي إِنَّمَا كُنْتُ اللَّعْبُ  
عَرِضْتُ فَمَا أَدْرِي إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ

وقال آخر:

وَأَخَلْتُ فَشَطْتُ عَنْ مُقَامِي وَخَانِي  
لَقَدْ غَادَرْتَنِي لَا صَاحِبًا لِصَحْتِي  
وَمَا... مِنْ ضَنَى الْمَوْتِ لَا تُخْلِي (٢٠)

وقال آخر:

أَعَارَ عَلَيْنَا الدَّهْرُ حَتَّى كَانَمَا  
بِتَشْتِيبِ أَلَا فٍ وَتَغْرِيبِ مَنْزِلٍ  
وَقَدْ عَلِمَ الدَّهْرُ الْخَوُونَ بِأَنِّي  
يُطَالِبُنَا الدَّهْرُ الْمُغِيرُ بِأَوْتَارٍ  
وَتَفْرِيقِ إِخْوَانٍ وَتَقْلِيلِ أَوْطَارٍ  
أُصُولُ عَلَيْهِ صَوْلَةُ الْأَسَدِ الضَّارِي

وقال علي بن محمد العلوي الكوفي:

وَلَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى الْفِرَاقِ وَلَمْ أَجِدْ  
يَا سَاعَةَ الْبَيْنِ أَنْبَرِي فَكَأَنَّمَا  
لِلْمَوْتِ لَوْ فَقَدَ الْفِرَاقُ سَبِيلًا  
وَأَصَلَتْ سَاعَاتِ الْقِيَامَةِ طُولًا

وقال الطائي (٢١):

يَوْمَ الْفِرَاقِ لَقَدْ خُلِفْتَ طَرِيبًا  
لَوْ حَارَ مَنْ قَادَ الْأَمِيَّةَ لَمْ يُرَدْ  
قَالُوا الرَّجِيلُ فَمَا شَكَّكَ بِأَيْنَهَا  
أَلْصَبْرُ أَجْمَلُ غَيْرَ أَنْ تَلْدُذَا  
لَمْ تُبَيِّنْ لِي صَبْرًا وَلَا مَعْقُولًا  
إِلَّا الْفِرَاقَ عَلَى النَّفْسِ دَلِيلًا  
نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا تُرِيدُ رَجِيلًا  
فِي الْحُبِّ أُخْرَى أَنْ يَكُونَ جَمِيلًا

(٢٠) في «م» والمطبوع فراغ بقدر كلمة.

(٢١) هو أبو تمام.

أَتَطَّنَنِي أَجِدُ السَّيْلَ إِلَى الْعَمْرَا  
رَدُّ الْجُمُوحِ الصَّعْبِ أَسْهَلُ مَطْلَبًا

وقال أبو تمام:

نَوَى كَأَنفِضَاضِ النُّجْمِ كَانَتْ نَتِيجَةً  
فَلَا تَحْسِبَا هَذَا لَهَا الْعَدْرُ وَحَدَهَا  
وَكَمْ تَحْتَ أَرْوَاقِ الصَّبَابَةِ مِنْ فَتَى  
مُحَمَّدُ يَا أَبْنَ الْهَيْثَمِ أَنْفَلَبْتُ بِنَا  
وَحَقْدُ مِنَ الْأَيَّامِ وَهِيَ قَسِيرَةٌ

وقال علي بن محمد العلوي:

أَتَبَعْتُهُمْ نَفْسًا تَدْمِي مَسَالِكُهُ  
مَا زِلْتُ أَعْرِفُ أَيَّامِي وَأُنَكِّرُهَا  
خَاضَتْ بِي أَلْسُنُكَ حَتَّى قَالَ قَائِلُهَا

وقال آخر:

لَعَمْرِي لَئِنْ شَطْتُ بِعُثْمَةَ دَارَهَا  
أَرْوَحُ بِهِمْ ثُمَّ أَغْدُو بِمِثْلِهِ

وقال آخر:

سَنَحَ إِلَهَوِي فَكُنْتُ نَفْسِي حَاجَةً  
نَهْوَى الْخَلِيطَ وَإِنْ أَقْمَنَا بَعْدَهُ

وَجَدَ الْجِمَامُ إِذَا إِلَيَّ سَبِيلًا  
مِنْ رَدِّ دَمْعٍ قَدْ أَرَادَ مَسِيلًا (٢٢)

مِنْ الْهَزَلِ يَوْمًا إِنَّ هَزَلَ إِلَهَوِي جَدُّ  
سَجِيَّةُ نَفْسٍ كُلُّ غَايَةِ هُنْدُ  
مِنْ الْقَوْمِ حُرِّ دَمْعُهُ لِلْهَوَى عَبْدُ  
نَوَى خَطَأً فِي عَقِبِهَا لَوَعَةُ عَمْدُ  
وَشَرُّ السَّجَايَا قُدْرَةُ حَارَها جَقْدُ (٢٣)

كَأَنَّهُ مِنْ جِمَى الْأَحْشَاءِ مَقْدُودُ  
حَتَّى أَنْبَرْتُ وَهِيَ لَا يَبْضُ وَلَا سُودُ  
لَا الْقُرْبُ قُرْبٌ وَلَا التَّبَعِيدُ تَبَعِيدُ

لَقَدْ كُنْتُ مِنْ وَشَكِ الْفِرَاقِ أَلِيحُ (٢٤)  
وَتَحْسِبُ أَنِّي فِي الْثِيَابِ صَحِيحُ

بَلَغَ التَّجَلُّدُ ذُو الْعَمْرَاءِ الصَّابِرِ  
إِنَّ الْمُقِيمَ مُكَلِّفَ بِالسَّائِرِ

(٢٢) ديوان أبي تمام ٦٦/٣.

(٢٣) المصدر السابق ٨١/٢.

(٢٤) لعل الأصل: بعثمة أو بعثبة.

وقال آخر:

وَفِي الْجِوَرِ الْغَادِينَ مِنْ بَطْنٍ وَجَرَةٍ  
فَلَا تَحْسَبِي أَنَّ الْغَرِيبَ الَّذِي نَأَى  
غَزَالَ أَحْمُ الْمُقْلَتَيْنِ رَبِيبُ  
وَلَكِنْ مَنْ تَنَائَنَ عَنْهُ غَرِيبُ (٢٥)

وقال آخر:

تَرَكْتُ بِقَلْبِي مِنْ فِرَاقِكَ لَوْعَةً  
أُرْوَحُ وَأَغْدُو مُسْتَكِينًا كَأَنِّي  
سَتَلِفْتُ مَا أَبْقَى وَدَاعُكَ مِنْ نَفْسِي  
أُرَاقِبُ حَتْفِي حِينَ أَصْبَحُ أَوْ أُمْسِي

□ □ □

## الباب السابع والعشرون:

مَنْ غَابَ قَرِينُهُ كَثُرَ حَيْنُهُ

مِنْ شَأْنٍ مَنْ غَابَ عَنْ خَلِيلِهِ أَنْ تَنَالَهُ حَيْرَةٌ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، يَصْحُو  
عَنْهَا وَيَرْجِعُ إِلَيْهِ تَمَيِّزُهُ، فَمَنْ كَانَ الْمُتَنَاوُلُ لَهُ مِنْ تِلْكَ الْحَيْرَةِ، وَالْآخِذُ بِعَيْنَانِهِ  
مِنْ تِلْكَ الْعَمْرَةِ، دَاعِيًا<sup>(١)</sup> مِنْ غَلَبَاتِ الْأَشْتِيَاقِ، وَنَاهِيًا<sup>(٢)</sup> عَنِ الْمَقَامِ فِي  
قَبْضَةِ الْفِرَاقِ، لَمْ يَتِمَّاكَ عَنْ أَحِبَّاهِ وَقْتًا مِنَ الْأَوْقَاتِ، وَلَمْ يَتَشَاغَلْ عَنْهُمْ  
بِضَرْبٍ مِنَ اللَّذَاتِ. وَمَنْ كَانَ الْآخِذُ بِيَدِهِ مِنْ تِلْكَ الْعَمْرَاتِ وَالْمُتَخَلِّصُ  
بِخَوَاطِرِهِ مِنْ تِلْكَ السَّكَرَاتِ ضَرْبًا مِنَ الْأَشْتِيَاقِ بِغَيْرِ تِلْكَ الْحَالِ، سَلَ عَلَى  
مَرِّ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي. وَمَا دَامَ فِي تِلْكَ الْحَيْرَةِ فَهُوَ مُتَشَاغِلٌ بِتَذْكَرٍ مِنْ فَارَقِهِ،  
وَالشُّوقِ وَالْحَيْنِ إِلَى مَنْ خَلَفَهُ أَلَمْ تَسْمَعْ. الَّذِي يَقُولُ:

وَأَنَّ أَمْرًا فِي بَلَدَةٍ نَصَفُ قَلْبِهِ  
وَنَصَفُ بِأُخْرَى غَيْرَهَا لَصَبُورُ  
وَدَذْتُ مِنَ الشُّوقِ الْمُبْرَحِ أَنَّنِي  
أَعَارُ جَنَاحِي طَائِرٍ فَأَطِيرُ  
فَمَا فِي نَعِيمِ الْعَيْشِ بَعْدَكَ لَذَّةُ  
وَلَا لِسُرُورٍ لَسْتُ فِيهِ سُرُورُ

والذي يقول:

بِأَكْنَافِ الْحِجَازِ هَوَى دَفِينُ  
يُورِّقُنِي إِذَا هَدَتْ أَلْعُيُونُ  
أَجِنُّ إِلَى الْحِجَازِ وَسَاكِينِهِ  
حَيْنَ الْإِلْفِ فَارَقَهُ الْقَرِينُ  
وَأَبْكِي حِينَ تَرَقُّدُ كُلِّ عَيْنٍ  
بُكَاءَ بَنٍ زَفَرْتَهُ أُنِينُ

(١) في «م» والمطبوع: داعٍ.

(٢) في «م» والمطبوع: ناهٍ.

(٢٥) البيتان في ديوان المجنون ص ٦١، وكذلك في مصارع العشاق ص ص ٢٩٢، ٣٧٢  
وشرح المرزوقي ص ١٣٢٧.

وقال آخر:

ذَكَرْتُكَ ذِكْرِي هَائِمٍ بِكَ تَنْتَهِي  
وَلَيْسَتْ بِذِكْرِي سَاعَةٌ بَعْدَ سَاعَةٍ  
إِلَيْكَ أَمَانِيهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ وَصَلُ  
وَلَكِنَّهَا مَوْصُولَةٌ مَا [لَهَا] فَفَصَلُ

وقال أبو عطاء السندي (٣):

ذَكَرْتُكَ وَالْخِطْبِي يَخْطُرُ بَيْنَنَا  
فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي وَإِنِّي لَصَادِقُ  
وَإِنْ يَكْ سِحْرًا فَأَعْدُرْنِي عَلَى الْهَوَى  
وَقَدْ نَهَكْتُ مِنَّا الْمُتَقَفَّةَ السُّمُرُ  
أَدَاءَ عَنَانِي مِنْ وَدَائِكَ أَمْ سِحْرُ  
وَلِشَيْءٍ لَا تَنْسَاهُ فَلَكَ الْعُذْرُ

وقال آخر:

أَلَا يَا لِقَوْمِي لِلصَّبَابَةِ وَالذِّكْرِ  
وَلِلشَيْءِ تَنْسَاهُ وَتَذْكُرُ غَيْرَهُ  
وَلَلْقَدَرِ السَّارِي إِلَيْكَ وَلَا تَذْرِي  
وَلِلشَيْءِ لَا تَنْسَاهُ إِلَّا عَلَى ذِكْرِ

وقال آخر:

رَعَاكَ ضَمَانُ اللَّهِ يَا أُمَّ مَالِكٍ  
يُذَكِّرُنِيكَ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ وَالَّذِي  
وَلَلَّهُ أَنْ يَشْفِينِ أَغْنَى وَأَوْسَعُ  
أَخَافُ وَأَرْجُو وَالَّذِي أَتَوَقَّعُ (٤)

وقال مسلم بن الوليد:

يُذَكِّرُنِيكَ الْبُخْلُ وَالْجُودُ وَالْعُلَى  
فَالْقَاكَ عَنْ مَكْرُوهِهَا مُتَنَزِّهَا  
وَقِيلُ الْخَنَا وَالْجِلْمُ وَالْعِلْمُ وَالْجَهْلُ  
وَالْقَاكَ فِي مَحْمُودِهَا وَلَكَ الْفَضْلُ (٥)

وقال آخر:

ذَكَرْتُ بِهِ مَنْ لَنْ أَبَالِي بِذِكْرِهِ  
تَفَرَّقْ شَعْبٌ فِي النَّوَى مُتَزَايِلُ

(٣) أبو عطاء، واسمه مرزوق، مولى أسد بن خزيمة شاعر من شعراء العصر الأموي...  
انظر: الشعر والشعراء (لیدن) ص ٤٨٢ - ٤٨٥.

(٤) البيتان مما نسب إلى المجنون، ديوان المجنون ص ١٨٩، وهما في محاضرات الأدباء  
٢٤/٢، وشرح المرزوقي ص ١٣١٦.

(٥) ديوان مسلم بن الوليد ص ٣٣٣ مع اختلاف في الرواية.

وَإِنْ أَمَرًا بِالشَّامِ أَكْثَرُ أَهْلِهِ  
وَبُطْنَانَ لَيْسَ الشَّقُوقُ عَنْهُ بِغَافِلِ

وقال آخر:

وَذَكَرْتُ هِنْدًا وَالْمَطَايَا تَعْتَلِي  
بَعْدَ الطَّرِيقِ قَبَاتٌ يَقْسِمُ أَمْرَهُ  
بِالْقَوْمِ قَدْ قَطَعُوا الْعَقِيقَ وَأَنْجَدُوا  
وَلَقَدْ حُبِسْتُ عَلَى الْبَعَادِ فَرَادِي  
أَيْجُودُ بِالْعَبْرَاتِ أَمْ يَتَجَلَّدُ  
طُولُ الْبَعَادِ حَرَارَةً لَا تَبْرُدُ

وقال معاذ ليلي:

ذَكَرْتُكَ حَيْثُ اسْتَأْمَنَ الْوَحْشُ وَالْتَقَتْ رِفَاقٌ مِنَ الْآفَاقِ شَتَّى شُعُوبُهَا  
وَعِنْدَ الْحَظِيمِ قَدْ ذَكَرْتُكَ ذِكْرَةً  
أَرَى أَنَّ نَفْسِي سَوْفَ يَأْتِيكَ حُوبُهَا  
دَعَا الْمُحْرِمُونَ اللَّهَ يَسْتَغْفِرُونَهُ  
بِمَكَّةَ يَوْمًا أَنْ تُمَحَّى ذُنُوبُهَا  
فَنَادَيْتُ أَنْ يَا رَبِّ أَوَّلُ سِئَلَتِي  
لِنَفْسِي لَيْلَى ثُمَّ أَنْتَ حَسِيبُهَا  
فَإِنْ أَعْطَ لَيْلَى فِي حَيَاتِي لَا يَتَّبِ  
إِلَى اللَّهِ عَبْدٌ تَوْبَةً لَا أَتُوبُهَا (٦)

وقال آخر:

لَقَدْ زَادَنِي الْحُجَّاجُ شَوْقًا إِلَيْكُمْ  
وَمَا كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ لِلْحَجِّ قَائِلًا  
وَمَا نَظَرْتُ عَيْنِي إِلَى شَخْصٍ قَادِمٍ  
مِنْ الْحَجِّ إِلَّا بَلَّ دَمْعِي رِدَائِي

وقال آخر:

فَمَا وَجَدْتُ كَوَجْدِي أُمَّ سَقْبٍ  
وَلَا شَمَطَاءَ لَمْ تَتْرُكْ شَفَاهَا  
أَضَاعَتْهُ فَرَجَعَتْ الْحَنِينَا  
لَهَا مِنْ تِسْعَةٍ إِلَّا حُنِينَا

وقال بعض الإعراب:

[وَمَا وَجَدْتُ أَعْرَابِيَّةً قَذَفْتُ بِهَا  
تَمَنَّتْ أَحَالِيْبَ الرِّعَاءِ وَخِيَمَةً  
نَوَى غُرْبَةً مِنْ حَيْثُ لَمْ تَكْ طُلَّتْ  
بِنَجْدٍ فَلَمْ يُقَدَّرْ لَهَا مَا تَمَنَّتْ]

(٦) الأبيات في ديوان المجنون ص ٦٧، وهي في مصارع العشاق ص ٢٥١، الموشى  
ص ٥٨، الوساطة ص ٤٣٩، سرح العيون ١١٨/٢، أمالي القالي ٢٧/٢.

إِذَا ذَكَرْتَ مَاءَ الْبَيْتِ وَطِيبَهُ  
بِأَعْظَمِ مِنْ وَجْدٍ بِرِيًّا وَجَدْتُهُ  
فَإِنْ يَكُ هَذَا آخِرَ الْعَهْدِ مِنْهُمْ

وقال الحسين الخليل:

يَا مَنْ شَغَلْتُ بِهَجْرِهِ وَوَصَالِهِ  
وَاللَّهِ مَا أَلْتَقَى الْجُفُونُ بِطَرْفَةٍ

وقال ذو الرمة:

إِذَا خَطَرْتُ مِنْ ذِكْرِ مِثَّةٍ خَطَرَةٌ  
عَلَى جِوْنٍ رَاهَقَتْ الثَّلَاثِينَ وَأَرْعَوْتُ  
ذَكَرْتُكَ أَنْ مَرَّتْ بِنَا أُمُّ شَادِنٍ  
رَأَتْنَا كَأَنَّا عَامِدُونَ لِقَصْدِهَا  
هِيَ الشَّبَبَةُ أَعْطَافاً وَجِيداً وَمُقَلَّةً

وأشدتني أعرابية بالبادية:

هَلِ الشَّوْقُ إِلَّا بِمِثْلِ مَا أَتَكَلَّفُ  
تَذَكَّرْتُ بَيْتاً مِنْ نِعْمَةٍ وَالنَّوَى  
فَقَدْ ظَنُّ هَذَا الْقَلْبُ أَنَّ لَيْسَ نَاطِراً  
فَيَا قَلْبُ صَبِراً وَاعْتِرَافاً بِمَا قَضَى  
تَجَلَّدْ وَاجْعَلْ وَأَصْطَبِرْ وَأَزْجُرْ الْأَسَى  
عَسَى دَارُهَا أَنْ تَرْعَوِي بَعْدَ بُعْدِهَا

وَبَرَدَ الْحَصَى مِنْ نَحْوِ نَجْدٍ أَرَنْتِ  
غَدَاةَ غَدُونَا غُرْبَةً وَأَطْمَأْنَنْتِ  
فَهَذَا الَّذِي كُنَّا ظَنَّنَا وَظَنَنْتِ (٧)

هَمَمَ الْمُنَى وَنَسِيتُ يَوْمَ مَعَادِي  
إِلَّا وَذَكَرْتُكَ خَاطِرُ بِفَوَادِي (٨)

عَلَى الْقَلْبِ كَادَتْ فِي فَوَادِكَ تَجْرَحُ  
لِدَاتِي وَكَادَ الْحِلْمُ بِالْجَهْلِ يَرْجَحُ  
أَمَامَ الْمَطَايَا تَشْرِبُ وَتَسْنَحُ  
بِهِ فَهِيَ تَذْنُو تَارَةً وَتَزْحَرْجُ  
وَمِثَّةً أَبْهَى بَعْدَ مِنْهَا وَأَمْلَحُ (٩)

أَبِينُ وَعَيْنِي مَاتَنِي الدَّهْرُ تَذْرِفُ  
قَرِيبٌ وَقَدْ كَانَ الَّذِي أَتَخَوَّفُ  
إِلَى وَجْهِهَا مَا كَذَبَ اللَّهُ خَنْدَفُ  
[لَكَ] اللَّهُ إِنَّ الْحُرَّ بِالصَّبْرِ يُعْرِفُ  
لَعَلَّ النَّوَى يَوْمًا بِنِعْمَةٍ تُسَعِّفُ  
عَلَيْكَ وَتَلْقَاهَا كَمَا كُنْتَ تَعْرِفُ

وقال آخر:

هَلِ الشَّوْقُ إِلَّا أَنْ يَحْنُ غَرِيبُ  
لِيَالِي يَدْعُونِي الصَّبَى فَأَجِيبُهُ  
وَقَائِلَةٌ مَا بَالُ لَوْنِكَ شَاجِباً  
فَقُلْتُ لَهَا فِي الصَّدْرِ مِنِّي بَلَابِلُ

وقال بعض الأعراب:

وَلَوْ أَنَّ مَا أَلْقَى وَمَا بِي مِنَ الْهَوَى  
تَقَطَّرَ مِنْ وَجْدٍ وَذَابَ حَدِيدُهُ  
ثَلَاثُونَ يَوْماً كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ

وقال آخر:

أَصَابَنِي بَعْدَكَ ضُرُّ الْهَوَى  
وَيَعْلَمُ اللَّهُ بِحَسْبِي بِهِ

وقال آخر:

أَحْنُ إِلَى لَيْلَى وَقَدْ شَطَبَ النَّوَى  
يَقُولُونَ لَيْلَى عَذَّبْتُكَ بِحَبِّهَا

وقال آخر:

أَحْنُ إِلَى أَرْضِ الْحِجَازِ وَحَاجَتِي  
وَمَا نَظَرِي مِنْ نَحْوِ نَجْدٍ بِنَافِعِي  
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ نَظْرَةً ثُمَّ عَبْرَةً  
مَتَى يَسْتَرِيحُ الْقَلْبُ إِذَا مُجَاوِرُ

(١٠) البيتان مما نسب إلى المجنون، الديوان ص ٤٧، وقد وردا في محاضرات الأدباء ٢٠/٢.

(١١) الأبيات مما نسب إلى المجنون، الديوان ص ١٣٣، وهي في زهر الآداب (الطبعة الثانية) ١٢٦/٢ وقد نسبت إلى أعرابي من بني عقيل.

(٧) الأبيات مما نسب إلى المجنون، الديوان ص ص ٨٥-٨٦، مع اختلاف في الرواية، وهي كذلك في أمالي اللي ٢٣/١، ١٣١، ١٠٧/٢-١٠٩، الأغاني ١٦٦/٨.

(٨) انظر «أشعار الحسين الخليل» وانظر تحريجه.

(٩) الديوان ص ٧٨ مع اختلاف في الرواية.

ولبعض أهل هذا العصر:

كَفَى حَزْناً أَلَا أَعَابِينَ بُقْعَةً  
وَإِنِّي مَتَى مَا طَابَ لِي خَفَضُ عَيْشَةٍ  
فَنَقُصْ تَذَكَارِي لَهَا طِيبَ عَيْشَتِي  
وقال آخر:

لَئِنْ دَرَسْتَ أَسْبَابَ مَا كَانَ بَيْنَنَا  
وَلَا أَنَا مِنْ أَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ بَيْنَنَا  
وقال آخر:

خَلِيلِي لَا تَسْتَسْلِمَا وَادْعُوا [الَّذِي]  
حَيًّا لِإِلَادِ طَيْرِ الْمَحَلِّ أَهْلَهَا  
عَسَى أَنْ يَجِلَّ الْحَيُّ جَرَعَاءَ وَابِلٍ  
أَفِي كُلِّ عَامٍ زَفْرَةٌ مُسْتَجِدَّةٌ  
وقال أبو تمام:

إِذَا بَنَتْ لَمْ أَحْزَنْ لِفَقْدِ مُفَارِقٍ  
فَيَا لَيْتَنِي أَفْدِيكَ مِنْ غُرْبَةِ النَّوَى  
وقال آخر:

إِذَا كُنْتُ لَا يُسْلِيكَ عَمَّنْ تُجِبُهُ  
فَهَلْ أَنْتَ إِلَّا مُسْتَعِيرٌ خُشَاشَةٌ  
وقال يزيد بن الطثرية:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْبَشَرَ قَدْ حَالَ دُونَهُمْ  
تَلَفْتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى رَأَيْتَنِي

مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا زِدْتُ شَوْقًا إِلَيْكُمْ  
تَذَكَّرْتُ أَيَّامًا مَضَتْ لِي لَدَيْكُمْ  
فَقُلْتُ سَيَفْنِي ذَا فَيَأْسَى عَلَيْكُمْ

مِنَ الْوَصْلِ مَا شَوْقِي إِلَيْكَ بِدَارِسٍ  
عَلَى جُبَلٍ مَا كُنَّا عَلَيْهِ بِبَائِسٍ

لَهُ كُلُّ أَمْرٍ أَنْ يَصُوبَ رَيْبُ  
وَجِيرًا لِعَظَمٍ فِي شَطْأِهِ صُدُوعُ  
وَعَلَّ النَّوَى بِالظَّاعِنِينَ تَرْبُوعُ  
تَضَمَّنَهَا مِنِّي حَشَى وَصُلُوعُ

سِوَاكَ وَلَمْ أَفْرَحْ بِقُرْبِ مُقِيمٍ  
بِكُلِّ خَلِيلٍ وَاصِلٍ وَحِيمٍ (١٢)

فِرَاقٌ وَلَا يَشْفِيكَ طُولُ تَلَاقٍ  
بِمُهْجَةٍ نَفْسٍ آذَنْتَ بِفِرَاقٍ

وَوَافَتْ بَنَاتُ الصَّدْرِ يَهْوِينَ نُرْعَا  
وَجَعْتُ مِنَ الْإِصْغَاءِ لَيْتًا وَأَخْدَعَا (١٣)

وقال ابن الدمينية:

حَنَنْتُ لِذِكْرِي مِنْ أُمَيْمَةٍ وَأَرْعَوَى  
حَيْنِيًا وَلَوَعَاتٍ يَفُضْنَ لَهَا سِوَى  
لَهَا مِنْ قَدِيمَاتِ الْهَوَى كُلِّ سَالِفٍ (١٤)

وقال بعض الأعراب:

فَلَا تُشْرِقَنَّ رَأْسَ الْيَفَاعِ فَإِنِّي  
إِذَا شَرِفَ الْمَحْزُونُ بِشَرًّا رَأَيْتُهُ

وقال الحسين بن مطير:

إِذَا أَرْتَحَلْتَ مِنْ سَاحِلِ الْبَحْرِ رِفْقَةً  
فَإِنْ لَا يُصَاحِبُهَا يُتْبِعُ بِأَعْيُنٍ  
مُشْرِقَةً هَاجَ الْفُؤَادِ أَرْتَحَالَهَا  
سَرِيعٍ بِفِرَاقِ الدُّمُوعِ اكْتَحَالَهَا (١٥)

وقال أيضاً:

أَجْنُ وَتَيْبِنِي الْهَوَى نَحْوَ يَثْرِبٍ  
كَذَلِكَ الْهَوَى يُزْرِئِي مَنْ كَانَ عَاشِقًا

وقال آخر:

فَمَا سِرْتُ مِنْ مِيلٍ وَلَا بَتُّ لَيْلَةٍ  
وَكَمْ مِنْ بَدِيلٍ قَدْ وَجَدْنَا وَطُوفَةٍ

وقال زيادة بن زيد (١٦):

تَذَكَّرْتُ عَنْ شَحْطِ أُمَيْمَةٍ فَارْعَوَى  
وَأِنْ أَمْرًا قَدْ جَرَّبَ الدَّهْرُ لَمْ يَخَفْ  
لَهَا بَعْدَ إِقْصَارِ وَطُولِ نُكُوبٍ  
تَقَلَّبَ عَصْرِيهِ لَغَيْرِ لَبِيبٍ  
هَلِ الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ إِلَّا كَمَا أَرَى  
رَزِيَّةً مَالٍ أَوْ فِرَاقَ حَبِيبٍ

(١٤) البيت الأول في ديوان ابن الدمينية ص ١٣٥.

(١٥) البيتان في شعر الحسين بن مطير ص ٧٥، انظر تخريجها.

(١٦) البيتان في المصدر السابق ص ٦٦، انظر تخريجها.

(١٧) لقد مر التعريف به.

(١٢) لم أجدهما في الديوان.

(١٣) وردا في «شعر يزيد بن الطثرية» ص ١٨٠، وهما في ديوان المجنون ص ١٩٩.

ولبعض أهل هذا العصر:

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو عَبْرَةً قَدْ أَظْلَتِ      وَنَفْسًا إِذَا مَا عَزَّهَا الشُّوقُ ذَلَّتِ  
تَجُنُّ إِلَى أَرْضِ الْحِجَازِ وَدُونَهَا      تَنَائِفُ لَوْ تَسْرِي بِهَا الرِّيحُ ضَلَّتِ  
وَإِنِّي بِهَا لَوْ لَا أَمَانِي تَغُرُّهَا      وَقَدْ أَرْجَفْتُ هُوجَ الْمَطَايَا وَكَلَّتِ  
أَأْمَنُ مِنْ وَادِي زُبَالَةٍ شَرِبَتْ      وَقَدْ نَهَلْتُ مِنْهُ الْكِلاَبُ وَعَلَّتِ  
سَقَى اللَّهُ رَمْلَ الْقَاعِ [وَالْقَاعِ] فَالْلَوَى فَقَدْ عَطَفْتُ نَفْسِي إِلَيْهِ وَحَنَّتِ  
وَأَسْقَى لَوَى جَبَلِي زُرُودَ وَمُرْبَحًا      سَحَائِبُ لَا يَلْقَى الظُّلْمَا مَا أَظْلَتِ  
هَمَمْتُ فَلَمْ أَرْبِعْ عَلَى الْفِكْرِ لَحْظَةً      وَقَدْ كَانَ حَظُّ النَّفْسِ أَنْ لَوْ تَأَنَّتِ  
وَأَصْبَحْتُ لَهْفَانًا عَلَى مَا أَضَعْتُهُ      كَذَاكَ يَكُونُ الرَّأْيُ مَا لَمْ يُثَبَّتِ

□ □ □

الباب الثامن والعشرون:

مَنْ لَمْ يَلْحَقْ بِالْحُمُولِ بَكَى عَلَى الطُّلُولِ

إِذَا كَانَ صَحْوُ الْمَفَارِقِ لِأَحْبَابِهِ مِنَ التَّخَنُّنِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ بِقَلْبِهِ دَاعِيًا لَهُ  
قَبْلَ هَوَاهُ، نَدِمَ عَلَى مَقَامِهِ بَعْدَ مُضِيِّ أَحْبَابِهِ أَوْ عَلَى اجْتِرَائِهِ عَلَى السَّفَرِ،  
وَأَحْبَبْتُهُ مُقِيمُونَ فِي الْحَضَرِ، فَاسْتَقْبَحَ صَنِيعَهُ، وَتَلَا فَيَ تَصْنِيعَهُ، فَإِنْ كَانَ  
الْمُحِبُّ هُوَ الْمُسَافِرُ عَنْ حَبِيبِهِ.

كان كالذي يقول:

بَيْنَمَا هُنَّ مِنْ بِلَاكِتٍ فَأَلْقَا      عِ سِرَاعًا وَالْعَيْسُ تَهْوِي هُوِيًا  
خَطَرْتُ خَطَرَةً عَلَى الْقَلْبِ وَهِنًا      مِنْ هَوَاهَا فَمَا اسْتَطَعْتُ مُضِيًا  
قُلْتُ لَيْلِكَ إِذْ دَعَانِي لِكَ الشُّو      قُ وَلِلْحَادِيثِ كُذَا الْمَطِيَا<sup>(١)</sup>

وكما قال عبيد الراعي:

دَعَانِي أَلْهَوَى مِنْ أُمِّ وَبِرٍ وَدُونَهَا      ثَلَاثَةُ أَحْمَاسٍ فَدَيْتُكَ دَاعِيَا  
فَعُجْنَا لِذِكْرَاهَا وَتَشْبِيهِ صَوْتِهَا      قِلَاصًا بِمَجْهُولِ الْفَلَاةِ صَوَادِيَا  
بَغْبَرَاءَ مُحَرَّافٍ يَبِيْتُ دَلِيلُهَا      مُشِيحًا عَلَيْهَا لِلْفَرَاقِدِ رَاعِيَا

(١) الأبيات مما نسب إلى المجنون كما في الديوان ص ٢٩١، وقد وردت الأبيات في محاضرات  
الأدباء ٣٥/٢، زهر الآداب ٥٩/٤ (الطبعة الثانية) وهي منسوبة للمخزومي، الشعر  
والشعراء ص ص ٣٥٥-٣٥٦ كقول أبي بكر بن عبد الرحمن بن السوربن مخزومي،  
مصارع العشاق ص ٢١٣ رجل من ولد عبد الرحمن بن عوف، ومثله تزوين الأسواق  
ص ١١٠، وشرح المرزوقي ص ١٢٤٥ لبعض القرشيين.

وَإِنْ كَانَ الْمَحْبُوبُ الْمُسَافِرُ وَالْمُحِبُّ هُوَ الْمُتَخَلِّفُ عَنْ إِلْفِهِ، تَعَسَّفَ (٢)  
رُكُوبَ الْمَهَالِكِ فِي الْحَقِ.

كما قال العرجي:

كَمْ قَدْ عَصَيْتُ إِلَيْكَ مِنْ مُتَنَصِّحٍ دَانِي الْقَرَابَةِ أَوْ وَعِيدِي- أَعَادِي  
وَتَنُوفَةٍ [عَبْرَاءَ] أَرْمِي عَرْضَهَا شَوْقًا إِلَيْكَ بِلَا هِدَايَةِ هَادِي (٣)

وقال (٤):

قُلْ لِحَادِي الْمِطْيِ يَرْفُقْ قَلِيلًا يَجْعَلِ الْمَيْسَ سَيْرَهُنَّ ذَمِيلًا  
لَا تَقْفُهَا عَلَى السَّبِيلِ وَدَعَهَا يَهْدِيهَا شَوْقٌ مِنْ عَلَيْهَا السَّبِيلَ

وقال (٥):

أَمَّا الدِّيَارُ فَقَلَمًا لَيْشُوا بِهَا بَعْدَ أَشْتِيَاقِ الْعَيْسِ وَالرُّكْبَانِ  
وَضَعُوا سِيَاطَ الشَّوْقِ فِي أَعْنَاقِهَا حَتَّى وَرَدَنَ بِهِمْ عَلَى الْأَوْطَانِ

وقال:

وَيَوْمَ كَتَنُورِ الطَّوَاهِي سَجَرْنَهُ وَالْقَيْنَ فِيهِ الْجَزَلَ حَتَّى تَضُرَّمَا (٦)  
قَذَفْتُ بِنَفْسِي فِي أَجِيجِ سُمُومِهِ وَبِالْعَيْسِ حَتَّى بُلَّ بِشَفَرُهَا دَمًا  
أَوْقُلْ أَنْ أَلْقَى مِنَ النَّاسِ عَالِمًا بِأَخْبَارِكُمْ أَوْ أَنْ أَلِمَّ مُسْلِمًا (٧)

(٢) الأبيات في ديوان الراعي ص ص ٢٨٣ - ٢٨٤ مع اختلاف في الرواية. وهي من قصيدة منتهى الطلب الورقة ١٤٧.

(٣) ديوان العرجي ص ٩٦.

(٤) قول المصنف: «وقال» يعني أن القائل هو الشاعر العرجي أي السابق، ولو كان غيره لقال: وقال آخر، غير أني لم أجِدَ البيتين في ديوان العرجي.

(٥) وهذا أيضاً مجهول آخر وليس العرجي، ولم أجِدَ البيتين في الديوان.

(٦) في «م» والمطبوع: سحرته التنور معروف وهو أن يملا وقوداً.

(٧) وليس الأبيات في ديوان العرجي.

وأنشدني بعض أعراب البادية:

بَانَتْ أُنَيْسُ فَمَا بِالْقَلْبِ مَعْقُولُ وَلَا عَلَى الْجَحِيرَةِ الْغَادِينَ تَعْرِيلُ  
حَتَّى شَدَدْتُ بِرَحْلِي قَبْلَ بَرْدَعَتِي وَالْقَلْبُ مُخْتَبِلُ وَاللُّبُّ مَتَبُولُ  
ثُمَّ آغْتَوَرْتُ عَلَى نَضْوِي لِيْلِحْفَنِي أُخْرَى الْحُمُولِ الْغَوَادِي وَهُوَ مَعْقُولُ

وقال الراعي:

بَانَ الْأَجْبَةُ بِالْعَهْدِ الَّذِي عَهَدُوا فَلَا تَمَالِكْ عَنْ أَرْضٍ لَهَا عَمْدُوا  
حَتَّى إِذَا حَالَتْ الْأَرْجَاءُ دُونَهُمْ أَرْجَاءُ تَرُمَدُ كُلُّ الطَّرْفِ أَوْ بَعْدُوا  
لَوْلَا الْمَخَاوِفُ وَالْأَوْصَابُ قَدْ قَطَعَتْ عَرْضَ الْفَلَاةِ بِنَا الْمَهْرِيَّةِ الْأَجْدُ (٨)

وَلَيْنَ كَانَ أَفْرَطُ فِي الْإِحْسَانِ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ، لَقَدْ أَفْرَطَ فِي الْإِسَاءَةِ  
فِي الْبَيْتِ الْآخِرِ. وَلَوْلَا أَنْ قَوْلُهُ: «فَلَا تَمَالِكْ عَنْ أَرْضٍ لَهَا عَمْدُوا» مِنْ  
أَحْسَنِ الْكَلَامِ لَفُظًا وَأَصَحِّهِ مَعْنَى وَالْيَقِيهِ بِمَا قَصَدْنَاهُ، لَأَضْرَبْنَا عَنْ ذِكْرِهِ لِقَبَاحَةِ  
مَا عَقِبَ بِهِ. وَمَا «الْمَخَاوِفُ وَالْأَوْصَابُ» حَتَّى يَعْتَلِيزُ بِهَا فِي التَّخَلُّفِ  
عَنِ الْأَحْبَابِ؟

لَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ بَشْرَيْنَ مَرَوَانَ كَانَ فِي مُعَسَّكَرٍ لَهُ يَظْهَرُ الْبَصْرَةُ، فَنَادَى  
بِكَثْرَةِ أَنْصَرَفِ الْجُنْدِ مِنَ الْعُسْكَرِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَنَادَى مُنَادِيهِ: مَنْ وَجَدَ  
بِالْبَصْرَةِ مِنَ الْجُنْدِ سُمِرَتْ كَفُّهُ بِمِسْمَارٍ وَكَانَ فِي الْعُسْكَرِ قَتَى يَأْلَفُ خُلَّةً لَهُ  
بِالْبَصْرَةِ فَكَتَبَ إِلَيْهَا:

لَوْلَا مَخَافَةُ بَشْرٍ أَوْ عُقُوبَتُهُ وَأَنْ يُسَمِّرَ فِي كَفِّي بِمِسْمَارٍ  
إِذَنْ لَعَطَلْتُ ثَغْرِي ثُمَّ زُرْتُكُمْ إِنْ الْمُحِبِّ إِذَا مَا أَشْتَقَ زَوَارُ

(٨) الأبيات في ديوان الراعي ص ص ٥٤، ٥٥، ٥٧، والقصيدة طويلة أصلها في منتهى  
الطلب الورقة ١٤١.



فكثبت إليه :

لَيْسَ الْمُحِبُّ الَّذِي يَخْشَى الْعِقَابَ وَلَوْ  
إِنَّ الْمُحِبَّ الَّذِي لَا عَيْشَ يَنْفَعُهُ  
كَانَتْ عُقُوبَتُهُ فِي كَيْفَةِ النَّارِ  
أَوْ يَسْتَقِرُّ وَمَنْ يَهْوَاهُ فِي السَّادِرِ

فَلَمَّا قَرَأَ الْأَنْبِيَاءَ دَخَلَ الْبَصْرَةَ، فَآخَذَهُ صَاحِبُ الْحَرَسِ فَجَاءَ بِهِ إِلَى  
بَشْرَبْنِ مَرْوَانَ، فَقَالَ لَهُ بِشْرُ: أَلَمْ تَسْمَعْ الْبَدَاءَ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ فَمَا حَمَلَكَ  
عَلَى مُخَالَفَتِي؟ قَالَ: هَذِهِ الْأَنْبِيَاءُ، وَدَفَعَهَا إِلَى بِشْرٍ، فَلَمَّا قَرَأَهَا أَمَرَ مُنَادِيَهُ  
فَنَادَى: مَنْ أَحَبَّ الْمَقَامَ فِي الْعَسْكَرِ فَلْيَقِمْ، وَمَنْ أَحَبَّ دُخُولَ  
الْبَصْرَةِ فَلْيَدْخُلْ.

وقال آخر:

فَلَوْ حَشَدُوا بِالْإِنْسِ وَالْجِنِّ دُونَهَا  
لَسَقَيْتُ مِنْهُ نَهْلَةً فَرَوَيْتُ<sup>(٩)</sup>

ولبعض أهل هذا العصر:

سَقَى اللَّهُ الْقَاعَ وَبَلًا وَدِيمَةً  
أَشَوْقًا إِلَى نَجْدٍ وَدُونَ لِقَائِهَا  
عَلَى أَنْ عَبْدَ الشُّوقِ لَيْسَتْ تَهْوُلُهُ  
بِمَا حَبَلَتْ فَلْتَاتِي مِنْ بَلَائِهَا  
لِتَحْيِي بِهِ تِلْكَ الرُّسُومَ الدَّوَارِسُ  
أَهَاوِيلُ يُخْشَى قَطْعُهَا وَبَسَابِسُ  
حُزُونُ الْفَيَافِي وَاللِّيَالِي الدَّوَامِسُ  
فَلَيْسَ لِمَا يَقْضِي بِهِ اللَّهُ حَابِسُ

وله أيضاً:

دَعَانِي الشُّوقُ وَالرُّكْبَانُ قَدْ هَجَدُوا  
وَالْقَيْطُ مُحْتَدِمٌ وَالرُّوحُ مُنْصَرِمٌ  
وَالْبَيْدُ مُغْبَرَّةُ الْأَرْجَاءِ مُقْفَرَةٌ  
فَظَلْتُ طَوْعًا لِدَاعِي الشُّوقِ أَوْقَطُهُمْ  
وَالشَّمْسُ فِي آخِرِ الْجُزَاءِ تَتَقَدُّ<sup>(\*)</sup>  
وَالرَّأْيُ مُخْتَلَفٌ وَالْحَنَفُ مُطْرَدُ  
كَأَنَّ أَعْلَامَهَا فِي الْأَلِّ تَرْتَعِدُ  
وَعَلَّ أَكْثَرُهُمْ سَاهُونَ مَا رَقَدُوا

(٩) البيتان مما نسب لى المجنون، الديوان ص ٨٤.

(\*) صدر البيت غير مستقيم.

حَتَّى إِذَا قُلْتُ شُدُّوا قَالَ بَعْضُهُمْ  
يَذَرُونَ مَا وَجَدُوا مِنْ حَرِّ يَوْمِهِمْ  
حَرُّ الْفِرَاقِ إِذَا مَا أَلْهَجُرُ سَاعِدُهُ  
قَدْ جُنَّ هَذَا فَخَلُّوا عَنْهُ وَابْتَعِدُوا  
وَقَتَّ النَّزُولِ وَلَا يَذَرُونَ مَا أَجَدُ  
حَرُّ تَخَصُّ بِهِ الْأَحْشَاءُ وَالْكَبِيدُ

وقال أبو دهيل:

أَتَرُكَ لَيْلَى لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا  
هَبُونِي أَمْرًا مِنْكُمْ أَضِلُّ بِعِيرِهِ  
وَلِلصَّاحِبِ الْمَتْرُوكِ أَعْظَمُ ذِمَّةً  
عَفَا اللَّهُ عَنْ لَيْلَى الْغَدَاةَ فَإِنَّهَا  
سَوَى لَيْلَةٍ إِنِّي إِذَا لَصُبُورُ  
لَهُ ذِمَّةٌ إِنَّ الذِّمَامَ كَبِيرُ  
عَلَى صَاحِبٍ مِنْ أَنْ يَضِلَّ بِعِيرُ  
إِذَا وَلَيْتَ حُكْمًا عَلَيَّ تَجُورُ<sup>(١٠)</sup>

وأنشدني أعرابي ببلاد نجد:

فَلَوْ أَنَّ شَرَقَ الشَّمْسُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا  
لَدَاوَرْتُ قَطَعَ الْأَرْضِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا  
وَأَهْلِي وَرَاءَ [الْغَرْبِ حَيْثُ] تَغِيْبُ  
وَقَالَ الْهَوَى لِي إِنَّهُ لَقَرِيبُ

ولبعض أهل هذا العصر:

يَا مَنْ تَجَاوَزَ حَدَّ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ  
لَوْ كُنْتُ تَعْلَمُ مَا أَلْقَى مِنَ السَّهَرِ  
وَمَا تَضَمَّنَ قَلْبِي مِنْ هَوَاكَ إِذَا  
أَنْتَى يَضُرُّ نَدَى الْأَمْطَارِ ذَا كَبِيدِ  
وَمَنْ يَقُوقُ ضِيَاءَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ  
وَمَا أَقَاسِي مِنَ الْأَشْجَانِ وَالْفِكْرِ  
لَمَّا رَأَيْتَ لِحْجَمِي مِنْ أَدَى الْمَطَرِ  
حَرَّى وَقَلْبٍ بِنَارِ الشُّوقِ مُسْتَعِيرِ  
لَخَلْتُ ذَاكَ سَرَابًا دَارِسَ الْأَثَرِ  
لَهَوْنَ الشُّوقِ خَوْضَ النَّارِ فِي سَفَرِ  
قَلْبُ الْمَشُوقِ تُوَازِي حَالَ مُتَظَرِ  
لَا تَكْذِبَنَّ فَمَا حَالَ تَضَمَّنَهَا

(١٠) الأبيات في ديوان أبي دهيل ص ٧٧. وهي في ديوان المجنون ص ١٣٩ وكذلك في

الأغاني ٧٥/٢، ١٣١/١٨، لباب الآداب ص ٤١٤، وقد نسبت لى مجهول (آخر) في

شرح المزدوقي ص ١٣٠٥.

وقال بعض الأسديين:

فَإِنْ تَدْعِي نَجْدًا نَدْعُهُ وَمَنْ بِهِ  
وَإِنْ كَانَ يَوْمَ الْوَعْدِ يَوْمَ لِقَائِنَا  
وقال نوال<sup>(١١)</sup>:

وَإِنْ تَرْتَبِعَ رِيًّا بَغُورَ تَهَامَةٍ  
وَإِنْ حَارَبْتَ رِيًّا نُحَارِبُ وَإِنْ تَدْنُ  
وقال امرؤ القيس بن حجر:

[وَأَصْبَحْتُ وَدَعْتُ الصَّبَى غَيْرَ أَنِّي  
فَمِنْهُمْ نَصُّ الْعَيْسِ وَاللَّيْلِ دَامَسُ  
خَوَارِجٍ مِنْ بَرِيَّةٍ نَحْوَ قَرِيَّةٍ  
أَرَأَيْتَ خَلَّاتٍ مِنَ الْعَيْشِ أَرْبَعَا  
يُيَمِّنُ مَجْهُولًا مِنَ الْأَرْضِ بَلَقَا  
يُجِدِّدُنْ وَضَلًا أَوْ يُقَرِّبُنْ مَطْمَعًا<sup>(١٢)</sup>

وقال ذو الرمة:

تَذَكَّرْتُ مَيًّا بَعْدَمَا حَالَ دُونَهَا  
إِذَا لَا مِعَاتُ الْبَيْدِ أَعْرَضْنَ دُونَهَا  
سُهُوبٌ تَرَامِي بِالْمَرَّاسِيلِ بِيَدِهَا  
تَقَارِبُ لِي مِنْ حُبِّ مَيِّ بَعِيدَهَا<sup>(١٣)</sup>

وقال ضبابي بن الحارث بن أرتاة البرجمي<sup>(١٤)</sup>:

وَكَمْ دُونَ سُلْمَى مِنْ فَلَاحٍ كَأَنَّمَا  
مُحَقَّقَةٌ لَا يَهْتَدِي لِسَبِيلِهَا  
يُهَا لِبِهَا رَكْبُ الْفَلَاحِ مِنَ الرَّدَى  
قَطَعْتُ إِلَى مَعْرُوفِهَا مُنْكَرَاتِهَا  
تَجَلَّلَ أَغْلَاهَا مُلَاءٌ مُفْضَلًا  
مِنْ الْقَوْمِ إِلَّا مَنْ مَضَى وَتَوَكَّلَا  
وَمِنْ خَوْفِ حَادِيهِمْ وَمَا قَدْ تَحَمَّلَا  
إِذَا آلَالُ الْبَيْدِ الْبَسَاسِ هَرُولَا

(١١) لم أقف على «نوال» إلا في كتابنا هذا، ولعله شيء من عبث الناسخ. والبيتان من قوله كما ورد في كتابنا وجدتهما في ديوان المجنون مع اختلاف في الرواية في الصفحة ١١٧.

(١٢) انظر الديوان ص ١٣٠.

(١٣) انظر الديوان ص ١٦٤ مع اختلاف في الرواية.

(١٤) شاعر جاهلي، وأدرك الإسلام (أيام عثمان، انظر الشعر والشعراء (لیدن) ص ٢٢٦

المعاني الكبير ص ص ٧٣٥، ٧٥٥ والأبيات في الأصمعيات ص ٢٠٦.

وقال جميل بن معمر:

أَلَا أَيُّهَا الْعَشَاقُ وَيَحْكُمُ هُبُورَا  
أَلَا رَبُّ رَكْبٍ قَدْ رَفَعْتُ وَجِيهَهُمْ  
لَهَا النُّظْرَةُ الْأُولَى عَلَيْهِمْ وَبَسْطَةُ  
أَسْأَلُكُمْ هَلْ يَقْتُلُ الرَّجُلَ الْحُبُّ  
إِلَيْكَ وَلَوْزَ أَنْتَ لَمْ يُوجِبِ الرُّكْبُ  
وَإِنْ كَرَبِ الْأَبْصَارُ كَانَ لَهَا الْعَقْبُ<sup>(١٥)</sup>

وقال جرير:

لَشَتَّانَ يَوْمٌ بَيْنَ سَجْفٍ وَكِلَّةٍ  
نَقِيسُ بَقِيَّاتِ الْبَطَافِ عَلَى الْحَصَى  
وَيَوْمٌ مِنَ الْجَوَزَاءِ مُسْتَوْقِدِ الْحَصَى  
شَدِيدِ اللَّطَى حَامِي الْوَدِيقَةِ رِيحُهُ  
نَصَبْتُ لَهُ وَجْهِي وَحَرْفًا كَأَنَّهَا  
وَمَرُّ الْمَطَايَا تَغْتَدِي وَتَرْوُحُ  
وَهْنٌ عَلَى طَيِّ الْحَبَازِيمِ جُنْحُ  
تَكَادُ صَيَاصِي الْعَيْنِ فِيهِ تَصِيحُ  
أَشَدُّ لَطَى مِنْ شَمْسِهِ حِينَ يَضْمَحُ  
مِنْ الْجَهْدِ وَلِإِسَادٍ قَرَمٌ مُلَوِّحُ<sup>(١٦)</sup>

وقال علي بن محمد العلوي:

هَذَا وَحَرْفٌ إِذَا مَاتَتْ [مَفَاصِلُهُ]  
يَهْمَاءُ لَا يَتَخَطَّاهَا الدَّلِيلُ [سُرَى]  
جَاوَزَتْهَا وَالرَّدَى رَحْبُ مَعَالِمُهُ  
عَنْ رَاكِبٍ وَصَلَتْ أَكْفَالُهُ بِيَدُ  
إِلَّا وَنَاطِرُهُ بِالنَّجْمِ مَعْقُودُ  
فِيهَا وَمَسْلُكُهَا بِالْخَوْفِ مَسْدُودُ

ولبعض أهل هذا العصر:

كَمْ دُونَ أَرْضِكَ مِنْ وَادٍ وَمِنْ عِلْمٍ  
وَمِنْ مُرُوجٍ كَظْهَرِ الثُّرَسِ مُظْلِمَةٍ  
حَتَّى إِذَا الشُّمُسُ لَاحَتْ فِي سَبَاسِبِهَا  
وَكَمْ فَلَاحٍ يَقُوتُ الطَّرْفَ آخِرَهَا  
كَأَنَّ أَغْلَاهُ بِالْأَفْلَاكِ مُتَسَيِّجُ  
كَأَنَّ حَصْبَائِهَا تَحْتَ الدَّجَى سُجُجُ  
حَسِبْتَنَ أَغْلَامَهَا فِي آلَالٍ تَخْتَلِجُ  
لِلْجَنِّ بِاللَّيْلِ فِي أَقْطَارِهَا وَهَجُ

(١٥) لم أجد الأبيات في ديوان جميل، ولكني وجدتها فيما نسب إلى المجنون، الديوان

ص ٣١٧، كما وجدتها في شرح المرزوقي ص ١٤٢٤، وكذلك في أمالي القاضي

٢٩٨/٢.

(١٦) ديوان جرير ص ص ٨٣٥ - ٨٣٦.

يَهْمَاءُ غَبْرَاءُ لَا يَذْرِي الدَّلِيلُ بِهَا  
فَقَطَعْتُهَا بِأَبْنِ حَرْفٍ ضَامِرٍ قَطِمٍ  
شَوْقًا إِلَيْكَ وَلَوْلَا مَا أَكْبَدُهُ  
فَإِنْ تَجِدْ لِي فَمَحْفُوقٌ بِذَلِكَ وَإِنْ  
فِي أَيِّ أَرْجَائِهَا يُرْجَى لَهُ الْفَرْجُ  
صَلَبِ الْمَنَاسِمِ فِي إِزْقَالِهِ هَوَجُ  
لَكَانَ لِي فِي بِلَادِ اللَّهِ مُنْفَرَجُ  
تَبَخَّلَ عَلَيَّ فَلَا لَوْمَ وَلَا حَرْجُ

قَوْلُهُ: «فَمَحْفُوقٌ بِذَلِكَ» يَعْنِي: أَنْتَ مَحْفُوقٌ بِالْفَضْلِ لَيْسَ تَجَشُّمِي  
مَا وَصَفْتُهُ لَكَ أَوْجَبَ ذَلِكَ لِي عَلَيْكَ بِذَلِكَ. عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ «بِذَلِكَ» قَوْلُهُ: «وَإِنْ  
تَبَخَّلَ عَلَيَّ فَلَا لَوْمَ وَلَا حَرْجُ» لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ حَقًّا لَهُ كَانَ ظَالِمَهُ حَرَجًا. فَعَلَى هَذَا  
التفسيرِ يَصِيرُ مَعْنَى الْكَلَامِ صَحِيحًا، وَلَوْ قَصَدَ ذَلِكَ الْمَعْنَى الْآخَرُ كَانَ  
خَطْلًا قَبِيحًا.

وقال آخر:

أَقُولُ لِصَاحِبِي بِأَرْضٍ نَجْدٍ  
أَرَى قَلْبِي سَيَنْقَطِعُ أَشْيَاقًا  
وَجَدْتُ مَسِيرُنَا وَدَنَا الطُّرُوقُ  
وَأَحْزَانًا وَمَا أَنْقَطَعَ الطَّرِيقُ

وقال آخر:

لَمَّا وَرَدْتُ التَّغْلِبَ  
وَشَمَمْتُ مِنْ أَرْضِ الْحِجَا  
أَبْقَنْتُ لِي وَلِمَنْ أَحَدُ  
يَّةَ عِنْدَ مُنْصَرَفِ الرِّفَاقِ  
زِ نَسِيمِ أَرْوَاحِ الْعِرَاقِ  
بُ بِجَمْعِ شَمْلٍ وَأَتَّفَاقِ

قوال القعقاع الذهلي (١٧):

خَلِيلِي مَا مِنْ لَيْلَةٍ تَسْرِيَانِهَا  
أَلَيْسَ يَزِيدُ السَّيْرُ عَنْ كُلِّ لَيْلَةٍ  
إِذَا الْجَبَلُ النَّائِي حَوَاكِ مَقِيلُهُ  
فَمَا ذَكَرْتُ عِنْدِي لَهَا مِنْ سَمِيَّةٍ  
مِنْ الدَّهْرِ إِلَّا نَفَسْتُ عَنْكُمَا كَرْبَا  
[وَيَزْدَادُ] يَوْمَ مِنْ أَحْيَيْنَا قُرْبَا  
جَعَلْنَا عَلَيْنَا أَنْ نَجَاوِرَهُ نَحْبَا  
فَتَمْلِكُ عَيْنِي مِنْ مَدَامِعِهَا غَرْبَا

(١٧) القعقاع الذهلي بن شور الربيعي، انظر معجم الشعراء ص ٢٠٩.

مِنْ شَأْنٍ مَنْ قَصَدَ لِقَاءَ أَحِبَّائِهِ أَنْ تَتَطَاوَلَ عَلَيْهِ الطَّرِيقُ عِنْدَ اقْتِرَابِهِ  
وَيَلْحَقَهُ حِينَتُهُ مِنَ الضَّجَرِ مَعَ قُرْبِهِ مِنْهُ أَضْعَافُ مَا نَالَهُ إِذْ كَانَ مُتَبَاعِدًا عَنْهُ.

وفي ذلك يقول الموصلي (١٨):

طَرَبْتُ إِلَى الْأَصْبِيَّةِ الصَّغَارِ  
وَهَاجَكَ مِنْهُمْ قُرْبُ الْمَزَارِ  
وَأَبْرَحُ مَا يَكُونُ الشَّرْقُ يَوْمًا  
إِذَا دَنَتْ الدِّيَارُ مِنَ الدِّيَارِ  
فَهَذَا لَعَمْرِي قَوْلٌ حَقٌّ غَيْرٌ أَنَّهُ لَمْ يُخْبِرْ بِعَلَّتِهِ.

ولقد أحسن الذي يقول في نحوه:

هَلِ الْحُبُّ إِلَّا زَفْرَةٌ بَعْدَ غَبْرَةٍ  
وَحَرٌّ عَلَى الْأَحْشَاءِ لَيْسَ لَهُ بَرْدُ  
وَقَيْضُ دُمُوعِ الْعَيْنِ يَا مَيَّ كُلَّمَا  
بَدَا عَلِمَ مِنْ أَرْضِكُمْ لَمْ يَكُنْ يَبْدُو

وقد ذكر عمر بن أبي ربيعة هذا المعنى فجوده أنشدني له أبو العباس

أحمد بن يحيى:

خَلِيلِي مَا بَالُ الْمَطَايَا كَانَتْهَا  
نَرَاهَا عَلَى الْأَذْبَارِ بِالْقَوْمِ تَنْكِصُ  
وَقَدْ أَتَعَبَ الْحَادِي سُرَاهُنَّ وَأَنْشَنِي  
بِهِنَّ فَمَا بِالرَّاجِعَاتِ مُقْلِصُ  
وَقَدْ قُطِعَتْ أَعْنَاقُهُنَّ صَبَابَةً  
فَأَنْفُسُهَا مِمَّا يُلَاقِينَ شَخْصُ  
يَزِدُنَ بِنَا قُرْبًا فَيَزْدَادُ شَوْقُنَا  
إِذَا أَزْدَادَ طُولُ الْعَهْدِ وَالْبَعْدُ يَنْقُصُ (١٩)

أَفَلَا تَرَى إِلَى إِيضَاحِهِ أَنَّ الْعِلَّةَ فِي تَزَايُدِ شَوْقِهِ إِنَّمَا هِيَ تَطَاوُلُ مُدَّةٍ.  
وَأَنَّهُ كُلَّمَا قُطِعَ جُزْءٌ مِنَ الطَّرِيقِ فَقَرُبَ الْمَقْصُودُ زَادَ فِي مُدَّةِ الْمَفَارَقَةِ وَقَتُّ،  
فَزَادَ الْأَشْيَاقُ عَلَى حَسَبِ تَزَايُدِ مُدَّةِ الْفِرَاقِ. عَلَى أَنَّ عَمَرَ قَدْ أَوْضَحَ أَشْيَاءَ

(١٨) أكبر الظن أن «الموصلي» هو إسحاق، وقد مرت ترجمته، والبيتان في أمالي القاضي

٥٥/١، زهر الآداب ٥١٠/٢.

(١٩) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ١١٤.

وَأَغْفَلَ شَيْئاً، مَنْ أَنْ تَطَاوَلَ الْمُدَّةُ يَزِيدُ فِي الشُّوقِ مَعَ تَقَارُبِ الشُّقَّةِ. وَلَمْ يَذْكُرْ  
أَنْ قُوَّةَ الرَّجَاءِ لِسُرْعَةِ الْإِلْقَاءِ مِنْ أَقْوَى الْأَسْبَابِ فِي تَقْوِيَةِ الشُّوقِ  
عِنْدَ الْإِقْتِرَابِ.

□ □ □

## الباب التاسع والعشرون:

مَنْ قَصَرَ عَنْ مُصَاحَبَةِ الْجَارِ لَمْ تَنْفَعُهُ مُسَاءَلَةُ الدَّارِ

حَدَّثَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى التَّحَوِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ  
قَالَ: حَدَّثَنَا الْهَرَوِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ جَعْفَرِ بْنِ كَثِيرٍ قَالَ: كَانَ الْمَجْنُونُ  
لَمَّا أَصَابَهُ مَا أَصَابَهُ يَخْرُجُ فَإِذَا أَتَى الشَّامَ، قَالَ لَهُمْ: أَيْنَ أَرْضُ بَنِي عَامِرٍ؟  
فَقَالُوا: لَهُ وَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ أَرْضِ بَنِي عَامِرٍ؟ وَقَفَ عِنْدَ جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ التَّوْبَادُ ثُمَّ  
أَنشَدَ:

وَأَجْهَشْتُ لِلتَّوْبَادِ لَمَّا رَأَيْتُهُ      وَهَلَّلَ لِلرَّحْمَانِ حِينَ رَأَيْتِي \*  
وَأَذْرَيْتُ دَمْعَ الْعَيْنِ لَمَّا رَأَيْتُهُ      وَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ فَدَعَانِي  
وَقُلْتُ لَهُ أَيْنَ الَّذِينَ عَاهَدْتُهُمْ      حَوَالَيْكَ فِي عَيْشٍ وَخَيْرِ زَمَانٍ  
فَقَالَ مَضَوْا وَاسْتَوْدَعُونِي بِلَادَهُمْ      وَمَنْ ذَا الَّذِي يَتَّقَى عَلَى الْحَدَثَانِ  
وَلِيَنِي لِأَبْكِي الْيَوْمَ مِنْ حَذْرِي غَدَاً      فِرَاقَكَ وَالْحَيَانَ مُؤْتَلِفَانِ  
سَجَالاً وَتَهْتَاناً وَوَيْلَاً وَدَيْمَةً      وَسَحاً وَتَسْجَاماً وَيَنْهَمِلَانِ<sup>(١)</sup>

قَالَ: ثُمَّ يَمْضِي حَتَّى يَأْتِيَ الْعِرَاقَ فَيَقُولُ مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَأْتِي الْبَيْتَ فَيَقُولُ  
مِثْلَ ذَلِكَ.

وقال الوليد بن عبيد الطائي:

ذَاكَ وَادِي الْأَرَاكِ فَاحْسٍ قَلِيلاً      مُقْصِراً مِنْ صَبَابَةٍ أَوْ مُطِيبَلاً  
قِفْ مَشُوقاً أَوْ مُسْعِداً أَوْ حَزِيناً      أَوْ مُعِيناً أَوْ عَاذِراً أَوْ عَذُولاً

(١) الأبيات في ديوان المجنون ص ٢٧٥، وكذلك في الأغاني ٥٣/٢، وأما

القال ٢٠٧/١، أمالي المرتضى ٣١٠/٢.

إِنَّ بَيْنَ الْكَيْبِ فَالْجَزَعِ فَأَلَا  
أَبْلَتْ الرِّيحُ وَالرَّوَائِحُ وَالْأَلَا  
وَحِلَافُ الْجَبِيلِ قَوْلُكَ لِلدَّاءِ  
لَا تَلْمُهُ عَلَى مُوَاصَلَةِ الدَّمِ  
لَمْ يَكُنْ يَوْمًا طَوِيلًا بِنَعْمَا

وقال يحيى بن منصور<sup>(٣)</sup>:

أَمَّا يَسْتَفِيْقُ الْقَلْبُ إِلَّا أَنْبَرَى لَهُ  
أَخَادِعُ عَنْ عِرْفَانِهَا أَلْعَيْنِ إِنَّهَا  
عَهْدَنَا بِهَا وَحْشًا عَلَيْهَا بَرَاقِعُ

وقال ذو الرمة:

أَنَّ تَرَسَّمْتَ مِنْ خَرَقَاءَ مَنْزِلَةً  
مَنَازِلُ الْحَيِّ إِذْ لَا الدَّارُ نَارِخَةً  
تَعْتَادُنِي زَفَرَاتٍ حِينَ أَذْكَرُهَا

وقال أيضاً:

كَأَنَّ دِيَارَ الْحَيِّ بِالزُّرْقِ حَلَقَةً  
إِذَا قُلْتُ تَعْفُوا لَأَخٍ مِنْهَا مُهَيِّجٌ  
وَمَا أَنَا فِي دَارٍ لِمَيِّ عَرَفْتُهَا  
إِذَا قُلْتُ بَعْدَ الْجُهْدِ يَا مَيِّ نَلْتَقِي  
وَدَوِيَّةٍ مِثْلُ السَّمَاءِ أَعْتَسَفْتُهَا

(٢) ديوان البحري ص ١٧٦٢ مع اختلاف في الرواية.

(٣) هو يحيى بن منصور الحنفي من شعراء الحماسة (التبريزي) ٣١٠/١. قال أبو رياش:  
هذا غلط من أبي تمام، يحيى بن منصور هو ذهلي.

(٤) الديوان ص ٥٦٧ مع اختلاف في الرواية.

(٥) المصدر السابق ص ١٣٨.

رَامَ رَبْعاً لِّأَلِ هِنْدٍ مَجِيلاً  
يَّامٌ مِنْهُ مَعَالِمًا وَطُلُولًا  
كَرَّ عَهْدَ الْأَحْبَابِ صَبْرًا جَمِيلاً  
عَ وَلَوْ لَوْمُ لَوْمِ الْخَلِيلِ الْخَلِيلًا  
نِ وَلَكِنْ كَانَ الْبُكَاءُ طَوِيلًا<sup>(٢)</sup>

تَوَهُمُ دَارٍ مِنْ سَعَادٍ وَمَرْعٍ  
مَتَى تُثَبِّتِ الْأَطْلَالَ عَيْنِي تَذْمَعُ  
وَهَذِي وَحُوشٌ حُسْرٌ لَمْ تُزْرَعْ

مَاءُ الصَّبَابَةِ مِنْ عَيْنِكَ مَسْجُومٌ  
بِالْأَصْفِيَاءِ وَإِذْ لَا أَلْعِيشُ مَذْمُومٌ  
تَكَادُ تَنْقُذُ مِنْهُمْ أَلْحِيَازِيمُ<sup>(٤)</sup>

مِنْ الْأَرْضِ أَوْ مَكْتُوبَةً بِمَدَادٍ  
عَلَى الْهَوَى مِنْ طَارِفٍ وَتَلَادٍ  
بِجَلْدٍ وَلَا عَيْنِي بِهَا بِجَمَادٍ  
عَدَنِي بِكُرِّهِ أَنْ أَرَاكَ عَوَادِي  
وَقَدْ صَبَغَ اللَّيْلُ الْحَصَى بِسَوَادٍ<sup>(٥)</sup>

أَمَّا تَشْبِيهُهُ رُسُومَ الدَّارِ بِالْحَلَقَةِ مِنَ الْأَرْضِ فَهَذَا إِحْسَانٌ فِي مَعْنَاهُ،  
وإِعْرَابٌ فِي لَفْظِهِ. وَمَا أَسَاءَ فِي تَشْبِيهِهَا بِالْكِتَابَةِ بِالْمَدَادِ، غَيْرَ أَنَّ هَذَا مَسْبُوقٌ  
إِلَيْهِ فَالْمَعْبُودُ لِيُذَكِّرَهُ غَيْرُ مَلُومٍ فِيهِ، وَلَا مَحْمُودٌ عَلَيْهِ. وَأَمَّا إِخْبَارُهُ بِأَنَّهَا تَهْيِجُ  
هَوَاهُ وَأَدِّكَارُهُ، فَهُوَ أَيْضاً مَعْنَى غَيْرُ مُبْتَدَعٍ، إِلَّا أَنَّهُ يَذَلُّ عَلَى ضَعْفٍ فِي  
الْحَالِ، وَنَقْصٍ فِي الْجَزَعِ. وَيَشْهَدُ بِمَا قُلْنَا أَعْتِدَارُهُ إِلَى مَنْ يَهْوَاهُ، وَمِنْ  
تَرْكِهِ الْقَصْدَ إِلَى لِقَائِهِ بِأَنَّهُ إِذَا عَزَمَ عَلَى ذَلِكَ، عَدَاهُ عَنْهُ مُكْرَهُ مِنْ أَشْغَالِهِ،  
وَكُلُّ هَذِهِ الْأَوْصَافِ تَذَلُّ عَلَى قُصُورِ حَالِهِ.

ولقد قال البحري في أكثر هذه الأحوال فأحسن فيما قال فمن ذلك

قوله:

دَمِنْ كَمِثْلِ طَرَائِقِ الْوُشَى أَنْجَلَتْ  
يَضْعُفْنَ عَنْ إِذْكَارِنَا عَهْدَ الصَّبَى  
وَلَرُبَّ ذَهْرٍ قَدْ تَبَسَّمَ ضَاحِكاً  
مِنْ قَبْلِ دَاعِيَةِ الْفِرَاقِ وَرَحَلَهُ  
لَا كَلِيفُ الْيَسْرِ أَبْعَدَ غَايَةٍ  
لَمَعَاتُهُنَّ مِنَ الرِّدَائِ الْمُنْهَجِ  
أَوْ أَنَّ يَهْجَنَ صَبَابَةً لَمْ تَهْتَجِ  
عَنْ طُرَّتِي زَمَنِ يَهْنُ مُدْبَجِ  
مَنْعَتْ مُغَازَلَةَ الْغَزَالِ الْأَذْعَجِ  
يَجْرِي إِلَيْهَا خَائِفٌ أَوْ مُرْتَجِ<sup>(٦)</sup>

وله أيضاً:

لَا تَقِفْ بِي عَلَى الدِّيَارِ فَإِنِّي  
فِي بُكَاءٍ عَلَى الْأَجْبَةِ شُغْلُ  
لَسْتُ مِنْ أَزْبَعٍ وَرَسْمٍ مُجِيلِ  
لِأَخِي الْحُبِّ عَنْ بُكَاءِ الطُّلُولِ<sup>(٧)</sup>

على أنه نقض أيضاً على نفسه هذا المعنى الذي استحسناه بقوله:

أَيْنَ أَهْلُ الْقِيَابِ بِالْأَجْرَعِ الْفَرِّ دِ تَوَلَّوْا [لَا] أَيْنَ أَهْلُ الْقِيَابِ

(٦) ديوان البحري ص ٤٠٠ مع اختلاف في الرواية.

(٧) المصدر السابق ص ١٦٧٤.

سَقَمُ دُونَ أَعْيُنِ ذَاتِ سُقْمٍ وَعَذَابُ دُونَ الثَّنَائِيَا الْعَذَابِ  
وَكَمِثْلُ الْأَحْبَابِ لَوْ يَعْلَمُ الْعَالَمُ ذِلَّ عِنْدِي مَنَازِلُ الْأَحْبَابِ (٨)

فَهُوَ يُوهِمُنَا فِي الْآيَاتِ الْأُولَى أَنَّ الصَّبَابَةَ قَدْ مَلَكَتْ هِمَمُهُ وَأَفْكَارُهُ،  
وَتَنَاوَلَتْ خَوَاطِرُهُ وَأَذْكَارُهُ، حَتَّى لَمْ تَدَعْ فِيهِ فَضْلاً لِعَارِضٍ يَهْجُهُ، وَلَا لِمَنْزِلٍ  
يُذَكِّرُهُ. وَأَنَّ شُغْلَهُ بِالتَّفَرُّدِ بِالْبَكَاءِ عَلَى إِلْفِهِ يَمْنَعُهُ مِنَ التَّشَاغُلِ بِاللُّقُوفِ عَلَى  
مَنْزِلِهِ. وَهُوَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ لَا يَرْضَى أَنْ يَجْعَلَ الْبَكَاءَ عَلَى الدَّارِ، لِضُرُوبٍ  
مِنْ ضُرُوبِ الْإِذْكَارِ، بِرُغْمِ أَنْ مَوْقِعَهَا فِي فُؤَادِهِ، كَمَوْقِعِ مَنْ كَانَ فِيهَا مِنْ  
أَحْبَابِهِ. وَهَذَا أَفْرَطُ فِي التَّفَاوُتِ وَالْمُنَاقَضَاتِ، غَيْرَ أَنَّ مَنْ تَكَلَّمَ عَلَى قَدْرِ  
الْأَوْقَاتِ، وَجَرَى مَعَ أَحْكَامِ الْهَوَى عَلَى حَسَبِ الْغَايَاتِ، غَدَرَ بَلْ تَحِيلَ فِي  
قَوْلِهِ فَضْلاً عَنْ أَنْ يُخَالِفَ مَذْهَباً إِلَى غَيْرِهِ.

ولقد أنصف الذي يقول:

لَحَرُّكَ مَا أَبْكِي عَلَى الدَّارِ إِذْ خَلْتُ وَلَكِنْ لِأَهْلِ الدَّارِ إِذْ وَدَعُوا الدَّارَا  
تَوَلَّوْا فَوَلَّى الْعَيْشُ مِنْ بَعْدِ غِبْطَةٍ وَأَبْقُوا بِقَلْبِي مِنْ تَذَكُّرِهِمْ نَارَا

وقال ذو الرمة:

بَجَرَعَائِهَا مِنْ سَاكِنِ الْخَيِّ مَلْعَبٌ وَآرِي أَفْرَاسٍ كَجُرْثُومَةِ النَّمْلِ  
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْهَا الْخَيُّ إِذْ أَنْتَ مَرَّةً بِهَا مَيِّتُ الْأَهْوَاءِ مُجْتَمِعُ الشَّمْلِ  
بَكَيْتُ عَلَى مَيِّ بِهَا إِذْ عَرَفْتُهَا

وَهَجَتْ الْهَوَى حَتَّى بَكَيْلَا الْقَوْمُ مِنْ أَجْلِي  
فَظَلُّوا وَمِنْهُمْ دَمْعُهُ غَالِبٌ لَهُ وَآخِرُ يَثْنِي عِبْرَةَ الْعَيْنِ بِالْهَمْلِ  
وَهَلْ هَمَلَانُ الْعَيْنِ رَاجِعٌ مَا مَضَى مِنْ الْوَجْدِ أَوْ مُذْنِكِ يَا مَيِّ مِنْ أَهْلِي  
أَلَا لَا أَبَالِي الْمَوْتَ إِنْ كَانَ قَبْلَهُ [لِقَاءِ] لِمَيِّ وَارْتِجَاعُ مِنَ الْوَصْلِ (٩)

(٨) المصدر السابق ص ٨٣.

(٩) الديوان ص ٤٨٥ مع اختلاف في الرواية.

وقال أيضاً:

قِفْ الْعَيْسَ فِي أَطْلَالِ مَيَّةٍ فَاسْأَلِ  
أَطْنُ الَّذِي يُجِدِي عَلَيْكَ سُؤَالَهَا  
وَكَاثِنُ تَخَطَّتْ نَاقَتِي مِنْ مَفَازَةٍ  
رُسُومًا كَأَخْلَاقِ الرِّدَاءِ الْمُسْلَسِلِ  
دُمُوعاً كَتَبَذِيرِ الْجَمَانِ الْمَفْصَلِ  
وَمِنْ نَائِمٍ عَنْ لَيْلَةٍ مُتَزَمِّلِ (١٠)

وقال ذو الرمة:

وَقَفْتُ عَلَى رَبْعٍ لِمَيَّةٍ نَاقَتِي  
وَأُسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَبْثُهُ  
أَلَا لَا أَرَى مِثْلَ الْهَوَى دَاءً مُسْلِمٍ  
فَمَا زِلْتُ أَبْكِي عِنْدَهُ وَأُخَاطِبُهُ  
تُكَلِّمُنِي أَحْجَارُهُ وَمَلَاعِبُهُ  
كَرِيمٍ وَلَا مِثْلَ الْهَوَى لَيْمٍ صَاحِبُهُ (١١)

وقال أيضاً:

أَمَنْزِلَتِي مَيِّ سَلَامٌ عَلَيْكُمَا  
وَهَلْ يَرْجِعُ التَّسْلِيمُ أَوْ يَكْشِفُ الْعَمَى  
تَرَوُّمَتُهَا يَوْمًا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي  
قِفْ الْعَيْسَ تَنْظُرُ نَظْرَةً فِي دِيَارِهَا  
فَقَالَ أَمَا تَعْشَى لِمَيَّةً مَنْزِلًا  
هَلْ الْأَزْمُنُ الْآلَتِي مَضَيْنَ رَوَاجِعُ  
ثَلَاثُ الْآثَانِي وَالِدِيَارُ الْبَلَاغِ  
وَلَيْسَ بِهَا إِلَّا الطَّبَاءُ الْخَوَاضِعُ  
وَهَلْ ذَاكَ مِنْ دَاءِ الصَّبَابَةِ نَافِعُ  
مِنْ الدَّهْرِ إِلَّا قُلْتُ هَلْ أَنْتَ رَابِعٌ (١٢)

وقال أبو تمام:

أَوْ مَا رَأَيْتَ مَنَازِلَ ابْنَةِ مَالِكٍ  
وَكَأَنَّمَا أَلْقَى عَصَاهُ بِهَا أَلْبَلَى  
وَالْحَادِثَاتُ وَإِنْ أَصَابَكَ بُؤْسُهَا  
فَلَقَبْلُ أَظْهَرَ صَقْلُ سَيْفٍ إِثْرُهُ  
رَسَمَتْ لَهُ كَيْفَ الزُّفَيْرِ رُسُومُهَا  
مِنْ شُقَّةٍ قُذِفَ فَلَيْسَ يَرِيْمُهَا  
فَهُوَ الَّذِي أَنْبَاكَ كَيْفَ نَعِيمُهَا  
فَبَدَا وَهَذَبَتْ الْقُلُوبُ هُمُومُهَا (١٣)

(١٠) المصدر السابق ص ٥٠١.

(١١) المصدر السابق ص ٣٨.

(١٢) المصدر السابق ص ٣٣٢.

(١٣) ديوان أبي تمام ٢٧٣/٣.

وقال البحرني:

أَمَحَلَّتْنِي سُلْمَى بِكَاطِمَةَ أَسْلَمَا  
أَبْكَيْكُمَا دَمْعاً وَلَوْ أَنِّي عَلَى  
ظِلًّا أَكْفَكِفْتُ فِيهِ دَمْعاً مُعْرِباً  
تَأَبَّى رَبَّاهُ أَنْ تُجِيبَ وَلَمْ يَكُنْ

وقال أيضاً:

يَا يَوْمَ عَرَجَ بَلْ وَرَاءَكَ يَا غَدُ  
فِي كُلِّ يَوْمٍ دِمْنَةٌ مِنْ حُبِّهِمْ  
دَمِنْ تَقْضَاهُنَّ أَعْلَامَ الْبَلَى  
حَتَّى فَيَنَ وَمَا الْبَقَاءُ لِوَاحِدٍ

وقال أبو تمام:

دِيَارُ هَرَاقَتْ كُلَّ عَيْنٍ شَجِيحَةٍ  
فَعُوجًا صُدُورَ الْأَرْحَبِيِّ وَأَسْهَلَا  
فَلَا تَسْأَلَانِي عَنْ هَوِيِّ طِعْمَتُمَا

وقال البحرني لنفسه:

لَا دِمْنَةَ يَلُوى خَبْتٍ وَلَا طَلْلُ  
إِنْ عَنْ دَمْعِكَ فِي إِثْرِ الرُّسُومِ فَلَمْ  
هَلْ أَنْتَ يَوْمًا مُعِيرِي نَظْرَةَ فَتَرَى  
شَبُوهَا النَّوَى بِحُدَاةٍ مَا لَهَا وَطَنُ

(١٤) ديوان البحرني ص ١٩٥٤.

(١٥) المصدر السابق ص ٦٢٧.

(١٦) ديوان أبي تمام ١١٩/٢.

(١٧) الديوان ص ١٧٥٤.

وقال ذو الرمة:

يَقُولُ بِالزُّرْقِ صَحْبِي إِذْ وَقَفْتُ بِهِمْ  
لَوْ كَانَ قَلْبُكَ مِنْ صَخْرٍ لَصَدَّعَهُ  
وَرَفْرَفَةٌ تَعْتَرِينِي كُلَّمَا ذُكِرَتْ  
مَا زِلْتُ أَطْرُدُ فِي آثَارِهِمْ نَظْرِي

وقال أيضاً:

عَرَفْتُ لَهَا دَاراً فَأَبْصَرَ صَاحِبِي  
فَقُلْتُ لِنَفْسِي مِنْ حَيَاءٍ رَدَدْتُهُ  
أَمِنْ أَجْلِ دَارٍ طَيْرَ الْبَيْنِ أَهْلَهَا  
فَوَؤَاذُكَ مَبْثُوثٌ عَلَيْكَ شُجُونُهُ

وقال الراعي:

أَلَا أَيُّهَا الرَّبْعُ الْخَلَاءُ مَشَارِبُهُ  
فَلَمَّا رَأَيْنَا أَنَّمَا هُوَ مَنْزِلُ  
مَضِيَّتْ عَلَى شَأْنِي بِمِرَّةٍ مُخْرَجٍ

ولبعض أهل هذا العصر:

أَتَهَجُرُ مَنْ تُحِبُّ وَأَنْتَ جَارُ  
وَتَسْكُنُ بَعْدَ نَائِبِهِمْ أَشْتِيَاقاً  
تَرَكْتَ سُؤَالَهُمْ وَهُمْ جَمِيعُ  
فَأَنْتَ كَمُشْتَرِي أَثَرِ بَعِيْنٍ  
فَنَفْسُكَ لَمْ وَلَا تَلَمْ الْمَطَايَا

فِي دَارٍ مَيَّةٍ اسْتَسْقِي لَهَا الْمَطَرَا  
هَيِّجُ الدِّيَارِ لَكَ الْأَحْزَانُ وَالذِّكْرَا  
مَيِّ لَهُ أَوْ نَحَا مِنْ نَحْوِهَا أَلْبَصَرَا  
وَالشُّوقُ يَفْتَادُ فِي ذِي الْحَاجَةِ النَّظْرَا

صَحِيفَةً وَجْهِي قَدْ تَغَيَّرَ حَالُهَا  
إِلَيْهَا وَقَدْ بَلَ الْجُفُونُ بِلَالُهَا  
أَيَادِي سَبَا بَعْدِي وَطَالَ أَحْتِيَالُهَا  
وَعَيْنُكَ يَعْصِي عَاذِلِيكَ أَنَّهُمَا لَهَا<sup>(١٩)</sup>

أَشِيرُ لِلْفَتَى مِنْ أَيْنَ صَارَ حَبَائِثُهُ  
وَمَوْقِدُ نَارٍ قَلَمًا عَادَ حَاطِبُهُ  
عَنِ الشَّأْوِ ذِي شَغْبٍ عَلَى مَنْ يُحَارِبُهُ<sup>(٢٠)</sup>

وَتَطْلُبُهُمْ وَقَدْ بَعْدَ الْمَزَارِ  
وَتَسْأَلُ فِي الْمَنَازِلِ أَيْنَ سَارُوا  
وَتَرْجُو أَنْ تُخْبِرَكَ الدِّيَارُ  
فَقَلْبُكَ بِالصَّبَابَةِ مُسْتَطَارُ  
وَمَتَّ أَسْفَا فَقَدْ حَقَّ الْحِذَارُ

(١٨) الديوان ص ١٨٤.

(١٩) المصدر السابق ص ٥٢٣.

(٢٠) الديوان ص ١٩ ومصدر التخريج كتاب الزهرة.

## مَنْ مَنَّعَ مِنَ الْبَرَّاحِ تَشَوُّقَ بِالرِّيَّاحِ

كُلُّ مُتَشَوِّقٍ مِنَ الْعُشَّاقِ بِنَسِيمِ رِيحٍ ، أَوْ لَمَعَانِ بَرَقٍ أَوْ سَجْعِ حَمَامٍ  
فَهَوْنًا قِصٌّ عَنْ حَالِ التَّمَامِ مِنْ جِهَتَيْنِ: إِحْدَاهُمَا [قِلَّةُ صَبْرِهِ] عَلَى فَقْدِ  
صَاحِبِهِ حَتَّى يَحْتَاجَ أَنْ يَرَى مَا يَشَوْقُهُ بِذِكْرِهِ ، وَالْأُخْرَى أَنَّ مَنْ كَانَتْ هَذِهِ  
صِفَتُهُ فَإِنَّ الصَّبَابَةَ لَمْ تَمَّا لَكَ عَلَى قَلْبِهِ ، فَتَشْغَلُهُ عَنْ أَنْ يَتَشَوَّقَ بِشَيْءٍ يُلِمُّ بِهِ .  
غَيْرَ أَنَّ الشَّوْقَ بِمَا ذَكَرْنَاهُ إِنَّمَا يَقْصُرُ بِأَهْلِهِ عَنْ دَرَجَةِ الْكَمَالِ ، وَلَيْسَ بِمُدْخِلٍ  
لَهُمْ فِي جُمْلَةِ الْمُوصُوفِينَ بِالنَّقْصِ وَالْإِخْلَالِ . وَمِنْ مُخْتَارِ مَا قِيلَ فِي الشَّوْقِ  
بِالرِّيَّاحِ قول ذي الرمة:

إِذَا هَبَّتِ الْأَرْيَاحُ مِنْ نَحْوِ جَانِبٍ      بِهِ أَهْلٌ مَيَّ هَاجَ شَوْقِي هُبُوبُهَا  
هَوَى تَذْرِفُ الْعَيْنَانِ مِنْهُ وَإِنَّمَا      هَوَى كُلِّ نَفْسٍ حَيْثُ حَلَّ حَبِيبُهَا<sup>(١)</sup>

وقال آخر:

وَقَدْ عَاوَدْتَنَا الرِّيحُ مِنْهَا بِنَفْحَةٍ      عَلَى كَيْدٍ مِنْ [طِيبِ] أَرْوَاحِهَا بَرْدٌ  
عِدِينِي بِنَفْسِي أَنْتَ وَعْدًا قَرِيبًا      جَلَا كَرْبَةَ الْمَكْرُوبِ عَنْ قَلْبِهِ الْوَعْدُ  
فَقَدْ بَتَ لَا قَوْمٌ وَلَا كَبِيلَتِي      وَلَا مِثْلَ وَجْدِي فِي الشِّفَا بِكُمْ وَجْدٌ<sup>(٢)</sup>

وقال مجنون بني عامر:

أَيَا جَبَلِي نُعْمَانَ بِإِلَّهِ خَلِيَا      طَرِيقَ الصَّبَا يَخْلُصُ إِلَيَّ نَسِيمُهَا

(١) ديوان ذي الرمة ص ٦٦ .

(٢) هذه الأبيات مما نسب إلى المجنون ، الديوان ص ص ٩٧ - ٩٨ .

سَمِعْتُ بِنَائِبِهِمْ وَظَلَلَتْ حَيًّا  
إِذَا مَا الصَّبُّ أَسْلَمَهُ صُدُودُ  
تَبَاعَدَ مَنْ هَوَيْتَ وَأَنْتَ دَانٍ  
إِذَا مَا بَانَ مَنْ تَهَوَى فَوَلَّى  
وله أيضاً:

أَمَرْتُ عَلَى الْمَنَازِلِ كَالْغَرِيبِ  
وَمَا يُعْنِي الْوُقُوفُ عَلَى الْأَثَافِي  
حَبَسْتُ بِهَا الْمَطِيَّ فَلَمْ تُجِيبِي  
فَقُلْتُ لَهَا سَكُوتُكَ ذَا عَجِيبِ  
شَكُوتُ إِلَى الدِّيَارِ فَمَا شَفَتْنِي  
فَمَنْ يُنْجِي الْعَلِيلَ مِنَ الْمَنَآيَا  
أَسْأَلُ مَنْ لَقِيتُ عَنْ الْحَبِيبِ  
وَنُؤْيِ الدَّارِ عَنْ دَنِيفِ كَيْبِ  
وَلَمْ تَرْحَمْ بِلَا شَكِّ نَجِيبِي  
وَأَعْجَبُ مِنْ سَكُوتِكَ أَنْ تُجِيبِي  
بَلَى شَاقَتْ إِلَى وَجْهِ الْحَبِيبِ  
إِذَا كَانَ الْبَلَاءُ مِنَ الطَّيِّبِ

□ □ □



أَجْدُ بَرْدَهَا أَوْ تَشْفِ مِنِّي حَرَارَةً  
فَإِنْ أَلْصَبَا رِيحٌ إِذَا مَا تَنَسَّمْتُ  
عَلَى كَبِدٍ لَمْ يَتَّقِ إِلَّا صَمِيمُهَا  
عَلَى نَفْسٍ مَغْمُومٍ تَجَلَّتْ غُمُومُهَا<sup>(٣)</sup>

وقال ابن الدمينية:

وَقَدْ جَعَلْتُ رِيًّا أَلْجُوبُ إِذَا جَرْتُ  
جَنُوبٌ بِرِيًّا مِنْ أُمَيْمَةٍ تَغْتَدِي  
عَلَى ضَعْفِهَا تَنْدَى لَنَا وَطَيْبُ<sup>(٤)</sup>  
حِجَازِيَّةٌ عُلوِيَّةٌ وَتَوُوبُ<sup>(٥)</sup>

وقالت وجيهة بنت أوس الضبية<sup>(٦)</sup>:

فَلَوْ أَنَّ رِيحاً بَلَغَتْ وَحْيَ مُرْسَلٍ  
إِلَيْهِمْ تَحِيَّتِي  
خَفِيَ لَنَا حَيْثُ أَلْجُوبٌ عَلَى النَّقْبِ  
وَلَا تَخْلِطُهَا طَالَ سَعْدُكَ بِالتَّرَبِ  
هَلْ أَزْدَادُ صُدَاحِ الثَّمِيرَةِ مِنْ قُرْبٍ  
فَلِإِنِّي إِذَا هَبْتُ شَمَالَ سَأَلْتُهَا

وقال يزيد بن الطثرية:

إِذَا مَا أَلْرِيحُ نَحْوَ الْأَثَلِ هَبْتُ  
فَمَاذَا يَمْنَعُ الْأَرْوَاحَ تَسْرِي  
وَجَدْتُ أَلْرِيحَ طَيِّبَةً جَنُوبًا  
بَرِيًّا أَمْ عَمَرُو أَنْ تَطِيبَا  
أَلَيْسَتْ أَعْطَيْتُ فِي حُسْنِ خَلْقِي  
كَمَا شَاءَتْ وَجَنَيْتِ أَلْعُيُوبَا<sup>(٧)</sup>

وقال آخر:

خَلِيلِي مِنْ سُكَّانِ مُرَّانٍ هَاجِنِي  
فَإِنْ تَسْأَلَانِي مَا دَوَائِي فَإِنِّي  
سُكُونُ أَلْجَنُوبِ مَرَّةً وَآيِسَامُهَا  
بِمَنْزِلَةِ أَغْنِي الطَّيِّبِ سَقَامُهَا

(٣) ديوان المجنون ص ٢٥١، وانظر الأغاني (الدار) ٢/٢٦، الحماسة البصرية ص ١٤٩.

(٤) في «م» والمطبوع: تبدأ.

(٥) الديوان ص ١٠٧.

(٦) انظر شرح الحماسة (التبريزي) ٣/٣٣٨، وانظر شيئاً من الأبيات في هذا المصدر.

(٧) انظر «شعر يزيد بن الطثرية» ص ٧٠ مع اختلاف في الرواية، وانظر تخريج الأبيات.

وقال صخر الحرمازي<sup>(٨)</sup>:

لَعَمْرُكَ مَا مِيعَادُ عَيْنِكَ بِأَلْبِكَ  
أَعَاشِرُ فِي دَارَاءٍ مَنْ لَا أَجْبُهُ  
بِذَارَاءٍ إِلَّا أَنْ تَهْبُ جَنُوبُ  
وَبِالرَّمْلِ مَهْجُورٍ إِلَيَّ حَبِيبُ<sup>(٩)</sup>

وقال آخر:

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ أَمَا قُلُونَا  
وَأِنِّي لَأَسْتَسْقِي بِكُلِّ سَحَابَةٍ  
فَمَرْضَى وَأَمَّا وَدُنَا فَصَحِيحُ  
تَمُرُّ بِهَا مِنْ نَحْوِ أَرْضِكَ رِيحُ

قال آخر:

هَوَى صَاحِبِي رِيحُ الشَّمَالِ إِذَا جَرْتُ  
وَمَا ذَاكَ إِلَّا إِلَّا أَنَّهَا حِينَ تَنْتَهِي  
وَأَهْوَى لِنَفْسِي أَنْ تَهْبُ جَنُوبُ  
تَنَاهَى وَفِيهَا مِنْ أُمَيْمَةٍ طَيْبُ  
فَوَيْلِي مِنَ الْعُدَالِ مَا يَتْرُكُونِي  
يَقُولُونَ لَوْ عَزَّيْتَ قَلْبَكَ لَأَرْعَوَى  
بَغَمِي أَمَا فِي الْعَادِلِينَ لَبِيبُ  
فَقُلْتُ وَهَلْ لِلْعَاشِقِينَ قُلُوبُ<sup>(١٠)</sup>

وقال مهدي بن الملوح:

إِذَا أَلْرِيحُ مِنْ نَحْوِ الْحَبِيبِ تَنَسَّمْتُ  
عَلَى كَبِدٍ قَدْ كَادَ يَيْدِي بِهَا أَلْجَوَى  
وَجَدْتُ لِرِيَّاهَا عَلَى كَبِدِي بَرْدًا  
صُدُوعًا وَبَعْضُ الْقَوْمِ يَحْسِبُنِي جَلْدًا<sup>(١١)</sup>

وقال آخر:

تَمُرُّ أَلْصَبَا صَفْحًا بِسَاكِنِ ذِي أَلْغَضَا  
فَيَصْدَعُ قَلْبِي أَنْ يَهْبُ هُبُوبُهَا

(٨) قائل البيتين في الحماسة البصرية ص ١٤٩ الأقرع بن معاذ، وانظر: معاهد التنصيص

١٢٦/١، الأغاني ١١/١٥١.

(٩) البيتان في ديوان المجنون ص ٦٢، وانظر أمالي القالي ٢/٤٠، ومحاضرات الأدباء ٣٢/٢.

(١٠) الأبيات مما نسب إلى المجنون، وهي في الديوان ما عدا البيت الثاني ص ٥٨.

(١١) البيتان في ديوان المجنون ص ١١٩ مع اختلاف في الرواية، وقد ورد البيت الثاني منسوباً لابن هرمة في الأغاني ٢/٨٠.

قَرِيْبَةُ عَهْدٍ بِالنَّحِيْبِ وَإِنَّمَا

هَوَى كُلِّ نَفْسٍ حَيْثُ كَانَ حَبِيْبُهَا<sup>(١٢)</sup>

وقال الجويرية<sup>(١٣)</sup>:

يُصْبِحُ أَوْصَابِي عَلَى النَّأْيِ وَالْهَوَى  
وَمَا آغْتَرَضْتُ لِلرَّكْبِ أَدْمَاءَ حُرَّةٍ  
وَعَاتِيَةٍ عِنْدِي لَهَا قُلْتُ أَقْصِرِي

مُهَيِّجُ الصَّبَا مِنْ نَحْوِهَا حِينَ تَنْفُخُ  
مِنَ الْعَيْنِ إِلَّا ظَلَّتِ الْعَيْنُ تَسْفُحُ  
فَغَيْرُكَ خَيْرٌ مِنْكَ قَوْلًا وَأَنْصَحُ

وقال الورد بن الورد العجلي<sup>(١٤)</sup>:

أَمُغْتَرِبًا أَصْبَحْتَ فِي دَارِ مَهْرَةٍ  
إِذَا هَبَّ غُلُوِي الرِّيَّاحِ وَجَدْتَنِي  
أَلَا حَبْدًا الْإِضْعَادُ لَوْ تَسْتَطِيعُهُ  
فَإِنْ مَرَّ رَكْبٌ مُضْعِدُونَ فَقَلْبُهُ  
سَلَّ الرِّيَّاحِ إِنْ هَبَّتْ جَنُوبًا ضَعِيفَةً  
مَتَى عَهْدُهَا بِالْمَوْقِلَاتِ [وَحَبْدًا  
وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تَزُرْ

أَلَا كُلُّ نَجْدِي هُنَاكَ غَرِيبُ  
كَأَنِّي لِعُلُوِي الرِّيَّاحِ نَسِيبُ  
وَلَكِنْ أَجَلٌ لَا مَا أَقَامَ عَسِيبُ  
مَعَ الْمُضْعِدِينَ الرَّائِحِينَ حَبِيبُ  
مَتَى عَهْدُهَا بِالدَّيْرِ زِيرِ حَبِيبُ  
شَوَاكِلُ [ذَاكَ] الْغَيْشِ حِينَ يَطِيبُ  
حَبِيبًا وَلَمْ يَطْرُبْ إِلَيْكَ حَبِيبُ<sup>(١٥)</sup>

وقال آخر:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَعُودُنَّ مَا مَضَى  
وَهَلْ عَائِدٌ قَبْلَ الْمَمَاتِ فَرَاغُ

لِيَالِي عَيْشِ الْأَصْفِيَاءِ رَطِيبُ  
عَلَى عَهْدِهِ دَهْرٌ إِلَيَّ حَبِيبُ

(١٢) البيتان مما نسب إلى المجنون الديوان ص ٦٩، وهما في الأغاني ٨٥/٢، تزيين الأسواق ص ٦٢، سبط اللالي ص ٦٤١، ذيل الأملاني ص ٩٢ منسوبين إلى بعض الأعراب.

(١٣) الجويرية بنت الحارث إحدى أزواج النبي (ص)، انظر طبقات ابن سعد ٨٣/٨، لإصابة ٢٦٥/١، صفة الصفوة ٢٦/٢.

(١٤) لم أعتد إلى ترجمته.

(١٥) البيتان الثاني والرابع في ديوان المجنون ص ٦٢ من مقطوعة وردت في أمالي القاضي ٤٠/٢، محاضرات الأدباء ٣٢/٢، الحماسة البصرية ص ١٤٩ وفيها أنها للأقرع بن معاذ.

وَإِنِّي لَتُحْيِيَنِي الصَّبَا وَتُجَبِّئُنِي  
وَتَبْرُدُ نَفْسِي بَلْ تُعِيشُ حُشَاشَتِي  
وَأَرْتَاحُ لِلْبَرْقِ الْيَمَانِي كَأَنِّي

إِذَا مَا جَرَتْ بَعْدَ الشَّمَالِ جَنُوبُ  
شَمَالٌ بِهَا بَعْدَ الْهُدُوءِ هُبُوبُ  
لَهُ حِينَ يَجْرِي فِي السَّمَاءِ نَسِيبُ

وقال ابن الدمينه:

أَلَا لَا أَحِبُّ السَّيْرَ إِلَّا مُصْعِدًا  
إِذَا هَبَّ غُلُوِي الرِّيَّاحِ وَجَدْتَنِي

وَلَا الرِّيَّاحَ إِلَّا أَنْ تَهْبُ جَنُوبُ  
كَأَنِّي لِعُلُوِي الرِّيَّاحِ نَسِيبُ<sup>(١٦)</sup>

وقال آخر:

إِذَا هَبَّتِ الْأَرْوَاحُ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهِمْ  
وَمَنْ يَلِيسَ الدُّنْيَا وَنُعْمَى وَيَخْتَلِفُ

وَجَدْتُ لِرِيَّاهَا إِذَا مَا جَرَتْ بَرْدًا  
عَلَيْهِ جَدِيدَاهَا يُجَدُّ لَهُ فَقْدًا

وقال ابن الدمينه:

فَيَا حَسْرَاتِ النَّفْسِ مِنْ غَرْبَةِ النَّوَى  
وَمَنْ خَطَرَاتِ تَغْتَرِبِي وَزَفَرَةٍ  
وَقَدْ جَعَلْتُ رِيًّا الْجَنُوبَ إِذَا جَرَتْ  
جَنُوبٌ بِرِيًّا مِنْ أُمَيْمَةٍ تَغْتَدِي

إِذَا قَسَمْتَهَا نِيَّةً وَشُعُوبُ  
لَهَا بَيْنَ جِلْدِي وَالْعِظَامِ دَيْبُ  
عَلَى طَيْبِهَا تَنْدَى لَنَا وَطَيْبُ<sup>(١٧)</sup>  
جَجَارِيَّةُ غُلُوِيَّةُ وَتَوْوُوبُ<sup>(١٨)</sup>

وقال هذبة بن خشرم<sup>(١٩)</sup>:

أَلَا لَيْتَ الرِّيَّاحِ مُسْخَرَاتُ  
فَتُبْلِغُنَا الشَّمَالَ إِذَا أَتُنَا

لِحَاجَتِنَا تُرَاوِحُ أَوْ تَوْوُوبُ  
وَتُبْلِغُ أَهْلَنَا عَنَّا الْجَنُوبُ<sup>(٢٠)</sup>

(١٦) لم أجد البيتين ولكن البيت الثاني في ديوان المجنون ص ٦٢.

(١٧) في «م» والمطبوع: تبدا.

(١٨) ديوان الدمينه ص ١٠٧.

(١٩) شاعر أموي في عهد معاوية كثير الأمثال في شعره، انظر الأغاني ٢٦٤/٢١، الشعر والشعراء ص ٦٨١، معجم الشعراء ص ٤٦٠.

(٢٠) البيتان في «شعر هذبة» ص ٥٤، وانظر تحريجهما.

وليعض أهل هذا العصر في هذا المعنى:

مُبَاشَرَةُ النَّسِيمِ لِشَخْصٍ إِلْفِي أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ فَقْدِ الْحَبِيبِ  
نَأَى عَنِّي الْحَبِيبُ فَصَارَ قَلْبِي يَغَارُ عَلَى الصَّبَا وَعَلَى الْجَنُوبِ  
وَلَوْ يَسْطِيعُ مَا دَرَجَتْ دُبُورُ إِذَنْ وَنَهَى الشَّمَالَ عَنِ الْجَنُوبِ  
خَلِيلِي مِنْ نَوَاكٍ أَخَذْتُ حَظِّي فَهَلْ لِي فِي نَوَالِكَ مِنْ نَصِيبِ  
نُفِيتُ مِنَ الْهَوَى إِنْ كَانَ قَلْبِي دَعَى وَدَا كَوْدُكَ فِي الْمَغِيبِ

وقال حميد بن ثور (٢١):

يَهْشُ لِنَجْدِي الرِّيحَ كَأَنَّهُ أَخُو كُرْبَةٍ دَانِي الْإِسَارِ طَلِيقُ  
فِيَا طِيبَ رِيَاهَا وَبَرْدَ نَسِيمِهَا إِذَا حَانَ مِنْ حَامِي النَّهَارِ طُرُوقُ

وقال جرير:

يَا حَبْدًا جَبَلَ الرِّيَّانِ مِنْ جَبَلٍ وَحَبْدًا نَفَحَاتٍ مِنْ يَمَانِيَةٍ  
وَحَبْدًا سَاكِنُ الرِّيَّانِ مَنْ كَانَا تَأْتِيكَ مِنْ قَبْلِ الرِّيَّانِ أَحْيَانًا (٢٢)

وقال آخر:

إِذَا هَبَّ عُلوِي الرِّيحِ وَجَدْتَنِي يَهْشُ لِعُلوِي الرِّيحِ فُوَادِيَا  
فَإِنْ هَبَّتِ الرِّيحُ الصَّبَا هَبَّتْ لَنَا دَوَاعِي حُزْنٍ لَمْ يَجِدْ مَدَاوِيَا  
وَمَا هَبَّتِ الرِّيحُ الصَّحْبَةَ مَوْهِنًا مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا بَتَّ لِلرِّيحِ ضَاوِيَا  
وَالْأَعْلَى الْقَلْبُ مِثْلِي تَدَاعِيَا وَإِلَّا تَدَاعَى الْقَلْبُ مِثْلِي تَدَاعِيَا

وقالت امرأة من مرة:

أَلَا خَلِيَا بَرْدَ الْجَنُوبِ فَإِنَّهُ يُدَاوِي فُوَادِي مِنْ هَوَاهُ نَسِيمِهَا  
وَكَيْفَ تُدَاوِي الرِّيحُ شَوْقًا مُمَاطِلًا وَعَيْنًا طَوِيلًا لِلدُّمُوعِ سُجُومِهَا

(٢١) شاعر إسلامي مجيد، الشعر والشعراء (بيروت، دار الكتب العلمية) ص ١٨٧،

الأغاني (الدار) ٣٥٦/٤، سمط الآلىء ص ٣٧٦.

(٢٢) ديوان جرير (الضاوي) ص ٥٩٦.

وقال آخر:

حَسِبْتُ الْغُصَا يَشْفِي هِيَامِي فَلَمْ أَجِدْ شَمِيمَ الْغُصَا يَشْفِي هِيَامَ فُوَادِيَا  
بَلَى لَوْ أَتَانَا الرِّيحُ تُدْلِجُ مَوْهِنًا بِرِيحِ الْخَزَامَى كَانَ أَشْفَى لِمَا بِنَا

وقال الوقاف وهو الورد بن الورد الجعدي (٢٣):

إِذَا تَرَكْتَ وَحْشِيَّةً نَجَدَ لَمْ يَكُنْ لِعَيْنِكَ مِمَّا يَشْكُوَانِ طَبِيبُ  
إِذَا رَاحَ رَكْبٌ مُصْعِدُونَ فَقَلْبُهُ مَعَ الْمُصْعِدِينَ الرَّائِحِينَ جَنِيبُ  
وَكَانَتْ رِيَّاحُ الشَّامِ تُبْغِضُ مَرَّةً فَقَدْ جَعَلَتْ تِلْكَ الرِّيحَ تَطِيبُ  
وَقَدْ كَانَ عُلوِي الرِّيحِ أَحَبَّهَا إِلَيْنَا فَقَدْ دَارَتْ هُنَاكَ جَنُوبُ

وقال آخر:

أَلَا حَبْدًا يَوْمَ تَهَبُّ بِهِ الصَّبَا لَنَا وَعَشِيَّاتٍ تَدَانَتْ غُيُومُهَا  
بِنُغْمَانٍ إِذْ أَهْلِي بِنُغْمَانٍ جِيرَةٍ لِيَالِي إِذْ يَرْضَى بِدَارٍ مُقِيمُهَا (٢٤)

وقال كلاب بن عقبة:

بِأَهْلِي وَنَفْسِي مَنْ تَجَنَّبْتُ دَارَهُ وَمَنْ لَا أَرَى لِي مِنْ زِيَارَتِهِ بُدَا  
وَمَنْ رَدَّنِي إِذْ جِئْتُ زَائِرَ بَيْتِهِ وَلَوْ زَارَ بَيْتِي مَا أَهَيْنَ وَلَا رُدَا  
وَمَنْ لَا تَهَبُّ الرِّيحُ مِنْ شَقِي أَرْضِهِ فَتَبْلُغَنِي إِلَّا وَجَدْتُ لَهَا بَرْدًا

وقال آخر:

مَا هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ أَرْضِكُمْ إِلَّا وَجَدْتُ لَهَا بَرْدًا عَلَى كَبْدي  
وَلَا تَنْسَمْتُ أُخْرَى أَسْتَفِيقُ لَهَا إِلَّا وَجَدْتُ خِيَالًا مِنْكَ بِالرَّصْدِ

(٢٣) مر بنا قبل صفحتين: الورد بن الورد العجلي، ورأينا هذا العلم نفسه، ولكنه

الجعدي، مع زيادة «الوقاني» ثم سيأتي نفسه وشهرته العبي، فهل لي أن أقول أنهم

واحد، والخطأ في اختلاف الشهرة، وقد أشرت إلى أني لم أقف له على ترجمة، ولكني

وجدت ورد الجعدي بين شعراء الحماسة، شرح التبريزي ٢٨٦/٣.

(٢٤) البيتان في شعر المجنون، الديوان ٢٥٢، وفي الأغاني (الدار) ٨٤/٢.

وقال ابن الدمينه:

يَمَانِيَّةٌ هَبَّتْ طِبْلِيلٌ فَأَرَقَتْ  
أَبْنِي إِذَا اسْتُخْبِرْتُ هَلْ تَحْفَظُ آلْهُوَى

وقال الورد بن الورد العبسي:

أَلَا لَيْتَ أَنَّ الرِّيحَ فِي ذَاتِ بَيْتِنَا  
فَتُخْبِرَهَا مَاذَا لَقِينَا مِنْ آلْهُوَى

وقال آخر:

أَلَا يَا جِبَالَ الْغُورِ خَلَيْنَ بَيْتِنَا  
فَقَدْ طَالَ مَا حَالَتْ ذُرَاكُنْ بَيْنَنَا

وقال طريح بن اسمعيل (٢٦):

هَلِ الرِّيحُ مِنْ صَبِّ مُقِيمٍ مُرِيحَةٍ  
وَكَيْفَ تَنَاسَى مَنْ تُجَدِّدُ ذِكْرَهُ

وقالت العيوق بنت مسعود (٢٧):

إِذَا هَبَّتِ الْأَرْوَاحُ زَادَتْ صَبَابَةً  
أَلَا لَيْتَ أَنَّ الرِّيحَ مَا حَلَّ أَهْلُنَا  
وَأَلَتْ يَمِينًا لَا تَهُبُّ شِمَالَهَا

وقال آخر:

أَلَا جَبْذَا رِيحُ الْأَلَا إِذَا جَرَتْ  
وَإِنِّي لَمَعْدُورٌ إِلَى الشُّوقِ كُلَّمَا

(٢٥) البيتان في الديوان ص ١٧٦ عن كتاب «الزهرة».

(٢٦) طريح بن اسماعيل الثقفي شاعر، كان له في الوليد بن يزيد، انظر: الشعر والشعراء

(لیدن) ص ص ٤٢٧ - ٤٢٨، وانظر شرح التبريزي ٤/ ١٤٠.

(٢٧) لم أهتمد لي ترجمتها.

وقال آخر:

هَلِ الرِّيحُ أَوْ بَرَقُ الْيَمَامَةِ مُخْبِرٌ  
سُلَيْمَى سَقَاهَا اللَّهُ حَيْثُ تَصَرَّفَتْ  
إِذَا دَرَجَتْ رِيحُ الصَّبَا وَتَنَسَّمَتْ  
تَقَرَّفَ قَرَحُ الْقَلْبِ بَعْدَ انْدِمَالِهِ  
صَمَائِرُ حَاجٍ لَا أُطِيقُ لَهَا ذِكْرًا  
بِهَا غُرَبَاتُ الدَّارِ عَنْ دَارِنَا الْقَطْرًا  
تَعَرَّفْتُ مِنْ نَجْدٍ وَسَاكِينِهِ نَشْرًا \*  
فَهَيْجَ دَمْعًا لَا جَمُودًا وَلَا نَذْرًا

□ □ □

وَبَيْنَ الصَّبَا يَخْرُجُ عَلَيْنَا سَنِينُهَا  
وَبَيْنَ ذُرَى نَجْدٍ فَمَا نَسْتَبِينُهَا

عَلَى الظَّاعِنِ النَّائِي سَلَامَ الْمُسْلِمِ  
نَسِيمُ الرِّيَّاحِ لِلصَّبَا الْمُتَنَسِّمِ

عَلَيَّ وَبَرَحًا فِي فُؤَادِي هُبُوبُهَا  
بِصُحْرَاءِ نَجْدٍ لَا تَهُبُّ جُنُوبُهَا  
وَلَا نَكْبًا إِلَّا صَبَا نَسْتَطِيبُهَا

بِرِيَّاهُ هَبَّاتُ الرِّيَّاحِ الْجَنَائِبُ  
بَدَا لِي مِنْ نَخْلِ الصَّبَاحِ النَّصَائِبُ

في لوامع البروق أنس للمستوحش المشوق

حَدَّثَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى النَّحْوِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَيْبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ اللَّيْثِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَعْنٍ الْغَفَارِيُّ قَالَ: أَقْتَحَمَتِ السَّنَةُ [وَدَخَلَ] الْمَدِينَةَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ مِنْهُمْ صُرَّةٌ مِنْ كِلَابٍ، وَكَانُوا يَدْعُونَ عَنْهُمْ ذَلِكَ الْجَرَّافَ. قَالَ: فَأَبْرَقُوا لَيْلَةً فِي النَّجْدِ وَعَدَوْتُ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا غَلَامٌ مِنْهُمْ قَدْ عَادَ جِلْدًا وَعَظْمًا ضَبْعًا وَمَرَضًا وَضَمَانَةً حَبٍ، وَإِذَا هُوَ قَدْ رَفَعَ عَقِيرَتَهُ بِأَيَاتٍ وَإِلَهًا مِنْ اللَّيْلِ:

أَلَا يَا سَنَا بَرَقَ عَلَى فَلَكِ الْحِمَى لِيَهْنِكَ مِنْ بَرَقٍ عَلَيَّ كَرِيمٌ  
لَمَعَتْ أَقْتِدَاءُ الطَّيْرِ وَالْقَوْمِ مُجْعٌ فَهَيَّجَتْ أَسْقَامًا وَأَنْتَ سَلِيمٌ  
فَبِتْ بِحَدِّ الْمَرْفَقَيْنِ أَشِيمُهُ كَأَنِّي لِبَرَقٍ بِالسَّتَارِ حَمِيمٌ  
فَهَلْ مِنْ مُعِيرٍ طَرَفَ عَيْنٍ جَلِيَّةٍ فَإِنْسَانُ عَيْنِ الْعَامِرِيِّ كَلِيمٌ  
وَفِي قَلْبِهِ الْبَرَقُ الْمَلَالِي رَمِيَّةٌ بِذِكْرِ الْحِمَى وَهَذَا تَكَادُ تَهِيمٌ<sup>(١)</sup>

قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: فَفِي دُونِ مَا بِكَ يُفَحِّمُ عَنِ الشَّعْرِ، فَقَالَ: صَدَقْتُ، وَلَكِنَّ الْبَرَقَ أَنْطَقَنِي. ثُمَّ مَا لَبِثَ يَوْمُهُ ذَلِكَ حَتَّى مَاتَ.

وقال آخر:

أَقُولُ لِبَوَائِيْنِ وَالسَّجْنِ مُغْلَقٌ وَطَالَ عَلَيَّ اللَّيْلُ مَا تَرَيَانِ

(١) جاء في «م» والمطبوع: البرق الملالي (كذا) وليس له من وجه، وهو من غير شك البرق اليماني، ولم يكن لي أن أثبت ما رأيت.

فَقَالَ نَرَى بَرَقًا يُلُوحُ وَمَا الَّذِي  
فَقُلْتُ أَتَنَحَا لِي الْبَابُ أَجْلِسُ إِلَيْكُمَا  
فَقَالُوا أَمِرْنَا بِالْوِثَاقِ وَمَا لَنَا  
أَلَا لَبِثَ شِعْرِي وَهُوَ مِمَّا يَهْمُنِي

وأنشدني أحمد بن يحيى:

أَكَلَمَا لَمَعَتْ بِالْغُورِ بَارِقَةٌ  
إِنْ كُنْتَ مَثَلْتَهَا مِنْ كُلِّ رَابِعَةٍ  
لَتَصْبِحَنَّ قَتِيلًا طُلُ مَصْرَعُهُ

وقال الأحوص:

أَصَاحِ أَلَمْ تُحْزِنِكَ رِيحُ مَرِيضَةٍ  
فَإِنْ غَرِبَ الدَّارِ مِمَّا يَشُوقُهُ  
وَمِنْ دُونِ مَا أَسْمُو بِطَرْفِي لِأَرْضِهِمْ  
فَأَبْدَتْ كَثِيرًا نَظَرَتِي مِنْ صَبَابَتِي  
أَهْمٌ لِأَنَسَى ذِكْرَهَا وَيَشُوقُنِي

وقالت رامة بنت الشماخ<sup>(٣)</sup>:

الْأَمُ عَلَى نَجْدٍ وَمَنْ تَكَ دَارُهُ  
تُهْجُهُ جَنُوبٌ حِينَ تَبْدُو بِنَشْرِهَا

وقالت امرأة من طي:

إِذَا مَا صَبِيرُ الْمُرْنِ أَوْمَضَ بَرَقُهُ  
وَلَكِنْ مَتَى مَا تَبَدُّ مِنْهُ مَخِيلَةٌ

يَشُوقُكَ مِنْ بَرَقٍ يُلُوحُ يَمَانٍ  
لَعَلِّي أَرَى الْبَرَقَ الَّذِي تَرَيَانِ  
بِمَعْصِيَةِ السُّلْطَانِ فِيكَ يَدَانِ  
مَتَى أَنَا وَالصَّهَالُ مُلْتَقِيَانِ

هَذَا إِلَيْهَا جَنَاحًا قَلْبِكَ الْخَفِيُّ  
لِلشَّمْسِ وَالْبَدْرِ أَوْ لِلْمَنْظَرِ الْآتِي  
مِنْ طَعْنَةٍ فِي الْحَشَا مَكْتُومَةِ الْعَلَقِ

وَبَرَقَ تَلَالًا بِالْعَقِيقَيْنِ لَامِعُ  
نَسِيمُ الرِّيَّاحِ وَالْبُرُوقِ اللَّوَامِعُ  
مَقَاوِزُ مُغْبَرٍّ مِنَ الْتِيهِ وَاسِعُ  
وَأَكْثَرُ مِنْهُ مَا تَجُنُّ الْأَضَالِعُ  
رِفَاقٌ إِلَى أَهْلِ الْحِجَازِ نَوَازِعُ<sup>(٤)</sup>

بَنَجْدٍ يَهْجُهُ الشُّوقُ شَيْءٌ يُرَابِعُهُ<sup>(٤)</sup>  
يَمَانِيَّةٌ وَالْبَرَقُ إِذْ لَاحَ لَامِعُهُ

بِنَغْدَادٍ لَمْ تَبْلُغْ بِعَيْنِي بَوَارِقُهُ  
بَنَجْدٍ فَذَاكَ الْبَرَقُ لَا بَدَّ شَائِقُهُ

(٢) الأبيات في «شعر الأحوص» ص ١٤٥، وانظر التخريج.

(٣) لم أهدت لي ترجمتها.

(٤) لا بد أن تكون الكلمة «يرابعه» مصحفة عن كلمة أخرى لم أهدت إليها.

وقالت الخنساء:

أَمْبَتِدِرْ قَلْبِي إِنْ أَلْعَيْنُ آنَسَتْ  
فَلَيْتَ سَمَاكِياً يَطِيرُ رَبَابُهُ  
فَيَشْرَبُ مِنْهُ جَحْوَشٌ وَيَشِيْمُهُ  
فَأَقْسِمُ أَنِّي قَدْ وَجَدْتُ لِحَجْوَشٍ  
فَإِنْ كُنْتُ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ فَلَا تَلِخْ  
نَاهِلُ الْحِجَازِ مَعَشَرٌ مَا أَحْبَبُهُمْ

وقال عبدالرحمان بن دارة<sup>(٦)</sup>:

نَظَرْتُ وَدُورٌ مِنْ نَصِيْبِيْنِ دُونِنَا  
لِكَيْمَا أَرَى الْبَرْقَ الَّذِي أَوْمَضَتْ بِهِ  
وَأِنِّي وَنَجْدًا كَالْقَرِيْبِيْنِ قَطْعًا

وقال أبو القمقام الأسدي<sup>(٧)</sup>:

خَلِيْلِي طَالَ اللَّيْلُ وَاشْتَغَلَ الْقَدَى  
خَلِيْلِي إِلَّا تَبَكِّيَا لِأَخِيْكَمَا

وقال آخر:

أَرِقْتُ وَهَاجَنِي الْبَرْقُ الْبَعِيدُ  
أُرِيدُ لِكَيْ أَزُورَ بِلَادَ لَيْلِي  
عَلَيَّ أَلِيَّةٌ إِنْ كُنْتُ أَدْرِي

(٥) لم أجد الأبيات في ديوان الخنساء.

(٦) لم أهدت إلى ترجمته.

(٧) تقدمت الإشارة إليه.

(٨) البيت الأخير في «بسط سامع المسامر» ص ٣٦ من شعر المجنون.

ولبعض أهل هذا العصر:

أَرِقْتُ لِبَرْقٍ مِنْ تَهَامَةٍ خَافِقٍ  
يَلُوحُ فَأَزْدَادُ أَشْيَاقًا وَمَا أَرَى  
مَتَى تَذُنْ لَا يَمْلِكُ لِي الشُّوقُ لَوْعَةً  
فَرَأَيْكَ فِي عَبْدٍ إِلَيْكَ مَفْرُهُ  
وَأُنشدني أبو طاهر الدمشقي:

أَعْيَنِي عَلَى بَارِقٍ نَاصِبٍ  
كَأَنَّ تَأَلَّقَهُ فِي السَّمَاءِ

وقال علي بن محمد العلوي:

شَجَاكَ أَلْوَمِيضُ وَلَذْعُ أَلْمَضِيضِ  
كَأَنَّ تَأَلَّقَهُ فِي السَّمَاءِ  
كَأَنِّي لَمْ أَدْرِ أَنَّ الرَّدَى  
أَخْلَائِي أَحْفِيْكُمْ طَائِعًا  
وَلَكِنْ يَدُ الدَّهْرِ رَهْنٌ بِمَا  
عَسَى الدَّهْرُ أَنْ يَنْثِنَ لِي عِطْفُهُ

وقال البحرني:

خَيَالٌ مُلِمٌ أَوْ حَبِيْبٌ مُسَلِّمٌ  
تَقِيْضُ لِي مِنْ حَيْثُ لَا أَعْلَمُ النَّوَى

وقال النابغة:

أَرِقْتُ وَأَصْحَابِي هُجُوعٌ بِرَبْوَةٍ  
فَأَبْدَى هُمُومًا مِنْ هُمُومٍ أَجْلُهَا

كَأَنَّ سَنَا إِيْمَاضِهِ قَلْبُ عَاشِقٍ  
يُشَوِّقُنِي لَوْلَاكَ مِنْ ضَوْءِ بَارِقٍ  
وَإِنْ تَنَأَ عَنِّي فَالْتَوَهُمْ شَائِقِي  
لِتَنْعِشُهُ بِأَلْوَصَلِ قَبْلَ الْعَوَاقِبِ

خَفِيْ كَلَمَحِكَ بِالْحَاجِبِ  
يَدَا كَاتِبٍ أَوْ يَدَا حَاسِبِ

بِنَارِ الْهَوَى وَبِسَرِقِ يَمَانٍ  
رَجْعُ حِسَابٍ خَفِيْفِ الْبَنَانِ  
لِهَتِكَ سُورِ الضُّنَى قَدْ رَأَيْتُ  
وَأَنْتُمْ مَتَى النَّفْسِ دُونَ الْأَمَانِي  
سَيَرَمِي بِأَسْهُمِهِ الْفَرْقَدَانِ  
بِعُطْفِ الْهَوَى وَبِعَيْشِ لِيَانِ

وَبَرْقُ تَجَلَّى أَوْ حَرِيْقُ مُضَرَّمٍ  
وَسِرِّي إِلَيَّ الشُّوقُ مِنْ حَيْثُ أَعْلَمُ<sup>(٩)</sup>

لِبَرْقٍ تَلَالَا فِي تَهَامَةٍ لَامِعٍ  
وَأَكْثَرُ مِنْهَا مَا تَجِنُّ الْأَضَالِعُ<sup>(١٠)</sup>

(٩) ديوان البحرني ص ١٩٢٣.

(١٠) لم أجد البيتين في الديوان.

وقال آخر:

أَرَقْتُ لِبَرْقٍ آخِرَ اللَّيْلِ يَلْمَعُ  
سَرَى كَاخْتِسَاءِ الطَّيْرِ وَاللَّيْلِ ضَارِبُ

وقال آخر:

بَدَا الْبَرْقُ مِنْ نَحْوِ الْحِجَازِ فَشَاقَنِي  
سَرَى مِثْلَ بُضْرِ الْعِرْقِ وَاللَّيْلِ دُونَهُ

وقال دعبيل:

مَا زِلْتُ أَكَلًا بَرْقًا فِي جَوَانِبِهِ  
بَرْقُ تَجَاسَرَ مِنْ خَفَانٍ لَامِعُهُ

وقال آخر:

شَبَّهْتُ فِي أُخْرِيَّاتِ اللَّيْلِ مِنْ رَجَبٍ  
صَنْجًا بِصَنْعَائِهِ الْأَوْتَارُ قَدْ نُصِبَتْ

وقال آخر:

أَضَاءَ الْبَرْقُ لَيْلَةَ أَذْرِعَاتٍ  
هَوَى بِتَهَامَةٍ وَهَوَى بِنَجْدٍ

وقال كثير:

أَهَاجَكَ بَرْقُ آخِرِ اللَّيْلِ وَاصِبُ  
تَأَلَّقَ وَأَحْمَوْنِي وَخَيْمَ فِي الرُّبَى  
إِذَا حَرَّكَتُهُ الرِّيحُ أَرْزَمَ جَانِبُ  
كَمَا أَوْمَضَتْ بِالْعَيْنِ ثُمَّ تَبَسَّمَتْ  
سَمِعَ النَّدَى لَا يَذْكُرُ السَّيْرَ أَهْلُهُ

(١١) ديوان دعبيل ص ١٨٩.

(١٢) في «م» والمطبوع: يصح. والأبيات في الديوان ص ص ٥١ - ١٥٢.

وقال آخر:

وَأَرْتَاجُ لِلْبَرْقِ أَلِيمَانِي كَأَنِّي  
وَلِي كَبِدُ حَرَى بِمَا قَدْ تَضَمَّنْتُ  
أَصْعَدُ أَنْفَاسًا حِينًا وَلَوْعَةً

وقال أبو هلال الأسدي (١٣):

أَشَاقَتَكَ الْبَوَارِقُ وَالْجَنُوبُ  
أَتَتْكَ بِتَفْحَةٍ مِنْ رِيحٍ نَجْدٍ  
وَشِمْتُ الْبَارِقَاتِ فَقُلْتُ جَادَتْ

وقال محمد بن عبدالله الفقعسي (١٤):

أَقُولُ لِقَمْقَامِ بْنِ زَيْدٍ أَمَا تَرَى  
فَإِنْ تَبَكَ لِلْبَرْقِ الَّذِي هَيَّجَ أَلْهَوَى  
سَقَى آلَهُ حَيًّا بَيْنَ صَارَةٍ وَالْجَمَى  
أَمِينٌ وَادِ آلَهُ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ

وقال بعض العامريين:

عَدِمْتُ جِدَارًا يَمْنَعُ الْبَرْقَ أَنْ يُرَى  
وَسَقِيًا لِذَلِكَ الْبَرْقِ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ

وقال آخر:

أَعْيَنِي عَلَى بَرْقِ أُرَيْكَ وَمِیْضُهُ  
إِذَا اكْتَحَلَتْ عَيْنًا مُجِبَّ بِضُوئِهِ  
فَبَاتَ وَسَادِي سَاعِدٌ قُلَّ لَحْمُهُ

(١٣) لم أهدت إليه.

(١٤) لم أهدت إليه.

(١٥) الأبيات مما جاء منسوبة إلى المجنون، الديوان ص ١٥١ مع اختلاف في الرواية.

وقال آخر:

نَفَى النَّوْمَ عَنِّي فَالْفَوَادُ كَثِيبٌ  
وَمَا جَزَعًا مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ أَخْضَلْتُ  
وَلَيْتِي لَأَرْعَى النُّجْمَ حَتَّى كَأَنِّي

ولبعض أهل هذا العصر:

أَرَاكَ بَرَقَ فِي دُجَى اللَّيْلِ لَامِعٌ  
أَلَّا نَ تَخْشَى الْبُرْقَ وَالْإِلْفَ حَاضِرُ  
وَهَاجَتْ رِيَّاحُ زِدْنِ ذَا الشُّوقِ صَبُوءَ  
وَعَاشَرْتَ أَقْوَامًا فَلَمْ تَلْقَ فِيهِمْ  
وَأَصْبَحْتَ لَا تَرَوِي مِنَ الشَّعْرِ إِذْ نَأَى  
سِوَى قَوْلِ غِيلَانَ بْنِ عُقْبَةَ نَادِمًا  
هُنَاكَ تَمْنَى أَنْ عَيْنَكَ لَمْ تَكُنْ  
فَكُلُّ الَّذِي تَلْقَى يَسُوءُكَ إِنْ دَنَا  
فَيَا وَنِكَ لَا تُسْرِعْ إِلَى الْبَيْنِ إِنَّهُ

وله أيضاً<sup>(١٦)</sup>:

أَمِنْ أَجْلِ سَارٍ فِي دُجَى اللَّيْلِ لَامِعٍ  
عَلَامَ تَخَافُ الْبَيْنَ وَالْبَيْنَ رَاحَةً  
إِذَا لَمْ تَزَلْ يَمُنُّ تُحِبُّ مُرُوعًا  
جَفَوْتَ حِذَارَ الْبَيْنِ لَيْنَ الْمَضَاجِعِ  
إِذَا كَانَ قُرْبُ الدَّارِ لَيْسَ بِنَافِعٍ  
يَخْدِرُ فَإِنَّ الْهَجَرَ لَيْسَ بِرَائِعِ

□ □ □

(١٦) أقول قول المصنف: «وله أيضاً» يعني القائل السابق الذي أشار إليه «ولبعض أهل هذا العصر» وكأنني قد اطمأن رأيي إلى أنه يريد نفسه، وعلى هذا فقولته في هذه الأبيات: «وله أيضاً» من الخطأ والسهو وسبق القلم، وهذه الأبيات وجدتها ممانسب إلى المجنون، الديوان ص ١٩٦.

الباب الثاني والثلاثون:

فِي تَلْهُبِ النَّيِّرَانِ أُنْسٌ لِلْمُدْنَفِ الْحَيْرَانِ

أنشدني أبو طاهر الدمشقي قال: أنشدني محمد بن الوليد الحيدري من أهل فلسطين<sup>(١)</sup>:

رَأَيْتُ بِجَرَمِ عُذْرَةَ ضَوْءِ نَارٍ  
فَشَبَّهَ صَاحِبَايَ بِهَا سُهَيْلًا  
أَنَارُ أَوْقَدْتُ فَتَنُورَاهَا  
وَكَيْفَ وَدُونَهَا الْفَلَجَاتُ تَبْدُو  
كَأَنَّ الرِّيحَ تَصْدَعُ مِنْ سَنَاهَا  
تَلَالًا وَهِيَ نَازِحَةُ الْمَكَانِ  
فَقُلْتُ تَبَيَّنَا مَا تُبْصِرَانِ  
بَدَتْ لَكُمَا أَمِ الْبَرْقُ الْيَمَانِي  
وَكَيْفَ وَأَنْتُمَا لَا تَرْفَعَانِ  
بَنَائِقَ جَنَّةٍ مِنْ أَرْجَوَانِ

وقال جامع الكلابي<sup>(٢)</sup>:

وَأَنِّي لِنَارٍ أَوْقَدْتُ بَيْنَ ذِي الْغَضَا  
أَضَاءَتْ لَنَا وَحْشِيَّةً غَيْرَ أَنَّهَا  
عَلَى مَا بَعْنِي مِنْ قَدَى لَبِصِيرُ  
مَعَ الْإِنْسِ تَرَعَى مَا رَعَوْا وَتَسِيرُ

وقال جميل بن معمر:

أَكْذَبْتُ طَرْفِي أَمْ رَأَيْتُ بِذِي الْغَضَا  
إِلَى ضَوْءِ نَارٍ مَا تَبْخُوحُ كَأَنَّهَا  
لِبُثْنَةٍ نَارًا فَارْفَعُوا أَيُّهَا الرُّكْبُ  
مِنْ الْبُعْدِ وَالْإِقْوَاءِ جِيبُ لَهَا نَقْبُ<sup>(٣)</sup>

وقال كثير:

رَأَيْتُ وَأَصْحَابِي بِأَيْلَةٍ مَوْهِنَا  
وَقَدْ عَادَ نَجْمُ الْفَرْقَدِ الْمُتَصَوِّبِ

(١) لم أهتم إلى معرفة محمد بن الوليد الحيدري هذا.

(٢) لم أهتم إلى ترجمته.

(٣) البيتان في ديوان جميل ص ١٦.



لِعِزَّة نَارًا مَا تَبُوحُ كَأَنَّهَا إِذَا مَا رَمَقْنَاهَا مِنْ أَلْبَعْدِ كَوَكَبٌ<sup>(٤)</sup>

وقال آخر:

يَا مُوقِدَ النَّارِ يُذَكِّبُهَا وَيُخَمِّدُهَا قُمْ فَاصْطَلِ النَّارَ مِنْ قَلْبِي مُضَرَّمَةً  
وَيَا أَخَا الدُّودِ قَدْ طَالَ الظَّمَاءُ بِهَا رَدِّ بِالْعِطَاشِ عَلَى عَيْنِي وَمِحْجَرُهَا  
لَمْ تَذَرِ مَا أَلَرُّي مِنْ جَذْبٍ وَإِقْفَارٍ تُرَوِّي الْعِطَاشَ بِدَمْعٍ وَكَيْفَ جَارِي<sup>(٥)</sup>

وقال آخر:

يَا مُوقِدَ النَّارِ بِالزَّنَادِ دَغْ عَنْكَ شَكَاً وَخُذْ يَقِيناً  
وَطَالِبَ الْجَمْرِ فِي الرَّمَادِ وَأَقْتَسِرِ النَّارَ مِنْ فُؤَادِي

وقال الشماخ<sup>(٦)</sup>:

وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ لَيْلَى تَبَرَّقَتْ وَأَشْرِفُ بِالْعُورِ الْيَفَاعِ لَعَلِّي  
لَقَدْ رَأَيْتُ مِنْهَا أَلْعَدَاةَ سُفُورِهَا أَرَى نَارَ لَيْلَى أَوْ يَرَانِي بِصِيرِهَا  
حَمَامَةً بَطْنِ الْوَادِيَيْنِ تَرْنُمِي سَقَاكَ مِنَ الْغَرِّ أَلْعَذَابِ مَطِيرِهَا  
أَبِينِي لَنَا لَا زَالَ رِيَشِكَ نَاعِماً وَلَا زَلَّتْ فِي خَضْرَاءِ دَانٍ بَرِيرِهَا<sup>(٧)</sup>

وقال الأحوص بن محمد:

ضَوْءُ نَارٍ بَدَا لِعَيْنَيْكَ أَمْ شُءٌ بَتَّ بِذِي الْأَثَلِ مِنْ سُلَامَةِ نَارٍ  
تِلْكَ دَارُ أَلْغَضَا وَحَسّاً وَقَدْ يَأْ لَفُهَا الْمُجْتَدُونَ وَالزُّوَارُ

(٤) انظر الديوان ص ١٥٨ مع اختلاف في الرواية.

(٥) الأبيات مما نسب للمجنون، الديوان ص ١٤٩.

(٦) الشماخ بن ضرار شاعر مخضرم، وهو معقل بن ضرار. انظر الشعر والشعراء (ليدن) ص ص ١٧٧ - ١٧٩.

(٧) الأبيات في ديوان المجنون ص ١٤٨، وهي في زهر الآداب ٨٣/٤، وتزيين الأسواق ص ٩٧ منسوبة إلى توبة بن الحمير.

أَصْبَحَتْ دِمْنَةً تَلُوحُ بِمَتْنٍ وَكَذَلِكَ الزَّمَانُ يَذْهَبُ بِآلِ  
تَعْتَفِيهَا الرِّيحُ وَالْأَمْطَارُ نَاسٍ وَتَبْقَى الدِّيَارُ وَالْآثَارُ<sup>(٨)</sup>

وقال آخر:

يَا مُوقِدَ النَّارِ بِالصَّخْرَاءِ مِنْ عُمَقِ النَّارِ تَطْفَى وَبَرْدُ الْقَرِّ يُخَمِّدُهَا  
قُمْ فَاصْطَلِ مِنْ فُؤَادِ هَائِمٍ قَلْبِي وَنَارُ قَلْبِي لَا تَطْفَى مِنَ الْحَرَقِ

وقال بعض الأعراب:

أَنَارَ بَدَتْ يَا عَبْدُ مِنْ سَاكِنِ أَلْغَضَا قَاحِبٍ بِتِلْكَ النَّارِ وَالْمُوقِدِ الَّذِي  
مَعَ اللَّيْلِ أَمْ بَرَقَ تَلَالًا نَاصِبٌ لَهُ عِنْدَ جَرَعَاءِ أَلْنُمِيرَةِ حَاطِبٌ

وقال آخر:

لِمَنْ ضَوْءُ نَارٍ بِأَلْبِطَاحِ كَأَنَّهَا إِذَا صَدَعَتْهَا الرِّيحُ بَانَ بِضَوْنِهَا  
مِنْ أَلْوَحْشِ بَيَضَاءُ اللَّبَانِ سَلُوبٌ مِنْ الْأَثَلِ فَرَعٌ يَابِسٌ وَرَطِيبٌ  
يَرَاهَا فَيَرْجُوهَا وَلَيْسَ بِأَيْسَ قَامَا عَلَى طَلَابٍ بَانَ فَسَاعَةً  
وَفِيهَا عَنِ الْقَصْدِ أَلْمُبِينِ نُكُوبٌ وَأَمَّا عَلَى ذِي حَاجَةٍ فَفَقِيرٌ

وقال آخر:

وَنَارٍ كَسَحَرِ أَلْعُودِ تَرْفَعُ ضَوْءُهَا أَجِيدُ بِأَيْدِي أَلْعِيسِ عَنْ قَصْدِ دَارِهَا  
مَعَ اللَّيْلِ هَبَّتْ أَلرِّيَاحُ أَلصَّوَارِدُ وَقَلْبِي إِلَيْهَا بِأَلْمُودَةِ قَاصِدُ

وقال آخر:

وَطَيِّبَةُ قَالَتْ أَوْقِدِ النَّارَ عَلَيَّ يَرَاهَا مُضِلٌّ قَدْ سَرَى فَيُؤُوبُ  
لَهَا مُوقِدٌ مِنْ أَهْلِهَا وَكَأَنَّهُ إِذَا أُوقِدَتْ [لَيْلًا] أَعْنُ غَضُوبُ

(٨) شعر الأحوص ص ١٢٤ وانظر تحريجها.

وقال ربيعة بن ثابت<sup>(٩)</sup>:

لَمَنْ ضَوْءُ نَارٍ قَابَلَتْ أَعْيُنَ الرُّكْبِ  
فَقُلْتُ لَقَدْ آتَسْتُ نَاراً كَأَنَّهَا

وقال ابن الدميني:

بَدَتْ نَارُ أُمِّ الْعَمْرُو بَيْنَ حَوَائِلِ  
فَيَا حَبْذاً مِنْ ضَوْءِ بَرْقٍ بَدَا لَنَا  
بَدَتْ نَارُهَا يَا مَلَحَ مَنْ هِيَ نَارُهُ

وقال آخر:

أَلَا لَيْتَ أَنْ أَلْطَلُّ يُطْفِئُهُ نَارَنَا  
وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ تَصَلَّى بِضَوْءِهَا

وقال ابن مقبل<sup>(١٤)</sup>:

إِذَا النَّاسُ قَالُوا كَيْفَ أَنْتَ وَقَدْ بَدَا  
إِذَا قِيلَ مِنْ دَهْمَاءٍ حُيِّرْتَ أَنَّهَا  
وَكَيْفَ وَلَا نَارٌ لِدَهْمَاءٍ أَوْقَدَتْ  
وَإِنِّي لَيْلِحَانِي عَلَى أَنْ أُجِبَهَا  
وَلَوْ أَنَّ مَا أَلْقَى مِنَ الشُّوقِ وَالْهَوَى

تُسَبُّ بِلَذَنِ الْعُودِ وَالْمَنْدَلِ الرُّطْبِ  
صَفَا كَوْكَبٍ لَاحَتْ فَحَنُّ لَهَا قَلْبِي<sup>(١١)</sup>

وَبَيْنَ أَلَلَوَى كَأَلْبَرْقِ ذِي اللِّمَعَانِ<sup>(١١)</sup>  
وَيَا حَبْذاً مِنْ مَوْقِدٍ وَدُخَانٍ  
وَيَا حَبْذاً مِنْ مُصْطَلَى وَمَكَانٍ<sup>(١٢)</sup>

فَيَقْبِسُنِي مِنْ نَارٍ وَجَنَاءَ قَابِسُ  
عَلَى النَّايِ مَشْبُوحِ الدَّرَاعِينَ بَائِسُ<sup>(١٣)</sup>

ضَمِيرُ الَّذِي بِي قُلْتُ لِلنَّاسِ صَالِحُ  
مِنْ أَلْجَنِّ لَمْ يُوقِدْ لَنَا النَّارَ قَادِحُ  
قَرِيباً وَلَا كَلْبٌ مِنَ اللَّيْلِ نَابِحُ  
رِجَالٌ تُقَوِّبُهُمْ قُلُوبُ صَحَائِحُ<sup>(١٥)</sup>  
لَأَهْلِكَ مَالٌ لَمْ تَسْعُهُ الْمَسَارِحُ

(٩) هو ربيعة الرقي، أبو ثابت، شاعر غزل في عصر المهدي العباسي، انظر الأغاني ٣٧/١٥، إرشاد الأريب ٢٠٧/٤.

(١٠) انظر «شعر ربيعة الرقي» ص ٣٥، والأيات في معجم الأدباء ١٣٤/١١، والأغاني ٢٥٤/٦، ونكت الهميان ص ١٥١.

(١١) في «م» والمطبوع: داني المعان.

(١٢) ديوان ابن الدميني ص ١٧٦.

(١٣) ذهب ظني إلى أن البيتين من سينية ذي الرمة ولكني لم أجدهما فيها.

(١٤) ابن مقبل هو هوشم بن أبي بن مقبل شاعر خضرم، الشعر والشعراء ص ص ٢٧٦ - ٢٧٨.

(١٥) في «م» والمطبوع: ألحاني والأيات في الديوان ص ص ٤٢ - ٤٣.

وقال امرؤ القيس:

تَسَوَّرْتُهَا مِنْ أَذْرَعَاتِ وَأَهْلُهَا  
نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَالنُّجُومُ كَأَنَّهَا  
فَقَالَتْ سَبَاكَ اللَّهُ إِنَّكَ فَاضِحِي  
فَقُلْتُ يَمِينَ اللَّهُ أَبْرَحُ قَاعِداً  
فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْحَدِيثَ وَأَسْمَحَتْ  
فَصِرْنَا إِلَى الْحُسْنَى وَرَقَّ كَلَامُنَا  
حَلَفْتُ لَهَا بِاللَّهِ حِلْفَةً فَاجِرِ  
سَمَوُهُ إِلَيْهَا بَعْدَمَا نَامَ أَهْلُهَا  
فَأَصْبَحْتُ مَعْشُوقاً وَأَصْبَحَ بَعْلُهَا

أَمَّا أَلْبَيْتُ الْأَوَّلُ فَهُوَ نِهَائِي لَا يَتَهَيَّأُ مُجَاوِزَتُهَا، بَلْ لَا تَتَمَكَّنُ مَقَارِبَتُهَا،  
لأنه ذَكَرَ أَنَّهُ تَخَيَّلَ نَارَهَا مِنَ الْمَدِينَةِ وَهُوَ بِالشَّامِ فَسَافَهُ الشُّوقُ إِلَيْهَا مِنْ أَجْلِ  
ذَلِكَ.

وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ أَعْرَابِيًّا ذَكَرَ صَاحِبَةً لَهُ فَقَالَ: إِنِّي لَا ذِكْرَها وَبَيْنِي وَبَيْنَهَا  
عُقْبَةُ طَائِرٍ، وَأَجِدُ مِنْ ذِكْرِهَا رِيحَ الْمِسْكِ. وَيُقَالُ: إِنَّ عُقْبَةَ الطَّائِرِ مِثْلُ  
فَرْسَخٍ، فَهَذَا لَعَمْرِي مُقَارِبٌ لَبَيْتِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ. وَلِذَلِكَ عَلَيْهِ فَضْلُ السَّابِقِ  
عَلَى الْمَسْبُوقِ، وَفَضْلُ النُّظْمِ عَلَى الْمَثُورِ، وَفَضْلُ الطَّاعَةِ لِاشْتِيَاقِهِ وَأَنْقِيَادِهِ  
مَعَهُ إِلَى إِلَهِهِ الَّذِي نَاقَهُ. غَيْرَ أَنَّهُ عَقَّبَ ذَلِكَ بِمَا عَفَى عَلَى حُسْنِهِ وَمَحَا مُوَضِعَ  
الْفَخْرِ لَهُ بِهِ.

وقال الأحموس:

صَاحِ هَلْ أَبْصَرْتَ بِالْحَبِّ سَتِينَ مِنْ أَسْمَاءِ نَارَا  
مَوْهِنَا شُبَّتْ لِعَيْنَيْنِ كَ فَلَمْ تُوقِدْ نَهَارَا

(١٦) الأبيات في الديوان ص ١٦١.

كَتَلَالِي الْبَرْقِ فِي أَلْعَا  
أَذْكُرْتَنِي الْوَصْلَ مِنْ سُلْد  
لَمْ تُبْ بِالْوَصْلِ سُلْمَى  
عَاشِقًا أَفْنَى طَوَالَ الدَّ

رَضِ ذِي الْمَرْزَنِ اسْتَطَارَا  
مَى وَأَيَّامًا قِصَارَا  
جَارَهَا إِذْ كَانَ جَارَا  
هَرِ خَوْفًا وَأَسْتَارَا<sup>(١٧)</sup>

وقال أيضاً:

رَأَيْتُ لَهَا نَارًا تُشْبُ وَدُونَهَا  
فَحَفَضْتُ قَلْبِي بَعْدَمَا قُلْتُ إِنَّهُ  
فَقُلْتُ لِعَمْرُو تِلْكَ يَا عَمْرُو دَارَهَا  
تَقَادَمَ مِنِّي الْعَهْدُ حَتَّى كَأَنِّي  
وَفِي مِثْلِ مَا جَرَّبْتُ مِنْذُ صَحْبَتِي  
كَرِيمٍ يُبَيِّتُ السَّرَّ حَتَّى كَأَنَّهُ  
إِذَا قُلْتُ أَنْسَاهَا وَأَخْلَقْتُ ذِكْرَهَا

بَوَاطِنُ مِنْ ذِي رَجَرٍ وَظَوَاهِرُ  
إِلَى نَارِهَا مِنْ عَاصِفِ الشُّوقِ طَائِرُ  
تُشْبُ بِهَا نَارٌ فَهَلْ أَنْتَ نَاطِرُ  
تَذْكُرْتَهَا مِنْ طُولِ مَا مَرَّ هَاجِرُ  
عَذَرْتُ أَبَا يَحْيَى لَوَأْنِكَ عَازِرُ  
عَمَّ بِنَوَاجِي أَمْرِهَا وَهَوَّ خَاطِرُ  
تَشَّتْ بِذِكْرَاهَا هُمُومٌ نَوَافِرُ<sup>(١٨)</sup>

وقال أيضاً:

أَمِنْ خُلَيْدَةٍ وَهَنًا شُبَّ النَّارِ  
بَاتَتْ تُشْبُ وَبِتْنَا اللَّيْلَ نَرْقُبُهَا  
يَا حَبْدًا مِنْ نَارٍ وَمَوْقِدَهَا  
خُلَيْدٌ لَا تَبْعِدِي مَا عَنْكَ إِقْصَارُ  
فَمَا أَبَالِي إِذَا أَمْسَيْتِ جَارَتَنَا  
لَوْ دَبَّ حَوْلِي ذَرٌّ تَحْتَ مِذْرَعِهَا

وَدُونَهَا مِنْ ظَلَامِ اللَّيْلِ اسْتَارُ  
تُعْنَى قُلُوبُ بِهَا مَرْضَى وَأَبْصَارُ  
وَأَهْلُنَا بِاللَّوَى إِذْ نَحْنُ أَجْوَارُ  
وَإِنْ بَخَلْتِ وَإِنْ سَطَطْتَ بِكَ الدَّارُ  
مُقِيمَةً هَلْ أَقَامَ النَّاسُ أَمْ سَارُوا  
أَضْحَى بِهَا مِنْ دَيْبِ الدَّرِّ آثَارُ<sup>(١٩)</sup>

(١٧) الأبيات في «شعر الأصوص» ص ١٢٩ وانظر تخريجها.

(١٨) المصدر السابق، وانظر التخريج.

(١٩) المصدر السابق.

وقال أيضاً:

يَا مُوقِدَ النَّارِ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ إِضْمٍ  
يَا مُوقِدَ النَّارِ أَوْقِدْهَا فَإِنَّ لَهَا  
نَارُ أَضَاءَ سَنَاهَا إِذْ تُشْبُ لَنَا  
وَلَايْمٍ لَأَمْنِي فِيهَا فَقُلْتُ لَهُ  
فَمَا طَرِبْتُ لِشَجْوٍ كُنْتُ تَأْمَلُهُ

أَوْقِدْ فَقَدْ هَجَتْ شَوْقًا غَيْرَ مُنْصَرِمٍ  
سَنَا يَهِيحُ فُوَادِ الْعَاشِقِ السَّلِمِ  
سَعْدِيَّةٌ دَلُّهَا يَشْفِي مِنَ السَّقَمِ  
قَدْ شَفَّ جِسْمِي الَّذِي أَلْقَى بِهَا وَدَمِي  
وَلَا تَأْمَلْتُ تِلْكَ الدَّارَ مِنْ أَمَمٍ<sup>(٢٠)</sup>

وقال آخر:

كَأَنَّ فُوَادِي فِي يَدٍ عَلِفْتُ [بِهِ]  
وَأَشْفِقُ مِنْ وَشِكِ الْفِرَاقِ وَإِنِّي  
نَظَرْتُ وَدُونِي السُّحْقُ مِنْ نَخْلِ بَارِقٍ  
لِابْصِرَ نَارًا بِالْجَوَاءِ وَدُونَهَا  
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَعَالَيْنِي الْهَوَى  
فَإِنْ اسْتَطَعَّ أَغْلِبَ وَإِنْ يَغْلِبِ الْهَوَى

مُحَادَرَةٌ أَنْ يَفْضُبَ الْحَبْلَ قَاضِبُهُ  
أُظُنُّ لِمَحْمُولٍ عَلَيْهِ فَرَاجِبُهُ  
بِنَظَرَةِ سَامِي الطَّرْفِ حُجْنٍ مَخَالِبُهُ  
مَسِيرُهُ شَهْرٌ لَا يَغْرَسُ رَاكِبُهُ  
إِلَى أَهْلِ تِلْكَ الْأَرْضِ أَمْ أَنَا غَالِبُهُ  
فَمِثْلُ الَّذِي لَأَقِيْتُ يَغْلِبُ صَاحِبُهُ

وقال آخر:

أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ رَائِيًا  
وَلَا مُبْصِرًا بِالْأَجْرَعِ الْفَرْدِ نَارَهَا  
وَلَا قَائِلًا تَقْضِي الدُّيُونَ فَإِنَّهَا

أُمِيمَةٌ إِنْ حَاضَرْتُ أَوْ كُنْتُ بَادِيًا  
وَلَا ثَانِيًا يُعْنَى يَدِيهَا وَسَادِيًا  
دُيُونُ غَرِيمٍ مَا أَسَاءَ التَّقَاضِيَا

ولبعض أهل هذا العصر:

أَرِقْتُ لِنَارٍ بِالْطُّلِيحَةِ أَوْقِدَتْ  
عَلَتْ وَخَبَتْ ثُمَّ أَنْجَلَتْ وَتَطَاوَلَتْ  
فَلَمْ يَخْبُ شَوْقِي إِذْ خَبَتْ بَلْ تَلَهَّبَتْ

تَرَاءَتْ لِلْحِطِّ الْعَيْنِ ثُمَّ تَسْتَرَتْ  
عَلَى هَضْبَاتِ الرَّمْلِ ثُمَّ تَخَفَضَتْ  
صَبَابَةُ قَلْبِي بِالْهَوَى إِذْ تَلَهَّبَتْ

(٢٠) المصدر السابق.

وَمَا رَدَّ عَنْهَا الطَّرْفَ بَعْدَ مَكَانِهَا  
وَلَكِنْ دُمُوعُ الْعَيْنِ لَمَّا تَهَلَّلَتْ  
ذَكَرْتُ بِهَا الدَّهْرَ الَّذِي لَيْسَ عَائِداً  
وَمَا نَسِيتُ أَيَّامَهُ بَلْ تَنْسِيَتْ  
فَمَا أَنْصَبْتُ أَذْكَتَ هَوَى جَيْنَ أَذْكَتِ  
وَلَمْ تُطْفِئْ نِيرَانَ الْهَوَى جَيْنَ أُطْفِئَتْ

□ □ □

### الباب الثالث والثلاثون:

#### في نوح الحمام أنس للمنفرد المستهام

ذَكُرُوا أَنَّ مَجْنُونٍ بَنَى عَائِراً رَقْدَ لَيْلَةٍ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَاتَّبَعَهُ بِتَغْرِيدِ  
طَائِرٍ فَأَنْشَأَ:

لَقَدْ هَتَفْتُ فِي جُنْحِ لَيْلٍ حَمَامَةً عَلَى فَنٍّ تَدْعُو وَإِنِّي لَنَائِمٌ  
فَقُلْتُ أَعِزَّاداً عِنْدَ ذَلِكَ وَإِنِّي لِنَفْسِي فِيمَا قَدْ رَأَيْتُ لَلَّائِمٌ  
أَأْزَعُمُ أَنِّي عَاشِقٌ ذُو صَبَابَةٍ بَلِيلِي وَلَا أَبْكِي وَتَبْكِي الْحَمَائِمُ  
كَذَبْتُ وَبَيْتَ اللَّهِ لَوْ كُنْتُ عَاشِقاً لَمَّا سَبَقْتَنِي بِالْبُكَاءِ الْحَمَائِمُ<sup>(١)</sup>

وقال شقيق بن سليك الأسدي<sup>(٢)</sup>:

وَلَمْ أَبْكِ حَتَّى هَيَّجْتَنِي حَمَامَةٌ بِعَيْنِ الْحَمَامِ الْوُرْقِ فَاسْتَخْرَجَتْ وَجْدِي  
فَقَدْ هَيَّجَتْ مِنِّي حَمَامَةٌ أَبْكِيَةً مِنْ الْوَجْدِ شَوْقاً كُنْتُ أَكْتُمُهُ جُهْدِي  
تُنَادِي هُذَيْلًا فَوْقَ أَخْضَرَ نَاعِمٍ غِذَاهُ رِبْعٌ بَاكِرٌ فِي ثَرَى جَعْدٍ  
فَقُلْتُ تَعَالَى نَبْكِ مِنْ ذِكْرِ مَا خَلَا وَنَذْكُرُ مِنْهُ مَا نُسِرُ وَمَا نُبْدِي  
فَإِنْ تُسْعِدِينِي نَبْكِ عِبْرَتَنَا [مَعاً] وَإِلَّا فَأَنِّي سَوْفَ أَسْفُحُهَا وَحْدِي

وهذه حال ناقصة منها في المَحَبَّةِ مَنْ لَيْسَتْ لَهُ حَالٌ.

جحدر الفقعسي حيث يقول<sup>(٣)</sup>:

وَكُنْتُ قَدْ أَنْدَمَلْتُ فَهَاجَ شَوْقِي بُكَاءَ حَمَامَتَيْنِ تَجَاوَبَانِ

(١) الأبيات مما نسب إلى المجنون، ديوان المجنون ص ٣٨، والأبيات في الأغالي ٧٦/٢،

وهي في الحيوان ٢٠٦/٣ من غير عزو، وكذلك وردت في الموشى ص ٥٨.

(٢) من شعراء الحماسة (التبريزي) ٢٧٦/٢.

(٣) ورد في «م» والمطبوع: تبة جحدر الفقعسي (كذا).

تَجَاوَيْتَنَا بِلَحْنٍ أَعْجَمِيٍّ عَلَى غُصْنَيْنِ مِنْ غَرْبٍ وَبَانَ<sup>(٤)</sup>

أَفْتَرَاهُ إِنْ سَلَا عَنْ يَهْوَاهُ لَمْ يَبْقَ لَهُ فِي قَلْبِهِ أَثَرٌ مِنْ حُبِّهِ، وَلَا خَاطِرٌ شَارِدٌ مِنْ ذِكْرِهِ، يُعِيدُ هَوَاهُ عَلَى فِكْرِهِ، فَيَعْطِفُ قَلْبَهُ عَلَيْهِ. إِذْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرُدَّ وَجْدَهُ إِلَيْهِ حَتَّى يَكُونَ نَوْحُ الْحَمَامِ أَقْوَى شَيْئًا فِي رَدِّ قَلْبِهِ إِلَى أَحْبَابِهِ. فَمَنْ كَانَ السَّبَبُ فِي تَعْذِيبِهِ نَوْحُ الْحَمَامِ، كَانَ السَّبَبُ فِي تَبْعِيدِهِ أَضْعَفُ نَوَائِبِ الْأَيَّامِ. وَلَكِنْ أَبَا صَخْرٍ الْهَذَلِيُّ قَالَ قَوْلًا لَا يُهْجُنُ مَنْ آتَبَدَعَهُ، وَلَا يُقَالُ عَلَى مَنْ أُنْتَحَبَهُ وَهُوَ:

وَلَيْسَ الْمَعْنَى بِالَّذِي لَا يَهْجُنُهُ إِلَى الشُّوقِ إِلَّا إِلَهَاتِفَاتُ السَّوَاجِعِ  
وَلَا بِالَّذِي إِنْ صَدَّ يَوْمًا خَلِيلُهُ يَقُولُ وَيَبْدِي الصَّبْرَ إِنِّي لَجَارِعُ  
وَلَكِنَّهُ سَقَمُ الْجَوَى وَمِطَالُهُ وَمَوْتُ الْحَقِّ ثُمَّ الشُّوْنُ الدَّوَامِ  
رَشَاشًا وَتَهْتَانًا وَوَبَلًا وَدِيمَةً كَذَلِكَ تَبْدِي مَا تَجُنُّ الْأَصَالِعُ<sup>(٥)</sup>

وقال آخر:

أَلَا يَا حَمَامَاتِ أَلِلْوِي عُذْنَ عَوْدَةً فَإِنِّي إِلَى أَصْوَاتِكُنَّ حَزِينُ  
فَعُذْنَ فَلَمَّا عُذْنَ كِذْنَ يُمْتَنِي وَكِدْتُ بِأَسْرَارِي لَهُنَّ أَسِينُ  
وَلَمْ تَرَ عَيْنِي قَبْلَهُنَّ حَمَائِمًا بَكَيْنُ وَلَمْ تَدْمَعْ لَهُنَّ عُيُونُ<sup>(٦)</sup>

وقال آخر:

يَا طَائِرَيْنِ عَلَى غُصْنٍ أَنَا لَكُمْ يَا طَائِرَيْنِ عَلَى غُصْنٍ أَنَا لَكُمْ  
كُونَا إِذَا طَرُتُمَا زَوْجًا إِخَالُكُمَا لَا تَأْمَنَانِ إِذَا أَفْرَدْتُمَا حَزَنًا  
هَذَا أَنَا لَا عَلَى غَيْرِي أَذْلُكُمَا لَا قَيْتُ جُهْدًا بِتَرْكِ الْأَلْفِ وَالْوَطَنِ

(٤) الأبيات في أمالي القالي ٢٧٧/١ - ٢٧٨.

(٥) الأبيات في شرح أشعار الهذليين ٩٣٥/٢ مع اختلاف في الرواية.

(٦) الأبيات من شعر المجنون، الديوان ص ٢٦٣ مع اختلاف في الرواية، وهي في الأغاني (بولاق) ٣٧/٥ من غير عزو، وهي في شعر ابن الدمينية، الديوان ص ١٨، وفي العقد الفريد ٤١٥/٥.

وقال آخر:

أَلَا يَا حَمَامَ الْأَيْكِ الْفُكَّ حَاضِرُ وَعُودُكَ مَيَّادَ فَيْسِمَ تَنُوحُ  
أَفِئ لا تَنْحُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ فَإِنِّي بَكَيْتُ زَمَانًا وَالْفُؤَادُ صَحِيحُ  
وقال آخر:

دَعَانِي الْهَوَى وَالشُّوقُ لَمَّا تَرْنَمْتُ عَلَى الْأَيْكِ مِنْ بَيْنِ الْغُصُونِ طُرُوبُ  
تُجَاوِبُهَا وَرَقُّ يُرْعِنُ لَصَوْتِهَا وَكُلُّ لِكُلِّ مُسْعِدٌ وَمُجِيبُ  
أَلَا يَا حَمَامَ الْأَيْكِ مَا لَكَ بِأَكْبَا أَفَارَقْتُ إِلْفًا أَمْ جَفَاكَ حَبِيبُ<sup>(٧)</sup>

وقال آخر:

أَلَا عَلَى فَيْضِ الدُّمُوعِ وَإِنِّي بِفَيْضِ الدُّمُوعِ الْجَارِيَاتِ جَدِيرُ  
أَيُّكِي حَمَامُ الْأَيْكِ مِنْ فَقْدِ إِلْفِهِ وَأَحْسِسُ دَمْعِي إِنِّي لَصَبُورُ

وقال بعض الأعراب:

أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ الْحَمَامَاتِ غُدُوَّةً عَلَى الْفَرْعِ مَاذَا هَبَّجَتْ جِينَ غُنَّتِ  
تَغْنَّتْ غِنَاءً أَعْجَمِيًّا فَهَبَّجَتْ هَوَايَ الَّذِي كَانَتْ ضُلُوعِي أَجْنَتِ  
نَظَرْتُ بِصَحْرَاءِ الْبَرِيدَيْنِ نَظْرَةً حِجَازِيَّةً لَوْ جُنَّ طَرْفُ لُجْنَتِ  
وَلَوْ هَمَلْتُ عَيْنَ دَمًا مِنْ صَبَابَةٍ إِذَا هَمَلْتُ عَيْنِي دَمًا وَأَهْمَتِ<sup>(٨)</sup>

وقال ابن الدمينية:

أَلَا يَا صَبَا نَجِدَ مَتَى هَبَّجَتْ مِنْ نَجْدٍ لَقَدْ رَاذَنِي مَسْرَاكِ وَجَدًا عَلَى وَجْدِ  
أَأَنَّ هَتَفَتْ وَرَقَاءَ فِي رَوْنِي الصُّحَى عَلَى غُصْنِ غُصْنِ النَّبَاتِ مِنَ الرَّنْدِ<sup>(٩)</sup>

(٧) الأبيات في ديوان المجنون ص ٥٨ مع اختلاف في الرواية.

(٨) الأبيات مما نسب إلى المجنون أيضاً ص ٨٦، وهي الثلاثة (١، ٢، ٣)، وكذلك في الأمالي ٢٣/١، ١٣١، ١٠٧/٢ - ١٠٩، الأغاني ١٦٦/٨.

(٩) في «م» والمطبوع: إن.

بَكَيْتَ كَمَا يَبْكِي الْوَلِيدُ وَلَمْ يَكُنْ  
جَلِيداً وَأَبْدَيْتَ الَّذِي كُنْتَ لَا تَبْدِي (١٠)  
وقال ناقد بن عطار العشمي (١١):

وَيَبْكِي الشُّوقُ حِينَ أَقُولُ يَخْبُو  
مُطَوِّقَةُ الْجَنَاحِ إِذَا اسْتَقَلْتُ  
يَمِيلُ بِهَا وَيَرْفَعُهَا مِرَاراً  
كَأَنَّ بِخَرِّهَا وَالْجِدِّ مِنْهَا  
مَخْطَأٌ كَانَ مِنْ قَلَمٍ لَطِيفٍ  
وقال نبهان العشمي:

أَحَقّاً يَا حَمَامَةَ بَطْنِ قَرٍ  
غَلَبْتُكَ يَا حَمَامَةَ بَطْنِ قَرٍ  
غَلَبْتُكَ فِي الْبُكَاءِ بِأَنَّ لَيْلِي  
وَأَنِّي أَشْتَكِي فَأَقُولُ حَقّاً  
وَأَنَّكَ أَجْرَأُ الْأَحْيَاءِ طُرّاً  
وقال أبو تمام الطائي:

أَتَضَعُضَعْتُ عَبْرَاتَ عَيْنِكَ إِذْ دَعَتْ  
لَا تَنْشَجُنْ لَهَا فَإِنَّ بُكَاءَهَا  
هُنَّ الْحَمَامُ فَإِنْ كَسَرْتَ عَيَافَةً  
وَرَقَاءُ تَضَعُضَعُ الْإِظْلَامُ (١٤)  
ضَحِكَ وَإِنَّ بُكَاءَكَ اسْتَغْرَامُ  
مِنْ حَائِثِهِنَّ فَإِنَّهُنَّ حِمَامُ (١٥)

(١٠) الأبيات في الديوان ص ٨٥، وهي في ذيل الأمالي ص ١٠٤ ليزيد بن الطثري، وكذلك في الأغاني ١٥/١٥٦، وفي الأغاني ٣٨/٥، بدون نسبة، وهي في شرح المزدغري ص ١٢٩٨ لابن الدميني وفي الحماسة البصرية ص ١٤٩ كذلك، وقد نسبت إلى المجنون ص ١١٢.

(١١) لم أهد إلى ترجمته.

(١٢) البيتان الرابع والخامس في ديوان المجنون ص ٢٨٢.

(١٣) لم أهد إلى الأبيات ولا إلى القائل.

(١٤) في «م» والمطبوع: أتضعضعت.

(١٥) الأبيات في الديوان ١٥٢/٣.

وقال البحرري:

مَا لِحُضْرِي نَحْنُ فِي الْقَضْبِ الْخُضْ  
عَاطِلَاتُ بَلْ خَالِيَاتُ يُرَدُّ  
زِدْنِي صَبْوَةً وَذَكَّرْتَنِي عَنْهُ  
مَا يُرِيدُ الْحَمَامُ فِي كُلِّ وَادٍ  
كُلَّمَا أُخِمِدَتْ لَهُ نَارُ شَوْقٍ  
هَجَنَهَا بِالْبُكَاءِ وَالْتَفَرِيدِ (١٦)

وقال بعض الأعراب:

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مُقَلَّةَ أَرْيَحِيَّةٍ  
وَنَفْسًا تَمْنَى مَخْرَجاً مِنْ طَوَاعِيهَا

وقال يزيد بن الطثري:

وَأَسْلَمْنِي الْبَاكُونَ إِلَّا حَمَامَةً  
إِذَا نَحْنُ أَنْفَدْنَا الدَّمُوعَ عَشِيَّةً

وقال بعض الأدباء:

نَاحَتْ مُطَوِّقَةُ يَبَابِ الطَّاقِ  
حَنَّتْ إِلَى أَرْضِ الْحِجَازِ بِحَرْفَةٍ  
إِنَّ الْحَمَائِمَ لَمْ تَزَلْ بِحَيْنِهَا  
كَانَتْ تُفَرِّخُ بِالْأَرَاكِ وَرُبَّمَا  
فَأَتَى الْفِرَاقُ بِهَا الْفِرَاقُ فَأُصْبَحَتْ  
فَتَبِعَتْهَا لَمَّا سَمِعَتْ حَيْنَهَا  
بِي مِثْلُ مَا بِكَ يَا حَمَامَةً فَاسْأَلِي  
فَجَرَتْ سَوَابِقُ دَمْعِكَ الْمَهْرَاقِ  
تُسْجِي فُرَادِ الْهَائِمِ الْمُشْتَاكِ  
قَدِمَا تُبْكِي أَعْيُنَ الْعُشَّاقِ  
سَكَنْتُ بِنَجْدٍ فِي فُرُوعِ السَّاقِ  
بَعْدَ الْأَرَاكِ تَشُوخُ فِي الْأَسْوَاقِ  
وَعَلَى الْحَمَامَةِ جُدْتُ بِالْإِطْلَاقِ  
مَنْ فَكَّ أَسْرَكَ أَنْ يَفْكَ وَثَاقِي (١٨)

(١٦) ديوان البحرري ص ٦٣٢.

(١٧) انظر: شعر يزيد ص ٧٨، والبيتان لابن الدميني الديوان ص ٩٠.

(١٨) قرأت الأبيات في مصادر عدة واختلفت في نسبتها وبينهم «البندنيجي»!

وقال بعض الأعراب:

صَدُوحُ الضُّحَى هِيَاجُهُ اللَّحْنُ لَمْ تَزَلْ  
جَزُوعُ جَمُودِ الْعَيْنِ دَائِمَةُ الْبُكَاءِ  
مُطَوَّقَةٌ لَمْ تُطْرِبِ الْعَيْنَ فِضَّةً

وقال آخر:

مُطَوَّقَةٌ لَا تَفْتَحُ الْفَمَ بِأَلْدِي  
تُؤَلِّفُ أَحْزَانًا تَفْرُقُ بِالْهَوَى  
دَعَتْ سَاقَ حُرٍّ بِالْمَرَاوِجِ وَأَتَتْ  
وَحَقَّ لِمَصْبُوبِ الْحَشَا بَيْدِ الْهَوَى

وقال آخر:

أَلَا هَلْ إِلَى قُمْرِيَّةٍ فِي حَمَائِمِ  
فَتْلُسِي قُمْرِيَّةٍ مِنْ جَنَاحِهَا  
مُطَوَّقَةٌ طَوْقًا تَرَى لِفُصُوصِهِ

وقال آخر:

رُؤْيَاكَ يَا قُمْرِيَّةُ لَسْتُ بِمُضْمِرٍ  
لِيَكْفِكَ أَنَّ الْقَلْبَ مِنْذُ تَنَكَّرْتُ  
سَقَى اللَّهُ أَيَّامًا خَلَتْ وَلَيْلِيًا  
لَئِنْ كَانَتْ الدُّنْيَا عَتْنَا إِسَاءَةً

وقال بعض العقيلين:

لَقَدْ هَاجَ لِي شَوْقًا وَمَا كُنْتُ سَالِيًا  
حَمَامَةً وَإِذْ هِجَّتْ بَعْدَ هَجْعَةٍ

(١٩) لم أهتم إليها.

قِيُودُ الْهَوَى تُهْدَى لَهَا وَتَقُودُهَا  
وَكَيْفَ بُكَاءُ ذِي مُقْلَةٍ وَجُمُودُهَا  
عَلَيْهَا وَلَمْ يَعْطَلْ مِنَ الْحُلِيِّ جِيدُهَا

تَقُولُ وَقَدْ هَاجَتْ لِي الشُّوقُ أَجْمَعًا  
إِذَا وَافَقَتْ شِعْبَ الْفُؤَادِ تَصَدَّعًا  
لَهَا الرِّيحُ فِي وَادٍ فِرَاحٍ فَأَسْرَعًا  
إِذَا حَنَّ بَاكِ أَنْ يَحْنُ وَيَجْزَعًا

بِنَخْلَةٍ أَوْ بِالْمَرْجَتَيْنِ سَبِيلُ  
وَذَلِكَ نَيْلٌ لِلْمُحِبِّ قَلِيلُ  
رَوَائِعُ يَأْقُوتٍ لَهْنٌ فُضُولُ (١٩)

مِنَ الشُّوقِ إِلَّا دُونَ مَا أَنَا مُضْمِرٌ  
أَمَامَةً مِنْ مَعْرُوفِهَا مُتَنَكِّرٌ  
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا عَهْدُهَا وَالتَّذْكَرُ  
لَمَّا أَحْسَنْتُ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ أَكْثَرُ

وَلَا كُنْتُ لَوْ رُمْتُ أَصْطَبَارًا لِأَصْبِرَا  
حَمَائِمَ وَرَقًا مُسْعِدًا أَوْ مُعْذِرَا

كَأَنَّ حَمَامَ الْوَادِيَيْنِ وَدُومَةٍ  
نَوَائِحُ قَامَتْ إِذْ دَجَى اللَّيْلُ حُسْرًا  
مُحَلَّاةٌ طَرَقَ لَيْسَ تَخْشَى انْفِضَابَهُ  
إِذَا هُمْ أَنْ يَهْوِيَ تَبَدَّلَ آخِرًا  
دَعَتْ فَوْقَ سَاقٍ دَعْوَةً وَتَنَاولَتْ  
بِهَا صَحْرًا عَلَى بَدِيلٍ لِيَتَحَدَّرَا (٢٠)

وَأَنَّ هَذَا لَمِنْ نَفِيسِ الْكَلَامِ قَدْ اشْتَمَلَ عَلَى لَفْظٍ فَصِيحٍ وَمَعْنَى  
صَحِيحٍ. أَلَا تَرَى إِلَى اخْتِرَازِهِ مِنْ أَنْ يَتَوَهَّمُ سَامِعُ كَلَامِهِ أَنَّ الْحَمَامَ أَغَادَ لَهُ  
الشُّوقَ بَعْدَ سَلُوتِهِ، أَوْ رَدَّ عَلَيْهِ مَا كَانَ ذَهَبَ مِنْ صَبْرِهِ؟ ثُمَّ مَا عَقَّبَ بِهِ بَعْدَ  
ذَلِكَ مِنَ الْجَزَالَةِ السَّهْلَةِ وَالرِّقَّةِ الْمُسْتَحْسَنَةِ.

ولقد أحسن الذي يقول:

وَقَبْلِي أَبْكَى كُلِّ مَنْ كَانَ ذَا هَوَى  
هَتُوفُ الْبَوَاكِي وَالذِّيَارُ الْبَلَاغِ  
وَهُنَّ عَلَى الْأَطْلَالِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ  
نَوَائِحُ مَا تَخْضَلُ مِنْهَا الْمَدَامِغُ  
مُزَبَّرَجَةٌ الْأَعْنَاقِ نَمَرٌ ظُهُورُهَا  
مُخْطَمَةٌ بِالدَّرِّ خُضْرُ رَوَائِعِ  
وَمِنْ قِطْعِ أَلْيَاقُوتٍ صِيغَتْ عَقُودُهَا  
خَوَاضِبُ بِالْحَنَاءِ مِنْهَا الْأَصَابِغُ

وأحسن أيضاً الذي يقول:

وَقَدْ كِدْتُ يَوْمَ الْحَزَنِ لَمَّا تَرَنْمْتُ  
هَتُوفُ الضُّحَى مَحْزُونَةً بِالتَّرْنَمِ  
أُمُوتُ لِمَبْكَاهَا أَسَى إِنَّ لَوْعَتِي  
وَوَجْدِي بِسُغْدِي قَاتِلٌ لِي فَأَعْلَمِ  
فَلَوْ قَبْلَ مَبْكَاهَا بَكَيْتُ صَبَابَةً  
بِسُغْدِي شَفِيتُ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنْدَمِ  
وَلَكِنْ بَكَتْ قَبْلِي فَهَيَّجَ لِي الْبُكَاءُ  
هَوَاهَا فَقُلْتُ الْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ (٢١)

(٢٠) لم أهتم إليها.

(٢١) البيتان الثالث والرابع من مقطوعة في أربعة أبيات من شعر عدي بن الرقاع كما في  
الكمال للمبرد ٨٦/٢، رغبة الأمل ٢٩/٧، شرح المقامات للشريشي ٣٣/١ مع  
اختلاف في الرواية الحماسة البصرية ١٤٢/٢ مع اختلاف في الرواية، الأشباه والنظائر  
للخالدين ١/١، الرسالة الموضحة في سرقات المتنبي ص ١٣٠.

وقال حميد بن ثور:

وَمَا هَاجَ هَذَا الشُّوقَ إِلَّا حَمَامَةً  
بَكَتْ شَبَّوْتُكُلَى قَدْ أُصِيبَ حَمِيمُهَا  
فَلَمْ أَرِ مِثْلِي شَاقَهُ صَوْتُ مِثْلِهَا

وقال آخر:

يَهِيْجُ عَلَيَّ الشُّوقُ نَوْحُ حَمَامَةٍ  
دَعَتْ فَبَكَتْ عَيْنَا مُجِبٍ لِّصَوْتِهَا  
يَلْدُ بِهَا الرَّائِي جَنَاحاً مُوَلَّجاً  
خَفَضَتْ إِلَيْهَا الْقَلْبَ حَتَّى تَشْرَبَتْ  
أَقُولُ لَهَا نُوجِي أَعْنِكَ وَلَمْ أَكُنْ

ولبعض أهل هذا العصر:

أَرَى نَوْحَ الْحَمَامِ يَشُوقُ قَوْماً  
إِذَا بَكَتْ الْحَمَائِمُ وَهِيَ وَحْشٌ  
فَمَا جَزَعَ الْأُنَيْسُ مِنَ التَّصَابِي  
وَفِي نَوْحِ الْحَمَائِمِ لِي عَزَاءٌ  
وَأَزْعَجِيهَا التَّفَرُّقُ وَالْجَفَاءُ  
إِذَا أَمْتَنَعَ التَّرَاوُرُ وَاللِّقَاءُ

□ □ □

الباب الرابع والثلاثون:

مَنْ أَمْتَحَنَ بِالْمُفَارَقَةِ وَالْهَجْرِ أَشْتَغَلَ فِكْرُهُ بِالْعِيَاةِ وَالزُّجْرِ

سَبِيلُ كُلِّ مَشْغُوفٍ بِشَيْءٍ مَا كَانَ أَنْ يَحْذَرَ عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي قَبْضَتِهِ وَيَرْجُو  
رُجُوعَهُ إِذَا خَرَجَ عَنْ يَدِهِ. فَالْمُجِبُّ مَا دَامَ مُقِيمًا مَعَ مَحْبُوبِهِ فَخَوَاطِرُهُ مَوْقُوفَةٌ  
عَلَى الْحَذَرِ عَلَيْهِ مِنَ الزَّوَالِ، وَفِكْرُهُ مُرْتَهَنَةٌ بِالْخَوْفِ مِنْ تَغْيِيرِ الْحَالِ، فَإِذَا  
فَارَقَ مَحْبُوبَهُ، وَافْتَقَدَ مَطْلُوبَهُ، أَشْتَغَلَتْ خَوَاطِرُهُ بِتَأْمِيلِ أَوْبَتِهِ، كَأَشْتَغَالِهَا  
بِمُحَادَرَةِ فُرْقَتِهِ. إِذْ هُوَ غَيْرُ خَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ فَتَرَاهُ حِينئِذٍ يَتَيَّمُنُ بِالسَّوَانِحِ،  
حَسْبَ تَشَاوِيهِ بِالْبَوَارِحِ. وَقَدْ قَالَتِ الشُّعْرَاءُ فِي كُلِّ ذَلِكَ، وَنَحْنُ إِنْ شَاءَ  
اللَّهُ نَذَكُرُ مِنْ أَقَاوِيلِهِمْ حَسْبَ مَا يَحْتَمِلُهُ الْبَابُ، إِذْ كُنَّا غَيْرَ مُتَجَاوِزِينَ لِمَا  
شَرَطْنَاهُ فِي صَدْرِ الْكِتَابِ.

قال عبيد الله بن قيس الرقيات:

بَشَّرَ الطَّبِيَّ وَالْغُرَابُ بِسُعْدِي  
قَالَ لِي إِنْ خَيْرَ سُعْدِي قَرِيبٌ  
قُلْتُ أَنَّى تَكُونُ سُعْدِي قَرِيباً  
حَبْذا الرِّيمُ وَالْوَشَّاحَانِ وَالْقَصْـ  
فَعَسَى أَنْ يُؤْتِيَ اللَّهَ أَمِراً  
مَرْحَباً بِأَلَّذِي يَقُولُ الْغُرَابُ  
قَدْ أَنَّى أَنْ يَكُونَ مِنْهُ أَقْتِرَابُ  
وَعَلَيْهَا الْخُصُورُ وَالْأَبْوَابُ  
رُ الَّذِي لَا تَنَالُهُ الْأَسْبَابُ  
لَيْسَ فِي غِيهِ عَلَيْنَا آرْتِقَابُ<sup>(١)</sup>

قال آخر:

نَعَبَ الْغُرَابُ بِرُؤْيَا الْأَحْبَابِ فَلِذَاكَ صِرْتُ أَلِيفَ كُلِّ غُرَابٍ

(١) أربعة الأبيات في الديوان ص ٨٤، ولم أجد الخامس.

(٢٢) البيت الأول جاء في الديوان ص ٢٤، وقد جاء الثالث في ص ٢٧، ولم أجد الثاني.



لَا شُكَّ رِيْشُكَ إِذْ نَعَبْتَ بِقُرْبِهِمْ  
وَسَكَنْتَ بَيْنَ حَدَائِقٍ فِي جَنَّةٍ  
وَسُقِيتَ مُزْنَ صَيِّبٍ كُلِّ سَحَابٍ  
مَحْفُوفَةٍ بِالنَّخْلِ وَالْأَغْنَابِ

وقال الراعي:

جَرَى يَوْمَ رُحْنَا عَامِدِينَ لِأَهْلِهَا  
وَكَرَّ رِجَالٌ مِنْهُمْ وَتَرَا جَعُوا  
عُقَابٌ بِأَعْقَابٍ مِنَ الدَّارِ بَعْدَمَا  
وَقَالُوا نَرَاهُ هُذْهَدًا فَوْقَ بَانَةٍ  
وَقَالُوا دَمٌ دَامَتْ مَوْدَةٌ بَيْنَنَا  
وَدَامَ لَنَا صَفْوٌ صَفَاهُ صَرِيحٌ<sup>(٢)</sup>

وقال جرّان العود:

جَرَى يَوْمَ جِنْنَا بِالْجَمَالِ نَزْفُهَا  
فَأَمَّا الْعُقَابُ فَهَوَّ مِنْهَا عُقُوبَةٌ  
أَفَلَا تَرَى إِلَى تَقَارُبِ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ التَّأْوِيلَيْنِ الرَّاعِي لِأَنَّهُ كَانَ مُفَارِقًا  
لِأَحْبَابِهِ، وَجَرَى الْعُقَابُ بِأَلْعُقَابِ مِنَ الدَّارِ وَرُجُوعِ الْحَالِ، إِلَى مَا يَهْوَى  
لِضُغْرِ الْمَخَافِ مِنَ الْمُفَارِقِ وَقُوَّةِ الْآمَالِ. وَهَذَا لِأَنَّهُ كَانَ مُقِيمًا مَعَ أَحِبَّتِهِ،  
وَجَرَى الْعُقَابُ بِالْعُقُوبَةِ مِنْ صَاحِبَتِهِ، فَهَذَا كُلُّهُ شَاهِدٌ لِمَا قَدْ ذَكَرْنَاهُ.

وقال جحدر الفقعسي:

تَغْنَى الطَّائِرَانِ بَيْنِنِ سَعْدَى  
فَقُلْتُ لِصَاحِبِي وَكُنْتُ أُحَرَى  
فَقَالَا الدَّارُ جَامِعَةٌ بِسَعْدَى  
عَلَى غُصْنَيْنِ مِنْ غَرْبِ وَبَانٍ  
بِزَجْرِ الطَّيْرِ مَاذَا تُخْبِرَانِ  
فَقُلْتُ بَلْ أَنْتُمَا مُتَمَنِّيَانِ

(٢) لم أجد الأبيات في الديوان.

(٣) البيتان في الديوان ص ٣٩ مع اختلاف في الرواية.

(٤) انظر البيتين في الصفحة ٢٤٠، والأبيات من مقطوعة في معجم البلدان «حجر» ومعها خبر جحدر مع الحجاج.

وَكَانَ أَلْبَانُ أَنْ بَانَتْ سُلَيْمَى  
إِذَا جَاوَزْتُمَا سَعْفَاتِ حَجَرٍ  
وَفِي الْغَرْبِ أَعْتِرَابٌ غَيْرُ دَانِي  
وَأَكْنَافُ الْيَمَامَةِ فَانْعِيَانِي<sup>(٤)</sup>

وقال آخر:

رَأَيْتُ غُرَابًا وَأَقْعًا فَوْقَ بَانَةٍ  
فَقُلْتُ لَوَآئِي لَوْ أَشَارَ زَجْرَتُهُ  
فَقَالَ غُرَابٌ بِأَعْتِرَابٍ مِنَ النَّوَى  
فَمَا أَعَيْفَ النَّهْدِيِّ لَا دَرَّ دَرُهُ  
يُشْرِشِرُ أَعْلَى رِيْشِهِ وَيُطَايِرُهُ<sup>(٥)</sup>  
بِنَفْسِي لِلنَّهْدِيِّ هَلْ أَنْتَ زَاجِرُهُ  
وَفِي أَلْبَانٍ بَيْنَ مَنْ حَبِيبٌ تُجَاوِرُهُ  
وَأَزْجَرُهُ لِلطَّيْرِ لَا عَزَّ نَاصِرُهُ

وقال عروة بن حزام<sup>(٦)</sup>:

أَلَا يَا غُرَابِي دِمْنَةَ الدَّارِ بَيْنَا  
فَإِنْ كَانَ حَقًّا مَا تَقُولَانِ فَانْهَضَا  
وَلَا يَذْرِيَنَّ النَّاسُ مَا كَانَ مِيتِي  
فَعَفْرَاءُ أَصْفَى النَّاسِ عِنْدِي مَوْدَةٌ  
أَبِالصَّرْمِ مِنْ عَفْرَاءٍ تَتَجَبَّانِ  
بِلَحْمِي إِلَى وَكْرَتِكُمَا فَكَلَايِي  
وَلَا يَأْكُلَنَّ الطَّيْرُ مَا تَذَرَانِ  
وَعَفْرَاءُ عَنِي الْمَعْرِضُ الْمُتَوَانِي<sup>(٧)</sup>

وقال قيس بن ذريح<sup>(٨)</sup>:

أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ قَدْ طُرْتُ بِالَّذِي  
أَتَّبِكِي عَلَى لُبْنَى وَأَنْتَ تَرْكُتْهَا  
وَطَارَ غُرَابُ الْبَيْنِ وَأَنْشَقَّتِ الْعَصَا  
أَحَاذِرُ مِنْ لُبْنَى فَهَلْ أَنْتَ وَاقِعٌ  
فَقَدْ ذَهَبَتْ لُبْنَى فَمَا أَنْتَ صَانِعٌ  
بِلُبْنَى كَمَا شَقَّ الْأَدِيمَ الصَّوَانِعُ<sup>(٩)</sup>

(٥) في «م»: يطايره.

(٦) عروة بن حزام، من عذرة، أحد عشاق العرب من شعراء صدر الإسلام، الشعر والشعراء (ليدن) ص ص ٣٩٤ - ٣٩٩.

(٧) انظر شعر عروة بن حزام ص ص ٦ - ٧.

(٨) قيس بن ذريح أحد عشاق العرب وصاحبه لبني. الشعر والشعراء (ليدن) ص ص ٣٩٩ - ٤٠٠ تقدمت ترجمته ص ١٨٨.

(٩) الأبيات في الشعر والشعراء.

وقال آخر:

أَلَا يَا غُرَابِي دَارِ أَسْمَاءَ بَشِيرًا  
فَقَدْ كُنْتُمَا وَاللَّهِ جِئْتُمَا  
وَلَا وَجَدَ إِلَّا دُونَ وَجِدِ وَجَدْتُهُ  
بَخِيرٍ وَطِيرًا بَعْدَنَا الْيَوْمَ أَوْقَعَا  
كَدَاعٍ دَعَا بِالْبَيْنِ عُذْوَى فَاسْمَعَا  
غَدَا إِذْ وَجَدْنَا عَرَصَةَ الدَّارِ بَلَقَعَا

وقال آخر:

جَرَى نَارِخٌ مِنْ آلِ زَيْنَبِ عُذْوَةٌ  
وَأَسْحَمُ شَحَاجٌ عَلَى غُضَنِ بَانَةٍ  
فَلَا طَارَ إِلَّا فِي النَّوَاهِضِ بَعْدَهَا  
أَمَامَ الْمَطَايَا أَعْوَرَ الْعَيْنِ أَعْصَبُ  
مُقَدَّدُ أَطْرَافِ الْجَنَاحَيْنِ يَنْعَبُ  
غُرَابٌ وَبَاتَ الطَّيْرُ فِي الْحَبْلِ يَضْرِبُ

وقال الضحاك الخفاجي<sup>(١٠)</sup>:

أَلَا يَزْجُرُ الْأَلَافُ وَالنَّاشِطُ الْفَرْدَا  
جَرَى بِأَنْجَالِهِ الشُّوقِي فِي دَاخِلِ الْحَشَا  
بَلَى بِاللَّوَى بَعْدًا [لَهُ] إِذْ جَرَى بَعْدَا  
وَمُسْتَعْجِمٌ لَا يَسْتَطِيعُ لَهُ رَدَا

وقال ثوبة بن زيات الأسدي<sup>(١١)</sup>:

أَلَا يَا غُرَابِي بَيْنَ ظَمِيَاءَ طَالَمَا  
فَيَا لَكُمْ مِنْ طَائِرَيْنِ شَجِيئَتَا  
تَعَرَّضْتُمَا لِي تَنْزِعَانِ شَجَاكُمَا  
بَشْخَطِ النَّوَى حَتَّى يَطُولَ جَوَاكُمَا

وقال عدي بن زيد<sup>(١٢)</sup>:

دَعَا صُرْدٌ يَوْمًا عَلَى عُودِ شَوْخِطٍ  
فَقُلْتُ أَتَصْرِيدُ وَحُطًّا وَغَرَبَةً  
وَصَاحَ بِذَاتِ الْبَيْنِ مِنْهَا غُرَابُهَا  
وَبَيْنَا فَهَذَا بَيْنَهَا وَأَغْتَرَابُهَا<sup>(١٣)</sup>

(١٠) لم أهدت إلى ترجمته.

(١١) لم أهدت إلى ترجمته.

(١٢) عدي بن زيد بن حماد... شاعر جاهلي، سكن الحيرة، الشعر والشعراء (ليدن)

ص ص ١١١ - ١٧٧.

(١٣) لم أجد البيتين في الديوان.

وقال قيس بن ذريح:

أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ لَوْ أَنَّكَ شَاحِبٌ  
فَإِنْ كَانَ حَقًّا مَا تَقُولُ فَأَصْبَحْتَ  
وَدُرْتَ بِأَعْدَاءِ حَبِييبِكَ فِيهِمْ  
وَأَنْتَ بِلَوَعَاتِ الْفِرَاقِ جَدِيرُ  
هُمُومِكَ شَتَّى بُشْنٌ كَثِيرُ  
كَمَا قَدْ تَرَانِي بِالْعُدْوِ أَدُورُ<sup>(١٤)</sup>

وقال جميل بن معمر:

أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ فِيمَ تَصِيحُ  
وَكُلُّ غَدَاةٍ لَا أَبَا لَكَ تَنْتَحِي  
تُحَدِّثُنِي أَنْ لَسْتُ لَاقِي نِعْمَةٍ  
فَإِنْ لَمْ تَهْجِنِي ذَاتَ يَوْمٍ فَإِنَّهُ  
فَصَوْتُكَ مَشْنِيٌّ إِلَيَّ قَبِيحُ  
إِلَيَّ فَتَلَقَّانِي وَأَنْتَ مُشِيحُ  
بَعِدْتَ وَلَا أَمْسَى لَدَيْكَ نَصِيحُ  
سَيَكْفِيكَ وَرَقَاءُ السَّرَاةِ صَدُوحُ<sup>(١٥)</sup>

وقال أبو ذؤيب الهذلي<sup>(١٦)</sup>:

أَبَا الصَّرْمِ مِنْ أَسْمَاءَ خَبَرَكَ الَّذِي  
زَجَرْتُ لَهَا طَيْرَ الشِّمَالِ فَإِنْ تُصَبِّ  
عَصَانِي إِلَيْهَا الْقَلْبُ أَنِّي لِأَمْرِهِ  
فَقُلْتُ لِقَلْبِي يَا لَكَ الْخَيْرُ إِنَّمَا  
جَرَى بَيْنَنَا يَوْمَ اسْتَقَلَّتْ رِكَابُهَا  
هَوَاكَ الَّذِي تَهْوَى يُصَبِّكَ أَجْتَنَابُهَا  
سَمِيعُ فَمَا أَذْرِي أَرَشْدُ طِلَابُهَا  
يُدْلِيكَ لِلْمَوْتِ الصَّرِيحِ أَجْتَنَابُهَا<sup>(١٧)</sup>

وقال جرير:

بَانَ الْخَلِيطُ بِرَامَتَيْنِ فَوَدَّعُوا  
أَوْ كَلَّمَا رَفَعُوا لِبَيْنٍ تَجَزَّعُ

(١٤) الأبيات نسبت إلى المجنون، الديوان ١٤١، وهي في الأغاني ٨٩/٢، ٩١، وتزين

الأسواق ص ٦٥ لقيس بن ذريح.

(١٥) ديوان جميل ص ٣١.

(١٦) أبو ذؤيب الهذلي، وهو خويلد بن خالد، جاهلي إسلامي، الشعر والشعراء

ص ص ٤١٣ - ٤١٦ والأبيات وأولها مطلع قصيدة للشاعر في شرح أشعار

الهذليين ٧٠/١ - ٧١.

(١٧) انظر شرح أشعار الهذليين ص ص ٤٢ - ٤٤.

أَنْ الشَّوَّاجِحَ بِالصُّحَى هَيَّجَنِي  
نَعَبَ الْغُرَابِ فَقُلْتُ بَيْنَ عَاجِلِ

وقال آخر:

أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ مَا لَكَ كُلَّمَا  
أَعْنَدَكَ عِلْمُ الْغَيْبِ أَمْ أَنْتَ مُخْبِرِي  
فَلَا حَمَلْتُ رِجْلَكَ غُشًا لِيَبْضَةَ

وقال بعض الأعراب:

أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ هَلْ أَنْتَ بَائِعِي  
فَمَا زِلْتُ أَبْكِي عِنْدَهُ وَأَبْشُهُ

وقال آخر:

كَذَبْتَ غُرَابَ الْبَيْنِ مَا أَنْتَ وَاجِدُ  
رَعَمْتَ لِحَاكَ اللَّهُ أَنَّكَ مُدْنَفُ  
يُتْرَجُّ مَا يُخْفِي الْمُجِبُّ دُمُوعُهُ  
فَكَيْفَ هَوَانًا وَاجِدًا وَفَصَاحَتِي

وقال آخر:

فَأَوَّلَ طَيْرٍ حِينَ رُحْنَا عَشِيَّةً  
فَقُلْتُ جَنُوبُ بَاجْتِنَابِكَ أَهْلَهَا  
وَقَالَ غُرَابٌ بِأَعْتِرَابٍ مِنَ النَّوَى  
جَنُوبٌ أَصِيلَانَا وَقَدْ جَنَحَ الْعَصْرُ  
وَنَفَحَ الصَّبَا بِلَكَ الصَّبَابَةِ وَالْهَجْرُ  
وَقَطَعَ الْقَوَى بِلَكَ الْعَيَافَةِ وَالزَّجْرُ

(١٨) ديوان جرير (الصاوي) ص ص ٣٤٠ - ٣٤١.

(١٩) الأبيات للمجنون كما في الديوان ص ٣١٤، وهي لقيس بن ذريح في الحماسة البصرية  
ص ١٥١، وفي أمالي القوالي ٢١٥/١، ٢١٦، (٧، ٨، ١٠، ١١) نسبت  
إلى المجنون.

فِي دَارِ زَيْنَبَ وَالْحَمَامِ الْوَقْعُ  
وَجَرَى بِهِ الصَّرْدُ الْغَدَاةَ الْأَلْمَعَ<sup>(١٨)</sup>

ذَكَرْتُ لُبَيْنَى طَرَتْ لِي عَنْ شِمَالِيَا  
بِحَقِّ عَنِ الْأَمْرِ الَّذِي قَدْ بَدَأَ لِيَا  
وَلَا زَالَ رَيْشٌ مِنْ جَنَاحِكَ بَالِيَا<sup>(١٩)</sup>

جَنَاحِيكَ أَمْ مُسْتَبَدِّلًا بِهِمَا بُرْدِي  
مِنْ الشَّوْقِ حَتَّى جَاءَنِي فَبَكَا عِنْدِي

بِإِلْفٍ وَمَا شَوْقِي وَشَوْقُكَ وَاجِدُ  
فَهَلْ لَكَ فِي دَعْوَاكَ وَبَحْكَ شَاهِدُ  
وَدَمْعِي مُنْصَبٌ وَدَمْعُكَ جَائِدُ  
تُصْرِحُ عَنْ وَجْدِي وَلَفْظُكَ جَائِدُ

وقال المرقش السدوسي<sup>(٢٠)</sup>:

وَلَقَدْ غَدَوْتُ وَكُنْتُ لَا  
فَإِذَا الْأَشْيَاءُ كَالْأَيَا  
وَكَذَاكَ لَا خَيْرَ وَلَا  
أَعْدُو عَلَى وَاقٍ وَحَاتِمٍ  
مِنْ وَالْأَيَّامِ؟ نَ كَالْأَشْيَاءِ  
شَرٌّ عَلَى أَحَدٍ بِدَائِمٍ

وقال الحارث بن سمر الحنفي<sup>(٢١)</sup>:

وَلَسْتُ بِمُشْفِقٍ مِنْ ضَرِّ نَجْمٍ  
وَمَا نَعَبَ الْغُرَابِ لَنَا بِيَمِينٍ  
وَلَكِنْ مَا أَرَادَ اللَّهُ أَمْضَى  
وَلَا أَرْجُو الْمَنَافِعَ فِي النُّجُومِ  
وَمَا نَعَبَ الْغُرَابِ لَنَا بِشُومِ  
كَذَلِكَ قُدْرَةُ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ

ولبعض أهل هذا العصر:

أَيَا قَلْبَ لَا تَجَزَّعْ مِنَ الْبَيْنِ وَأَصْطَبِرْ  
تَوَكَّلْ عَلَى الرَّحْمَانِ إِنْ كُنْتَ مُؤْمِنًا  
فَكُلُّ الَّذِي قَدْ قَدَّرَ اللَّهُ وَاقِعٌ  
فَلَسْتُ لِمَا يُقْضَى عَلَيْكَ بِدَافِعٍ  
يُجْرِكَ وَدَعْنِي مِنْ نُحُوسِ الطَّوَالِعِ  
وَمَا لَمْ يُقْدِرْهُ فَلَيْسَ بِوَاقِعٍ

وقال جهم بن عبد الرحمان الأسدي<sup>(٢٢)</sup>:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْعَائِفِيْنَ وَلَوْ حَوَتْ  
يَظُنَّانِ ظَنًّا مَرَّةً يُخْطِئَانِهِ  
فَقَضَى اللَّهُ أَلَّا يَعْلَمَ الْغَيْبَ غَيْرُهُ  
لَكَ الطَّيْرُ عَمَّا فِي غَدٍ عَمِيَانٍ  
وَأُخْرَى عَلَى بَعْضِ الَّذِي يَصْفَانِ  
فَقِي أَيَّ أَمْرِ اللَّهِ تَمْتَرِيَانِ

وقال عروة بن الورد<sup>(٢٣)</sup>:

تَقُولُ سَلِيمِي لَوْ أَقَمْتُ بِسِرْنَا  
وَلَمْ تَدْرِ أَيِّي لِلْمُقَامِ أُطَوِّفُ

(٢٠) لم أهد إلى ترجمته.

(٢١) لم أهد إلى ترجمته، ولعل الأصل: الحارث بن سمر.

(٢٢) لم أهد إلى ترجمته.

(٢٣) عروة بن الورد من الصعاليك، شاعر جاهلي. انظر الأغاني ١٨٤/٢ - ١٩٠، الشعر  
والشعراء ص ٤٢٥ - ٤٢٧، الاشتقاق ص ١٧٠، الموشح ص ٨١،  
السمط ص ٨٢٣.

أَرَى أُمَّ حَسَّانَ الْغَدَاةَ تَلُوْمُنِي  
لَعَلَّ الَّذِي خَوَّفَنِي مِنْ أَمَامِنَا

وقال الكميت:

وَمَا أَنَا مِمَّنْ يَزْجُرُ الطَّيْرَ هُمُهُ  
وَلَا السَّانِحَاتُ الْبَارِحَاتُ عَشِيَّتُهُ

وقال مجنون بني عامر:

أَلَا يَا غُرَابًا صَاحَ مِنْ نَحْرِ أَرْضِهَا  
وَلَا كُنْتُ مِنْ رَبِّ الْحَوَادِثِ سَالِمًا

وقال آخر:

أَمِنْ أَجْلِ غُرْبَانٍ تَصَايَحَنَ غُدُوَّةُ  
أَلَا يَا غُرَابَ اللَّيْلِ لَا صَحَتْ بَعْدَهَا

وقال آخر:

كَأَنِّي غَدَاةَ اللَّيْلِ إِذْ صَاحَ شَاحِجٌ  
فَغَشِيَتْ رَمَاهُ الْحُزْنُ أَمَّا نَهَارُهُ

وقال آخر:

يَا طَائِرِي بَيْنَ سَعْدِي لَوْ أَبْشَكُمَا  
لَمْ تَفْجَعَانِي بَيْنَ تَبَعَانِ بِهِ

وقال آخر:

وَكَاذَ غَدَاةَ سَارَ الْخَيُّ يُمِيدِي

تَخَوَّفَنِي الْأَقْدَارُ وَاللَّهُ أَخَوْفُ  
يُصَادِفُهُ مِنْ أَهْلِنَا الْمَتَخَوَّفُ (٢٤)

أَصَاحَ غُرَابٌ أَمَّ تَعَرَّضَ نَعْلَبُ  
أَمْرٌ سَلِيمٌ. الْقَلْبُ أَمَّ مَرَّ أَعْضَبُ (٢٥)

أَفُقْ لَا أَفَقْتَ الدَّهْرَ مِنْ صَيَحَانِ  
جَنَاحَكَ إِنْ أَرْمَعْتَ بِالطَّيْرَانِ (٢٦)

بَيْنَ حَبِيبٍ مَاءٍ عَيْنِيكَ يَسْفَحُ  
وَأَمَكْنِ مِنْ أَوْدَاجِ خَلْقِكَ مَذْبَحُ

مِنْ الطَّيْرِ مَشْنِي الصِّيَاحِ لَعِينُ  
فَغَشِيَتْ وَأَمَّا لَيْلُهُ فَأَنْبِينُ

نَجِي نَفْسِي وَحَاجَاتِي وَأَسْرَارِي  
وَلَمْ تُحَقِّقْ بِهِ وَجْدِي وَأَحْذَارِي

ضَمِيرَ الْقَلْبِ تَشْحَاجُ الْغُرَابِ

غَدَا بِي شَامِتًا وَغَدَوْتُ صَبَاً  
يُصَاحِكُنِي فَيُضْحِكُ جِئَنَ أَبِكِي  
فَلَوْ أَنَّ الْغُرَابَ يَرِقُّ يَوْمًا  
لَعَلَّ الدَّهْرَ يَقْلِبُ حَالَتِيهِ  
فَيُقْلِقُهُ أَشْتِيَاقُ وَارْتِيَاخُ

يُرِينِي مَا بِهِ وَأُرِيهِ مَا بِي  
كَذَلِكَ دَابُّهُ أَبَدًا وَدَابِي  
لَرَقٌ لَطُولِ وَجْدِي وَآكُتْشَابِي  
فَإِنَّ الدَّهْرَ حَوْلُ دُو أَنْقِلَابِ  
وَيُوجِشُهُ أَغْتِرَابُ كَأَغْتِرَابِي

□ □ □

(٢٤) الأبيات في الديوان ص ١٠.

(٢٥) لم أجِد البيتين في «شعر الكميت».

(٢٦) البيتان في ديوان المجنون ص ٢٧١ مع اختلاف في الرواية.

في حنين البعير المفارق أنس لكل صب وامق

قال مرة بن عقيل<sup>(١)</sup>:

لَعَمْرِي لَقَدْ هَاجَتْ عَلَيَّ حَمَامَةٌ      قُلُوصَ الْعَبَادِيِّينَ لَيْلَةَ حَلَّتْ  
تَعَدَّتْ لَهَا وَاللَّيْلُ مُلْقٍ رِوَاقَهُ      فَجَاوَبْنَهَا حَتَّى مَلَلَنْ وَمَلَّتْ

وقال تميم بن كميل الأسدي<sup>(٢)</sup>:

يَحْنُ قَعُودِي بَعْدَمَا كَمَلَ السَّرَى      بِنَخْلَةٍ وَالضُّمُرُ الْحَرَايِجُ ضُمُرُ  
يَحْنُ إِلَى وَرْدِ الْحَشَاشَةِ بَعْدَمَا      تَرَامَى بِهِ خَرَقٌ مِنَ الْبَيْدِ أَغْبَرُ  
وَبَاتَ يَجُوبُ الْبَيْدَ وَاللَّيْلُ مَائِلُ      يُشْنَى لِنَعْرِيسٍ يَحْنُ وَأَزْفَرُ  
وَبِي مِثْلُ مَا يَلْقَى مِنَ الشُّوقِ وَالْهَوَى      عَلَى أَنَّي أَخْفِي الَّذِي بِي وَأُظْهِرُ  
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا رَأَيْتُ الَّذِي بِهِ      كِلَانًا إِلَى وَرْدِ الْحَشَاشَةِ أَصُورُ  
فَلَيْتَ الَّذِي يَنْسَى تَذْكَرَ إِلَيْهِ      وَسِرْنَا بِأَحْوَاضِ الْحَشَاشَةِ يُنْحَرُ

وقال أيضاً:

يَحْنُ قَعُودِي دُوَ الْجِبَاظِ صَبَابَةٌ      بِمَكَّةَ وَهَذَا مِنْ تَذْكَرِهِ نَجْدًا  
تَذْكَرُ نَجْدًا مَوْهِنًا بَعْدَمَا أَنْطَوْتُ      ثَمِيلَتُهُ وَأَزْدَادَ عَنْ إِلَيْهِ بَعْدًا  
تَذْكَرُ نَجْدًا حَادِيًا بَعْدَ قَادِمٍ      وَلَا يَلْبَثُ أَشْوَاقَانِ أَنْ يَصْذَعَا الْكَبْدَا  
فَقُلْتُ لَهُ قَدْ هَجَتْ بِي شَاعِفَ الْهَوَى      أَصَابَ حِمَامُ الْمَوْتِ أَصْعَفَنَّا وَجْدًا

(١) لم أهتد إلى ترجمته.

(٢) لم أهتد إلى ترجمته.

وقال آخر:

أَيُّضْرَبُ جَوْنَ أَنْ تَحْنُ غَرِيْبَةً      وَمَا ذَنْبُ جَوْنٍ أَنْ تَحْنُ الْأَبَاعِرُ  
يَقُولُونَ لَا تَنْظُرْ وَتِلْكَ بَلِيَّةٌ      بَلَى كُلُّ ذِي عَيْنَيْنِ لَا بُدَّ نَاطِرُ

وقال آخر:

بَاتَتْ تُشَوِّقُنِي بِرَجْعِ حَيْنِهَا      وَأَزِيدُهَا شَوْقًا بِرَجْعِ حَيْنِي  
يَضُوبِينَ مُفْتَرِنِينَ بِهَامَةٍ      طَوِيَا الضُّلُوعَ عَلَى جَوَى مَكُونِ  
لَوْ خَبِرْتُ عَيْنِي الْقُلُوصَ لَخَبِرْتُ      عَنْ مُسْتَقَرِّ صَبَابَةِ الْمَحْزُونِ

وقال عروة بن حزام:

هَوَى نَاقَتِي خَلْفِي وَقُدَامِي الْهَوَى      وَإِنِّي وَإِيَّاهَا لَمُخْتَلِفَانِ  
فَلَوْ تَرَكَتْنِي نَاقَتِي مِنْ حَيْنِهَا      وَمَا بَنِي مِنْ وَجْدٍ إِذَنْ لَكَفَانِي  
فَإِنْ تَحْمِلِي شَوْقِي وَشَوْقَكَ تُثْقَلِي      وَمَا لِكَ بِالْحَمَلِ الثَّقِيلِ يَدَانِ<sup>(٣)</sup>

وقال آخر:

تَحْنُ قُلُوصِي نَحْوَ نَجْدٍ وَقَدْ أَرَى      بَعَيْنِي أَنِّي لَسْتُ مُورِدَهَا نَجْدًا  
وَلَا وَارِدًا أَمْوَاهُ أَجْبِلَةَ الْحِمَى      وَإِنْ زَهَقَتْ نَفْسِي عَلَى وَرْدِهَا جُهْدًا

وقال النجاشي<sup>(٤)</sup>:

رَأَتْ نَاقَتِي مَاءَ الْفَرَاتِ وَذَوْقُهُ      أَمْرٌ مِنَ السَّمِّ الدُّعَافِ وَأَمَقْرًا  
وَرَبِعَتْ مِنَ الْعَاقُولِ لَمَّا رَأَتْ بِهِ      صِيَاحَ النَّبِيطِ وَالسَّفِينِ الْمُقِيرَا  
وَحَنَّتْ حَيْنًا مُوجِعًا هَبَّجَتْ بِهِ      فَوَادًا إِلَى أَنْ يُدْرِكَ الرَّبْوُ أَصُورَا  
فَقُلْتُ لَهَا بَعْضَ الْحَيْنِ فَإِنَّ بِي      كَوْجِدِكَ إِلَّا إِنِّي كُنْتُ أَصْبَرَا

(٣) شعر عروة بن حزام ص ١٢، وانظر التخريج.

(٤) هو النجاشي الحارثي، انظر حماسة البحري ص ٨٣، الخزائن ١٠٥/٢ - ١٠٧ سمط اللاليء ص ٨٩٠.

وقال آخر:

حَنْتُ وَمَا عَقِلْتُ فَكَيْفَ إِذَا بَكَى  
ذَكَرْتُ قَرَى نَجْدٍ فَأَقْلَقَهَا الْهَوَى  
وَكَأَنَّمَا يُجْنَى لَهَا وَلِرُكْبِهَا  
وَتَمُرُّ مِنْ لُجَجِ السَّرَابِ مَوَارِقاً  
فَغَدَّتْ وَأَيْدِي الصُّبْحِ تَلْمَعُ فِي الدُّجَى

وقال جرير:

أَرَى نَاقَتِي [تَشْكُو] طُرُقاً وَشَاقَهَا  
فَقُلْتُ لَهَا جِئِي رُوَيْدَا فَإِنِّي  
فَلَمَّا رَأَتْ أَنْ لَا قُفُولَ وَإِنَّمَا  
تَمَطَّتْ لِمَجْدُولٍ طَوِيلٍ فَطَالَعَتْ

وقال آخر:

وَحَنْتُ قَلُوصِي آخِرَ اللَّيْلِ حَنَةً  
سَعَتْ فِي عِقَالِهَا وَلَاخَ لِعَيْنِهَا  
فَمَا بَرَحَتْ حَتَّى أَرْعَوَيْنَا لِصَوْتِهَا  
تَجَنُّ إِلَى أَهْلِ الْحِجَازِ صَبَابَةً  
فَيَا رَبِّ أَطْلِقْ قَيْدَهَا وَجَرِيرَهَا

وقال آخر:

أَزَادَ اللَّهُ نَفْيَكَ فِي السُّلَامَى  
فَلَسْتُ وَإِنْ حَنْتَ أَشَدَّ وَجْداً  
وَبِي مِثْلُ الَّذِي بِكَ غَيْرَ أَبِي

شَوْقاً يُلَامُ عَلَى الْبُكَاءِ مَنْ يَعْقِلُ  
وَقَرَى الْعِرَاقَ وَلَيْلَهُنَّ الْأَطْوَلُ  
بِنِطَافِ دَجَلَةٍ وَالْفَرَاتِ الْحَنْظَلُ  
وَالْخَرْقُ أَغْبَرُ وَالْقَتَامُ مُجَلِّلُ  
كَالْبَيْضِ تُغْمَدُ تَارَةً وَتُسَلِّلُ

وَمِيضٌ إِلَى ذَاتِ السَّلَامِلِ لَامِعُ  
إِلَى أَهْلِ نَجْدٍ مِنْ تَهَامَةٍ نَازِعُ  
لَهَا مِنْ هَوَاهَا مَا تَجَنُّ الْأَصَالِ  
وَمَاذَا مِنَ الْبَرْقِ الْيَمَانِي تَطَالِعُ<sup>(٥)</sup>

فَيَا رَوْعَةً مَا رَاعَ قَلْبِي حَيْنَهَا  
سَنَا بَارِقٍ وَهناً فَجَنُّ جُنُونَهَا  
وَحَتَّى أَتَبَرَّى مِنَّا أَلْمَعِينُ يُعِينُهَا  
وَقَدْ بَتُّ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ قَرِينَهَا  
فَقَدْ رَاعَنِي بِأَلْمَسْجِدَيْنِ حَيْنَهَا

عَلَى مَنْ بِأَلْحَيْنِ تُعَوِّلِنَا<sup>(٦)</sup>  
وَلَكِنِّي أُسِرُّ وَتُعَلِّينَا  
أَجَلٌ عَنِ الْعِقَالِ وَتُعَقِّلِنَا

وقالت امرأة من دارم:

أَلَا أَيُّهَا الْبُكَرُ الْإِنْسَانِيُّ إِنِّي  
تَجَنُّ وَأَبْكِي إِنَّ ذَا لَبَلِيَّةُ  
فَمَنْ يَكُ لَمْ يَغْرَضْ فَإِنِّي وَنَاقَتِي  
تَجَنُّ فَتُبْدِي مَا بِهَا مِنْ صَبَابَةٍ

وقال آخر:

كَتَمُوا غَدَاةَ الْبَيْنِ رِحْلَتَهُمْ  
فَتَبِعْتُهُمْ وَظَنَنْتُ أَنْ بَعْدُوا  
مَا زَالَ هَادِي الشَّوْقِ يُرْشِدُنِي  
ظَلْتُ مَطَايَاهُمْ تَلَاجِظُنَا  
أَتَخَالَهَا عَشِيقَتْ فَهْنٌ إِذَا

وقال الأحوص:

تَذَكَّرَ سُلْمَى بَعْدَ مَا حَالَ دُونَهَا  
فَأَنْتَ إِلَى سُلْمَى تَجَنُّ صَبَابَةً  
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي قَبْلَهَا أَنَّ ذَا الْهَوَى  
أَلَا حَبْذاً سُلْمَى الْفَوَازِ وَحَبْذاً  
لَقَدْ بَخَلْتُ بِأَلْوَدٍ حَتَّى كَأَنَّهَا  
فَإِنْ أَكْ قَدْ وَدَّعْتُهَا وَهَجَرْتُهَا  
أَلَا لَيْتَ أَنَا لَمْ نَكُنْ قَبْلُ جِيرَةً  
سَبَقُنِي لَهَا فِي الصَّدْرِ مِنْ مُضْمَرِ الْحَشَا

وَأَيَّاكَ فِي كَلْبٍ لَمُغْتَرِبَانِ  
وَأَنَا عَلَى الْبُلُوَى لَمُصْطَلِحَانِ  
جَمِيعاً إِلَى أَهْلِ الْحِمَى غَرِضَانِ  
وَأُخْفِي الَّذِي لَوْلَا أَلْمُنَى لَعَصَانِي<sup>(٧)</sup>

فَعَرَفْتُهَا بِخَوَاطِرِ الْقَلْبِ  
وَإِذَا هُمْ مِنَّا عَلَى قُرْبٍ  
حَتَّى لَحِقْتُ بِأَوَّلِ الرُّكْبِ  
وَدُمُوعُهَا سَكَباً عَلَى سَكْبِ  
شُرَكَائِنَا وَأَيِّكَ فِي الْحَبِّ

مِنْ النَّأْيِ مَا يُسْلِي فَهَلْ أَنْتَ صَابِرُ  
كَمَا حَنَ الْأَفْ الْمَطِيَّ السَّوَاجِرُ  
يَزِيدُ أَشْتِيَاقاً أَنْ تَجَنُّ الْأَبَاعِرُ  
زِيَارَتِهَا لَوْ يُسْتَطَاعُ التَّرَاوُرُ  
خَلِيلُ صَفَاءِ غَيْثِهِ أَلْمَقَابِرُ  
فَمَا عَنْ تَقَالٍ كَانَ ذَاكَ التَّهَاجُرُ  
جَمِيعاً أَلَا لَيْتَ دَامَ التَّجَاوُرُ  
سَرِيرَةً وَدِ تَبْلَى السَّرَائِرُ<sup>(٨)</sup>

(٧) البيتان في اللسان (غرض).

(٨) شعر الأحوص الأنصاري ص ١١٧.

(٥) الديوان ص ٩٢١ وفيها البيتان الأول والثاني مع اختلاف في الرواية.

(٦) الأبيات مما نسب إلى المجنون، الديوان ص ٢٨٣، مع اختلاف في الرواية.

وَقَدْ قَالَتْ الشُّعْرَاءُ أَيْضاً فِي تَفْضِيلِ مَا بَيْنَ حَيْنِهِمْ وَحَيْنِ الْإِبِلِ فِي تَشَاوِهِمْ بِهَا وَتَطْيِيرِهِمْ مِنْهَا أَشْعَاراً كَثِيراً فِيمَا ذَكَرُوهُ فِي وَصْفِ حَيْنِهِمْ وَحَيْنِهَا قَوْلُ ثعلبة بن أوس الكلابي:

وَمَا عَوْدُ يَحِلُّ بِبَطْنِ نَجْدٍ مَعَانِي الشُّوقِ مُضْطَمَّرٌ قَلِيلاً (٩)  
إِلَى وَإِ تَذَكَّرَ عُذُوتِيهِ أَسْنُ بِهِ وَكَانَ بِهِ فَصِيلاً  
فَبَدَلَ مَشْرَباً مِنْ ذَاكَ مِلْحاً وَظَمْناً بَعْدَ قِصْرَتِهِ طَوِيلاً  
يَحْنُ إِلَى الْجَنَائِبِ هَيْجَتُهُ ضَحِيّاً أَوْ هَيْيَنَ لَهُ أَصِيلاً  
بِأَكْثَرِ غَلَّةٍ مِثْنِي وَجْهَداً عَلَى إِضْمَارِي الْهَجَرَ الطَّوِيلاً

وقال أيضاً:

وَمَا دُو شُقَّةٍ يَقْضِي [حَيْناً] يَنْجِدُ كَانَ مُغْتَرِباً مَرِيحاً  
يُمَارِسُ رَاعِياً لَا لَيْنَ فِيهِ وَقِيداً قَدْ أَضْرَبَ بِهِ وَجِيحاً  
إِذَا مَا الْبَرَقُ لَاحَ لَهُ سَنَاهُ حِجَازِيّاً سَمِعَتْ لَهُ سَجِيحاً

وأنشدني أعرابي بالبادية:

خَلِيلِي جَمَعْتُ الْهَوَى وَكَتَمْتُهُ زَمَاناً فَقَدْ أَضْحَى بِجِسْمِي بَادِيَا  
كَمَا جَمَعْتُ [وَجَنَاءَ] قَدْ طَالَ حَبْسُهَا وَأَكْثَرَ فِيهَا النَّاطِرُونَ التَّمَادِيَا  
فَلَمَّا اسْتَبَانُوا مَا بِهَا جَعَلُوا لَهَا سَوَى مَرْبَعِ الْأَلَا فَيَدَا وَرَاعِيَا

وقال آخر:

لَعَمْرُكَ مَا خُوصُ الْعَيُونِ شَوَارِقُ رَوَائِمُ أَظْآرَ عَظْفَنَ عَلَى سَقَبِ  
يُغْذِيَنَّهُ لَوْ يَسْتَطِيعْنَ آرْتَشَفْنَهُ إِذَا اسْتَفْتَنَهُ يَزْدَدَنَّ نَكْباً عَلَى نَكَبِ  
بِأَوْجَدِ مِثْنِي يَوْمَ وَلَتْ حُمُولَهُمْ وَقَدْ طَلَعَتْ أُولَى الرِّكَابِ مِنَ النَّقَبِ

(٩) في «م» والمطبوع: يحن، مغالى، ولم أهتمد إلى ثعلبة هذا.

وأنشدني أعرابي ببلاد نجد:

مَتَى تَطْعَنِي يَا مَيِّ مِنْ دَارِ جِيرَتِي مَتَى تَطْعَنِي يَا مَيِّ مِنْ دَارِ جِيرَتِي  
أَكُنْ مِثْلَ ذِي الْأَلَا فِ شُدِّ وَظِيفُهُ أَكُنْ مِثْلَ ذِي الْأَلَا فِ شُدِّ وَظِيفُهُ  
تَبَارِيزَ أَطْلَافاً وَقَارَبَ خَطْوُهُ تَبَارِيزَ أَطْلَافاً وَقَارَبَ خَطْوُهُ  
إِذَا حَنَّ لَمْ يُسْمَعْ رَجِيعُ حَيْنِهِ إِذَا حَنَّ لَمْ يُسْمَعْ رَجِيعُ حَيْنِهِ  
وقال عروة بن أذينة (١١):

وَتَفَرَّقُوا بَعْدَ الْجَمِيعِ لِيْنَةٍ لَا بُدَّ أَنْ يَتَفَرَّقَ الْجِيرَانُ  
لَا تَصْبِرُ الْإِبِلُ الْجِلَادُ تَفَرَّقَتْ حَتَّى تَحْنُ وَيَصْبِرُ الْإِنْسَانُ (١٢)  
ومما ذكروا في التطير منها والكراهية لها قول عوف الراهب:

غَلِطَ الَّذِينَ رَأَيْتُهُمْ بِجَهَالَةٍ يَلْحَوْنَ كُلُّهُمْ غُرَاباً يَنْعَقُ  
مَا الذَّنْبُ إِلَّا لِأَبَاعِرِ أَنَّهَا مِمَّا يُشْتُ جَمِيعُهُمْ وَيُفَرَّقُ  
إِنَّ الْغُرَابَ يُمْنُهُ تُذْنِي النَّوَى وَتُشْتُ بِالشَّمْلِ الشُّتَيْتِ الْأَلْبَنُ  
وقال أبو الشيص في مثل ذلك (١٣):

مَا فَرَّقَ الْأَحْبَابَ بَعْدَ هَذَا أَلَّهِ إِلَّا الْإِبِلُ  
وَالنَّاسُ يَلْحَوْنَ غُرَا بَ الْبَيْنَ لَمَّا جَهِلُوا  
وَمَا عَلَى ظَهْرِ غُرَا بَ الْبَيْنِ تُمَطَّى الرُّحُلُ  
وَلَا إِذَا صَاحَ غُرَابٌ فِي آلِ سَدِيَارٍ أَحْتَمَلُوا  
وَمَا غُرَابُ الْبَيْنِ إِلَّا نَاقَةٌ أَوْ جَمَلٌ (١٤)

(١٠) الأبيات لذي الرمة، الديوان ص ٤٨ مع اختلاف في الرواية.

(١١) عروة بن أذينة من شعراء العصر الأموي، انظر الشعر والشعراء (ليدن) ص ٣٦٧ - ٣٦٨ وهو من شعراء الحماسة (التبريزي) ٢٥٣/٣.

(١٢) انظر: شعر عروة ص ٤٠٣.

(١٣) أبو الشيص محمد بن عبدالله بن رزين ابن عم دعبيل الخزاعي، كان في زمن الرشيد انظر الشعر والشعراء (ليدن) ص ٥٣٥، وقد تقدمت ترجمته.

(١٤) لم أجد الأبيات في «مجموع شعره».

قال آخر:

مَا أَلْمَنَّا إِلَّا أَلْمَطَايَا وَمَا فَرَّ  
ظِلَّ حَادِيهِمْ يَسُوقُ بِقَلْبِي

ولبعض أهل هذا العصر:

وَلَمَّا أَتَوْنَا بِأَلْمَطَايَا وَقَرَّبُوا  
تَيَمُّمَتُكُمْ عَمْدًا لِأَحْظَى بِلَحْظَةٍ  
فَلَمْ أُنْسَ إِذْ قِيدْتُ رَحْلَ مَطِيَّتِي  
كَأَنَّكَ لَمْ تَعْلَمْ بِأَنْ رَبَّ لَحْظَةٍ  
فَلَوْ لَمْ تَكُنْ تَهْوَى الْفِرَاقَ نَحَرْتَهَا  
فَيَا عَجَبًا مِنِّي وَمِنْ صَبْرِ مُهْجَتِي  
أَضِنُّ بِهَا عَمَّنْ يَرَى أَلْمَلِكُ دُونَهَا  
مَحَابِلَ لَمْ تُشَدِّدْ عَلَيْهَا قِيُودَهَا  
لَعَلِّي إِنْ فَارَقْتُكُمْ لَا أُعِيدُهَا  
وَقُلْتُ لِحَادِي الدُّودِ لِمَ لَا تَقُودُهَا  
تَفُوتُكَ لَا تَذِرِي مَتَى تَسْتَفِيدُهَا  
وَلَمْ تَلْتَمِسْ عَمْدًا لَهَا مِنْ يَقُودُهَا  
عَلَيَّ وَقَدْ أُعِيتَ عَلَيَّ مَنْ يَكِيدُهَا  
وَأَبْدَلُهَا طَوْعًا لِمَنْ لَا يُرِيدُهَا

□ □ □

الباب السادس والثلاثون:

مَنْ فَاتَهُ الْوِصَالُ نَعَشَهُ الْخَيَالُ

قَدْ تَقَدَّمَ قَوْلُنَا فِي غَيْبٍ مَنْ خَلَّفَ خَلِيلَهُ، أَوْ تَخَلَّفَ عَنْهُ فِي وَقْتِهِ، أَوْ عَنْ  
الْأُحْقَاقِ بِهِ عَلَى حَسَبِ طَاقَتِهِ. ثُمَّ وَكَّدْنَا غَيْبَ مَنْ لَمْ يَرْضَ حَتَّى أَقْرَبَ بِأَنَّ  
الْمُسَوِّقَ لَهُ إِلَى إِلْفِهِ عَارِضٌ غَيْرُ مُتَمَكِّنٍ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ. وَأَصْحَابُ هَذَا الْبَابِ  
الَّذِي نَحْنُ فِي أَوَّلِهِ يَلْحَقُهُمْ ذَلِكَ الْعَيْبُ كُلُّهُ وَيَزْدَادُونَ مَعَهُ لَوْماً عَلَى  
مُسَامَحَتِهِمْ أَنْفُسَهُمْ فِي التَّلَذُّذِ بِرَفَادِهِمْ وَأَجْلَاؤُهُمْ طَاعِنُونَ عَنْ بِلَادِهِمْ. وَمِنْ  
الصُّوْفِيَّةِ مَنْ لَا يَقْنَعُ لَهُمْ بِمَا أَلْحَقْنَاهُ مِنَ الْعَيْبِ بِهِمْ، حَتَّى يَقُولُوا: إِنَّ النَّوْمَ  
لَوْ كَانَ مَانِعاً لَهُمْ لَكَانَ تَخْصِيصُهُمْ إِيَّاهُ بِأَنَّهُ يُرِيهِمْ أَحْبَبْتُهُمْ نَقْصاً بَيْنَا فِي مَوَدَّتِهِمْ  
فَإِنَّ الْحَالَ إِذَا تَمَكَّنْتَ لَمْ تَفْتَرِقِ الرُّوحَانِ وَإِنْ أَفْتَرَقَ الشَّخْصَانِ. فَالْمُحِبُّ  
الْمُشَاهِدُ لِصَاحِبِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ مُسْتَعِنٌ عَنِ الْإِسْتِعَانَةِ عَلَى إِحْضَارِهِ بِرُؤْيَا  
الْخَيَالِ. وَمِنْ طَرَائِفِ مَا قِيلَ فِي الْخَيَالِ وَأَدْلِيهِ عَلَى ضَعْفِ قَائِلِهِ فِي الْحَالِ  
قول ذي الرمة:

فَيَا مَيِّ هَلْ يُجْزَى بُكَائِي بِمِثْلِهِ      مِرَاراً وَأَنْفَاسِي عَلَيْكَ الزَّوَاغِرُ  
وَأَنْ لَا يَنِي يَا مَيِّ مِنْ دُونَ صُحْبَتِي      لَكَ الدَّهْرُ مِنْ أَحْدُوثَةِ النَّفْسِ ذَاكِرٌ<sup>(١)</sup>  
وَأَنْ لَا يَنَالَ الرُّكْبُ يَا مَيِّ وَقْفَةً      مِنْ اللَّيْلِ إِلَّا أَعْتَادَنِي لَكَ زَائِرُ

فهذا أَحْسَنُ أَلْفِهِ جَزَاءَهُ لَمْ يَرْضَ بِالْعَيْبِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ حَتَّى طَالَ  
مَحْبُوبُهُ بِأَنْ يُجَازِيَهُ عَلَى تَخْيِيلِهِ إِيَّاهُ فِي مَنَامِهِ ثُمَّ لَمْ يَقْنَعَهُ أَنْ يَجَازِيَ بِمِثْلِ

(١) في «م» والمطبوع: لا مَيِّ.



بَكَائِهِ مِرَاراً. فَأَمَّا اعْتِدَارُهُ بِأَنَّهُ لَا يَرْقُدُ إِلَّا اعْتَادَهُ مِنْهَا زَائِرٌ<sup>(٢)</sup>، فَقَدْ يَتَهَيَّأُ أَنْ يُخَفِّفَ جُرْمَهُ فِيهِ فَضْرَبَ مِنَ الْمَعَادِرِ، فَيَقَالُ: إِنَّهُ إِنَّمَا عَنِ أَنَّهُ لَا يَنْفَكُ خَاطِرُهُ مِنْ ذِكْرِهَا، فَإِذَا رَقَدَ رَأَى خَيَالَهَا بِقَلْبِهِ لِشِدَّةِ غَلَبَتِهِ فِي حَالِ الْيَقَظَةِ عَلَى فِكْرِهِ. وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْمَحَالَاتِ، فَإِنَّهُ يَنْبُو عَنْ مَرَاتِبِ الْإِعْتِدَارَاتِ. وَقَدْ قَالَ قَيْسُ بْنُ الْمُلُوحِ مَا إِنْ لَمْ يَكُنْ مُوفِياً عَلَى حَدِّ الْكَمَالِ، فَإِنَّهُ إِلَى الْجَلِيلَةِ مِنَ الْأَحْوَالِ، وَهُوَ:

وَأِنِّي لَا اسْتَسْقِي وَمَا بِي عَطَشَةٌ لَعَلَّ خَيْالاً مِنْكَ يَلْقَى خَيْالِيَا  
وَأَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الْجُلُوسِ لَعَلَّنِي أَحَدْتُ نَفْسِي عَنْكَ فِي أَلْسِرٍ خَالِيَا<sup>(٣)</sup>

فهذا أَلْبَائِسُ إِذَا تَنَاعَسَ، وَلَيْسَ بِنَاعِسٍ لِيَتَعَلَّلَ بِخَيَالِهَا، إِذَا فَاتَهُ مَا يُؤْمَلُهُ مِنْ وَصَالِهَا. فَتَحْنُ نَشْهَدُ لَهُ بِالتَّمَامِ فِي هَذِهِ الْحَالِ، وَلَا نَذَرِي مَا الَّذِي يُوجِبُ لَهُ الْغَيْبَةَ عَنْ إِلْفِهِ حَتَّى أَضْطَرَّهُ إِلَى التَّعَلُّلِ بِطَيْفِهِ فَتَعْلَمُ أَيْنَ مِنْهُ ذَلِكَ تَمَاماً أَمْ يُوجِبُ عَلَيْهِ مَلَاماً.

وما قصر أيضاً الحسن<sup>(٤)</sup> بن وهب حيث يقول:

أَرَفْتُ وَكَيْفَ لِي بِالنُّومِ كَيْفَا فَاَلْقَى مِنْ حَبِيبِ النَّفْسِ طَيْفَا  
أَقُولُ لَهَا مَتَى وَتَقُولُ حَتَّى وَتَمْطُلْنِي الْهَوَى بِنَعْمٍ وَسَوْفَا  
وَلَوْلَا فَرَطُ إِشْفَاقِي عَلَيْهَا غَدَوْتُ مُحْكَمًا وَشَهْرَتْ سَيْفَا  
وَلَكِنِّي إِذَا فَكَّرْتُ فِيهَا نَهْتَنِي النَّفْسُ إِشْفَاقًا وَخَوْفَا

وَمِنْ مَلِيحٍ مَا يَدْخُلُ فِي هَذَا أَلْبَابٍ وَإِنْ كَانَ مَشْهُوراً فِي النَّاسِ:

فَقُلْتُ لَهَا بَخِلْتُ عَلَيَّ يَقْظَى فَجُودِي فِي الْمَنَامِ لِمُسْتَهَامِ  
فَقَالَتْ لِي وَصِرْتُ تَنَامُ أَيْضاً وَتَطْمَعُ أَنْ تَوَاصَلَ فِي الْمَنَامِ

(٢) ديوان ذي الرمة ص ٢٤٠.

(٣) البيتان في ديوان المجنون ص ٢٩٦، ٢٩٤.

(٤) في «م» والمطبوع: الحسين، وقد تقدمت ترجمته.

ولبعض أهل هذا العصر:

جُعِلْتُ فِدَاكَ لَمْ يَخْطُرْ بِيَالِي فَقَدْ وَهَوَاكَ زَادَنِي أَشْتِيَاقَا  
وَأَكَّدَ ذَاكَ أَنِّي مُذْ لَيْالٍ فَبِتُّ عَلَى الْفِرَاشِ كَأَنَّ قَلْبِي  
وَكَانَ الطَّيْفُ يَكْشِفُ بَعْضَ مَا بِي فَقُلْ لِي بِالَّذِي أَصْفَاكَ وَدِي  
أَمِ السَّهْرِ الَّذِي أَلْزَمْتَنِيهِ حُضُورُ أَلْبِينِ إِلَّا مُذْ لَيْالِي  
عَلَى شَوْقِي نَوَاكَ وَأَنْتَ قَالِي سَهَرْتُ فَلَمْ يَزُرْ طَيْفُ الْخَيَالِ  
يُقَلِّبُهُ هَوَاكَ عَلَى الْمَقَالِي وَلَسْتُ تَرَاهُ يَطْرُقُنِي بِحَالِ  
أَنْتَ نَهَيْتَ طَيْفَكَ عَنْ وَصَالِي نَفَى عَنِّي الْخَيَالُ فَلَا أَبَالِي

ولبعض أهل الأدب:

أَعَادَ عَلَيَّ اللَّهُ يَوْمَ وَصَالِكَ وَأَخْطَرَنِي قَبْلَ أَلْمَمَاتِ بِبَالِكََا  
يُضَاعِفُ مَا بِي أَنَّنِي لَكَ وَامِقُ أَمِيرٌ بِمَا تَهْوَى وَلَسْتُ كَذَلِكَا  
مَنْعَتْ جُفُونِي أَنْ تَنَامَ قَرِيرَةً وَلَوْ نِمْتُ أَرْضَانِي طُرُوقُ خَيَالِكََا  
وَحَلَلْتُ عَهْدِي فِي الْهَوَى وَتَرَكْتَنِي أَعَقِدُ مَا حَلَلْتَهُ مِنْ جِبَالِكََا

وَمِنْ مُخْتَارٍ مَا قَالَتْ الشُّعْرَاءُ فِي الْخَيَالِ عَلَى تَقْصِيرِ قَائِلِهِ عَنْ بُلُوغِ  
دَرَجِ الْكَمَالِ:

أَسْرَتْ لِعَيْنِكَ لَيْلَى بَعْدَ مَغْفَاهَا يَا حَبِّدَا بَعْدَ نَوْمِ أَلْعَيْنِ مَسْرَاهَا  
فَقُلْتُ حَيَّتْ مِنْ طَيْفِ أَلْمِ بِنَا إِنْ كُنْتُ تِمْنَالَهَا أَوْ كُنْتُ إِيَّاهَا<sup>(٥)</sup>

وقال العرجي:

وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ نَأْيِكَ رَاحَةً وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الطَّيْفَ إِنْ نِمْتُ طَالِبِي  
فَوَاللَّهِ لَا يُنْكِي مُجِبٌ بِمِثْلِهَا وَإِنْ كَانَ مَكْرُوهَا فِرَاقُ الْحَبَائِبِ<sup>(٦)</sup>

(٥) أقول: كان البيتين مما نسب إلى المجنون، ولم أجدتهما فيما نسب إليه.

(٦) البيتان في الديوان ص ١٤٥ مع اختلاف في الرواية.

وأنشدني أعرابي بالبادية:

حَلِمْتُ أَقْرَّ أَلَلَهُ غَيْبِي أَنِّي  
فَلَمَّا أَتَيْتُهَا بِالْخَيْالِ الَّذِي سَرَى  
فَعُدْتُ لِكَيْمَا أَنْ تَعُودَ فَلَمْ تَعُدْ  
وَأَرَى أَمْ لَهْوِ الْقَلْبِ فِيمَنْ أَجَاوِرُ  
إِذَا صَنُوتُ جِنِّ وَالنُّجُومِ الزَّوَاهِرُ  
وَعَاوَدَنِي مِنْهَا الَّذِي قَدْ أَحَادِرُ

وقال بعض الأعراب وكان محبوباً في سجن الطائف:

فَأَنَّى أَهْتَدْتُ تَسْرِي وَأَنَّى تَخَلَّصْتُ  
عَجِبْتُ لِمَسْرَاهَا وَسِرِّ سَرَتْ بِهِ  
فَلَا تَحْسَبِي أَنِّي تَخَشَعْتُ بَعْدَكُمْ  
وَلَكِنْ مَا بِي مِنْ هَوَاكِ ضَمَانَةٌ  
فَأَمَّا أَلْهَوَى مِنِّي إِلَيْكَ فَطَائِعُ  
أَلَمْتُ فَحَيْثُ نُمُ قَامَتْ فَوَدَّعْتُ  
فَمَا بَرَحْتُ حَتَّى وَدَدْتُ بِأَنِّي  
إِلَيَّ وَبَابُ السَّجْنِ بِالْعَتَلِ مُوتِقُ  
بُعِيدَ الْكَرَى كَادَتْ لَهُ الْأَرْضُ تُشْرِقُ  
لِشَيْءٍ وَلَا أَنِّي مِنَ الْمَوْتِ أَفْرُقُ  
كَمَا كُنْتُ أَلْقَى مِنْكَ إِذْ أَنَا مُطْلَقُ  
يَمَانٍ وَلَكِنِّي بِمَكَّةَ مُوْتِقُ  
فَكَادَتْ عَلَيْهَا مُهْجَةُ النَّفْسِ تَزْهَقُ  
بِمَا فِي فُؤَادِي مِنْ دَمِ الْجَوْبِ أَشْرَقُ

وقال الأقرع القشيري<sup>(٧)</sup>:

أَلَمْتُ فَحَيَاهَا فَهَبْ فَحَلَقْتُ  
لَقَدْ شَغَفْتَنِي أَمْ عَمِرُوا وَبَغَضْتُ  
مَعَ النَّجْمِ رُؤْيَا فِي الْمَنَامِ كَذُوبُ  
إِلَيَّ نِسَاءً مَا لَهْنُ ذُؤُوبُ<sup>(٨)</sup>

وأنشدني ستيرة العصبية<sup>(٩)</sup>:

أَلَمْ خَيَالُ طَيْبَةٍ أَجْنَبِيَا  
لِمَا حَيَّتَهُمْ يَا طَيْفُ دُونِي  
أَلَمْ بِنَا فَسَلَّمْ نُمُ وَلَى  
فَلَمَّا أَنْ كَشَفْتُ غِطَاءَ رَاسِي  
فَحَيَّا الرُّكْبَ دُونِي وَالْمَطِيَا  
وَأَنْتَ أَحَبُّهُمْ شَخْصاً إِلَيَّا  
عَلَى الْهَجَادِ تَسْلِيماً خَفِيَا  
إِذَا أَنَا لَا أَرَى إِلَّا النُّضِيَا

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) البيت الثاني ص ٦٣.

(٩) لقد مرت بنا وأشرنا إلى أننا لم نهند إلى ترجمتها.

وَأَيْنُقْنَا الثَّلَاثَ مُلَقِّيَاتٍ  
وَزُرْقَا بِأَلْجَفِيرِ مُنْشَبَاتٍ  
فَكَلَّفْنَا سَرَاهَا أَنْ رَحَلْنَا

عَلَى مَتْنِ الطَّرِيقِ وَصَاحِبِيَا  
وَشَوْحَطَةَ تَرْنٍ وَمَشْرِفِيَا  
وَأَحْتَشْنَا الْأَمِيرَ الْعَامِرِيَا

وأنشدني أعرابي ببلاد نجد:

أَلَا طَرَقْتُ جُمْلَ وَبَيْنِي وَبَيْنَهَا  
فَقُلْتُ لَهَا كَيْفَ أَهْتَدَيْتَ لِصَاحِبِ  
فَقَالَتْ أَمِنْتَ الدَّهْرَ أَلَّا تُجِيبَنِي  
عَلَى أَنِّي أَهْوَاكِ مَا هَبْتَ أَلْصَبَا  
وَمَا هَتَفْتُ يَوْمًا لِأَلْفِ حَمَامَةٍ  
فَدُوْمِي عَلَى الْعَهْدِ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا  
مَهَامُهُ أَمَرَاتٌ وَدَاوِيَةٌ قَفْرُ  
وَنَضُّو طَوَاهُ السَّيْرِ مَمْسَاهُمَا وَغُرُ  
فَقُلْتُ عَدَانِي النَّأْيُ وَالْأَعْيُنُ الْخُزُرُ  
وَمَا سَكَنْتُ سَلَمَى وَأَكْنَفَهَا الْعُفْرُ  
عَلَى بَانَةٍ أَفْنَانُهَا عُطْفُ خُضْرُ  
فَمَا يُبْتَغَى مِنِّي وَلَا مِنْكَ لِي عُذْرُ

وقال الحسين بن الضحاك<sup>(١٠)</sup>:

سَقِيَا لِسُزُورٍ مِنْ طَيْفٍ مُحْتَجِبِ  
فَرَا لَ حِقْدُ الضَّمِيرِ عَنْ سَكَنِ  
رَضِيْتُ مِنْ عُذْرِ مَنْ أَقَامَ عَلَى الذَّنْ  
عَابَتْهُ فِي الْمَنَامِ فَأَعْتَذَرَا  
يُسْخِطُنِي رَائِحاً وَمُبْتَكِرَا  
بِ طَيْفٍ أَلَمٌ مُعْتَذَرَا

وقال الرقاد بن المنذر الضبي<sup>(١١)</sup>:

أَلَا طَرَقْتُ أَسْمَاءَ وَاللَّيْلُ دَامِسُ  
وَمَا طَرَقْتُ إِلَّا لِتُحَدِّثَ ذِكْرَةَ  
فَأَحْبَبَ بِهَا مِنْ طَارِقٍ جِئِنَ يَطْرُقُ  
وَتُحَكِّمَ وَصْلاً بَيْنَنَا كَادَ يَخْلُقُ

وقال أبو تمام الطائي:

عَادَكَ الزُّورُ لَيْلَةَ الرَّمْلِ مِنْ رَمٍ  
لَهُ بَيْنَ الْحِمَى وَبَيْنَ الْمَطَالِي

(١٠) انظر تخرُّج الأبيات في «أشعار الحسين الخليل».

(١١) من شعراء الحماسة (التبريزي) ١/١٣٠، ١٣٢.

نَمْ فَمَا زَارَكَ الْخَيَالَ وَلِكِ  
سَنَكَ بِأَلْفِكِرٍ زُرْتَ طَيْفَ الْخَيَالِ (١٢)

وقال البحرني:

وَلَيْلَةٌ هَوَمْنَا عَلَى الْعَيْسِ أَرْسَلَتْ  
فَلَوْلَا بَيَاضُ الصُّبْحِ طَالَ تَشْبِيهِ  
وَكَمْ مِنْ يَدٍ لِلَّيْلِ عِنْدِي حَمِيدَةٌ  
بَطْنِيفِ خَيَالٍ يُشْبِهُ الْحَقَّ بَاطِلُهُ  
بِعِطْفِي غَزَالٍ بَتٍ وَهْنًا أَغَارِلُهُ  
وَلِلصُّبْحِ مِنْ خُطْبٍ تَذَمُّ غَوَائِلُهُ (١٣)

وقال أيضاً:

مِثَالُكَ مِنْ طَيْفِ الْخَيَالِ الْمَعَاوِدِ  
يُحْيِي هُجُوداً مَيِّتِينَ مِنَ الْكُرَى  
وَمَا نَفْعُ إِهْدَاءِ السَّلَامِ لِهَاجِدِ  
أَلَمْ يَنَّا مِنْ أَفْقِهِ الْمُنْتَبَاعِدِ

وقال أيضاً:

إِذَا نَسِيتُ هَوَى لَيْلَى أَشَادَ بِهِ  
دَنَا إِلَيَّ عَلَى بُعْدٍ فَأَرْقِنِي  
عَجِبْتُ مِنْهُ تَخْطَى الْقَاعَ مِنْ إِضْمٍ  
طَيْفٌ سَرَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ إِذْ جَنَحَا  
حَتَّى تَبْلُجَ وَجْهُ الصُّبْحِ فَاتَّضَحَا  
وَجَاوَزَ الرَّمْلَ مِنْ خَبْتٍ وَمَا بَرَحَا (١٥)

وقال أبو تمام:

إِسْتَزَارَتْهُ فِكْرَتِي فِي الْمَنَامِ  
فَاللَّيَالِي أَحْفَى بِقَلْبِي إِذَا مَا  
بَا لَهَا لَيْلَةٌ تَنْزَهَتْ الْأَرْ  
مَجْلِسٌ لَمْ يَكُنْ لَنَا فِيهِ عَيْبٌ  
فَأَتَانِي فِي خَفِيَّةٍ وَأَكْتَمَامِ  
جَرَحَتْهُ النَّوَى مِنَ الْأَيَّامِ  
وَأَحُ فِيهَا سِرّاً مِنَ الْأَجْسَامِ  
غَيْرَ أَنَا فِي دَعْوَةِ الْأَحْلَامِ (١٦)

(١٢) الديوان ٢٥٩/٤، وفي «م» والمطبوع: قم.

(١٣) الديوان ص ١٦٠٧.

(١٤) المصدر السابق ص ٦٢٢.

(١٥) المصدر السابق ص ٤٤٠.

(١٦) الديوان ٢٦٢/٤ مع اختلاف في الرواية.

وقال عمر بن ربيعة المرقش (١٧):

أَمِنْ بِنْتِ عَجَلَانَ الْخَيَالَ الْمُبْرَحِ  
فَلَمَّا أَنْتَبَهْنَا بِالْخَيَالِ وَرَاعِنِي  
وَلَكِنَّهُ زَوْرٌ يُوقِظُ نَائِماً  
بِكُلِّ مَيِّتٍ يَغْتَرِبُنَا وَمَنْزِلِ  
فَوَلْتُ وَقَدْ بَثَّتْ تَبَارِيحَ مَا تَرَى  
أَلَمْ وَرَحْلِي سَاقِطٌ مُتَزَحْزَحِ  
إِذَا هُوَ رَحْلِي وَالْبِلَادُ تَوَضَّحُ  
وَيُحَدِّثُ أَشْجَاناً بِقَلْبِكَ تَجْرَحُ  
فَلَوْ أَنَّهَا إِذْ تُدْلِجُ اللَّيْلُ تُصْبِحُ  
وَوَجْدِي بِهَا مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ أَبْرَحُ

وقال أبو عبادة الطائي (١٨):

أَمَّا وَهَوَاكَ جِلْفَةً ذِي اجْتِهَادِ  
لَقَدْ أَذَكَى فِرَاقَكَ نَارَ وَجْدِي  
وَمَا نَادَيْتَنِي لِلشُّوقِ إِلَّا  
وَهَجَرُ الْقُرْبِ مِنْهَا كَانَ أَشْهَى  
يَعُدُّ أَلْغَى فِيكَ مِنَ الرَّشَادِ  
وَعَرَفَ بَيْنَ عَيْنِي وَالسُّهَادِ  
عَجَلْتُ بِهِ فَلَيِّتُ الْمُنَادِي  
إِلَى الْمُسْتَقِ مِنْ وَصْلِ الْبِعَادِ (١٩)

وقال أيضاً:

وَإِنِّي وَإِنْ ضَنْتُ عَلَيَّ بِوُدِّهَا  
يَعِزُّ عَلَيَّ الْوَاشِينَ لَوْ يَعْلَمُونَهَا  
فَكَمْ غُلَّةٌ لِلشُّوقِ أَطْفَأَتْ حَرَّهَا  
أَضْمُ عَلَيْهِ جَفْنَ عَيْنِي تَعْلَقُ  
لَأَرْتَاحَ مِنْهَا لِلْخَيَالِ الْمُرَوِّقِ  
لَيَالٍ لَنَا نَزْدَارُ فِيهَا وَنَلْتَقِي  
بَطْنِيفٍ مَتَى يَطْرُقُ دُجَى اللَّيْلِ يَطْرُقُ  
بِهِ عِنْدَ إِجْلَاءِ النَّعَاسِ الْمُرَوِّقِ (٢٠)

وقال أيضاً:

دَعَا عَبْرَتِي تَجْرِي عَلَى الْجَوْرِ وَالْقَصْدِ  
خَلَا نَاطِرِي مِنْ طَيْفِهِ بَعْدَ شَخْصِهِ  
أَطْنُ نَسِيمَا قَارَفَ الْهَجَرَ مِنْ بَعْدِي  
فَيَا عَجَباً لِلدَّهْرِ فَقْدَاً عَلَى فَقْدِ

(١٧) كذا، ولا أدري أكون عمرو بن سعد المرقش الأكبر؟.

(١٨) في «م» والمطبوع: وقال عبادة...

(١٩) ديوان البحرني ص ٧٢٤.

(٢٠) لم أجد الأبيات في ديوان البحرني.

مَنْ مُنِعَ مِنَ النَّظَرِ اسْتَأْنَسَ بِالْأَثَرِ

قال بعض الأعراب:

أَيَا شَجَرَاتِ الْوَابِشِيَّاتِ إِنِّي لَكُنَّ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ صَدِيقُ  
وَلَوْ لَمْ تُجَاوِرْكُنْ أَسْمَاءُ لَمْ يَصِلْ إِلَيَّ مِنْ قَلْبِي الْغَدَاةُ فَرِيقُ  
يَمِيلُ الْهَوَى [بِي] نَحْوُكُنْ وَقَدْ أَرَى بَعِيْنِي مَا لِي نَحْوُكُنْ طَرِيقُ  
فَلَوْ كُنْتُ أَهْدِي الْغَيْثَ أَوْ كُنْتُ وَإِلَيَّ عَلَى الْمَاءِ لَمْ تَغْطِشْ لَكُنْ عُروُقُ

وقال آخر<sup>(١)</sup>:

يَا سَرَحَةَ الدُّوْحِ أَيْنَ الْحَيِّ وَابِكَيْدِي لَهْفًا تَذُوبُ وَبَيْتِ اللَّهِ مِنْ حَسْرِ  
هَذَا أَنْتِ عَجَمَاءُ عَمَّا قَدْ سُئِلَتْ فَمَا بِأَلِ الْمَنَازِلِ لَمْ تَنْطِقْ وَلَمْ تَجِرِ  
يَا قَاتِلِ اللَّهِ غَادَاتِ قَرَعَنْ لَنَا حَبَّ الْقُلُوبِ بِمَا اسْتَوْدَعَنْ مِنْ حَوْرِ  
عَنْتِ لَنَا وَعُيُونُ مِنْ بَرَاقِعِهَا مَكْنُونَةٌ مُقْلُ الْغِزْلَانِ وَالْبَقْرِ  
بِاللَّهِ يَا ظَبِيَّاتِ الْقَاعِ قُلْنَ لَنَا لَيْلَايَ مِنْكُنْ أَمْ لَيْلَى مِنْ الْبَشْرِ  
يَا مَا أُمِيلُحْ غِزْلَانَا شَدَنْ لَنَا هُوْلَاءُ بَيْنَ الضَّالِّ وَالسُّمْرِ<sup>(٢)</sup>

وقال بعض الأعراب:

أَلَا هَلْ إِلَى شَمِّ الْخُزَامَى وَنَظَرَةٍ إِلَى قَرَقَرَى قَبْلَ أَلَمَاتِ سَبِيلُ

خَلِيلِي هَلْ مِنْ نَظَرَةٍ تُوَصِّلَانِيهَا  
وَقَدْ كَادَ هَذَا الْقَلْبُ يَنْقُذُ دُونَهُ  
فَلَوْ تُمْكِنُ الشُّكْوَى لَخَبَّرَكَ الْبُكََا

وقال أيضاً:

أَنْسِيمُ هَلْ لِلدَّهْرِ وَعْدُ صَادِقُ  
مَا لِي فَقَدْتُكَ فِي أَلَمَانٍ وَلَمْ يَزَلْ  
أَمْنَعْتَ أَنْتَ مِنَ الزَّيَارَةِ رَقَبَةً  
الآنَ جَارَ بِنَا الْهَوَى مِقْدَاطِرُهُ

ولبعض أهل هذا العصر:

وَقَدْ كُنْتُ لَا أَرْضَى مِنَ الْبَيْتِ بِالرِّضَا  
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا وَشَطَطَ بِنَا الْوَدَى  
فَسَاعَفَنِي وَهْنًا خِيَالُكَ فِي الْكَرَى  
بِنَفْسِي وَأَهْلِي مِنْ خِيَالِ أَلَمٍ بِي  
فَوَاحِشَرْنَا لَمْ أَذِرْ أَنْى أَهْتَدَى لَنَا  
رَعَاهُ ضَمَانُ اللَّهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ

□ □ □

(١) الأبيات مما نسب إلى المجنون، الديوان ص ١٦٨.

(٢) الأبيات في معاهد التنصيص ١٦٧/٢. والبيت الأخير مختلف في نسبه فنسب إلى المجنون وإلى الحسي بن عبدالله الغربي، ولذي الرمة وللعرجي، ونسبه الباهرزي في دمية القصر لبدوي اسمه كامل الثقفي، وانظر: الحزاة ٤٥/١ - ٤٧، والبيت الأخير في «اللسان» (شذن) منسوب إلى علي بن حمزة العريبي.

(٢١) ديوان البحري ص ٥٥٧ مع اختلاف في الرواية.

(٢٢) المصدر السابق ص ١٥٠٩.

أَيَا أَثْلَاتِ الْقَاعِ مِنْ بَطْنِ تَوْضِحٍ  
وَيَا أَثْلَاتِ الْقَاعِ قَدْ مَلَّ صُحْبَتِي  
وَيَا أَثْلَاتِ الْقَاعِ قَلْبِي مُعَلَّقٌ  
وَيَا أَثْلَاتِ الْقَاعِ ظَاهِرُ مَا بَدَا  
وقال بشر بن هذيل العبسي:

فَيَا طَلْحَتِي لَوْ دَانَ لَا زَالَ فِيكُمْ  
وَإِنْ كُنْتُمْ قَدْ هِجْتُمْ لَوْعَةَ الْهَوَى  
وقال آخر:

تَجَرَّمْ أَهْلُهَا لَيْتَ كُنْتُ مُشْعَرًا  
وَمَا لِي مِنْ ذَنْبٍ إِلَيْهِمْ عَلِمْتُهُ  
بَلَى فَاسْلَمِي ثُمَّ اسْلَمِي ثُمَّ اسْلَمِي  
وقال حميد بن ثور:

أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ سَرَحَهُ مَالِكٌ  
نَمَى النَّبْتُ حَتَّى نَالَ أَفْنَانَهَا الْعُلَى  
فَيَا طَيْبَ رِيَاهَا وَيَا ظِلَّهَا  
يَهْلُ أَنَا إِنْ عُلَّتْ نَفْسِي بِسَرَحَةٍ  
حَمَى ظِلَّهَا شَكْسُ الْخَلِيقَةِ خَائِفٌ  
فَلَا الظِّلُّ مِنْهَا بِالضُّحَى نَسْتَطِيعُهُ

وقال آخر:

أَيَا نَخْلَتِي أَوْنِ سَقَى الْأَصْلَ مِنْكُمْ  
مُهَيِّجُ الرُّبَى وَالْمُدْجَنَاتِ رَوَاكُمَا

(٣) وردت الأبيات في سمط الاء ص ٣٦٣ منسوبة إلى يحيى بن طالب وكذلك في مصارع

العشاق ص ٩٢ وأما القالي ١/١٢٣، وهي مما نسب إلى المجنون، الديوان ص ٢٢١.

(٤) الديوان ص ٣٣ - ٤١.

وَيَا نَخْلَتِي أَوَّلِ إِذَا هَبَّتِ الصَّبَا  
وَيَا نَخْلَتِي أَوَّلِ بَلِيَّتِ وَأَنْتُمَا  
وَأَمْسَيْتُ مَقْرُورًا ذَكَرْتُ ذُرَاكُمَا  
جَدِيدَانِ كَالْبُرْدَيْنِ طَابَ شَذَاكُمَا<sup>(٥)</sup>

وقال خلف بن روح الأسدي<sup>(٦)</sup>:

أَيَا نَخْلَتِي بَطْنِ الْعَقِيقِ أَمَانِعِي  
لَقَدْ خِفْتُ أَلَّا تَنْفَعَانِي بَطَاؤُ  
جَنَى النَّخْلِ وَالْبَيْنُ أَنْتِظَارِي جَنَاكُمَا  
وَيَكْتَبُ فِي الدُّنْيَا لِعِيرِي جَدَاكُمَا

وقال بعض الأعراب:

أَيَا مَنْ لِعَيْنٍ لَا تَرَى قُلُلَ الْجَمَى  
لَجُوجٍ إِذَا لَجَتْ بَكِيٍّ إِذَا بَكَتْ  
نَعْمًا زَمَانًا بِالْلَوَى ثُمَّ أَصْبَحَتْ  
أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ الْلَوَى مِنْ مَحَلَّةٍ  
وقال آخر:

إِفْرًا عَلَى الْوُشَلِ السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ  
شَقِيًّا لِظْلِكَ بِالْعَيْشِ وَبِالضُّحَى  
لَوْ كُنْتُ أَقْدِرُ مَنَعَ مَاثِكَ لَمْ يَذُقْ  
كُلُّ الْمَشَارِبِ مَذْهُجَتْ دَمِيمٌ  
وَلَبَرْدِ مَاثِكِ وَالْمِيَاهُ حَمِيمٌ  
مَا فِي قِلَاتِكَ مَا حَيِّتُ لَيْمٌ<sup>(٨)</sup>

وقال آخر:

أَلَا حَبْدًا أَعْطَانُ فَلَجَّةَ بِالضُّحَى  
يَقُولُونَ مِلْحَ مَاءٍ فَلَجَّةَ آجِنُ  
وَحَيْمٌ ذَرَى فِي جَلْهَتَيْهَا الْمَنْصَبُ  
أَجَلٌ هُوَ مَمْلُوحٌ إِلَى النَّفْسِ طَيْبُ

(٥) معجم البلدان (أون)، وهو في «م» والمطبوع: أول.

(٦) لقد مر بنا «خليفة بن روح» ولا أدري أهو خلف هذا؟ وكلاهما من لم أمتد إليها، وقد نسب البيت إلى أعرابي في «معجم البلدان» (العقيق).

(٧) البيت الأخير في ديوان المجنون ص ٨٦.

(٨) الأبيات في ديوان المجنون ص ٢٤٦، وكذلك الأماي ١/٤١، وهي في معجم البلدان

(وشل)، وفي سمط اللالء ص ٣٨٥ - ٣٨٦، وشرح المرزوقي لأبي القمقام

الأسدي، ص ١٣٧٧.

وقال ابن الدمينية:

خَلِيلِي رُوحًا بِالْهَجِينِ فَسَلِمَا  
وَقِيلًا بِنَا فِي ظِلِّهِنَّ وَرَمَيْنَا  
وَقُولًا لِمَنْ لَا قِيَتَمَا يَا هُدَيْتَمَا  
فَلَا نَبْصَ فِيهِنَّ أَلْتِي كَبُرَ هَمُّهُمَا

ولبعض بني كلاب:

أَلَا حَبْدًا أَلْمَاءُ الَّذِي قَابَلَ الْجَمَى  
وَلَوْ سَأَلْتُ [ظُمِيَاءَ] يَوْمًا بِوَجْهِهَا

وقال آخر:

يَقْرُ بِعَيْنِي أَنْ أَرَى بِمَكَانِهِ  
وَأَنْ أَشْرَفَ أَلْفَارَاتٍ مِنْ أَسْرِ الْجَمَى  
ذَكَرْتُكَ ذِكْرِي مِثْلُهَا صَدَعُ الْخَشَا  
وَيَوْمَ تَعَالَتْ بِي السَّفِينَةُ وَأَزْتَمَى

وقال ورد الهلالي:

سَقَى اللَّهُ مِنْ رَبِيعٍ وَمَضِيفٍ  
بَلَى إِنَّهُ قَدْ كَانَ لِلْبَيْضِ مَرَّةً

وقال آخر:

أَلَا حَبْدًا أَلْدَهْنَا وَطِيبُ ثُرَابِهَا  
وَنَصُّ أَلْمَهَارِي بِالْعَشِيَّاتِ وَالضُّحَى

عَلَى الْخَيْمِ أَوْ مُرًّا بِذِي الْعُشَرَاتِ  
ذُرَاهُنَّ رَمَى الْمُحَرَّمِ الْجَمَرَاتِ  
أَحْثًا لَنَا فِي الطَّوَافِ مِنْ بَكَرَاتِ  
أَيْنُ وَتُدْرِي أَلْدَمَعَ بِالزَّفَرَاتِ (٩)

وَيَا حَبْدًا مِنْ أَجْلِ ظُمِيَاءَ حَاصِرُهُ  
سَحَابِ الثُّرَيَّا لَأَسْتَهْلَتْ مَوَاطِرُهُ

سُهَيْلًا كَطَرْفِ الْأَخْذَرِ الْمُتَشَاوِسِ  
فَتَبَدُّوْا وَالْأَنْضَاءُ حُوصُ خَوَامِسِ  
بَتَوْا وَأُخْرَى مِثْلَهَا يَوْمَ حَابِسِ  
بِي الْبَحْرِ فِي أَذْيِهِ أَلْمُتْلَاطِسِ

وَمَاذَا تُرْجِي مِنْ رَبِيعٍ سَقَى نَجْدًا  
وَلِلْعَيْشِ وَالْفَتَيَانِ مَنَزَلَةً حَمْدًا (١٠)

وَأَرْضُ خَلَاءٍ يَصْدَعُ اللَّيْلَ هَامُهَا  
إِلَى بَقَرٍ وَحْيِ أَلْعُيُونِ كَلَامُهَا (١١)

وقال آخر:

خَلِيلِي إِنِّي وَاقِفٌ فَمُسَلِّمٌ  
وَلَوْ زَالَ هَضْبُ الرَّمْلِ عَنْ سَكَنَاتِهِ  
وَلَوْ نَطَقَتْ ضُمُرُ الْجِبَالِ لِعَاشِقِي

وقال آخر:

سَلِمَ عَلَى قَطْنٍ إِنْ كُنْتَ لَا قِيَهُ  
أُجِبُهُ وَالَّذِي أَرَسَى قَوَاعِدُهُ  
يَا لَيْتَنَا لَا نَرِيْمُ أَلْدَهَرَ سَاحَتُهُ

وقال جرير:

أَلَا حَيَّ رَهْبَى ثُمَّ حَيَّ الْمَطَالِيَا  
أَلَا أَيُّهَا الْوَادِي الَّذِي ضَمَّ سَيْلُهُ  
نَظَرْتُ بِرَهْبَى وَالْطُّغَائِنُ بِأَلَلْوَى

وقال آخر:

أَيَا نَخْلَتِي شَرَقِ أَلْعَذَابِ هَلْ أَنْتَمَا  
تَفَرَّقَ أَلْفٌ كَثِيرٌ وَأَنْتَمَا  
[كَأَنَّكُمَا] قُدَّامَ جَيْشٍ طَلِيعَةٍ

وقال آخر:

أَلَا حَبْدًا نَجْدٌ وَطِيبُ ثُرَابِهَا  
نَظَرْتُ بِأَعْلَى أَلْجَلْهَتَيْنِ فَلَمْ أَجِدْ

عَلَى ..... خَالَطَ أَلْلَحْمَ وَأَلْدَمَا (١٢)  
لَيْمَمْتُ مِنْ وَجْدٍ [بِهِ] حَيْثُ يَمَّمَا  
حَزِينٍ لَحْيَانَا إِذَا وَتَكَلَّمَا

سَلَامَ مَنْ كَانَ يَهْوَى مَرَّةً قَطْنَا  
حُبًّا إِذَا ظَهَرَتْ آيَاتُهُ بَطْنَا  
أَوْ كَانَ إِنْ نَحْنُ سِرْنَا غُرْبَةً مَعَنَا (١٣)

فَقَدْ كَانَ مَأْنُوسًا فَأَصْبَحَ خَالِيَا  
إِلَيْنَا نَوَى ظُمِيَاءَ حَيْثُ وَادِيَا  
فَطَارَتْ بِرَهْبَى شُعْبَةً مِنْ فُؤَادِيَا (١٤)

إِذَا أَحْتَمَلَ الْجِيرَانُ مُحْتَمِلَانِ  
مُقِيمَانِ يَنْبُو عَنْكُمَا أَلْحَدَثَانِ  
عَلَى حَاضِرِ أَلرُّوحَاءِ مُرْتَبِيَانِ (١٥)

وَعِلَظَةُ دُنْيَا أَهْلِ نَجْدٍ وَلَيْنُهَا  
سِوَى مِنْ سُهَيْلٍ لَمَحَّةً أَسْتَبِينُهَا

(١٢) فراغ في (م).

(١٣) لبعض الأعراب كما في معجم البلدان (قطن) مع اختلاف في الرواية.

(١٤) الديوان (الصاوي) ص ص ٦٠١ - ٦٠٢.

(١٥) في معجم البلدان (حاضر الروحاء) أبيات من نحو هذا لبعض الأعراب.

(٩) في الديوان ص ١٧٦ عن كتاب «الزهرة».

(١٠) البيتان في ديوان المجنون ص ١١٩.

(١١) البيتان في معجم البلدان (الدهنا).

فَكَذَّبْتُ طَرْفَ الْعَيْنِ ثُمَّ رَدَدْتُهُ  
فَرَجَعَ نَفْسِي بَعْدَ شَكِّ يَقِينَهَا<sup>(١٦)</sup>

وقال آخر:

بَلَيْتُ بِلَى الْبُرْدِ الْيَمَانِي وَلَا أَرَى  
أَلْوِي حَيَازِيمِي بِهِنْ صَبَابَةٌ  
جَنَانًا وَلَا أَكْنَفَ ذُرْوَةَ تَخْلُقُ  
كَمَا تَتَلَوَّى الْحَيَّةُ الْمُتَسَرِّقُ<sup>(١٧)</sup>

وقال آخر:

أَيَا سَرَوَتِي وَادِي الْعَقِيقِ سَقِيتُمَا  
تَرَوْتُمَا مَجَّ النَّدَى وَتَغْلَغَلْتُ  
وَلَا يَهْنَأُنْ ظِلَاكُمَا إِنْ تَبَاعَدْتُ  
حَيًّا غَضَّةَ الْأَنْفَاسِ طَيِّبَةَ الْوَرْدِ  
عُرُوقُكُمَا تَحْتَ النَّدَى فِي ثَرَى جَعْدِ  
بِي الدَّارُ مَنْ يَرْجُو ظِلَاكُمَا بَعْدِي<sup>(١٨)</sup>

وقال آخر:

تَذَكَّرْنِي خُزَامًا كُلُّ أَرْضٍ  
بِهَذَا الزَّادِ يَحْيَى كُلُّ صَبٍّ  
مَنْ الْأَرْضَيْنِ حَلَّ بِهَا خُزَامُ<sup>(١٩)</sup>  
فَلَيْتَ الزَّادَ كَانَ هُوَ الْجَمَامُ

وقال آخر:

تَجَنُّ إِلَى الرَّمْلِ الْيَمَانِي صَبَابَةٌ  
فَأَيْنَ الْأَرَاكَ الدَّوْحُ وَالْبِدْرُ وَالْغَضَا  
هُنَاكَ يُغْنِينَا الْحَمَامُ وَتُجْتَنِّي  
وَهَذَا لَعَمْرِي لَوْ قَنَعَتْ كَيْبُ  
وَمُسْتَخْبِرُ عَمَّنْ تُحِبُّ قَرِيبُ  
جَنَى النَّخْلِ يَخْلُو لِي لَنَا وَيَطِيبُ

وقال آخر:

أَقَمْنَا مُكْرَهِينَ بِهَا فَلَمَّا  
وَمَا حُبُّ الْبِلَادِ بِنَا وَلَكِنْ  
أَلْفَنَاهَا خَرَجْنَا كَارِهِينَا  
أَمْرُ الْعَيْشِ فُرْقَةٌ مِنْ هَوِينَا

وقال ورد بن عبد الرحمن الأسدي:

أَيَا كَيْدِي مَاذَا أَلَاقِي مِنَ الْهَوَى  
صَنِتْ الْهَوَى لِلرُّسْ فِي مُضْمَرِ الْحَشَا  
أَعُدُّ أَلْيَالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ  
وَقَالَ آخَرُ:  
لَهَا حُجَجٌ يَزْدَادُ طِيبًا تَرَابَهَا  
دَعْوَتُكَ فِيهَا مُخْلِصًا لَوْ أُجَابَهَا  
بِوَادِي الْقُرَى مَا ضَرَّ غَيْرِي أَغْتَرَابَهَا<sup>(٢٠)</sup>

أَرَى كُلَّ أَرْضٍ دَمَتْهَا وَإِنْ مَضَتْ  
أَلَمْ تَعْلَمَنْ يَا رَبِّ أَنْ رَبَّ دَعْوَةٍ  
لَعَمْرُ أَبِي لَيْلَى لَيْثُنْ هِيَ أَصْبَحَتْ  
وَقَالَ آخَرُ:  
أَمَّا وَالَّذِي حَجَّ الْمَلِيبُونَ بَيْتَهُ  
وَرَبِّ الْقَلَاصِ الْحَوْصِ تَدْمَى أُتُوفُهَا  
لَقَدْ صِرْتُ آتِي الْأَرْضِ مَا يَسْتَفِيزُنِي  
لَيْثُنْ قَطَعَ أَلْيَاسُ الْحَيْنِ فَإِنَّهُ  
وَلِبَعْضِ أَهْلِ هَذَا الْعَصْرِ:

سَلَا [مَا] وَمَوْلَى كُلِّ بَاقٍ وَهَالِكِ  
بِنَخْلَةٍ وَالسَّاعُونَ حَوْلَ الْمَتَاسِكِ  
لَهَا الشُّوقُ لَوْلَا أَنَّهَا مِنْ دِيَارِكَ  
رُقُوءٌ لِإِذْرَابِ الدُّمُوعِ السَّوَاكِ<sup>(٢١)</sup>  
سَقَى اللَّهُ رَمْلَ الْقَاعِ فِي النَّخْلَاتِ  
فَقَبَرَ الْعِبَادِيَّ الَّذِي دُونَ مَرْبِخِ  
فَجَبَلَنِي زُرُودٍ فَالطَّلِيحَةَ فَاللَّوَى  
وَلَمْ يَبْقُ مِنْ لَدَاتِهَا غَيْرُ ذِكْرَةٍ  
لِقَصْرِ عَلَى وَادِي زُبَالَةٍ مُشْرِفِ

فَذَاكَ الْكَيْبِ الْفَرْدُ فِي السَّمَرَاتِ  
..... وَالْغُدْرَانُ فَالْهَضْبَاتِ (\*)  
فَإِنْ لَهَا عِنْدِي يَدًا وَهَنَاتِ  
تَقْطَعُ نَفْسِي عِنْدَهَا حَسَرَاتِ  
أُكْفِكُفُ فِي أَكْنَفِهِ عِبْرَاتِي

(٢٠) البيت الثالث في ديوان المجنون ص ٢٨٤.

(٢١) الأبيات مما نسب إلى المجنون ص ٦٦.

(٢٢) الأبيات لذي الرمة في معجم البلدان (نخلة اليمانية)، وانظر الديوان

ص ص ٤٢٠ - ٤٢١.

(\*) كذا في الأصل والمطبوع.

(١٦) في معجم البلدان (نجد) مع اختلاف في الرواية لبعض الأعراب.

(١٧) البيت الأول في معجم البلدان (ذروة) لصخر بن الجعد (من شعراء الحماسة).

(١٩) لم أهد إلى البيت.

أَحَبُّ إِلَيَّ نَفْسِي وَأَشَقَى لِشَجَرِهَا  
عَسَى اللَّهُ لَا تَيَأْسُ سَيَأْذُنُ عَاجِلًا  
وَتَرْضَى قُلُوبٌ قَدْ تَوَاتَرَ سُخْطُهَا  
وَأُولَى بِهَا مِنْ هَذِهِ الْقُرْبَاتِ  
بِنَصْرَةِ مَظْلُومٍ وَفِكَ عُنَاةٍ  
عَلَيَّ فَعَادَتْنِي بِغَيْرِ بَرَاتِ

□ □ □

## الباب الثامن والثلاثون:

مَنْ حُجِبَ عَنِ الْأَثْرِ تَعَلَّلَ بِالذِّكْرِ

قال القمقام الأسدي<sup>(١)</sup>:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَرَى تَذَكُّرِيَنِي  
وَهَلْ لِي نَصِيبٌ مِنْ فُؤَادِكَ ثَابِتٌ  
رَأَيْنَا نَفُوسًا هُمًّا طَالَ حَبْسُهَا  
يَحْمَنُ حَيَّامَ الْهَيْمِ لَمْ تَلَقَ سَاقِيَا  
فَلَسْتُ بِمَتْرُوكٍ فَاشْرَبْ شُرْبَةً  
فَذَكُّرِكَ فِي الدُّنْيَا إِلَيَّ حَبِيبُ  
كَمَا لَكَ عِنْدِي فِي الْفُؤَادِ نَصِيبُ  
عَلَى غَيْرِ جُرْمٍ مَا لَهُنَّ دُنُوبُ  
أَنْتَابَ الْنَفُوسِ الْحَيَّمَاتِ مُثِيبُ  
وَلَا النَّفْسُ عَمَّا لَا تَنَالُ تَطِيبُ

وقال حميد بن ثور:

فَلَا يُبْعِدُ اللَّهُ الشَّبَابَ وَقَوْلَهَا  
لَيَالِي سَمْعِ الْغَانِيَاتِ وَطَرْفُهَا  
وَأَرْضِي بِقَوْلِ النَّاسِ [أَنْتِ] مُهَوَّنٌ  
إِذَا مَا صَبَوْنَا صَبَوَةً سَتَّوْبُ  
إِلَيَّ وَإِذْ رِيحِي لَهُنَّ جَنُوبُ  
عَلَيْنَا وَإِذْ غَضُنُ الشَّبَابِ رَطِيبُ<sup>(٢)</sup>

وقال النابغة الجعدي:

تَذَكَّرْتُ وَالذِّكْرَى تَضُرُّ بِذِي الْهَوَى  
نَدَامَايَ عِنْدَ الْمُنْذِرِ بْنِ مُحَرِّقِ  
وَمِنْ حَاجَةِ الْمَحْزُونِ أَنْ يَتَذَكَّرَا  
أَرَى الْيَوْمَ مِنْهُمْ ظَاهِرَ الْأَرْضِ مُقْفِرًا<sup>(٣)</sup>

(١) من شعراء الحماسة (التبريزي) ٣/٣١٥.

(٢) انظر الديوان ص ٥٢ مع اختلاف في الرواية.

(٣) لم أجد الأبيات في الديوان.



وقال متمم بن نويرة<sup>(٤)</sup>:

وَكُنَّا كَنَدَمَانِي جَذِيمَةَ حِقْبَةٍ  
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا  
فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ فَرَقَنَ بَيْنَنَا  
مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَّصِدَعَا  
لِطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نُقَمِ لَيْلَةً مَعَا  
فَقَدْ بَانَ مَحْمُودًا أَخِي يَوْمَ وَدَّعَا<sup>(٥)</sup>

وقال عدي بن زيد:

فَإِنْ أُمْسَيْتُ مُكْتَبِيًّا حَزِينًا  
فَقَدْ بَدَلْتُ ذَاكَ بِنُغْمٍ بَالٍ  
كَثِيرَ آلِهَمٍ يُسْهِدُنِي الْجَذَارُ  
وَأَيَّامٍ لِيَالِيَهَا قِصَارُ<sup>(٦)</sup>

وأنشدني أحمد بن أبي طاهر قال أنشدنا أبو تمام لنفسه:

أَلَا إِنَّ صَدْرِي مِنْ غَرَامِي بِلَاقِعٍ  
لَيْتَن كَانَ أَمْسَى شَمْلٌ وَحَشِكٌ جَامِعًا  
أُسِيءُ عَلَى الدَّهْرِ الثَّنَاءُ فَقَدْ قَضَى  
عَشِيَّةً شَاقَتْنِي الدِّيَارُ الْبِلَاقِعُ  
لَقَدْ كَانَ شَمْلٌ بِأَنْسِكَ جَامِعُ  
عَلَيَّ بِجَوْرِ صَرْفِهِ الْمَتَابِعُ<sup>(٧)</sup>

وقال حميد بن ثور:

قَضَى اللَّهُ فِي بَعْضِ الْمَكَارِهِ لِلْفَتَى  
شَرِبْنَا بِثُعْبَانٍ مِنَ الطُّودِ بَرْدَهَا  
لِيَالِي دُنْيَانَا عَلَيْنَا رَحِيبةً  
رَشَادًا وَفِي بَعْضِ الْهَوَى مَا يُحَاذِرُ  
وَقَدْ كُنْتُ فِي بَعْضِ الصَّبَابَةِ أَتَقِي  
شِفَاءَ لَغَمٍ وَهِيَ دَاءٌ مُخَامِرُ  
وَأَعْلَمُ أَنِّي إِنْ تَغَطَّيْتُ مَرَّةً  
مِنْ الدَّهْرِ مَكْشُوفٌ غَطَائِي فَنَاطِرُ<sup>(٨)</sup>

(٤) متمم بن نويرة، شاعر إسلامي، انظر الإصابة ٤٠/٦، الأغاني (دار الثقافة)

٢٣٩/١٥، الشعر والشعراء (لیدن) ص ٢٩٦، الفضليات ٦٥/٢، معجم الشعراء

ص ٤٣٢.

(٥) انظر مجموع شعر متمم ص ١١١، ١١٢، وانظر تخريج المقتوعة.

(٦) البيتان في ذيل الديوان عن كتاب «الزهره».

(٧) الديوان ص ٤٧٨ (نشرة الخياط) مع اختلاف في الرواية.

(٨) الديوان ص ٨٧ - ٨٨ مع اختلاف في الرواية.

وقال أيضاً:

خَلِيلِي إِنْ دَامَ هُمُ النُّفُوسِ  
عَلَى أَنْ شَيْئًا سَمِعْنَا بِهِ  
عَلَيْهَا ثَلَاثَ لَيَالٍ أَقْتَلَ  
يُسَمَّى السُّرُورُ مَضَى مَا فَعَلَ<sup>(٩)</sup>

وقال البحرني:

عَيْشُ لَنَا بِالْأَبْرَقَيْنِ تَأَبَّدَتْ  
وَالْعَيْشُ مَا فَارَقْتُهُ فَذَكَرْتُهُ  
أَيَّامُهُ وَتَجَدَّدَتْ ذِكْرَاهُ  
لَهْفًا وَلَيْسَ الْعَيْشُ مَا تَنْسَاهُ<sup>(١٠)</sup>

وقال محمد بن عبيد الأزدي<sup>(١١)</sup>:

فَلَمَّا قَضَيْنَا عِصْمَةً مِنْ حَدِيثِنَا  
جَرَى بَيْنَنَا مِنَّا رَسِيسٌ يَزِيدُنَا  
كَأَنَّ لَمْ تُجَاوِرْنَا أَمِينٌ وَلَمْ تُقَمِ  
وَقَدْ فَاضَ مِنْ بَعْدِ الْحَدِيثِ الْمَدَامُغُ  
سَقَامًا إِذَا مَا أَسْتَيْقَتَتْهُ الْمَسَامِغُ  
بِفَيْضِ الْحَمَى إِذْ أَنْتَ بِالْعَيْشِ قَانِعُ  
عَوَائِدُ أَوْ عَيْشُ السِّتَارَيْنِ وَاقِعُ  
فَهَلْ مِثْلُ أَيَّامٍ تَسْلَفُنَ بِالْحَمَى

وقال قيس بن ذريح:

فَإِنْ تَكُنِ الدُّنْيَا بِلَيْلِي تَقَلَّبَتْ  
فَقَدْ كَانَ فِيهَا لِلْأَمَانَةِ مَوْضِعُ  
وَلِلْهَائِمِ الظُّمآنِ رِيٌّ بِرِيقِهَا  
عَلَيَّ وَلِلدُّنْيَا بُطُونٌ وَأَظْهَرُ  
وَلِلْكَفِ مُرْتَادٌ وَلِلْعَيْنِ مَنْظَرُ  
وَلِلدَّنِيبِ خَمْرٌ مُسَكَّرُ<sup>(\*)</sup>

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ النَّحْوِيُّ: فَقُلْنَا لَهُ فَمَا الَّذِي بَقِيَ بَعْدَهَا وَصَفَتْ؟ قَالَ بَقِيَتْ الْمُؤَافَقَةُ.

وقال البحرني:

كَانَ الْوِصَالُ بُعِيدَ هَجَرٍ مُنْقَضٍ  
زَمَنَ اللَّوَى وَقُبِيلَ بَيْنِ آفِدٍ

(٩) لم أجدهما في الديوان.

(١٠) البيتان في الديوان ص ٢٤٠٢.

(١١) شاعر أدرك الدولة العباسية. انظر: معجم الشعراء ص ٣٥٢.

(\*) الأبيات في مجموع شعره (صنعة حسين نصار) عن «الزهره».

مَا كَانَ إِلَّا لَفْتَةً مِنْ نَاطِرٍ

ولبعض أهل هذا العصر:

رَعَى اللَّهُ دَهْرًا فَاتَ لَمْ أَقْضِ حَقَّهُ  
لِيَالِي مَا كَانَتْ رِيَا حُكَّ شَمَالًا  
لِيَالِي وَفَيْتُ الْهَوَى فَرَقَ حَقِّهِ  
فَلَمْ أَرْ وُدًا عَادَ ذَنْبًا وَقَدْ مَضَتْ  
وَلَمْ أَرْ سَهْمًا هَتَكَ الدَّرْعَ وَأَتْنَهَى  
وَلَا عُدْرَ لِلصَّمْصَامِ إِنْ بَلَغَ الْحَشَا  
وَلَا لِحَوَادِ سَابِقِ الرِّيحِ سَالِمًا  
فَأَنَّى بَعْدُ فِي أَطْرَاجِي وَجَفَوْتِي  
إِذَا عَوَّقَ الْجَانِي عَلَى قَدْرِ جُرْمِهِ

وقال ابن ميادة<sup>(١٣)</sup>:

أَلَا يَا لَقَوْمِي لِلْهَوَى وَالتَّذْكَرِ  
فَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَ قَلْبِي لَمْ يَطِرْ

وقال الطرماح<sup>(١٥)</sup>:

عَرَفْتُ لِسَلَمَى رَسَمَ دَارٍ تَخَالُهَا  
وَعَهْدِي بِسَلَمَى وَالشَّبَابُ كَأَنَّهُ

(١٢) لم أجدهما في الديوان.

(١٣) ابن ميادة، شاعر عباسي انظر ترجمته وأخباره في طبقات ابن المعتز (إقبال) ص ص ٤٣ - ٤٥.

(١٤) البيتان في «مجموع شعره» ص ١٥٦ عن كتاب «الزهرة».

(١٥) الطرماح بن حكيم شاعر من شعراء الدولة الأموية، انظر: الشعر والشعراء (ليدن) ص ص ٣٧١ - ٣٧٤.

عَجَلٍ بِهَا أَوْ نَهْلَةً مِنْ وَارِدٍ<sup>(١٢)</sup>

وَقَدْ كُنْتُ طَبًّا بِالأُمُورِ مُجَرَّبًا  
عَلَيَّ وَلَا كَانَتْ بُرُوقُكَ خُلْبًا  
وَفَاءً وَظَرْفًا صَادِقًا وَتَأْدِبًا  
لَهُ حِقْبٌ يَشْجِي بِذِكْرَاهُ مَنْ صَبَا  
إِلَى الْقَلْبِ قَدَمًا ثُمَّ قَصَرَ أَوْ نَبَا  
وَكُلَّ وَلَمْ يَثْلُمَ لَهُ الْعَظْمُ مُضْرِبًا  
وَقَامَ فَأَعْيَا بَلَّ تَقَطَّرَ أَوْ كَبَا  
وَنَقَضَ عُهُودَ أَكْدَتْ زَمَنَ الصَّبَا  
فَتَعْنِيفُهُ بَعْدَ الْعِقَابِ مِنَ الرِّبَا

وَعَيْنٌ قَذَى إِنْسَانِيهَا أَمْ جَحْدَرٍ  
وَلَا كَضُلُوعِي فَوْقَهُ لَمْ تَكْسِرْ<sup>(١٤)</sup>

ض سِوَارَهَا جَلَانًا لَوَانَهَا

وقال الحسن بن وهب:

الدُّمْعُ مِنْ عَيْنِي أَخِيكَ غَزِيرُ  
ذَكَرَ يَجُولُ بِهَا الضَّمِيرُ كَأَنَّمَا

وقال علي بن محمد العلوي:

شَاكَ الزَّمَانُ بِكَرِّ الزَّمَانِ  
إِسَاءَةً دَهْرِكَ مَحْفُوفَةً  
لِيَالِي لَا يَشْبَعُ النَّاطِرَا  
لِيَالِي لَمْ يَكْتَسِي الْعَارِضَا  
فَإِنْ يَكْ هَذَا الزَّمَانُ [أَنْقَضَى]  
فَلَا بِالْقَلَى تَتَنَاسَى الصَّبَى  
وَنَازِلَةٍ كُنْتُ مِنْ حَدِيهَا  
وَمِنْ نَكَبَاتِ خُطُوبِ الزَّمَا  
أَلَا هَلْ سَبِيلٌ إِلَى نَظَرَةٍ  
وَهَلْ أَذُنُونَ مِنْ وُجُوهِ نَأَتْ  
أُنَاسٌ هُمْ الْأُنُسُ دُونَ الْأُنُسِ

وله أيضاً:

وَاهَا لِأَيَّامِ الشَّبَا  
وَزَوَالِهَا بِمَا عَرَفَ  
أَيَّامَ ذِكْرِكَ فِي دَوَا  
وَقَفَ النَّعِيمُ عَنِ الصَّبَا

إِذَا بَلَّغَا الْكَفَيْنِ أَنْ يَتَقَدَّمَا

فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ مَحْدُورُ  
يُذَكِّي بِهَا تَحْتَ الْفُؤَادِ سَعِيرُ

وَأَفْنَاكَ مِنْ كَرِّهِ كُلِّ فَا  
بِمَا لَمْ يَكُنْ لِلصَّبَى فِي ضَمَانِ  
نِ مَا قَابِلَاكَ وَلَا يُرَوَّانِ  
نِ شَيْئًا وَلَمْ يُفْصَصِ الشَّارِبَانِ  
وَبَدَلْتُ أَخْبَارَهُ بِالْعَيَانِ  
وَلَا بِالرِّضَا رَضِي الْعَاذِلَانِ  
عَلَى غَزَرٍ مِثْلَ حَدِّ السِّنَانِ  
نِ الْأَحْظَاهُ بِجَنَانِ الْجَبَانِ  
بِكُوفَانِ يَحْيَى بِهَا النَّاطِرَانِ  
وَهْنٌ مِنَ النَّفْسِ دُونَ الدَّوَانِي  
وَجَنَاتُ عَيْشِكَ دُونَ الْجَنَانِ

بِ وَمَا لَيْسَنَ مِنَ الزُّخَارِفِ  
تُ مِنَ الْمَنَاصِرِ وَالْمَعَارِفِ  
وَبِنِ الصَّبَى صَدَرَ الصَّحَائِفِ  
وَزَلَّتْ عَنْ تِلْكَ أَلْمَوَاقِفِ

(١٦) الأبيات في ذيل الديوان ص ٥٨٣ مع اختلاف في الرواية.

وقال البحرني:

أَرْسُومُ دَارِ أُمِّ سَطُورٍ كِتَابٍ  
يَجْتَازُ زَائِرُهَا بِغَيْرِ لَبَانَةٍ  
وَلَرُبَّمَا كَانَ الزَّمَانُ مُحِيًّا  
أَيَّامِ عَوْدِ الدَّهْرِ أَخْضَرُ وَالْهَوَى  
لَوْ تُشْعِفِينَ وَمَا سَأَلْتُ مَشَقَّةً  
وَلَيْتَنِي شَكُوتُ ظَمَائِي إِنَّكَ لَلَّتِي  
وَعُتِبْتُ مِنْ حُبِّكَ حَتَّى إِنِّي

وقال أيضاً:

سَقَى اللَّهُ عَهْدًا مِنْ أَنَاسٍ تَصَرَّمْتُ  
وَفَاءً مِنَ الْأَيَّامِ رَجَعُ حُدُوجِهِمْ  
هَلِ الْعَيْشُ إِلَّا أَنْ تُسَاعِفَنَا النَّوَى  
عَلَى أَنَّهَا مَا عِنْدَهَا لِمَوَاصِلِ  
إِذَا مَا نَهَى النَّاهِي فَلَجَ بِي الْهَوَى  
وَيَوْمَ تَثْنَتْ لِلْوَدَاعِ وَسَلَمْتُ  
تَوَهَّمْتُهَا أَلْوَى بِأَجْفَانِهَا الْكَرَى

وقال المرار الفقعسي (١٩):

أَلَا ذِكْرَانِي يَا خَلِيلِي مَا مَضَى  
مِنْ الْعَيْشِ إِذْ لَمْ يَبْقَ إِلَّا تَذَكُّرِي

(١٧) الأبيات في الديوان ص ٢٩٤.

(١٨) لم أجدها في الديوان.

(١٩) المرار بن سعيد الفقعسي، انظر ترجمته في الأغاني ١٥٨/٩، والشعر والشعراء (ليدن)

ص ٦٨٠، مجالس ثعلب ص ٢٥٠، معجم الشعراء ص ٣٣٧، وهومن شعراء

الحماسة (التبريزي) ٤/٤٤٥.

وَإِذْ لَاهْتِزَّازِ الْعَيْشِ بِالرَّكْبِ لَذَّةً  
وَإِذْ أَنْتَ لَمْ تَشْعُرْ بِعَيْنِ سَخِينَةٍ

وقال أبو صخر الهذلي:

وَأَنِّي لَتَعْرُونِي لِذِكْرِكَ رَغْشَةً  
عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا  
أَمَّا وَالَّذِي أَبْكِي وَأَضْحَكُ وَالَّذِي  
لَقَدْ تَرَكْتَنِي أَحْسَدُ الْوَحْشِ أَنْ أَرَى  
هَجْرَتِكَ حَتَّى قُلْتُ لَا أَعْرِفُ الْقَلْبَى  
فَيَا هَجَرَ لَيْلَى قَدْ بَلَغْتَ بِي الْمَدَى

وقال السري بن مغيث النوفلي (٢١):

أَلَا هَلْ مُقِيتِي اللَّهَ فِي أَنْ ذَكَرْتُهَا  
سُخِيرًا وَأَصْحَابِي يُلْبُونُ بَعْدَمَا  
تَمْضُوا هَذَاكُمْ رَبُّ مُوسَى فَإِنِّي  
وَبَيْنَ الصَّفَا وَالرُّكْنِ نَادَمْتُ صُحْبَتِي  
وَفِي جَوْفِ بَيْتِ اللَّهِ جَمَعْتُ زَفَرَةً  
وَمِنْ نَفَرٍ عِنْدَ التَّنْبِيهِ جِئْتُهُمْ  
فَقُلْتُ لَهُمْ هَلْ تَعْلَمُونَ مِنْ الْجَوَى  
فَقُلْتُ لَهُمْ هَلْ تَعْلَمُونَ بِمَا الَّذِي  
أَيَجْعَلُنِي فِي النَّارِ رَبِّي وَحُبُّهَا

وَهُنَّ بِأَعْلَى ذَاتِ عِرْقٍ خَوَاصِعُ  
بَدَا وَجْهُ مَشْهُورٍ مِنَ الصُّبْحِ سَاطِعُ  
مُنِيخُ نَبَاكِ بِكِيَّةٌ ثُمَّ رَافِعُ  
بِذِكْرِكَ وَالْعَوَاذُ سَاعٍ وَرَافِعُ  
عَلَيْهَا وَظَلَّتْ تَسْتَهْلُ الْمَدَامِعُ  
وَكُلُّهُمْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ خَاشِعُ  
دَوَاءً فَقَالُوا أَنْتَ فِي النَّارِ وَاقِعُ  
أَرْجِي وَلَا مَا اللَّهُ بِالْعَبْدِ صَانِعُ  
عَلَى كِبْدِي مِنْهُ شَوْوَنٌ صَوَادِعُ

(٢٠) الأبيات نسبت إلى المجنون في الديوان ص ١٣٠، وفي الشعر والشعراء (ليدن)

ص ٣٥٥، والأغاني ٥٦/٢، ٧٠، ١٦/٥، وفي أمالي القاضي ١٤٨/١، وشرح

المرزوقي ص ١٢٣١، وعيون الأخبار ١٣٨/٤ نسبت إلى أبي ضمير.

(٢١) لم أهدئ إلى ترجمته.

مَسَامَرَةُ الْأَوْهَامِ وَالْأَمَانِيِّ لِتَمَامِ الْعَجَزِ وَالْتَوَانِي

قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الْعَالِيَةِ،  
قَالَ: حَدَّثَنِي حَبَابُ الْقَشِيرِيِّ قَالَ: لَمَّا مَلَكَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ بَعَثَ إِلَى  
ابْنِ مِيَادَةَ وَكَانَ مُعْجَبًا بِشِعْرِهِ فَالَزَمَهُ بَابَهُ فَاشْتَقَّ الشُّيْخُ لَمَّا طَالَ مُقَامُهُ فَقَالَ:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً      بِحَرَّةٍ لَيْلَى حَيْثُ رَبَّنِي أَهْلِي  
بِلَادٍ بِهَا نِيَطَتْ عَلَيَّ تَمَائِي      وَقُطِعَنَ عَنِّي حَيْثُ أَدْرَكَنِي عَقْلِي  
فَإِنْ كُنْتُ عَنْ تِلْكَ الْوَاطِنِ حَابِسِي      فَأَيْسِرَ عَلَيَّ الرِّزْقُ وَاجْمَعُ إِذَا شَمِلِي<sup>(١)</sup>

قَالَ فَلَمَّا سَمِعَ شِعْرَهُ كَتَبَ لَهُ إِلَى مُصَدِّقِ كُلِّبٍ أَنْ يُعْطِيَهُ مِثْلَ نَاقَةٍ  
دُهُمًا جَعَادًا.

وقال ابن ميادة:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَحْلُنُّ أَهْلُهَا      وَأَهْلُكَ رَوْضَاتِ بَيْطَنِ اللَّوَى خُضْرًا  
وَهَلْ تَأْتِيَنَّ الرِّيحُ تَدْرُجُ مَوْهِنًا      [بِرْيَاكَ] تَعْرُونِي بِهَا بَلَدًا قَفْرًا  
بِرِيحِ خُرَامَى الرَّمْلِ بَاتَ مُعَانِقًا      فُرُوعُ الْأَقَاجِي تُهْضِبُ الْطَّلَّ وَالْقَطْرًا  
أَلَا لَيْتَنِي أَلْقَاكَ يَا أُمَّ جَحْدَرٍ      قَرِيبًا قَامًا الصَّبْرُ عَنْكَ فَلَا صَبْرًا  
أَهْ لَا تُلْطِي أَلَسْتَرَا يَا أُمَّ جَحْدَرٍ      كَفَى بِذَرَى الْأَعْلَامِ مِنْ دُونِنَا سِتْرًا<sup>(٢)</sup>

(١) الأبيات في الروض الأنف ٥٣/٢، أخبار أبي تمام ص ٣، الحماسة البصرية ١٣٠/٢،  
المصون ص ٢٠٧.

(٢) في «م» والمطبوع: تلطي. والأبيات في شعر ابن ميادة ص ص ١٣٤ - ١٣٥ مع اختلاف  
في الرواية، ومصدرها: الأغاني ٦٨٨/٢، زهر الأداب ١١٧/٣، الحماسة  
الشجرية ٢٨٦/١.

وأنشدني أحمد بن يحيى:

قَالَتْ أُمَيْمَةُ مَا لِي جِسْمِكَ شَاجِبًا  
لِلَّهِ صَاحِبِي الَّذِي نَبَّأَتْهُ  
ظَنُّ الْمَكَائِي مُخْرِجَاتِ حَرَارَةٍ  
يَا لِلرِّجَالِ أَمَا رَأَى مَا شَفَّنِي

وقال كثير:

وَدِدْتُ وَمَا تُغْنِي الْوَدَادَةُ أَتْنِي  
فَإِنْ كَانَ خَيْرًا سَرْنِي وَعَلِمْتُهُ  
وَمَا ذَكَرْتُكَ النَّفْسُ إِلَّا تَفَرَّقْتُ

وقال البحتري:

مَنْ أَلْفَسَ فِي أَسْمَاءٍ لَوْ تَسَطَّيْعُهَا  
عَجِبْتُ لَهَا تَبْدِي أَلْقَى وَأَوْدُهَا

وقال آخر:

وَدِدْتُ بِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمُ أَنَا  
وَأَنِّي إِذَا صَاحَبْتُ لِلْعُرْضِ مِنْ غَدٍ  
فَلَمَّا إِلَى جَنَاتِ عَدْنٍ نَكُنْ مَعًا

وقال كثير:

يَسُودُ بِأَنَّ يُنْسِي سَقِيمًا لَعْلَهَا  
وَيَزِنُحُ لِلْمَعْرُوفِ فِي طَلَبِ أَعْلَى  
فَلَوْ كُنْتُ فِي كَبَلٍ وَبُحْتُ بِعَوْلَتِي

وَجَدْتُ بِقَلْبِي يَا أُمَيْمُ بَرَانِي  
وَشَكَرْتُ حُبَّكَ عِنْدَهُ فَكَّرَانِي  
بَيْنَ الضُّلُوعِ وَدُونَهَا هَيْمَانِي  
أَفَلَا بِذِكْرِكَ وَالْمُنَى دَاوَانِي

بِمَا فِي ضَمِيرِ الْحَاجِيَّةِ عَالِمُ  
وَلِنْ كَانَ شَرًّا لَمْ تَلْمَنِي أَلْوَانِي  
فَرِيقَيْنِ مِنْهَا عَاذِرٌ لِي وَلَا تُمْ<sup>(٣)</sup>

بِهَا وَجَدَهَا مِنْ عَادَةٍ وَلَوْعُهَا  
وَلِلنَّفْسِ تَعْصِينِي هَوَى وَأُطِيعُهَا<sup>(٤)</sup>

وَأَنِّي فِدَاءٌ لِلَّذِي أَنَا عَاشِقُهُ  
إِلَى اللَّهِ جِيرَانًا هُنَاكَ أَوَافِقُهُ  
وَلَمَّا إِلَى نَارٍ فَفِيهَا أَرَافِقُهُ

إِذَا سَمِعْتَ عَنْهُ بِشَكْوَى تُرَاسِلُهُ  
لِتُحَمَّدَ يَوْمًا عِنْدَ لَيْلَى شَمَائِلُهُ  
إِلَيْهِ أَلَا أَنْتَ جَمَّةٌ لِي سَلَاسِلُهُ

(٣) لم أجد الأبيات في ديوان كثير.

(٤) ديوان البحتري ص ١٢٩٦.

وَيُذْرِكُ غَيْرِي عِنْدَ غَيْرِكَ حَظَّهُ  
فَلَا هَانَتْ الْأَشْعَارُ بَعْدِي وَبَعْدُكُمْ

وقال آخر:

تَمَنَيْتُ فِي غَرْضِ الْأَمَانِي وَرُبَّمَا  
لَوْ أَنِّي وَسَعَدَى جَارُ بَيْتِ حَبَائِبَا

وقال عمر بن أبي ربيعة:

يَا لَيْتَنِي قَدْ أَجَزْتُ الْحَبْلَ دُونَكُمْ  
إِنَّ الشَّوَاءَ بِأَرْضٍ لَا أَرَاكَ بِهَا  
وَمَا مَلِلْتُ وَلَكِنْ زَادَ حُبُّكُمْ  
أُذْرِي الدُّمُوعَ كَذِي سَقَمٍ يُخَامِرُهُ  
كَمْ قَدْ ذَكَرْتُكَ لَوْ أُجْزَى بِذِكْرِكُمْ  
إِنِّي لَأَجْدُلُ أَنْ أُمِيشِي مُقَابِلَهُ

ولبعض أهل هذا العصر:

رُبَّالَةَ لَا هُمْ أَسَقِيهَا ثُمَّ رَوَّهَا  
أَلَا هَلْ إِلَى نَجْدٍ وَمَاءٍ بِقَاعِهَا  
وَهَلْ لِي إِلَى تِلْكَ الطُّلْحَةِ عَوْدَةٌ  
فَأَشْرَبَ مِنْ مَاءِ السَّمَاءِ فَأَرْتَوِي  
وَأُلْبِقَ أَحْشَائِي بِرَمْلٍ رُبَّالَةَ

وقال بعض الأعراب:

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَلَيْتَ أَصْبَحْتُ حَرَجًا

بِشِعْرِي وَيُعِينِي بِهِ مَا أَحَاوِلُهُ  
مُجِبًّا وَمَاتَ الشَّعْرُ بَعْدِي وَقَائِلُهُ<sup>(٥)</sup>

تَمَنَّى الْفَتَى أُمْنِيَّةً لَنْ يَنَالَهَا  
فَتَعْلَمَ حَالِي ثُمَّ أَعْلَمَ حَالَهَا

حَبْلَ الْمَعْرِفِ أَوْ جَاوَزْتُ ذَا عُسْرِ  
فَأَسْتَيْفِنِيهِ نَوَاءً حَقَّ ذِي كَدَرٍ  
وَمَا ذَكَرْتُكَ إِلَّا ظَلْتُ كَالسَّيْرِ  
وَمَا يُخَامِرُ مِنْ سَقَمٍ سِوَى الذِّكْرِ  
يَا أَشْبَهَ النَّاسِ كُلِّ النَّاسِ بِالْقَمَرِ  
حُبًّا لِرُؤْيَا مَنْ أَحْبَبْتُ فِي الصُّورِ<sup>(٦)</sup>

وَقُلْتُ لَهَا أَضْعَافُ ذَوِي الدَّعَوَاتِ  
سَبِيلَ وَأَزْوَاجٍ بِهَا عَطِرَاتٍ  
عَلَى مِثْلِ تِلْكَ الْحَالِ قَبْلَ وَقَاتِي  
وَأَرْعَى مَعَ الْغَزْلَانِ فِي الْفَلَوَاتِ  
وَأَنَسَ بِالظُّلْمَانِ وَالظُّبَيَّاتِ

هَلْ أَهْبِطَنَّ بِلَادًا مَا بِهَا دُورُ

أَلَا سَبِيلَ إِلَى نَجْدٍ وَسَاكِينَهَا  
لَقَدْ تَبَدَّلْتُ مِنْ نَجْدٍ وَسَاكِينِهِ

وقال آخر<sup>(٨)</sup>:

لَيْتَ شِعْرِي وَأَيْنَ مِنِّي لَيْتُ  
أَيُّ سَاعٍ لِيَقْطَعَ حَبْلِي  
وَأَسْتَكْنَ الْعُصْفُورُ كُرْهًا مَعَ الضُّدِّ  
وَأَمَّا أَهْلُ قَرْيَةٍ أَنْكَرُونِي  
عَرَفْتُ لَيْلَهَا الطَّوِيلَ وَلَيْلِي

وقال آخر:

عَسَى اللَّهُ يَا ظَلَامُ أَنْ يَعْقِبَ الْهَوَى  
وَتُنْهَى فَتَزْدَايَ إِلَيَّ صَبَابَةً  
أَلَمْ تَعْلَمِي يَا رَيْقَةَ الْوَصْلِ أَنَّنِي  
وَأَيْنِي لِخَيْرٍ قَدْ تَدَاوَيْتُ بَعْدُكُمْ

وقال آخر:

أَلَا لَيْتَنِي لَا أَطْلُبُ الدَّهْرَ حَاجَةً  
فَيَا حَبْدًا مِنْ مَنْظَرٍ لَوْ تَنَالَهُ

وقال آخر:

إِذَا كَلَّمْتَنِي وَكَحَلْتَ عَيْنِي

أَمْ لَا يَنْجِدُ حَبِيبُ الْأَهْلِ مَهْجُورُ  
أَرْضًا بِهَا الدِّيكُ يَزُقُّو وَالسَّنَانِيرُ<sup>(٧)</sup>

إِنَّ لَيْتًا وَإِنْ لَوْأَ عَنَاءُ  
جِئْنَ لَاحَتْ لِلصَّالِحِ الْجَوَازُ  
بِ وَأَوْفَى فِي عُودِهِ الْجَرْبَاءُ  
عَرَفْتَنِي السَّوِيَّةُ الْمَلْسَاءُ  
إِنَّ الْمَحْزُونِ فِيهِ عَنَاءُ

فَتَلَقَى كَمَا قَدْ كُنْتُ فِيكَ لَقِيْتُ  
كَمَا أَرْدَدْتُ فِي حُبِّكَ جِئْنَ نُهَيْتُ  
شَرِبْتُ بِصَافٍ بَعْدُكُمْ فَرَوَيْتُ  
بِهَجْرٍ لَكُمْ مِنْ حُبِّكُمْ فَبَرَيْتُ

وَلَا بُغْيَةً إِلَّا عَلَيْكَ طَرِيقُهَا  
عَذَابُ الثَّنَائَا أَمْ عَمْرٍو وَرَيْقُهَا<sup>(٩)</sup>

بِعَيْنَيْكَ فَأَمْنَعِي مَا شِئْتَ مِنِّي

(٧) لم أهتم إلى الأبيات.

(٨) صاحب الأبيات أبو زيد الطائي المنذر بن حرملة شاعر عاش زمنًا في الجاهلية وأدرك

الإسلام ولم يسلم، انظر خزائن الأدب ١٥٥/٢، إرشاد الأريب ١٠٧/٤ - ١١٥،

والأبيات في «شعر أبي زيد» المجموع وانظر التخريج.

(٩) البيتان في ديوان المجنون ص ٣٢٦ عن كتاب «الزهره».

(٥) ديوان كثير ص ص ٤٢٠ - ٤٢١.

(٦) ديوان عمر ص ٧٦.

إِذَا أَرَدَحَمْتُ هُمُومِي فِي فُؤَادِي  
وقال آخر:

أَلَا لَيْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ أُنْشِرُ نَشْرَهُ  
أَتَرَعَى وَصَالَ الْعَهْدِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا

وقال العباس بن الأحنف:

تَمَنَّى رَجَالٌ مَا أَحْبَبُوا وَإِنَّمَا  
أَرَى كُلَّ مَعْشُوقَيْنِ غَيْرِي وَغَيْرَهَا  
وَإِنِّي وَإِيَّاهَا عَلَى حَدِّ رَقَبَةٍ  
وَإِنِّي لِأَنْهَى النَّفْسَ عَنْهَا وَلَمْ تَكُنْ

وقال جميل:

أَلَا لَيْتَنَا نَحْيَى جَمِيعاً وَإِنْ نُمْتُ  
فَمَا أَنَا فِي طُولِ الْحَيَاةِ بِرَاغِبٍ  
أَظِلُّ نَهَارِي مُسْتَهَاماً وَنَلْتَقِي

وقال أبو بكر بن عبد الرحمن الزهري (١٢):

وَلَمَّا نَزَلْنَا مَنْزِلاً طَلَّهُ النَّدَى  
أَنِيقاً وَبُسْتَاناً مِنَ النُّورِ حَالِيَا  
أَجَدُّ لَنَا طِيبُ الْمَكَانِ وَحُسْنُهُ  
مُنَى فَتَمَنُّنَا فَكُنْتَ الْأُمَانِيَا

وقال مزاحم العقيلي (١٣):

وَدِدْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ شَرَفِ الْفَتَى  
وَجَهْلِ الْأُمَانِي أَنْ مَا شِئْتُ تَفْعَلُ  
فَتَرْجِعُ أَيَّامَ مَضَيْنِ بِنِعْمَةٍ  
عَلَيْنَا وَهَلْ يُشَى مِنَ الْعَيْشِ أَوَّلُ

(١٠) الديوان ص ص ١٧١ - ١٧٢ مع اختلاف في الرواية.

(١١) ديوان جميل ص ٢٩.

(١٢) لم أهدد إلى ترجمته.

(١٣) هو مزاحم بن الحارث. . العقيلي، انظر الأغاني (الهيئة) ٩٨/١٩.

وقال جرير:

أَوَّلُ أَنْ أَلَا قِي آلَ لَيْلَى  
فَلَسْتُ بِنَائِمٍ إِلَّا بِهِمْ  
كَمَا يَرْجُو أَخُو السَّنَةِ الرَّبِيعَا  
وَلَا مُسْتَقِظاً إِلَّا مَرُوعَا (١٤)

وقال آخر:

فَمَا مَسَّ جَنْبِي الْأَرْضَ إِلَّا ذَكَرْتُهَا  
فَيَا رَبِّ إِنْ كَانَتْ عَرُوضُ هِيَ الْمُنَى  
وَالَا وَجَدْتُ رِيحَهَا فِي ثِيَابِيَا  
فَزِنِّي بِعَيْنَيْهَا كَمَا زَنْتَهَا لِيَا

وقال سعد ذلفاء (١٥):

فَلَيْتَ ابْنَ أَوْسٍ حِينَ يَأْتِيهِ أَهْلُهَا  
فَتَرْبِطُنِي ذَلْفَاءُ فِي شِقِّ بَيْتِهَا  
يُخَاصِمُهُمْ أَهْلِي قَضَائِي لَهَا عَبْدَا  
لَكَ الْوَيْلُ يَا ذَلْفَاءُ لَا تَقْتُلِي سَعْدَا

وقال عروة بن حزام:

كَأَنَّ قِطَاةً عَلِقَتْ بِجَنَاحِهَا  
أَلَا لَيْتَنَا نَحْيَى جَمِيعاً وَلَيْتَنَا  
عَلَى كَيْدِي مِنْ شِدَّةِ الْخَفَقَانِ  
إِذَا نَحْنُ مُتْنَا ضَمْنَا كَفَنَانِ  
بَعِيرَانِ نَرَعَى الْفَقْرَ مُؤْتَلِفَانِ  
وَعَفْرَاءَ يَوْمِ الْحَشْرِ مُلْتَقِيَانِ (١٦)

وقال آخر:

أَلَا مَنْ لَهُمْ بَتُّ وَحْدِي أَكَابِلُهُ  
وَمَنْ يَكُ ذَا هَمٍّ بَيْتٌ وَهُوَ عَامِلُهُ  
تَذَكَّرْتُ بَطْنَ الْجَبْرِ يَا لَيْتَنِي بِهِ  
إِذَا أَعْتَمَّ بَيْتاً مَتْنُهُ وَأَجَالِلُهُ

(١٤) لم أجد البيتين في الديوان.

(١٥) لم أهدد إليه.

(١٦) الأبيات في شعر عروة بن حزام ص ٥٩ ما عدا الأول، مع اختلاف في الرواية.

وقال الأحمص:

إِنِّي لَأُمِلُّ أَنْ تَذُنُو وَإِنْ بَعْدَتْ  
أَبْغَضْتُ كُلَّ بِلَادٍ كُنْتُ أَلْفَهَا  
بَا لِلرِّجَالِ لِمَقْشُولِ بِلَا بَرَةٍ  
إِنْ قَرَبْتُ لَمْ يُفِقْ عَنْهَا وَإِنْ بَعْدَتْ  
مَا تُذَكِّرُ الدَّهْرَ لِي سَعْدَى وَإِنْ نَزَحْتُ  
وَلَا قَرَأْتُ كِتَاباً مِنْكَ يُلْغِنِي  
وَقَدْ بَدَتْ لِي مِنْ سَعْدَى مُعَاتِيَّةٌ  
وَلَوْ أَعَاتِبْتُ ذَا حَقْدٍ قَتَلْتُ لَهُ

وقال النميري:

أَلَا هَلْ إِلَى نَصْرِ النُّوَاجِجِ بِالضُّحَى  
بِلَادٌ بِهَا أَمْسَى آلَهُوَى غَيْرَ أَنَّنِي

وقال أبو القمقام الفقعسي (١٧):

يَقْرُ بَعِينِي أَنْ أَرَى رَمْلَةَ الْغَضَا  
وَلَسْتُ وَإِنْ أَحْبَبْتُ مَنْ يَسْكُنُ الْغَضَا

وقال أيضاً:

تَبَدَّلَ هَذَا السِّدْرُ أَهْلاً وَلَيْتَنِي  
فَعَهْدِي بِهِ عَذَبَ الْجَنِّي نَاعِمَ الدُّرَى  
كَمَا لَوْ وَشَى بِالسِّدْرِ وَاشٍ رَدَّدْتُهُ

(١٧) الأبيات في شعر الأحمص ص ١٠٤.

(١٨) إذا كان النميري هذا هو الراعي فلاني لم أجده في ديوانه المجموع، ولعله شاعر آخر من شعراء الغزل.

(١٩) لا أدري أليكون أبو القمقام الفقعسي هذا هو أبو القمقام الأسدي الذي تقدم ذكره في الكتاب؟ والبيت الثاني في ديوان المجنون مع اختلاف ص ٢٢٨.

وقال آخر:

أَلَا هَلْ إِلَى إِلْمَامَةٍ قَبْلَ مَوْتِنَا  
وَهَلْ لِعَيْنٍ قَدْ بَكَينَ إِلَى الْفَلَا  
سَبِيلٌ وَهَلْ لِلنَّازِحِينَ رُجُوعٌ  
وَأَبْكَيْنَ حَتَّى مَا لَهْنٌ دُمُوعٌ  
وَأَنْ لَا يُرَاعَ الشَّمْلُ وَهُوَ جَمِيعٌ

□ □ □

وَشَمَّ الْخُرَامَى بِالْعَشِيِّ سَبِيلُ  
أَمِيلُ مَعَ الْمِقْدَارِ حَيْثُ يَمِيلُ (١٨)

إِذَا مَا بَدَتْ يَوْماً [لِعَيْنِي] قِلَالُهَا  
بِأَوَّلِ رَاحٍ حَاجَةً لَا يَنَالُهَا

أَرَى السِّدْرَ بَعْدِي كَيْفَ كَانَتْ بَدَائِلُهُ  
تَطِيبُ وَتَسْدِي بِالْعَشِيِّ أَصَائِلُهُ  
كَيْبِياً وَلَمْ تَمْلُحْ لَدَيَّ شَمَائِلُهُ

مَنْ قَصَرَ نَوْمُهُ طَالَ لَيْلُهُ

أَمَّا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَرَجَمْنَا هَذَا الْبَابَ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَلَى كُلِّ الْأَحْوَالِ  
أَعَذَرُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَهُمْ. عَلَى أَنْ فَرَاغَهُمْ لَوْصِفَ مَا بَدَأَ لَهُمْ هُجْنَةً بِهِمْ، وَدَلَالَةً  
عَلَى ضَعْفِ أَحْوَالِهِمْ. وَقَالَ الطَّائِي: وَمَا أَظُنُّ أَنَّهُ اخْتَرَزَ بِهِ مِنْ هَذَا اللَّوْمِ  
الَّذِي يَلْحَقُ غَيْرَهُ، فَالْزَمَ غَيْرَهُ، فَالْزَمَ نَفْسَهُ أَكْثَرَ مَا حَذَرَهُ وَذَلِكَ قَوْلُهُ:

لَسْتُ أَدْرِي أَطَالَ لَيْلِي أَمْ لَا كَيْفَ يَذِرِي بِذَاكَ مَنْ يَتَقَلَّى (١)  
لَوْ تَفَرَّغْتُ فِي اسْتِطَالَةِ لَيْلِي وَلَسَرَعِي النُّجُومَ كُنْتُ مُخْلًا

فَهُوَ وَإِنْ كَانَتْ جَهَالَتُهُ بِحَالِهِ دَالَّةً عَلَى قُوَّةِ اشْتِغَالِهِ، فَإِنَّ عِلْمَهُ بِالْعِلَّةِ  
الَّتِي أَوْجَبَتْ جَهْلَهُ بِهَا ضَرْبٌ مِنَ الْفَلَسَفَةِ الَّتِي لَا يَصْلُحُ أَنْ يَعْلَمَهَا إِلَّا مُتَخَلِّ  
مِنْ هَذِهِ الْحَالَةِ كُلِّهَا. فَفَرَّ مِنْ شَيْءٍ وَوَقَعَ فِي أَعْظَمَ مِنْهُ. أَلَا تَرَى أَنَّ الْبَهَائِمَ  
تَجِدُ أَلَمْ مَا يَنَالُهَا وَتُظْهِرُ التَّأْدِي بِهِ؟ وَلَيْسَ يَعْلَمُ أَنَّ الْإِشْتِغَالَ بِالْأَلَمِ يَمْنَعُ مِنْ  
وَصْفِهِ، إِلَّا أَهْلُ الْفَلَسَفَةِ وَالْحُكَمَاءِ. وَالتَّكَلُّفُ إِذَا دَخَلَ فِي شَيْءٍ نَبَهَ عَلَى  
مَوْضِعِهِ، وَتَرَجَّمَ عَنْ ضَمِيرٍ مُتَحَلِّلِهِ. وَلَسْنَا قَادِرِينَ عَلَى ذِكْرِ حَالٍ تَامَةٍ عَنْ  
أَحَدٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ فِي هَذَا الْبَابِ، لِأَنَّ كُلَّ وَاصِفٍ يَوْصِفُهُ أَذِلُّ الْأَشْيَاءِ عَلَى  
ضَعْفِهِ. فَأَهْلُ الْإِتْمَامِ إِذَنْ سَكَوَتْ عَنِ الْوَصْفِ، مُسْتَعْرِقُونَ فِي غَمَرَاتِهِ،  
مُسْتَعْمِلُونَ بِهِ عَنْ صِفَاتِهِ. وَلَكِنَّا نَذْكُرُ عَنْ أَهْلِ الضَّعْفِ الْمُسْتَطِيعِينَ لِتَرْتِيبِ  
أَحْسَنَ مَا يَحْضُرُنَا مِنْ أَقَاوِيلِهِمْ وَمَا زَادُوا فِيهِ عَلَى أَمْثَالِهِمْ وَنُظَرَائِهِمْ.

(١) لم أجد البيت في ديوان أبي تمام.

قال النابغة الذبياني:

كَلِّبْنِي لَهُمْ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ  
وَصَبِيرٍ أَرَاخَ اللَّيْلِ غَارِبَ هَمِّهِ  
تَقَاعَسَ حَتَّى قُلْتُ لَيْسَ بِمُنْقَضٍ  
وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءُ الْكَوَاكِبِ  
يُضَاعِفُ فِيهِ الْحَزْنَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (٢)  
وَلَيْسَ الَّذِي يَرَعَى النُّجُومَ بِأَيِّبِ

وقال عبيد الراعي:

كَأَنَّ بِلَادَهُنَّ سَمَاءَ لَيْلٍ  
مَلَلْتُ بِهَا الشَّوَاءَ وَأَرَقْتُنِي  
أَبَيْتُ بِهَا أُرَاعِي كُلَّ نَجْمٍ  
تَكْشَفُ عَنْ كَوَاكِبِهَا الْغُيُومُ  
هُمُومٌ مَا تَنَامُ وَلَا تُنِيمُ  
وَشَرُّ رِعَايَةِ الْعَيْنِ النُّجُومُ (٣)

وقال سويد بن أبي كاهل:

وَأَبَيْتُ اللَّيْلَ مَا أَرْقَدُهُ  
فَإِذَا مَا قُلْتُ لَيْلِي قَدْ مَضَى  
يَسْحَبُ اللَّيْلُ نُجُومًا ظُلَعًا  
وَبِعَيْنَيَّ إِذَا النُّجُومُ طَلَعُ  
عَطَفَ الْأَوَّلُ مِنْهُ فَرَجَعَ  
فَتَوَالِيهَا بِطِيشَاتٍ أَلْتَبَعَ

وقال جرير:

أَتَى دُونَ هَذَا الْيَوْمِ هَمٌّ فَاسْهَرَا  
أَقُولُ لَهَا مِنْ أَجْلِهِ لَيْسَ طَوْلُهَا  
أُرَاعِي نُجُومًا تَالِيَاتٍ وَغُورًا  
كَطُولِ اللَّيَالِي لَيْتَ صُبْحُكَ نَوْرًا (٤)

وقال أبو تمام:

أَفْنَى وَلَيْلِي لَيْسَ يَفْنَى آخِرُهُ  
نَامَتْ عُيُونُ الشَّامِتِينَ تَيْقُنًا  
هَاتَا مَوَارِدُهُ فَأَيْنَ مَصَادِرُهُ  
لَا شَيْءَ ضَائِرٌ عَاشِقِي فَإِذَا نَأَى  
أَنْ لَيْسَ يَهْجَعُ وَالْهُمُومُ تُسَامِرُهُ  
عَنْهُ الْحَبِيبُ فَكُلُّ شَيْءٍ ضَائِرُهُ (٥)

(٢) في «م» والمطبوع: غارب، والأبيات في الديوان ص ٩.

(٣) لم أجد الأبيات في ديوان الراعي.

(٤) البيتان في الديوان ص ٤٦٩ مع اختلاف في الرواية.

(٥) الديوان ٢/٢١٠.



وقال كثير:

وَلِي مِنْكَ أَيَّامٌ إِذَا تَشَحَّطُ النَّوَى طَوَالَ وَلَيَّاتٍ تَزُولُ نُجُومُهَا  
إِذَا سُمْتُ نَفْسِي هَجَرَهَا وَاجْتَنَبَهَا رَأَتْ غَمَرَاتِ الْمَوْتِ فِيمَا أَسُومُهَا<sup>(٦)</sup>

وَذَكُّرُوا أَنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحَجَّهِ لَمَّا طَعِنَ فِي بَرِّيَّةٍ حَلَبَ قَالَ لِغُلَامِهِ فِي أَوَّلِ  
الَّيْلِ: أَطْلَعَ النُّجُومَ أَمْ لَا؟ فَقَالَ لَهُ غُلَامُهُ: هَذَا بَعْدَ وَقْتُ الْعِشَاءِ.  
فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

هَلْ زِيدَ فِي اللَّيْلِ لَيْلٌ أَمْ سَالَ بِالصُّبْحِ سَيْلٌ  
ذَكَرْتُ أَهْلَ دُجَيْلٍ وَأَيْنَ مِنِّي دُجَيْلٌ<sup>(٧)</sup>  
ثُمَّ مَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ.

وقال البحري:

مَعَانِي سُلَيْمَى بِالْعَقِيقِ وَدَوْرُهَا أَجَدُ الشَّجَى إِخْلَاقُهَا وَدَثُورُهَا<sup>(٨)</sup>  
وَأَلْحَقَنِي بِالشَّيْبِ فِي عُقْرِ دَارِهِ مَنَاقِلُ فِي عَرْضِ الشَّبَابِ أَسِيرُهَا  
مَضَتْ فِي سَوَادِ الرَّأْسِ أَوْلَى بَطَالَتِي فَدَعْنِي بِصَاحِبِ وَخَطِّ رَأْسِي أَخِيرُهَا  
وَأَطْرَيْتُ لِي بَعْدَازِ إِطْرَاءِ مَا دَحِ وَهَذِي لِيَالِيهَا فَكَيْفَ شُهُورُهَا<sup>(٩)</sup>

وقال أيضاً:

أَنْبِيَاكَ عَنْ عَيْنِي وَطُولِ سُهَادِهَا وَوَحْدَةِ نَفْسِي بِالْأَسَى وَأَنْفِرَادِهَا  
وَأَنْتِ أَلْتَنِي وَكُلْتَنِي بِاعْتِيَادِهَا وَأَنْتِ أَلْتَنِي وَكُلْتَنِي بِاعْتِيَادِهَا  
تَوَلَّتْ وَلَمْ أَذُمَّمْ حَمِيدَ وَدَادِهَا خَلِيلِي إِنْ نِي ذَاكِرٌ عَهْدَ خُلَّةٍ

(٦) لم أجد البيتين في الديوان.

(٧) لم أجدهما في ديوان علي بن الجهم.

(٨) في «م» والمطبوع: ودونها.

(٩) الديوان ص ٩٩٨.

فَوَا عَجَبًا مَا كَانَ أَقْصَرَ دَهْرَهَا لَدَيْ وَأَذْنَى قُرْبَهَا مِنْ بَعَادِهَا  
وَكُنْتُ أَرَى أَنَّ الرَّدَى قَبْلَ بَيْنِهَا وَأَنَّ أَفْتِقَادَ الْعَيْشِ قَبْلَ أَفْتِقَادِهَا  
بِنَفْسِي مِنْ عَادَتِ مِنْ أَجْلِ فَقْدِهِ بِلَادِي وَلَوْلَا فَقْدُهُ لَمْ أُعَادِهَا<sup>(١٠)</sup>

وقال أبو تمام:

رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ أَنَّ الصُّلْحَ قَدْ فَسَدَا وَأَنَّ مَوْلَايَ بَعْدَ الْقُرْبِ قَدْ بَعَدَا  
لِمَ لَمْ أَمُتْ جَزَعًا لِمَ لَمْ أَمُتْ أَسْفَا لِمَ لَمْ أَمُتْ حَزَنًا لِمَ لَمْ أَمُتْ كَمَدَا  
قَدْ كِدْتُ أَحْلِفُ لَوْلَا أَنَّهُ سَرَفَ أَنْ لَا أَذُوقَ رُقَادًا بَعْدَهُ أَبَدًا<sup>(١١)</sup>

فَهَذَا قَدْ زَادَنَا رُتْبَةً عَلَى مَا عَنَى، لِأَنَّهُ لَمْ يَدَعْ النَّوْمَ شَوْقًا إِلَى مَنْ يَهْوَاهُ:  
ثُمَّ رَأَى فِي النَّوْمِ مَا قَدْ وَصَفَ، وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّ تَرْكَهَ إِيَّاهُ مَعَ ذَلِكَ سَرَفَ.  
وَلَوْ جَعَلَ امْتِنَاعُهُ مِنْ تَرْكِ النَّوْمِ شَوْقًا إِلَى رُؤْيَةِ الطَّيْفِ فَقَالَ:

قَدْ كِدْتُ أَحْلِفُ لَوْلَا الطَّيْفُ مُجْتَهِدًا أَلَّا أَذُوقَ رُقَادًا بَعْدَهُ أَبَدًا<sup>(١٢)</sup>  
كَانَ أَعْدَرَ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَإِنْ دَخَلَ ذَلِكَ ضُرُوبٌ مِنَ الْإِخْتِلَالِ.  
مِنْهَا: أَنَّهُ نَامَ أَوَّلًا حَتَّى رَأَى مَا رَأَى، وَمِنْهَا أَنَّهُ لَمْ يَتَهَيَّأْ لَهُ تَرْكُ النَّوْمِ إِلَّا بِيَمِينٍ  
عَلَى نَفْسِهِ، وَمِنْهَا أَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ لَمْ يَحْلِفْ أَيْضًا وَإِنَّمَا أَرْجَفَ بِالْيَمِينِ.

وقال أيضاً:

لَا نِمْتُ عَيْنًا وَلَا لُقَيْتَ عَافِيَةً وَكَانَ حَظُّكَ بَعْدَ اللَّيْلَةِ الْأَرْقَا  
أَنْمَتَ لَا نِمْتُ فِي خَيْرٍ وَلَا دَعَا حَتَّى أَتَى أَجَلَ الْمِيعَادِ فَانْطَلَقَا<sup>(١٣)</sup>  
فَهَذَا عَافَانَا اللَّهُ وَإِيَّاهُ - أَلَوْمْ فِي هَذَا النَّوْمِ مِنْ كُلِّ مَا لَمَنَاهُ، لِأَنَّ

(١٠) الأبيات في المصدر السابق ص ٧١٤.

(١١) الديوان ١٨٧/٤.

(١٢) البيت غير مستقيم، في الأصل، وهو محشور مع النثر في «م» والمطبوع.

(١٣) لم أجدهما في الديوان.

الإنسان يُشغل قلبه بِمَجِيءِ خَادِمِهِ مِنْ حَاجَةٍ لَا قَدَرَ لَهَا فِي قَلْبِهِ فَيُشِغِلُهُ ذَلِكَ عَنْ نَوْمِهِ. فَكَيْفَ لِمَنْ يَبْعُدُهُ مَنْ يَهْوَاهُ بِزِيَارَةٍ فَيَنَامَ عَنْ مَوْعِدِهِ.

وقال البحرري:

أَنْظُرْ إِلَى نَاطِلٍ قَدْ شَفَّهُ السَّهْدُ وَأَعْطَفَ عَلَى مُهْجَةٍ أَوْدَى بِهَا الْكَمَدُ  
لَا دُقْتُ مَا ذَاقَهُ مَنْ أَنْتَ مَالِكُهُ وَلَا وَجَدْتُ بِهِ مِثْلَ الَّذِي يَجِدُ  
أَخْفَى هَوَاكَ فَنَمَّتْهُ مَدَامِعُهُ وَالْعَيْنُ تُعْرِبُ عَمَّا ضَمَّتِ الْكَيْدُ  
فَإِنْ جَحَدْتَ الَّذِي قَاسَاهُ بَيْنَهُمَا فَشَاهِدَاهُ عَلَيْكَ الْخُدَّ وَالْجَسَدُ<sup>(١٤)</sup>

وأشندني محمد بن الخطاب الكلابي لنفسه<sup>(١٥)</sup>:

أَرِقْتُ وَخَالَفْتُ لَيْنَ الْوَسَادِ وَلَمْ يَسْعَدْ وَلَدْتُ بِالْمِهَادِ  
وَبَاتْتُ وَالسُّرُورُ لَهَا ضَجِيعُ تَجَنَّبَهَا مُجَانِبَةُ الرُّقَادِ  
وَبِتُّ وَمُرْهَقَاتُ الشُّوقِ تَفْرِي بِهَا [عُنُقُ] الْكَرَى يَدُ الشَّهَادِ  
فَكَمْ تَرُوي بِأَدْمُعِنَا خُدُودًا لَنَا جَرَجَى وَأَنْفُسَنَا صَوَادِ

وقال آخر:

تَطَاوَلَ أَيَّامِي وَلِلَّيْلِ أَطْوَلُ وَلَامَ عَلَى حُبِّي أُمِيمَةً عُدْلُ  
يَلُومُونَ صَبًّا أَضْرَعَ الْحُبُّ جِسْمَهُ وَمَا ضَرَّهُمْ لَوْ لَمْ يَلُومُوا وَأَجْمَلُوا

وقال آخر:

قَدْ كَانَ يَكْفِيكَ مَا بِالْجِسْمِ مِنْ سَقَمٍ لَمْ زِدْتَنِي سَهْرًا لَا مَسَكَ السَّهْرِ  
عَيْنٌ مُورَقَةٌ وَالْجِسْمُ مُخْتَبِلُ وَالْقَلْبُ بَيْنَهُمَا تَخْلُو بِهِ الْفِكْرُ  
يَا حَارِمِي لَذَّةَ الدُّنْيَا وَبَهْجَتَهَا قَدْ كَانَ يُقْنِعُنِي مِنْ وَجْهِكَ النَّظَرُ

(١٤) لم أجد الأبيات في الديوان.

(١٥) لم أهد إلى ترجمته.

ولبعض أهل هذا العصر:

يَا مَا نِعْمًا مُقْلَتِي مِنْ لَذَّةِ الْوَسَنِ رُوحِي تَقِيكَ مِنَ الْأَسْوَاءِ وَالْحَزَنِ  
وَاللَّهِ لَا سَكَنْتُ رُوحِي إِلَى سَكَنِ إِلَّا إِلَيْكَ وَلَا حَسْتُ إِلَى وَطَنِ  
وَلَنْ أَقُولَ وَلَوْ أَضْنَى أَلْهَوَى كَيْدِي رَدًّا لِقَوْلِكَ لِي قَدْ حُنْتُ لَمْ أَخْنِ  
مِنْنِي غَرِيبًا [الْأَمَ] النَّيِّمَ فِيكَ [أ] لَمْ أَكُنْ حَقِيقًا بِأَنْ أُعْذَى عَلَى الزَّمَنِ  
فَلَا تَدْعُ رَعْيِي مَا قَدْ كُنْتُ تَعْلَمُهُ مِثِّي يَقِينًا وَتَهْجُرُنِي عَلَى الظَّنِّ  
فَلَمْ تَزَلْ مُدَّ عَرَفْتُ الْحُبِّ فِي كَيْدِي أَحَبَّ وَاللَّهِ مِنْ رُوحِي إِلَى بَدْنِي

وَتَوَهُمُ هَوْلَاءُ بِمَنْعِ أَحِبَّتِهِمْ إِيَّاهُمْ النَّوْمُ وَإِنْ كَانَ مُسْقِطًا عَنْهُمْ لَأَيْمَةً  
النُّوَامِ، فَإِنَّهُ مُوجِبٌ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا مِنَ الْمَلَامِ. لِأَنَّ فِي الْحَالِ يَرَوْنَ سَهْرَهُمْ  
بِالْفِكْرِ فِي أَحِبَّتِهِمْ نِعْمَةً لَا يُعْرِفُ قَدْرَهَا، فَضَلًا عَنْ أَنْ يُؤْدَى شُكْرُهَا.

ولقد أحسن الذي يقول:

يَا نَسِيمَ الرُّوضِ فِي السَّحْرِ وَشَيْبَةَ الشُّمُسِ وَالْقَمَرِ  
إِنْ مَنْ أَسْهَرْتَ لَيْلَتَهُ لَقَرِيرُ الْعَيْنِ بِالسَّهْرِ

عَلَى أَنَّهُ غَيْرُ مَأْمُونٍ عَلَى صَاحِبِ هَذَا الشَّعْرِ أَنْ يَكُونَ السَّهْرُ الَّذِي  
مَدَحَهُ هُوَ السَّهْرُ مَعَ إِلْفِهِ، لَا السَّهْرُ بِالْفِكْرِ فِي أَمْرِهِ وَمِنْ أَتْلَغَ مَا قِيلَ فِي  
طُولِ اللَّيْلِ، قول خالد الكاتب<sup>(١٦)</sup>:

رَقَدْتُ فَلَمْ تَزُرْ لِسَاهِرٍ وَلَيْلُ الْمُجِيبِ بِلَا آخِرِ  
وَلَمْ تَذُرْ بَعْدَ ذَهَابِ الرُّقَا دِ مَا صَنَعَ الدَّمْعُ بِالنَّاطِلِ

ولقد أكثر الناس في اسْتِطَالَةِ اللَّيْلِ وَأَصَحُّ مَا قِيلَ فِيهِ مَعْنَى قَوْلِ بشار:

لَمْ يَطُلْ لَيْلِي وَلَكِنْ لَمْ أَنْمَ وَنَفَى عَنِّي الْكَرَى طَيْفُ أَلَمِ  
وَإِذَا قُلْتُ لَهَا جُودِي لَنَا خَرَجَتْ بِالصَّمْتِ عَنْ لَا وَنَعَمْ<sup>(١٧)</sup>

(١٦) انظر ترجمته في طبقات ابن المعتز (إقبال) ص ص ١٩٢ - ١٩٣.

(١٧) ديوان بشار ١٨٧/٤.

وأنشدني أبو الفضل بن أبي طاهر قال أنشدني أبو دعامة علي بن زيد  
لخليل بن هشام<sup>(١٨)</sup>:

يَقُولُونَ طَالَ اللَّيْلُ وَاللَّيْلُ لَمْ يَطُلْ وَلَكِنَّ مَنْ يَهْوَى مِنَ آلِهَمَّ يَسْهَرُ  
وَكَمْ لَيْلَةٍ طَالَتْ عَلَيَّ بِهِجْرِكُمْ وَأُخْرَى تَلِيهَا نَلْتَقِي فِيهِ تَقْصُرُ  
وَلَا أَعْلَمُ أَحَدًا اسْتَطَالَ اللَّيْلَ مِمَّنْ خَبَرَ بِعِلَّةِ اسْتِطَالَتِهِ، وَلَا مِمَّنْ  
لَمْ يُخَيِّرْهَا شَرَحَ السَّبَبَ الْمَضْجَرَ مِنَ اللَّيْلِ مَا هُوَ غَيْرُ.

الطرماع حيث يقول:

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَصْبَحَ بِصُبحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ فِيهَا بِأَرْوَحِ  
عَلَى أَنْ لِلْعَيْنَيْنِ فِي الصُّبْحِ رَاحَةً بِطَرْحِهِمَا طَرْفَيْهِمَا كُلُّ مَطْرَحٍ<sup>(١٩)</sup>  
وهذا قول امرئ القيس:

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجِلِي بِصُبحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ فِيكَ بِأَمْثَلِ<sup>(٢٠)</sup>  
إِلَّا أَنْ أَمْرًا أَلْقَيْسٍ لَمْ يَقُلْ لِمَ صَارَ النَّهَارُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَمْثَلُ مِنَ اللَّيْلِ  
وَالْقُلُوبُ إِلَيْهِ أَمِيلُ مِنْهَا إِلَى اللَّيْلِ، كَمَا بَيَّنَّهَ الطَّرْمَاحُ وَمَنْ سَرَقَ مَعْنَى فَرَادَ فِيهِ  
أَحْتِمِلُ لَهُ جُرْمَ سِرْقَتِهِ، لِمَوْضِعِ زِيَادَتِهِ. وَمَنْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي تَرْكِ النَّوْمِ  
قول مسلم بن الوليد<sup>(٢١)</sup>:

لَمَّا أَلْتَقَيْنَا أَفْتَرَعْنَا فِي تَعَاتِبِنَا مِنْ الْحَدِيثِ وَمِنْ لَذَاتِهِ الْعُذْرَا  
قَالَتْ أَأَفَرَرْتَ بِالْإِجْرَامِ قُلْتُ نَعَمْ إِنْ كَانَ جُرْمٌ عَلَى الْإِفْرَارِ مُغْتَفَرَا  
لَمْ تَغْمِضِ الْعَيْنُ مَذَّ عُلِقَتْ حُبْكُمُ إِلَّا إِذَا خَالَسْتَهَا عَيْنُكَ النَّظْرَا<sup>(٢٢)</sup>

(١٨) لم أهد إلى «أبي دعامة» هذا، ولم أهد كذلك إلى خليل بن هشام.

(١٩) البيتان في الديوان ص ص ٩٦ - ٩٧، وانظر التخرج.

(٢٠) البيت مشهور في لاميته (قفا نبك) ص ١٥٢ من الديوان.

(٢١) مسلم بن الوليد شاعر عباسي، كان مداحاً وجل مدائحه في يزيد بن يزيد.

لقب بـ «صريع الغواني»، الشعر والشعراء ص ص ٥٢٨ - ٥٣٥.

(٢٢) الأبيات في الديوان ص ١٣، مع اختلاف في الرواية.

ولقد أحسن بشار بن برد حيث يقول:

كَأَنَّ جُفُونَهُ سُمِلَتْ بِشَوْكِ فَلَيْسَ لِنَوْمِهِ فِيهَا قَرَارُ  
جَفْتُ عَيْنِي عَنِ التَّغْيِيزِ حَتَّى كَأَنَّ جُفُونَهَا عَنْهَا قِصَارُ  
أَقُولُ وَلَيْلَتِي تَزْدَادُ طُولًا أَمَا لِلَّيْلِ بَعْدَهُمْ نَهَارُ<sup>(٢٣)</sup>  
وقال آخر:

وَعَيْنَ لَنَا مِنْ ذِكْرِ صَعْبَةٍ وَاكْفِ إِذَا غَاضَهَا كَانَتْ سَرِيعًا جُمُومَهَا  
تَنَامُ قَرِيرَاتُ الْعُيُونِ وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ جَجَائِيهَا قَذَى لَا يَرِيْمُهَا  
وقال آخر:

لَعَلَّ جُفُونًا فَرَّقَ الْبَيْنَ بَيْنَهَا [وَبَيْنَ الْكَرَى تَحْطِي] بِطَعْمِ رُقَادِ  
وَيُخَسِّرُ دَمْعُ مَا يَزَالُ كَأَنَّهُ عَلَى الْخَدِّ مُنْهَلًا تَدَافُعُ وَادِ  
كَأَنَّ السَّوَارِي وَالْغَوَادِي تَكَلَّفَتْ لَهُ بِسَوَارِي أَدْمُعٍ وَغَوَادِي  
وقال آخر:

إِذَا زُرَيْتَ بِالْدَّرِّ يَوْمًا فَإِنَّهَا تَزَيْنُهُ وَالْدَّرُّ لَيْسَ يَزِينُهَا  
أَبَيْتُ طَوَالَ الدَّهْرِ أَبْكِي لِذِكْرِهَا بِعَيْنِ مُحِبٍّ مَا تَلَاقَى جُفُونُهَا  
وَأَقْطَعُ أَيَّامِي بِهِمْ وَفِكْرَةً أَعْلَلُ نَفْسًا قَدْ بَرَانِي حَيْنُهَا  
وَأَحْفَظُهَا فِي الْغَيْبِ حَتَّى كَأَنِّي حَلَفْتُ لَهَا بِاللَّهِ أَنْ لَا أَخُونَهَا

وقال جرير:

أَلَا حَيَّ الدِّيَارِ بِسُغْدِ إِيَّيْ أَحِبُّ لِحَبِّ فَاطِمَةَ الدِّيَارَا  
أَرَادَ الظَّاعِنُونَ لِيُحَرِّزُونِي فَهَاجُوا صَدْعَ قَلْبِي فَاسْتَطَارَا  
أَبَيْتُ اللَّيْلَ أَرْقُبُ كُلَّ نَجْمٍ تَعَرَّضَ حَيْثُ أَنْجَدَ أَوْ أَعَارَا  
يَهِيمُ فَوَادُهُ وَالْعَيْنُ تَلْقَى مِنْ الْعَبْرَاتِ جَوْلًا وَأَنْجَدَارَا<sup>(٢٤)</sup>

(٢٣) الأبيات في الديوان ص ٢٤٩/٣.

(٢٤) الديوان ص ٨٨٦ مع اختلاف في الرواية.

وقال أيضاً:

نَامَ الْخَلِيٌّ وَمَا رَقَدْتُ لِجُحُكُم  
وَإِذَا رَجَوْتُ بِأَنْ تُقَرِّبَكَ الْنَوَى

وقال الراعي:

كَفَانِي مَقَاسَةَ الْكَرَى وَكَفَيْتُهُ  
فَبَاتَ يُرِيهِ عِرْسَهُ وَبَنَاتِهِ

وقال امرؤ القيس:

أَعْنِي عَلَى الْأَشْجَانِ وَالذِّكْرَاتِ  
ظَلَلْتُ رِدَائِي فَوْقَ رَأْسِي قَاعِدًا  
بِلَيْلِ النَّسَامِ أَوْ وَصِلَنْ بِمِثْلِهِ  
وَأُنَشِدُنِي أَعْرَابِيَةَ بِالْبَادِيَةِ:

أَرَقْتُ وَطَالَتْ لَيْلَتِي بِأَبَانٍ  
فَيَا عَمَّ عَمَّ أَلْسُوهُ فَرَّقْتُ بَيْنَنَا  
لِيَرْقِي سَرَى بَعْدَ الْهُدُوءِ يَمَانِي  
وَنَحْنُ جَمِيعًا شَمَلْنَا مُتَدَانِي

وقال محمد بن عبد الملك الزيات (٢٨):

كَتَبْتُ عَلَى فَصٍّ لِحَاتِمِهَا  
فَكَتَبْتُ فِي فَصِّي لِيَبْلُغَهَا  
قَالَتْ يُعَارِضُنِي بِخَاتِمِهِ  
وَاللَّهِ لَا كَلَمَتُهُ أَبَدًا

وقال آخر:

وَلِي مُقَلَّةٌ عَهْدُهَا بِالنَّمَامِ  
يَحَارُ إِذَا زَادَ طَرْفِي النَّمَامُ  
بَعِيدٌ وَبِالدَّمْعِ عَهْدُ قَرِيبٍ  
كَمَا حَارَ فِي الْخَيِّ ضَيْفُ غَرِيبٍ

(٢٥) المصدر السابق ص ٣٣٨.

(٢٦) الديوان ص ١٨٦.

(٢٧) ديوان امرؤ القيس ص ٧٣.

(٢٨) تقدمت ترجمته.

## الباب الحادي والأربعون:

مَنْ غَلِبَ عَزَاهُ كَثُرَ بُكَاءُهُ

أَمَّا أَهْلُ هَذَا الْبَابِ فَقَدْ أَنْفَرُوا بِأَمْرِ لَهُمْ بَعْضُ الْعُذْرِ. عَلَى أَنَّ ذَلِكَ  
الْأَمْرَ الَّذِي يَعُذُّهُمْ هُوَ بَعِيْثُهُ يَدُلُّ عَلَى نَقِصَتِهِمْ. فَأَمَّا جِهَتُهُ الْمَحْمُودَةُ فِيهِ  
وَصِفَةُ الْحَالِ بِالدَّمْعِ لَا يُمَكِّنُ فِيهَا مِنَ التَّصَنُّعِ مَا يُمَكِّنُ فِي الصِّفَاتِ  
بِالْأَلْسِنِ. وَأَمَّا جِهَتُهُ الْمَذْمُومَةُ وَهِيَ أَنَّ آمِتِنَاعَ الدَّمْعِ مِنَ الْجَرَيَانِ أَوَّلَ عَلَى  
تَظَاهِرِ أَلَمِ الْأَشْجَانِ، لِغَلَّةِ سَنَدُكُوهَا فِي الْبَابِ الثَّانِي. وَلَا نَأَلُو - إِنْ شَاءَ  
اللَّهُ - أَنْ نَذْكُرَ مِنْ هَذَا الْبَابِ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِيهِ عَلَى النِّقْصِ الَّذِي يَلْحَقُ  
قَائِلِيهِ. ثُمَّ نَذْكُرُ الْحَالَ الْتَامَةَ فِي الْبَابِ الَّذِي يَلِيهِ.

أنشدني أبو عبادة البحراني لنفسه:

لَعَمْرُ الرَّسُومِ الدِّرَاسَاتِ لَقَدْ جَرَتْ  
بِرِيًّا سَعَادٍ وَهِيَ طَيِّبَةُ الْعَرْفِ  
بَكَيْنًا فَمِنْ دَمْعٍ يُمَارِجُهُ دَمٌّ  
هُنَاكَ وَمِنْ دَمْعٍ نَجُودٌ بِهِ صَرْفُ<sup>(١)</sup>

وقال أبو تمام الطائي:

لَا عُذْرَ لِلصَّبِّ أَنْ يُفْنِيَ الْحَيَاءَ وَلَا  
حَتَّى يَظْلَ بِمَاءٍ سَافِحٍ وَدَمٍ  
لِلدَّمْعِ بَعْدَ مُضِيِّ الْخَيِّ أَنْ يَفْعَا  
فِي الرَّبْعِ يُحَسِّبُ مِنْ عَيْنِيهِ قَدَرَعِفًا<sup>(٢)</sup>

وقال آخر:

وَبِتُّ مِنَ الْأَحْزَانِ قَدْ أَسْفَرَ الْضَحَى  
مَزَجْتُ دَمًا بِالدَّمْعِ حَتَّى كَأَنَّمَا  
وَفِي كَبِدِي مِنْ جَمْرِهِنَّ حَرِيقُ  
يُذَابُ بِعَيْنِي لَوْلُو وَعِيقُ

(١) الديوان ص ١٤٠٧.

(٢) الديوان ٣٥٩/٢، وفي «م» والمطبوع: يَظْلُ.

وقال أحمد بن أبي طاهر:

دُمُوعٌ فَيُضْهُنَّ مَعَ الدِّمَاءِ  
أُرِيحُ إِلَى الدُّمُوعِ أَلَوْجِدَ مِنِّي  
مَلَأَمَكَ لَيْسَ مِنْ عَيْنِكَ دَمْعِي

وقال آخر:

فَمَا زَالَ يَشْكُو الْحُبَّ حَتَّى كَانَمَا  
وَيَبْكِي فَأَبْكِي رَحْمَةً لِبُكَائِهِ

وقال آخر:

وَقَفْنَا وَثَالِثْنَا عِبْرَةً  
وَوَلَّى يَخُوضُ دُمُوعاً جَرِيْبَ  
وَيَسْتَوْدِعُ اللَّهَ مَا فِي يَدَيَّ

وقال آخر:

يَقُولُ وَقَدْ أَبْكَى الْبُكَاءُ بِمُقْلَتِي  
فَقُلْتُ رَأَيْتُ الْكُحْلَ يَشْغُلُ قَدْرَهُ

وقال آخر:

مُحِبٌّ بَكَتْ عَيْنَاهُ مِنْ حُبِّ قَاتِلِ  
خَلِيلٍ جَفَانِي كَانَ رُوحِي لِرُوحِهِ

وقال آخر:

وَمَا شَتَا حَرْقَاءَ وَاهِيَتَا الْكُلَى  
بِأَضْيَعٍ مِنْ عَيْنِكَ لِلْمَاءِ كُلَّمَا

كَمَا وَرَدَتْ حَاشِيَةَ الرِّدَاءِ  
إِذَا مَا عَزَّنِي حُسْنُ الْعَزَاءِ  
وَلَا بِحَشَاكَ أَسْقَامِي وَدَائِي

تَنْفَسُ مِنْ أَحْشَائِهِ أَوْ تَكَلَّمَا  
إِذَا مَا بَكَى دَمْعاً بَكَتْ لَهُ دَمَا

فَيَشْكُو إِلَيَّ وَأَشْكُو إِلَيْهِ  
نَ مِنْ مُقْلَتِي وَمِنْ مُقْلَتِيهِ  
وَأَسْتَوْدِعُ اللَّهَ مَا فِي يَدِيهِ

نُدُوباً أَلَا دَاوَيْتَ عَيْنِيكَ بِالْكُحْلِ  
مِنْ الْعَيْنِ قَدْرًا لَمْ يَكُنْ عَنْكَ فِي شُغْلٍ

فَيَا قَاتِلًا يَبْكِي عَلَيْهِ قَتِيلُ  
خَلِيلًا وَهَلْ يَجْفُو الْخَلِيلَ خَلِيلُ

سَقَى بِهَا سَاقٍ وَلَمْ يَتَبَلَّلَا  
تَوَسَّمتْ بَرْقاً أَوْ تَوَهَّمتْ مَنْزِلَا

وقال أبو حية النميري<sup>(٣)</sup>:

لَعَيْنِيكَ يَوْمَ الْبَيِّنِ أَسْرَعُ وَاكْفَاً  
إِذَا قُلْتَ يَفْنَى مَاؤُهَا الْيَوْمَ أَصْبَحَتْ

وقال جران العود<sup>(٤)</sup>:

أَبَيْتُ كَأَنَّ الْعَيْنَ أَفْنَانُ سِدْرَةٍ  
أَرَأَيْتَ لَمَحاً مِنْ سُهَيْلٍ كَأَنَّهُ  
إِذَا مَا بَدَا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ تَنْطَفُ  
إِذَا مَا بَدَا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ يَطْرِفُ<sup>(٥)</sup>

وقال ابن هرمة<sup>(٦)</sup>:

إِسْتَبَقِي دَمْعَكَ لَا يُودِي الْبُكَاءُ بِهِ  
لَيْسَ الشُّوْنُ وَإِنْ جَادَتْ بِبَاقِيَةٍ  
وَأَكْفَفَ بَوَادِرَ مِنْ عَيْنِكَ تَسْتَبِقُ  
وَلَا الْجُفُونُ عَلَى هَذَا وَلَا الْحَدَقُ<sup>(٧)</sup>

وقال آخر:

وَمِمَّا شَجَانِي أَنَّهَا يَوْمَ وَدَّعْتُ  
فَلَمَّا أَعَادَتْ مِنْ بَعِيدٍ بِنَظَرَةٍ  
تَوَلَّتْ وَمَاءُ الْعَيْنِ فِي الْجَفْنِ حَائِزُ  
إِلَيَّ الْتِفَاتًا أَسْلَمْتُهُ الْمَحَاجِرُ<sup>(٨)</sup>

وقال ابن ميادة:

أَلَا مَنْ لِعَيْنٍ لَا تَرَى صَائِباً وَلَا  
بِمَاءٍ لَوْ أَنَّ الْمُرْنَ جَادَتْ بِمِثْلِهِ  
[تَرَى] وَادِي الطَّرْفَاءِ إِلَّا أَسْتَهْلَتْ  
رَضِيْنَا بِمَا جَادَتْ بِهِ حِينَ وَلَّتْ

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) البيتان في الديوان ص ص ٥٢ - ٥٣ مع اختلاف في الرواية.

(٦) قال ابن قتيبة: إبراهيم بن هرمة من ساقاة الشعراء ص ص ٤٧٣ - ٤٧٤.

(٧) لم أجد البيت في «مجموع شعره».

(٨) البيتان في ديوان المجنون ص ١٢٣، وهما في محاضرات الأدباء ٢٧/٢، شرح المروزقي

ص ١٢٣٤.

وَلِلْعَيْنِ فَيْضَاتٌ إِذَا مَا ذَكَرْتُهَا  
وَلِلْصُّدْرِ بَلْبَالٌ إِذَا الْعَيْنُ كَلَّتْ (٩)

وقال الطائي :

لَوْ قِيلَ سَلْ تُعْطِ الْمَنَى أَنْ لَوْ دَرَى  
مَطَرٌ مِنَ الْعَبْرَاتِ خَدَيِ أَرْضُهُ  
وقال ابن قوتا (١١) :

سَيِّدِي أَنْتَ لَمْ أَقُلْ سَيِّدِي أَنْتَ  
كَيْدَ رَطْبَةٍ تَذُوبُ مِنَ الْوَجْدِ  
وقال آخر :

نَظَرْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ زُجَاجَةٍ  
فَعَيْنَايَ طَوْرًا تَغْرَقَانِ مِنَ الْبُكََا  
وهذا مأخوذ من قول ذي الرمة :

لَعَمْرُكَ إِنِّي جَرَعَاءُ مَالِكٍ  
وَأِنْسَانٌ عَيْنِي يَحْسُرُ الْمَاءُ مَرَّةً  
وقال ابن هرمة :

كَأَنَّ عَيْنِي إِذْ وَلَّتْ حُمُولَهُمْ  
عَنَّا جَنَاحًا حَمَامٍ صَادَفًا مَطَرًا

(٩) الأبيات في «شعر ابن ميادة» ص ٨٧، والبيت الأول نسب إلى بعض الأعراب في هذا الكتاب، والأول والثاني في «تشنيف السمع» ص ٤ نسبا إلى علي بن عميرة الجرمي، وانظر الحماسة الشجرية ٥٥٩/٢.

(١٠) ديوان أبي تمام ١٤٧/١.

(١١) لم أهد إلى ترجمته.

(١٢) ديوان المجنون ص ١٣٥، وهما لأبي حية النميري في سمط اللالي ص ٢٩٥، وهما من غير عزو في أمالي القالي ٢٠٨/١، وشرح المروزقي ص ١٣٧١، وانظر زهر الآداب ٨٨/٤.

(١٣) الديوان ص ٣٩١ مع اختلاف في الرواية.

أَوْ لَوْلُو سَلَسٌ فِي عِقْدٍ جَارِيَةٍ  
خَرَفَاءُ نَازَعَهَا الْوُلْدَانُ فَانْتَشَرَا (١٤)

وقال آخر :

نَكَادُ أُخْرَى دُمُوعِي مِنْ تَسْرُعِهَا  
وَعَاصٍ عَنْهَا كَثِيرًا رَاجِعًا حَذَرًا  
وقال أبو نواس :

يَا قَمَرًا أَبْصَرْتُ فِي مَآثِمٍ  
تَبْكِي فَتُذِرِي الدُّرَّ مِنْ عَيْنِهَا  
وقال أيضاً :

تَقُولُ غَدَاةَ الْبَيْنِ عِنْدَ وَدَاعِهَا  
وَقَدْ سَبَقَتْهَا غَبْرَةٌ فَدُمُوعُهَا  
وقال بعض الأعراب :

عَشِيٍّ وَدَاعٍ فُجِّحَتْ مِنْ عَشِيَّةٍ  
كَأَنَّ أَنْحِدَارَ الدَّمْعِ مِنْهَا تَعْدُهُ  
وقال ابن الدمينية :

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْتَ رَامٍ بِلَادَهَا  
إِذَا آغْرُورَقَتْ عَيْنَايَ قَالَ صَحَابِي  
أَلَا فَاحْمِلَانِي بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا  
إِلَى حَاضِرِ الرُّوحَاءِ ثُمَّ ذَرَانِي (١٧)

(١٤) البيتان في «التشبيهات» ص ٨٠.

(١٥) ديوان أبي نواس ص ٢٤٢.

(١٦) لم أجد في الديوان.

(١٧) الأبيات في الديوان ص ٢٨، ٣١، وهي في ديوان المجنون ص ٢٧٤.

وقال الركاظ الزبيري<sup>(١٨)</sup>:

فَيَا مَنْ لَعِينٍ قَدْ أَضَرَّ بِهَا أَلْبَكَا  
وَقَلْبٍ كَيْسٍ لَا يَزَالُ كَأْتَمَا

وقال البحتري:

دَنْتُ فِدْنَا هِجْرَانَهَا فَإِذَا نَأَتْ  
وَمَا رُبَّمَا بَلَّ كَلَمًا عَنْ ذِكْرَهَا

وقال آخر:

عَرَجَ بِذِي سَلَمٍ فَفِيهِ الْمَنْزِلُ  
سَارَتْ مُقَدَّمَةُ الدُّمُوعِ وَخَلَقَتْ  
إِنَّ الْفِرَاقَ كَمَا عَلِمْتُ فَخَلَنِي  
إِلَّا يَكُنْ صَبْرٌ جَمِيلٌ فَالْهَوَى

ولبعض أهل هذا العصر:

وَلَمَّا وَقَفْنَا لِلْوَدَاعِ وَبَيَّنَّنَا  
تَبَادَرَ دَمْعِي فَأَنْصَرَفْتُ تَهْضُنِي  
فَمَا أَشْبَهَتْ عَيْنَايَ إِلَّا سَحَابَةً  
فَمَا زَالَ زَجَرُ الرُّعْدِ يَحْدُو سَحَابَهَا  
فَلَمَّا أَقْلَعْتُ حَتَّى بَكَتْ فَتَضَاكَكَتْ  
وَهَلْ تَتَلَاوَى ذَاتُ عِقْدٍ جَمَانَهَا  
فَقَالَ رَفِيقِي مَا لِلْوَنُوكِ حَائِلًا  
فَأَغْضَيْتُ عَنْ رَدِّ الْجَوَابِ تَبْلَدًا

(١٨) لم أهتم إلى معرفته.

(١٩) الديوان ص ١٤٩٧.

وقال البحتري:

لَعَمْرُ الْمَغَانِي يَوْمَ صَحْرَاءَ أَرْنَدِ  
مَنَازِلُ أَمَسَتْ لِلرِّيَّاحِ مَنَازِلًا  
شَجَتْ صَاحِبِي أَطْلَالَهَا فَتَهَلَّلَتْ  
وَقَلْتُ لِدَارِ الْمَالِكِيَّةِ عِبْرَةٌ  
سَقَتَهَا الْغَوَادِي حَيْثُ حَلَّتْ دِيَارُهَا  
تَزِيدِينَ هَجْرًا كَلَّمَا آزَدْتُ صَبْوَةً  
لَقَدْ هَيَّجَتْ وَجْدًا عَلَى ذِي تَوَجُّدِ  
تَرَدَّدُ مِنْهَا بَيْنَ نُؤْيٍ وَرَمْدِ  
مَدَامِعُهُ فِيهَا وَمَا قُلْتُ أَسْعِدِ  
مِنَ الشُّوقِ لَمْ تُمَلِّكْ بِصَبْرٍ فَتَرَدَّدِ  
عَلَى أَنَّهَا لَمْ تَشْفِ ذَا الْعُلَّةِ الصَّدِّي  
طِلَابًا لِأَنْ أَرَدَى فَهَا أَنْذَا رَدِ<sup>(٢٠)</sup>

وقال الحسين بن الضحاك:

هَبُونِي أَغْضُ إِذَا مَا بَدَتْ  
فَكَيْفَ أَنْتَصَارِي إِذَا مَا الدُّمُوعُ  
وَأَمْلِكُ طَرْفِي فَلَا أَنْظُرُ  
نَطَقْنَ فُبْحَنَ بِمَا أَضْمِرُ<sup>(٢١)</sup>

وقال آخر:

أَلَا أَيُّهَا الْبَاكُونَ مِنْ أَلَمِ الْهَوَى  
تَعَالَوْا نُدَافِعْ جُهْدَنَا عَنْ قُلُوبِنَا  
أُظْنُكُمْ أَذْرَكْتُمْ بِذُنُوبِ  
فُتُوشِكُ أَنْ تَبْقَى بِغَيْرِ قُلُوبِ

وقال البحتري:

أَعْرَضْتَ حَتَّى خَلْتُ أَنِّي ظَالِمٌ  
سَاعَدْتُ مَا أَلْقَى فَإِنْ كَذَّبْتَنِي  
وَعَتَبْتَ حَتَّى قُلْتُ إِنِّي مُذْنِبٌ  
فَسَلِّي الدُّمُوعَ فَإِنَّهَا لَا تَكْذِبُ<sup>(٢٢)</sup>

وقال آخر:

قَالُوا تَصْنَعُ بِالْبُكَاءِ فَقُلْتُ هَلْ  
وَلَقَدْ أَلْفْتُ الدَّمْعَ حَتَّى رُبَّمَا  
يَبْكِي الشَّجِي لِعَيْرٍ مَا فِي قَلْبِهِ  
جَرَتْ الْجُفُونُ بِهِ وَلَمْ أَعْلَمْ بِهِ

(٢٠) الديوان ص ٧٧١.

(٢١) انظر «أشعار الحسين الخليل» وانظر تخريج البيت.

(٢٢) الديوان ص ص ٧٢ - ٧٣.

وقال آخر:

وَعَاثِبِ الرُّوحِ شَاهِدِ الْبَدَنِ  
يَبْكِي عَلَيْهَا بِهَا مَخَافَةٌ أَنْ  
يَبْكِي بَعْثِينَ قَلِيلَةَ الْوَسَنِ  
تَقَرُّنَهُ وَالظُّلَامَ فِي قَرْنِ

وقال البحرى:

هَلْ أَنْتَ مِنْ حُبِّ لَيْلَى آخِذٌ بِيَدِي  
وَهَلْ دُمُوعُ أَفَاضَ الْحُزْنَ رَيْفَهَا  
قَدْ بَاتَ مُسْتَعْبِرًا مَنْ كَانَ مُضْطَرًّا  
إِنْ أَسْخَطَ الْهَجْرُ لَا أَرْجِعْ إِلَى بَدَلِ  
أَوْ نَاصِرٌ لِي عَلَى التَّعْذِيبِ وَالسَّهْدِ  
تُذْنِي مِنَ الْبُعْدِ أَوْ تَشْفِي مِنَ الْكَمْدِ  
وَعَادَ ذَا جَزَعٍ مَنْ كَانَ ذَا جَلْدِ  
مِنْهُ وَإِنْ أَطْلَبَ السُّلُوكَ لَا أَجِدُ (٢٣)

وقال الأعشى:

وَفَاضَتْ دُمُوعِي فَظَلَّ الشُّوُونُ  
كَمَا أَسْلَمَ السِّلْكُ مِنْ نَظْمِهِ  
إِذَا وَكَيْفًا وَإِذَا أَنْجِدَارًا  
لَأَلِيٍّ مُنْحَدِرَاتٍ صَغَارًا (٢٤)

وقال آخر:

وَلَوْ أَنَّ دَمْعِي لَمْ يَفِضْ لَتَقَطَعْتُ  
وَقَدْ صَرَمْتَنِي إِذْ تَيَقَّنَ قَلْبُهَا  
فَيَا لَيْتَنِي وَاللَّهِ مَتَّ وَلَمْ أَكُنْ  
بَنَاتُ فُؤَادِي حِينَ تَذَكَّرُ مِنْ وَجْدِي  
بِأَنْ لَسْتُ عَنْهَا بِالصَّبُورِ وَلَا الْجَلْدِ  
فَتَحْتُ لَهَا بِالْذَّمْعِ بَابًا مِنَ الصَّدِّ

وقال آخر:

أَعْيَنِي مَا لِي كُلَّمَا بَتَ لَيْلَةٌ  
أَعْيَنِي لَأَمْ أَلَّهُ مَنْ لَأَمْ فِيكُمْ  
أَعْيَنِي صَبْرًا أَعْيَانِي حَلَاوَةً  
أَلَا قَدْ أَرَى وَاللَّهِ أَنْ قَدْ قَذَيْتُمَا  
بَارِضٍ فَضَاءَ كَانَ دَمْعِي قَرَاكُمَا  
مُجِبًّا وَأَذَى مَنْ يُرِيدُ أَذَاكُمَا  
فَقَدْ خِفْتُ مِنْ طَوْلِ الْبَكَاءِ عَمَّاكُمَا  
بِمَنْ لَا يُبَالِي أَنْ يَطُولَ قَذَاكُمَا

(٢٣) لم أجد الأبيات في الديوان.

(٢٤) البيتان في الديوان ص ٤٥ مع اختلاف في الرواية.

أَجِدُكُمْ لَا تَذْكُرَا زَمَنًا مَضَى  
بِصْنَعَاءَ لَا بَلَّ جَنِّبَانِي نِذَاكُمَا

وأنشدني مريم الأسديّة (٢٥):

أَعْيَنِي مِنْ كُحْلِ الطَّيِّبِ نِذَاوِنَا  
فَلَا كُحْلَ بَعْدَ الْيَوْمِ يَشْفِي قَذَاكُمَا  
أَعْيَنِي كُفَا الدَّمْعِ لَا تُشِمَتَا بِنَا  
عَدُوًّا وَلَا يُحْزِنُ صَدِيقًا بُكَاكُمَا

□ □ □

(٢٥) لم أمتد إلى ترجمتها.



## نُحُولُ الْجَسَدِ مِنْ دَلَائِلِ الْكَمَدِ

أما الدلالة على صحة هذا القول من جهة الطب فهي إن الحرارة المتولدة من الحزن تنحاز إلى القلب من سائر أعضاء البدن. ثم تتصاعد إلى الدماغ فتتولد بخارات رديئة فإن طاقتها الطبيعية بالقوة الغريزية أذابت تلك البخارات الرديئة فأجرتها دموعا. وربما أضر كثرة جريانها بالمجاري فأدماها فجرى الدم مجرى الدمع. وهكذا تذيب تلك القوى البخارات المتولدة في الدماغ في كمون الحرارة لما يعرض للرأس من حر وبرد فتجريه من الأنف زكاما فتذهب غائلته. ولو لم تذيبه وتجريه من الأنف صار كيماوسا غليظا ومادة منصبة إلى بعض الأعضاء الرئيسية، فحينئذ تتلف أو تولد علة غليظة فكذاك الدموع إن لم تطبق تدويها القوى الطبيعية، واشتغلت عنها بمدافعة ما هو أخوف على النفس منها، صارت تلك البخارات كيماوسا غليظا فولد أمرا عظيما. وإما أن يستقر في الدماغ فيفسد ما جمع فيبطل الذكر ويفسد الفكر، ويهيج التخيلات المستحيلات. وذلك هو الجنون بعينه. وربما فسدت منه كرة أو كرتين، فيفسد بفسادها ما كان مستقيما بصلاجها. وشرح ذلك يطول وليس من جنس ما ابتدأناه، فيجب علينا أن نشرح منه ما أجملناه. وربما انحدر ذلك الكيماوس عن الدماغ إلى القلب فهتك بعض الحجب أو جميعها، وكان منه حينئذ التلف لا محالة والله أعلم. وربما انحدر إلى الكبد فمنع شهوة الطعام والشراب، فحينئذ يكون نُحُولُ الْجِسْمِ وَضَعْفُ الْقُوَّةِ. ولقد أصاب كل الإصابة على الإصابة حيث يقول:

عَجَائِبُ الْحَبِّ لَا تَفْنَى وَأَوَّلُهَا مِمَّنْ تُحِبُّ بِتَكْذِيبٍ وَإِنْكَارِ  
مَاءِ الْمَدَامِيعِ نَارُ الشُّوقِ تُحْدِرُهُ فَهَلْ سَمِعْتَ بِمَاءٍ فَاضٍ مِنْ نَارِ

لأن هذا هو الذي قدمنا ذكره من أن الحرارة هي المتولدة لتلك البخارات التي يحدث الدمع منها بإذابة الحرارة الغريزية لها. وقد ذكرت الشعراء جملا من أن فيض الدمع أروح من كموه. ولم يدلوا على سبب ذلك، ولا أحسبهم وقفوا عليه. ومن أقربهم وصفا له الذي يقول:

كَمَمْتُ الْهَوَى حَتَّى بَدَا كَتَمَانُهُ وَفَاضَ فَنَمَتْهُ عَلَى الْمَدَامِيعِ  
وَلَوْ لَمْ يَفِضْ دَمْعِي لَعَادَ إِلَى الْحَشَا فَقَطَعَ مَا تُحْنِي عَلَيْهِ الْأَضَالِيعُ

وقال بعض الأعراب:

يَقُولُونَ لَا تُنَزِفْ دُمُوعَكَ بِالْبُكَاءِ فَقُلْتُ وَهَلْ لِلْعَاشِقِينَ دُمُوعُ  
لَئِنْ كَانَ أَبْقَى لِي الشُّوقُ قَطْرَةً لَهْنٌ إِذَنْ مِنْ عَاشِقٍ لَمْضِيعُ  
أَظُنُّ دُمُوعَ الْعَيْنِ تَذْهَبُ بَاطِنًا إِلَى الْقَلْبِ حَتَّى أَنْصَاعَ وَهُوَ صَدِيعُ

وقال عمرو بن زبيبة الرقاشي<sup>(١)</sup>:

تَضِيقُ جُفُونُ الْعَيْنِ عَنْ عِبَارَتِهَا فَتَسْفَحُهَا<sup>(٢)</sup> بَعْدَ التَّجَلُّدِ وَالصَّبْرِ  
وَعُصَّةِ صَدْرِ أَظْهَرَتْهَا فَرَفَهَتْ حَرَارَةُ حُزْنٍ فِي الْجَوَانِحِ وَالصَّدْرِ

وقال آخر:

سَأَبْكِي وَمَا لِي عَبْرَةً مِنْ مُعُولٍ لَدَيْكَ وَمَا لِي غَيْرُ حُبِّكَ مِنْ جُرْمٍ  
لَعَلَّ أَنْسِكَابَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً مِنْ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي الْفُؤَادَ مِنَ السَّقَمِ  
وَعَظْمِي أَنْ لَا يَذْهَبَ الْحُزْنُ بِالْبُكَاءِ عَلَيْكَ وَأَنْ أَرْدَادَ كَلَمًا عَلَى كَلَمٍ

(١) من شعراء الحماسة (التبريزي) ٣/٣٣٧، وهو في «م» والمطبوع: عمرو بن متبعة.

(٢) في «م» والمطبوع: وتفسحها.

وقال ذو الرمة:

فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَجُولَانِ عِبْرَةً  
وَفِي هَمَلَانِ الْعَيْنِ مِنْ غُصَّةِ الْهَوَى

وقال الفرزدق:

أَلَمْ تَرَ أَنِّي يَوْمَ حَرِّ سُوَيْفَةٍ  
خَلِيلٌ دَعَا وَالرَّمْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ  
وَكَانَ جَوَابِي أَنْ بَكَيْتُ صَبَابَةً  
وَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْبُكَاءَ لَرَاخَةٌ

وقال ذو الرمة:

أَمِنْ حَذَرِ الْهَجْرَانِ قَلْبُكَ يَجْمَعُ  
أَمْزِلَتْنِي مَتَى سَلَامٌ عَلَيْكُمَا  
وَأِنْ كُنْتُمَا قَدْ هَجْتُمَا رَاجِعَ الْهَوَى  
أَجَلَ عِبْرَةٍ كَادَتْ لِفَرْقَانٍ مَنَزِلُ

وقال أيضاً:

خَلِيلِي عُوَجًا مِنْ صُدُورِ الرُّوَاجِلِ  
لَعَلَّ أَنْجِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاخَةً  
دَعَانِي وَمَا دَاعِي الْهَوَى مِنْ بِلَادِهَا  
وَمَا يَوْمَ خَرْقَاءِ الَّذِي فِيهِ نَلْتَقِي  
وَإِنِّي لِأَنْجِي الطَّرْفَ مِنْ نَحْوِ غَيْرِهَا  
إِذَا قُلْتُ وَدِّعْ وَصَلْ خَرْقَاءَ وَاجْتَنِبْ

(٣) ديوان الفرزدق ٢/٣٦٠.

(٤) الأبيات في ديوان ذي الرمة ص ٧٧ إلا البيت الأول.

تَجُودُ بِهَا الْعَيْنَانِ أُخْرَى أَمْ الصَّبْرُ  
رَوَاحٌ وَفِي الصَّبْرِ الْجَلَادَةُ وَالْأَجْرُ

بَكَيْتُ فَنَادَتْنِي هُنَيْدَةُ مَالِيَا  
فَأَسْمَعْنِي سَقِيًّا لِذَلِكَ دَاعِيَا  
وَفَدَيْتُ مَنْ لَوْ يَسْتَطِيعُ فِدَائِيَا  
بِهِ يَشْتَفِي مَنْ ظَنُّ أَنْ لَا تَلَاقِيَا<sup>(١)</sup>

كَأَنَّ قُلُوبًا بَيْنَ حُضْنَيْكَ يَرْمَحُ  
عَلَى النَّأْيِ وَالنَّأْيِ يَوْدُ وَيَنْصَحُ  
لِذِي الشَّوْقِ حَتَّى ظَلَّتِ الْعَيْنُ تَفْسَحُ  
لِمَيَّةٍ لَوْ لَمْ تُسْهِلِ الْعَيْنُ تَذْبِخُ<sup>(٢)</sup>

بِجُمْهُورِ خَزَوَى فَأَبْكِيَا فِي الْمَنَازِلِ \*  
مِنْ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجْيَ الْبَلَابِلِ  
إِذَا مَا نَأَتْ خَرْقَاءُ عَيْنِي بِغَافِلِ  
بِنَحْسٍ عَلَى عَيْنِي وَلَا مُتَطَاوِلِ  
حَيَاءٌ وَلَوْ طَاوَعْتُهُ لَمْ يُعَادِلِ  
زِيَارَتَهَا تَخْلُقُ جِبَالَ الْوَسَائِلِ

أَبَتْ ذِكْرُ عَوْدَنْ أَحْشَاءَ قَلْبِهِ خُفُوقًا وَقَضَاتُ الْهَوَى فِي الْمَفَاصِلِ<sup>(٥)</sup>

ولقد أحسن سابق البربري في قوله<sup>(٦)</sup>:

وَقَدْ رَأَيْتُ مَنْ فَعَلَ عَيْنِي أَنَّهَا  
وَفِي الدَّمْعِ لَوْ جَادَتْ بِهِ الْعَيْنُ شَاهِدُ  
إِذَا ذَكَرْتُ سَعْدَى اعْتَرَانِي جُمُودَهَا  
عَلَيْهَا فَلَمْ يَشْهَدْ لِنَفْسِي شُهُودَهَا

ولبعض أهل هذا العصر:

يَا مَنْ إِذَا صَدَّ لَمْ أَظْهَرْ لَهُ جَزَعًا  
مَا يَمْنَعُ الدَّمْعُ أَنْ تَجْرِيَ غَوَارِبُهُ  
لَا تَحْسِبْنِي عَلَى الْهَجْرَانِ ذَا جَلْدٍ  
فِيضُ الدَّمُوعِ وَإِنْ تَمَّتْ بِوَادِرِهَا  
إِلَّا شِمَاتُهُ مَنْ قَدْ كَانَ ذَا حَسَدٍ  
أَشْفَى لِمَنْ عَالَجَ الْبَلَوَى مِنْ الْكَمَدِ

وقال آخر:

نَزَفْتُ دَمْعِي وَأَزْمَعْتُ الرَّجِيلَ غَدًا  
فَكَفَيْتُ أَبْكِي وَدَمْعُ الْعَيْنِ مَنُورُ  
وَأَسَوَاتِي مِنْ عُيُونِ الْعَاشِقِينَ غَدًا  
إِذَا رَحَلْتُ وَدَمْعُ الْعَيْنِ مَكْفُورُ  
هَذَا الْبَائِسُ يَعْتَذِرُ مِنْ ذَهَابِ دُمُوعِهِ وَلَوْ عَرَفَ عِلَّةَ ذَهَابِهَا لَكَانَ مُحْتَاجًا  
إِلَى الْإِعْتِذَارِ لَوَدَامَتْ مِنْ دَوَامِهَا. وأحسن من هذا قول قيس بن ذريح:

تَشَوَّقُنِي ذِكْرِي إِذَا مَا ذَكَرْتُهَا  
وَمِنْ عَبْرَاتٍ تَعْتَرِينِي أَكْفُهَا  
وَمِنْ قَوْلِهَا إِنَّ الْقَوَى قَدْ تَقَطَّعَتْ  
وَمِنْ أَنَّهَا بَاتَتْ وَلَمْ تَدْرِ مَا الَّذِي  
وَمِنْ أَرْجِيَّاتِ الصَّبَى عِنْدَ ذِكْرِهَا  
فَلَا حُبَّ حَتَّى يَلْصَقَ الْعَظْمُ بِالْحَشَا  
وَكَمْ عَرَضُ أَرْضٍ دُونَهَا وَسَمَاءُ  
وَمِنْ زَفَرَاتٍ مَا لَهَا فَنَاءُ  
وَهَلْ لِقَوَى لَا تَسْتَجِدُّ بَقَاءُ  
لَهَا عِنْدَنَا مِنْ خُلَّةٍ وَصَفَاءُ  
وَلَمَّاتِ شَوْقٍ مَا بِهِنَّ خَفَاءُ  
وَلَا وَجَدَ حَتَّى لَا يَكُونَ بُكَاءُ<sup>(٧)</sup>

(٥) المصدر السابق ص ٤٩١.

(٦) في «م» والمطبوع: اليزيدي، وانظر ترجمته في حماسة البحرني ص ١٧٤.

(٧) الأبيات الثلاثة الأولى والثاني والثالث في الشعر والشعراء (ليدن) ص ٣٩٩ - ٤٠٠.

وقد لطف أبو تمام في هذا المعنى [حيث] يقول:

وَإِذَا فَقَدْتَ أَخَا وَلَمْ تَفْقِدْ لَهُ دَمْعًا وَلَا صَبْرًا فَلَسْتَ بِفَاقِدٍ<sup>(٨)</sup>

أَفَلَا تَرَى إِلَى إِزْرَائِهِ عَلَى الدَّمْعِ وَتَقْصِيرِهِ بِأَهْلِهِ وَإِخْبَارِهِ أَنَّ مَنْ قَوِيَتْ  
حَالُهُ انْقَطَعَ دَمْعُهُ وَنَحَلَ جِسْمُهُ؟

ولقد أحسن الذي يقول:

قَدْكَ فَلَا دَمْعَ وَلَا صَبْرَ رُبُعِ الْهَوَى مِنْ أَهْلِهِ قَفَرُ  
عُمُرُ الْفَتَى فِي كُلِّ لَذَاتِهِ فَإِنْ نَأَتْ عَنْهُ فَلَا عُمُرُ

وقال محمد العلوي<sup>(\*)</sup>:

أَبْقَى الْهَوَى مِنْهُ جِسْمًا كَالْهَوَاءِ ضَنَى  
أَنْسَتْ بِالذِّكْرِ مِنْهَا وَالسَّهَادَ لَهُ

وقال قيس بن الملوح:

فَأَنْتِ أَلْتِي إِنْ شِئْتَ أَشَقِيَّتِ عَيْشَتِي  
وَأَنْتِ أَلْتِي مَا مِنْ صَدِيقٍ وَلَا عِدَى  
رَأَى نَضْوًا أَبْقَيْتِ إِلَّا رَأَى لِيَا<sup>(٩)</sup>

وقال البحرني:

أَلَا هَلْ أَتَاهَا بِالْمَغِيبِ سَلَامِي  
وَهَلْ عَلِمَتْ أَنِّي ضَيِّتُ وَأَنْهَا  
فِدَاؤُكَ مَا أَبْقَيْتِ مِنِّي فَإِنَّهُ

وقال أيضاً<sup>(١١)</sup>:

هَآ أَنَا ذَا يُسْقِطُنِي لِلْبَلَى  
عَنْ فَرَشَتِي أَنْفَاسُ عُوَادِي

(٨) لم أجد البيت في الديوان.

(٩) ديوان المجنون ص ٢٩٥.

(١٠) الديوان ص ١٩٩٦.

(١١) تقدم التعريف به.

(\*) لعله علي بن محمد العلوي وقد مر التعريف به.

لَوْ يَحْسُدُ السِّلْكُ عَلَى دِقَّةٍ

وقال أيضاً:

وَمُذْنَبٌ زَادَ فِي النُّحُولِ مِنْ آلِ  
يُشَارِكُ الطَّيْرَ فِي النَّجِيبِ وَلَا

وقال أيضاً:

أَمَا تَرَيْنِي نَاحِلَ الْجِسْمِ  
أُنْقَلُ مِنْ ثَوْبٍ إِلَى دُونِهِ  
أَصِيرُ مِنْ هَمٍّ إِلَى هَمٍّ  
حَتَّى كَأَنِّي بَدَنُ الْكُمِّ

ولقد أحسن الذي يقول:

غَابُوا فَأَضْحَى بَدَنِي بَعْدَهُمْ  
بَادِي وَجْهِهِ إِتْلَافِهِمْ  
لَا تُبْصِرُ الْعَيْنُ لَهُ فَيَا  
إِذَا رَأَوْنِي بَعْدَهُمْ حَيًّا

وَإِخْلَافِهِمْ وَمِنْ قَوْلِهِمْ

وقال آخر:

شِعْرُ مَيِّتٍ أَتَاكَ عَنْ لَفْظِ حَيٍّ  
قَدْ بَرَّتْهُ حَوَادِثُ الدَّهْرِ حَتَّى  
صَارَ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ وَفَقَا  
كَادَ عَنْ أَعْيُنِ الْحَوَادِثِ يَخْفَى

وقال عمر بن أبي ربيعة:

إِرْحَمِي مُغْرَمًا بِحُبِّكَ لَأَقَى  
قَدْ بَرَاهُ وَشَفَّهُ الْحُبُّ حَتَّى  
مِنْ جَوَى الْحُبِّ وَالصَّبَابَةِ جَهْدًا  
صَارَ مِمَّا بِهِ عِظَامًا وَجِلْدًا<sup>(١٢)</sup>

وأشندني بعض الأدباء:

لَمْ يَبْقَ إِلَّا نَفْسٌ خَافَتْ  
وَمُغْرَمٌ تَوَقَّدُ أَحْشَاؤُهُ  
وَمُقَلَّةٌ إِنْسَانُهَا بَاهَتْ  
بِالنَّارِ إِلَّا أَنَّهُ سَاكِتٌ

لَمْ يَبْقَ فِي أَعْضَالِهِ مَفْصِلُ  
إِلَّا وَفِيهِ سَقَمٌ ثَابِتٌ

(١٢) الديوان ص ص ٥١ - ٥٢.

ولبعض أهل هذا العصر:

يُعِيرُنِي الْوَأَشِي بِأَنْ لَسْتُ مُدْنِفًا      كَمَا هُوَ مِنْ فَرَطِ الصَّبَابَةِ مُدْنِفٌ  
فَيَا كَاشِحًا قَدْ جَاءَ فِي زِيٍّ نَاصِحٍ      تَشَاغَلَ بِغَيْرِي لَسْتُ مِمَّنْ يُعْرِفُ  
وَلَا تَلَحِّنِي فَيَمَنْ أَحِبُّ فَلِإِنِّي      أَضُنُّ بِهِ مِمَّا تَسْطُنُّ وَأَشْغَفُ  
سَلُوهُ فَلِإِنِّي لَا أَكَلِمَ وَأَشِيًّا      أَيْدِرِي بِمَنْ يَلْحِي وَيَمَنْ يُعْنِفُ

وقال مجنون بني عامر:

يَا دَارَ لَيْلَى بِسَقَطِ الْحَيِّ قَدْ دَرَسْتُ      إِلَّا الثَّمَامُ وَإِلَّا مَوْقِدَ النَّارِ  
أَبْلَى عِظَامِكَ بَعْدَ اللَّحْمِ ذَكَرُهُمَا      كَمَا تَتَّبَعُ قَذَحَ الشُّوْحِطِ الْبَارِي (١٣)

فَبَيَّنَ صَاحِبُ هَذَا الْكَلَامِ وَصَاحِبُ الْكَلَامِ الَّذِي قَبْلَهُ بَوْنَ بَعِيدٍ وَتَفَاوُتَ  
شَدِيدٍ. وَبَزَعَمُ أَنْ تَرَايِدَ الْحَالَ تُوجِبُ لَهُ نَفْيَ الْهَزَالِ، وَهَذَا لَمْ يَرْضَ لِنَفْسِهِ  
بُنْحُولَ اللَّحْمِ حَتَّى أَضَافَ إِلَيْهِ نُحُولَ الْعَظْمِ.

ولبعض أهل هذا العصر:

أَهَيْمُ بِذِكْرِ الْكَرْخِ مِثِّي صَبَابَةً      وَمَا بِي إِلَّا حُبٌّ مِنْ حَلٍّ بِالْكَرْخِ  
تَجَرَّعْتُ كَأَسًا مِنْ صُدُودِ مُحَمَّدٍ      فَقَدْ أَوْهَنْتُ عَظْمِي وَجَازَتْ عَلَى الْمَخِ  
فَلَسْتُ أَبَالِي بِالرَّدَى بَعْدَ فَقْدِهِ      وَهَلْ يَجْزَعُ الْمَذْبُوحُ مِنْ أَلَمِ السَّلَخِ

وقال آخر:

قَالَتْ ظَلُمَ سَمِيَّةُ الظُّلَمِ      إِنِّي رَأَيْتُكَ نَاحِلَ الْجِسْمِ  
يَا مَنْ رَمَى قَلْبِي فَأَقْصَدَهُ      أَنْتَ الْخَبِيرُ بِمَوْضِعِ السَّهْمِ

وقال أبو العتاهية:

أَخْلَايَ بِي شَجْوٌ وَلَيْسَ بِكُمْ شَجْوٌ      وَكُلُّ أَمْرِيٍّ مِمَّا بِصَاحِبِهِ خِلْوٌ

(١٣) ديوان المجنون ص ١٤٩، وهما في تزيين الأسواق ص ٦٣.

رَأَيْتُ أَلْهَوَى جَمَرَ الْغَضَا غَيْرَ أَنَّهُ      عَلَى كُلِّ حَالٍ عِنْدَ صَاحِبِهِ خُلْوٌ (١٤)

وقال جرير:

أَتَسَى يَوْمَ حَوْمَلٍ وَالْدُّخُولِ      وَمَرْقَفَنَا عَلَى السُّطَّلِ الْمَجِيلِ  
وَقَالَتْ قَدْ نَحَلْتُ وَشَبْتُ بَعْدِي      بِحَقِّ الشَّيْبِ بَعْدَكَ وَالنُّحُولِ (١٥)

وقال آخر:

تَقُولُ وَقَدْ كَتَبْتُ دَقِيقَ خَطِّي      إِلَيْهَا لِمَ تَجَنَّبْتَ الْجَلِيلَا  
فَقُلْتُ لَهَا نَحَلْتُ وَصَارَ خَطِّي      مُسَاعِدَةً لِصَاحِبِهِ نَحِيلَا

وقال آخر:

إِنَّا مِنَ الْحَيِّ أَقْبَلْنَا نَوْمُكُمْ      أَنْضَاءَ شَوْقٍ عَلَى أَنْضَاءِ أَسْفَارِ  
وَالصَّبُّ لَا بُدَّ أَنْ يُبْدِيَ صَبَابَتَهُ      إِذَا تَبَدَّلَ غَيْرَ الدَّارِ بِالدَّارِ

وهذا مأخوذ من قول امرئ القيس:

أَكَلُ الْوَجِيفِ لُحُومُهُمْ وَلُحُومَهَا      فَأَتَوْتُكَ أَنْضَاءَ عَلَى أَنْضَاءِ (١٦)

وقال الأحوص:

نَفَى نَوْمِي وَأَسْهَرَنِي غَلِيلُ      وَهَمُّ هَاجَهُ حُزْنٌ طَوِيلُ  
وَقَالُوا قَدْ نَحَلْتُ وَكُنْتُ جَلْدًا      وَأَيْسَرُ مَا مُنِيتُ بِهِ النُّحُولُ  
فَإِنْ يَكُنِ الْعَوِيلُ يَرُدُّ شَيْئًا      فَقَدْ أَعُولْتُ إِنْ نَفَعَ الْعَوِيلُ  
وَكُنْتُ لَا يُلَاقِيهَا مَبِيتُ      عَلَيْهَا إِنْ عَتَبْتُ وَلَا مَقِيلُ  
وَكُنَّا فِي الْأَصْفَاءِ كَمَاءٍ مُزِنٍ      تُشَابُ بِهِ مُعْتَقَةٌ شَمُولُ  
وَأَعْجَلُ عَنْ سُؤَالِ الرُّكْبِ صَحْبِي      وَأَكْرَهُ أَنْ يُقَالَ لَهُمْ أَقِيلُوا

(١٤) الديوان ص ٤٧٩ مع اختلاف في الرواية.

(١٥) لم أجدهما في الديوان.

(١٦) الديوان ص ٤٥٧ عن كتاب «الزهرة».

فَقَدْ أَصْبَحْتُ بَعْدَكَ لَا أَبَالِي  
فَمَنْ يَكُ بِالْقُفُولِ قَرِيرَ عَيْنٍ  
كَأَنَّكَ لَمْ تُلَاقِ الدُّهْرَ يَوْمًا  
فَصَبْرًا لِلْحَوَادِثِ كُلِّ حَيٍّ  
أَسَارَ الرُّكْبِ أَمْ طَالَ النُّزُولُ  
فَمَا أَمْسَيْتُ يُعْجِبُنِي الْقُفُولُ  
خَلِيلًا حِينَ يُفَرِّدُكَ الْخَلِيلُ  
سَبِيلُ الْهَالِكِينَ لَهُ سَبِيلُ<sup>(١٧)</sup>

□ □ □

### الباب الثالث والأربعون:

#### طَرِيقُ الصَّبْرِ بَعِيدٌ وَكِتْمَانُ الْحُبِّ شَدِيدٌ

كَانَ يُقَالُ سِرُّكَ أَسِيرُكَ، فَإِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ أَسِيرَهُ. وَأَمَّا إِفْشَاءُ مَنْ  
يُحِبُّ سِرَّهُ إِلَى مَحْبُوبِهِ فَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِيهِ بِمَا فِي بَعْضِهِ بَلَاغٌ. وَأَمَّا أَطْلَاعُ  
سَائِرِ النَّاسِ عَلَى وَجْدِ الْمُحِبِّ بِالْمَحْبُوبِ فَهُوَ خَطَأٌ مِنْ وَجْهِهِ: أَوَّلُهَا تَعْلَاضُ  
الْمَحْبُوبِ لِمَا لَا يُحِبُّ مِنَ الْقَالَاتِ وَالتَّشْنِيعَاتِ. ثُمَّ تَعَرُّضُ الْمُحِبِّ نَفْسِهِ  
لِلسَّعَايَةِ وَالْإِرْتِقَابِ لَهُ، وَإِنَّمَا يُوصَى بِهَذِهِ الْوَصِيَّةِ مِنْ أَمْرِ سِرِّهِ إِلَيْهِ. فَأَمَّا مَنْ  
قَدْ أَخْرَجَتْ الْحَالُ زِمَامَ السِّرِّ مِنْ يَدَيْهِ فَلَا ذَنْبَ لَهُ، وَلَا لَوْمَ عَلَيْهِ. وَأَمَّا أَسْرَارُ  
الْمَحْبُوبِ عِنْدَ الْمُحِبِّ مِثْلُ مَوَاعِيدِهِ لَهُ وَزِيَارَتِهِ إِيَّاهُ وَمُسَاعَدَتِهِ لَهُ عَلَى مَا يَهْوَاهُ  
وَمَا يَجْرِي بَيْنَهُمَا مِنَ الْمُعَاتَبَاتِ، بَلْ مِنْ سَرَائِرِ الْمُخَاصِمَاتِ، فَإِنَّ غَالِبَاتِ  
الْوَجْدِ لَا تُوجِبُ إِفْشَاءَهُ بَلْ تُوجِبُ صَوْنَهُ وَإِخْفَاءَهُ. وَلَنْ يُشِيعَ مِثْلُ مَا وَصَفْنَا إِلَّا  
ضَعِيفٌ فِي الْحَالِ جَدًّا. فَكِتْمَانُ هَذَا أَتَيْنُ وَجُوبًا مِنْ أَنْ نَزِيدَ الْقَوْلَ فِيهِ.  
وَإِفْشَاءُ الْمَحَبَّةِ وَحَدَّهَا إِلَى غَيْرِ الْمُحِبِّبِ فَوَاجِبٌ عَلَى مَنْ أَلْطَلَقَ كِتْمَانَهَا أَلَّا  
يُظْهِرَهَا. وَمَنْ عَجَزَ فَخَارِجَ عَنْ بَابِ الْمَنْعِ وَالْوُجُوبِ. وَمَنْ ضَاقَ صَدْرُهُ عَنْ  
سِرِّهِ فَلَمْ يَلْمِ غَيْرَهُ عَلَى نَشْرِهِ وَإِنْ كَانَ فِي الْحَقِيقَةِ مَلُومًا، لِأَنَّ لِلْمَرْءِ أَنْ يَتَطَوَّعَ  
بِإِظْهَارِ سِرِّهِ وَعَلَى الْمُسْتَوْدِعِ أَنْ لَا يُظْهِرَ سِرَّ مُسْتَوْدِعِهِ.

ولبعض الأدباء في ذلك:

إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ      فَصَدْرُ الَّذِي يُسْتَوْدَعُ السِّرَّ أَضِيقُ  
وَرُبُّ قَتَى يَجْفُو كَرَائِمَ مَالِهِ      وَيَرَعَى سَوَامَ الْأَبْعَدِينَ فَيُشْفِقُ

(١٧) شعر الأحوص الأنصاري ص ١٧٣، وانظر تخريج الأبيات.

وقال يزيد بن الطثرية:

وَمُسْتَحْبِرٌ عَنْهَا لِيَعْلَمَ مَا الَّذِي  
وَرَدَتْ بِهِ عَمِيَاءُ مِنْهَا وَلَمْ أَكُنْ

وقال آخر:

كَرِيمٌ يُمِيتُ السِّرَّ حَتَّى كَأَنَّهُ  
رَعَى سِرِّكُمْ فِي مُضْمَرِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا  
وَأَكْتُمْتُ نَفْسِي بَعْضَ سِرِّي تَكْرُمًا  
وَمُسْتَسْقِطِي بِالْجِدِّ وَالْهَزْلِ قَدْ نَبَتْ  
تَسْقُطُنِي عَنْكُمْ فَأَخْلَفْتُ ظَنَّهُ  
فَمَا رَامَ حَتَّى عَادَ شَكًّا يَقِينُهُ

وقال آخر:

قَدْ جَرَّ النَّاسُ أَذْيَالَ الظُّنُونِ بِنَا  
فَجَاهِلٌ يَتَّحِجِي بِالظَّنِّ غَيْرَكُمْ

وقال بعض الأعراب:

وَلِيَّيْ لَا سَتْحِييْكَ أَنْ أَطْلُقَ الْهَوَى  
سَاطُوي الْهَوَى تَحْتَ الْحَشَاطِي نَازِحٍ  
وَأَصْبِرُ لِلْهَجْرَانِ حَتَّى يَمْلَنِي

وقال آخر:

وَمَا وَجَدُ مِلْوَاحٍ مِنَ الْهِيمِ خُلِيَتْ  
تَحُومٌ وَتَغْشَاهَا الْعِصِي وَحَوْلَهَا  
بِأَكْثَرِ مِنبِي غُلَّةٌ وَتَعَطُّفًا

لَهَا فِي فُؤَادِي غَيْرَ أَبِي أَحَاذِرُهُ  
إِذَا مَا وَشَى وَاشْرَ بِلَيْلَى أَنَاظِرُهُ<sup>(١)</sup>

إِذَا اسْتَخْبَرُوهُ عَنْ حَدِيثِكَ جَاهِلُهُ  
حَفِظْتُ عَلَيْكُمْ لَا تُخَافُ غَوَائِلُهُ  
إِذَا مَا أَضَاعَ السِّرَّ فِي السِّرِّ جَاهِلُهُ  
عَلَى كُلِّ حَالٍ عَنْ صَفَاتِي مَعَاوِلُهُ  
وَذُو اللَّبِّ قَدْ يُعْيِي الرِّجَالُ تَحَاوِلُهُ  
وَأَخْلَفَهُ مِنِّي الَّذِي كَانَ يَأْمُلُهُ

وَفَرَّقَ النَّاسُ بَيْنَنَا ظَنَّهُمْ فِرْقًا  
وَصَادِقٌ لَيْسَ يَدْرِي أَنَّهُ صَدَقَا

وَأَنْ لَا تُعْدَى خِلْسَةَ اللَّحْظَاتِ  
قَضَى وَطَرًا إِنْ لَمْ تَبْحَ عِبْرَاتِي  
وَأَذْفَعَ عَنْكَ السَّوَاءَ بِالشُّبُهَاتِ

عَنِ الْمَاءِ حَتَّى جَوَّفَهَا مُتَصَلِّصُ  
أَقَاطِيعُ أَنْعَامٍ تَعْلُ وَتَهْلُ  
إِلَى الْوَرْدِ إِلَّا أَنِّي أَتَجَمَّلُ

وقال ابن الدمينية:

وَكُنَّا كَرِيمِي مَعَشِرُ حُمٍ بَيْنَنَا  
سَيِّفِي فَلَا يَفْنَى وَيَخْفَى فَلَا يَرَى  
تَصَافِي فَصْنَاهُ بِحُسْنِ صَوَانٍ  
وَمَا عَلِمُوا مِنْ أَمْرِنَا بَيِّنَانٍ<sup>(٢)</sup>

وقال ذو الرمة:

فَمَا زِلْتُ أَطْوِي النَّفْسَ حَتَّى كَأَنَّهَُا  
حَيَاءٌ وَإِشْفَاقًا مِنَ الرُّكْبِ أَنْ يَرَوْا  
بِيْذِي الرِّمْتِ لَمْ تَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ ذَاكِرٍ  
دَلِيلًا عَلَى مُسْتَوْدَعَاتِ السَّرَائِرِ<sup>(٣)</sup>

وَلَعَمْرِي إِنَّ هَذِهِ الْحَالُ لَجَمِيلَةٌ بَيْنَ أَهْلِ الصَّفَاءِ. غَيْرَ أَنَّهَا مِنَ الْأَعْدَاءِ  
أَحْسَنُ مِنْهَا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ، إِذْ عَجِيبًا أَنْ يَكْتُمَ الْوَلِيُّ سِرَّ وَلِيٍّ كَمَا يَعْجَبُ مِنْ  
كِتْمَانِ الْعَدُوِّ سِرَّ عَدُوِّهِ.

وقد قال بعض أهل هذا العصر في هذا النحو:

وَلِيَّيْ وَإِنْ شَاعَتْ لَدَيْكَ سَرَائِرِي  
أَبَى إِلَهُ لِي إِلَّا الْوَفَاءَ لِكُلِّ مَنْ  
فَكُنْ آمِنًا مِنْ أَنْ أُذِيعَ بِسِرِّكُمْ  
وَمَا أَنَا مَمْدُوحًا بِحِفْظِ وَدِيعَةٍ  
فَإِنَّ الَّذِي اسْتَوْدَعْتَنِي غَيْرُ شَائِعٍ  
رَعَى لِي عَهْدِي أَوْ أَضَاعَ وَدَائِعِي  
فَمَا سِرُّ أَعْدَائِي لَدَيْ بَذَائِعٍ  
أَقْلُ حُقُوقِ النَّاسِ حِفْظُ الْوَدَائِعِ

وقال آخر:

لَعَمْرُكَ مَا اسْتَوْدَعْتُ سِرِّي وَسِرَّهَا  
وَلَا خَاطِبَتَهَا مُقْلَتَايَ بِلَحْظَةٍ  
وَلَكِنْ جَعَلْتُ الْوَهْمَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا  
أَصُونُ الْهَوَى بَقِيًّا عَلَيْهِ مِنَ الْعِدَى  
سِرَانًا حِذَارًا أَنْ تَضِيْعَ السَّرَائِرُ  
فَتَعْرِفَ نَجْوَانَا الْعُيُونُ النَّوَاطِرُ  
رَسُولًا فَأَذْنِي مَا تَجُنُّ الْأَضْمَائِرُ  
مَخَافَةً أَنْ يُغْرَى بِذِكْرَاهُ ذَاكِرُ

(٢) ديوان ابن الدمينية ص ٣٠.

(٣) البيتان في الديوان ص ٢٨٤.

(١) البيتان في «شعر يزيد بن الطثرية» ص ٧٦ مع اختلاف في الرواية.

وقال آخر:

تَوَاقَفْتُ مَعْشُوقَانِ مِنْ غَيْرِ مَوْعِدٍ  
وَكَلَّتْ جُفُونُ الْعَيْنِ عَنْ حَمَلِ مَائِهَا  
وَإِنِّي لِأَطْوِي السِّرَّ عَنْ كُلِّ صَاحِبٍ  
وَعُيِّبَ عَنْ نَجْوَاهُمَا كُلِّ كَاشِحٍ  
فَمَا مَلَكَتْ فَيْضَ الدُّمُوعِ السَّوَافِحُ  
وَإِنْ كَانَ لِلْأَسْرَارِ عَذَلُ الْجَوَانِحِ

وأنشدني أبو العباس أحمد بن يحيى لعمر بن أبي ربيعة:

جَرَى نَاصِحٌ بِالْوَدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا  
فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا عَرَفْتُ الَّذِي بِهَا  
فَسَلَّمْتُ فَاسْتَأْنَسْتُ خِيفَةً أَنْ يَرَى  
فَقَالَتْ وَاللَّتِ جَانِبَ السِّرِّ إِنَّمَا  
فَقُلْتُ لَهَا مَا بِي لَكُمْ مِنْ ضَرَاعَةٍ  
فَقَرَّبَنِي يَوْمَ الْحَصَابِ إِلَى قَتْلِي  
كَمِثِلِ الَّذِي بِي حَدُوكَ النُّعْلَ بِالنُّعْلِ  
عَدُوٌّ مَكَانِي أَوْ يَرَى كَاشِحٌ فِعْلِي  
مَعِي فَتَكَلَّمَ غَيْرَ ذِي رِقَبَةٍ أَهْلِي  
وَلَكِنَّ سِرِّي لَيْسَ يَحْمِلُهُ مِثْلِي (٤)

وأنشدني أحمد بن أبي طاهر:

أَلَا حَبْدًا حُبِّي وَأَرْضٌ يَحُلُّهَا  
وَفِي الْقَلْبِ مِنْ حُبِّي الَّذِي مَا دَرَى بِهِ  
وَتَوْبٌ عَلَيْهَا فِي الْيَابِ رَدِيقُ  
عَدُوٍّ وَلَمْ يَظْهَرْ عَلَيْهِ صَدِيقُ (٥)

وقال آخر:

خَشِيتُ لِسَانِي أَنْ يَكُونَ خَوْوَنَا  
وَقُلْتُ لِيَخْفَى دُونَ عَيْنِي وَنَاطِرِي  
فَمَا إِنْ رَأَتْ عَيْنِي لِعَيْنِي قَطْرَةً  
لَقَدْ أَحْسَنْتُ أَحْشَائِي تَرْبِيَةَ الْهَوَى  
وَلَمْ أَرْ قَلْبًا خَالِيًا أَوْدَعَ الْهَوَى  
فَأَوْدَعْتُهُ قَلْبِي فَكَانَ أَمِينًا  
أَيَا حَرَكَاتِي كُنْ فِيهِ سَكُونًا  
وَلَا سَمِعْتَ أَذْنِي لِفِيٍّ أَتِينَا  
فَهَا هُوَذَا كَهْلًا وَكَانَ جَنِينًا  
فَدَانَ لَهُ حَتَّى أَصْطَفَاهُ قَرِينًا

وقال ابن ميادة:

رَأَيْتُ لِمَا اسْتَوْدَعْتُ يَا أُمَّ مَالِكٍ  
وَأِنِّي عَلَى الشُّوقِ الَّذِي أَنَا دَاخِلٌ  
عَلَى قَدَمٍ مِنْ عَهْدِهِ لَكْتُومٌ  
إِذَا بَاحَ أَصْحَابُ الْهَوَى لَضُمُومُ (٦)

وقال آخر:

وَحُبٌّ كَأَطْبَاقِ الْبَحَارِ كَتَمْتُهُ  
وَأِنِّي أَكُمُ السِّرَّ حَتَّى أُرْدَهُ  
مَعَ الْقَلْبِ لَمْ يَعْلَمْ بِهِ مَنْ الْأَطْفُ  
سَلِيمَ الصَّفَا لَمْ تَمْتِنَهُ الزَّعَايِفُ  
وَأُخْفِي مِنَ الْوَجْدِ الَّذِي مَا لَوْ أَنَّهُ  
يَشِيعُ لَحَرَّ الْمُوَطِّنَاتِ الْأَلَايِفُ

وَإِنَّ أَلْبَيْتَ الثَّلَاثِ مِنْ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ لَيْسَ مِنَ الْكَلَامِ الَّذِي لَا يَقَعُ مِثْلُهُ  
فِي النَّدَرَاتِ. وَلَكِنْ كَانَ صَادِقًا فِيمَا قَالَ: إِنَّهُ مِنْ صَوْنِ إِلْفِهِ لَعَلَى حَالٍ تَوْجِبُ  
لَهُ غَلَبَةَ الْوَفَاءِ بَعْدِهِ وَالرِّغَايَةَ لَوْدِهِ. إِنَّ أَمْرًا يَتَّقُ مِنْ وَجْدِهِ بَأَنَّ الْإِشَاعَةَ لِيُذَكِّرَهُ  
تَدْعُو الْمُسْتَوْطِنَ الْإِلْفَ إِلَى مُفَارَقَةِ الْوَطْنَيْنِ وَطَنِ رُوحِهِ وَوَطَنِ جَسَمِهِ، ثُمَّ  
يَتْرُكُ ذَلِكَ وَيَتَجَسَّمُ مَضَاضَةَ الْكُتْمَانِ فِي قَلْبِهِ، عَلَى الْإِشَارَةِ بِذِكْرِ إِلْفِهِ  
بِمَا عَسَاهُ غَيْرُ مُؤَدٍّ إِلَى ضَرَرِهِ، لِشَدِيدِ الْإِبْقَاءِ عَلَى إِلْفِهِ، وَلِتَمَكُّنِ الْقَدْرِ عَلَى  
نَفْسِهِ، لِأَنَّ مَنْ مَلَكَهُ الشُّوقُ مُلْكًا صَحِيحًا عَجَزَ، لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ سِرُّهُ تَضَرُّعًا،  
عَلَى أَنَّ صَاحِبَنَا قَدْ عَرَضَ تَغْرِيبًا مَلِيحًا، بِذِكْرِهِ لِمَوْضِعِ إِقَامَةِ قَلْبِهِ إِذْ  
هُوَ بِلَا شَكٍّ مَوْضِعُ إِلْفِهِ وَإِنِّي لَأَسْتَطِرْفُ قَوْلَ نَبْهَانَ الْعَبْشَمِيِّ (٧):

أَمَّا وَاللَّهِ ثُمَّ إِلَهِي حَقًّا  
لَقَدْ نَزَلَتْ أَمَانَةٌ مِنْ فُؤَادِي  
أَظِلُّ وَمَا أَبْتُ النَّاسَ أَمْرِي  
أَذُودُ النَّفْسِ عَنْ لَيْلِي وَإِنِّي  
بَرَيْنَ مَشَارِبًا وَيُذَذِّنُ عَنْهَا  
يَمِينًا ثُمَّ أَتْبَعُهَا يَمِينًا  
تِلَاعًا مَا أُبْحَنُ وَلَا رُعِينًا  
وَلَا يَخْفَى الَّذِي بِي فَاعْلَمِينَا  
لِيَعْصِنِي شَوَاجِرُ قَدْ صَدِينَا  
وَيُكْثِرُنَ الصُّدُودَ وَمَا رُوِينَا

(٦) شعر ابن ميادة ص ٢٥١.

(٧) لم أهتم إلى ترجمته.

(٤) الديوان ص ١٥٣.

(٥) في «م» والمطبوع: حبي.

فَهُوَ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - لَمْ يَرْضَ بِتَسْمِيَةِ وَاحِدَةٍ حَتَّى سَمَى اثْنَتَيْنِ، سَمَى  
الَّتِي هُوَ مُقْبَلٌ عَلَيْهَا وَالَّتِي هُوَ يَجِبُ الْإِنْصِرَافَ عَنْهَا. ثُمَّ لَا يَسْكُتُ مَعَ مَا جَنَاهُ  
حَتَّى يَمْتَنِّ بِأَنَّهُ يُكَاتِمُ هَوَاهُ. لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي بَقِيَ عَلَيْهِ أَنْ يُخْبِرَ بِهِ بَعْدَ  
وَصْفِهِ لِمَحَلٍّ مَنْ يَهْوَاهُ مِنْ قَلْبِهِ، وَإِخْبَارِهِ فِي الشَّعْرِ بِاسْمِهِ. وَلَوْلَا أَنَّ هَذَا  
بَابٌ لَا يَحْتَمِلُ لِمَنْ ذُكِرَتْ حَالُهُ فِيهِ مَا يَحْتَمِلُ لِمَنْ ذُكِرَ فِي الْبَابِ الَّذِي يَلِيهِ  
لَصَفَحْنَا عَنْ هَذَا وَأَضَعَفَاهُ.

ولعمري لقد أحسن الذي يقول:

رَمَانِي بِهَا قَلْبِي فَلَمْ يُخْطِ مَقْتَلِي      وَلَمْ يَكْ مِنْ يَرْمِي تُصَابِ مَقَاتِلُهُ  
فَإِنْ مِتُّ فَابْكُونِي قَتِيلًا بِطَرْفِهَا      قَتِيلَ عَدُوٍّ حَاضِرٍ مَا يُزَايِلُهُ  
شَكَا وَكُنَى عَمَّنْ أَحَبَّ وَلَمْ يَنْحُ      بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ قَاتِلُهُ  
وَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ أَنْ يَكْثُرَ الْبُكَاءُ      عَلَيْهِ قَتِيلٌ لَيْسَ يُعْرِفُ قَاتِلُهُ

وأحسن مسلم بن الوليد في قوله:

عِنْدِي وَعِنْدَكَ عِلْمٌ مَا عِنْدِي      مِنْ ضَرٍّ مَا إِخْفِي وَمَا أَبْيَدِي  
لَا أَشْكِي مَا بِي إِلَيْكَ وَلَوْ      نَطَقْتُ بِهِ الْعَبْرَاتُ فِي خَدَيِ  
وَجَسَدِي عَلَيْكَ أَرَاهُ يُقْنِعُنِي      مِنْ وَصْفٍ مَا أَلْقَى مِنَ الْوَجْدِ  
فَإِذَا أَصْطَبَرْتُ عَلَى السُّكُوتِ فَلَمْ      أَنْطِقْ فِيمَا بِي مِنَ الْوَجْدِ<sup>(٨)</sup>

وأحسن الذي يقول:

وَلِيَّيْ لَأَغْضِي الطَّرْفَ عَنْكَ تَجْمُلًا      وَقَلْبِي إِلَى أَشْيَاءَ عَظْشَانُ جَائِعُ  
فَلَا يَسْمَعَنَّ سِرِّي وَسِرُّكَ ثَالِثُ      أَلَّا كُلُّ سِرٍّ جَاوَزَ اثْنَيْنِ شَائِعُ

وأحسن سوار بن المضرب حيث يقول<sup>(٩)</sup>:

إِنِّي سَأَسْتُرُ مَا ذُو الْعَقْلِ سَاتَرَهُ      مِنْ حَاجَةٍ وَأَمِيتُ السِّرَّ كِتْمَانَا

وَحَاجَةٍ دُونَ أُخْرَى قَدْ بَدَأَتْ بِهَا      جَعَلْتُهَا لِتِي أَخْفَيْتُ عَنْرَانَا  
إِنِّي كَأَنِّي أَرَى مَنْ لَا حَيَاءَ لَهُ      وَلَا أَمَانَةَ وَسَطَ النَّاسِ عُرْيَانَا<sup>(١٠)</sup>

وقال كثير:

وَقَدْ زَعَمْتُ أَنِّي تَغَيَّرْتُ بَعْدَهَا      وَمَنْ ذَا الَّذِي يَا عَزُّ لَا يَتَغَيَّرُ  
تَغَيَّرَ جِسْمِي وَالْخَلِيقَةُ كَالَّذِي      عَهْدَتِ وَلَمْ يُخْبِرْ بِسِرِّكَ مُخْبِرُ<sup>(١١)</sup>

وقال ذو الرحل لقمان بن توبة القشيري<sup>(١٢)</sup>:

خَلِيلِي سِيرًا فَاسْأَلَا أُمَّ عَاصِمٍ      لَنَا عَنْ بَقِيَّاتِ الْعُهُودِ الْقَدَائِمِ  
أَلَمْ تَعْلَمِي يَا عَمْرُكَ اللَّهُ أَنَّنِي      بِذِكْرِكَ هَدَاءٌ عَلَى النَّاسِ هَائِمِ  
وَإِنِّي عَلَى الْهَجْرَانِ يَا أُمَّ عَاصِمٍ      أَدُومُ عَلَى عَهْدِ الْخَلِيلِ الْمُكَارِمِ  
إِذَا السِّرُّ عِنْدِي مِنْ خَلِيلٍ تَضَمَّنَتْ      بِهِ النَّفْسُ لَمْ يَعْلَمْ بِهِ الدَّهْرُ عَالِمِ  
تَرَى بَيْنَ أَخْنَاءِ الْفُؤَادِ وَصَمِّهِ      إِلَى الْقَلْبِ أَخْنَاءُ الضُّلُوعِ الْكَوَاتِمِ

وقال الحسين بن الضحاك:

أَيَا مَنْ سُرُورِي بِهِ شَفَوَةٌ      وَمَنْ صَفُو عَيْشِي بِهِ أَكْدَرُ  
تَجَنَّبْتُ تَطْلُبُ لِمَا مَلِلْتُ      عَلَيَّ الذُّنُوبَ وَلَا تَقْدِرُ  
وَمَاذَا يَضُرُّكَ مِنْ شَهْرَتِي      إِذَا كَانَ سِرُّكَ لَا يُشْهَرُ  
أَمِنِّي تَخَافُ أَنْتِشَارَ الْحَدِيثِ      وَحَظِّي فِي سَتْرِهِ أَوْفَرُ  
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيَّ بَقِيَا عَلَيْكَ      نَظَرْتُ لِرُوجِي كَمَا تَنْظُرُ<sup>(١٣)</sup>

(١٠) الأبيات في المصدر السابق.

(١١) ديوان كثير ص ٣٢٨، وانظر تخريجها في ص ٣٢٩.

(١٢) لم أهتم إلى ترجمته.

(١٣) أشعار الحسين الخليل، وانظر تخريج الأبيات.

(٨) الديوان ص ٣١١ عن كتاب «الزهرة».

(٩) سوار بن المضرب من شعراء الحماسة (التبريزي) ٣/٣٠٣ - ٣٠٤.



وقال بشار بن برد<sup>(١٤)</sup>:

كَتَمْتُ عَوَادِي مَا فِي فَوَادِي  
فَقَاصَتْ عِبْرَةً أَشْفَقْتُ مِنْهَا  
فَقَالَتْ قَدْ بَكَيْتَ فَقُلْتُ كَلًّا  
وَلَكِنِّي أَصَابَ سَوَادَ عَيْنِي  
فَقَالُوا مَا لِدَمْعَتِهَا سَوَاءٌ  
فَقَبِلْ دُمُوعَ عَيْنِكَ خَبَرَتْنَا

وقال آخر:

شِيعَتُهُمْ فَاسْتَرَابُونِي فَقُلْتُ لَهُمْ  
قَالُوا فَمَا نَفْسُ يَعْلو كَذَا صَعْدًا  
قُلْتُ أَلْتَنَفُسُ لِلْأَدَابِ نَحْوَكُمْ

وأنشدني ستيرة العصبية<sup>(١٥)</sup>:

وَنَادَى بِالتَّرْحُلِ بَعْضُ صَحْبِي  
فَرَاخُوا وَالشَّقِي لَهْ دُبُونُ  
فَأَرْنَحِيْتَ الْعِمَامَةَ دُونَ صَحْبِي  
وَمَا لِي حَاجَةٌ إِلَّا بِبُكَرٍ  
فَقَالُوا مِنْ ضَرَارِي كَيْفَ بِكُرٍ  
فَقُلْتُ أَلَلَهُ حَمَّ فِرَاقِ بِكُرٍ

ولبعض أهل هذا العصر:

وَكَمْ لَيْلَةٍ قَدْ بَتَ أَرْقُبُ صُبْحَهَا  
وَأَنْجُمُهَا فِي الْجَوِّ مَا تَتَزَحَّزَحُ

(١٤) لم أجد الأبيات ي ديوان بشار، ولكنها لبشار في أمالي القالي ٤٩/١ - ٥٠، ومحاضرات الأدباء ٣٥/٢ والبيتان الرابع والخامس في ديوان المجنون ص ١٠٣.

(١٥) تقدمت الإشارة إليها.

وَيُؤْمِنَايَ فَوْقَ الْقَلْبِ تُبْرِدُ حَرَّةً  
فَأَصْبَحْتُ مَجْهُودًا عَمِيدًا مِنَ الْهَوَى  
وَمَا عَلِمَ الْوَأَشُونَ فَضْلًا عَنِ الْعَدَى  
فَإِنْ كَانَ هَذَا الْقَوْلُ عَذْرًا قَبْلَتَهُ  
وَيُسْرَايَ تَحْتَ الْخَدِّ وَالْعَيْنِ تَسْفَحُ  
وَقَدْ كَانَ قَلْبِي بِالصَّبَابَةِ يُطْفَحُ  
بِسِرٍّ وَمَا مِثْلِي بِسِرِّكَ يُفْصَحُ  
وَإِنْ كَانَ تَعْدِيرًا فَمِثْلُكَ يَصْفَحُ

□ □ □

إِنِّي بُعِثْتُ مَعَ الْأَجْمَالِ أَحَدُوهَا  
أَمْ مَا لِعَيْنِكَ مَا تَرَقَّا مَا قَبِيهَا  
وَمَاءَ عَيْنِي جَارٍ مِنْ قَدَى فِيهَا

فَرُحْتُ وَمُقْلَتِي غَرَقَى بِمَاهَا  
وَأَشْيَا مِنْ حَوَائِجِ مَا قَضَاهَا  
عَلَى عَيْنِي وَقُلْتُ جَرَى قَذَاهَا  
وَمَا ذَنْبِي عَلَى أَحَدٍ سِوَاهَا  
وَكَيْفَ تَرَاكَ تَرْجُو أَنْ تَرَاهَا  
فَأَرْجُو أَنْ يَحِمَّ لَنَا لِقَاهَا

مَنْ غَلَبَ صَبْرُهُ ظَهَرَ سِرُّهُ

ذَكَرُوا أَنَّ سُكَيْنَةَ بِنْتَ الْحُسَيْنِ رَكِبَتْ فِي جَوَارِيهَا فَمَرَّتْ بِعُرْوَةَ بْنِ أَدْبَنَةَ اللَّيْثِيِّ وَهُوَ يَغْيِي، فَقَالَتْ لِحَوَارِيهَا: مِنَ الشَّيْخِ قَالُوا: عُرْوَةُ فَعَدَلْتُ نَحْوَهُ، ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا التَّمَامِ أَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ لَمْ تَعَشَقْ قَطُّ، وَأَنْتَ تَقُولُ:

قَالَتْ وَأَبْنَتْهَا وَجَدِي فَبَحْتُ بِهِ قَدْ كُنْتُ عِنْدِي تَحْتَ السِّتْرِ فَاسْتَبْرَ  
أَلَسْتُ تُبْصِرُ مَنْ حَوْلِي فَقُلْتُ لَهَا عَطَى هَوَاكَ وَمَا أَلْقَى عَلَى بَصْرِي  
كُلُّ مَنْ تَرَى حَوْلِي مِنْ جَوَارِي أَحْرَارٍ إِنْ كَانَ خَرَجَ هَذَا الْكَلَامُ مِنْ قَلْبِ  
سَلِيمٍ قَطُّ.

وقال آخر:

وَأِنْ أَخْفَ حُبَّ الْحَاجِبِيِّ فَطَالَمَا أَقُولُ وَعَيْنِي تَسْتَهْلُ بِمَائِهَا  
وَأِنْ أُبْدِهِ يَوْمًا فَقَدْ غَلَبَ الصَّبْرُ أَمَالِي فِي هَذَا وَأَمْثَالِهِ أَجْرُ

وقال أبو ذؤيب الهذلي:

وَعَيَّرَهَا الْوَأَشُونَ أَنِّي أُحِبُّهَا وَتِلْكَ شَكَاةُ ظَاهِرٍ عَنْكَ عَارَهَا  
فَإِنْ أَعْتَذِرُ مِنْهَا فَإِنِّي مُكَذِّبٌ وَإِنْ تَعْتَذِرُ يُرَدُّ عَلَيْهَا أَعْتَذَارُهَا<sup>(١)</sup>

وقال الضحاك بن عقيل<sup>(٢)</sup>:

يَقُولُونَ مَجْنُونٌ بِسَمَرَاءَ مُوَلِّعٌ أَلَا حَبِّذَا جُنُّ بِهَا وَوُلُوعٌ

(١) البيتان في شرح أشعار الهذليين ٧٠/١.

(٢) لم أهدد إلى ترجمته.

وَمَا زِلْتُ أَخْفِي حُبَّ سَمَرَاءَ مِنْهُمْ وَتَعَلَّمُ نَفْسِي أَنَّهُ سَيْشِيعُ  
وَلَا خَيْرَ فِي حُبِّ يَكُونُ كَأَنَّهُ شَغَافٌ أَجْنَتْهُ حَشَاً وَضُلُوعٌ

وقال الحسن بن وهب<sup>(٣)</sup>:

قَدْ كَتَمْتُ الْهَوَى بِمَبْلَغِ جُهْدِي قَبَدًا مِنْهُ غَيْرُ مَا كُنْتُ أَبْدِي  
فَخَلَعْتُ الْعِذَارَ فَلْيَعْلَمْ النَّاسُ بِأَنِّي إِيَّاكَ أَصْفِي بِوُدِّي

وأشدني أحمد بن يحيى:

وَلِي كِبِدٌ مَقْرُوحَةٌ مِنْ يَبِيعُنِي بِهَا كَبِدًا لَيْسَتْ بِذَاتِ قُرُوحٍ  
أَبَاهَا عَلَيَّ النَّاسُ لَا يَشْتَرُونَهَا وَمَنْ يَشْتَرِي ذَا عِلَّةٍ بِصَحِيحٍ<sup>(٤)</sup>

وقال معاذ ليلي:

وَمَا زِلْتُ أَعْلُو حُبِّ لَيْلَى فَلَمْ يَزَلْ بِِي النَّقْصُ وَالْإِبْرَامُ حَتَّى عَلَانِيَا  
وَأَشْهَدُ عِنْدَ اللَّهِ أَنِّي أُحِبُّهَا فَهَذَا لَهَا عِنْدِي فَمَا عِنْدَهَا لِيَا  
قَضَى اللَّهُ بِالْمَعْرُوفِ مِنْهَا لِغَيْرِنَا وَبِالشَّوْقِ مِنْهَا وَالتَّصَابِي قَضَى لِيَا  
فَلَوْ كُنْتُ أَعْمَى أَحْبَبْتُ الْأَرْضَ بِالْعَصَا أَصَمَّ فَنَادَتْني أَجَبْتُ الْمُنَادِيَا  
خَلِيلِي إِلَّا تَبْكِيَا لِي أَسْتَعِينُ خَلِيلًا إِذَا أَنْفَذْتُ دَمْعِي بَكَى لِيَا<sup>(٥)</sup>

وأشدني أبو العباس أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي لامرأة من

خشعم:

[وَأِنْ تَسْأَلُونِي مَنْ أُحِبُّ فَإِنِّي أُحِبُّ وَبَيْتَ اللَّهِ كَعَبْ بَنَ طَارِقٍ  
أُحِبُّ أَلْفَتِي أَلْجَعْدَ السَّلُولِي وَالْعَصَا مِنْ التَّبْعِ هَيَاهَا لِضَرْبِ الْمَفَارِقِ

(٣) في «م» والمطبوع: الحسين، وقد تقدمت ترجمته.

(٤) البيتان في ديوان المجنون ص ٩٥، وفي ديوان ابن الدمينية (طبعة قديمة) ص ٢٥ وفي

سمط اللاليء ص ٦٦٠ إنها لابن الدمينية أو خالد الكاتب، وهما في الأمالي ٢٠/٢

وأمالي المرتضى ٤٣٦/١ وانظر الخزانة ٦٠/٣، والأغاني (بولاق) ٤٧/٥ من دون نسبة.

(٥) ديوان المجنون ص ٢٩٤.

وقال أبو العتاهية:

قَالَ لِي أَحْمَدُ وَلَمْ يَدْرِ مَا بِي  
فَتَنَفَّسْتُ ثُمَّ قُلْتُ نَعَمْ حُ

وقال آخر:

وَقَالَ نِسَاءُ لَسَنَ لِي بِنَوَاصِحٍ  
أَحْبَبْتُ لَيْلَى جُهْدَ حَبِّكَ كُلِّهِ  
عَلَى ذَاكَ مَا يَمْحُو لِي الذَّنْبَ عِنْدَهَا

ولبعض أهل هذا العصر:

أَرَى كُلَّ مُرْتَابٍ يَخَافُ خِيَالَهُ  
يَكَادُ لِفَرْطِ الْخَوْفِ يُبْدِي ضَمِيرَهُ  
عَلَيَّ بَوَادٍ مَن يَخَافُ اغْتِيَابَهُ  
فَلْيَاكُمَا يَا صَاحِبَيَّ وَمَشْهُدًا  
وَلْيَاكُمَا وَالذَّنْبُ تَرْتَكِبَانِيهِ  
فَمَا كُلُّ مَعْدُورٍ حَقِيقًا بِعُذْرِهِ

وقال الخطيئة:

أَكُلُ النَّاسَ يَكْتُمُ حُبَّ هِنْدٍ  
وَمَا لَكَ غَيْرَ نَظَارٍ إِلَيْهَا

وقال الأحوص:

لَقَدْ سَلَ كُلَّ صَبٍّ أَوْ قَضَى وَطَرًا  
أَضْمَرْتُ ذَاكَ زَمَانًا ثُمَّ بُحْتُ بِهِ

أُحِبُّ الْغَدَاةَ عُثْبَةً حَقًّا  
بَاءَ جَرَى فِي الْعِظَامِ عِرْقًا فَعِرْقًا<sup>(٦)</sup>

لِيَعْلَمَنَّ مَا أَخْفِي وَيَعْلَمَنَّ مَا أُبْدِي  
لَعَمْرُ أَبِي لَيْلَى وَزِدْتُ عَلَى الْجَهْدِ  
وَتَمَحُّ دَوَاعِي حُبِّهَا ذَنْبَهَا عِنْدِي

كَأَنَّ عُيُونَ الْعَالَمِينَ تُرَاقِبُهُ  
لِكُلِّ أَمْرٍ تُخْشَى عَلَيْهِ عَوَاقِبُهُ  
تُبْتُ لَدَيْهَا فِي الْأَنَامِ مَنَاقِبُهُ  
تُنَسِّكُمَا مَا سَرُّ مِنْهُ عَوَاقِبُهُ  
وَأِنْ كَانَ فِي الْأَحْيَانِ يُعَذِّرُ رَاكِبُهُ  
وَلَا كُلُّ مَعْدُولٍ تَعِيبُ مَعَايِبُهُ

وَمَا يَخْفَى بِذَلِكَ مِنْ خَفِيٍّ  
كَمَا نَظَرَ الْفَقِيرُ إِلَى الْغَنِيِّ<sup>(٧)</sup>

وَمَا سَلَوْتُ وَمَا قَضَيْتُ أَوْطَارِي  
فَزَادَنِي سَقَمًا بَوَاجِي وَإِضْمَارِي

أَخْفَيْتُ فِي الْعُرْفِ هَذَا النُّكْرَ ذَلِكُمْ فَصَرَحَ الْوَجْدُ عَنْ عُرْفِي وَإِنْكَارِي<sup>(٨)</sup>

وَهَذَا لَعَمْرِي مِنْ حَسَنِ الْكَلَامِ وَنَفِيسِهِ. أَلَا تَرَى إِلَى إِخْبَارِهِ عَنِ  
اجْتِهَادِهِ فِي كَتْمِ مَا فِي قَلْبِهِ حَتَّى صَرَحَ الْوَجْدُ بِهِ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ لَهُ وَلَا اخْتِيَارٍ  
مِنْهُ؟ وَهَذِهِ هِيَ الْحَالُ الثَّامَةُ مِنْ جِهَتَيْنِ: إِحْدَاهُمَا أَنْ يَكُونَ الْمَحْبُّ مُؤْثِرًا  
الْإِسْرَارَ عَلَى الْإِعْلَانِ، وَالْأُخْرَى أَنْ يَكُونَ الْوَجْدُ تَمَلُّكُهُ مُلْكًا يَزُولُ مَعَهُ  
الْكِتْمَانُ فَيَكُونُ ضَاطِعًا لِنَفْسِهِ، مُؤْثِرًا لِكِتْمَانِ سِرِّهِ، مَا دَامَ التَّمْيِيزُ مَعَهُ إِلَى أَنْ  
يَغْلِبَهُ مِنَ الْوَجْدِ مَا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدْفَعَهُ.

ولقد أحسن البحري غاية الإحسان حيث يقول:

نَصَرْتُ لَهَا الشُّوقَ الْجُوجَ بِأَدْمَعٍ تَلَاخَقْنَ فِي أَعْقَابِ وَصْلٍ تَصَرَّمَا  
وَتَيَمَّنِي أَنْ الْجَوَى غَيْرُ مُقْصِرٍ وَأَنَّ الْحِمَى وَصَفَ لِمَنْ حَلَّ بِالْحِمَى  
أَوَّلُفُ نَفْسًا قَدْ أُعِيدَتْ عَلَى الْهَوَى شِعَاعًا وَقَلْبًا فِي الْغَوَايِي مُقْسَمًا  
لَقَدْ أَخَذَ الرُّكْبَانُ أَمْسَ وَغَادَرُوا حَدِيثَيْنِ مِنَّا ظَاهِرًا وَمُكْتَمًا  
وَمَا كَانَ بَادِي الْحُبِّ مِنَّا وَمِنْكُمْ لِيَخْفَى وَلَا سِرُّ التَّلَاقِي لِيَعْلَمَا<sup>(٩)</sup>

أَفَلَا تَرَى إِلَى حُسْنِ قِسْمَتِهِ لِمَا خَفِيَ وَمَا ظَهَرَ مِنْ سِرِّهِ فَأَعْلَمَكَ أَنَّ مَا بِهِ  
مِنْ غَلَبَاتِ الْوَجْدِ أَخْرَجَهَا الشُّوقُ عَنْ يَدِهِ؟ فَظَهَرَتْ لِمَنْ بِحَضْرَتِهِ وَأَنَّ  
مَا اسْتَوْدَعَهُ مِنَ السَّرَائِرِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِلْفِهِ، لَمْ يَكُنْ لِيُطْلِعَ عَلَيْهَا غَيْرُهُ.  
وَهَذَا هُوَ الَّذِي أَطْرَيْنَاهُ وَمَدَحْنَاهُ مِنْ فِعْلِهِ فِي الْبَابِ الْمَاضِي مِنْ وَجُوبِ ظُهُورِ  
الْحَالِ وَحَدَّثَاهُ، وَاسْتَخْفَاهُ مَا بَعْدَهَا. وَالْعِلَّةُ فِي ذَلِكَ أَنَّ مَكْتُومَ الْحُبِّ يُظْهِرُهُ  
الدَّمْعُ. وَمَكْتُونٌ مَا جَرَى مِنَ الْمُحِبِّينَ لَا يُظْهِرُهُ غَيْرُ النَّطْقِ. وَالنَّاسُ قَادِرُونَ  
عَلَى حَبْسِ أَلْسِنَتِهِمْ، وَعَاجِزُونَ عَنْ حَبْسِ دُمُوعِهِمْ، سَيِّمًا إِذَا مَلَكَهُمْ أَشْتِيَاقٌ،  
أَوْ جَدَّ بِهِمْ فِرَاقٌ.

(٨) شعر الأحوص ص ١٣٣ وانظر تخرج الأبيات.

(٩) الديوان ص ٢٠٣٨.

(٦) الديوان ص ٢٩٩ مع اختلاف في الرواية.

(٧) ديوان الخطيئة ص ٣٥.

ولقد أحسن الذي يقول:

يَا حَسْرَتَا قَدْ فَقِدَ الْعُمْرُ  
وَلَيْسَ لِي عَنْ مَالِكِي صَبْرُ  
وَكَمْ أَدَارِي النَّاسَ عَنْ قِصَّتِي  
وَلَيْسَ لِي عَنْ مَالِكِي سِرُ  
يَا رَبِّ قَدْ عَذَّبْتَنِي بِالْهَوَى  
طِفْلاً وَكُهْلاً فَلَكَ الشُّكْرُ

وقال جرير:

وَمَا زَالَ عَنِّي قَائِدُ الشُّوقِ وَالْهَوَى  
وَذِكْرُكَ حَتَّى كَادَ يَبْدُو فَيَفْضَحُ  
أَصُونُ الْهَوَى مِنْ خِشْيَةٍ أَنْ تَعْرِهَا  
عُيُونٌ وَأَعْدَاءُ مِنَ الْقَوْمِ كُشْحُ  
فَمَا بَرِحَ الْوَجْدُ الَّذِي قَدْ تَلَبَّسَتْ  
بِهِ النَّفْسُ حَتَّى كَادَ لِي الشُّوقُ يَذْبَحُ<sup>(١٠)</sup>

وقال العرجي:

إِذَا رُمْتُ كَيْتَمَانًا لَوْجِدَكَ حَرَشْتُ  
عَلَيْكَ أَلْعَدَى عَيْنٌ بِسِرِّكَ تَنْطِقُ  
لَهَا شَاهِدٌ مِنْ دَمْعِهَا كُلَّمَا وَفَى  
جَرَى شَاهِدٌ مِنْ دَمْعِهَا يَتَرَفَّقُ<sup>(١١)</sup>

وقال يزيد بن الطثرية:

جَرَى وَاكِفُ أَلْعَيْنَيْنِ بِالْذِمَّةِ السَّكْبِ وَرَاجِعَيْنِي مِنْ ذِكْرِ مَا قَدْ مَضَى حُبِّي  
وَأَبْدَى الْهَوَى مَا كُنْتُ أَخْفِي مِنْ أَلْعَدَى وَجَنِّ لِنَذْكَارِ الصَّبَى مَرَّةً قَلْبِي  
مَتَى يُرْسِلُ الْمُشْفِي إِنْ النَّاسُ مَحَلُّوا  
عُيُونًا لِأَكْنَافِ الْمَدِينَةِ فَالْهَضْبِ  
أُمْتُ كَمْدًا أَوْ أَضْنَ حَتَّى يُغِيثَنِي  
مُغِيثٌ بِسَبِّ مَنْ نَذَاهُنَّ أَوْ قُرْبِ  
حَنَا الْحَائِمِ الصَّادِي إِلَيْهَا وَخُلِيتُ  
قُلُوبٌ فَمَا يَقْدِرُونَ مِنْهَا عَلَى شُرْبِ  
جَعَلَنَ الْهَوَى دَاءً عَلَيْنَا وَمَا لَنَا  
إِلَيْهِمْ إِذْ أوردْنَا أَلْدَاءَ مِنْ ذَنْبِ<sup>(١٢)</sup>

(١٠) في «م» والمطبوع: ويفصح.

(١١) الديوان ص ٨٣٥.

(١٢) الديوان ص ٣٢.

(١٣) شعر يزيد بن الطثرية ص ٢٢ عن كتاب «الزهرة».

وقال آخر:

وَلَمَّا رَأَى أَلَّا سَبِيلَ وَأَنَّهُ  
تَهْتَكُ عَنْ أَسْرَارِ قَلْبٍ وَأَسْجَمَتْ  
هُوَ الْبَيْنُ مَقْصُورًا عَلَيْهِ الْأَصَالِعُ  
مَدَامِعُ عَيْنٍ بَيْنَهَا السِّرُّ ضَائِعُ  
وقال العباس بن الأحنف:

أَمْسَى بُكَاءُكَ عَلَى هَوَاكَ ذَلِيلًا  
دَارِ الْجَلِيسِ عَنِ الدُّمُوعِ فَإِنْ بَدَتْ  
فَارْجُرْ دُمُوعَكَ أَنْ تَفِيضَ هُمُولًا  
فَانْظُرْ إِلَى أَفْقِ السَّمَاءِ طَوِيلًا<sup>(١٤)</sup>

وقال آخر:

بَيْنَ الْجَوَانِحِ مِنْكَ قَلْبٌ خَافِقُ  
إِجْهَرُ بِحُبِّكَ طَالَمَا أَسْرَرْتَهُ  
وَلِسَانٌ دَمْعَكَ عَنْ ضَمِيرِكَ نَاطِقُ  
وَإِذَا اسْتَسَرَّ الْحُبُّ مَاتَ الْعَاشِقُ

وقال آخر:

لَوْلَا تَحَدَّرُ دَمْعِي جِئْتُ تُذَكِّرُ لِي  
فَمَا أَحْتِيَإِلِي بِعَيْنٍ غَيْرِ رَاقِبَةٍ  
لَمْ يَعْلَمْ النَّاسُ مِنْ سِرِّي بِمَكْنُومِ  
تَبْكِي بِدَمْعَيْنِ مَذْرُوفٍ وَمَسْجُومِ  
وَقَدْ يَكُونُ سَتِيرًا غَيْرَ مَذْمُومِ  
نَمْتُ عَلَيَّ فَأَبَدْتُ مَا اسْتَرَدْتُ بِهِ

وقال أبو حفص الشطرنجي<sup>(١٥)</sup>:

وَقَالَتْ بُحْتُ بِأَلْأَسْرَارِ عَيْنِي  
فَقُلْتُ لَهَا فَذَلِكَ أَلْنَفْسُ نَمْتُ  
وَمَا هَذَا بِفَعْلٍ أَخِي الْكَرِيمِ  
بِمَا لَاقَيْتُ مُقْلَتِي الْمَشُومَةِ  
فَأَلْقَتْ نَفْسَهَا ضَحْكَاً وَقَالَتْ  
قَدْ أَرْتَفَعَ الْحَدِيثُ عَنِ النَّعِيمِ

ولقد أحسن ابن قنبر حيث يقول<sup>(١٦)</sup>:

خُلِدْنِي بِمَا يَجْنِي لِسَانِي وَأَصْفَحِي  
لَنَا عَنْ جَنَابَاتِ الدُّمُوعِ الْبَوَادِرِ

(١٤) الديوان ص ٢٢٨ مع اختلاف في الرواية.

(١٥) لم أهدت إلى ترجمته.

(١٦) لم أهدت إلى ترجمته.

فَقَدْ شَهَرْتَنِي مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ  
وَلَوْ أَنَّ عَيْنِي طَاوَعْتَنِي لِأَخْتَفِي  
وَلَكِنَّهَا تُبْدِي إِذَا مَا ذَكَرْتُمْ  
بِقَيْضِ مَا قِيَهَا خَبَايَا الضَّمَائِرِ

وقال أحمد بن أبي قين (١٧):

وَلَمَّا أَبَتْ عَيْنَايَ أَنْ تَسْتَرَا أَلْهَوَى  
تَشَاءَتْ كَيْلًا يُنْكِرَ الدَّمْعُ مُنْكَرُ  
أَعْرَضْتُمَانِي لِلنَّدَى وَنَمَمْتُمَا

وقال النابغة:

طَوَى كَشْحًا خَلِيلُكَ وَالْجَنَاحَا  
فِيَا لَكَ حَاجَةً فِي صَدْرِ صَبٍّ  
لِيَبْنِي مِنْكَ يَوْمَ غَدَا وَرَاحَا  
رَأَى الْأَظْعَانَ بَاكِرَةً فَبَاحَا (١٨)

وقال البحتري:

يَا أَخَا الْأَزْدِ مَا حَفِظْتَ الْإِخَاءَ  
عَدْلًا يَتْرُكُ الْحَنِينَ أَنْيَاءَ  
كَيْفَ أَغْدُو مِنَ الصَّبَابَةِ خُلُوءًا  
حَجَبُوهَا حَتَّى بَدَتْ لِفِرَاقٍ  
أَضْحَكَ الْبَيْنُ يَوْمَ ذَلِكَ وَأَبْكَى  
فَجَعَلْنَا الْوَدَاعَ فِيهِ سَلَامًا  
وَوَشَّتْ بِي إِلَى الْوُشَاةِ دُمُوعُ آلٍ  
لِمُحِبٍّ وَمَا ذَكَرْتَ الْوَفَاءَ  
فِي هَوَى يَتْرُكُ الدَّمُوعَ دِمَاءَ  
بَعْدَمَا رَاحَتْ الدِّيَارُ خَلَاءَ  
كَانَ ذَاءٌ لِعَاشِقِي وَدَوَاءَ  
كُلِّ ذِي صَبْوَةٍ وَسَرَّوَسَاءَ  
وَجَعَلْنَا الْفِرَاقَ فِيهِ لِقَاءَ  
عَيْنٍ حَتَّى حَسِبْتُهَا أَعْدَاءَ (١٩)

فَدَ كَثُرَ النَّاسُ فِي شِكَايَةِ الدَّمْعِ ، وَخَبَرُوا بِأَنَّهُ مِنْ أَشَدِّ الْأَشْيَاءِ دَلَالَةً

(١٧) لم أهتم إلى ترجمته .

(١٨) لم أجدتهما في الديوان .

(١٩) الديوان ص ١٣ .

عَلَى السُّرُورِ بِمَا أَمْتَنَعَ بِضُرُوبٍ مِنَ الصَّنَائِعِ ، إِمَّا لِفَرْطِ جَفَافٍ فِي الدِّمَاغِ  
يَحْتَمِلُ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَخَارَاتِ ، فَلَا يَنْحَدِرُ عَنْهُ حَتَّى يَكْثُرَ كَثْرَةً غَالِبَةً ، وَرُبَّمَا  
أَمْتَنَعَ لِشِدَّةِ الْكَمَدِ حَسَبَ مَا ذَكَرْنَاهُ بَدِيًّا . وَلِلْهَوَى دَلَالَاتٌ تَتَبَّنُ فِي الزُّفَرَاتِ  
وَاللُّونِ وَالنَّظَرِ . وَالْإِشَارَاتِ لَا تَكَادُ تَفْتَقِدُ وَجَدَهَا ، [وَأَمْتَنَعَهَا أَيْضًا يَرَاهَا وَإِنْ  
لَمْ يَعْرِفْ [لَهَا] شَبِيهَا عِنْدَ تَلَاقِي الْمَتَحَابِّينِ .

أنشدنا أحمد بن أبي طاهر:

تَكَلَّمَ عَمَّا فِي الصُّدُورِ عِيُونُنَا  
فَمَنْ قَالَ إِنَّ الْحُبَّ يَخْفَى لِذِي أَلْهَوَى  
وَتَفَقَّهُ عَنَّا أَعْيُنٌ وَحَوَاجِبُ  
إِذَا مَا رَأَى أَحْبَابَهُ فَهُوَ كَاذِبُ

ولبعض أهل هذا العصر:

لَا خَيْرَ فِي عَاشِقٍ يُخْفِي صَبَابَتَهُ  
يُخْفِي هَوَاهُ وَمَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ  
بِالْقَوْلِ وَالشُّوقِ مِنْ زُفَرَاتِهِ بَادِي  
حَتَّى عَلَى الْعَيْسِ وَالرُّكْبَانِ وَالْحَادِي

وقال مسلم بن الوليد:

أَمَّا الْجَمِيعُ فَرَايِلُكَ لِنِيَّةٍ  
تَاللَّهِ مَا عَلِمَ السُّرُورُ وَلَا الْكَرَى  
فَإِذَا زَجَرْتُ الْقَلْبَ عَادَ وَجِيئُهُ  
وَإِذَا رَجَعْتَ إِلَى أَلْهَوَى بَعَثَ أَلْهَوَى  
فَمَتَى تَرَاهُمْ رَاجِعِينَ قُفُولًا  
أَنَّ الْفِرَاقَ مِنَ الْإِلْقَاءِ أُدِيلًا  
وَإِذْ حَسِبْتُ الدَّمْعَ فَاضَ هُمُولًا  
نَفْسًا يَكُونُ عَلَى الضَّمِيرِ دَلِيلًا (٢٠)

ولبعض أهل هذا العصر:

هَبُونِي أَخْفَيْتُ الَّذِي بِي مِنَ أَلْهَوَى  
وَمَا زِلْتُ أَسْتَحْيِي مِنَ النَّاسِ أَنْ أَرَى  
وَبِاللَّهِ مَا حُلْتُ الْغَدَاةَ عَنِ الَّذِي  
وَقَدْ ذَابَ قَلْبِي الْيَوْمَ شَوْقًا وَصَبْوَةً  
فَلَا تَتَعَجَّبُ إِنْ تَظَلَّمْتُ مُحْجُوجًا  
فَقَدْ حَانَ لِلْمَظْلُومِ أَنْ يَتَظَلَّمَ  
أَلَمْ يَكْ عَنْ [مَا بِي] ضَمِيرٌ مُتَرَجِّمًا  
ظُلُومًا لِيَفِي أَوْ أَرَى مُتَظَلِّمًا  
عَهْدَتَ وَلَكِنْ كُنْتُ إِذْ ذَاكَ مُنْعَمًا  
إِلَيْكَ وَمَا تَرْتِي لِقَابِي مِنْهُمَا  
فَقَدْ حَانَ لِلْمَظْلُومِ أَنْ يَتَظَلَّمَ

(٢٠) الديوان ص ص ٥٣ - ٥٤ ، ولم أجد البيتين الرابع .

وقال آخر:

لَوْ كُنْتُ أَظْهَرُ مَا أَكَاثِمُكُمْ [بِهِ] هَلْ كُنْتُ إِلَّا مُخْبِرًا بِرَوَادِي  
أَفْلَيْسَ فِي نَظَرِي تَأْمُلُ بَاتِنَ بُنْيَاكِ عَمَّا فِي ضَمِيرِ فَوَادِي  
فَهَذِهِ الْجِهَاتُ كُلُّهَا تَنُمُ الْهَوَى عَلَى أَهْلِهِ، وَتَذُلُّ مُشَاهِدَتُهَا عَلَى  
مَوْضِعِهِ. وَرُبَّمَا كَانَ إِفْرَاطُ التَّحْفُظِ دَلًّا عَلَى هَوَى التَّحْفُظِ، لِأَنَّ التَّصَنُّعَ  
الشَّدِيدَ يُخْرِجُ عِنْدَ الْعَادَةِ فَيُوقِعُ التَّهْمَةَ بِمَنْ اسْتَعْمَلَهُ. لَقَدْ سَمِعْتُ قَتَى مِنْ  
أَهْلِ الْأَدَبِ يَقُولُ لِأَخَرٍ مِنْ أَهْلِ الْهَوَى، وَقَدْ أَفْرَطَ فِي اخْتِشَامِهِ وَحَافِزٍ أَنْ  
يَطْلُعَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ حَالِهِ، قَدْ وَاللَّهِ بَلَغَ مِنِّي مَا أَرَاهُ بِكَ عَلَى أَنَّهُ مَا يَظْهَرُ لِي  
مِنْ حَالِكَ إِلَّا كَيْتَمَانُكَ لِأَمْرِكَ.

ولبعض أهل هذا العصر في نحو ذلك:

أَرَيْتَنِي النِّجْمَ يَجْرِي بِالنَّهَارِ فَلَا فَرْقًا أَرَى بَيْنَ إِصْبَاحِي وَإِمْسَائِي  
أَخْفَيْتُ حُبَّكَ حَتَّى قَدْ ضُنَيْتُ بِهِ فَصَارَ يُظْهِرُ مَا أَخْفَيْتُ بِهِ إِخْفَائِي

□ □ □

الباب الخامس والأربعون:

مَنْ لَمْ يَقَعْ لَهُ الْهَوَى بِاِكْتِسَابٍ لَمْ يَنْزَجِرْ بِالْعِتَابِ

الْعِلَّةُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْمُعَاتَبَةَ إِنَّمَا هِيَ تَوْفِيفٌ عَلَى مَوَاضِعِ الْمَصْلَحَةِ  
وَتَبْيِينٌ لِمَا فِي الْحَالِ الَّتِي بَقِيَ عَلَيْهَا الْمُعَاتِبُ مِنَ الْمُنْقَصَةِ. فَمَنْ كَانَ أَصْلُ  
هَوَاهُ اخْتِيَارًا لِنَفْسِهِ فَتَبَيَّنَ مَوْضِعُ النِّقْصِ فِي اخْتِيَارِهِ، رَجَعَ إِلَى قَوْلِ عُدَّالِهِ.  
وَمَنْ وَقَعَ هَوَاهُ مُضْطَرًّا بِغَلَبَةِ إِلَى الْإِنْقِيَادِ لِأَلْفِهِ، لَمْ يَغْلِقِ الْعَدْلُ بِسَمْعِهِ، لِأَنَّ  
الْعَدْلَ يَأْتِيهِ مِنْ غَيْرِ جِهَتِهِ. وَالشَّيْءُ لَا يُوجِبُ زَوَالَهُ إِلَّا ضِدُّ مَا أَوْجَبَ ثَبَاتَهُ.  
فَكَمَا أَنَّ الْهَوَى الْإِخْتِيَارِيَّ يَضَادُّهُ التَّوْقِيفُ عَلَى مَوَاضِعِ الْحَالِ، فَيُوجِبُ عَلَى  
صَاحِبِهِ أَنْ يَخْتَارَ إِزَالَتَهُ، فَكَذَلِكَ الْهَوَى الْإِضْطِرَّارِيُّ لَا يُزِيلُهُ إِلَّا اضْطِرَّارٌ  
يَضَادُّهُ. وَالْهَوَى الْإِخْتِيَارِيُّ أَيْضًا عَلَى ضَعْفِهِ لَا تَمَحُوهُ ضَرُوبَتُهُ وَلَا يَتَعَارَضُ  
فِي تَرْكِهِ، لِأَنَّهَا تَجِيءُ مِنْ غَيْرِ جِهَتِهِ. وَهُوَ لَا يَزُولُ إِلَّا بِزَوَالِ الْجِهَةِ الَّتِي  
أَوْجَبَتْهُ، إِذْ مُحَالٌ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ عِلَّةً لِشَيْءٍ فَيَزُولَ الْمَعْلُولُ وَالْعِلَّةُ قَائِمَةً.

ولقد أحسن عمرو بن ضبيعة الرقاشي<sup>(١)</sup> حيث يقول:

قَضَى اللَّهُ حُبَّ الْمَالِكِيَّةِ فَاصْطَبِرْ عَلَيْهِ فَقَدْ تَجَرَّى الْأُمُورُ عَلَى قَدَرٍ  
أَلَّا فَلْيَقُلْ مَنْ شَاءَ إِنَّمَا يُلَامُ الْفَتَى فِيمَا اسْتَطَاعَ مِنَ الْأَمْرِ

وللبحتري في نحو ذلك:

لِلْحُبِّ عَهْدٌ فِي فَوَادِي لَمْ يَخُنْ مِنْهُ السُّلُوْ وَذِمَّةٌ لَمْ تُخْفَرِ

(١) في «م» والمطبوع: عمر. وهو عمرو بن ضبيعة الرقاشي وقد مرَّت الإشارة إليه.

لَا أَبْتَغِي بَدَلًا بِسُلْمَى خُلَّةً

فَلْتَقْتِرِبْ بِالْوَصْلِ أَوْ فَلْتَهْجُرْ<sup>(٢)</sup>

وقال يحيى بن منصور<sup>(٣)</sup>:

يَلُومُكَ فِيهَا اللَّائِمُونَ كَأَنِّي  
[وَأِنِّي أَرَى الْعَيْنَ الَّتِي لَا] تُنِيمُهَا  
فَهَا أَنَا مَتْرُوكٌ وَبَيْتِي فَإِنَّهُ

لَأَمْرٍ الْوُشَاةِ مُسْتَفِيدٌ مُسَلِّمٌ  
إِذَا جَعَلْتَ عَيْنَ الْوُشَاةِ نُسُومٌ  
شَتِيتُ بِهِ أَهْوَاؤَهُ مُتَقَسِّمٌ

ولقد أحسن أبو تمام حيث يقول:

أَلَمْ تَرِنِي خَلِيتُ عَيْنِي وَشَانَهَا  
لَقَدْ خَوَّفَتْنِي النَّائِبَاتُ صُرُوفَهَا  
عِنَانٌ مِنَ اللَّذَّاتِ قَدْ كَانَ فِي يَدِي  
بِقَوْلُونِ هَلْ يَبْكِي أَلْفَتِي لِخَرِيدَةٍ  
وَهَلْ يَسْتَعِيزُ الْمَرْءُ مِنْ خَمْسٍ كَفِّهِ

وَلَمْ أَحْفَلِ الدُّنْيَا وَلَا حَدَثَانَهَا  
وَلَوْ أَمَتْنِي مَا قَبِلْتُ أَمَانَهَا  
فَلَمَّا مَضَى الْإِلْفُ اسْتَرَدَّتْ عِنَانَهَا  
مَتَى مَا أَرَادَ اعْتَاَصَ عَشْرًا مَكَانَهَا  
وَلَوْ صَاغَ مِنْ حُرِّ اللَّجِينِ بَنَانَهَا<sup>(٤)</sup>

وانشدني أحمد بن يحيى:

لَا تَلْجِيَا فِي جِبِّ طَبِيبَةٍ هَائِمًا  
هَيْمَانُ يَعْطَشُ بِالْفُرَاتِ لِحُبِّهَا  
وقال آخر:

فَكَادَ يَعْتَبِينِي فِي غَيْرِ فَاحِشَةٍ  
يَا أَيُّهَا الْعَاذِلُ الرَّاجِي لِأَعْيُنِهِ  
أَفِي الصَّبَى لُمْتَنِي أَنْتَ الْفِدَاءُ لَهُ  
إِذَا دَمَمْتَ الصَّبَى يَوْمًا فَلَا تَرِنِي  
إِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا نِيَّاتُهَا اخْتَلَفَتْ

بَغْضِ اتِّبَاعِ الْهَوَى وَالْمَشْرَبِ الْأَلْفُ  
مَاذَا تَرَكَ مِنَ التَّلَوَامِ تَعْتَرِفُ  
وَهَلْ عَصَى لَكَ مِنْ لَذَائِهِ خَلْفُ  
مِمَّنْ يُطِيعُكَ أَوْ يَرْضَى بِمَا تَصِفُ  
فَلَا تَكَاذُ عَلَى الْأَضْغَانِ تَأْتَلِفُ

(٢) الديوان ص ١٠٣٩.

(٣) من شعراء الحماسة وقد مرت الإشارة إليه.

(٤) لم أجد الأبيات في الديوان.

وانشدني أحمد بن يحيى:

وَقَدْ عَلِمْتُ سَمَاءً أَنَّ حَدِيثَهَا  
إِذَا أَمَرْتُكَ الْعَاذِلَاتُ بِصَرْمِهَا

فَجِيعٌ كَمَا مَاءُ السَّمَاءِ فَجِيعٌ  
هَفَّتْ كَبَدٌ مِمَّا يَقْلُنُ صَدِيعٌ

وزادني غيره:

وَكَيْفَ أَطِيعُ الْعَاذِلَاتِ وَحُبُّهَا

يُورِقُنِي وَالْعَاذِلَاتُ هُجُوعٌ

وقال أبو صخر الهذلي:

أَرَقْتُ وَنَامَ عَيْنِي مَنْ يَلُومُ  
كَأَنِّي مِنْ تَذَكُّرِهَا أَلَا قِي  
سَلِيمٌ مَلٌ مِنْهُ أَقْرَبُوهُ  
يَلُومُكَ فِي مَوَدَّتِهَا رِجَالُ  
قُلُوبِهِمْ وَأَنْفُسُهُمْ صِحَاحُ  
فَأَنْتَ وَإِنْ لَحَاكَ النَّاسُ فِيهَا

وَلَكِنْ لَمْ تَنْمَ عَيْنِي الْهُمُومُ  
أَدَى مَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ أَلْبِهِيمُ  
وَعَطَّلَهُ الْمُدَاوِي وَالْحَمِيمُ  
لَوْ أَنَّهُمْ بِدَائِكَ لَمْ يَلُومُوا  
وَقَلْبُكَ مِنْ تَذَكُّرِهَا سَقِيمُ  
جَمِيعَ النَّاسِ تَعْصِي أَوْ تَلُومُ<sup>(٥)</sup>

وقال الضحاك بن عقيل الخفاجي<sup>(٦)</sup>:

لَقَدْ لَامَنِي فِيهَا رِجَالٌ وَقَدْ أَرَى  
يُخْبِرُنِي أَنِّي سَفِيهُ فَرَادِنِي  
عَلَى حُبِّهَا فَازْدَدْتُ ضِعْفًا وَلَمْ أَكُنْ

مَكَانَ نِسَاءٍ قَدْ مُلِثْنَ لَهَا حَقْدًا  
مَقَالَةً مَنْ قَدْ قَالَ لِي وَلَهَا وَجْدًا  
أَرَى [قَبْلُ] عِنْدِي غَيْرَ مَا اسْتَسْلَعْتُ وَدَا

وَهَذَا لَعَمْرِي مِنْ أَحْسَنِ الْكَلَامِ وَجَوْدِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي الْبَيْتِ الْأَخِيرِ  
غَلَطٌ سِيرٌ، لِأَنَّهُ زَعَمَ أَنَّ مِنْ مَلَامِهِمْ فِيهَا زَادَهُ ضِعْفًا مِنْ مَحَبَّتِهَا. وَالْعَدْلُ  
لَا يَزِيدُ الْمَحَبَّةَ وَلَا يَنْقُصُهَا، وَلَكِنْ النَّفْسُ إِذَا أَشْتَدَّ ضَنْهَا فَعَرِي الْعَدْلُ  
بِمَسَامِعِهَا، عَارِضَهَا ضَرْبٌ مِنَ الْإِشْفَاقِ عَلَى حَالٍ مَنْ عَوَّيْتُ فِي مَحَبَّتِهِ،

(٥) لم أجدها في أشعار الهذليين.

(٦) لم أهد إلى ترجمته، وكان قد ورد قبل هذا.

وَحَشِيتُ أَنْ يَكُونَ الْعَذْلُ مُزِيلًا لَهُ عَنْ مَرْتَبَتِهِ. وَكَانَ تَحْرِيكَ خَاطِرَةِ الظَّنِّ  
بِذَلِكَ زَائِدَةً فِي الْقَلْتِ، وَمُهَيِّجَةً لِلْفِكْرِ، فَيَتَوَهَّمُ صَاحِبُهَا أَنَّ مَحَبَّتَهُ قَدْ تَزَايَدَتْ.  
وَمَا تَزَايَدَتْ وَلَا تَنَاقَصَتْ. وَهَذَا الْعَلَطُ لَمْ يَجْرِ عَلَى صَاحِبِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ  
وَحْدَهُ، بَلْ قَدْ جَرَى عَلَى مَنْ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ.

وقال معاذ ليلي في نحو ذلك:

يَقْرُ بَعْنِي قُرْبُهَا وَيَسْرِدُنِي  
بِهَا عَجَبًا مَنْ كَانَ جِنْدِي يَعْيبُهَا  
وَكَمْ قَائِلٍ قَدْ قَالَ تُبْ فَعَصَيْتُهُ  
وَتِلْكَ لَعْمَرِي تَوْبَةٌ لَا أَتَوُّهَا  
فَيَا نَفْسُ صَبْرًا لَسْتُ وَاللَّهِ فَأَعْلِمِي  
بِأَوَّلِ نَفْسٍ غَابَ عَنْهَا حَبِيبُهَا (٧)

وقال عمر بن يحيى الطائي (٨):

قَالَ الْعَوَاذِلُ لِي أَيْتَقُصُ حُبُّهَا  
تَأْبَى قَرَابَةً بَيْنَنَا وَمَوَدَّةً  
طُولًا [يَنْ] فِي حُجَجٍ مَضِينَ سَوَالِفٍ  
وَإِذَا تَعَرَّضَ رَاجِعٌ عَنْ حُبِّهَا  
لَا بَلَّ عَلَى رَغَمِ الْوُشَاةِ يَزِيدُ  
وَلَهَا عَلَيَّ مَوَائِقُ وَعَهْودُ  
حَذَرَ الْوُشَاةِ فَتَقْضُهُنَّ شَدِيدُ  
قُلْنَا عَلَيْكَ صَفَائِحَ وَلُحُودُ

وقالت وجيهة بنت أوس (٩):

وَعَاذِلِي تَعْدُو عَلَيَّ تَلُومُنِي  
عَلَى الشَّوْقِ لَمْ تَمَحُ الصَّبَابَةَ مِنْ قَلْبِي  
فَمَا لِي إِنْ أَحْبَبْتُ أَرْضَ عَشِيرَتِي  
وَأَبْغَضْتُ طُرْفَاءَ الْقَصِيَّةِ مِنْ ذَنْبِ

(٧) ديوان المجنون ص ٦٨، وقد وردت الأبيات في سمط اللاليء ص ٩٠٠، ومصباح  
العشاق ص ٢٥١، وأمالى القالي ١٢٧/٢، ٢٦٢، وقد وردت في الأغاني (الجزء  
التاسع) في ترجمة قيس بن ذريح، كما وردت في الخزنة ٢٩٣/٤.

(٨) لم أهدئ إلى ترجمته.

(٩) تقدمت الإشارة إليها، والبيتان في الحماسة (التبريزي) ٣٣٨/٣ وقد ورد في «م»  
والمطبوع: وأحببت.

وقال مالك بن الحارث الهذلي (١٠):

يَقُولُ الْعَوَاذِلَاتُ أَكُلُ يَوْمٍ  
لِسُرْبَةٍ مَالِيكِ عَنْقٍ شَنَاحٍ  
وَقَدْ خَرَجَتْ نَفْسُهُمْ فَمَاتُوا  
عَلَى إِخْوَانِهِمْ وَهُمْ صَحَاحٍ  
وَلَسْتُ مُقْصِرًا مَا سَافَ مَالِي  
وَلَوْ عَرِضَتْ لِلْبَيْتِ الرِّمَاحُ  
فَلُومُوا مَا بَدَا لَكُمْ فَلَانِي  
سَأَعْتِيكُمْ إِذَا انْفَسَحَ الْمُرَاحُ (١١)

وقال جرير:

إِذَا مَا نَمِتَ هَانَ عَلَيْكَ لَيْلِي  
وَلَيْلُ الطَّارِقَاتِ مِنَ الْهُمُومِ (١٢)  
إِذَا مَا لُمْتَنِي وَعَذَرْتُ نَفْسِي  
فَلُومِي مَا بَدَا لَكَ أَنْ تَلُومِي

وقال القعقاع (١٣):

خَلِيلِي مُرًّا بِي قَلِيلًا لَشُوجَرَا  
وَأَنْ تَكْسِبَا خَيْرًا مِنَ الْحَمْدِ وَالْأَجْرِ  
فَقَالَا أَتَى اللَّهَ الْعَلِيُّ فَأَيْنَمَا  
تُصَلِّيكَ أَسْبَابُ الْهَوَى لَهَبُ الْجَمْرِ  
فَقُلْتُ أَطِيعَانِي فَلَيْسَ عَلَيْكُمَا  
حِسَابِي إِذَا لَاقَيْتَ رَبِّي وَلَا وَرْثِي  
عَلَيَّ الَّذِي أَجْنِي وَلَيْسَ عَلَيْكُمَا  
وَرْثِي أَوْلَى بِالتَّجَوُّزِ وَالْغُفْرِ  
أَتَحْرِقُنِي يَا رَبِّ إِنْ عُجِبْتُ عَوْجَةً  
عَلَى رَخَصَةِ الْأَطْرَافِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ

أَمَّا الْعَذْلُ الَّذِي يَقَعُ آيِدَاءُ فَلَيْسَ عَلَى النَّفْسِ مِنْهُ مِنَ الْمُؤُونَةِ،  
كَمَا عَلَيْهَا مِنْ عَذْلِ مَنْ أُمِلَتْ عِنْدَهُ مِنَ الْمُعُونَةِ. وَلَقَدْ كَسَبَ هَذَا الْبَائِسُ عَلَى  
نَفْسِهِ تَعَبًا كَاسِرًا لِمُنْقَلَبِهِ، وَمُسْقِطًا لِهَيْمَتِهِ بِاسْتِدْعَائِهِ الْمُسَاعَدَةَ مِنْ ذِكْرِ قِصَّتِهِ.  
وَمِنْ هَذَا وَأَشْبَاهِهِ كَرِهْنَا لِلْمُحِبِّ الْإِطْلَاعَ عَلَى أَسْرَارِهِ، وَلَكِنْ مَتَى غَلِبَ عَلَى  
أَمْرِهِ، لَمْ يَلْمُ عَلَى إِفْشَاءِ سِرِّهِ.

(١٠) انظر ترجمته في معجم الشعراء ص ٢٦٢، وهو شاعر مخضرم.

(١١) الأبيات في شرح أشعار الهذليين ص ٢٣٧.

(١٢) ديوان جرير (الصاوي) ص ٥٠٦ ورد البيت الأول.

(١٣) لقد مر القعقاع الهذلي في صفحة سابقة، ولا نعلم أيكون هذا هو الهذلي أم «قعقاع»

آخر مثل القعقاع النمرى، والقعقاع بن توبة العقيلي.



ولقد أحسن أبو تمام الطائي حيث يقول:

فَحَوَاكَ عَيْنٌ عَلَى نَجْوَاكَ يَا مَذِلٌ      حَتَامٌ لَا يَتَقَضَى قَوْلُكَ الْخَطِلُ  
وَإِنْ أَسْمَجَ مَنْ تَشْكُو إِلَيْهِ هَوَى      مَنْ كَانَ أَحْسَنَ شَيْءٍ عِنْدَهُ الْعَذْلُ<sup>(١٤)</sup>

وقال يزيد بن الطثرية:

تَذَكَّرْتُ ذَاتَ الْخَالِ مِنْ فَرْطِ حُبِّهَا      ضَحَى وَالْقَلَاصُ الْيَعْمَلَاتُ بِنَا تَخْدِي  
فَمَا مَلَكَتْ عَيْنَايَ حِينَ ذَكَرْتُهَا      دُمُوعُهُمَا حَتَّى أَنْحَذِرْنَ عَلَى خَدَيِ  
فَأَتَيْنِي صَحْبِي وَقَالُوا أَمِنْ هَوَى      بَكَيْتَ وَلَوْ كَانُوا هُمْ وَجَدُوا وَجْدِي  
وَقَالُوا لَقَدْ كُنَّا نَعُدُّكَ مَرَّةً      جَلِيداً وَمَا هَذَا بِفِعْلٍ فَتَى جَلْدِ  
أَلَا لَا تَلُومُونِي فَلَسْتُ وَإِنْ نَأَتْ      بِمُنْصَرِمٍ عَنْهَا هَوَايَ وَلَا وَدِي  
أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ الرِّعَابِيَّ لَمْ تَزَلْ      مَفَاتِينَ قَبْلِي لِلْكُھُولِ وَلِلْمُرْدِ  
فَإِنْ أَغْوَى لَا تُكْتَبْ عَلَيْكُمْ غَوَايِي      أَجَلٌ لَا وَإِنْ أَرَشِدْ فَلَيْسَ لَكُمْ رُشْدِي  
وَإِنْ لِدَاتِ الْخَالِ يَا صَاحِرَ زُلْفَةٍ      وَمَنْزِلَةٌ مَا نَالَهَا أَحَدٌ عِنْدِي<sup>(١٥)</sup>

وقال أيضاً:

أَلَا يَا خَلِيلِي اللَّذِينَ تَوَاصَيَا      بِي اللَّوْمُ إِلَّا أَنْ أُطِيعَ وَأَسْمَعَا  
قَفَا فَأَنْظُرَا لَا بُدَّ مِنْ رَجْعِ نَظْرَةٍ      يَمَانِيَّةٍ شَتَّى بِهَا الْقَوْمُ أَوْمَعَا  
لِمُعْتَصِبٍ قَدْ عَزَّهُ الْقَوْمُ أَمْرُهُ      يَكْفُ حَيَاءَ عِبْرَةٍ أَنْ تَطْلَعَا  
فَإِنْ كُنْتُمْ تَرْجُونَ أَنْ تَصْرِفُوا الْهَوَى      بَيْنَهُمَا وَيُرَوَى فِي السَّرَابِ فَيَنْفَعَا  
فَرُدُّوا هُبُوبَ الرِّيحِ أَوْ غَيِّرُوا الْهَوَى      إِذَا حَلَّ الْوَادُ الْخَشَا فَتَمْنَعَا<sup>(١٦)</sup>

(١٤) ديوان أبي تمام ٥/٣.

(١٥) شعر يزيد بن الطثرية ص ٣٧ عن كتاب «الزهرة».

(١٦) أقول لعلها من العينة المشهورة التي تقدم الكلام عليها، وقد نسبت إلى المجنون وإلى الصمة القشيري وإلى قيس بن ذريح.

وقال ذو الرمة:

أَعَادِلَ قَدْ أَكْثَرْتَ مِنْ قِيلٍ قَائِلٍ      وَعَيْبٌ عَلَى ذِي اللَّبِّ لَوْمُ الْعَوَازِلِ  
أَعَادِلَ قَدْ جَرَّبْتُ فِي الدَّهْرِ مَا كَفَى      وَنَظَرْتُ فِي أَعْقَابِ حَقٍّ وَبَاطِلِ  
فَمَا الدَّهْرُ مِنْ خَرَفَاءَ إِلَّا كَمَا أَرَى      حَيْنٍ وَتَذَرَأُ الدُّمُوعُ الْهَوَاطِلِ<sup>(١٧)</sup>

وقال عدي بن زيد:

وَعَاذِلِي هَبْتُ بَلِيلٍ تَلُومُنِي      فَلَمَّا غَلَتْ فِي اللَّوْمِ قَلْتُ لَهَا أَقْصِرِي  
أَعَادِلَ قَدْ أَطْنَبْتَ غَيْرَ مُصِيبَةٍ      فَإِنْ كُنْتَ فِي يَّ فَنَفْسُكَ فَارْشِدِي  
أَعَادِلَ إِنْ الْجَهْلُ مِنْ لَذَّةِ الْفَتَى      وَإِنْ أَلْمَنِيَا لِلرِّجَالِ بِمَرْصِدِ  
كَفَى حَزناً لِلْمَرْءِ أَيَّامَ دَهْرِهِ      تَرُوحُ لَهُ بِأَلْوَاعِظَاتٍ وَتَغْتَدِي<sup>(١٨)</sup>

وأنشدني أحمد بن يحيى لجميل بن معمر:

يَقُولُونَ مَهْلاً يَا جَمِيلُ وَإِنِّي      لَأَقْسِمُ مَا بِي عَنْ بُيْتِنَةٍ مِنْ مَهْلٍ  
أَجِلْماً فَقَبْلَ الْيَوْمِ كَانَ أَوَانُهُ      أَمْ أَخْشَى فَقَبْلَ الْيَوْمِ أَوْعَدْتُ بِالْقَتْلِ<sup>(١٩)</sup>

وقال آخر:

تَقُولُ الْعَاذِلَاتُ تَعَزَّ عَنْهَا      وَدَاوِ غَلِيلَ قَلْبِكَ بِالسُّلُوفِ  
وَكَيْفَ وَنَظْرَةٌ مِنْهَا اخْتِلَاسٌ      أَلَدُّ مِنَ الشَّمَاتَةِ بِالْعَدُوِّ

وقال الطائي:

أَذَكَّتْ عَلَيْكَ شَهَابٌ نَارٌ فِي الْحَشَا      بِالْعَذْلِ وَهَذَا أُحْتُ آلِ شَهَابِ  
عَذْلاً شَبِيهاً بِالْجُنُونِ كَأَنَّمَا      قَرَأْتُ بِهِ الْوَرَهَاءُ نِصْفَ كِتَابِ<sup>(٢٠)</sup>

(١٧) لم أجد الأبيات في الديوان.

(١٨) لم أجدتها في ديوان عدي بن زيد.

(١٩) ديوان جميل ص ٩٨.

(٢٠) ديوان أبي تمام ٨٢/١.

وقال البحرى:

طَفِقْتُ تَلُومَ وَلَاتٍ جِينَ مَلَامِهِ      لَا عِنْدَ كَرَّتِهِ وَلَا إِحْجَابِهِ  
لَمْ يَزَوْ مِنْ مَاءِ الشَّبَابِ وَلَا أَنْجَلْتُ      ذَهِيَّةَ الصَّبَوَاتِ عَنْ أَيْامِهِ<sup>(٢١)</sup>

وقال آخر:

مِنْ أَجْلِكَ ظَلَّ الْعَائِدَاتُ يَلْمَنِي      وَيَزْعُمْنَ أَنِّي فِي طَلَابِكَ عَانِي  
وَيَرْفِذْنِي نُصْحًا زَعَمْنَ وَإِنَّهُ      لَفِي حَرَجٍ مَنْ لَأْمَنِي وَنَهَانِي

وقال آخر:

أَتَرَانِي تَارِيكًا بِاللَّهِ مَا أَقْوَى لِمَا أَهْوَى  
أَنَا أَشْهَدُ أَنَّ الْحُبَّ مِنْ قَلْبِي إِذَنْ دَعْوَى  
وَذَكُّرُوا أَنَّ الْعُتْبَى حَسَنَ ابْنًا لَهُ فِي بَيْتٍ لِمَا ظَهَرَ عَلَى أَنَّهُ عَاشِقٌ لِيَكُونَ  
الْحُبُّ رَادِعًا لَهُ، فَفَتَحَ الْبَابَ عَنْهُ بَعْدَ مَدَّةٍ فَوَجَدَهُ قَدْ كَتَبَ عَلَى الْحَائِطِ:  
أَتَظُنُّ وَحَاكَ أَنَّنِي أَبْلَى      وَأُطِيعُ رَأْيَكَ فِي الْهَوَى عَقْلًا  
وَمَدَّ الْحَرْفَ الْأَخِيرَ مَعَ اسْتِدَارَةِ حَائِطِ الْبَيْتِ أَجْمَعَ، فَلَمَّا نَظَرَ أَبُوهُ إِلَى  
ذَلِكَ يَسَّ مِنْهُ فَخَلَّى سَبِيلَهُ.

وقال آخر:

يَلُومُكَ فِيهَا اللَّائِمُونَ نَصَاحَةً      فَلَيْتَ الْهَوَى بِاللَّائِمِينَ مَكَانِيَا  
لَوْ أَنَّ الْهَوَى عَنِ حُبِّ لَيْلَى أَطَاعَنِي      أَطَعْتُ وَلَكِنَّ الْهَوَى قَدْ عَصَانِيَا  
وهذا الكلام لا يكون إلا عن حالٍ ضَعِيفَةٍ أَوْ بَعْقَبِ ضَجْرَةٍ شَدِيدَةٍ، لِأَنَّ  
صَاحِبَهُ لَمْ يَرْضَ بِالتَّبَرُّمِ مِنْ هَوَاهُ، حَتَّى ضَمَّ إِلَى ذَلِكَ تَمَنِّيَ أَنْصِرَافِ الْحَالِ  
إِلَى سِوَاهُ، وَأَحْسَنَ مِنْ هَذَا قَوْلًا، وَأَجْمَلَ مِنْهُ فَعَلَّا الَّذِي يَقُولُ:

(٢١) البينان في الديوان ص ١٩٨٣.

تَشَكَّى الْمُجِبُّونَ الصَّبَابَةَ لَيْتَنِي      تَحَمَّلْتُ مَا يَلْقَوْنَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَحْدِي  
وَكَانَتْ لِنَفْسِي لَذَّةُ الْحُبِّ كُلِّهَا      فَلَمْ يَلْقَهَا قَلْبِي مُحِبًّا وَلَا بَعْدِي<sup>(٢٢)</sup>

وأحسن مجنون بني عامر حيث يقول:

وَقَالُوا لَوْ تَشَاءَ سَلَوْتُ عَنْهَا      فَقُلْتُ لَهُمْ فَإِنِّي لَا أَشَاءُ  
لَهَا حُبٌّ تَمَكَّنَ مِنْ فُؤَادِي      فَلَيْسَ لَهُ وَإِنْ رُجِرَ أَنْتِهَاءُ<sup>(٢٣)</sup>

وقال آخر:

يَقُولُونَ لِي أَصْبِرْ وَأَتَجِرْ قُلْتُ طَالَمَا      صَبَرْتُ وَلَكِنْ لَا أَرَى الصَّبْرَ يَنْفَعُ  
فَيَا لَيْتَ أَجْرِي كَانَ قُسِمَ بَيْنَهُمْ      وَمِنْ دُونِي الصَّمَانُ فَالْخُبْتُ أَجْمَعُ

ولبعض أهل هذا العصر:

يُعَاتِبُنِي أَنَسٌ فِي التَّنْصَابِي      بِأَلْبَابٍ وَأَفْسَدَةٍ صِحَاحِ  
إِذَا اخْتَلَطَ الظَّلَامُ وَهُمْ سُكَارَى      بِكَاسَاتِ الرُّقَادِ إِلَى الصَّبَاحِ  
وَلِي سَكْرٌ يُجَنِّبُنِي رُقَادِي      فَمَا أَدْرِي الْغَدُوَ مِنَ الرُّوَّاحِ  
أَمَا لِي فِي بِلَادِ اللَّهِ بَابٌ      يُؤَدِّينِي إِلَى سُبُلِ النُّجَاحِ  
بَلَى فِي الْأَرْضِ مُتَسَّعٌ عَرِيضٌ      وَلَكِنْ قَدْ مُنِعْتُ مِنَ الْبِرَاحِ  
وَمَا يُغْنِي الْعَبَابَ عَيَانُ صَيْدٍ      إِذَا كَانَ الْعُقَابُ بِلَا جَنَاحِ

□ □ □

(٢٢) ديوان المجنون، ص ١١٦، وهما في شرح المرزوقي ص ١٢٦٨ من غير نسبة، وكذلك

في المحاضرات ٢١/٢.

(٢٣) ديوان المجنون ص ٤٢.

مَنْ قَدَّمَ هَوَاهُ قَوِيَ أَسَاهُ

مَنْ كَانَ أَوَّلَ مَا وَقَعَ بِهِ مِنْ أَسْبَابِ الْمَحَبَّةِ اسْتَحْسَنًا ثُمَّ يَنْمِي عَلَى التَّرْتِيبِ الَّذِي وَصَفْنَاهُ حَالًا فَحَالًا، حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى بَعْضِ الْأَحْوَالِ الصَّعَابِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا، كَانَ زَوَالُهَا إِنْ زَالَ بَطِيئًا، وَمَنْ عَشِقَ بِأَوَّلِ أَنْظَرِ سَلَا مَعَ أَوَّلِ الظَّفَرِ، فَإِنْ لَمْ يَظْفَرْ بِمَنْ يَهْوَاهُ، سَلَا إِذَا تَعَدَّرَ عَلَيْهِ مَا يَتَمَنَّا، فَإِذَا وَقَعَ الْهَوَى بِأَوَّلِ نَظَرٍ، ثُمَّ ارْتَقَى صَاحِبُهُ إِرْتِقَاءً بِغَيْرِ تَرْتِيبٍ، حَتَّى صَارَ مَذْلُهَا بِمَنْ يَهْوَاهُ، قَبْلَ أَنْ تَطُولَ مُعَاشَرَتُهُ كَانَ بَقَاءُ ذَلِكَ الْهَوَى يَسِيرًا. وَهَكَذَا كُلُّ شَيْءٍ فِي الْعَالَمِ إِنْ أَعْتَبَرْتَهُ وَجَدْتَ [مَا] ارْتَقَى إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ الْقُصْوَى بِغَيْرِ تَرْتِيبٍ أَنْحَطَّ أَنْحِطَاطًا طَوِيلًا.

ولعمري لقد أحسن الذي يقول:

وَمَا كَانَ حُبِّهَا لِأَوَّلِ نَظَرَةٍ وَلَا عَمَرَةٍ مِنْ صَبَوَةٍ فَتَجَلَّتْ  
وَلَكِنَّهَا الدُّنْيَا تَوَلَّتْ فَمَا الَّذِي يُعْزِي عَنِ الدُّنْيَا إِذَا مَا تَوَلَّتْ

وقال الحسن بن وهب<sup>(١)</sup> في هذا المعنى فأحسن:

أَرَى كُلَّ يَوْمٍ لَوَعَةً أَسْتَبْدَهَا وَنَفْسًا يُعَيْنُهَا هَوَاهَا وَجْهَهَا  
وَصَبَوَةً قَلْبٍ كَانَ هَوْلًا بِدَيْهَا فَعَادَتْ عَلَى الْأَيَّامِ قَدْ جَدَّ جَدُّهَا

وقال آخر:

شَوْقِي إِلَيْكَ عَلَى الْأَيَّامِ يَزْدَادُ وَالْقَلْبُ بَعْدَكَ لِلْأَحْزَانِ مُنْقَادُ  
يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى أَلْفٍ فُجِعَتْ كَأَنَّ أَيَّامَهُ فِي الْحُسْنِ أَعْيَادُ

(١) في «م» والمطبوع: الحسين.

وقال آخر:

وَإِنِّي وَإِيَّاهَا لَكَالْخَمْرِ وَالْغِنَى إِذَا أَرْدَدْتُ مِنْهَا وَجَدًا بِقُرْبِهَا  
مَنْ تَسْتَطِيعُ مِنْهَا الزِّيَادَةَ تَزْدَدُ فَكَيْفَ حَيْرَاسِي مِنْ هَوَى مُتَجَدِّدٍ

وقال كثير:

يَلُومُكَ فِي لَيْلِي وَعَقْلُكَ عِنْدَهَا وَمَا زِلْتُ مِنْ لَيْلِي لَدُنْ طَرِّ شَارِبِي  
رِجَالٌ وَلَمْ تَذْهَبْ لَهُمْ بِعُقُولٍ إِلَى الْيَوْمِ كَالْمُلْقَى بِكُلِّ سَبِيلٍ<sup>(٢)</sup>

وقال بعض الأعراب:

سَقَى اللَّهُ مَنْ حُبِّي لَهُ كُلَّ لَيْلَةٍ جَرَى حُبُّهَا وَالْدَّهْرُ فِي طَلْقَيْهِمَا  
وَيَوْمٍ عَلَى مَرِّ السَّيْنِ يَزِيدُ فَضَعُضِعَ رُكْنُ الدَّهْرِ وَهُوَ جَلِيدُ

وقال أبو تمام \*:

هَوَى كَانَ خَلْسًا إِنْ مِنْ أَبْرِدِ الْهَوَى وَلَنْ تَنْظُمَ الْعَقْدُ الْكَعَابُ لِزِينَةٍ  
وَقَدْ تَأَلَّفَ الْعَيْنُ الدُّجَى وَهُوَ قَيْدُهَا هَوَى جُلَّتْ فِي أَفْنَائِهِ وَهُوَ خَامِلُ  
كَمَا اتَّظَمَ الشَّمْلُ الشَّيْتِ الشَّمَائِلُ وَيُرْجَى شِفَاءُ السِّمِّ وَالسِّمُّ قَاتِلُ<sup>(٣)</sup>

وقال مجنون بني عامر:

فَلَوْ كَانَ حُبِّي آلَ لَيْلَى كَحَادِثٍ وَلَكِنَّ حُبِّي آلَ لَيْلَى فَدَائِمُ  
إِلَى وَقْتِ يَوْمٍ قَدْ تَقَضَّتْ هُمُومُهَا وَأَقْتُلُ أَدَوَاءَ الرِّجَالِ قَدِيمُهَا<sup>(٤)</sup>

وقال كثير:

تَعَلَّقَ نَاشِئًا مِنْ حُبِّ سَلْمَى هَوَى سَكَنَ الْفُؤَادَ فَمَا يَزُولُ

(٢) الديوان ص ١١٢، ١١٥ مع اختلاف في الرواية.

(٣) الأبيات في الديوان ١١٦/٣.

(٤) ديوان المجنون ص ٢٥١، وقد وردا في الأغاني (الدار) ٢٦/٢، والحماسة البصرية

ص ١٤٩.

فَلَمْ تَذْهَلْ سَوَدَّتْهَا غُلَامًا  
وَأَذْرَكَكَ الْمَشِيبُ عَلَى هَوَاهَا

وقال جميل:

عَلِقْتُ أَلْهَوَى مِنْهَا وَلِيدًا فَلَمْ يَزَلْ  
وَأَفْنَيْتُ عُمْرِي بِأَنْتِظَارِي نَوَالَهَا  
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتُنْ لَيْلَةً  
لِكُلِّ حَدِيثٍ عِنْدَهُنَّ بَشَاشَةٌ

وقال آخر:

لِي حَبِيبٌ يَتَعَبَى إِلَيَّ رَجَائِي  
لِلْمَنَى عِنْدَ ذِكْرِهِ فِي ضَمِيرِي  
إِنْتِظَارِي لَهُ [عَلَى] حَادِثِ الدَّهْرِ  
يَا هَوَانَ الدُّنْيَا عَلَيَّ إِذَا مَا

وقال آخر:

وَقَفْتُ لِلَّيْلِ بَعْدَ عِشْرِينَ حِجَّةً  
وَأَمْرَضَ قَلْبِي حُبُّهَا وَطِلَابُهَا  
وَأَتَّبَعُ لَيْلَى حَيْثُ سَارَتْ وَخَيَّمْتُ  
كَأَن زِمَامًا فِي الْفُؤَادِ مُعَلَّقٌ

وقال مجنون بني عامر:

تَمُرُّ اللَّيَالِي وَالشُّهُورُ وَلَا أَرَى  
وُلُوعِي بِهَا يَزْدَادُ إِلَّا تَمَادِيَا

وَقَدْ يَنْسَى وَيَطْرَفُ الْمَلُولُ  
فَلَا شَيْبَ نَهَاكَ وَلَا ذُهُولُ<sup>(٥)</sup>

إِلَى الْيَوْمِ حُبُّهَا وَيَزِيدُ  
وَأَبْلَيْتُ فِيهَا الدَّهْرَ وَهُوَ جَدِيدُ  
بِوَادِي الْقُرَى إِنِّي إِذَنْ لَسَعِيدُ  
وَكُلُّ قَتِيلٍ بَيْنَهُنَّ شَهِيدُ<sup>(٦)</sup>

كُلَّمَا خِلْتُ قَلْبَهُ لِي يَلِينُ  
حَرَكَاتُ كَأَنَّهِنَّ سُكُونُ  
رِ قَدِيمٍ إِنْ أَنْظَرْتَنِي الْمُنُونُ  
كُنْتُ فِيهَا مِمَّنْ عَلَيْكَ يَهُونُ

بِمَنْزِلَةٍ فَأَنْهَلْتُ الْعَيْنُ تَذْمَعُ  
فِيَا لَعِيدِي دَعْوَةً كَيْفَ أَصْنَعُ  
وَمَا النَّاسُ إِلَّا أَلْفٌ وَمُودِعُ  
تَقُودُ بِهِ حَيْثُ اسْتَمَرْتُ وَأَتَّبَعُ<sup>(٧)</sup>

فَضَاهَا لِعَيْرِي وَأَبْتَلَانِي بِحُبِّهَا

وقال مسلم بن الوليد:

أَعَاوِدُ مَا قَدَّمْتُهُ مِنْ رَجَائِهَا  
وَمَا زَيْتَهَا أَلْعَيْنُ لِي عَنْ لِحَاجَةِ

وقال البحرني<sup>(٨)</sup>:

تَجَنَّبْتُ لَيْلَى أَنْ يَلِجَ بِكَ أَلْهَوَى  
فَلَوْ تَلَقَّيْتُ أَصْدَاؤُنَا بَعْدَ مَوْتِنَا  
لَظَلَّ صَدَى رَمْسِي وَإِنْ كُنْتُ رِمَّةً  
أَلَا إِنَّمَا غَادَرْتُ يَا أُمَّ مَالِكٍ  
لَقَدْ عِشْتُ مِنْ لَيْلَى زَمَانًا أُحِبُّهَا

وقال آخر:

فَلَوْ كُنْتُ أَذْرِي أَنَّمَا كَانَ كَائِنُ  
تَعَزَّيْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ حَتَّى يَكُونَ لِي

وقال عروة بن حزام:

أَلْفَنَّا أَلْهَوَى وَاسْتَحْكَمَ الْحُبُّ بَيْنَنَا  
فَلَقْنَا رَحَاءَ الْعَيْشِ عِشْرِينَ حِجَّةً  
جَعَلْتُ لِعِرَافٍ أَلِيمَاةٍ حُكْمَهُ  
فَمَا تَرَكََا مِنْ حِيلَةٍ يَعْلَمَانِيهَا

فَهَلَّا بِشَيْءٍ غَيْرَ لَيْلَى أَبْتَلَانِيَا<sup>(٩)</sup>

إِذَا عَاوَدْتُ بِلَنَاسٍ فِيهَا أَلْمَطَامِعُ  
[وَلَكِنْ] جَرَى فِيهَا أَلْهَوَى وَهُوَ طَائِعُ<sup>(١٠)</sup>

وَهِيَهَاتَ كَانَ الْحُبُّ قَبْلَ التَّجَبُّبِ  
وَمِنْ دُونِ رَمْسِنَا مِنَ الْأَرْضِ مُنْكَبُ  
لِصَوْتِ صَدَى لَيْلَى يَهْشُ وَيَطْرُبُ  
صَدَى أَيْنَمَا تَذْهَبُ الرِّيحُ يَذْهَبُ  
أَخَا الْمَوْتِ إِذْ بَعْضُ الْمَجِيبِينَ يَكْذِبُ

وَأَنْ جَدِيدَ الْوُصْلِ قَدْ جَدَّ غَابِرُهُ  
صَرِيمةً أَمْرٍ تَسْتَمِرُّ مَرَائِرُهُ

وَلَيْدَيْنِ مَا مَرَّتْ لَنَا سَتَانِ  
أَلَيْفَيْنِ مَا نَرْتَاعُ لِلْحَدَثَانِ  
وَعِرَافٍ جَجَرَ إِنْ هُمَا شَفِيَانِي  
وَلَا رُقِيَّةٍ إِلَّا بِهَا رَقِيَانِي

(٨) ديوان المجنون ص ٣١٥، ٢٩٣.

(٩) ديوان مسلم بن الوليد ص ٢٧٣، وقد وردت الأبيات في زهر الآداب ١٣٢/٢.

ومجموعة المعاني ص ٢١٣.

(١٠) لم أجد الأبيات في ديوان البحرني، والبيتان الرابع والخامس وردا في ديوان المجنون

ص ٨٠.

(٥) ديوان كثير ص ١١٥ - ١١٨ مع اختلاف في الرواية.

(٦) الديوان ص ٣٨ - ٤٠.

(٧) ديوان المجنون ص ١٨٦، وشرح المروزقي ص ١٣٣٨.

فَقَالَا شَفَاكَ اللَّهُ وَاللَّهِ مَا لَنَا  
بِمَا حُمِلَتْ مِنْكَ الضَّلُوعُ يَذَانٍ<sup>(١١)</sup>  
وقال أيضاً:

وَأَخَّرَ عَهْدِي لِي بِعَفْرَاءٍ أَنَّهُمَا  
عَشِيَّةٌ لَا عَفْرَاءَ مِنْكَ بَعِيدَةٌ  
[وقال آخر]:

عَشِيَّةٌ لَا خَلْفِي مَكْرٌ وَلَا الْهَوَى  
وَكُلُّ مُجِبٍّ قَدْ سَلَ غَيْرَ أَنِّي

وقال ابن هرمة:

أَرَى الدَّهْرَ يُنْسِينِي أَحَادِيثَ جَمَّةٍ  
وَلَمْ يُنْسِينِيهَا الدَّهْرُ إِلَّا وَذَكَرُهَا  
وَأِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا لَنَا غَيْرُ ذِكْرَةٍ  
لَقَدْ أَحْرَزْتُ مِنِّي فُؤَاداً مُتِيماً  
تَنْسِينُ أَيَّامِي وَأَيَّامِكَ الَّتِي

وقال آخر:

جُبِّكَ أَصْنَافاً مِنَ الْحَبِّ لَمْ أَجِدْ  
مِنْهُمْ حُبَّ لِلْمُجِبِّ وَرَحْمَةً  
مِنْهُمْ أَنْ لَا يَخْطُرُ الدَّهْرُ ذِكْرَكُمْ  
حُبُّ بَدَا بِالْجِسْمِ وَاللُّوْنُ ظَاهِرٌ

(١١) لم يرد البيتان الأول والثاني في «شعر عروة» وقد ورد ما بقي في ص ص ١٤، ١١.

(١١) لم أجدهما في «شعر عروة بن حزام».

(١١) شعر عروة ص ٣٠، وفي «م» والمطبوع: مقرر.

(١١) في شعر ابن هرمة ص ١٤٣ عن كتاب «الزهرة».

وَحُبُّ هُوَ الدَّاءُ الْعَيَاءُ بِعَيْنِهِ  
فَلَا أَنَا مِنْهُ مُسْتَرِيحٌ فَمَيِّتٌ

وقال هذبة بن خشرم:

تَذَكَّرُ حُبًّا كَانَ فِي مَيِّعَةِ الصَّبَى  
إِذَا كَادَ يَنْسَاهَا الْفُؤَادُ ذَكَرَتْهَا  
ضَنَى مِنْ هَوَاهَا مُسْتَكِنًا كَأَنَّهُ  
بِعَيْنَيْكَ زَالَ الْحَيُّ مِنْهَا لَيْثَةً  
وَقَدْ طَالَ مَا عَلِقْتَ لَيْلَى مُعَمِّدًا  
رَأَيْتَكَ مِنْ لَيْلَى كَذِي الدَّاءِ لَمْ يَجِدْ  
فَلَمَّا أَشْتَقَى مِمَّا بِهِ عَلَّ طَبَّهُ

وأنشدنا أحمد بن يحيى لذي الرمة:

أَيَا مَيِّ إِنْ الْحُبُّ حُبَّانٍ مِنْهُمَا  
إِذَا اجْتَمَعَا قَالَ الْقَدِيمُ غَلَبَتْهُ  
قَدِيمٌ وَحُبٌّ جَيْنَ شَبَابِيهِ  
وَقَالَ الَّذِي مِنْ بَعْدِهِ أَنَا غَالِبُهُ<sup>(١٦)</sup>  
وَأَخْبَرَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ: أَنَّ مَيَّةَ قَالَتْ لِللَّهْمُ  
لَا تَقْضُ بَيْنَهُمَا.

وقال بشار:

بَكَيْتُ مِنَ الدَّاءِ دَاءِ الْهَوَى  
وَقَدْ وَعَدْتُ صَفْدًا فِي غَدٍ  
وَأَنِّي عَلَى طُولِ إِخْلَافِهَا  
إِذَا أُخْلِفَ الْيَوْمَ ظَنِّي بِهَا  
إِلَيْهَا وَأَنْ لَيْسَ لِي مُسْعِدُ  
وَقَدْ وَعَدْتُ ثُمَّ لَا تَصْفِدُ  
لَأَرْجُو الْوَفَاءَ وَلَا أَحْقِدُ  
يَكُونُ لَنَا فِي غَدٍ مَوْعِدُ

(١٥) الأبيات في «شعر هذبة» ص ص ٥٩ - ٦٢ مع اختلاف في الرواية.

(١٦) لم أجدهما في ديوان ذي الرمة.

صَبَرْتُ عَلَى طُولِ أَيَّامِهَا      حِفَاطاً وَصَبْرُ الْفَتَى أَعْوَدُ  
وَمَا ضَرَّ يَوْمَ بَدَاءِ الْهَوَى      مُحِبّاً إِذَا مَا شَفَاهُ الْغَدُ  
سِوَى شَوْقٍ عَنِّي إِلَى وَجْهِهَا      وَإِنِّي إِذَا فَارَقْتُ أَكْمَدُ<sup>(١٧)</sup>

فَهُؤُلَاءِ الْبَائِسُونَ قَدْ صَبَرُوا عَلَى أَحِبَّتِهِمْ إِمَّا طَائِعِينَ، وَإِمَّا كَارِهِينَ. فَإِنْ كَانُوا طَائِعِينَ فَهُوَ أَحْمَدُ مِمَّنْ يَتَلَاعَبُ وَيَتَقَلُّ فِي كُلِّ سَاعَةٍ عَنْ إِلْقِهِ إِلَى سِوَاهُ. وَإِنْ كَانُوا كَارِهِينَ فَإِنَّ السَّبَبَ الَّذِي أَضْطَرَّهُمْ إِلَى الْمَقَامِ عَلَى مَا يُؤَلِّمُهُمْ وَيَمْنَعُهُمْ عَنِ الْإِتِّقَالِ إِلَى مَا يَخْتَارُونَهُ لَوْلَمْ يَكُنْ سَبَباً أَمْلَكَ بِهِمْ مِنْهُمْ، مَا عَلَيْهِمْ، فَهُمْ عَلَى كُلِّ الْجِهَاتِ أَتَمُّ فِي الْحَالِ مِمَّنْ جَعَلَ هَوَاهُ ضَرْباً مِنَ الْإِشْغَالِ، يَتَفَرَّدُ لَهُ إِذَا نَشِطَ، وَيَتْرُكُهُ إِذَا كَسِلَ، كَالَّذِينَ قَدَّمْنَا وَصَفَهُمْ فِي صَدْرِ هَذَا الْكِتَابِ مِنْ أَنَّهُمْ لَمْ يَرْتَقُوا فِي الْمَحَبَّةِ عَلَى مَنْ أَنْتَهَى، بَلْ صَعِدُوا بِأَوَّلِ نَظَرَةٍ إِلَى ذُرُوتِهَا. فَكَمَا كَانَ أَرْتِقَاؤُهُمْ فِيهَا سَرِيحاً كَانَ انْحِطَاطُهُمْ قَرِيباً.

فمنهم الوليد بن عبيد الطائي حيث يقول:

نَظَرَةٌ رَدَّتْ الْهَوَى الشَّرْقَ غَرْباً      وَأَسَالَتْ نَهْجَ الدُّمُوعِ الْجَوَارِي  
مَا ظَنَنْتُ الْأَهْوَاءَ قَلْبِكَ تَمَحَّى      مِنْ صُدُورِ الْعُشَّاقِ مَحَوِ الدَّيَارِ  
كَانَ يَحُلُو هَذَا الْهَوَى فَأَرَاهُ      عَادَ مُرّاً وَالسُّكْرُ قَبْلَ الْخَمَارِ  
وَإِذَا مَا تَنَكَّرْتُ لِي بِسِلَاحُ      أَوْ خَلِيلُ فَلَإِنِّي بِالْخِيَارِ<sup>(١٨)</sup>

وله أيضاً:

أَتَى دُونَهَا نَائِي الْبِلَادِ وَنَصْنَا      سِوَاهِمَ خَيْلٍ كَالْأَعْنَةِ ضُمِرِ  
وَلَمَّا خَطَوْنَا دِجْلَةَ أَنْصَرَمَ الْهَوَى      فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا لَفْتَةُ الْمُتَذَكِّرِ  
وَخَاطِرُ شَوْقٍ مَا يَزَالُ يَهِيْجُنَا      لِبَادِينَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَحُضِرِ<sup>(١٩)</sup>

(١٧) ديوان بشار ١١٦/١ مع اختلاف في الرواية.

(١٨) ديوان البحري ص ٩٨٦.

(١٩) لم أجده في الديوان.

ولأبي نواس في نحو ذلك:

أَلَا قُلْ لِأَخِلَّائِي      وَمَنْ هُمْتَ بِهِمْ وَجَدَا  
وَمَنْ كَانُوا مَوَالِنِي      وَمَنْ كُنْتُ لَهُمْ عَبْدَا  
شَرِبْنَا مَاءَ بَغْدَادَ      فَأَنْسَانَاكُمْ جِدَا  
فَلَا تَرْعَوْا لَنَا عَهْدَا      فَمَا نَرَعَى لَكُمْ عَهْدَا<sup>(٢٠)</sup>

وانشدنا أحمد بن أبي طاهر لإبراهيم بن العباس في نحو ذلك:

يَقْلِبِي عَنْ هَوَى الْبَيْضِ أَنْصَرَفَ      وَيُعْجِبُنِي مِنَ السُّمْرِ أَنْعَطَافُ  
فَإِنْ أَنْصَفَنَ فِي وَدِّي وَإِلَّا      فَلَيْسَ عَلَيَّ مِنْ قَلْبِي خِلَافُ<sup>(٢١)</sup>

وقال جرير:

هَوَى بِتَهَامَةٍ وَهَوَى بِنَجْدٍ      فَقَتَلَنِي التَّهَائِمُ وَالنُّجُودُ  
أَخَالِدُ قَدْ هَوَيْتُكَ بَعْدَ هِنْدٍ      فَشَيَّنِي الْخَوَالِدُ وَالْهُنُودُ<sup>(٢٢)</sup>

وأصل البيت في ذلك قول عمر بن أبي ربيعة:

لَقَدْ حَلَيْتُكَ أَلْعِينَ أَوَّلَ نَظَرَةٍ      وَأَعْطَيْتَ مِنِّي يَا أَبْنَ عَمٍّ قَبُولَا  
فَأَصْبَحْتَ هَمّاً لِلْفُؤَادِ وَحُسْرَةً      وَظِلّاً مِنَ الدُّنْيَا عَلَيَّ ظَلِيلَا<sup>(٢٣)</sup>

ولغيره في مثله:

يَا رَايماً لَيْسَ يَدْرِي مَا الَّذِي فَعَلَا      إِحْبَسَ عَلَيْكَ فَإِنَّ السُّهْمَ قَدْ قَتَلَا  
أَصَبْتَ أَسْوَدَ قَلْبِي إِذْ رَمَيْتَ فَلَا      شُلْتَ يَمِينُكَ لِمَ صَيَّرْتَنِي مَثَلَا

فَأَخْلِقْ بِمَنْ يُسْقِمُهُ أَوَّلَ دَاءٍ أَنْ يَشْفِيَهُ أَوَّلَ دَوَاءٍ.

(٢٠) لم أجد الأبيات في الديوان.

(٢١) لم أجدهما في ديوان إبراهيم بن العباس.

(٢٢) لم أجدهما في الديوان.

(٢٣) البيتان في الديوان ص ١٦٤، وفي «م» والمطبوع: جلبتك.

مَنْ شَابَتْ ذَوَائِبُهُ جَفَاهُ حَبَائِبُهُ

بَلَغَنِي عَنْ بَعْضِ الْأَكَاسِرَةِ: أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ أَظُنُّ أَنِّي إِذَا شِبْتُ زَهَدْتُ فِي النِّسَاءِ، فَلَمْ أَزَلْ مَغْمُومًا بِذَلِكَ، وَلَمْ أَذِرْ أَنِّي إِذَا شِبْتُ كُنْتُ أَنَا فِيهِنَّ أَشَدَّ زُهْدًا. وَلَعَمْرِي إِنَّ مَنْ قَرَّبَ مِنْ آخِرِ عُمُرِهِ، لَجَدِيدٌ أَنْ يَصْرِفَ هِمَّتَهُ إِلَى مَا يُعِيدُ عَلَيْهِ نَفْعًا فِي آءِلَارَتِهِ. وَيَتَشَاغَلُ بِأَحْكَامِ الدَّارِ الَّتِي يَصِيرُ إِلَيْهَا عَنْ أَسْبَابِ الدَّارِ الَّتِي يَنْتَقِلُ عَنْهَا، فَإِنْ لَمْ يَقَعْ ذَلِكَ لَهُ اخْتِيَارًا، وَقَعَ أَكْثَرُهُ بِهِ اضْطِرَارًا.

أنشدنا أحمد بن يحيى النحوي:

قَعَدَ الشَّيْبُ بِي عَنِ اللَّذَاتِ  
فَإِذَا رُمْتُ سَتْرَهُ بِخَضَابِ  
مَا رَأَيْتُ الْخَضَابَ إِلَّا سَرَابًا  
فَإِذَا مَا دَعَا إِلَى الْكَأْسِ دَاعٍ  
لَسْتُ بَعْدَ الْمَشْيِبِ لِأَتَذُّ بِالْعَيْدِ  
إِنَّ فَقْدَ الشَّيْبِ أَنْزَلَنِي بَعْدَ  
وَرَمَانِي بِحَادِثِ الشَّيْبِ دَهْرُ

وقال آخر:

فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرَى بِيضَاءً قَدْ طَلَعَتْ  
لَيْتَنَ حَجَبَتِكَ بِالْمُقَرَّضِ عَنْ بَصْرِي  
كَأَنَّهَا أُتْبِتَتْ فِي نَاطِرِ الْبَصْرِ  
لَمَّا حَجَبَتْكَ عَنْ هَمِّي وَعَنْ فِكْرِي

وأنشدني البحري لنفسه:

تَنْتَ طَرَفَهَا دُونَ الْمَشْيِبِ وَمَنْ يَشِبْ  
فَكُلُّ الْغَوَايِي عَنْهُ مَشْيِبُ الطَّرَفِ  
وَجُنَّ الْهَوَى فِيهَا عَشِيَّةٌ أَعْرَضَتْ  
بِنَاطِرِي رِيمٍ وَسَالِفَتِي خِشْفِ  
وَأَفْلَجَ بَرَاقٍ يَرُوحُ رُضَابُهُ  
حَرَامًا عَلَى التَّقْبِيلِ بَسْلًا عَلَى الرَّشْفِ<sup>(١)</sup>

وقال علي بن العباس الرومي:

هِيَ الْأَعْيُنُ [الْجُلُ] الَّتِي أَنْتَ تَشْتَكِي  
فَمَا لَكَ تَأْسَى الْآنَ لَمَّا رَأَيْتَهَا  
كَذَلِكَ تِلْكَ التَّبَلُّ مَنْ قَصَدَتْ [لَهُ]  
وَعَزَاكَ عَنْ لَيْلِ الشَّيْبِ مَعَاشِرُ  
وَكُلُّ نَهَارٍ أَلْمَرُّ أَهْدَى لِسَعِيهِ  
وَفَقْدُ الشَّيْبِ أَلْمُوتُ يُوجِدُ طَعْمَهُ  
أَرَى الدَّهْرَ أَجْرَى لَيْلِهِ وَنَهَارُهُ  
وَجَارَ عَلَى لَيْلِ الشَّيْبِ فَضَامُهُ

وقال ابن حازم<sup>(٣)</sup>:

لَا حِينَ صَبَرَ فَخَلَ الدَّمْعُ يَنْهَمِلُ  
كَفَاكَ بِالشَّيْبِ ذَنْبًا عِنْدَ غَايَةِ  
لَا تَكْذِبَنَّ [فَمَا] الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا  
فَقَدْ الشَّيْبُ يَوْمَ الْمَرِّ مُتَّصِلُ  
وَبِالشَّيْبِ شَفِيعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ  
مِنْ الشَّيْبِ يَوْمٍ وَاحِدٍ بَدَلُ

وقال البحري:

رُبَّ عَيْشٍ لَنَا بَرَامَةً رَطْبُ  
وَلَيْالٍ فِيهَا طَوَالٍ قِصَارُ

(١) الديوان ص ١٣٩٥.

(٢) الديوان ٥٨٥/٢.

(٣) هو محمد بن حازم، وقد تقدم التعريف به.

قَبْلَ أَنْ يُقْبَلَ الْمَشِيبُ وَتَبْدُو  
كُلُّ عُدْرٍ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَلَكِنْ  
هَفَوَاتُ الشَّبَابِ فِي إِدْبَارِ  
أَعْوَزِ الْمُدْرِ مِنْ بَيَاضِ الْعِدَارِ<sup>(٤)</sup>

وقال جميل بن معمر:

نَقُولُ بُشَيْنَةً لَمَّا رَأَتْ  
كَبُرَتْ جَمِيلٌ وَأَوْدَى الشَّبَابُ  
أَتَنَسَّيْنَا أَيْمَانَنَا بِاللَّوَى  
وَإِذْ لِمَتِي كَجَنَاحِ الْغُرَا  
فَرِيبَانِ مَرْبَعْنَا وَاحِدٌ  
فُنُونًا مِنَ الشَّعْرِ الْأَحْمَرِ  
فَقُلْتُ بُشَيْنٌ أَلَا فَأَقْصِرِي  
وَأَيْمَانَنَا بِذَوِي الْأَجْفَرِ  
بِ تَطْلَى بِالسَّيْكِ وَالْعَنْبَرِ  
فَكَيْفَ كَبُرَتْ وَلَمْ تَكْبَرِي<sup>(٥)</sup>

وهذا تعريضٌ مليحٌ، بَلْ هُوَ تَعْيِيرٌ لَهَا صَرِيحٌ، لِأَنَّهُ قَدْ ذَكَرَ أَنَّهَا كَانَا  
فَرِيبَيْنِ، وَمَحَالٌ أَنْ يَكْبُرَ وَاحِدٌ وَيَصْغُرَ وَاحِدٌ، فَهُوَ قَدْ عَيَّرَهَا كَمَا عَيَّرْتَهُ، وَقَدْ  
يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ لَمْ يَرِدْ تَعْيِيرُهَا، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنَّ السَّبَبَ الَّذِي ظَهَرَ لَهُ لَيْسَ مِنْ  
كِبَرِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ لِأَهْوَالِ مَا يَمُرُّ بِهِ، وَأَحْسَنُ مِنْ قَوْلِهِ لَفْظًا وَأَوْضَحُ مَعْنًى.

قول البحتري:

عَيَّرْتَنِي بِالشَّيْبِ وَهِيَ بَدَتُهُ  
لَا تَرِيهِ عَارًا فَمَا هُوَ بِأَلِ  
وَبَيَاضُ الْبَازِي أَصْدَقُ حُسْنًا  
فِي عِدَارِي بِالصَّدِّ وَالْإِجْتِنَابِ  
شَيْبٍ وَلَكِنَّهُ جَلَاءُ الشَّبَابِ  
إِنْ تَأَمَّلْتَ مِنْ سَوَادِ الْغُرَابِ<sup>(٦)</sup>

وقال محمد بن حازم<sup>(٧)</sup>:

نَظَرْتُ إِلَيَّ بِعَيْنٍ مَنْ لَمْ يَحْدِلْ  
لَمَّا أَصَاءَتْ بِالشَّيْبِ مَفَارِقِي  
لَمَّا تَمَكَّنَ طَرْفُهَا مِنْ مَقْتَلِي  
صَدَّتْ صُدُودَ مُفَارِقِ مُتَجَمِّلِ

(٤) ديوان البحتري ص ٩٨٦.

(٥) الديوان ص ٦٤.

(٦) الديوان ص ٨٤.

(٧) في «م» والمطبوع: محمد بن أبي حازم.

فَجَعَلْتُ أَطْلُبُ وَصَلَهَا بِتَذَلُّلٍ  
وَالشَّيْبُ يَغْمِزُهَا بِأَلَا تَقْطَلِي  
وقال أشجع<sup>(٨)</sup>:

فَإِنْ تَضَعِ الْأَيَّامَ لِي مِنْ مُتُونِهَا  
وَمَوْتُ الْفَتَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ حَيَاتِهِ  
فَقَدْ حَمَلْتَنِي فَوْقَ كَاهِلِهَا الصُّعْبِ  
إِذَا كَانَ ذَا حَالَيْنِ يَصْبُرُ وَلَا يُصْبِي

وقال أبو الشيص<sup>(٩)</sup>:

خَلَعَ الصَّبَى عَنْ مَنْكِئِهِ مَشِيبٌ  
مَا كَانَ أَنْضَرَ عَيْشُهُ وَأَغْضُهُ  
وَطَوَى الذَّوَائِبَ رَأْسُهُ الْمَخْضُوبِ  
أَيَّامَ فَضْلٍ رِدَائِهِ مَسْحُوبِ<sup>(١٠)</sup>

وقال الحسين بن الضحاك:

تَذَكَّرَ مِنْ غُرَاتِهِ مَا تَذَكَّرَا  
وَمَا بَرَحَتْ عَادَاتُهُ مُسْتَقَرَّةً  
يَهُمُّ وَيَسْتَحْيِي تَقَارُبَ خَطْوِهِ  
وَلَمْ يَبْقَ فِيهِ إِذْ تَأَمَّلَ شَخْصُهُ  
أَلَا لَا أَرَى فِي الْعَيْشِ لِلْمَرْءِ مَتْعَةً  
وَأَعْوَلَ أَيَّامَ الشَّبَابِ فَأَكْثَرَا  
وَلَكِنْ أَجَلَ الشَّيْبِ عَنْهَا وَوَقَرَا  
فَيَتَرَكُ هَمَّ النَّفْسِ فِي الصَّدْرِ مُضْمَرَا  
شَفِيعٌ إِلَى الْحَسَنَاءِ إِلَّا تَنَكَّرَا  
إِذَا مَا شَبَابُ الْمَرْءِ وَتَى فَادْبَرَا<sup>(١١)</sup>

وقال أبو تمام:

شَابَ رَأْسِي وَمَا رَأَيْتُ مَشِيبَ الرَّ  
وَكَذَلِكَ الْقُلُوبُ فِي كُلِّ بُؤْسٍ  
طَالَ إِنْكَارِي الْبَيَاضَ وَإِنْ عَمِمَ  
زَارَنِي شَخْصُهُ بِطَلْعَةِ ضَمِيمٍ  
أَسِرَ مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الْفُؤَادِ  
وَنَعِيسٍ طَلَائِعِ الْأَجْسَادِ  
سَرْتُ شَيْئًا أَنْكَرْتُ لَوْنِ السَّوَادِ  
عَمَرْتُ مَجْلِسِي مِنَ الْعُودِ<sup>(١٢)</sup>

(٨) سبق التعريف به، وهو أشجع السلمي.

(٩) تقدمت ترجمته.

(١٠) ديوان أبي الشيص ص ٢٠، والبيتان في الشعر والشعراء ص ٧٢٣، والصناعتين

ص ٢٩٠.

(١١) انظر أشعار الحسين الخليل، وانظر تخريج الأبيات.

(١٢) ديوان أبي تمام ٣٦٠/١.



وقال أيضاً:

كُلُّ دَاءٍ يُرْجَى الدَّوَاءُ لَهُ  
يَا نَسِيبَ الثَّغَامِ ذَنْبُكَ أَبْقَى  
وَلَيْسَ عَيْنَ مَا رَأَيْنَ لَقَدْ أَنَا  
لَوْ رَأَى اللَّهُ أَنَّ لِلشَّيْبِ ظَرْفًا

وقال إبراهيم بن هرمة:

أَلَا إِنَّ سَلَمَى الْيَوْمِ جَدَّتْ قُوَى الْحَبْلِ  
فَإِنْ تَبَكَّهَا يَوْمًا بِعَوْلَةٍ  
سِوَى أَنْ رَأَيْنَ الشَّيْبَ أَبْيَضَ وَاضِحًا

وقال أيضاً:

فِي الشَّيْبِ زَجْرٌ لَهُ لَوْ كَانَ يُنْزَجِرُ  
إِبْيَضُ وَأَحْمَرٌ مِنْ فَوْدِيهِ وَارْتَجَعَتْ  
وَلِلْفَتَى مُهْلَةٌ فِي الْحَبِّ وَاسِعَةٌ  
قَالَتْ مَشِيبٌ وَعَشِقٌ رُحْتُ بَيْنَهُمَا

وقال أيضاً:

يَقُولُونَ هَلْ بَعْدَ الثَّلَاثِينَ مَلْعَبٌ  
لَقَدْ جَلَّ قَدْرُ الشَّيْبِ إِنْ كُنْتُ كُلَّمَا

إِلَّا الْفَظِيعَيْنِ مَيْتَةً وَمَشِيبَا  
حَسَنَاتِي عِنْدَ الْحَسَانِ ذُنُوبَا  
كَرَنَ مُسْتَكْرَأً وَعَيْنَ مَعِيبَا  
جَاوَزَتْهُ الْأَبْرَارُ فِي الْخُلْدِ شَيْبَا<sup>(١٣)</sup>

وَأَرْضَتْ بِكَ الْأَعْدَاءُ مِنْ غَيْرِ مَا دَخَلَ  
عَلَى لَطْفٍ فِي جَنْبِ سَلَمَى وَلَا بَذَلَ  
كَأَنَّ الَّذِي بِيَسَى لَمْ يَنْلِ أَحَدًا قَبْلِي<sup>(١٤)</sup>

وَبَالِغٌ مِنْهُ لَوْ لَا أَنَّهُ حَجَرُ  
جَلِيَّةٍ الصُّبْحِ مَا قَدْ أَغْفَلَ السَّحَرُ  
مَا لَمْ يَمُتْ فِي نَوَاجِي رَأْسِهِ الشَّعْرُ  
وَذَاكَ فِي ذَاكَ ذَنْبٌ لَيْسَ يُغْتَفَرُ<sup>(١٥)</sup>

فَقُلْتُ وَهَلْ قَبْلَ الثَّلَاثِينَ مَلْعَبٌ  
بَدَتْ شَيْبَةٌ يَعْرِى مِنَ اللَّهِوْمَرَكَبُ<sup>(١٦)</sup>

وهذا لعمري من حسن الكلام وفصيحته، ومن أحسن ما أعرف في التجلد على الشيب.

(١٣) المصدر السابق ١/١٦٦.

(١٤) شعر إبراهيم بن هرمة ص ١٨٨.

(١٥) المصدر السابق ص ١١٥.

(١٦) لم أجدهما في المصدر السابق، وهي في شعر يزيد بن مفرغ الحميري ص ٤٥، وانظر تحريجها.

قول محمد بن عبد الملك:

وَعَائِبَ عَابَنِي بِشَيْبٍ  
فَقُلْ لِمَنْ عَابَنِي بِشَيْبِي

ولبعض أهل هذا العصر:

وَقَائِلَةٌ قَدْ كَانَ عُذْرُكَ وَاسِعًا  
فَقُلْتُ لَهَا وَالِدَّمْعُ جَارٍ كَأَنَّهُ  
لَيْنٌ كَانَ هَذَا الشَّيْبُ غَرْكَ فَاعْلَمِي  
أَبَالشَّيْبِ يُنْهَى عَنْ مُسَاعَدَةِ الْهَوَى

وقال علي بن العباس الرومي:

يَا بَيَاضَ الْمَشِيبِ سَوَّدَتْ وَجْهِي  
فَلْعَمْرِي لِأَخْفِيسِكَ جُهِدِي  
وَلْعَمْرِي لِأَتْرُكْنِكَ لَا تَضُ  
بِسَوَادٍ فِيهِ بَيَاضٌ لِوَجْهِي

وقال البحتري:

يُفَاوْتُ مِنْ تَأْلِيفِ شِعْبِي وَشِعْبِهَا  
عَسَى بِكَ أَنْ تَذُنُو مِنْ الْوَصْلِ بَعْدَمَا  
وَلَمْ أَزْطَرْ بِهَا أَوَانَ مَجِيشِهَا

وقال أيضاً:

وَأَضَلَلْتُ حِلْمِي فَالْتَفْتُ إِلَى الصَّبَى  
فَلِلَّهِ أَيَّامُ الشَّبَابِ وَحُسْنُ مَا

لَمْ يَأُلْ لَمَّا أَلَمَ وَقْتُهُ  
يَا عَائِبَ الشَّيْبِ لَا بَلَّغْتَهُ

لَيَالِي كَانَ الشَّعْرُ فِي الرَّأْسِ أَسْوَدًا  
نِظَامٌ تَعْدَى سِلْكُهُ مُتَبَدِّدًا  
بِأَنِّي صَجِبْتُ الشَّيْبَ مَذُ كُنْتُ أَمْرَدًا  
وَلَوْ لَا الْهَوَى مَا كُنْتُ لِلشَّيْبِ مُسْعِدًا

عِنْدَ بَيَاضِ الْوُجُوهِ سُودَ الْقُرُونِ  
عَنْ عَيَانِي وَعَنْ عَيَانِ الْعُيُونِ  
حَكَ فِي رَأْسِ آسِفٍ مَحْزُونٍ  
وَسَوَادٍ لِوَجْهِكَ الْمَلْعُونِ<sup>(١٧)</sup>

تَنَاهَى شَبَابِي وَأَبْدَاءُ شَبَابِهَا  
تَبَاعَدَتْ مِنْ أَسْبَابِهِ وَعَسَى بِهَا  
فَكَيْفَ ارْتِضَائِهَا أَوَانَ ذَهَابِهَا<sup>(١٨)</sup>

سِفَاهًا وَقَدْ جُزْتُ الشَّبَابَ مَرَّاحًا  
فَعَلَنْ بِنَا لَوْ لَمْ يَكُنْ قَلَابًا<sup>(١٩)</sup>

(١٧) الديوان ص ٢٤٨٣ مع اختلاف في الرواية.

(١٨) الديوان ص ٢٣١.

(١٩) المصدر السابق ص ١٦٠٠.

وقال أبو الشيص:

أَبْقَى الزَّمَانُ بِهِ بُدُوبَ عِيَاضٍ  
نَفَرْتُ بِهِ كَأْسُ النَّدِيمِ فَأَعْرَضْتُ  
وَلَرُبَّمَا جُعِلَتْ مَحَاسِنُ وَجْهِهِ  
أَيَّامَ أَفْرَاسِ الشَّبَابِ جَوَامِحُ

وقال الطائي:

غُرَّةٌ بِهِمَّةٌ أَلَا إِنَّمَا كُنْ  
دِقَّةٌ فِي الْحَيَاةِ تُدْعَى جَلَالًا

وقال البحتري:

عَذَلْتُنَا فِي عَشِقْهَا أُمُّ عَمْرُو  
وَرَأَتْ لِمَّةً أَلَمَ بِهَا الشَّيْبُ  
وَلَعَمْرِي لَوْلَا الْأَقَاجِي لَا بَصُرُ  
وَسَوَادُ الْعَيُونِ لَوْ لَمْ يُحَسِّنْ  
أَيُّ لَيْلٍ يَبْهَى بِغَيْرِ نُجُومٍ

وقال عمر بن أبي ربيعة:

رَأَيْتُنِي خَضِيبَ الرَّأْسِ شَمَرْتُ مِثْرِي  
فَقَالَتْ لِأُخْرَى عِنْدَهَا تَعْرِيفُهُ  
سِوَى أَنَّهُ قَدْ لَاحَتْ الشَّمْسُ لَوْنُهُ  
وَلَا حَ قَتِيرٌ فِي مَفَارِقِ رَأْسِهِ  
وَكَانَ الشَّبَابُ الْغَضُّ كَالْغَنِيمِ خَيْلُ

وَرَمَى سَوَادَ قُرُونِهِ بِيَاضٍ  
عَنْهُ الْكَوَاعِبُ أَيْمًا إِعْرَاضٍ  
لِجُفُونِهَا غَرَضًا مِنَ الْأَغْرَاضِ  
تَأْبَى أَعْتَبَهَا عَلَى الرُّوَاضِ (٢٠)

سُتْ أَغْرًا أَيَّامَ كُنْتُ بِهِيْمًا  
مِثْلَ مَا سُمِّيَ اللَّدِيغُ سَلِيمًا (٢١)

هَلْ سَمِعْتُمْ بِالْعَاذِلِ الْمَعْشُوقِ  
فَرِيْعَتٍ مِنْ ظُلْمَةٍ فِي سُرُوقِ  
تَ أُنِيقَ الرِّيَاضِ غَيْرَ أُنِيقِ  
بِيَاضٍ مَا كَانَ بِالْمَوْمُوقِ  
أَوْ سَحَابٍ تَنْدَى بِغَيْرِ بُرُوقِ (٢٢)

وَقَدْ عَهَدْتُنِي أَسْوَدَ الرَّأْسِ مُسَدِّلًا  
أَلَيْسَ بِهِ قَالَتْ بَلَى مَا تَبَدَّلَا  
وَفَارَقَ أَشْيَاعَ الصَّبَى وَتَنَقَّلَا  
إِذَا غَفَلْتَ عَنْهُ الْخَوَاضِبُ أَنْصَلَا  
سَمَاوَتُهُ إِذْ هَبَّتِ الرِّيحُ فَانْجَلَى (٢٣)

وقال منصور النمرى:

مَا تَنْقِصِي حَسْرَةً مِنِّي وَلَا جَزْعُ  
بَانَ الشَّبَابُ وَقَاتَنِي بِشَرَّتِهِ  
تَعَجَّبْتُ أَنْ رَأْتُ أَسْرَابَ دَمْعِهِ  
أَصْبَحْتُ لَمْ تُطْعِمِي كُلَّ الشَّبَابِ وَلَمْ  
إِذَا ذَكَرْتُ شَبَابًا لَيْسَ يَرْتَجِعُ  
صُرُوفُ دَهْرٍ عَلَى الْأَيَّامِ لِي تَبْعُ  
فِي حُلِيَّةِ الْخَدِّ أَجْرَاهَا حَشَى وَجَعُ  
تَشَجَّجِي بِغُصْتِهِ فَالْعُدْرُ لَا يَقَعُ (٢٤)

□ □ □

(٢٠) ديوان أبي الشيص ص ص ٧١ - ٧٢، وانظر تخريج الأبيات.

(٢١) ديوان أبي تمام ٢٢٣/٣.

(٢٢) الديوان ص ١٤٨١.

(٢٣) لم أجد لها في الديوان.

(٢٤) شعر منصور النمرى ص ص ٩٥، ٩٦ مع اختلاف في الرواية.

مَنْ يَيْسَ مِمَّنْ يَهْوَاهُ فَلَمْ يَلْتَفِتْ مِنْ وَفْتِهِ سَلَاهُ

الْعَلَّةُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْيَأْسَ هُوَ مُفَارَقَةُ النَّفْسِ لِلرَّجَاءِ، الَّتِي كَانَتْ تَعْتَاضُ بِهِ مِنْ حَالِ الصِّفَاتِ، وَتَمَاسُكُ بِمَسَامَرَتِهِ مِنْ سَطْوَةِ الْفِرَاقِ الَّذِي مُنِيتْ بِمُشَاهَدَتِهِ. فَأَوَّلُ رَوَعَاتِ الْيَأْسِ تَلْقَى الْقَلْبَ وَهُوَ غَيْرُ مُسْتَعِدٍّ لِمُقَاوَمَتِهَا، وَلَا مُضَابٍ بِمُشَاهَدَتِهَا، فَتَجَرَّحُهُ دَفْعَةً وَاحِدَةً عَادَةً إِلَى غَيْرِ عَادَةٍ. وَالرَّوْعَةُ الثَّانِيَّةُ تَرُدُّ عَلَى الْقَلْبِ وَقَدْ ذَلَّلَتْهُ لَهَا الرَّوْعَةُ الْأُولَى فَلِلثَّانِيَةِ أَلَمُ الْمَعَاوِدَةِ وَلَيْسَ لَهَا أَلَمٌ. وَفَقْدُ الْعَادَةِ وَالرَّوْعَةُ الْأُولَى فِيهَا مُشَاهَدَةُ الْمَكْرُوهِ وَمُفَارَقَةُ مَا تَعَوَّدَتْ مِنْ الْمَحْبُوبِ، فَإِنْ هِيَ لَمْ تَلْتَفِتْ وَفِيهَا مَكْرُوهَانِ لَمْ تَلْتَفِتِ الثَّانِيَّةُ وَلَيْسَ فِيهَا إِلَّا أَحَدُهُمَا. وَكَذَلِكَ كُلُّ رَوْعَةٍ يَجْلِبُهَا الْفِكْرُ، وَالتَّذَكُّرُ، هِيَ أَهْوَنُ [مِنْ] الَّتِي قَبْلُهَا، لِأَنَّ الْمُتَقَدِّمَةَ قَدْ انْذَرَتْ بِهَا وَوَطَّأَتْ أَلْمَوَاضِعَ لَهَا، حَتَّى يَنْحَلَّ ذَلِكَ أَجْمَعٌ مِنَ النَّفْسِ، حَالًا بَعْدَ حَالٍ، لِأَنَّ دَوَامَ الرَّوَعَاتِ إِنَّمَا يَكُونُ بِنَتَازُعِ الْمَخَافِ وَالْأَمَلِ. فَإِذَا وَقَعَ الْيَأْسُ زَالَ الْخَوْفُ بِوُقُوعِ الْمُخَوِّفِ، وَانْقَطَعَ الْأَمَلُ بِذَهَابِ الْمَأْمُولِ.

ولعمري لقد أحسن البحري حيث يقول.

حَنِينِي إِلَى ذَاكَ الْقَلِيبِ وَلَوْعَتِي عَلَيْهِ وَقَلْتُ لَوْعَتِي وَحِينِي  
خَلَا أَمَلِي مِنْ يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدٍ وَأَوْجَشَ فِكْرِي بَعْدَهُ وَظَنُّونِي  
وَكَانَتْ يَدِي شَلَّتْ وَنَفْسِي تَخَوَّنَتْ وَدُنْيَايَ بَانَتْ يَوْمَ بَانَ وَدِينِي  
فَرَا أَسْفِي أَلَّا أَكُونَ شَهِدَتُهُ فَجَاشَتْ شِمَالِي عِنْدَهُ وَيَمِينِي<sup>(١)</sup>

(١) الديوان ص ٢١٨٢.

فَإِذَا بَقِيَتِ الْخَوَاطِرُ بِغَيْرِ مُحَرِّكِ، تَحَلَّلَتْ مَضَاضَةً ذَلِكَ الْأَلَمِ الَّذِي نَزَلَ بِهَا. أَلَا تَرَى أَنَّ الْحَرِيقَ إِذَا صُبَّ عَلَيْهِ الْمَاءُ أَفْسَدَ الْمَاءَ مُوضِعًا وَأَفْسَدَتِ النَّارُ آخَرَ؟ ... قَائِمِينَ فَإِذَا ذَهَبَا جَمِيعًا بَقِيَ مِنْ تَأْثِيرِ النَّارِ وَحَرَارَاتِ، وَمِنْ تَأْثِيرِ الْمَاءِ بَرْدٌ وَرُطُوبَاتٌ. ثُمَّ تَحَلَّلَا جَمِيعًا عَلَى مَرِّ الْأَوْقَاتِ، وَالْعَلَّةُ فِي قَتْلِ رَوْعَةِ الْيَأْسِ الْأُولَى أَنَّ الْقَلْبَ يُحْمَى بِوُرُودِ الْمَكَارِهِ عَلَيْهِ. وَسَبِيلُ سَائِرِ الْبَدَنِ أَنْ يَمُدَّ الْقَلْبَ بِمِثْلِ مَا فِيهِ مِنْ حَرٍّ أَوْ بَرْدٍ، فَإِذَا كَثُرَ ذَلِكَ انْتَهَكَتْ حِجَابَ الْقَلْبِ فَكَانَ التَّلَفُّ حِينئِذٍ، لِأَنَّ الْقَلْبَ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ أَلَمٌ نِيَّةً غَيْرَ الْأَلَمِ الْفِكْرَةِ إِلَّا أَتْلَفَ صَاحِبَهُ.

وَالْعَامَّةُ تَقُولُ: شَهَقَ فُلَانٌ فَلَا تَصْدَعْتُ مَرَاتَتَهُ. وَلَعَمْرِي إِنَّ الْمَرَارَةَ لَتَحْمَى، وَلَوْ زَادَتْ حَرَارَتُهَا لَانْصَدَعَتْ، وَلَوْ أَنْصَدَعَتْ لَأَتْلَفَتْ. وَلَكِنْ إِلَى أَنْ تَحْمِلَ الْمَرَارَةُ حُمَى تُصَدِّعُهَا [يَكُونُ] قَدْ حَمَى الْقَلْبَ وَتَصَدَّعَ بَلْ تَقْطَعُ. وَمِثْلُ ذَلِكَ لَوْ أَنَّ قِدْرًا مِنْ شَمْعٍ وَقَارٍ، ثُمَّ صُبَّ فِيهَا مَاءٌ، ثُمَّ أُوْقِدَ تَحْتَهَا النَّارُ، فَلَعَمْرِي إِنَّ النَّارَ تُذِيبُ الْقَارَ، وَإِنَّ الْقَارَ إِذَا ذَابَ انْصَبَّ الْمَاءُ غَيْرَ أَنَّ قَبْلَ ذَوْبِ الْقَارِ يَكُونُ انْحِلَالُ الشَّمْعِ، وَتَلْيِفَةُ النَّارِ، فَكَذَلِكَ الْقَلْبُ يَنْتَهِكُ حِجَابَهُ بِالْحَرَارَةِ الْمُنْحَارَةِ إِلَيْهِ قَبْلَ انْتِهَاكِ الْمَرَارَةِ بِحِينَ طَوِيلٍ. وَتَنْظُنُّ الْعَامَّةُ بَلْ كَثِيرٌ مِنَ الْخَاصَّةِ أَنَّ الرَّفِيرَ سَبَبُ التَّلَفِ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ بَلْ [هُوَ] إِذَا أَرَادَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - سَبَبَ لِدْفَعِ التَّلَفِ. وَذَلِكَ أَنَّ الْقَلْبَ إِذَا أَفْرَطَ الْحَمَى عَلَيْهِ اجْتَلَبَتْ لَهُ الْقُوَى الْغَرِيزِيَّةُ رُوحًا تَدْفَعُ مَضَرَّةَ ذَلِكَ عَنْهُمْ تَجْلِبُهُ لَهُ مِنْ نَسِيمِ الْهَوَى الْخَارِجِ عَنْهُ. فَرُبَّمَا جَاءَ مِنَ النَّسِيمِ مَا يَدْفَعُ مَضَرَّةَ تِلْكَ الْحَرَارَةِ فَيَكُونُ زَفِيرٌ وَلَا يَكُونُ تَلَفٌ وَرُبَّمَا ضَعُفَ النَّسِيمُ الْمُجْتَلَبُ، وَحَمَى فِي الْمَجَارِي لِشِدَّةِ مَا يَلْقَاهُ مِنَ الْحَرَارَاتِ، فَيَعْجَزُ بَرْدُهُ عَنْ دَفْعِ مَضَرَّةِ الْحَرَارَةِ الْمُحِيطَةِ بِالْقَلْبِ، فَتَنْتَهِكُ الْحَرَارَةُ الْحِجَابَ، وَيَكُونُ التَّلَفُ، فَلِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ التَّلَفَ عَلَى أَثَرِ الزَّفِيرَةِ يَرَوْنَ أَنَّهُ قَدْ وَقَعَ مِنْ أَجْلِهَا، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ إِنَّمَا وَقَعَ

مِنْ أَجْلِ ضِدِّهَا. وَقَدْ تَقْتُلُ أَيْضاً أَوَّلَ مُفَاجَأَةِ الْفَرَحِ الْغَالِبِ بَرْدَهَا، كَمَا تَقْتُلُ  
أَوَّلَ مُفَاجَأَةِ الْحُزَنِ بِإِفْرَاطِ حَرِّهَا، لِأَنَّهُ يَنْحَازُ إِلَى الْقَلْبِ مِنْ سَائِرِ الْأَعْضَاءِ بَرْدٌ  
لَا تَفِي بِهِ حَرَارَةُ الْغَرِيزَةِ، فَيَجْمُدُ دَمَ الْقَلْبِ وَيَحْدُثُ التَّلَفُّ. وَلَا يَكُونُ مَعَهُ  
زَفِيرٌ وَلَا شَهيقٌ، لِأَنَّ النَّفْسَ لَا تَجْتَلِبُ الْحَرَارَةَ مِنْ خَارِجِ الْبَدَنِ، كَمَا تَجْتَلِبُ  
الْبُرُودَةَ. وَقَوْلُهُمْ: «أَقَرَّ اللَّهُ عَيْنَكَ، وَأَسَخَنَ اللَّهُ عَيْنَ فُلَانٍ» إِنَّمَا هُوَ لِأَنَّ  
دَمْعَةَ الْحُزَنِ حَارَّةٌ، وَدَمْعَةُ الْفَرَحِ بَارِدَةٌ. وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنَ الْفَرَحِ وَالْحُزَنِ إِذَا  
اسْتَوَظَنَ النَّفْسَ أَسَتْ بِمُجَاوَرَتِهِ قَلِيلاً، حَتَّى يَصِيرَ كَالْخُلُقِ الْمُعْتَادِ لَهَا  
وَكَاالطَّبْعِ الْقَائِمِ بِهَا. وَمِنْ جَيْدِ مَا قِيلَ فِي بَابِ التَّسْلِي عَمَّنْ يَتَسَلَّى:

هِيَ الشَّمْسُ مَسْكَنُهَا فِي السَّمَاءِ      فَعَزَّ الْفُؤَادَ عَزَاءً جَمِيلاً  
فَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا الصُّعُودَ      وَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ الْنُزُولَ

وقال امرؤ القيس \*:

عَيْنَاكَ دَمْعُهُمَا سِجَالٌ      كَأَنَّ شَأْنَيْهِمَا أَوْشَالٌ  
مِنْ ذِكْرِ لَيْلَى وَأَيْنَ لَيْلَى      وَخَيْرُ مَا نِلْتُ مَا يُنَالُ<sup>(١)</sup>

أنشدني أحمد بن يحيى لأم الضحاك المحاربة<sup>(٢)</sup>:

سَأَلْتُ الْمُجِبِّينَ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا      تَبَارِيحَ هَذَا الْحُبِّ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ  
فَقُلْتُ لَهُمْ مَا يُذْهِبُ الْحُبَّ بَعْدَ مَا      تَبَوَّأَ مَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالصُّدْرِ  
فَقَالُوا شِفَاءُ الْحُبِّ حُبُّ يُزِيلُهُ      مِنْ آخِرِ أَوْ نَائِي طَوِيلٍ عَلَى هَجَرٍ  
أَوْ أَلْيَاسٍ حَتَّى تَذْهَلَ النَّفْسُ بَعْدَ مَا      رَجَتْ طَمَعاً وَأَلْيَاسُ عَوْنًا عَلَى الصَّبْرِ

وقال آخر:

فَيَا رَبِّ إِنْ أَهْلِكَ وَلَمْ تُرَوْ هَامَتِي      بِلَيْلَى أُمْتُ لَا قَبْرَ أَعْطَشَ مِنْ قَبْرِي

(٢) الديوان ص ١٨٢ - ١٨٣.

(٣) لم أمتد إلى ترجمتها.

وَإِنْ أَكُ عَنْ لَيْلَى سَلَوْتُ فَإِنَّمَا  
وَإِنْ يَكُ عَنْ لَيْلَى غِنَى وَتَجَلَّدُ

وقال كثير:

وَإِنِّي لَا تَبِيكُمُ وَإِنِّي لَرَاجِعٌ  
إِذَا دَبَّرَانَ مِنْكَ يَوْمًا لَقِيْتُهُ  
فَإِنْ يَسَلُ عَنْكَ الْقَلْبُ أَوْ يَدْعُ الصَّبَى

وقال علي بن محمد العلوي:

كَانَ يُبْكِيَنِي الْغِنَاءُ سُرُورًا  
أَوْ مِنْ خَطَرَةِ الْكَبِيرِ إِذَا مَا

وقال البحتري:

أَرْجُو عَوَاطِفَ مِنْ لَيْلَى وَيُؤَيِّسُنِي  
وَلَمْ يَعُدْنِي لَهَا طَيْفٌ فَيَجْفَأُنِي

وقال أيضاً:

يَرْجُو مُقَارَنَةَ الْحَبِيبِ وَدُونَهُ  
وَمَتَى يُسَاعِدُنَا الْوَصَالُ وَدَهْرُنَا  
وَالْيَاسُ إِحْدَى الرَّاحَتَيْنِ وَلَنْ تَرَى

ولبعض أهل هذا العصر:

سَأَكْفِيكَ نَفْسِي لَا كِفَايَةَ غَادِرٍ      وَلَا سَامِعاً عَذْلًا وَلَا مُتَعَبِيَا

تَسَلَّيْتُ عَنْ يَاسٍ وَلَمْ أَسَلْ عَنْ صَبْرٍ  
قَرَّبَ غَنَى نَفْسٍ قَرِيبٍ مِنَ الْفَقْرِ<sup>(٤)</sup>

بَغِيرِ الْجَوَى مِنْ عِنْدِكُمْ لَمْ أُزَوِّدْ  
أَوْ مَلُ أَنْ أَلْقَاكَ بَعْدُ بِأَسْعَدِ  
فِي الْيَاسِ يَسَلُ عَنْكَ لَا بِالتَّجَلُّدِ<sup>(٥)</sup>

فَأَرَانِي أَبْكِي لَهُ الْيَوْمَ حُزْنًا  
خَطَرَ الْيَاسِ دُونَ مَا يَتَمَنَّى

دَوَامُ لَيْلَى عَلَى الْهَجَرِ الَّذِي تَلَدَا  
إِلَّا عَلَى أَبْرَحِ الْوَجْدِ الَّذِي عُهِدَا<sup>(٦)</sup>

وَجَدْتُ يُسْرِخُ بِالْمَهَارِي الْقُودِ  
يَوْمَانِ يَوْمَ نَوَى وَيَوْمَ صُدُودِ  
تَعَبًا كَطَنِ الْخَائِبِ الْمَكْدُودِ<sup>(٧)</sup>

(٤) الأبيات في ديوان المجنون ص ١٦٥، وهي بدون نسبة في مجموعة المعاني ص ٢١١

وشرح المرزوقي ص ١٢٢٤.

(٥) ديوان كثير ص ٤٣٥ مع اختلاف في الرواية.

(٦) الديوان ص ٧١٧.

(٧) الديوان ص ٦٩٨.

وَلَكِنْ يَأْسًا لَمْ يَرَ النَّاسَ مِثْلَهُ  
وَفِي دُونِ مَا يُلْغَتْهُ بَلْ رَأَيْتُهُ

وله أيضاً:

حَاوَلْتُ أَمْرًا فَلَمْ يَجِرِ الْقَضَاءُ بِهِ  
فَقَدْ صَبَرْتُ لِأَمْرِ اللَّهِ مُحْتَسِبًا  
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ شُكْرًا لَا شَرِيكَ لَهُ

وقال البحرني:

عَزَيْتُ نَفْسِي بِبَرْدِ الْيَأْسِ بَعْدَهُمْ  
إِنَّ النَّوَى وَالْهَوَى شَيْثَانِ مَا اجْتَمَعَا

وقال أيضاً:

مَحَلَّتْنَا وَالْعَيْشُ غَضُّ نَبَاتِهِ  
وَلَيْلَى عَلَى الْعَهْدِ الَّذِي كَانَ لَمْ تَغُلْ  
وَكُنْتُ أَرْجِي وَصَلَهَا عِنْدَ هَجْرِهَا  
وَلَا قُرْبَ إِلَّا أَنْ يُعَاوِدَ ذِكْرُهَا

وقال الأحوص \*:

تَذَكَّرْتُ أَيَّامًا مَضَيْنَ مِنَ الْصَبَى  
تَوَقَّلْتُ نِعْمَى أَنْ تَرِيحَ بِهَا النَّوَى  
لَعَمْرِي لَرَاعَتَنِي نَوَائِحُ غُدُوَّةٍ  
فَظَلْتُ كَأَنِّي خَشِيَّةُ الْبَيْنِ إِذْ أَنَا

وَصَبْرًا عَلَى مُرِّ الْمَقَادِيرِ مُنْصَبًا  
بَلَاغَ وَلَكِنْ لَا أَرَى عَنْكَ مَذْهَبًا

وَلَا أَرَى أَحَدًا يُعْدَى عَلَى الْقَدَرِ  
وَالْيَأْسُ مِنْ أَشْبِهِ الْأَشْيَاءِ بِالظُّفْرِ  
مَا أَوْلَعَ الدَّهْرَ وَالْأَيَّامَ بِالْغَيْرِ

وَمَا تَعَزَّيْتُ مِنْ صَبْرٍ وَلَا جَلَدٍ  
فَخَلِيَا أَحَدًا يَضْبُو إِلَى أَحَدٍ (٨)

وَأَفْنِيَةُ الْأَيَّامِ خُضِرَ ظِلَالُهَا  
نَوَاهَا وَلَا حَالَتْ إِلَى الصَّدِّ حَالُهَا  
فَقَدْ بَانَ مِنِّي هَجْرُهَا وَوَصَالُهَا  
وَلَا وَصَلَ إِلَّا أَنْ يُطِيفَ خِيَالُهَا (٩)

وَهِيَهَاتَ هِيَهَاتَ إِلَيْكَ رُجُوعُهَا  
أَلَا حَبْدًا نُعْمَى وَسَوْفَ تَرِيْعُهَا  
فَصَدَّعَ قَلْبِي بِالْفِرَاقِ جَمِيعُهَا  
أَخْوَجَتْ لِي لَا يَسْتَبِيلُ صَرِيْعُهَا (١٠)

وقال آخر:

أَمَّا وَاللَّهِ غَيْرَ قَلِيٍّ لِلَّيْلِ  
لَقَدْ جَعَلْتَ دَوَائِنُ الْغَوَانِي  
وَلَكِنْ يَا لَهُ يَأْسًا مُبِينًا  
سِوَى دِيَوَانِ حُبِّكَ يَمَجِّينَا (١١)

وقال بشار بن برد:

أَحِبُّ بِأَنْ أَكُونَ عَلَى بَيَانٍ  
فَقَدْ أَصْبَحْتُ لَا فَرِحًا بِدُنْيَا  
وَأَخْشَى أَنْ أَمُوتَ مِنَ الْبَيَانِ  
يُقْبِلُنِي الْهَوَى ظَهْرًا لِبَطْنٍ  
وَلَا مُسْتَنْكَرًا دَارَ الْهَوَانِ  
فَمَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ يَرَانِي (١٢)

وقال ذو الرمة:

أَفِي كُلِّ أَطْلَالٍ بِهَا مِنْكَ جَنَّةٌ  
وَلَا بُدَّ مِنْ مَيٍّ وَقَدْ حِيلَ دُونَهَا  
كَمَا جُنَّ مَقْرُونُ الْوُطَيْقَيْنِ نَارُغٌ  
فَمَا أَنْتَ فِيمَا بَيْنَ هَاتَيْنِ صَانِعٌ

أُمَسْتَوْجِبُ أَجْرَ الصُّبُورِ فَكَاطِمٌ

عَلَى الْوَجْدِ أَمْ مُبْدِي الضَّمِيرِ فَجَارِعٌ (١٣)

وقال مجنون بني عامر (١٤):

فَيَا قَلْبَ مَتَّ حُزْنًا وَلَا تَكُ جَارِعًا  
هَوَيْتَ فَتَاهُ نَيْلُهَا الْخُلْدُ فَالْتِمَسْ  
أَحْنُ إِلَى نَجْدٍ وَإِنِّي لَيَأْسُ  
وَأَنْ يَكُ لَا لَيْلَى وَلَا نَجْدٌ فَاعْتَرِفْ  
فَإِنَّ جُرُوعَ الْقَوْمِ لَيْسَ بِخَالِدٍ  
سَبِيلًا إِلَى مَا لَسْتَ يَوْمًا بِوَاجِدٍ  
طَوَالَ اللَّيَالِي مِنْ قُفُولٍ إِلَى نَجْدٍ  
بِهَجْرٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَالْوَعْدِ (١٥)

وقال آخر:

خَلَّتْ عَنْ ثَرَى نَجْدٍ فَمَا طَابَ بَعْدَهَا  
وَلَوْ رَاجَعْتُ نَجْدًا لَطَابَ إِذَنْ نَجْدُ

(١١) ديوان المجنون ص ٢٨٤.

(١٢) ديوان بشار ٢٣٩/٤ عن كتاب «الزهره».

(١٣) الديوان ص ٣٣٤.

(١٤) ديوان المجنون ص ص ١٠٩، ١١٦.

(١٥) في «م» والمطبوع: وإنك.

(٨) المصدر السابق ص ٥٧٣.

(٩) ديوان البحرني ص ٢٨٤.

(١٠) شعر الأحوص ص ١٥٠ وانظر تخريج الأبيات.

هُوَ الْيَاسُ مِنْ لَيْلَى عَلَى أَنْ حُبَّهَا مُقِيمُ الْمَرَاثِي لَمْ يَزَلْ عِنْدَنَا بَعْدُ<sup>(١٦)</sup>

وقال آخر:

أَلَا لَا أُحِبُّ السَّيْرَ إِلَّا مُصْعِدًا عَلَى مِثْلِ لَيْلَى يَقْتُلُ الْمَرْءَ نَفْسَهُ وَلَا الْبَرْقَ إِلَّا أَنْ يُلَوِّحَ يَمَانِيَا وَإِنْ كُنْتُ عَنْ لَيْلَى عَلَى النَّأْيِ طَاوِيَا<sup>(١٧)</sup>

ولبعض أهل هذا العصر:

يَقُولُ أَبَعْدَ الْيَاسِ تَبْكِي صَبَابَةً أَبْكِي عَلَى مَنْ لَسْتُ أَرْجُو أَرْجَاعَهُ فَقُلْتُ وَهَلْ قَبْلَ الْيَاسِ بُكَاءُ وَأَبْكِي عَلَى أَنْ لَا يَكُونَ رَجَاءُ

وقال آخر:

يَقُولُونَ عَنْ لَيْلَى عَيْتَ وَإِنَّمَا فَيَا حَبْدًا لَيْلَى إِذِ الدَّهْرُ صَالِحٌ وَإِنِّي لَأَهْوَاهَا وَإِنِّي لِأَيْسَ هَوَى وَإِيَّاسَ كَيْفَ ضَمَّهُمَا الصَّدْرُ<sup>(١٨)</sup>

وهذا مِنْ أَحْسَنِ مَا مَرَّ وَيَمُرُّ، لِأَنَّهُ قَدْ جَمَعَ لَفْظًا لَطِيفًا وَمَعْنَى مَلِيحًا. هَذَا الْبَائِسُ قَدْ عَلِمَ أَنَّ الْيَاسَ لَا يَكُونُ مَعَهُ هَوَى لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، فَظَاهَرَ التَّعَجُّبَ مِنْهُ لِأَنَّهُ خَارِجٌ عَنْ عَادَتِهِ، وَوَجَدَ فِي قَلْبِهِ بَقَايَا مِنَ الْحُزْنِ لِأَنَّهُ الْفِرَاقُ، وَلَيْسَ هُوَ قَائِمٌ وَلَكِنَّهُ تَأْثِيرُ الْإِحْتِرَاقِ يَزُولُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ، إِذْ لَمْ يَدْرِكْهُ غَلِيلُ الْإِشْفَاقِ، وَلَمْ تُحَرِّكْهُ غَلَبَاتُ الْإِشْتِيَاقِ، فَظَنَّ لِشِدَّةِ مَضَاضَتِهِ أَنَّ الْهَوَى بَعْدَ مُقِيمٍ فِي قَلْبِهِ.

وقال آخر:

نَظَرْتُ وَأَصْحَابِي بِنَجْدٍ غُدِّيَّةٍ لِابْصِرَهُمْ أَمْ هَلْ أَرَى فِي مَطْمَعَا

بَنَظْرَةٍ مُشْتَقٍّ رَأَى الْيَاسَ وَالْهَوَى شَرِبْتُ حَرَازَاتِ الْفِرَاقِ فَلَمْ أَجِدْ وَقَاسَيْتُ تَفْرِيقَ الْجَمِيعِ فَلَمْ يَدْعُ

جَمِيعًا فَعَزَى نَفْسَهُ ثُمَّ رَجَعَا كَمِثْلِكَ مَشْرُوبًا أَمْرًا وَأَوْجَعَا تَفَرَّقُوا أَلَا فِي لَعِينِي مَطْمَعَا

وأنشدني أحمد بن يحيى عن زيد بن بكار لرجل من بني أسد:

وَكُنْتُ إِذَا أَشْتَقَيْتُ بِرِيحِ نَجْدٍ فَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ بِهَا أُمُورًا عَرَجْتُ عَلَى الْمَنَازِلِ غَيْرَ بَغْضٍ وَسَاقَتْكَ الْمَقَادِرُ وَاللَّيَالِي وَمَاءُ الْبَيْرِ مِنْ غُلٍّ شَفَاهَا تَقَادَمَ وَهْلُهَا وَبَدَا ثَأْمَا وَأَسْمَحَ غُلُّو نَفْسِكَ عَنْ هَوَاهَا إِلَى أَنْ لَا تَرَكَ وَلَا تَرَاهَا<sup>(١٩)</sup>

ولبعض أهل هذا العصر:

أَمِنْتُ عَلَيْكَ الدَّهْرَ وَالْدَّهْرُ غَادِرٌ وَمَا ذَاكَ عَنْ إِلْفٍ تَخَيَّرْتُ وَصَلَهُ وَلَكِنْ صَرَفَ الدَّهْرُ نَدَّ عَجَلِ الرَّدَى فَلَسْتُ أَرْجِيهِ وَنَسْتُ أَخَافُهُ إِذَا بَلَغَ الْمَكْرُوهُ بِي غَايَةَ الْمَدَى تَنَاسَيْتُ أَيَّامَ الصَّفَاءِ الَّتِي مَضَتْ أَكْبِتُ قَلْبِي عَنْكَ وَالْوُدَّ نَابِتٌ إِلَى اللَّهِ أَشْكُو لَا إِلَيْكَ فَإِنَّهُ وَسَكَنْتُ قَلْبِي عَنْكَ وَالْقَلْبُ نَافِرٌ عَلَيْكَ وَلَا أَنِّي بِعَهْدِكَ غَادِرٌ وَأَيَّاسِي مِنْ أَنْ تَدُورَ الدَّوَائِرُ وَهَلْ يَرْتَجِي ذُو اللَّبِّ مَا لَا يُحَازِرُ فَأَهْوَنُ مَا تَجْرِي إِلَيْهِ الْمَقَادِرُ لَذِيكَ عَلَى أَنِّي لَهَا الدَّهْرُ ذَاكِرٌ وَحَلْ تَصْبِرُ الْأَحْشَاءُ وَالْحُزْنُ صَابِرٌ عَلَى رَدِّ أَيَّامِ الصَّفَاءِ لَقَادِرُ

وقال العتبي<sup>(٢٠)</sup>:

فَيَا وَنَحْ قَلْبٍ عَذَبَ الْعَيْنَ بِالْبُكََا وَيَا وَنَحْ مُشْتَقٍّ مَحَا الْيَاسُ مَا رَجَا عَلَى كُلِّ شِفْرِ مِنْ مَدَامِعِهَا غَرْبٌ لِحُرْقَتِهِ شَرْقٌ وَلَيْسَ لَهَا غَرْبٌ

(١٩) لم أعتد إلى تخريج الأبيات.

(٢٠) سبق أن ترجمنا له.

(١٦) أقول: كأن البيتين مما نسب إلى المجنون!

(١٧) ديوان المجنون ص ٣٠٨.

(١٨) ديوان المجنون ص ٣٢٥.

وقال ذو الرمة:

تَجُنُّ إِلَى مَيِّ كَمَا حَنَ نَارِعُ دَعَاهُ الْهَوَى فَارْتَدَّ مِنْ قَيْدِهِ قَصْرًا  
وَلَا مَيِّ إِلَّا أَنْ تَزُورَ بِمَشْرِقِ أَوْ الزُّرْقَى مِنْ أَطْلَالِهَا دِمْنًا فَقَرًّا (٢١)

وأشدني أبو طاهر الدمشقي لبعض الأعراب:

أَظُنُّ الْيَوْمَ آخِرَ عَهْدِ نَجْدٍ أَلَا فَاقرَأْ عَلَى نَجْدٍ سَلَامًا  
فَرُبَّمَا سَكَنْتَ بِحَرِّ نَجْدٍ وَرُبَّمَا رَكِبْتَ بِهَا السَّوَامَا  
وَرُبَّمَا رَأَيْتَ لِأَهْلِ نَجْدٍ عَلَى الْعِلَالِ أَخْلَاقًا كِرَامَا  
وَإِنِّي لِلْمَكْلَفِ حُبِّ نَجْدٍ وَإِنِّي لِلْمَيْسَرِ بِهَا السَّقَامَا

فهؤلاء الذين ذكروا أشعارهم قد سلوا على أول روعات اليأس،  
فمنهم من تشاغل بإظهار الحنين تجميلًا للناس، ومنهم من صرح بالسُّلو عن  
نفسه، ومنهم من اشتغل بمعالجة ما بقي من [الهوى] في قلبه.

ونحن الآن نذكر طرفًا من أخبار من تمكنت الروعة الأولى من نفسه،  
وتظاهر سلطانها على قلبه، فبلغ إلى ما لا يمكن منه تلافيه ولا ينفع  
فيه استعطاف.

حدثني أبو طاهر الدمشقي قال: حدثنا حامد بن يحيى النجلي قال:  
حدثنا سفيان قال: حدثنا عبد الملك بن نوفل بن مساحق عن رجل من مريضة  
يقال له: ابن عاصم عن أبيه قال: بعثنا رسول الله - صلى الله عليه  
وسلم - في سريته وقال: إن رأيتم مسجدًا أو سمعتم مؤذنًا فلا تقتلوا أحدًا.  
وإننا قد لقينا قومًا فأسرناهم، ورأى نسوة وهو في ذمته فدنا إلى هؤلاء أفص  
إليهن فدنا إلى امرأة منهن فقال: أسلمي؟ حبش قبل نفاذ العيش.

أريت إذا طالبتكم فوجدتكم بحليسة أو ألفتكم بالخوانق (\*)

(٢١) الديوان ص ١٧٠ مع اختلاف في الرواية.

(\*) في الأصل: أريت إذ... فوجدتم.

أَلَمْ يَكْ حَقًّا أَنْ يُنَوَّلَ عَاشِقُ تَكَلَّفَ إِذْ لَاحَ السُّرَى وَالْوَدَائِقِ  
فَلَا ذَنْبَ لِي قَدْ قُلْتُ إِذْ أَهْلُنَا مَعًا أَيُّسِي بُوْدُ قَبْلَ إِحْدَى الصَّفَائِقِ  
أَيُّسِي بُوْدُ قَبْلَ أَنْ تَشْحَطَ النَّوَى وَيُنْأَى الْأَمِيرُ بِالْحَبِيبِ الْمُفَارِقِ

قال: فقالت: وأنت فحييت عشرًا وتسعًا وترًا وثمانيا تترًا قال: ثم  
قدمناه فضرينا عنقه فنزلت إليه امرأة تخصه فأكبت عليه، فما زالت تجن عليه،  
حتى ماتت.

وقال الجاحظ ذكرت لأمير المؤمنين المتوكل لتأديب بعض ولده،  
فلما رأي استشع منظره فأمر لي بعشرة آلاف وصرفي، فخرجت من عنده  
فلقيت محمد بن إبراهيم وهو يريد الانحدار إلى مدينة السلام فعرض علي  
الخروج معه وقرب حرافته ونصب سيارته وأمر بالغناء فاندفعت عوادة  
له فغنت:

كُلُّ يَوْمٍ قَطِيعَةٌ وَعِتَابٌ يَنْقُضِي دَهْرُنَا وَنَحْنُ غَضَابُ  
لَيْتَ شِعْرِي أَنَا خِصَصْتُ بِهِذَا دُونَ ذَا الْخَلْقِ أَمْ كَذَا الْأَحْبَابُ

ثم سكنت وأمر طنبورية فغنت:

وَأَرْحَمْنَا لِلْعَاشِقِينَ مَا إِنْ أَرَى لَهُمْ مُعِينَا  
كَمْ يَهْجُرُونَ وَيُضْرِبُونَ وَيُقْطَعُونَ فَيَضْرِبُونَا

فقالت لها العوادة فيصنعون ماذا قالت ويصنعون هكذا وضربت يديها  
إلى السَّارَةِ فَهَتَكَتْهَا وَبَرَزَتْ كَأَنَّهَا فَلَقَهُ قَمَرٌ، فَزَجَّتْ نَفْسَهَا إِلَى الْمَاءِ قَالَ  
وَعَلَى رَأْسِ مُحَمَّدٍ غُلَامٌ يُضَاهِيهَا فِي الْجَمَالِ وَيَبْدُو مِثْلَهُ فَلَمَّا رَأَى مَا صَنَعَتْ  
أَلْقَى الْمِذْبَةَ مِنْ يَدِهِ وَأَتَى الْمَوْضِعَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَهِيَ تَمُرُّ بَيْنَ الْمَاءِ فَأَنشَأَ يَقُولُ:  
أَنْتِ الَّتِي غَرَّقْتَنِي بَعْدَ الْقَضَا لَوْ تَعْلَمِينَ

وَرَجَّ بِنَفْسِهِ فِي أَثَرِهَا فَأَذَارَ الْمَلَأُحُ [الحرافة] فَإِذَا بِهِمَا مُعْتَقَانِ. ثم

غَاصَا فَمَ يُرِيَا فَهَالِ ذَلِكَ مُحَمَّداً وَاسْتَفْظَعَهُ. وَقَالَ لِي: يَا أَبَا عَمْرٍو لَسَحَدِثْنِي بِحَدِيثِ يُسْلِينِي عَنْ فِعْلٍ هَذَيْنِ، وَإِلَّا أَلْحَقْتُكَ بِهِمَا، قَالَ: فَحَضَرَنِي خَبْرُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَقَدْ قَعَدَ لِلْمَظَالِمِ وَعُرِضَتْ عَلَيْهِ الْقِصَصُ، فَمَرَّتْ بِهِ قِصَّةٌ فِيهَا إِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - أَنْ يُخْرِجَ إِلَيَّ جَارِيَتَهُ فَلَانَّةٌ حَتَّى تُغَيِّبَنِي ثَلَاثَةَ أَصْوَاتٍ فَعَلَّ، فَأَغْتَاطَ سُلَيْمَانُ وَأَمَرَ مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ فَيَأْتِيهِ بِرَأْسِهِ، وَاسْتَرْجَعَ وَاتَّبَعَ الرَّسُولَ بِرُسُولٍ آخَرَ يَأْمُرُهُ أَنْ يَدْخُلَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ: مَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: أَلْتَقَنُ بِحَبْلِكَ وَالْإِتْكَالَ عَلَى عَفْوِكَ، فَأَمَرَهُ بِالْقُعُودِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ أَحَدٌ إِلَّا خَرَجَ فَأَمَرَ فَأُخْرِجَتِ الْجَارِيَةُ وَمَعَهَا عُودُهَا ثُمَّ قَالَ: قُلْ لَهَا: غَيِّبِي فَقَالَ لَهَا أَلْفَتِي غَيِّبِي:

أَفَاطِمَ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا التَّدْلِيلِ  
وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَرَمْتُ هَجْرِي فَاجْعَلِي (٢٢)

فَعَنَّتُهُ فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ [قُلْ] قَالَ تَأْمُرُ لِي بِرِطْلٍ فَأَتَيْتُ بِرِطْلٍ فَشَرِبْتُهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ: قُلْ قَالَ غَيِّبِي:  
تَأَلَّقَ الْبَرْقُ نَجْدِيًّا فَقُلْتُ لَهُ يَا أَيُّهَا الْبَرْقُ إِنِّي عَنْكَ مَشْغُولٌ  
فَعَنَّتُهُ فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ قُلْ: قَالَ: تَأْمُرُ لِي بِرِطْلٍ فَأَتَيْتُ بِرِطْلٍ فَشَرِبْتُهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ قُلْ: قَالَ غَيِّبِي:

حَبِّدَا رَجْعُهَا إِلَيْهَا يَدَيْهَا فِي يَدَيَّ دِرْعُهَا تَحِلُّ الْإِزَارَا  
فَعَنَّتُهُ فَقَالَ لَهُ: قُلْ: قَالَ تَأْمُرُ لِي بِرِطْلٍ فَأَتَيْتُ بِرِطْلٍ، فَمَا اسْتَمَّ شُرْبُهُ حَتَّى وَثَبَ فَصَعِدَ عَلَى قُبَّةِ لِسُلَيْمَانَ فَرَمَى بِنَفْسِهِ عَلَى دِمَاعِهِ فَقَالَ سُلَيْمَانُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. أَرَاهُ الْأَحْمَقَ الْجَاهِلَ ظَنَّ أَبِي أَخْرَجَ الْجَارِيَةَ إِلَيْهِ

(٢٢) البيت مشهور في مطولة امرئ القيس.

وَأَرَدَهَا إِلَى مُلْكِي؟ يَا غِلْمَانُ خُذُوا بِيَدَيْهَا فَانْطَلِقُوا بِهَا إِلَى أَهْلِهِ إِنْ كَانَ لَهُ أَهْلٌ وَإِلَّا فَيُعْمَرُهَا وَنَصَدُّوا عَنْهُ، فَلَمَّا انْطَلَقُوا بِهَا نَظَرْتُ إِلَى حُفْرَةٍ فِي دَارِ سُلَيْمَانَ قَدْ أُعِدَّتْ لِلْمَطَرِ، فَجَذَبْتُ نَفْسَهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ وَأَنْشَأْتُ تَقُولُ:

مَنْ مَاتَ عِشْقًا فَلَيْمَتْ هَكَذَا لَا خَيْرَ فِي الْحَبِّ بِلَا مَوْتٍ  
وَرَجْتُ بِنَفْسِهَا عَلَى دِمَاعِهَا فَمَاتَتْ فَسَرِّي عَنْ مُحَمِّدٍ، وَأَحْسَنَ صِلَتِي.

وَذَكَرَ لَنَا أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ حُمَيْدٍ الطُّوسِيَّ كَانَ جَالِسًا مَعَ نَدَمَائِهِ يَوْمًا فَعَنَّتْ جَارِيَتُهُ لَهُ وَرَاءَ الْبِتَارَةِ:

يَا قَمَرَ الْقَصْرِ مَتَى تَطْلُعُ أَشْقَى وَغَيْرِي بِكَ مُسْتَمْتِعُ  
إِنْ كَانَ رَبِّي قَدْ قَضَى كُلَّ ذَا مِنْكَ عَلَى رَأْسِي فَمَا أَصْنَعُ

قَالَ وَعَلَى رَأْسِ مُحَمِّدٍ غُلَامٌ بِيَدِهِ قَدَحٌ يَسْقِيهِ، فَرَمَى بِالْقَدَحِ مِنْ يَدِهِ وَقَالَ: تَصْنَعِينَ هَكَذَا، ثُمَّ رَمَى بِنَفْسِهِ مِنَ الدَّارِ إِلَى الدَّجَلَةِ، فَهَتَكَتِ الْجَارِيَةُ الْبِتَارَةَ، ثُمَّ رَمَتْ بِنَفْسِهَا عَلَى آثَرِهِ، فَتَرَا الْغَاصَةَ خَلْفَهَا فَلَمْ يَجِدُوا وَاحِدًا مِنْهُمَا، فَقَطَعَ مُحَمَّمُ الشُّرْبَ وَقَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ.

وَأَخْبَارُ هَذَا أَلْبَابِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يَتَضَمَّنَهَا مِثْلُ هَذَا الْكِتَابِ غَيْرَ أَنَا أَقْتَصَرْنَا مِنْهَا عَلَى مَا يَكُونُ مَعَهُ مُضِرِّينَ عَنْهَا وَلَا مُكْتَرِبِينَ بِهَا، وَلَقَدْ كَادَتْ شَهْرَتُهَا لَهُ لِيَتَمَنَّعَنَا عَنْ ذِكْرِهَا. غَيْرَ أَنَّهَا كَانَتْ شَاهِدًا لِمَا قَدَّمْنَاهُ وَأَحْبَبْنَا أَنْ يُؤَيَّدَ بِذِكْرِهَا عَلَى مَا شَرَطْنَاهُ.

□ □ □



## لَا يُعْرِفُ الْمُقِيمُ عَلَى الْعَهْدِ إِلَّا عِنْدَ فِرَاقٍ أَوْ صَدٍّ

مِنْ شَأْنٍ مَنْ كَانَ مُجَاوِراً لِأَحْبَابِهِ، وَسَامَحْتَهُ الْأَيَّامَ مَحَابِيهِ، أَنْ يَصْرِفَ خَوَاطِرَهُ إِلَيْهِمْ، وَأَنْ لَا يُؤَثِّرَ صُحْبَةُ أَحَدٍ غَيْرِهِمْ عَلَيْهِمْ. بَلِ الْجَارِي مِنْ عَادَةِ أَهْلِ الْأَدَبِ إِذَا أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ يَسْتَفْلِحُونَ أَنْ يُظْهِرُوا لَهُ الْمَوَدَّةَ قَبْلَ يَعْتَقِدُونَهَا فِي الْحَقِيقَةِ فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ حَالُ أَهْلِ الْأَدَبِ مَعَ مَنْ يُعَاشِرُهُمْ مِنْ غَيْرِ الْأَحْبَابِ، كَانَ أَحْبَابُهُمْ أُخْرَى أَنْ يَغْلِبُوا عَلَى قُلُوبِهِمْ. وَإِنَّمَا يَبِينُ الصَّادِقُ فِي هَوَاهُ، إِذَا فَارَقَهُ أَوْ صَدَّ عَنْهُ مَنْ يَهْوَاهُ، فَأَقَامَ حِينَئِذٍ عَلَيْهِ وَلَمْ يَنْتَقِلْ إِلَى مَا سِوَاهُ.

وأنشدني أحمد بن يحيى النحوي لعمر بن أبي ربيعة:

يَقُولُونَ إِنِّي لَسْتُ أَصْدُقُ فِي الْهَوَى      وَإِنِّي لَا أَرْعَاكَ حِينَ تَغِيبُ  
فَمَا بَالُ طَرْفِي عَفَّ عَمَّا تَسَاقَطَتْ      لَهُ أَنْفُسٌ مِنْ مَعْشَرٍ وَقُلُوبُ  
عَشِيَّةٍ لَا يَسْتَنْكِرُ الْقَوْمُ إِنْ رَأَوْا      سِفَاهَ الْحَجَى مِمَّنْ يُقَالُ لَيْبُ  
وَلَا نَظَرَةً مِنْ عَاشِقٍ إِنْ مَضَتْ لَهُ      بَعِينَ الصَّبَى كَسَلَى الْقِيَامِ لَعُوبُ  
يُرَوِّحُ يَرْجُو أَنْ تُحَطَّ ذُنُوبُهُ      فَرَاخَ وَقَدْ عَادَتْ عَلَيْهِ ذُنُوبُ  
وَمَا أَلْشَكَ أَسْلَاتِي وَلَكِنْ لِذِي الْهَوَى      عَلَى أَلْعَيْنِ مَيِّ فِي الْفُؤَادِ رَقِيبُ<sup>(١)</sup>

ولقد أحسن ذو الرمة حيث يقول:

إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ أَجِدْ      رَسِيسَ الْهَوَى مِنْ حُبِّ مِثَّةٍ يَبْرَحُ  
تَصَرَّفَ أَهْوَاءُ الْقُلُوبِ وَلَا أَرَى      نَصِيصِكَ مِنْ قَلْبِي لِغَيْرِكَ يُنْمَحُ

أَرَى الْحُبَّ بِالْهَجْرَانِ يُمَحَى فَيَمْتَحِي  
أَبِينُ وَشَكْوَى بِالنَّهَارِ شَدِيدَةٌ  
هِيَ الْبُرَى وَالْأَسْقَامُ وَالْهَمُّ ذِكْرُهَا  
ذَا قُلْتُ تَذْنُو مِثَّةً أَغْبَرُ دُونَهَا  
فَلَا الْقُرْبُ يَبْدِي مِنْ هَوَاهَا مَلَالَةٌ

وقال أيضاً:

هَوَاكَ الَّذِي يَنْهَاضُ بَعْدَ أَنْدِمَالِهِ  
إِذَا قُلْتُ قَدْ وَدَّعْتُهُ رَجَعَتْ بِهِ  
وَإِنْ قُلْتُ يَسْلُو حُبِّ مِثَّةٍ قَلْبُهُ

وقال أيضاً:

يَزِيدُ التَّنَائِي ضَلَّ خَرَقَاءَ جِدَّةٍ  
لَقَدْ أُشْرِبَتْ نَفْسِي لِمَيِّ مَوَدَّةٍ

وقال أيضاً:

فَلَمْ يَبْقَ مِمَّا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا  
أَصِيدَاءُ هَلْ قَيْظُ الرَّمَادَةِ رَاجِعُ  
سَوَاءٌ عَلَيْكَ الْيَوْمَ إِنْصَاعَتِ النَّوَى  
إِذَا لَمْ تَزُرْهَا مِنْ قَرِيبٍ تَنَاوَلْتُ

وقال أيضاً:

وَلَمْ تُسَيِّنِي مِثًّا نَوَى ذَاتُ غَرْبَةٍ

وَحُبُّكَ مِمَّا يَسْتَجِدُّ وَيَذْبَحُ  
عَلَيَّ وَمَا يَأْتِي بِهِ اللَّيْلُ أَبْرَحُ  
وَمَوْتُ الْهَوَى لَوْلَا التَّنَائِي الْمُبْرَحُ  
فَيَافٍ لَطَرْفِ الْعَيْنِ فِيهِنَّ مَطْرَحُ  
[وَلَا حُبَّهَا] إِنْ تَنْزَحِ الدَّارُ يَنْزَحُ<sup>(٢)</sup>

كَمَا هَاضَ حَدٍ مُتَعَبٌ صَاحِبَ الْكَسْرِ  
شُجُونٌ وَأَذْكَارُ تَرَدَّدُ فِي الصَّدْرِ  
أَبَى حُبَّهَا إِلَّا بَقَاءً عَلَى الْهَجْرِ<sup>(٣)</sup>

إِذَا حَانَ أَرْمَاتُ الْجِبَالِ وَصُولُهَا  
تَقْضَى اللَّيَالِي وَهِيَ بَاقٍ وَسِيلُهَا<sup>(٤)</sup>

مِنْ الْوَصْلِ إِلَّا مَا تَجَنُّ الْجَوَانِحُ  
لِيَالِيهِ أَوْ أَيَّامُهُنَّ الصُّوَالِحُ  
بَصِيدَاءُ أَمْ أَنْحَى لَكَ السَّيْفُ ذَابِحُ  
بَنَّا دَارَ صِيدَاءِ الْقِلَاصِ الْطَّلَاحُ<sup>(٥)</sup>

شَطُونٌ وَلَا الْمُسْتَطَرَفَاتُ الْأَوَانِسُ

(٢) الديوان ص ٧٨.

(٣) المصدر السابق ص ٢٦٢.

(٤) المصدر السابق ص ٥٤٦.

(٥) المصدر السابق ص ٩٦.

إِذَا قُلْتُ أَسْلُو عَنْكَ يَا مَيِّ لَمْ يَزَلْ  
فَكَيْفَ يَمَيِّ لَا تُؤَاتِيكَ دَارُهَا  
وقال هذبة بن خشرم:

يَجِدُ النَّأْيُ ذِكْرَكَ فِي فُؤَادِي  
وَقَدْ عَلِمْتُ سُلَيْمَى أَنَّ عُودِي  
عَسَى الْكَرْبُ الَّذِي أَمْسَيْتُ فِيهِ  
وقال آخر:

وَإِنِّي وَإِسْمَاعِيلَ يَوْمَ أَفْتَرَاقِنَا  
فَإِنْ أَغْشَى قَوْمًا بَعْدَهُ أَوْ أَرْزَهُمْ  
وقال العرجي:

أَلَا أَيُّهَا الرُّبُعُ الَّذِي بَانَ أَهْلُهُ  
هَلْ أَنْتَ مُجِيبٌ أَيْنَ أَهْلُكَ ذَا هَوَى  
وَأَيُّ بِلَادٍ إِلَهُ حَلُّوا فَلَانِنِي

وقال الحسين بن الضحاك:  
لَشَتَانِ إِشْفَاقِي عَلَيْكَ وَقَسْوَةٍ  
وَمَا حُلْتُ لِلْهَجْرَانِ عَنْ حَالِ صَبَوَةٍ

وقال سحيم عبد بني الحسحاس<sup>(١٠)</sup>:

فَمَا يَبْضَةُ بَاتِ الظِّلْمِ يَحْفُفُهَا  
وَيَرْفَعُ عَنْهَا جُوجُوءًا مُتَجَافِيَا

(٦) المصدر السابق ص ٣١٢.

(٧) شعر هذبة ص ص ٥٣، ٥٤، ٥٥ وانظر التخريج.

(٨) الديوان ص ٢٠ مع اختلاف في الرواية.

(٩) أشعار الحسين الخليل، وانظر التخريج.

(١٠) في «م» والمطبوع: الحسحاس الأسدي، والأبيات في الديوان ص ١٨ مع اختلاف في الرواية.

وَيَكْشِفُ عَنْهَا وَهْيَ بَيْضَاءُ ظِلُّهُ  
بِأَحْسَنِ مِنْهَا يَوْمَ قَالَتْ أَرَايَحُ  
فَإِنْ تَبَقَّ لَا تَمْلِكُ وَإِنْ تَضَحَّ غَادِيَا  
وقال تائب شرأ<sup>(١١)</sup>:

أَلَمْ تَنْبِلِ الْيَوْمَ الْحُمُولَ الْبَوَاكِرُ  
وَشَاقَتَكَ هِنْدُ يَوْمَ فَارَقَ أَهْلُهَا  
فَإِنْ تَصْرِمْنِي أَوْ تُسَيِّئُ لِعِشْرَتِي

وقال أبو ذؤيب الهذلي:

فَإِنْ وَصَلْتَ حَبْلَ الصَّفَاءِ نَدَمَ لَهَا  
لَعْمَرِي لِأَنْتَ أَلْبَيْتُ أَكْرَمَ أَهْلُهُ  
فَتِلْكَ أَلْبِي لَا يَبْرَحُ الْقَلْبُ حُبَّهَا  
وَحَتَّى يَوُوبُ الْفَارِطَانِ كِلَاهُمَا

وقال زهير:

تَأَوُّبِي ذَكَرُ الْأَجْبَةِ بَعْدَمَا  
وَكُلُّ مُجِبٍّ يُحَدِّثُ النَّأْيَ بَعْدَهُ

وقال جميل بن معمر:

وَمَا أَحَدَثَ النَّأْيُ الْمُفَرِّقُ بَيْنَنَا  
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنُ إِذَا كَانَ بَعْدَهُ

وَقَدْ رَاجَعْتُ قَرْنًا مِنَ الشَّمْسِ ضَاحِيَا  
مَعَ الرُّكْبِ أَمْ نَاوٍ لَدَيْنَا لِيَالِيَا  
تَزَوَّدَ وَتَرْجِعْ عَنْ عَمِيرَةٍ وَاقِيَا  
وقال تائب شرأ<sup>(١١)</sup>:

بَلَى فَأَعْتَرَفَ صَبْرًا فَهَلْ أَنْتَ صَابِرُ  
بِهَا أَسْفَا إِنَّ الْخُطُوبَ تُغَادِرُ  
فَلِإِنِّي لَصَرَامُ الْقَرِينِ مُعَاشِرُ

وَإِنْ صَرَمْتَهُ فَأَنْصَرِفَ عَنْ تَجَامُلِ  
وَأَقْعُدُ فِي أَفْنَائِهِ بِالْأَصَائِلِ  
وَأَذْكُرُهَا مَا أَرْزَمْتُ أَمْ حَائِلِ  
وَيُنْشَرُ فِي الْهَلَكَى كُلِّبَ لَوَائِلِ<sup>(١٢)</sup>

هَجَعْتُ وَدُونِي قُلَّةُ الْحَزَنِ وَالرَّمْلِ  
سَلُّوْ فُؤَادٍ غَيْرَ حُبِّكَ مَا يَسْلُو<sup>(١٣)</sup>

سَلُّوْ وَلَا طُولُ اجْتِمَاعِ تَقَالِيَا  
تَلَاوِي وَلَكِنْ مَا إِخَالَ تَلَاوِيَا<sup>(١٤)</sup>

(١١) هو ثابت بن عمل، انظر الشعر والشعراء (لیدن) ص ص ١٧٤ - ١٧٧.

(١٢) الأبيات في شرح أشعار الهذليين ٤٢/١، ١٤٧.

(١٣) شرح ديوان زهير ص ص ٩٧ - ٩٨.

(١٤) الديوان ص ١٣٩.

وقال عروة بن حزام:

فَوَاللَّهِ لَا أَنْسَاكَ مَا هَبَّتِ الصَّبَا  
وَلَسْتُ أَرَى نَفْسِي عَلَى طُولِ نَائِكُمْ  
فَأَوَّلُ ذِكْرِي أَنْتَ فِي كُلِّ مَصْحٍ  
فَوَاكِدًا أَصَحَّتْ قَرِيحًا كَأَنَّمَا  
وَمَا أَعْقَبَتْهَا فِي الْبَحَارِ جُنُوبُ  
وَبَعْدَكَ مِنِّي مَا حَيَّتْ تَطِيبُ  
وَأَجْرُ ذِكْرِي عِنْدَ كُلِّ غُرُوبٍ  
تُلَذِّعُهَا بِأَلْكِي كَفْتُ طَيْبٍ<sup>(١٥)</sup>

وقال آخر:

لَا وَالَّذِي عَمَدَ الْحُجَّاجُ كَعْبَتَهُ  
لَا تَذْهَلُ النَّفْسُ عَنْ لَيْلَى وَإِنْ ذَهَلَتْ  
فَهُمْ سِرَاعٌ إِلَى مَرْضَاتِهِ وَفُقُ  
مَا دَامَ لِلْهَضْبِ هَضْبُ الْغَايَةِ الْبُرُقُ

وقال البحرري:

تَقْضَى الصَّبَا إِلَّا خَيْالًا يَعُودُنِي  
فَيُذَكِّرُنِي الْوَصْلَ الْقَدِيمَ وَلَيْلَةً  
وَعَهْدًا أَبْنَا فِيهِ إِلَّا تَبَايْنَا  
إِذَا أَلْتَهَبْتُ فِي لَحْظِ عَيْنِهِ غَضْبَةً  
بِهِ ذُو دَلَالٍ أَحَوَّرَ الطَّرْفُ فَاتِرُهُ  
لَدَى سَمَرَاتِ الْجَزَعِ إِذْ نَامَ سَامِرُهُ  
فَلَا أَنَا نَاسِيهِ وَلَا هُوَ ذَاكِرُهُ  
رَأَيْتُ الْمَنَايَا فِي النَّفُوسِ تَوَامِرُهُ<sup>(١٦)</sup>

وقال الضحاك بن عقال<sup>(١٧)</sup>:

أَسْمَاءُ إِنْ أَلْيَاسَ مُسَلِّ ذَوِي آلِهَوَى  
أَرَى حَرَجًا مَا نِلْتُ مِنْ وَدِّ غَيْرِكُمْ  
وَنَائِيكَ عِنْدِي زَادَ قَلْبِي بِكُمْ وَجَدًا  
وَنَافِلَةً مَا نِلْتُ مِنْ وَدِّكُمْ رُشْدًا

وقال الهذلي:

وَإِنِّي عَلَى أَنْ قَدْ تَجَشَّمْتُ هَجَرَهَا  
يُؤَافِيكَ مِنْهَا طَارِقُ كُلِّ لَيْلَةٍ  
لَمَّا ضَمَمْتَنِي أُمُّ عَمْرٍو لَصَامِنُ  
حَبِيبٌ كَمَا وَافَى الْغَرِيمَ الْمَدَائِنُ

(١٥) شعر عروة ص ٣٠ البيتان الأول والرابع، ولم أجد الثاني والثالث.

(١٦) ديوان البحرري ص ٨٧٧.

(١٧) ورد هذا الشاعر مرتين في الصفحات المتقدمة، وقد أشرنا إلى عدم اهتناثنا إلى معرفته.

وقال ابن الدمينية:

وَإِنِّي لَا اسْتَحْيِيكَ حَتَّى كَأَنَّمَا  
حِذَارُ الْقَلَى وَالصَّرْمُ مِنْكَ وَإِنِّي  
فِيَا حَسَرَاتِ النَّفْسِ مِنْ غُرْبَةِ النَّوَى  
وَمِنْ خَطَرَاتِ تَعْتَرِينِي وَزُفْرَةٍ  
عَلَيَّ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مِنْكَ رَقِيبُ  
عَلَى الْعَهْدِ مَا دَاوَمْتَنِي لِصَلِيبُ  
إِذَا اقْتَسَمْتَهَا نَيْتٌ وَشَعُوبُ  
لَهَا بَيْنَ جِلْدِي وَالْعِظَامِ دَيْبُ<sup>(١٨)</sup>

أَمَّا هَذَا فَقَدْ أَحْسَنَ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ، وَبَرَدَ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي، إِذْ جَعَلَ  
عَلْتَهُ فِي الْوَفَاءِ لَهَا حِذَارَ قَلَاهَا وَصَرْمَهَا. وَعَلَى أَنَّهُ لَمْ يَرْضَ أَيْضًا بِذَلِكَ حَتَّى  
جَعَلَ مُدَاوَمَتَهُ عَلَيْهَا مُتَّصِلَةً بِمُدَاوَمَتِهَا عَلَيْهِ، لَا غَيْرَ، وَهَذِهِ حَالُ مُفْرِطَةٍ  
الْحَسَاسَةِ مُتَّاهِيَةِ الْقَبَاحَةِ.

ولبعض أهل هذا العصر:

يَا غَارِسَ الْحُبِّ بَيْنَ الْقَلْبِ وَالْكَدِ  
إِذَا دَعَاكَ أَلْيَاسُ قَلْبِي عَنْكَ قَالَ لَهُ  
يَا مَنْ تَقُومُ مَقَامَ الْمَوْتِ فُرْقَتُهُ  
قَدْ جَاوَزَ الشَّوْقُ بِي أَقْصَى مَرَاتِبِهِ  
وَاللَّهِ لَا أَلْفَتُ نَفْسِي سِوَاكَ وَلَوْ  
إِنْ تَوَفَّيَ لِي لَا أَرُدُّ مَا دُمْتُ لِي بَدَلًا  
هَتَكَتْ بِالْهَجْرِ بَيْنَ الصَّبْرِ وَالْجَلْدِ  
حُسْنُ الرَّجَاءِ فَلَمْ يَصْدُرْ وَلَمْ يَرِدْ  
وَمَنْ يَجْلُ مَحَلَّ الرُّوحِ مِنْ جَسَدِي  
فَإِنْ طَلَبْتُ مَزِيدًا مِنْهُ لَمْ أَحْدِ  
فَرَّقَتْ بِالْهَجْرِ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ  
وَإِنْ تَعَزَّيْتُ لَمْ أُرْكِزْ إِلَى أَحَدِ

وقال آخر:

أَهْجَرًا وَقَدْ أَشْتِيَاقًا وَغُرْبَةً  
وَإِنْ أَمْرَةً دَامَتْ مَوَاتِيْقُ عَهْدِهِ  
وَهَجَرَ حَبِيبٍ إِنْ ذَا لِعَظِيمُ  
عَلَى مِثْلِ مَا قَاسَيْتُهُ لَكَرِيمُ

(١٨) البيتان في شرح أشعار الهذليين ص ٤٤٤.

(١٩) الأبيات في الديوان ص ١٠٦-١٠٧، وهي في أشعار المجنون، الديوان ص ٥١.

وقال معاذ ليلي :

وَلِلنَّفْسِ سَاعَاتٌ تَهْشُ لِذِكْرِهَا  
فَإِنْ تَكْ لَيْلَى أَسْتَوْدَعْتِي أَمَانَةً

وقال المؤمل (٢١) :

لَسْنَا بِسَالِينَ إِنْ سَلَوْا أَبَدًا  
نَحْنُ إِذَا فِي الْجَفَاءِ مِثْلُهُمْ  
إِنْ يَقْطَعُونَا فَطَالَمَا وَصَلُوا

وقال البحرى :

أَلَا مَ عَلَى هَوَاكِ وَلَيْسَ عَذْلًا  
أَعْيِدِي فِي نَظْرَةٍ مُسْتَشِيبِ  
تَرِنِي كَبِدًا مُحَرَّقَةً وَعَيْنًا  
لَيْثَنَ أَضْحَتْ مَحَلَّتْنَا عِرْقًا  
فَلَمْ أُحْدِثْ لَهَا إِلَّا وَدَادًا

وقال أيضاً :

هَجَرْتَنَا عَنْ غَيْرِ جُزْمٍ نَوَارٍ  
وَأَقَامَتْ بِجَوْ بِطَيَّاسٍ حَتَّى  
إِنْ جَرَى بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَجْرٌ  
فَالْغَلِيلُ الَّذِي عَلِمْتَ مُقِيمٌ

فَتَحْيَى وَسَاعَاتٌ لَهَا تَسْكِينُهَا  
فَلَا وَأَبِي لَيْلَى إِذَا لَا أَخُونَهَا (٢٠)

عَنْهُمْ وَلَا صَابِرِينَ إِنْ صَبَرُوا  
إِذَا هَجَرْنَا هُمْ كَمَا هَجَرُوا  
وَأِنْ يَغِيبُوا. فَرُبَّمَا حَضَرُوا

إِذَا أَحْبَبْتَ مِثْلَكَ أَنْ أَلَامَا  
تَوَخَّى الْهَجَرَ أَوْ كَرِهَ الْأَنَامَا  
مُؤَرَّقَةً وَقَلْبًا مُسْتَهَامَا  
مُشْرِقَةً وَحِلَّتْهَا شَامَا  
وَلَمْ أَزِدْ بِهَا إِلَّا غَرَامَا (٢٢)

وَلَدَيْهَا الْحَاجَاتُ وَالْأَوَطَارُ  
كَثُرَ اللَّيْلُ دُونَهَا وَالنَّهَارُ  
وَتَنَاءَتْ مِنَّا وَمِنْكَ الْذِيَارُ  
وَالْدُمُوعُ الَّتِي عَهَدْتَ غِرَارُ (٢٣)

وقال مجنون بني عامر :

وَتَعَذُّبُ لِي مِنْ غَيْرِهَا فَأَعَاثُهَا  
وَأَمْنُهَا أَقْصَى هَوَايَ وَإِنِّي

وقال نصيب :

أَصَدْتُ غَدَاةَ الْجَزَعِ ذِي الطَّلَحِ زَيْنَبُ  
وَقَدْ عَيْثُ فِيمَا مَضَى وَهِيَ خُلَّةٌ  
تَرَى عَجَبًا فِي غِبْطَةٍ أَنْ نَزَّوَرَهَا  
وَفِي الرُّكْبِ جِثْمَانِي وَنَفْسِي رَهِينَةٌ  
فَبَانَتْ وَلَا يُسِيكُهَا النَّأْيُ إِنَّهَا

وقال آخر :

حَلَفْتُ لَهَا بِمَا نَحَتْ قُرَيْشُ  
لَأَنْتِ عَلَى التَّنَائِي فَاعْلَمِيهِ

مَشَارِبُ فِيهَا مُقْنِعٌ لَوْ أُرِيدَهَا  
عَلَى ثِقَةٍ مِنْ أَنْ حَظِي صُدُودُهَا (٢٤)

تَقْطَعُ مِنْهَا حَبْلَهَا أَمْ تُقْضِبُ  
صَدِيقٌ لَنَا أَوْ ذَاكَ مَا كُنْتُ أَحْسِبُ  
وَنَحْنُ بِهَا مِنْهَا أَسْرُ وَأَعْجَبُ  
لِزَيْنَبَ لَمْ أَذْهَبْ بِهَا حِينَ أَذْهَبُ  
عَلَى نَائِيهَا نَصْبٌ لِقَلْبِكَ مُنْصَبُ (٢٥)

يَمِينًا وَالسَّوَانِحُ يَوْمَ جَمْعِ (\*)  
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ بَصْرِي وَسَمْعِي

(٢٠) الأبيات في ديوان المجنون ص ٢٦٨، وهي في أمالي القاضي ٧٠/١ - ٧١ بدون نسبة،

ونسبت إلى ابن الدمينية (طبعة قديمة) ص ٥١.

(٢١) هو المؤمل المحاربي وقد عرفنا به.

(٢٢) الديوان ص ٢٠٤.

(٢٣) ديوان البحرى ص ٨٥٢.

(٢٤) ديوان المجنون ص ١٠٧ عن كتاب «الزهرة».

(٢٥) شعر نصيب ص ٦١ عن كتاب «الزهرة».

(\*) في الأصل والمطبوع: نحت (كدا).

## قَلِيلُ الْوَفَاءِ بَعْدَ الْوَفَاةِ أَجَلٌ مِنْ كَثِيرِهِ وَقَتَ الْحَيَاةِ

الْوَفَاءُ اسْمٌ لِلثَّبَاتِ عَلَى الشَّرَائِطِ فَكُلُّ مَنْ عَقَدَ عَلَى نَفْسِهِ، أَوْ عَقَدَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، مِمَّنْ يُلْزِمُهُ عَقْدُهُ شَيْئًا فَثَبَّتَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَزَلْ عَنْهُ، سُمِّيَ مُوفِيًّا. وَكُلُّ مَنْ شَرَطَ عَلَى نَفْسِهِ شَرْطًا [وَأَزَالَ عَنْهُ لِلزَّوَالِ سُمِّيَ غَادِرًا. وَلَيْسَ يُسَمَّى مُوفِيًّا مَنْ فَعَلَ فِعْلًا جَمِيلًا لَمْ يَشْتَرِطْ عَلَى نَفْسِهِ فِعْلُهُ وَلَا شَرَطَهُ عَلَيْهِ مَنْ يُلْزِمُهُ شَرْطَهُ. وَلَا يُسَمَّى غَادِرًا مَنْ فَعَلَ فِعْلًا قَبِيحًا لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ تَرْكُهُ، وَلَا شَرَطَ عَلَيْهِ مَنْ يَجِبُ شَرْطُهُ، فَالْمَحْبُوبُ [يَكُونُ] مُوفِيًّا لِمُجِبِّهِ وَيَكُونُ غَادِرًا بَعْدِهِ. وَالْمُجِبُّ لَا يَكُونُ مُوفِيًّا وَلَا غَادِرًا لِأَنَّ مَحَبَّتَهُ قَائِدَةٌ لَهُ إِلَى مَحَابِّ إِلْفِهِ، فِيمَا يَصْلُحُ الْإِنْفِئَادَ إِلَى مِثْلِهِ. فَهُوَ يَأْتِي طَاعَتَهُ بِطَبْعِهِ لَا وَفَاءً بِشَرْطٍ لَزِمَهُ، وَكُلُّ مَنْ لَمْ يَصْلُحْ أَنْ يُسَمَّى مُوفِيًّا، لَمْ يَصْلُحْ أَنْ يُسَمَّى غَادِرًا وَإِنَّمَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ الْمَحْبُوبُ مُوفِيًّا وَغَادِرًا، لِأَنَّهُ يَأْتِي مَا يَأْتِيهِ مُخْتَارًا، وَيَشْرُطُ لِإِلْفِهِ الشَّرَائِطَ عَلَى نَفْسِهِ، فَيَفْعَلُ مَا ضَمِنَ أَوْ يَتْرُكُهُ فَيَكُونُ مُوفِيًّا أَوْ غَادِرًا بِفِعْلِهِ، أَوْ تَرْكِهِ. وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ مِنْ أَنَّ الْمُجِبَّ لَا يَكُونُ مُوفِيًّا وَلَا غَادِرًا إِنَّمَا هُوَ مَا دَامَتْ مَحَبَّتُهُ قَائِمَةً، فَأَمَّا إِذَا زَالَتِ الْمَحَبَّةُ بِسُلُوكِ غَارِضٍ، أَوْ بَوَفَاةِ الْمَحْبُوبِ فَالْمُجِبُّ حِينَئِذٍ يَكُونُ مُوفِيًّا غَادِرًا.

قالت امرأة من عامر بن صبعة<sup>(١)</sup>:

وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِيهِ وَالتُّرْبُ بَيْنَنَا      كَمَا كُنْتُ أَسْتَحْيِيهِ حِينَ يَرَانِي  
أَهَابُكَ إِجْلَالًا وَإِنْ كُنْتُ فِي الثَّرَى      لِيُوجِّهَكَ يَوْمًا إِنْ يَسُوكَ مَكَانِي

(١) لعل الأصل: عامر بن صبعة أوضيعة!

وَيُرَوَّى عَنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ أَنَّهَا زَارَتْ يَوْمًا زَوْجَهَا وَعَلَيْهَا حُلْيٌ وَثِيَابٌ مُصَبَّغَةٌ فَالْتَزَمَتْ الْقَبْرَ ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ:

يَا صَاحِبَ الْقَبْرِ يَا مَنْ كَانَ يَنْعَمُ بِي      عَيْشًا وَيُكْثِرُ فِي الدُّنْيَا مُؤَاتَايَ  
نَسِيتَ مَا كُنْتُ مِنْ قُرْبِي تُحِبُّ وَمَا      قَدْ كَانَ يُلْهِيكُ مِنْ تَرْجِيحِ أَصْوَاتِي  
أُزُورُ قَبْرَكَ فِي حُلْيٍ وَفِي حُلَلٍ      كَأَنِّي لَسْتُ مِنْ أَهْلِ الْمَصِيبَاتِ  
فَمَنْ رَأَى مِنْ حُزْنِي مُفْجَعَةً      طَوِيلَةَ الْحُزْنِ فِي زُورٍ أَمْوَاتِ  
فَبَيْنَمَا هِيَ مُلْتَزِمَةُ الْقَبْرِ إِذْ شَهَقَتْ شَهَقَةً فَمَاتَتْ وَلَيْسَ مَوْتُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ بَعْدَ وَفَاةِ زَوْجِهَا بِمُدَّةٍ نَقْضًا لِمَا قَدْ مَنَّا ذِكْرَهُ فِي الْبَابِ [الَّذِي] ذَكَرْنَا فِيهِ: أَنَّ مَنْ يَتَّسِقُ بِمَنْ يَهْوَاهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ مِنْ وَفَاةِ سَلَاةٍ، لِمَا قَدْ مَنَّا فِي ذَلِكَ مِنَ الْبُرْهَانِ، وَارْتَيْنَا فِيهِ مِنَ الْأَمْثَالِ.

وَنَحْنُ نَقُولُ الْآنَ مَنْ فَجَأَهُ الْحُزْنُ دَفْعَةً وَاحِدَةً مِنْ غَيْرِ مُقَدِّمَةٍ، حَتَّى يَمْضِي عَلَيْهِ مُدَّةٌ خَوْفِ جَوَى وَلَا جَذَارٍ طَبِيعِيٍّ لَمْ يُسْتَنْكَرْ مِنْهُ أَنْ يَزُولَ تَمَيِّزُهُ، فَلَا يَفْهَمُ مَا نَزَلَ بِهِ حَتَّى تَمْضِي عَلَيْهِ مُدَّةٌ مُتَطَاوِلَةٌ. فَرُبَّمَا أَنْحَلَتْ سَكَرَتُهُ إِلَى إِفَاقَةٍ سُلُوكٍ مُرِيحٍ، وَرُبَّمَا أَنْحَلَتْ بِوُقُوعِ تَلَفٍ صَحِيحٍ. وَعَلَى أَنَّ الضَّيْنَ الْمُسْتَفِيقَ الْعَالِمَ بِنُوبِ الزَّمَانِ، وَالْمُسْتَعِدَّ لِحُطُوبِ الْأَيَّامِ، قَدْ يَلْحَقُهُ بِمُفَاجَأَةِ الْمَكْرُوهِ مَا يَزِيلُ تَمَيِّزَهُ، وَيُبْطِلُ تَدْبِيرَهُ، وَيُنْسِيهِ مَا كَانَ ذَاكِرًا لَهُ وَلِمُعْتَرِفَاتِهِ.

وهَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَالَهُ مِنْ وَفَاةِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَا لَا خَفَاءَ بِهِ عَلَى الْخَاصَّةِ وَلَا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْعَامَّةِ مِنْ أَنْتِصَائِهِ سِنْفُهُ وَقَوْلِهِ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ لَا يَمُوتُ وَلَيَقُومَنَّ، فَلَيَقْطَعَنَّ أَيْدِي رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ حَتَّى قَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: إِنَّ - جَلَّ وَعَزَّ - يَقُولُ: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ»<sup>(٢)</sup>.

(٢) سورة الزمر.

قَالَ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَكَأَنِّي لَمْ أَسْمَعُهُ إِلَّا يَوْمَئِذٍ.

وَيُرَوَّى عَنْ أَبِي بَنْ تَغْلِبَ أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَا أَنَا فِي بَعْضِ الْفُلُوتِ فِي طَلَبِ دَوْدَ ضَالَّةٍ، إِذْ بَصُرْتُ بِجَارِيَةٍ أَعَشَى إِشْرَاقَ وَجْهَهَا بَصْرِي، فَقَالَتْ لِي: مَا لِي أَرَاكَ مُدْلَهَا؟ قُلْتُ: فِي طَلَبِ دَوْدَ لِي ضَالَّةٍ، قَالَتْ: هَلْ أَذُكَ عَلَى مَنْ يَعْلَمُ عِلْمَهُنَّ، فَإِنْ شَاءَ رَدُّهُنَّ عَلَيْكَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ بِأَبِي أَنْتِ مُسْرِعًا، قَالَتْ: إِنَّ الَّذِي أَعْطَاكَهُنَّ هُوَ الَّذِي أَخَذَهُنَّ، فَاسْأَلْهُ مِنْ طَرِيقِ الْيَقِينِ لَا مِنْ طَرِيقِ الْإِخْتِيَارِ. فَلَمَّا رَأَيْتُ حُسْنَ مَنْظَرِهَا وَحِلَاوَةَ مَنْطِقِهَا، قُلْتُ: هَلْ لَكَ مِنْ زَوْجٍ قَالَتْ كَانَ فُدَيْعِي فَعَادَ إِلَى مَا مِنْهُ خُلِقَ، فَأَجَابَ، فَقُلْتُ: فَهَلْ لَكَ مِنْ زَوْجٍ لَا تُخْشَى بَوَائِقَهُ، وَلَا تَذُمَّ خِلَافَتَهُ، فَأُطْرَقَتْ مَلِيًّا وَعَيْنَاهَا تَهْمَلَانِ بِاللُّمُوعِ ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ:

كُنَّا كَعَصْنَيْنِ فِي أَرْضٍ غِذَاؤُهُمَا مَاءُ الْجَدَاوِلِ فِي رَوْضَاتِ جَنَاتٍ  
وَكَانَ عَاهِدَنِي إِنْ خَانَنِي زَمَنٌ أَلَّا يُضَاجِعَ أَتْنِي بَعْدَ مَثَوَاتِي  
وَكُنْتُ عَاهِدْتُهُ أَيْضًا فَعَاجَلَهُ رَبُّ الْأَمْنُونِ قَرِيبًا مُذْ سُنَيَاتٍ  
فَارْدَعَ عِنَانِكَ عَمَّنْ لَيْسَ يَخْلِبُهَا عَنِ الْوَفَاءِ خِلَابٌ بِالنَّجِيَّاتِ

وَيُرَوَّى عَنِ الْأَصْمَعِيِّ أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ فَإِذَا بِأَمْرَأَةٍ تَنُوحُ عَلَى قَبْرِ وَهِي مُسْفِرَةٌ فَلَمَّا رَأَيْتَنِي غَطَّتْ وَجْهَهَا ثُمَّ كَشَفَتْهُ فَقَالَتْ:

لَا صُنْتُ وَجْهًا كُنْتُ صَائِنَةً يَوْمًا وَوَجْهَكَ فِي الثَّرَى يَتَلَى  
يَا عِصْمَتِي فِي النَّائِبَاتِ وَيَا رُكْنِي الْقَوِيَّ وَيَا يَدِي الْيُمْنَى

وقال آخر:

وَقَائِلَةٌ لَمَّا رَأَيْتَنِي مُدْلَهَا أَنْادِيكَ تَارَاتٍ وَأَبْجِيكَ تَارَاتٍ  
لَقَدْ كُنْتُ جَلْدًا لِلرَّزِيَّاتِ قَبْلَهَا فَقُلْتُ لَهَا لَيْسَتْ كِإِخْدَى الرَّزِيَّاتِ  
أَصَابَ بِكَ الدَّهْرُ الرَّزِيَّةَ وَاشْتَفَى يَوْمِكَ مِنْ أَيَّامِ لَهْوِي وَلَذَاتِي

وقالت ليلي الأخيلية ترثي توبة بن الحمير:

وَأَقْسَمْتُ أَبْجِي بَعْدَ تَوْبَةٍ هَالِكَا وَأَخْفِلُ مَنْ دَارَتْ عَلَيْهِ الدَّوَائِرُ  
لَعْمُكَ مَا بِأَلَمَوْتٍ عَارٍ عَلَى الْفَتَى إِذَا لَمْ تُصِبْهُ فِي الْحَيَاةِ الْمَعَايِرُ  
وَلَا الْحَيُّ مِمَّا يُحْدِثُ الدَّهْرُ مُعْتَبٍ وَلَا أَلَمِيْتُ إِنْ لَمْ يَصْبِرْ الْحَيُّ نَاشِرُ  
وَمَا أَحَدٌ حَيًّا وَإِنْ كَانَ نَاجِيًا بِأَخْلَدٍ مِمَّنْ غَيَّبَتْهُ الْمَقَابِرُ  
وَكُلُّ شَبَابٍ أَوْ جَدِيدٍ إِلَى بَلَى وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا إِلَى اللَّهِ صَائِرُ<sup>(٣)</sup>

وَذَكَرُوا أَنَّهَا دَخَلَتْ عَلَى الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ يَوْمًا فَقَالَ لَهَا بَلَّغْنِي أَنَّكَ مَرَرْتَ عَلَى قَبْرِ تَوْبَةٍ فَعَدَلْتُ عَنْهُ فَوَاللَّهِ مَا وَفَيْتِ لَهُ وَلَوْ كَانَ مَكَانَكَ مَا عَدَلْتُ عَنْ قَبْرِكَ فَقَالَتْ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرُ إِنْ لِي عُذْرًا قَالَ وَمَا هُوَ قَالَتْ إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ:

وَلَوْ أَنَّ [لَيْلَى] الْأَخِيلِيَّةَ سَلِمَتْ عَلَيَّ وَفَوْقِي تُرْبَةٌ وَصَفَائِحُ  
لَسَلِمْتُ تَسْلِيمَ الشَّاسَةِ أَوْ زَقَا إِلَيْهَا صَدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَائِحُ<sup>(٤)</sup>

وَكَانَ مَعِيَ نِسْوَةٌ قَدْ سَمِعْنَ قَوْلَهُ فَكَرِهَتْ أَنْ أَمُرَّ بِهِنَّ عَلَى قَبْرِهِ فَلَا يَكُونُ مَا قَالَ، فَأَكُونُ قَدْ كَذَبْتُهُ، فَاسْتَحَسَنَ الْحَجَّاجُ ذَلِكَ مِنْهَا وَأَمَرَ بِقَضَاءِ حَوَائِجِهَا.

وقال آخر:

دَعَوْتُكَ يَا عَلِيَّ فَلَمْ تُجِبْنِي فَرُدَّتْ دَعْوَتِي يَأْسًا عَلِيًّا  
بِمَوْتِكَ بَانَتِ اللَّذَاتُ عَنِّي وَكَانَتْ حَيَّةً إِذْ كُنْتُ حَيًّا  
فَيَا أَسْفِي عَلَيْكَ وَطُولَ شَوْقِي إِلَيْكَ لَوْ أَنَّ ذَاكَ يَرُدُّ شَيْئًا

(٣) لم أجد الأبيات في «شعر ليل الأخيلية»، وليل الأخيلية من عقيل بن كعب، انظر الشعر والشعراء (لیدن) ص ٢٧٣ وفيها الأبيات. وهي صاحبة توبة بن الحمير وهو من الشعراء

للصوص عاصر جميل بثينة، المصدر نفسه ص ٢٦٩ - ٢٧١.

(٤) البيئات في «شعر ليل» ص ٤٨ وفي كثير من مصادر دراسة الشاعرة.

وقال البحتري:

سَقَى اللَّهُ الْجَزِيرَةَ لَا لِسِيءٍ  
نَصِيْبِي كَانَ مِنْ دُنْيَايَ وَلِي  
تَوَلَّى الْعَيْشُ إِذْ وَلَّى التَّصَابِي

وقال أيضاً:

بِنَا أَنْتِ مِنْ مَجْفُوءَةٍ لَمْ تُعْتَبِ  
وَنَازِحَةٍ وَالْدَّارُ مِنْهَا قَرِيبَةٌ

وقال جرير:

لَوْلَا الْحَيَاءُ لَعَادَنِي اسْتِعْبَارُ  
كَانَتْ إِذَا هَجَرَ الضَّجِيجُ فِرَاشَهَا  
لَا يَلْبَثُ الْقَرْنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا

وقال أبو نواس:

طَوَى الْمَوْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ  
لَئِنْ عَمَرْتُ دُورَ بَمَنْ لَا أُجِبُهُ  
وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَحْذَرُ الْمَوْتِ وَحْدَهُ

وقال آخر:

كُتِبَ السَّوَادُ لِمُقَلَّةٍ  
مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلِيُمْتُ

(٥) الديوان ص ٢٥٦.

(٦) المصدر السابق ص ١٩٠.

(٧) الديوان ص ص ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤.

(٨) لم أجد لها في الديوان.

وقال أشجع:

لَئِنْ أَنَا لَمْ أَذْرِكْ مِنَ الْمَوْتِ نَارِيَا  
لَتُخْتَرِ مِنِّي الْحَادِثَاتُ وَخَسِرَتِي  
لَقَدْ أَفْسَدَ الدُّنْيَا عَلَيَّ رَاقِيَهُ  
وَأَذْكُرُ أَلَّا نَلْتَقِيَ فَكَأَنَّمَا  
وَيَمْنَعُنِي مِنْ لَذَّةِ الْعَيْشِ أَنِّي

وأنشدني أحمد بن طاهر قال أنشدنا أبو تمام لنفسه:

هُوَ الدَّهْرُ لَا يَشُوبِي وَهْنُ الْمَصَائِبِ  
وَقُلْتُ أَخِي قَالُوا أَخٌ مِنْ قَرَابَةٍ  
نَيْسِي فِي رَأْيٍ وَعَزَمَ وَمَذْهَبٍ  
كَأَنَّ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا كَانَ فَتَنَتِي  
وَلَمْ أَتَجَهَّمْ رَبِّ دَهْرِي بِرَأْيِهِ  
عَجِبْتُ لِمَصْرِي بَعْدَهُ وَهُوَ مَيِّتٌ  
عَلَى أَنَّهَا الْأَيَّامُ قَدْ صِرْنَ كُلُّهَا

وأنشدني أبو طاهر الدمشقي للحسن بن وهب<sup>(١٠)</sup>:

سَقَى بِالْمَوْصِلِ الْقَبْرَ الْغَرِيبَا  
فَلِنْ تَرَابَ ذَلِكَ الْقَبْرِ يَحْوِي  
فَقَدْ نَا مِنْكَ عِلْقًا كَانَ يُذْنِي  
فَلَمَّا بِنْتَ نَكَّرْتَ أَلْيَالِي  
وَأَبْدَى الدَّهْرُ قُبْحَ صَحِيفَتِيهِ  
فَأَحْرَ بِأَنْ يَطِيبَ الْمَوْتُ فِيهِ

(٩) الديوان (الخطاط) ص ٣٥٢.

(١٠) في «م» والمطبوع: الحسين.

وقال علي بن محمد العلوي:

مَنْ لِي بِمِثْلِكَ يَا رُوحَ الْحَيَاةِ وَيَا  
مَنْ لِي بِمِثْلِكَ أَرْعَاهُ لِحَادِثَةٍ  
قَدْ ذُقْتَ أَنْوَاعَ تُكُلٍ أَنْتَ أَبْلَغُهَا  
فَالْيَوْمَ لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ أَسْتَرِيحُ لَهُ  
قُلْ لِلرَّدَى لَا يُغَادِرُ بَعْدَهُ أَحَدًا  
إِنَّ السُّرُورَ تَقْضَى يَوْمَ فَارَقْنِي

وقال محمد بن منذر<sup>(١١)</sup> يرثي صاحبه عبدالمجيد بن عبد الوهاب

الثقفي:

كُلُّ حَيٍّ لَأَقْبَى الْحِمَامِ قُمُودِي  
لَا تَهَابُ الْمُنُونُ خَلْقًا وَلَا تَبْ  
فَلَوْ أَنَّ الْأَيَّامَ يُخْلِدُنْ شَيْئًا  
وَنَحْ أَيْدٍ حَثَّتْ عَلَيْهِ وَأَيْدٍ  
إِنَّ عَبْدَ الْمَجِيدِ يَوْمَ تَوَلَّى  
هَذَا رُكْنِي عَبْدَ الْمَجِيدِ وَقَدْ كُنْتُ  
حِينَ تَمَّتْ آدَابُهُ وَتَرَدَّى  
وَسَمَتْ نَحْوَهُ الْعُيُونُ وَمَا كَا  
فَإِذَا مَا ذَكَرْتُهُ عَرَضَتْ لِي  
وَكَأَنِّي أَذْعُوهُ وَهُوَ قَرِيبٌ  
فَلَيْتَ صَارَ لَا يُجِيبُ لَقَدْ كَا  
كَانَ لِي عِصْمَةٌ فَأَوْدَى بِهِ الدَّهْرُ  
يَا فَتَى كَانَ لِلْمَقَامَاتِ زِينًا

(١١) لم أهند إليه.

لَهَفْتُ نَفْسِي أَلَا أَرَاكَ وَهَلْ عِنْدَ  
خُتْنِكَ الْوَدُّ لَمْ أُمْتُ كَمَدًا بَعْدَ  
لَوْ فَدَى الْحَيِّ مَيِّتًا لَقَدْتُ نَفْسَ  
وَلَيْتَ كُنْتُ لَمْ أُمْتُ مِنْ جَوَى الْحَزْ  
لَأَقِيمَنَّ مَأْتَمًا كُنْجُومِ الْكَلْبِ  
مُوجَعَاتٍ يَبْكِينَ لِلْكَبِيدِ الْحَدِ  
ولبعض أهل هذا العصر:

أَمِثْلُ الَّذِي أَلْقَى يُقَاوِمُهُ صَبْرُ  
لَيْتَ كُنْتُ غَرًّا بِالَّذِي لَقِيْتُهُ  
تَقَضَّتْ صَبَابَاتِي إِلَيْهِ وَقَصَّرَتْ  
وَكَفْتُ رَجَائِي فَأَطْمَأْنَنْتُ مَخَافَتِي  
فَمَا لِي رَجَاءٌ غَيْرَ قُرْبِ مَنِّي  
وَلَوْ لَمْ يَحُلْ أَسْرُ الْمَنِيَّةِ بَيْنَهُ  
فَلَيْتَ الْمَنَايَا وَحَدَّهَا سَمَحَتْ بِهِ  
وَبَلَّغْنِي أَنْ جَمِيلًا لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ مَنْ يَأْخُذُ نَاقَتِي هَذِهِ وَمَا عَلَيْهَا  
وَيَأْتِي مَاءَ بَنِي فَلَانٍ فَيَنْشِدُ عَنْدهُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ حَضَرَهُ  
أَنَا فَأَنْشَدَهُ:

ذَكَرَ النَّعِيَّ وَمَا كُنْتُ بِجَمِيلٍ وَتَوَى بِمَضَرٍ ثَوَاءً غَيْرَ قُفُولٍ  
عَدَرَ الزَّمَانُ بِفَارِسٍ ذِي بَهْمَةٍ ثَبَتَ إِذَا جَعَلَ الْإِلَوَاءَ يَزُولُ  
فَلَمَّا قَضَى حَيَاتَهُ أَتَى الرَّجُلُ الْمَاءَ الَّذِي وَصَفَ لَهُ فَأَنْشَدَ الْبَيْتَيْنِ عَنْدهُ  
فَخَرَجَتْ بَشِينَةً نَاشِرَةً شَعْرَهَا شَاقَّةً جَبِيهَا لِاطْمَةِ وَجْهَهَا وَهِيَ تَقُولُ يَا أَيُّهَا النَّاعِي  
بِفَيْكِ الْحَجَرُ أَمَا وَاللَّهِ لَيْتَ كَذَبْتَنِي لَقَدْ فَضَحْتَنِي وَلَيْتَ كُنْتُ صَدَقْتَنِي لَقَدْ  
قَتَلْتَنِي ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ:



وَأَنَّ سُلُوبِي عَنْ جَمِيلٍ لَسَاعَةً      مِنْ الدَّهْرِ مَا جَاءَتْ وَلَا حَانَ جِيئَهَا  
سِوَاءَ عَلَيْنَا يَا جَمِيلُ بَنَ مَعْمَرٍ      إِذَا مِتُّ بِأَسَاءِ الْحَيَاةِ وَلِيئَهَا  
وَيُقَالُ: إِنَّهَا لَمْ تَقُلْ شِعْرًا غَيْرَهُ.

وَذَكَرُوا أَنَّ عُرْوَةَ بَنَ حِزَامٍ لَمَّا أَنْصَرَفَ مِنْ عِنْدِ عَفْرَاءِ ابْنَةِ عِقَالٍ فَتَوَفَّى  
وَجَدَهَا بِهَا وَصَبَابَةً إِلَيْهَا، مَرَّ بِهِ رَكْبٌ فَعَرَفُوهُ فَلَمَّا أَتَتْهُوَ إِلَى مَنْزِلِ عَفْرَاءِ صَاحَ  
صَاحِبُ مِنْهُمُ:

أَلَا أَيُّهَا الْقَصْرُ الْمُغْفَلُ أَهْلُهُ      نَعَيْنَا إِلَيْكُمْ عُرْوَةَ بَنَ حِزَامٍ  
فَفَهَمَتْ صَوْتَهُ فَفَزَعَتْ وَأَشْرَفَتْ فَقَالَتْ:

أَلَا أَيُّهَا الرُّكْبُ الْمَخْبُونُ وَيَحْكُمُ      بِحَقِّ نَعِينُكُمْ عُرْوَةَ بَنَ حِزَامٍ  
فَأَجَابَهَا رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ:

نَعَمْ قَدْ تَرَكْنَاهُ بِأَرْضٍ بَعِيدَةٍ      مُقِيمًا بِهَا فِي سَبَسٍ وَأَكَامٍ  
فَقَالَتْ لَهُمْ:

فَإِنْ كَانَ حَقًّا مَا تَقُولُونَ فَأَعْلَمُوا      بِأَنَّ قَدْ نَعِينُكُمْ بَدَرَ كُلِّ ظَلَامٍ  
فَلَا لَقِي الْفَتَيَانُ بَعْدَكَ لَذَّةً      وَلَا رَجَعُوا مِنْ غِيَةِ بِسَلَامٍ  
وَلَا وَضَعْتَ أُنْثَى تَمَامًا بِمِثْلِهِ      وَلَا فَرَحْتَ مِنْ بَعْدِهِ بِغَلَامٍ  
وَلَا لَا بَلَّغْتُمْ حَيْثُ وَجْهَتُمْ لَهُ      وَنَبِغْتُمْ لَذَاتِ كُلِّ طَعَامٍ

ثُمَّ سَأَلْتُهُمْ أَيْنَ ذَفَنُوهُ فَأَخْبَرُوهَا فَسَارَتْ إِلَى قَبْرِهِ، فَلَمَّا قَارَبَتْهُ قَالَتْ:  
أَنْزِلُونِي فَإِنِّي أُرِيدُ قَضَاءَ حَاجَةٍ فَأَنْزِلُونَهَا فَانْسَلَّتْ إِلَى الْقَبْرِ فَانْكَبَتْ عَلَيْهِ  
فَمَا رَاعَهُمْ إِلَّا صَوْتَهَا فَلَمَّا سَمِعُوهُ بَادَرُوا إِلَيْهَا، فَإِذَا هِيَ مَمْدُودَةٌ عَلَى الْقَبْرِ قَدْ  
خَرَجَتْ نَفْسُهَا فَذَفَنُوهَا إِلَى جَنْبِهِ. ثُمَّ أَلْقَوْا وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ وَالصَّلَاةُ عَلَى  
رَسُولِ اللَّهِ.

قَدْ وَفَيْنَا بِحَمْدِ اللَّهِ مِنْ التَّشْبِيبِ بِكُلِّ مَا ضَمِنَاهُ عَلَى حُسْنِ التَّرْتِيبِ

الَّذِي قَدَّمْنَاهُ، فَأَفْرَدْنَا لَهُ خَمْسِينَ بَابًا، وَوَفَيْنَا كُلَّ بَابٍ مِثَّةَ بَيْتٍ مَعَ مَا دَخَلَ فِيهَا  
مِنْ تَوَاجِعِ الْأَبْيَاتِ وَشَوَاهِدِ الْإِخْتِجَاجَاتِ. وَلَوْ لَمْ يَدْخُلْ فِي الْبَابِ مِنَ الشِّعْرِ  
إِلَّا مَا يُوَاطِئُ تَرْجَمَتَهُ مُفْرَدًا مِنْ كُلِّ مَا يَتَّصِلُ بِهِ، لَجَاءَ أَكْثَرُ الْأَشْعَارِ مُتَبَيَّرًا.  
وَلَبَقِيَ عَامَّةُ الْكَلَامِ مُسْتَوْحِشًا، لِأَنَّ الْبَيْتَ يَقْتَضِي الْأَبْيَاتَ، وَالْكَلَامَ يَطْلُبُ  
الْإِخْتِجَاجَاتِ. وَلَيْسَ حَسَنًا أَنْ يُذَكَّرَ الْبَيْتُ لِمَعْنَى فِيهِ يُشَاكِلُ الْبَابَ، وَتُفْرَدُ  
سَائِرُ مَعَانِيهِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْبَيْتِ الَّذِي يَلِيهِ، مِمَّا يَنْتَظِمُ مَعَهَا وَيُنْبِئُ عَلَى صَحَّتِهَا  
وَحُسْنِهَا. عَلَى أَنَّهُ لَوْ لَزِمْنَا أَنْ لَا نُضَمِّنَ الْبَابَ إِلَّا مَا يَطَابِقُ لَفْظُهُ مُفْرَدًا،  
مِمَّا يَقْتَضِيهِ وَيَتَّصِلُ بِهِ، أَلَزِمْنَا تَفْصِيلَ الْمِصْرَاعِ مِنَ الْمِصْرَاعِ الَّذِي  
لَا يُشَاكِلُهُ، حَتَّى لَا يَكُونَ فِي الْبَيْتِ كَلِمَةٌ تَقْتَضِي مَعْنَى لَيْسَ الْبَابُ مُوجِبًا لَهُ.  
لِأَنَّ فِي أَشْعَارِ بُلْغَاءِ الْعَرَبِ الَّذِي يَتَضَمَّنُ أَوَّلُهُ مَعْنَى، وَيَتَضَمَّنُ آخِرُهُ غَيْرَهُ، إِذِ  
الْبَلَاغَةُ الصَّحِيحَةُ وَالْمُخَاطَبَةُ الْفَصِيحَةُ، فِي جَمْعِ الْمَعَانِي الْكَثِيرَةِ بِالْأَلْفَاظِ  
الْقَلِيلَةِ، وَرُبَّمَا تَضَمَّنَ الْمِصْرَاعُ الْمَتَأَخَّرُ ضِدًّا مَا يَتَضَمَّنُهُ الْمِصْرَاعُ الْمَتَقَدِّمُ.  
وَلَوْ فَعَلْنَا ذَلِكَ لَخَرَجَ كِتَابُنَا عَنْ حَدِّ الْعُلُومِ الْمُسْتَعْمَلَةِ، وَالْآدَابِ الْمُسْتَحْسِنَةِ  
إِلَى حَدِّ الْجَهَالَاتِ الْمَطْرَبَةِ وَالنَّوَادِرِ الْمُضْحَكَةِ، وَلَخَرَجَتْ الْأَبْيَاتُ لِنَقْطَعِ  
نِظَامِهَا وَبَنَرُ كَلَامِهَا عَنْ بَابِ الْأَشْعَارِ. فَإِذَا كَانَ الْإِخْتِيَارُ وَالْإِضْطِرَارُ مَعًا يَمْنَعَانِ  
مِنْ أَنْ لَا نَدْخُلَ فِي بَابٍ إِلَّا مَا تَوَجَّهَ تَرْجَمَتُهُ الْمَتَقَدِّمَةُ لَهُ، إِذَا فَلَا بُدَّ مِنْ  
إِدْخَالِ الْبَيْتِ مَعَ الْبَيْتِ يُزَاجُهُ، وَمَعَ الْإِخْتِجَاجِ يُطَابِقُهُ، وَإِنْ كَانَ مِمَّا لَوْ أُفْرِدَ  
فِي نَفْسِهِ لَكَانَ الْبَيْتُ غَنِيًّا عَنْ ذِكْرِهِ. وَالَّذِي مَنَعَنِي أَنْ أَجْعَلَ أَبْيَاتِ كُلِّ بَابٍ  
مِثَّةً كَامِلَةً فِي خَاصِيَةِ مَعْنَاهُ سِوَى مَا يَتَّصِلُ بِهِ مِمَّا يَدْخُلُ فِي مَعْنَى سِوَاهُ شَيْئَانِ  
أَحَدُهُمَا: أَنِّي لَوْ فَعَلْتُ ذَلِكَ لَمْ أَضْبُطْهُ إِلَّا بِتَحْلِيلِ الْمُقْطُوعَاتِ، بَلْ بِانْتِخَابِ  
كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَبْيَاتِ، وَفِي ذَلِكَ مَا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ مِنْ تَهَجُّجِ الْكِتَابِ وَتَفْصِيلِ  
الْأَبْوَابِ. وَالْآخَرُ أَنَّ الْأَبْوَابَ حِينَئِذٍ كَانَتْ تَكُونُ بِغَيْرِ عَدَدٍ مُحْضُورٍ وَلَا حَدِّ  
مَقْصُورٍ. وَإِنَّمَا عَمِدْنَا أَنْ يَكُونَ الْكِتَابُ مِثَّةً بَابٍ بِمِثَّةِ بَيْتٍ، فَيَشْتَمِلُ طَرَفَاهُ  
عَلَى عَشْرَةِ آلَافِ بَيْتٍ. وَلِلْمُحَافَظَةِ عَلَى ذَلِكَ وَالْمُرَاعَاةِ لِتِمَامِ الشَّرْطِ فِيهِ،

أَعَدْتُ فِيمَا ذَكَرْتُهُ مِنْ سَرَاقَاتِ الشُّعْرَاءِ خَمْسَةَ آيَاتٍ فَقَدْ مَرَّتْ فِي أَبْوَابِ  
الْغَزَلِ تَكُونُ قِصَاصًا مِنَ الْخَمْسَةِ الْآيَاتِ الَّتِي فِي الرِّسَالَةِ الْمُقَدَّمَةِ فِي صَدْرِ  
الْكِتَابِ. فَتَحْنُ لِأَن لَّا يَخْرُجَ الْعَدَدُ عَنْ حَدِّ مَا قَصَدْنَاهُ أَعَدْنَا آيَاتًا قِصَاصًا عَنِ  
الْآيَاتِ لَيْسَتْ مَحْسُوبَةٌ فِي بَابٍ، وَإِنَّمَا هِيَ مُتَمَثِّلٌ بِهَا فِي غُرُوضِ الْخِطَابِ.  
فَلَوْ سَامَحْنَا فِي أَنْ تَكُونَ الْإِحْتِجَاجَاتُ وَالْآيَاتُ الْمُتَعَلِّقَاتُ بِمَا يُشَاكِلُ الْبَابَ  
مِنْ الْآيَاتِ، غَيْرَ دَاخِلَاتٍ فِي الْعَدَدِ، لَأَسْتَحَالَتِ التَّسْوِيَةُ بَيْنَ الْأَبْوَابِ وَلَفَسَدَ  
تَرْتِيبُ الْكِتَابِ.

وَتَحْنُ الْآنَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَقَدْ أَتَيْنَا عَلَى الْخَمْسِينَ الْمَاضِيَةِ مِنَ  
الْأَبْوَابِ، مُبْتَدِئُونَ فِي الْخَمْسِينَ الْبَاقِيَةِ مِنَ الْكِتَابِ، فَأَوَّلُ مَا نَشْرَعُ فِيهِ مِنْ  
ذَلِكَ مَا قِيلَ فِي تَعْظِيمِ أَمْرِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَالتَّنْبِيهِ عَلَى قُدْرَتِهِ، وَالذَّلَالَةَ  
عَلَى آيَاتِهِ، وَالتَّحْذِيرَ مِنْ سَطَوَاتِهِ. ثُمَّ نَعْقِبُ ذَلِكَ مَا قِيلَ فِي رَسُولِهِ - صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثُمَّ نَتَّبِعُ ذَلِكَ مَا قِيلَ فِي الْمُخْتَارِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ - رَحِمَهُ  
اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَصَلَوَاتِهِ - ثُمَّ نُنْسِقُ إِلَى آخِرِهَا عَلَى أَحَقِّ التَّرْتِيبِ بِهَا، حَسَبَ  
مَا تَبَلَّغُهُ أَفْهَامُنَا، وَيُؤْمِي إِلَيْهِ اخْتِيَارُنَا. وَإِنَّمَا قَدَّمْتُ أَبْوَابَ الْغَزَلِ مِنْهَا دِينًا  
وَدُنْيَا. وَ[بِمَا] هُوَ أَدْعَى إِلَى مَصَالِحِ النَّفْسِ وَأَدْخَلَ فِي بَابِ التَّقْوَى، لِأَنَّ  
مَذْهَبَ الشُّعْرَاءِ أَنْ تَجْعَلَ التَّشْبِيبَ فِي صَدْرِ كَلَامِهَا مُقَدِّمَةً لِمَا تَحَاوِلُهُ فِي  
خِطَابِهَا، حَتَّى إِنْ الشَّيْعَرُ الَّذِي لَا تَشْبِيبَ لَهُ لِيَلْقَبَ بِالْخَصَا، وَتُسَمَّى الْقَصِيدَةُ  
مِنْهُ الْبَرَاءُ. وَإِنْ قَائِلُهَا لِيَخْرُجَ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشُّعْرَاءِ، عِنْدَ عَمَلٍ يَدْخُلُ  
فِيهِ الْمُؤَصِّفُونَ بِالْإِفْتِدَارِ، وَالْمُنَسُّوُونَ إِلَى حُسْنِ الْإِخْتِيَارِ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ  
لَّا أَخْرُجَ فِي تَأْلِيفِ الشَّيْعَرِ عَنْ مَذْهَبِ الشُّعْرَاءِ دَلِيلًا عَمَّا ضَمِنْتُ مِنْ رِعَايَةِ  
حُقُوقِ الْمُشَاكِلَةِ. وَلَمْ يَصْلُحْ إِذَا أَنْقَضَى ذِكْرَ التَّشْبِيبِ بِالْغَزَلِ، أَنْ أَقْدِمَ عَلَى  
أَمْرِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - أَمْرًا، وَلَا أَرْسُمَ بَيْنَ يَدَيَّ الْأَشْعَارِ الدَّلَالَةَ عَلَى عَظَمَتِهِ  
شَيْعَرًا. وَلَمْ أَجِدْ أَحَدًا مِنَ الشُّعْرَاءِ اتَّسَعَ فِي هَذَا النَّحْوِ اتِّسَاعُ أُمِّيَّةِ بْنِ

أَبِي الصَّلْتِ. عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُسَلِّمْ فَيُعْظِمَ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِهِ مَا لَا تُعْظِمُهُ إِقَامَتُهُ.  
عَلَى كُفْرِهِ. وَأَشْعَارُ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي هَذَا الْمَعْنَى وَمَا كَانَ شَكْلُهُ أَوَّلَى أَنْ  
يُقَدَّمَ مِنْ أَشْعَارِ الْإِسْلَامِيِّينَ، لَا لِسَبْقِهِمْ فِي الزَّمَانِ؟ وَلَا لِتَقْدِيمِهِمْ فِي الْأَسْنَانِ،  
وَلَكِنْ لِأَنَّ إِقْرَارَ الْخُصْمِ بِدَعْوَى خُصْمِهِ أَقْطَعُ لِلْجَدَلِ مِنْ ادِّعَاءِ الْمَرْءِ حَقًّا  
لِنَفْسِهِ، وَإِنْ أَقَامَ الْبَيِّنَةَ بِصِحَّةِ قَوْلِهِ.

وَنَحْنُ نُقَدِّمُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ - مَا نَخْتَارُهُ مِنْ شَيْعَرِ أُمِّيَّةٍ  
وَأَصْحَابِهِ، وَالْدَّاخِلِينَ مَعَهُ فِي بَابِهِ، فَإِنَّهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَبْلُغُوهُ، فَقَدْ رَمَوْا غَرَضَهُ  
فَقَارَبُوهُ.

يَتْلُوهُ الْبَابُ الْحَادِي وَالْخَمْسُونَ ذَكَرَ مَا قَالَهُ أُمِّيَّةٌ  
وَنَظَرَاؤُهُ فِي تَعْظِيمِ أَمْرِ اللَّهِ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ -  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ  
وَالصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِهِ  
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ  
أَجْمَعِينَ.

بَلَغَ هَذَا الْكِتَابَ الْمُبَارَكَ تَضَجُّيحًا وَمُقَابَلَةً مَعَ نُسخَةِ أَصْلِهِ عَلَى حَسَبِ الْجُهْدِ  
وَالطَّاقَةِ فَصَحَّ وَوَافَقَ فِي ذِي قَعْدَةِ سَنَةِ ثَمَانٍ عَشْرَةَ وَسَبْعَ مِثَّةٍ مِنْ  
الْهَجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ.

كُتِبَ مُقَابَلَةً مَعَ الْمُلُوكِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْمِقَاتِلِ أَحْمَدَ بْنِ فَهْدِ بْنِ أَبِي الْفَدَاءِ  
إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْحَمِي أَيْدَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

رقم الإيداع لدى مديرية المكتبات والوثائق الوطنية  
(١٩٨٥/٣/١١٠)